



مِن مَطْبُوعَاتِ
مَكْتَبَةِ إِمَامِ الرَّعَوَقِ
الْعَامِيَّةِ
بِمَكَّةِ الْمُكَرَّمَةِ
عَدَد (٣٤)

كُتُبَةٌ

الخطب المنيفة

من منابر

الكعبة الشريفة



إعداد

عبد الرحمن بن عبد العزيز السدي

إمام وخطيب المسجد الحرام



السفر الثاني

دار الصيغ
للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

دار الصمعي للنشر والتوزيع
للمملكة العربية السعودية

الرياض ص.ب: ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢

المركز الرئيسي: الرياض - السعودي -

شارع السعودي العام

هاتف: ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩

فاكس: ٤٢٤٥٣٤١

فرع القصيم: عنيزة - بجوار مؤسسة الشيخ

ابن هيثم الخيرية

هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨ تليفاكس: ٣٦٢١٧٢٨

الموزع في المنطقة الغربية والجنوبية

/ جوال ٠٥٠٩٧٧١٥٦٨

مدير التسويق ٠٥٥٥١٦٩٠٥١

daralsomaie@hotmail.com

المُقدِّمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، اٰمْتَنَّ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِنِعْمَةِ الْخُطَابَةِ، وَمَا أَرْكَأهَا! - سُبْحَانَهُ - أَوْضَحَ بِهَا سُبُلَ الرَّشَادِ وَجَلَّلَهَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الْبَالِغُ مِنْ مَعَاقِدِ الْفَصَاحَةِ ذُرَاهَا، الْمُتَبَوِّئُ مِنْ أَسْنِمَةِ الْخُطَابَةِ أَرْقَاهَا، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَصَحْبِهِ الْمُحَجَّلِينَ، الْحَائِزِينَ مِنْ رُتَبِ الْبَيَانِ وَالْبَلَاغَةِ أَسْنَاهَا وَأَسْمَاهَا، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، مَا أَضَاعَتْ الْفِرَاقِدُ فِي ارْتِفَاعِهَا وَعُلاهَا.

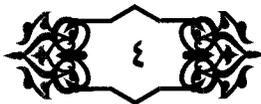
أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ كَانَ بَاعِثُ الْاِبْتِهَاجِ وَالسُّرُورِ، وَحَادِي الْاِغْتِبَاطِ وَالْحُبُورِ، أَنْ يَسَّرَ الْمَوْلَى - عَزَّ وَجَلَّ - صُدُورَ السَّفَرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْخُطْبِ الَّتِي وَفَّقَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - لِإِعْدَادِهَا وَإِلْقَائِهَا مِنْ مَنْبَرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ - زَادَهُ اللَّهُ تَكْرِيمًا وَتَشْرِيفًا - وَالْمَوْسُومَةَ بِـ «كُوكَبَةِ الْخُطْبِ الْمُنِيفَةِ مِنْ مَنْبَرِ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ»، وَقَدْ كَانَ بِفَضْلِ اللَّهِ - بِشَهَادَةِ مَنْ اِطَّلَعَ وَتَابَعَ - فِي أَبِي الْمَنَاظِرِ، بِمَا يُنْبِجُ الْفُؤَادَ وَيُخْلِبُ النَّاطِرَ، وَلِذَلِكَ فإِنِّي لِأَلْهَجُ بِمَدِيدِ

الشُّكْرِ لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَوْلَا وَآخِرًا، وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا، عَلَى مَا أَوْلَى مِنْ
تِلْكَ النُّعْمَةِ، وَمَا أَسَدَى مِنْ ذَلِكَ الْإِحْسَانِ وَالْمِنَّةِ.

وَإِنَّ مِمَّا زَادَ فِي مُسْتَطِيلِ الْمَسْرَةِ، وَمُسْتَفِيضِ الْغِبْطَةِ: الْإِنْتِشَارُ الْمَدِيدُ،
وَالاخْتِفَاءُ الشَّدِيدُ، وَالسَّيْرُورَةُ الشَّرُودُ، وَالذِّكْرُ الْحَسَنُ، وَالشَّنَاءُ الْعَاطِرُ
- جَعَلَهُ اللهُ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ - الَّذِي لَقِيَهُ الْكِتَابُ لَدَى أَوْسَاطِ
الْمُجْتَمَعِ وَأَطْيَافِهِ، خُصُوصًا الدُّعَاةُ الْفَضْلَاءُ، وَالْحُطْبَاءُ النُّبَلَاءُ، وَأَهْلُ
الْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ الْأَخْيَارِ، مِمَّا كَانَ لَهُمْ - بِحَمْدِ اللهِ وَمَنِّهِ - خَيْرُ زَادٍ
وَمُعِينٍ، وَأَهْنَى رَافِدٍ مَعِينٍ، فِي الْقِيَامِ بِأَعْبَاءِ الدَّعْوَةِ وَالتَّوْجِيهِ وَالبَلَاغِ.

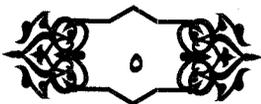
ذَلِكَ شَأْنُهُ فِي الدَّخْلِ، أَمَّا فِي الْأَقْطَارِ وَالْأَفَاقِ، فَقَدْ تَلَقَّاهُ الْجَمُّ
الْغَفِيرُ بِالتَّلَهُّفِ وَالْأَشْوَاقِ، عَلَى وَجْهِ سَوَاءٍ، بَيْنَ: الْمَسَاجِدِ وَالْمَرَائِزِ
وَالْمُؤَسَّسَاتِ، وَالْهَيْئَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فِي أَنْحَاءِ الْعَالَمِ قَاطِبَةً، فَضْلًا عَنِ
اهْتِمَامِ الْأَخْلَاءِ، وَمُتَابَعَاتِ الْأَحِبَّةِ وَالْأَوْدَاءِ، وَيَعْلَمُ اللهُ كَمْ هِيَ
المُهَاتَفَاتُ وَالْحُطْبَاتُ وَالطَّلَبَاتُ الَّتِي تَلَقَّيْتُهَا مِنَ الْمُحِبِّينَ - لَا عَدِمْنَاهُمْ
وَعَيْنُ اللهِ تَرَعَاهُمْ - بِمَا ضَاعَفَ الْمَسْئُولِيَّةَ وَالتَّبِعَةَ، لِمُوَاصَلَةِ نَشْرِ
الْحُلُقَاتِ الذَّهَبِيَّةِ، وَالدَّرَرِ السَّنِيَّةِ الَّتِي نَاهَزَتْ الْعَشْرَةَ أَسْفَارًا - يَسَّرَ اللهُ
وَأَعَانَ عَلَى طَبْعِهَا - لِهَذِهِ الْحُطْبِ الْعَلِيَّةِ. ذَلِكَ، عَلَى انْفِتَارِ اللَّبَارِي
- سُبْحَانَهُ - وَضِرَاعَةِ إِلَيْهِ، بِالثَّبَاتِ وَالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْفِيقِ.



يَا سَفْرَانِي قَدْ صَحِبْتُكَ فِي خَلَاوِي الْأَصَالِ وَالْأَبْكَارِ
فَلَيْالٍ وَضَلِّكَ لَا تُمَلِّ وَحَبِّدَا لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ بِلَا أَسْحَارِ
أَخِي الْقَارِيُّ الْكَرِيمُ، أَخِي الْخَطِيبُ الْمَوْفِقُ: وَهَاهُوَ السَّفْرُ
الثَّانِي عَلَى نَسَقِ سَلْفِهِ، بَلْ لَعَلَّهُ يَكُونُ فِي أَبْهَى حُلَّةٍ، وَأَفْضَلِ خُلَّةٍ، قَدْ
انْبَلَجَ عَنْ غُرَّتِهِ الصَّبَاحُ، وَبَعَثَ رِيَّ حَيَّاهُ عَلَى الْإِنْشِرَاحِ، وَتَفَتَّقَتْ
أَكْمَامُهُ عَنْ أَشْدَى أَقَاحٍ، فَضَلًّا وَمَنَّا مِنْ الْوَهَابِ الْفَتَّاحِ.

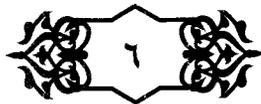
وَمِمَّا يَجْدُرُ ذِكْرُهُ - هُنَا -: أَنَّ مَقْدَمَةَ السَّفْرِ الْأَوَّلِ، انطَوَتْ الْحَدِيثَ
عَنِ الْخُطَابَةِ وَتَارِيخِهَا، وَأَهْمِيَّتِهَا، وَأَثَارِهَا، وَتَارِهَا، وَمَا يَتَعَلَّقُ
بِالْخُطِيبِ: سُلُوكًا وَأَدَابًا، وَمُثَابَرَةً وَاجْتِهَادًا، وَالْخُطْبَةَ: تَأْسِيسًا وَتَأْصِيلًا
وَإِعْدَادًا، بِمَا يَكْفِي وَيَسْفِي عَنْ تَكَرُّرِهِ أَوْ اخْتِصَارِهِ فِي هَذِهِ الصَّفَحَاتِ،
وَإِنَّمَا جَرَى التَّنْوِيهِ لِمَنْ أَرَادَ التَّوَسُّعَ وَمَزِيدَ الْفَائِدَةِ.

أَخِي الْمُحِبُّ الْمِفْضَالُ: وَفِي هَذَا الْجُزْءِ الثَّانِي تَكْتَحِلُ مُقْلَتَاكَ
بِمَرَأَى أَرْبَعِينَ خُطْبَةً، بَلَغَتْ أَشَدَّهَا، وَاسْتَوَتْ عَلَى سُوقِهَا: تَأْتِقُ الْخَاطِرُ
فِي تَهْدِيئِهَا، وَتَعْنَى الْفُؤَادُ الْعَمِيدُ لِتَشْدِيدِهَا، وَمَا كَاعَ الْيِرَاعُ عَنْ
تَحْضِيدِهَا، فِي اللَّيْلِ وَهَجُوعِهِ، وَكَذَا فِي النَّهَارِ وَمُتُوعِهِ، بَيْنَ تَنْفِيحِ
وَتَحْرِيرِ، وَتَوْشِيَةِ وَتَحْبِيرِ، مُتَوَخِّيًا بِبَلَاغَةِ الْأَدَاءِ، وَبِرَاعَةِ الْإِلْقَاءِ، وَالْحُجَّةِ
الْآخِذَةِ، وَالْفِكْرَةَ النَّافِذَةَ، الَّتِي تَغْمُرُ الرُّوحَ، وَتُسَعُّ فِي أَقْطَارِ النَّفْسِ،



مُوسَّحَةً بِنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالنُّقُولِ الْمُهَيَّمَةِ عَنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ،
 مُضْمَخَةً بِمَأْثُورِ الْأَقْوَالِ وَالْحُكْمِ، مُنْمَنَةً بِأَبْيَاتِ مِنَ الشُّعْرِ الْحَكِيمِ،
 الَّذِي جَمَعَ لَطِيفَ التَّضْرِيحِ، وَجَمَالَ التَّرْصِيعِ، فِي الْمَعْنَى الرَّائِقِ الْمُنِيعِ،
 وَالْمَغْزَى الْوَجِيزِ الْبَدِيعِ، مَعَ حِرْصِ حَمِيدٍ فِي الْأَزْدِلَافِ إِلَى قَضَايَا الْوَاقِعِ
 لِتَنْخَلَهَا وَتُجَلِّبَهَا، وَلِتَمَازَجَ مُعْضَلَاتِ الْأُمَّةِ فَنَعَا لِحُجَّتِهَا وَتُعْفِيهَا - بِإِذْنِ اللَّهِ.
 كَمَا عَالَجَ هَذَا الرَّكَازُ الْأَثْمَنُ، قَضَايَا عَقْدِيَّةٍ وَمَنْهَجِيَّةٍ وَفِكْرِيَّةٍ،
 وَتَطَرَّقَ لِبَعْضِ الْمُسْتَجِدَّاتِ وَالنَّوَازِلِ الَّتِي كَانَتْ فِي الْأُمَّةِ كَالزَّلَازِلِ، مِمَّا
 اقْتَضَى إِضَافَةَ قِسْمَيْنِ جَدِيدَيْنِ مُهِمَّيْنِ، هُمَا فِي أَحْوَاجِ مَا تَكُونُ لَهُمَا
 الْأُمَّةُ، فِي ظِلِّ الْمَشَارِبِ الْهَادِمَةِ، وَالْأَفْكَارِ الضَّارِبَةِ الْهَاتِمَةِ، مَعَ مَا شَبَّحَ
 ذَلِكَ مِنَ الْأَقْنِيَةِ الْفَضَائِيَّةِ، وَالتَّقَانَاتِ الْوَثَائِبِ، الَّتِي جَعَلْتُ كَثِيرًا مِنَ
 الْأَوْطَانِ مَسَارِحَ دِمَارٍ وَبَوَارٍ، سِوَاءٍ بَاطِنًا أَوْ ظَاهِرًا...!!
 وَهَذَا الْقِسْمَانِ هُمَا:

- ١ - مَعَالِمُ فِي الْمُنْهَجِ (وَهُوَ الْقِسْمُ الثَّامِنُ).
 - ٢ - بَصَائِرُ فِي الْأَحْدَاثِ وَالنَّوَازِلِ (وَهُوَ الْقِسْمُ التَّاسِعُ).
- وَحُجَبَ: قِسْمُ الطَّهَارَةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْمَعَامَلَاتِ، وَالْجِهَادِ وَالْحِسْبَةِ.
 أَيُّهَا الْقَارِئُ الْأَرِيبُ: وَإِنَّ مِمَّا يَحْسُنُ رَبُّطَهُ وَذِكْرَهُ، بِقَضِيَّةِ الْمَعَايِشَةِ
 أَوْ الْمَلَامَسَةِ لِمُشْكِلَاتِ الْمُجْتَمَعِ وَمِحَنِ الْأُمَّةِ، أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُطَبَاءِ



- وَفَقَّهُمُ اللهُ - لَا تَوُودُهُمُ الْمُسْتَجِدَّاتُ، وَلَا يَلُوُونَ عَنْ مُلِمَّاتِ الْأُمَّةِ النَّاجِمَاتِ!! وَهَذَا مِمَّا يُفْقَدُ الْخَطِيبُ تَكَامُلَهُ وَشُمُولَهُ، وَيَسْلُبُ الْخُطْبَةَ جَوْهَرَهَا الْوَهَّاجَ، وَيُغَوِّرُ مَعِينَهَا الشَّجَاجَ، حَتَّى غَدَّتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَنَابِرِ - وَذَلِكَ مَدْعَاةٌ أَسَى - لَا تَهْدِفُ إِلَى جَلِيلٍ مَقْصِدٍ وَغَايَةٍ، وَلَا تَنْشُدُ عَظِيمَ مُرَادٍ وَهِدَايَةٍ، يُضَافُ: غِيَابُ التَّوَازُنِ وَالتَّأْصِيلِ فِي الطَّرْحِ، وَغَلَبَةُ الْعَاطِفَةِ الْمَشْبُوبَةِ، وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

تِلْكَ إِضَاءَةٌ اقْتَضَاهَا الْمَقَامُ، دُونَ إِسْهَابٍ أَوْ إِطْنَابٍ.

أَيُّهَا الْقُرَّاءُ الْأَكْرَامُ: وَمِنَ الْمَسَائِلِ الْجَدِيدَةِ بِالسِّيَاقِ فِي هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ، وَالَّتِي تُتَطَارَحُ عَلَى وَجْهِ الْمَلْحُوظَةِ مِنْ قَبْلِ الْمُحِبِّينَ - لَا زَالُوا مُسَدِّدِينَ - مَسْأَلَةُ الْأَسْجَاعِ، قَصْدَ الرَّوْنِقِ وَالْإِبْدَاعِ، فَكَثِيرٌ مِنْهُمْ رَبَّمَا امْتَعَضَ مِنَ السَّجْعِ؛ لِمَا جَاءَ مِنْ كَرَاهَتِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «أَسْجَعُ كَسَجْعِ الْكُهَّانِ؟!»،^(١) وَيُمْكِنُ أَنْ يُجَابَ عَنْ ذَلِكَ: بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالذَّمِّ - هُنَا - هُوَ: السَّجْعُ الْمُتَكَلَّفُ الْمَمْجُوجُ، الَّذِي يَقَعُ فِي الْأَذَانِ كَالْإِزْمِيرِ فَيَخْرِقُهَا! أَمَّا السَّجْعُ الَّذِي انْعَقَدَ عَلَى الْمَعْنَى الشَّرِيفِ الْكَرِيمِ، وَفِي أَحْسَنِ

(١) أخرجه مسلم (١٦٨٢) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه بلفظ: «كَسَجْعِ الْأَعْرَابِ»، وأخرجه البخاري (٥٧٥٨)، ومسلم (١٦٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ»، زاد مسلم: «مِنْ أَجْلِ سَجْعِهِ الَّذِي سَجَعُ».

تَرْزِيمٍ، فَإِنَّ النَّفْسَ الشَّاعِرَةَ الشَّفِيفَةَ، تَأْتِسُ لِإِيقَاعِهِ، وَتَهْفُو لِسَمَاعِهِ.
وَأَنَّ أَوْسَطَ مَنْ أَجَابَ عَمَّا ظَاهِرُهُ الْكَرَاهَةُ - فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - الْإِمَامُ
ابْنُ الْأَثِيرِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - حَيْثُ قَالَ: «لَوْ كَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ السَّجْعَ مُطْلَقًا لَقَالَ:
«أَسْجَعُ» ثُمَّ سَكَتَ، وَلَكِنَّهُ قَالَ: «أَسْجَعُ كَسَجْعِ الْكُهَّانِ؟!»، فَصَارَ
الْمَعْنَى مُعَلَّقًا عَلَى أَمْرٍ، وَهُوَ انْكَارُ الْفِعْلِ لَمَّا كَانَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، فَعَلِمَ
أَنَّهُ ذَمٌّ مِنَ السَّجْعِ مَا كَانَ مِثْلَ سَجْعِ الْكُهَّانِ لَا غَيْرٍ، وَأَنَّهُ لَمْ يَذُمَّ السَّجْعَ
عَلَى الْإِطْلَاقِ». بَلْ لَا يَخْفَى أَنَّهُ مَنْقَبَةٌ، وَهَلِ الْبَلَاغَةُ إِلَّا ذَاكَ مَعَ الْإِيجَازِ،
وَهُوَ أُسْلُوبُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَأَسَاطِينِ الْخُطَابَةِ عَبْرَ التَّأْرِيخِ!! وَإِنْ
كُنْتُ أَلْتَمِسُ الْعُذْرَ لِلنَّاقِدِ النَّاصِحِ، فَأُذْنَاهُ لَمْ تَعْتَدَا إِلَّا سَمَاعَ الْكَلَامِ
الْإِنْشَائِيِّ الْمَجْرَدَ عَنْ صُورِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ إِلَّا لِمَا مَا.

وَالْمُتَأَمِّلُ فِي سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَحَادِيثِ السُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ، يُلْفِي
ذَلِكَ الْأُسْلُوبَ الْبَلَاغِيَّ الْفَصِيحَ جَلِيًّا مُتَأَلِّفًا، بَلْ إِنَّهُ ﷺ غَيْرَ الْكَلِمَةِ
عَنْ وَجْهٍهَا إِتْبَاعًا لِأَخْوَاتِهَا؛ مِنْ أَجْلِ السَّجْعِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «ارْجِعْنَ
مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ»^(١)، وَإِنَّمَا أَرَادَ «مَوْزُورَاتٍ» مِنَ الْوِزْرِ، فَقَالَ:
«مَأْزُورَاتٍ»؛ لِمَكَانِ «مَأْجُورَاتٍ» طَلَبًا لِلتَّوَازُنِ وَالسَّجْعِ، وَهَذَا يَدُلُّ

(١) أخرجه ابن ماجه (١٥٧٨)، والبخاري (٢٤٩/٢) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.



عَلَى مُرَاعَاةِ السَّجْعِ غَيْرِ الْمُتَكَلِّفِ .

وَدُونِكَ . يَا رَعَاكَ اللَّهُ . أَمِثْلَةٌ مِنْ أَسْجَاعِهِ الْعَذْبَةِ الرَّقِيقَةِ، اللَّذْنَةِ الشَّفِيفَةِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ»^(١) .

وَقَوْلِهِ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، - وَمَلَمْ يَقُلْ ﷺ: وَالنَّاسُ نَائِمُونَ أَوْ رُقُودًا! تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(٢) .

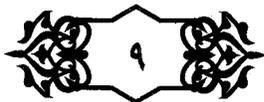
وَقَوْلِهِ ﷺ: «تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ»^(٣) . وَكَمْ لِدَازِجٍ مِنْ أَمْثَالِ، بِحَمْدِ اللَّهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ، فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ - هُدَيْتِ الرَّشَادَ - وَاحْذَرِ اللَّجَجَ وَالْإِثْقَالَ . وَبِمَا سَبَقَ بَيَانُهُ، قَدْ أَتَّضَحَ - فِي مَسْأَلَةِ السَّجْعِ - الْحَقُّ وَاعْتَلَى، وَاسْتَبَانَ وَأَنْجَلَى . ذَلِكَ، وَقَدْ دَرَجَ الْأَيْبَاءُ مِنَ الْبُلْغَاءِ، وَالْمَصَاقِعُ مِنَ الْخُطْبَاءِ، وَالْحُدَاقُ مِنْ ذَوِي الْأَشْعَارِ وَالنَّثَارِ، عَلَى اسْتِعْمَالِ السَّجْعِ وَاسْتِرْفَادِهِ،

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة - رضي الله عنها .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (٣٢٥١)، وأحمد في «المسند» (٤٥١/٥)،

والدارمي في «سننه» (١٤٦٠) من حديث عبد الله بن سلام ﷺ .

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٤٧) من حديث أبي هريرة ﷺ .



نَعَمْ! وَكَيْفَ تُصَدِّعُ الْقُلُوبَ، وَيُجْرِي ذُنُوبَ الْمَدَامِعِ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ،
وَأَنْتَى يَتَأْتَى التَّحْذِيرُ وَالْإِنْذَارُ، وَالْإِغَالُ فِي التَّخْوِيفِ وَالْإِخْبَارِ،
وَالِاسْتِحْسَانُ وَالِاسْتِصْغَارُ، إِلَّا بِالِإِسْهَابِ وَالِإِشْبَاعِ، وَالتَّحْسِينِ
وَالِإِسْجَاعِ، بِمَا يَجْلِبُ مَطَاوِي النُّفُوسِ، وَيَسْتَرِقُّ حَبَاتِ الْأَفْتِدَةِ!!! وَقَدْ
قِيلَ: لَا يَحْسُنُ مَثْوَرُ الْكَلَامِ وَلَا يَحْلُو، حَتَّى يَكُونَ مُسَجَّعًا.

فَكَيْفَ إِذَا كَانَتِ الْخُطْبَةُ يُدَوِّي بِهَا مِنْ أَعْلَى وَأَشْرَفٍ وَأَعْظَمٍ مِنْبَرٍ
عَالَمِيٍّ، وَتُسَكَّبُ فِيهَا حُشَاشَةُ الرُّوحِ، وَخُلَاصَةُ النَّفْسِ، لِمُدَّةٍ: زُهَاءِ
الشَّهْرِ، وَيَتَسَمَّعُهَا - حُضُورًا - مَا لَا يُحْصَى خَلْقًا، مَنْ هُمْ: فِي الدُّوَابَةِ مِنْ
العِلْمِ وَالْحِصَافَةِ وَالْبَيَانِ وَالْبَلَاغَةِ!! لَعَمْرُو الْحَقُّ، فَإِنَّ الْأَمْرَ أَكْدُ وَأَحَقُّ،
وَأَعْظَمُ وَأَشَقُّ!!! وَعَلَى كُلِّ، فَالتَّوَسُّطُ وَالِاعْتِدَالُ، هُوَ الْمَرَامُ وَمَحَلُّ
الِامْتِثَالِ.

أَحِبَّتِي الْقُرَاءَ: وَهَنَا الْبَاحَةُ إِلَى أَنْ تُرَوِّضَ الْأُمَّةَ، وَيُوصَلَ الْجِيلُ،
عَلَى النِّقْدِ الْعِلْمِيِّ الْهَادِفِ، ذِي الْأَفْقِ الْمَدِيدِ، وَالِإِغْضَاءِ الرَّحِيبِ، فِيمَا
لَا يَمَسُّ الْأُصُولَ الثَّوَابِتَ، وَأَنْ تَكُونَ الْأُمَّةَ رَحْبَةَ الدَّرَاعِ فِي حُسْنِ
الظَّنِّ وَالتَّوَابِلِ السَّائِعِ، وَسَعَةِ الصِّدْرِ فِي أَوْجِهِ النَّظَرِ وَالِاعْتِبَارِ، قَالَ
تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ ﴿[هود: ١١٨، ١١٩]،
وَهَذَا الْاِخْتِلَافُ هُوَ اِخْتِلَافُ الرَّحْمَةِ وَالسَّعَةِ وَالشُّمُولِ، فِيمَا يَسُوعُ فِيهِ



الْخِلَافُ، وَلَا مَحْدُورَ فِيهِ؛ لِأَنَّ أَفْهَامَ الرِّجَالِ لَيْسَتْ وَحِيًّا، وَمَدَارِكُهُمْ
لَيْسَتْ عَلَى سَنَنِ وَاحِدٍ، وَلِيَكُنِ التَّرْكِيزُ عَلَى الْمَقَاصِدِ وَالْمَعَانِي،
لَا الْأَلْفَاظِ وَالْمَبَانِي، الَّتِي تَتَّسِعُ فِيهَا وَجْهَاتُ النَّظَرِ، وَتَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ
الْقَرَائِحِ وَالْفِكَرِ، وَعَلَيْهِ، لِمَاذَا الْإِشْقَاقُ عَلَى النَّفْسِ، وَإِعْنَاتُ الْغَيْرِ؟!
أَخْلَصَ اللَّهُ النَّوَايَا، وَأَصْلَحَ الطَّوَايَا، بِمَنِّهِ وَجُودِهِ.

وَفِي الْخِتَامِ، أَمَلُ أَنْ يَتَلَقَّى الْمُسْلِمُونَ الْأَعِزَّةَ، وَالْمُنْصِفُونَ الْأَحِبَّةَ،
وَالدُّعَاةَ وَالْحُطْبَاءَ الْمُبْدِعُونَ، وَالْإِخْوَةَ الْغَيْرِ، هَذَا الْجُهْدَ الْمُتَوَاضِعَ - وَكُلَّ
عَمَلٍ مُخْلِصٍ بِنَاءً - بِمَحْضِ الْمَوَدَّةِ، وَحُسْنِ الطَّوَيَّةِ، وَشَفِيفِ النِّيَّةِ،
وَوَثِيقِ التَّآخِي وَالْأُلْفَةِ، دُونَ تَوَجُّسٍ أَوْ انْفِعَالٍ، أَوْ تَجْهَمٍ فِي الْمَلْحَظِ
وَاسْتِعْجَالٍ، بَلْ بِنَقْدٍ لَطِيفٍ، وَنُضْحٍ وَرِيفٍ: يَتَوَخَّى أَنْبَلِ الْمَحَامِلِ،
وَأَنْدَى الْمَعَازِيرِ وَالْوُجُوهِ، وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ، وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - وَيُّ
التَّوْفِيقِ وَالتَّسْهِيدِ.

وَمَسْئَلُ الْخِتَامِ: الشُّكْرُ الْمَزِيدُ، وَالْحَمْدُ الْمَدِيدُ، لِلْمُنْعَمِ الْمُتَفَضِّلِ
- تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فَلَوْلَا تَوْفِيقُهُ وَإِفْضَالُهُ لَمَا تَحَقَّقَ هَذَا الْجُهْدُ الْمُبَارَكُ، ثُمَّ
يَسْرُنِي أَنْ أَسُوقَ مِنَ الدُّعَاءِ أَوْفَرَهُ، وَمِنَ الشَّيْءِ أَعْطَرَهُ، لِكُلِّ مَنْ بَدَلَ
وَحَفَزَ، وَتَابَعَ وَشَجَّعَ، وَشَكَرَ وَأَثْنَى، مِنْ وِلَاةِ الْأَمْرِ، وَالْعُلَمَاءِ،
وَالْحُطْبَاءِ وَالْبَاحِثِينَ، وَالْفُضَّلَاءِ، هُمْ مِنْ أَحِبِّهِمْ وَمُحِبِّهِمْ عَظِيمِ الْاِمْتِنَانِ



والتَّقْدِيرِ، كَمَا أَضْرَعُ إِلَى الْبَارِي - جَلَّ فِي عُلَاه - فِي أَصْدَقِ نِيَّةٍ مَرْفُوعَةٍ،
وَأَخْلَصِ دَعْوَةٍ مَسْمُوعَةٍ، أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ،
لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا جَاهَ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ،
وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ، وَالهُدَى
وَالرَّشَادَ، وَالتَّقْوَى وَالِإِسْعَادَ، وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِمَشَائِخِنَا، وَمَنْ
أَحَبَّنَا فِيهِ وَأَحْبَبْنَا فِيهِ، وَمَنْ كَانَ سَبَبًا فِي إِصْدَارِ السَّفَرِ الْأَوَّلِ وَنَشْرِهِ،
وَالسَّفَرِ الثَّانِي وَنَشْرِهِ، إِنَّهُ أَكْرَمُ مَرْجُوٍّ، وَأَرْحَمُ مَدْعُوٍّ. اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
تَوَكَّلْتُ، وَبِذُنِّي وَعَجْزِي وَفَقْرِي إِلَيْكَ انْتَهَيْتُ، اللَّهُمَّ غَيْرَ وَجْهِكَ
مَا ابْتَغَيْتُ وَلَا ارْتَضَيْتُ، وَمَا النَّفْعَ إِلَّا لِعِبَادِكَ قَصَدْتُ وَنَوَيْتُ،
وَلِدِينِكَ الْقَوِيمِ دَعَوْتُ وَأَعْلَيْتُ، أَنْتَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَبِمُ الصَّالِحَاتُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ، وَزِدْ وَبَارِكْ وَأَنْعِمْ، عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ
الطَّيِّبِينَ الْأَكْرَمِينَ، وَصَحْبِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينَ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

المؤلف:

أ.د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس

مكة المكرمة - حرسها الله

غرة شهر الله المحرم / ١٤٣٢ هـ



القِسْمُ الْأَوَّلُ:

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴾

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّنَا بِنِعَمٍ غَزَارٍ وَأَوْلَانَا، وَجَادَ عَلَيْنَا بِآلَاءِ تَرْتِي، وَحَبَانَا - سُبْحَانَهُ - تَفَضَّلَ عَلَيَّ عِبَادِهِ بِمِنَّةٍ لَا تُضَاهَى وَلَا تُدَانِي، وَهَدَانَا سُنَّةً مُبَارَكَةً وَقُرْآنًا: هُوَ النُّورُ الْمُبِينُ، وَأَعْظَمُ بِهِ كَلَامًا لِلْمَوْلَى وَبُرْهَانًا، أَنْزَلَ هُدًى لِلْعَالَمِينَ، وَلِلْحَقِّ تَبْصِرَةً وَتَبْيَانًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً نَلْهَجُ^(١) بِهَا سِرًّا وَإِعْلَانًا، وَنَسْتَرْفِعُ بِهَا الدَّرَجَاتِ الْعُلَا وَنَسْتَسْقِلُ الْمِيزَانَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَأُسُوتَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، أَحْيَى بِالْقُرْآنِ أُمَّةً ظَلَّتْ مُمَرَّقَةً أَرْزَمَانَا، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، الَّذِينَ اسْتَعَصَمُوا بِالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، فَلَقَاهُمْ عِزَّةً وَسُلْطَانًا، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ يَرْجُو مِنْ رَبِّهِ رَحْمَةً وَغُفْرَانًا وَجَنَانًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَاسْتَعَصِمُوا بِأَحْكَامِ

(١) هَجَّ بِالْأَمْرِ هَجًّا: أَوْلَعَ بِهِ، فَتَابَرَ عَلَيْهِ وَاعْتَادَهُ. يُنْظَرُ: «اللِّسَان» (لهج).

كِتَابِهِ الْمُبِينِ وَهَدَايَاتِهِ، وَعَلِّمُوا أَنَّ التَّقْوَى: سَبِيلُ الْبَرَكَاتِ الدَّرَارِ،
وَالنَّعْمِ وَالْمَسَارِّ، وَنِبْرَاسُ الْعِزَّةِ وَالْإِنْتِصَارِ، وَمَيْسَمٌ^(١) الْهُدَاةُ وَالْأَخْيَارُ،
فَكَمْ - لَعَمْرُ الْحَقِّ - بَلَغَتْ آمَالًا، وَحَقَّقَتْ مَنَالًا، وَأَصْلَحَتْ أَحْوَالًا،
وَفَنَاءَتْ^(٢) أَوْ جَالًا^(٣)، يَقُولُ الْمَوْلَى - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ [آل عمران].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: فِي اجْتِزَاءِ اللَّقُولِ وَاقْتِصَابِ، يُقَالُ: إِنَّ الْحَيَاةَ
الاجْتِمَاعِيَّةَ وَالدِّينِيَّةَ، قَبْلَ تَنْزُلِ الْوَحْيِ الْمُبَارَكِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ - بَل
الْعَالَمِ أَجْمَعِ - كَانَتْ مُزَقَّةَ الْإِهَابِ، مُفْتَرَسَةَ الْجَنَابِ، مِنْ النُّورِ فِي
يَبَابٍ^(٤)، وَمِنَ الْحَضَارَةِ فِي تَبَابٍ^(٥)، دِيَانَتُهَا: الشُّرْكَ وَعِبَادَةُ الْأَوْثَانِ،
وَقَانُونُهَا: الْبَاطِلُ وَشِرْعَةُ الْعَابِ، إِلَى أَنْ أَرْسَلَ الْمَوْلَى - جَلَّ شَأْنُهُ - خَيْرَ

(١) الْمَيْسَمُ: الْعَلَامَةُ وَالْأَثَرُ. يُنْظَرُ: «تَاجِ الْعُرُوسِ» (وَسَم).

(٢) فَنَاءً: الْفَاءُ وَالثَاءُ وَالْهَمْزَةُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَسْكِينِ شَيْءٍ يَغْلِي وَيَفُورُ، يُقَالُ: فَنَاءً الْقِدْرُ:

سَكَنَ مَنْ غَلِيَانَهَا بِمَاءٍ وَنَحْوَهُ. يُنْظَرُ: «مَعْجَمُ مَقَائِسِ اللُّغَةِ» (فَنَاءً).

(٣) الْوَجَلُ: الْفَرْعُ وَالْحَوْفُ، وَجَمْعُهُ: أَوْجَالٌ. يُنْظَرُ: «تَاجِ الْعُرُوسِ» (وَجَل).

(٤) يَبَابٌ: أَي: خَرَابٌ، وَالْيَبَابُ عِنْدَ الْعَرَبِ: الْخَالِي لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ»

(يَب).

(٥) التَّبَابُ: أَي: الْخُسْرَانُ وَالْهَلَاكُ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (تَب).

الْعِبَادِ ﷺ فِي أَطْهَرِ الْبِلَادِ، بِأَعْظَمِ كِتَابٍ، وَأَعْجَزِ خِطَابٍ، يَقُولُ الْعَزِيزُ
الْوَهَّابُ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا
مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ، فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي

رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ [النساء].

وَدُونَكُمْ التَّفْصِيلُ - يَا رَعَاكُمْ اللَّهُ - نَقَعًا لِلْعَلَّةِ، وَبَلَاً لِلْأَوْامِ^(١)،

وَأَسْوَأَ لِلْمَشُوقِ مِنَ اللَّوَاعِجِ^(٢) وَالْهَيَامِ.

أُمَّةَ التَّنْزِيلِ: الْحَدِيثُ عَنِ الْقُرْآنِ الْمُبِينِ، وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، مُتْرَامِي

الْمَدَى، عَظِيمِ الْجَدَا^(٣)، عَمِيمِ الْعَبْرِ وَالْهُدَى، عَذْبِ الْمَوَارِدِ أَبَدًا،

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ

جَنَّتَابِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف]، إِنَّهُ كَلَامُ الْبَارِي الدِّيَانِ، وَحَدِيثُ

الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ، قَصْرَتْ دُونَ تَجَلِيَّةِ لَطَائِفِهِ وَدَقَائِقِهِ، أَقْلَامُ النَّحَارِيرِ^(٤)

(١) الْأَوْامُ: الْعَطَشُ، وَقِيلَ: حُرُّهُ، وَقِيلَ: شِدَّةُ الْعَطَشِ. يَنْظُرُ: «اللسان» (أوم).

(٢) اللَّوَاعِجُ: أَلْمُ الصَّرْبِ وَكُلُّ مُحْرَقٍ، وَالْجَمْعُ: لَوَاعِجٌ. يَنْظُرُ: «تاج العروس» (لعج).

(٣) الْجَدَا وَالْجُدْوَى: الْعَطِيَّةُ. يَنْظُرُ: «تاج العروس» (جدو).

(٤) النَّحْرِيرُ: الْحَاذِقُ الْمَاهِرُ الْعَاقِلُ الْمُجْرَّبُ، وَقِيلَ: الرَّجُلُ الطَّيِّبُ الْمُتَّقِنُ، الْفَطْنُ

الْبَصِيرُ بِكُلِّ شَيْءٍ، مَاخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: نَحَرَ الْأُمُورَ عِلْمًا، أَي: لِأَنَّهُ يَنْحَرُ الْعِلْمَ

نَحْرًا، وَالْجَمْعُ: النَّحَارِيرُ. يَنْظُرُ: «تاج العروس» (نحر).

وَبَرَاعَاتِهِمْ، وَمَرَاقِمٌ ^(١) الْأَسَاطِينُ ^(٢) وَبِلَاغَاتِهِمْ، وَحَصْرَتْ ^(٣) دُونَ سَبْرِ
مَعَانِيهِ وَحَقَائِقِهِ مِدَادَاتُ الْأَبْنَاءِ ^(٤) وَبَرَاعَاتِهِمْ ^(٥)، يَقُولُ الْمَوْلَى - جَلَّ
شَأْنُهُ -: ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ

لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ [الإسراء]، وَمَا
شَأْنُ ذَلِكَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - إِلَّا لِأَنَّ فِيهِ أَكْمَلَ الْأَحْكَامِ، وَأَشْرَفَ الْأَدَابِ،
وَأَعْظَمَ الْأَرَابِ، وَأَقْوَمَ السُّبُلِ، وَأَحْكَمَ الْمَنَاهِجِ، وَأَوْفَرَ الْبَشَائِرِ، وَمُئِنَّةَ
كُلِّ لَاهِجٍ، وَأَعَزَّرَ الْمَبَاهِجِ. فَصَلِّهِ الْبَارِي بِالْحِكْمِ الْبَالِغَةِ الْأَمْثَالِ، فَجَلَّ
عَنِ النَّظِيرِ وَالْمِثَالِ، وَأَكْمَلَ بِهِ الدِّينَ كُلَّ الْكَمَالِ، قَالَ - سُبْحَانَهُ -:

(١) الْمِرْقَمُ: كُلُّ أَدَاةٍ لِلرَّقْمِ أَوْ الْكِتَابَةِ أَوْ التَّصْوِيرِ أَوْ النَّقْشِ، وَالْجَمْعُ: مَرَاقِمٌ. يَنْظُرُ:
«تاج العروس»، و«المعجم الوسيط» (رقم).

(٢) أَسَاطِينُ: جَمْعُ أَسْطُوَانَةٍ وَأَسْطُونٍ، يُقَالُ: أَسَاطِينُ الْعِلْمِ: عَظْمَاؤُهُ، وَأَسَاطِينُ
الزَّمَانِ: حُكَمَاؤُهُ. يَنْظُرُ: «اللسان» (سطن).

(٣) الْحَصْرُ: الْعَيْ، وَهُوَ أَيْضًا: ضَيْقُ الصَّدْرِ، وَكُلٌّ مِنْ أَمْتَنَعَ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ
فَقَدْ حَصَرَ عَنْهُ. يُنْظَرُ: «الصحاح» (حصر).

(٤) يُقَالُ: بَانَ بَيَانًا: اتَّضَحَ، فَهُوَ بَيِّنٌ، وَالْجَمْعُ: أَبْنَاءٌ. يُنْظَرُ: «تاج العروس» (بين).

(٥) الْيِرَاعُ: الْقَصْبُ، وَبَرَاعَاتُ: أَقْلَامٌ تُتَّخَذُ مِنَ الْقَصْبِ، يُقَالُ: كَتَبَ الْكَاتِبُ
بِالْيِرَاعَةِ، أَي: بِالْقَلَمِ. يُنْظَرُ: «تاج العروس» (يرع).

﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ
 مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
 [المائدة: ١٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدُنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾
 [النحل: ٨٩]، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ:
 قَالَ ﷺ: « وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ - إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ - كِتَابُ
 اللَّهِ »^(١).

قَالَ الْإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: « إِنَّ الْكِتَابَ قَدْ تَقَرَّرَ أَنَّهُ كَلِمَةُ
 الشَّرِيعَةِ، وَعَمُودُ الْمِلَّةِ، وَيَنْبُوعُ الْحِكْمَةِ، وَآيَةُ الرَّسَالَةِ، وَنُورُ الْأَبْصَارِ
 وَالْبَصَائِرِ، وَأَنَّهُ لَا طَرِيقَ إِلَى اللَّهِ سِوَاهُ، وَلَا نَجَاةَ بغيرِهِ، وَلَا تَمَسُّكَ
 بِشَيْءٍ يُخَالِفُهُ »^(٢).

اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ
 طَلَعَتْ بِهِ شَمْسُ الْهُدَايَةِ لِللَّوَرَى
 وَالْحَقُّ أَبْلَجُ^(٣) فِي شَرِيعَتِهِ الَّتِي
 وَكِتَابُهُ أَقْوَى وَأَقْوَمُ قِيْلَا
 وَأَبَى لَهَا وَصَفُ الْكَمَالِ أَفْوَلَا
 جَمَعَتْ فُرُوعًا لِلْهُدَى وَأُصُولًا

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) يُنظر: «الموافقات» للإمام الشاطبي (٣/٣٤٦).

(٣) الْأَبْلَجُ: الْمَظِيءُ الْمَشْرِقُ، يُقَالُ: صُبِحَ أَبْلَجٌ: بَيَّنَّ الْبَلَجُ - بَفَتْحَتَيْنِ - وَكَذَا الْحَقُّ إِذَا

اتَّضَحَ، يُقَالُ: الْحَقُّ أَبْلَجٌ وَالْبَاطِلُ لَجْلَجٌ. يُنظر: «مختار الصحاح» (بلج).

لَا تَذْكُرُوا الْكُتُبَ السَّوَالِفَ عِنْدَهُ طَلَعَ الصَّبَاحُ فَأَطْفَنُوا الْقِنْدِيلَا^(١)
أُمَّةَ الْقُرْآنِ: وَهَذَا الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَهُ الْمَوْلَى مُبَارَكًا مَحْفُوظًا،
وَبِعِنَايَتِهِ وَرِعَايَتِهِ مَلْحُوظًا، هُوَ: الْحَقُّ الَّذِي أَضَاءَ بِهِ الْوُجُودَ، بَعْدَمَا
وَقَبَتْ^(٢) ظُلُمَاتِ الْجَهَالَةِ، وَهُوَ: الْحَيَاةُ لِمَنْ اسْتَمْسَكَ بِهِيَ فِي سُمُوهَا، وَهُوَ:
السَّعَادَةُ لِمَنْ امْتَثَلَهُ فِي أَوْجِهَهَا، وَالْكَمَالُ: فِي أَرْفَعِ مَعَانِيهِ، فَمَنْ ابْتَغَى
الْهُدَايَةَ وَالْفُوزَ فِي غَيْرِهِ؛ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ عَانَدَهُ؛ أَكَبَّهُ اللَّهُ.

وَهَا هُوَ التَّارِيخُ الصَّادِقُ، وَالْكَشْفُ الْعِلْمِيُّ الْإِعْجَازِيُّ النَّاطِقُ، يُقَرُّ
دُونَ إِثْقَالٍ أَوْ إِمْهَالٍ، أَنَّ التَّارِيخَ الْبَشَرِيَّ وَالْإِنْسَانِيَّ لَمْ يَشْهَدْ كِتَابًا يُعَاصِرُ
أَحْوَالَ التَّطَوُّرِ، وَأَحْدَاثَ الْحَضَارَاتِ الْفِكْرِيَّةِ، وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ، وَالْإِنْسَانِيَّةِ،
مِثْلَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، يَقُولُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي
هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ ﴿١﴾
[الإسراء].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَمَعَ تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ الشَّائِحَةِ الْعَظِيمَةِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ،

(١) الأبيات للبوصيري. يُنظر: ديوانه (١٨٢).

(٢) وَقَبَ: دخل وأقبل، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ ﴿٢﴾. يُنظر:

«مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني (وقب).

وَتِلْكَ الْبَرَاهِينِ الْمُبِينَةِ عَلَى هِدَايَتِهِ وَرَحْمَتِهِ لِلخَلْقِ أَجْمَعِينَ، يَا بئى كَثِيرٌ
 مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ تَبَعِ الْهَدَايَةِ وَالرُّشْدِ الشَّرَارِ إِلَّا أَنْصِرَافًا، وَلِبَدِيعِ
 الْأَحْكَامِ وَالْمَوَاعِظِ إِلَّا هَجْرًا وَأَنْجِرَافًا، وَأَقْبَلُوا - هَدَاهُمُ اللَّهُ - عَلَى
 الْغَثِّ مِنَ الْأَفْكَارِ، وَالرَّثِّ مِنَ الْقَوَائِنِ، وَالخَلْقِ مِنَ الْأَدَابِ،
 يَسْتَبْضِعُونَ مِنْهَا الصِّفَاءَ وَالْهِنَاءَ، وَيَلْتَمِسُونَ مِنْهَا - كُلَّ الْاِلْتِمَاسِ -
 سَعَادَةَ الْحَيَاةِ، وَحَيَاةَ السَّعَادَةِ، وَاللَّهُ - جَلَّ فِي عُلَاهُ - يَقُولُ: ﴿ وَمَنْ
 أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى
 ﴾ [طه].

١٢٤

أُمَّةَ الْفُرْقَانِ وَالْبَلَاغِ: وَإِنَّهُ لَمْ يَمْضِ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ حِينَ
 مِنَ الدَّهْرِ، عَظُمَتْ فِيهِ الْعُهُدَةُ، وَاسْتَعْلَظَ الْمِيثَاقُ، لِلتَّمَسُّكِ بِأَعْظَمِ
 هَدْيٍ وَمِيثَاقٍ، وَأَنْحَدَرَتْ فِيهِ الْأَحْوَالُ إِلَى أَسْوَأِ التَّقَهُّرِ وَالنِّكَالِ، مِنْ
 هَذَا الزَّمَانِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمُجَافَاةِ كِتَابِ الْعَزِيزِ الْمُتَعَالِ، وَاتِّخَاذِهِ
 ظَهْرِيًّا، وَنَسِيًّا فِي مَنْهَجِ الْحَيَاةِ مَنْسِيًّا، ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي
 اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان].

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْعَالَمَ الْيَوْمَ، يَعِيشُ الْقَلَاقِلَ^(١)، وَيَحْيَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ
 الزَّعَاذِعِ وَالْبَلَابِلِ، وَفِينَا الْقُرْآنُ: غَيْثُ الطَّمَأِينَةِ وَالسَّلَامِ وَالْأَمَانِ، إِنَّ
 الْإِنْسَانِيَّةَ مُثْقَلَةٌ بِالشُّكُوكِ وَالْأَوْهَامِ، وَفِي أَيْمَانِنَا النُّورُ الْمُبِينُ: مَشْرِقُ
 الْهِدَايَةِ، وَأَفْقُ الْيَقِينِ، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ
 مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ [يونس].

طَبُوا^(٢) - بِالْقُرْآنِ - الْأَدْوَاءَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ وَالسِّيَاسِيَّةَ وَالْاِقْتِصَادِيَّةَ
 وَسَائِرَ الْكُلُومِ، وَازْجُوا أَنْوَارَهُ وَبَصَائِرَهُ وَهَدَايَاتِهِ لِكُلِّ ضَالٍّ أَوْ مُحْرَمٍ،
 أَوْ مُفْتَتٍ^(٣) عَشُومٍ، وَلْتَحَاجُّوا الشَّانِئِينَ وَالْحَاسِدِينَ بِأَجْلِ الْحُجْبِ،
 وَأَدْمَغِ الْبَرَاهِينَ، يَقُولُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
 وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
 يَعُظِّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ [النحل].

حَاجُّوا كُلَّ مَنْ رَمَى الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ بِالتَّعَصُّبِ وَالْإِزْهَابِ،
 أَوْ الْغِلْظَةِ وَالرَّجْعِيَّةِ وَالْهَمْجِيَّةِ؛ تُطَهَّرُوا الْأَفَاكِينَ مِنَ الْبُهْتِ تَطْهِيرًا،

(١) الْقَلَاقِلُ: جَمْعُ قَلَقَلَةٍ: شِدَّةُ اضْطِرَابِ الشَّيْءِ وَتَحْرِكُهُ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (قَلَل).

(٢) طَبُوا: عَالَجُوا، وَالطَّبُّ: عِلَاجُ الْجِسْمِ وَالنَّفْسِ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (طَب).

(٣) يُقَالُ: رَجُلٌ مُفْتَتٌ، وَذَلِكَ إِذَا قَالَ عَلَيْكَ الْبَاطِلُ. يُنْظَرُ: «تَاجُ الْعُرُوسِ» (فَات).

وَتَعْمُرُوا الْقُلُوبَ الْهَوَاءَ، بِالْعَدْلِ وَالْفَضِيلَةِ تَعْمِيرًا.

دَاوُوا الْقَضَايَا وَالْمَآسِي بِالْقُرْآنِ؛ تَصْلُحِ الْأَحْوَالَ وَتَسْتَدِّ، وَأَسُوا

الْعِلَلِ وَالْأَوْهَانَ بِالْقُرْآنِ، تَقْوَى وَتَبْرَأُ وَتَسْتَدِّ، ﴿ وَنَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ

مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ [الإسراء].

وَلُوا. يَا أَحِبَّتِي فِي اللَّهِ. أَنْظَارَكُمْ وَأَرْوَاحَكُمْ شَطْرَ كِتَابِ رَبِّكُمْ

تِلَاوَةً وَتَدَبُّرًا، وَعَمَلًا وَتَفَكُّرًا، تُعَصِّمُوا. بِإِذْنِ اللَّهِ. مِنْ أَحَابِيلِ الْغُلُوِّ

وَالْإِبْتِدَاعِ، وَالْأَفْكَارِ الْبُورِ، وَمَهَالِكِ الشُّعُودَةِ وَالشُّرُورِ، وَمَزَالِقِ

الْإِنْخِدَاعِ بِالثَّقَافَاتِ، وَمَا تَجْرَهُ مِنْ آفَاتِ الزَّيْغِ وَالسُّفُورِ، ﴿ وَكَذَلِكَ

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ

جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

﴿٥٢﴾ [الشورى].

نَعَمْ أُمَّةَ الدِّكْرِ الْحَكِيمِ! لَا عِزَّ يَجْمَعُ أُمَّتَنَا، وَلَا وَحْدَةَ تَنْظُمُ

أَلْفَتَنَا، وَلَا آصِرَةَ تَرْتُقُ^(١) فُرْقَتَنَا، إِلَّا بِالْفِيَاةِ الْجَادَّةِ، وَالرَّجْعَةِ الصَّحِيحَةِ

(١) رَتَقَ الشَّيْءَ يَرْتُقُهُ رَتْقًا: سَدَّهُ وَأَغْلَقَهُ، وَرَتَّقَ الْفَتَقَ: أَصْلَحَهُ وَصَمَّ بَعْضَهُ إِلَى

بَعْضٍ. يُنْظَرُ: «اللسان» (رتق).

إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَتَبْوِيئِهِ مَحَلَّهُ الْأَرْفَعِ، وَمَقْصِدُهُ الْأَنْفَعِ، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ نَزَلَ؛ وَذَلِكَ بِتَنْفِيذِ أَحْكَامِهِ، وَإِقَامَةِ مَرَامِهِ، وَتَدْبِيرِ مَعَانِيهِ، وَاسْتِشْفَافِ مَغَازِيهِ، وَالتَّحَقُّقِ بِأَمْرِهِ وَوَعِيدِهِ، وَنَهْيِهِ وَتَهْدِيدِهِ، وَالِاتِّعَاطِ بِمَا فِيهِ مِنْ رَائِعِ الْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ، وَقَصَصِ مَنْ غَبَرَ، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿٢٤﴾ [محمد]، ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ كَلَامٍ، وَأَسْمَقُ ^(١) مَقَامٍ؛ لِإِحْيَاءِ النُّفُوسِ وَتَرْكِيئِهَا، وَإِسْعَادِ الْبَشَرِيَّةِ وَتَرْقِيئِهَا.

وَإِنَّا لَنُرْسِلُهَا صَيْحَةً بِالْحُبِّ صَاحَّةً، وَبِالنُّصْحِ الْوَرِيفِ ^(٢) صَاحَّةً، أَنْ يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: أَحْيُوا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ فِي قُلُوبِكُمْ وَحَيَاتِكُمْ، تَحْيُوا بِهِ آمِنِينَ غَانِمِينَ، وَتَحَقَّقُوا بِأَوْامِرِهِ وَزَوَاجِرِهِ، وَتَرْغِيْبِهِ وَتَرْهِيْبِهِ، يَتَحَقَّقْ وَجُودُكُمْ فِي الْعَالَمِينَ، رَوْوَهُ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ: تَعْلِيمًا وَاسْتِظْهَارًا وَتَدْرِيسًا، أَفِيضُوا مِنْ حِكْمِهِ وَأَسْرَارِهِ عَلَى سَرَائِرِكُمْ، وَمَنْ آدَابِهِ عَلَى نُفُوسِكُمْ؛ تَكُونُوا بِهِ رَادَّةً، وَلِلْأُمَّمِ قَادَةً.

(١) السَّمَقُ: سَمَقُ النَّبْتِ وَالشَّجَرِ: ارْتَفَعَ وَعَلَا وَطَالَ. يَنْظُرُ: «اللسان» (سمق).

(٢) الْوَرِيفُ: الْوَاسِعُ الْمَمْتَدُّ، وَرَفَ الظِّلُّ: امْتَدَّ وَاتَّسَعَ. يُنْظَرُ: «اللسان» (ورف).

وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ وَأَغْنَى غَنَاءٍ وَاهِبًا مُتَفَضِّلًا
 وَخَيْرٌ جَلِيسٍ لَا يَمَلُّ حَدِيثُهُ وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلًا
 فَيَا أَيُّهَا الْقَارِي بِهِ مُتَمَسِّكًا مُجَلَّلًا لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجَّلًا
 هَنِيئًا مَرِيئًا وَالِدَاكَ عَلَيْهَا مَلَابِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالْحُلَا
 جَزَى اللَّهُ بِالْخَيْرَاتِ عَنَا أئِمَّةً لَنَا نَقَلُوا الْقُرْآنَ عَذْبًا وَسَلْسَلًا^(١)

وَأَيْمُ اللَّهِ يَا أُمَّةَ النُّورِ الْمُبِينِ، إِنْ اسْتَعَصَمْتُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ،
 وَاتَّخَذْتُمُوهُ مِنْهَا جَا فِي الْحُكْمِ وَالْحَيَاةِ، وَنَبْرَاسًا مُنِيرًا فِي دُرُوبِ
 الْمُعْضَلَاتِ، وَمَنْجَاةً مِنَ الْفِتَنِ وَالْمُضَلَّاتِ، وَرَقِيبًا مُهَيِّمًا فِي الظُّوَاهِرِ
 وَالْخَفِيَّاتِ، بَلَّغْتُمْ - بِإِذْنِ اللَّهِ - مَرَايَ النَّصْرِ، وَالْعِزَّةِ، وَالْخَيْرِيَّةِ فِي
 الْعَالَمِينَ، وَأَنْخَتُمْ^(٢) مَطَايَاكُمْ فِي مَرَايِ الْأَيْتلافِ الْمُوعُودِ، وَالْعَدْلِ
 الْمُرُودِ، وَالْمَجْدِ الْمَمْدُودِ، وَالرِّضَى الْإِلَهِيِّ الْمَمْهُودِ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
 بِعَزِيزٍ، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
 أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف].

(١) الأبيات للشاطبي - رحمه الله - يُنظر: «حرز الأمانى ووجه التهاني» (ص ١٦).

(٢) أُنَاخَ الْإِبِلِ: أَبْرَكَهَا، وَالْمَنَاخُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي تَنَاخَ فِيهِ الْإِبِلُ. يُنظر: «اللسان»

(نوخ).

نَفَعَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَهَدَانَا جَمِيعًا صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمِ،
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ،
فَأَسْتَغْفِرُوه، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الواحد الديان، خصنا بخير الذكر القرآن.

أنت الذي يا رب قلت حروفه ووصفته بالوعظ والتبيان^(١)
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تغمر
الجوارح وتملأ الميزان، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أفضل
من ذكر ربه، سيان اللسان والجنان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
السابقين إلى أعالي الجنان، ومن اقتفى أثرهم بالتقى والإحسان، وسلم
تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وألظوا^(٢) بالذكر قبل ريب المنون^(٣).
أيها الإخوة الأحبة في الله: أفضل الذكر ثواباً وعائدةً، وأكثره

(١) يُنظر: «نونية القحطاني» (ص ١٠).

(٢) أَلْظَّ بالكلمة: لَزِمَهَا، وَالْإِلْظَاطُ: لُزُومُ الشَّيْءِ وَالْمُثَابَرَةُ عَلَيْهِ. يُنظر: «اللسان» (لظظ).

(٣) الْمُنُونُ: الدَّهْرُ، وَأَيْضًا: الْمَنِيَّةُ؛ لِأَنَّهَا تَقْطَعُ الْمَدَدَ، وَتُنْقِصُ الْعَدَدَ. يُنظر: «اللسان» (منن).

هُدًى وَنُورًا وَفَائِدَةً، كَلَامُ رَبِّ الْبَرِيَّةِ، قَالَ - سُبْحَانَهُ - مُعَلِّ قَدْرَهُ
 وَبُرْهَانَهُ: ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، وَقَالَ: ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا
 ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ (٦٩) [يس]، وَقَدْ أَنْارَ الْقُرْآنُ ظُلُمَاتِ الدُّنْيَا بِنُورِهِ
 الْوَهَّاجِ، وَأَيَّقَظَ الْقُلُوبَ الْعَلِيلَةَ لِلْهُدَى وَأَهَّاجَ، «إِنَّ لَهُ لِحَلَاوَةً، وَإِنَّ
 عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ»^(١)، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُورِقٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو
 وَلَا يُعَلَى عَلَيْهِ»^(٢).

وَخَيْرٌ جَلِيسٍ لَا يَمَلُّ حَدِيثُهُ وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاً
 يُنَاشِدُ فِي إِرْضَائِهِ لِحَبِيبِهِ وَأَجْدِرُ بِهِ سُؤلاً إِلَيْهِ مُوَصَّلاً^(٣)

أُمَّةَ الْقُرْآنِ وَالْفُرْقَانِ: هَذَا هُوَ الْقُرْآنُ عَظْمَةٌ وَجَمَالًا، وَمَكَانَةٌ
 وَجَلَالًا، وَمَمْتَرَةٌ وَكَمَالًا، وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَمَعَ مَا هُوَ مُتَقَرَّرٌ عِنْدَ
 أَهْلِ الْمِلَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَالشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ، مِنْ وُجُوبِ تَعْظِيمِ الْقُرْآنِ

(١) الْغَدَقُ: الْمَطَرُ الْكَثِيرُ الْعَامَ، وَقِيلَ: غَدَقَتِ الْأَرْضُ غَدَقًا أَغْدَقَتْ: أَخْصَبَتْ. يُنْظَرُ:
 «اللسان» (غدق).

(٢) مِنْ قَوْلِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ فِي وَصْفِ الْقُرْآنِ، أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»
 (٢/٥٠٧)، وَابِيهِقِي فِي «الشَّعْبِ» (١/١٥٧) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه.

(٣) يُنْظَرُ: «حَرَزُ الْأَمَانِيِّ وَوَجْهُ التَّهَانِيِّ» (ص ١٦).

وَتَبَجِيلِهِ، وَتَكْرِيمِهِ وَتَقْدِيسِهِ، فَإِنَّ مِمَّا نَكَأُ^(١) الْجِرَاحَ، وَأَقْضَ السُّهَادَ^(٢)
وَالْمَرَاحَ^(٣)، وَأَثَارَ صَيْحَةِ مُلْتَاعٍ، وَصَرَخَةَ أَسِيفِ مُرْتَاعٍ، تَشُقُّ أَجْوَازَ
الْفَضَاءِ، فِي مُغْرُورِقِ الْأَسَى الْأَهْبِ، مُنْدَدَّةً مُسْتَنْكَرَةً، مُشْنَعَةً مُسْتَفْظَةً
لِلْفِعْلِ الْأَيْمِ الْبَاغِي، الَّذِي امْتَدَّ إِلَى تَدْنِيسِ أَقْدَسِ مُقَدَّسَاتِنَا، وَأَشْرَفِ
مُسْرَفَاتِنَا، قُرْآنِنَا: مَنَاطِ عِزَّنَا وَفَخْرِنَا، وَاسْتَطَالَ عَلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي
عُنْجُهِيَّةٍ وَصَلَفٍ بَلَعَا مَدَاهُمَا - إِنْ كَانَ لِلضُّغْنِ الْمَكِينِ مَدَى - مِمَّا أَجَجَ
مَشَاعِرَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَثَارَ حَفِيزَتُهُمْ فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الْمَعْمُورَةِ؛ حُرْقَةً وَأَسَى
عَلَى أَقْدَسِ مُقَدَّسَاتِهِمْ، وَنِبْرَاسِ حَيَاتِهِمْ.

وَإِنَّا مِنْ هَذَا الثَّرَى الْأَفِيحِ^(٤) بِاسْمِ أَكْثَرِ مَنْ مِلْيَارِ مُسْلِمٍ

(١) نَكَأَ الْقُرْحَةَ يَنْكُؤُهَا: نَكَأَ قَشْرَهَا قَبْلَ أَنْ تَبْرَأَ فَنَدَيْتَ. يُنْظَرُ: «اللسان» (نكأ).

(٢) السُّهَادُ: الْأَرْقُ، سَهَدَ يَسْهَدُ سَهْدًا وَسُهْدًا وَسُهَادًا: لَمْ يَنْمَ، وَرَجُلٌ سُهْدٌ: قَلِيلُ النَّوْمِ.
يُنْظَرُ: «تاج العروس» (سهد).

(٣) الْمَرَاحُ: الْمَرَاحُ وَالْإِنْبَسَاطُ، وَيُرْوَى فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ عَمْرَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا، وَكَانَ مُنْبَسِطًا، فَقَطَّبَ وَتَشَرَّنَ لَهُ، فَلَمَّا خَرَجَ عَادَ إِلَى
إِنْبَسَاطِهِ، فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَقَالَ: «إِنَّ عَمْرَ لَيْسَ مِمَّنْ يُمْرِخُ مَعَهُ». أَي:
لَيْسَ مِمَّنْ يُسْتَلَانُ جَانِبَهُ. وَالْمَرْخُ وَالْمَرْحُ سَوَاءٌ. يُنْظَرُ: «النهاية في غريب الحديث
والأثر» لابن الأثير، (مرخ).

(٤) الْأَفِيحُ: كُلُّ مَوْضِعٍ وَاسِعٍ. يُنْظَرُ: «اللسان» (فوح).

يَدِينُونَ بِهَذَا الْقُرْآنِ، وَقَدْ بَلَغَ الْحِزَامُ الطُّبِّيْنَ^(١)، وَعَيْلٌ صَبْرٌ الْإِغْضَاءِ،
وَلَمْ يَبْقَ فِي قَوْسِهِ مَنَزَعٌ، نُطَالِبُ - فِي حَالَةِ ثُبُوتِ ذَلِكَ - سُرْعَةَ التَّحْقِيقِ
الْعَادِلِ مَعَ الْجُنَاةِ الْأَثْمَةِ، فِي هَذِهِ الْجَرِيْمَةِ النَّكْرَاءِ، وَإِنْزَالِ أَشَدِّ الْعِقَابِ
الرَّادِعِ لَهُمْ، حَسْمًا لِدَاءِ الْمَعَاوِدَةِ وَالتَّكْرَارِ، لِهَذَا الْجُرْمِ الْكُبَّارِ، وَالصَّنِيعِ
السَّنِيعِ الْغَدَّارِ؛ احْتِرَامًا لِمَشَاعِرِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَالَمِ، وَصَوْنًا لِلْقِيمِ
الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ، وَتَحْقِيقًا لِمَعَانِي الْاِعْتِذَارِ
لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ أَجْلِ حَلِّ عُقْدَةِ الْغَضَبِ الْمُتَّصَاعِدِ، وَرَدِّمِ الْهُوَّةِ الَّتِي
تُحْدِثُهَا مِثْلُ هَذِهِ الْمَخَازِي الْمُنْجِعَةِ، مِمَّا لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ، وَالَّتِي تُضْرِمُ فِتِيلَ
الْفُجُورَةِ وَالْكَرَاهِيَّةِ بَيْنَ الشُّعُوبِ، وَتَفْتَحُ أَبْوَابَ الْعُنْفِ عَلَى مَصَارِعِهَا.

أَكْبَادُنَا احْتَرَقَتْ بِأَنَاتِ الْجَوَى وَدِمَاؤُنَا نَهْرُ الدُّمُوعِ الْقَانِي^(٢)

اللَّهُمَّ إِنَّا نُعْذِرُ إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ بِكِتَابِكَ،
وَنَسْأَلُكَ بِهَذَا الْبَيَانِ بَرَاءَةَ الدِّمَّةِ، وَتَحْقِيقَ النُّصْحِ لِلْأُمَّةِ، أَنْتَ حَسْبُنَا
وَنَعْمَ الْوَكِيلُ، عِيَاذًا بِاللَّهِ عِيَاذًا، وَلِيَاذًا بِهِ لِيَاذًا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ

(١) الطُّبِّي: حَلَمَاتِ الضَّرْعِ الَّتِي فِيهَا اللَّبَنُ، وَفِي أَثَرِ عَثْمَانَ رضي الله عنه: «قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الرَّبِّيَّ،
وَجَاوَزَ الْحِزَامُ الطُّبِّيْنَ»، كِنَايَةٌ عَنِ الْمُبَالَغَةِ فِي تَجَاوُزِ حَدِّ الشَّرِّ وَالْأَذَى. يُنْظَرُ:

«اللسان» (طبي)، و«مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٩٠).

(٢) الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةِ (شَكْوَى) لِلشَّاعِرِ مُحَمَّدِ إِقْبَالَ.



إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَإِنَّ دَوْلَةَ الْقُرْآنِ: شِرْعَةٌ وَمُتَنَزَّلًا: دِيَارَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ،
لِيُحْمَدَ لَهَا مَوْقِفُهَا الْأَعْرُ الرِّيَادِيَّ، إِزَاءَ هَذَا الْحَادِثِ الْجَلَلِ، وَمَا ذَاكَ
بِدَعَا فِي نَسِيحِهَا الرَّبَّانِيَّ، زَادَهَا اللَّهُ خَيْرًا وَثَبَاتًا وَتَوْفِيقًا، وَلَا يُنْسَى
الدَّوْرُ الْفَعَالُ الَّذِي انْبَرَتْ لَهُ - مَا جُورَةٌ مَشْكُورَةٌ - جَمِيعُ الْمُسَسَّاتِ
وَالْهَيْئَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وَإِنَّ هَذَا الْأَسْتِكَارَ الْعَاصِفَ، وَالتَّنْدِيدَ الْقَوِيَّ، لَا لِاسْتِيفَارِ
الْحَمِيَّةِ، وَتَهْيِيجِ الْغَضَبِ، وَتَأْجِيجِ الْعَاطِفَةِ فَحَسْبُ؛ بَلْ لَزَمَهُ وَتَرَشِيدَهُ،
وَتَأْصِيلَهُ بِالتَّأْصِيَلَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالضُّوَابِطِ وَالْآدَابِ الْمُرْعِيَّةِ، وَلَعَلَّ
هَذِهِ الْإِبْرَ - يَا إِخْوَةَ الْإِيمَانِ - تَكُونُ حَافِزًا لِاسْتِجْلَاءِ مَزِيدٍ مِنَ الْعَبْرِ،
وَالْإِنْطِلَاقِ إِلَى آفَاقِ الْعَمَلِ الْإِيْجَابِيِّ الْجَادِّ الْبِنَاءِ، وَمِيَادِينِ الْإِصْلَاحِ
وَالنَّمَاءِ، وَإِلَّا فَاللَّهُ حَافِظُ دِينِهِ، وَنَاصِرُ كِتَابِهِ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ
وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ [الحجر]، وَلَنْ يَزِيدَ هَذَا الْعَمَلُ، الْقُرْآنَ إِلَّا
رِفْعَةً، وَالْمُسْلِمِينَ إِلَّا تَمَسُّكًا بِهِ وَمَنْعَةً، ﴿ وَاللَّهُ مِتُّمُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ [الصف].

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - اتَّقُوهُ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَفِي قُرْآنِكُمْ، فَاتْلُوهُ

حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَامْتَثَلُوا أَحْكَامَهُ وَأُؤَامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ، وَغَارُوا عَلَيْهِ، وَنَافَحُوا
عَنْهُ، وَانْتَصَرُوا لَهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، وَهَادِيِ الْبَشَرِيَّةِ، أَفْضَلِ
الذَّاكِرِينَ، وَسَيِّدِ الشَّاكِرِينَ؛ كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ رَبُّكُمْ: رَبُّ الْعَالَمِينَ،
فَقَالَ تَعَالَى - فِي أَصْدَقِ قَوْلِهِ وَمُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

﴿ [الأحزاب]. ٥٦ ﴾



القِسْمُ الثَّانِي
العِبْرَةُ وَالْعِلْمُ

حُتَيْبُ الْعِرَاقِ فِي فَقْدِ الْعُمَّاءِ

(سَمَاحَةُ الْعَلَمَةِ الشَّيْخِ: عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنِ بَازٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ)

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّائِمِ بَرُّهُ، النَّافِذِ أَمْرُهُ، الغَالِبِ قَهْرُهُ، الْوَاجِبِ حَمْدُهُ
وَشُكْرُهُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَبِيرُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ فِي الْمَلِكِ وَالتَّكْوِينِ - جَلَّ ذِكْرُهُ - وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، عَلَانِيَتُهُ وَسِرُّهُ،
لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ - سُبْحَانَهُ
وَبِحَمْدِهِ - جَعَلَ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا، وَلِلْمَنَائِيَا آجَالًا وَأَسْبَابًا ﴿لَيْسَ
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]، وَأَشْهَدُ أَنَّ
نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، الْهَادِي الْبَشِيرُ، وَالسَّرَاجُ الْمُنِيرُ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الْأَبْرَارِ، وَصَحَابَتِهِ الْأَخْيَارِ، مَا جَنَّ لَيْلٌ وَبَزَغَ نَهَارٌ،
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - فَبِالتَّقْوَى يُنَالُ رِضَى الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، وَبِهَا
تَتَحَقَّقُ سَعَادَةُ الْأَبَدِ، وَتَحْصُلُ الْبَرَكَاتُ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَالِدِ؛ فَطُوبَى لِمَنْ
جَدَّ وَاجْتَهَدَ فِي تَوْحِيدِ رَبِّهِ وَتَقْوَاهُ، وَعَبَدَهُ بِحُسْنِ الْعُقْبَى إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: حِفْظُ الدِّينِ أَعْظَمُ مَقَاصِدِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ
 الْغَرَاءِ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ حِفْظِ الدِّينِ، حِفْظَهُ بِالرِّجَالِ الْمُخْلِصِينَ،
 وَالرِّجَالِ الْعَامِلِينَ، فَوْجُوذُهُمْ فِي الْأُمَّةِ حِفْظٌ لِدِينِهَا، وَصَوْنٌ لِعِزَّتِهَا
 وَكَرَامَتِهَا، وَذَوْدٌ عَنِ حِيَاضِهَا؛ فَإِنَّهُمْ الْحِصْنُ الْحَصِينُ، وَالسِّيَاحُ الْمَتِينُ،
 الَّذِي يَجُولُ بَيْنَ هَذَا الدِّينِ وَأَعْدَائِهِ الْمُتْرَبِّصِينَ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَالْقُدْرَةُ
 النَّافِذَةُ فِي كَوْنِهِ وَخَلْقِهِ، وَإِنَّ مِمَّا كَتَبَهُ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - عَلَى خَلْقِهِ: الْمَوْتَ
 وَالْفَنَاءَ، يَقُولُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو
 الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿الرَّحْمَنِ﴾، وَيَقُولُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ
 قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَايِنَ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
 وَنَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿الْأَنْبِيَاءِ﴾، وَيَقُولُ - جَلَّ
 وَعَلَا -: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ
 رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿الزُّمَرِ﴾.

وَإِنَّ أَعْظَمَ أَنْوَاعِ الْفَقْدِ عَلَى النَّفْسِ وَقَعًا، وَأَشَدَّهُ عَلَى الْأُمَّةِ لَوْعَةً
 وَأَثْرًا، فَقَدْ الْعُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّنَ، وَالْأَيْمَّةُ الْمُصْلِحِينَ.

ذَلِكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - لِأَنَّ لِلْعُلَمَاءِ مَكَانَةً عَظْمَى، وَمَنْزِلَةً كُبْرَى؛
فَهُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَلِلرُّسُلِ خُلَفَاءُ، وَعَلَى مِيرَاثِ النُّبُوَّةِ أَمْنَاءُ، وَهُمْ
لِلنَّاسِ سُمُوسٌ سَاطِعَةٌ، وَكَوَاكِبٌ لَامِعَةٌ، وَلِلْأُمَّةِ مَصَابِيحُ دُجَاهَا،
وَأَنْوَارٌ هُدَاهَا.

بِهِمْ حَفِظَ الدِّينُ، وَبِهِ حُفِظُوا، وَبِهِمْ رُفِعَتْ مَنَارَاتُ الْمِلَّةِ،
وَبِهَا رُفِعُوا ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾
[المجادلة: ١١].

يُخَيِّونَ بِكِتَابِ اللَّهِ الْمَوْتَى، وَيَبْصُرُونَ بِهِ أَهْلَ الْعَمَى، وَيَهْدُونَ مَنْ
ضَلَّ إِلَى الْهُدَى؛ فَكُمْ مِنْ قَبِيلِ لِابْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ، وَكُمْ مِنْ ضَالِّ تَائِهٍ قَدْ
هَدَوْهُ!

وَمَا عَزَّتِ الْأُمَمُ، وَبَلَغَتْ سَامِقَ الْقِمَمِ، وَشَيْدَتْ صُرُوحَ
الْحَضَارَاتِ، وَقَامَتِ الْأَمْجَادُ، وَتَحَقَّقَتِ الْإِنْتِصَارَاتُ - بَعْدَ اللَّهِ - إِلَّا بِهِمْ،
فَهُمْ أَهْلُ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وَهُمْ مَادَّةُ حَيَاةِ الْقُلُوبِ، وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ، وَقُوَّةُ الضَّمَائِرِ، وَزَادَ
الْقَرَائِحِ^(١).

(١) قَرِيحَةُ الْإِنْسَانِ: طَبِيعَتُهُ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا، وَجَمْعُهَا: قَرَائِحٌ. يُنْظَرُ: «اللسان» (قرح).

العَالِمُ لِلْأُمَّةِ بِدَرْهَا السَّارِي، وَسَلْسَالُهَا الْجَارِي، لَأَسِيًّا أُمَّةَ الدِّينِ
وَعُلَمَاءُ الشَّرِيعَةِ. وَمَهْمَا دُبَّجَتِ النُّعُوتُ وَالْمَدَائِحُ فِي فَضَائِلِهِمْ فَلَنْ
تَوْفِيَهُمْ حَقَّهُمْ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ فَقْدُهُمْ مِنْ أَعْظَمِ الرَّزَايَا، وَالْبَلِيَّةُ بِمَوْتِهِمْ
مِنْ أَعْظَمِ الْبَلَايَا! وَأَنْىَ لِلْمُدْلِجِينَ^(١) فِي دِيَاجِيرِ^(٢) الظُّلَمَاتِ أَنْ يَهْتَدُوا إِذَا
انْطَمَسَتِ النُّجُومُ الْمُضِيئَةُ؟!

صَحَّ عِنْدَ أَحْمَدَ^(٣) وَغَيْرِهِ^(٤)، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
قَالَ: «إِنَّمَا مِثْلُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمِثْلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، يُهْتَدَى بِهَا فِي
ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَإِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الْهُدَاةُ».

يَقُولُ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرِ الْأَجْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «فَمَا ظَنُّكُمْ بِطَرِيقِ فِيهِ
آفَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَيَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَى سُلُوكِهِ فِي لَيْلَةِ ظُلُمَاءٍ، فَقَيِّضَ اللَّهُ لَهُمْ
فِيهِ مَصَابِيحَ تُضِيءُ لَهُمْ، فَسَلَكُوهُ عَلَى السَّلَامَةِ وَالْعَافِيَةِ، ثُمَّ جَاءَتْ فِتْنَةٌ
مِنَ النَّاسِ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ السُّلُوكِ فِيهِ، فَسَلَكُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ

(١) أَدْلَجَ الْقَوْمُ إِدْلَاجًا: إِذَا سَارُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ، فَهَمُّ مُدْلِجُونَ، يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (دَلِج).

(٢) الدِّيَاجِيرُ: جَمْعُ دِيَجُورٍ، وَهُوَ الظُّلَامُ الْحَالِكُ، يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (دَجْر).

(٣) فِي «الْمُسْنَدِ» (٣/١٥٧).

(٤) أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي «الْفَقِيهِ وَالْمُتَّفِقِ» (٢/١٣٨).

طَفَّتِ الْمَصَابِيحُ، فَبَقُوا فِي الظُّلْمَةِ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِهِمْ؟! فَهَكَذَا الْعُلَمَاءُ فِي النَّاسِ»^(١).

وَحَسْبُكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - فِي بَيَانِ فِدَاخَةِ هَذَا الْخَطْبِ، وَعَظِيمِ مَقْدَارِ هَذِهِ النَّازِلَةِ قَوْلُ الْمُصْطَفَى ﷺ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الَّذِي خَرَجَهُ الشَّيْخَانِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: « إِنْ اللَّهُ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ؛ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٢).

وَقَدْ قَالَ حَبْرُ الْأُمَّةِ وَتُرْجَمَانُ الْقُرْآنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [الرعد: ٤١]، قَالَ: بِمَوْتِ عُلَمَائِهَا وَفُقَهَائِهَا^(٣).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) يُنظر: «أخلاق العلماء» (ص ٣٠، ٣١).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/١٧٤).

«تَظْهَرُ الْفِتْنُ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ»^(١).

فَسَمِعَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْتِرُهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ قَبْضَ الْعِلْمِ لَيْسَ شَيْئًا يُنْتَزَعُ مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ، وَلَكِنْ فَنَاءُ الْعُلَمَاءِ»^(٢).

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ ذَهَابُ أَهْلِهِ»^(٣).

وَقَالَ الْحَسَنُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «مَوْتُ الْعَالِمِ ثُلْمَةٌ»^(٤) فِي الْإِسْلَامِ، لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ مَا اخْتَفَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ»^(٥).

وَقِيلَ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: مَا عَلَامَةُ السَّاعَةِ وَهَلَاكِ النَّاسِ؟ قَالَ: «إِذَا ذَهَبَ عُلَمَاؤُهُمْ»^(٦).

وَلَمَّا مَاتَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -:

(١) أخرجه البخاري (٨٥)، ومسلم (١٥٧).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩٩/٤).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٨٤٥).

(٤) الثُّلْمَةُ: انكسار في حرف الإناء والسيف. ينظر: «اللسان» (ثلم).

(٥) أخرجه أحمد في «الزهد» (٢٦٢/١)، والدارمي في «سننه» (١٠٦/١)، والبيهقي

في «شعب الإيمان» (٢٦٨/٢).

(٦) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٥٣/١).



«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ كَيْفَ ذَهَبَ الْعِلْمُ؟ فَهَكَذَا ذَهَابُهُ»^(١).

وَقَالَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «لَا يَزَالُ عَالِمٌ يَمُوتُ، وَأَثَرٌ لِلْحَقِّ يَدْرُسُ، حَتَّى يَكْثُرَ أَهْلُ الْجَهْلِ، وَيَذْهَبَ أَهْلُ الْعِلْمِ، فَيَعْمَلُونَ بِالْجَهْلِ وَيَدِينُونَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَيَضِلُّونَ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ»^(٢).

وَفِي الْأَثَرِ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه: «إِذَا مَاتَ الْعَالِمُ ثَلِمَ فِي الْإِسْلَامِ ثَلْمَةٌ لَا يَسُدُّهَا إِلَّا خَلْفٌ لَهُ»^(٣).

وَقَالَ رَجُلٌ لِابْنِ سِيرِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ أَنَّ طَائِرًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى يَاسْمِينَةٍ، فَتَفَّتْ مِنْهَا وَنَتَفَتْ، ثُمَّ طَارَ حَتَّى دَخَلَ السَّمَاءَ، فَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «هَذَا قَبْضُ الْعُلَمَاءِ»، فَلَمْ تَمْضِ تِلْكَ السَّنَةُ حَتَّى مَاتَ الْحَسَنُ وَابْنُ سِيرِينَ وَمَكْحُولٌ، وَسِتَّةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِالْأَفَاقِ»^(٤).

وَقَدْ كَانَ السَّلْفُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - يَأْسُونَ أَشَدَّ الْأَسَى لِفَقْدِ وَاحِدٍ

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٧٥١).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٥٥ / ١).

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفيح والمنتقى» (١٩٨ / ٢).

(٤) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٥٦ / ١).

مِنْهُمْ، يَقُولُ أَيُّوبُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «إِنِّي أَخْبَرْتُ بِمَوْتِ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ
السُّنَّةِ، فَكَأَنِّي أَفْقِدُ بَعْضَ أَعْضَائِي»^(١).

وَأَخْرَجَ اللَّالِكَائِيُّ^(٢)، أَنَّ حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ قَالَ: «كَانَ أَيُّوبُ يَبْلُغُهُ مَوْتُ
الْفَتَى مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ فَيَرَى ذَلِكَ فِيهِ، وَيَبْلُغُهُ مَوْتُ الرَّجُلِ الْعَابِدِ
فَمَا يَرَى ذَلِكَ فِيهِ».

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ: «لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَزِيدَ فِي عُمْرِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ
- يَعْنِي: الْبُخَارِيِّ - مِنْ عُمُرِي، لَفَعَلْتُ، فَإِنَّ مَوْتِي يَكُونُ مَوْتَ رَجُلٍ
وَاحِدٍ، وَمَوْتُهُ ذَهَابُ الْعِلْمِ»^(٣).

وَأُورِدَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ^(٤)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ قَالَ: كَانَ
مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ خَصْمًا لِأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ سُرَيْجِ الْقَاضِي، وَكَانَا يَتَنَازَرَانِ
وَيَتَرَادَانِ فِي الْكُتُبِ، فَلَمَّا بَلَغَ ابْنُ سُرَيْجٍ مَوْتَ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ؛ نَحَى

(١) أخرجه اللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، (٦٠ / ١)، (٦١)، وأبو
نُعَيْمٍ في «الحلية» (٩ / ٣).

(٢) يُنْظَرُ: «أصول اعتقاد أهل السنة» (٦١ / ١).

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٤ / ٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»
(٨٨ / ٥٢).

(٤) يُنْظَرُ: «تاريخ بغداد» (٢٥٩ / ٥).

مَحَادَّةً وَمَشَاوِرَهُ، وَجَلَسَ لِلتَّعْزِيَةِ، وَقَالَ: «مَا آسَى إِلَّا عَلَى ثُرَابٍ أَكَلِ
لِسَانَ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ».

وَقَالَ أَيُّوبُ: «إِنَّ الَّذِينَ يَتَمَنَّوْنَ مَوْتَ أَهْلِ السُّنَّةِ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا
نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» أَخْرَجَهُ
اللَّالِكَايِيُّ^(١).

بِذَلِكَ تُشَنَّفُ الْمَسَامِعُ، بَلْ تُذَرَفُ الْمَدَامِعُ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ -
خُصُوصًا وَأُمَّتَنَا الْإِسْلَامِيَّةَ قَدْ رُزِئَتْ فِي هَذِهِ الْآوِنَةِ الْآخِرَةِ بِفَقْدِ
كُوكَبَةٍ مِنْ عُلَمَائِهَا، وَنُكِبَتْ بِوَفَاةِ نُخْبَةٍ مِنْ فُقَهَائِهَا، فَمَا إِنْ كَفَفَتْ
الْأُمَّةُ دُمُوعَهَا، وَأَسَتْ ضُلُوعَهَا عَلَى فَقْدِ طُودِ أَشْمٍ مِنْهُمْ، حَتَّى رُزِئَتْ
بِفَقْدِ آخَرَ، فَاَنْفَرَطَ الْعِقْدُ الْمُتَلَالِيُّ الْوَضَاءُ، وَتَنَاطَرَتْ حَبَاتُهُ الْمُتَنَاسِقَةُ.
وَبِمَوْتِ هَؤُلَاءِ الْجَهَابِدَةِ، تُطَوِّى صَفَحَاتٌ لَامِعَةٌ، وَسِجِلَاتٌ نَاصِعَةٌ
مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ الْمُتَكَاثِرَةِ.

إِنَّهُمْ تَمَازُجٌ شَاخِجَةٌ، وَأَطْوَادٌ رَاسِخَةٌ فِي الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى، وَأَعْلَامٌ بَارِزَةٌ
فِي السُّنَّةِ وَالفِقْهِ وَالفَتْوَى. فَضَائِلُهُمْ لَا تُجَارَى، وَمَنَاقِبُهُمْ لَا تُبَارَى،
تُلَمَّتُهُمْ لَا تُسَدُّ، وَالمُصِيبَةُ لَفَقْدِهِمْ لَا تُجُدُّ، وَمَوْتُهُمْ نَازِلَةٌ لَا تُنْسَى،

(١) يُنظَرُ: «أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ٦١).

وَفَاجِعَةٌ لَا تُنْحَى، وَالْحَطْبُ بِفَقْدِهِمْ جَلَلٌ، وَالْحَسَارَةُ فَادِحَةٌ، وَمَهْمَا
كَانَتِ الْأَلْفَاظُ مَكْلُومَةً، وَالْجُمْلُ مَهْمُومَةً، وَالْأَحْرَفُ وَهْيُ، وَالْعِبَارَاتُ
ثُكْلَى، فَلَنْ تَسْتَطِيعَ التَّعْبِيرَ، وَلَا دِقَّةَ التَّصْوِيرِ، فَلَيْسَتْ الرَّزِيَّةُ عَلَى الْأُمَّةِ
بِفَقْدِ مَالٍ، أَوْ بِمَوْتِ شَاةٍ أَوْ بَعِيرٍ، كَلَّا ثُمَّ كَلَّا!! وَلَكِنَّ الرَّزِيَّةَ أَنْ يُفْقَدَ
عَالِمٌ، وَيَمُوتَ حِينَ مَوْتِهِ جَمٌّ غَفِيرٌ، وَبَشَرٌ كَثِيرٌ.

فَمَوْتُ الْعَالِمِ لَيْسَ مَوْتُ شَخْصٍ وَاحِدٍ، وَلَكِنَّهُ بُيَانٌ قَوْمٍ يَتَهَدَّمُ،
وَحَضَارَةٌ أُمَّةٍ تَتَهَاوَى. وَتَعْظُمُ الْفَجِيعَةُ إِذَا كَانَ مَنْ يُفْقَدُ مُتَمَيِّزَ الْمَنْهَجِ
وَالْعَبَقَرِيَّةِ، مُتَوَازِنِ النَّظَرَةِ، مُتَمَاسِكِ الشَّخْصِيَّةِ، مُعْتَدِلِ الرَّوْيِ، أُمَّةٌ
وَخَدَهُ، وَنَسِيحًا بِمُفْرَدِهِ، وَطِرَازًا مُسْتَقْلَلًا، وَأَيْمَّةً فِي رَجُلٍ مِنْ دُعَاةِ
الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، الْمَتِينَةِ بِالذَّلِيلِ وَالْأَثَرِ، مُلْتَزِمًا فِيهَا بِالْإِعْتِدَالِ
وَالْوَسْطِيَّةِ، حَرِيصًا عَلَى الْجَمَاعَةِ وَالنُّصْحِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَالْأَيْمَّةِ
الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ.

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ حُصُولِ زَوَابِعَ، وَهُبُوبِ عَوَاصِفَ، وَهَيْجَانِ أَمْوَاجِ،
تَعَرَّضَتْ فِيهَا الْأُمَّةُ لِكَثِيرٍ مِنْ جَوَانِبِ الْحَلَلِ الْعَقْدِيِّ وَالْفِكْرِيِّ
وَالْأَخْلَاقِيِّ، فَمَا كَانَ مِنْ هَذَا الطَّرَازِ الْمُتَمَيِّزِ إِلَّا الْاجْتِهَادُ فِي حُسْنِ
التَّوَجِيهِ؛ لِتَمَاسِكِ بِنِيَّةِ الْمُجْتَمَعِ، وَالْحِفَاطِ عَلَى أَمْنِ الْأُمَّةِ بِصُورِهِ
الْمُتَعَدِّدَةِ، وَجَوَانِبِهِ الْمُخْتَلِفَةِ، حَتَّى لِكَأَنَّهُمْ مَدَارِسُ جَامِعَةٍ يَصُدِّرُ عَنْهُمْ

الرَّأْيُ فِي النَّوَازِلِ، وَالْمَنْهَجُ فِي الْمُسْتَجِدَّاتِ، وَالْأَسْلَمُ فِي الْمُتَغَيَّرَاتِ؛
 تَمَسُّكَاً بِالتَّاصِلِ الصَّحِيحِ، وَالْمَنْهَجِيَّةِ الْمُضْبِطَةِ بِضَوَابِطِ الشَّرْعِ.
 فَلَا غَرَوَ أَنْ يَكُونَ مَوْتُهُمْ هِزَّةً عَنِيفَةً الْوَقْعِ، شَدِيدَةً الْأَثْرِ مَحَلِّيًّا
 وَإِقْلِيمِيًّا وَعَالَمِيًّا، فِي الْوَقْتِ الَّذِي تُعَانِي فِيهِ الْأُمَّةُ ظُرُوفًا عَصِيبَةً فِي
 عَالَمِ الْيَوْمِ، الَّذِي يَمُوجُ بِالتَّحْدِيَّاتِ، وَتَكْتَنِفُهُ سُرْعَةُ الْمُتَغَيَّرَاتِ،
 وَتَقْصِفُ بِعَوَامِلِ اسْتِقْرَارِهِ الْمُسْتَجِدَّاتِ، وَتَضِجُ فِيهِ أَنْوَاعٌ مِنَ الْفَوْضَى
 الْفِكْرِيَّةِ الْوَافِدَةِ، وَالْأَتَّجَاهَاتِ الْعَقْدِيَّةِ الْمُتَفَرِّعَةِ، وَمَا تَمُوجُ بِهِ السَّاحَةُ
 مِنْ فَوْضَى الْجَهَادِ عِنْدَ بَعْضِ الْمُتَعَلِّمِينَ، فِي أُطُرُوحَاتِ عَرَجَاءِ،
 وَمُدَاوَلَاتِ مَمْجُوجَةٍ، وَكَارِثَةِ الْفَوْضَى فِي الْفُتْيَا، وَالْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ
 عِلْمٍ، وَالتَّلَاعِبِ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ حَسَبَ الْأَهْوَاءِ، أَمَامَ طُوفَانِ هَائِجٍ
 مِنَ الْعَوْلَةِ وَالتَّغْرِيبِ.

وَمِنْ هُنَا - بِرَبِّكُمْ - فَإِنَّ غِيَابَ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ يُجْلِي السَّاحَةَ لِتَصَدُّرِ
 الرُّوَيْبِضَةِ^(١)، وَلِيَنْطِقَ أَنْصَافُ الْمُتَعَلِّمِينَ، مِمَّا مَحْتَجُّ مَعَهُ الْأُمَّةُ إِلَى وَقَفَاتِ
 حَازِمَةٍ؛ لِوَضْعِ الضُّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ فِي الْمَجَالَاتِ كَافَّتَهَا، حَتَّى تَعْبُرَ سَفِينَةُ

(١) الرُّوَيْبِضَةُ: تَصْغِيرُ الرَّابِضَةِ، وَهُوَ الَّذِي يَرَعَى الرَّيْبِضَ، وَجَاءَ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّهُ:
 الرَّجُلُ النَّافِهُ - أَي: الْحَقِيرُ - يَنْطِقُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (رَبِض).

الْأُمَّةَ بِأَمَانٍ فِي بَحْرِ الْفِتَنِ الْمُتَلَاطِمِ، وَسَيْلِ الْمِحَنِ الْمُتَفَاقِمِ، إِلَى شَاطِئِ
السَّلَامَةِ، وَبِرِّ النَّجَاةِ، حَتَّى يُسَدَّ الطَّرِيقُ أَمَامَ الْمُصْطَادِينَ فِي الْمَاءِ الْعَكْرِ.
أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: إِنَّ مِنْ حُسْنِ الْعَزَاءِ - عِنْدَ فَقْدِ الْعُلَمَاءِ، وَتَرْيَاقِ
الشِّفَاءِ، عِنْدَ حُلُولِ الْأَذْوَاءِ - أَنْ دِينَ اللَّهِ مُحْفُوظٌ، وَشَرِيعَتُهُ
بَاقِيَةٌ، وَخَيْرُهُ يَفِيضُ وَلَا يَغِيضُ، فَأَعْلَامُ الدِّيَانَةِ مَرْفُوعَةٌ - بِحَمْدِ اللَّهِ -
وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ
خَذَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا صَحَّ
بِذَلِكَ الْخَبْرُ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - خَرَجَهُ مُسْلِمٌ^(١)،
وغيره^(٢).

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ^(٣) بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَالْحَاكِمُ^(٤) وَصَحَّحَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَمْرَ
دِينِهَا»، وَعِلْمُ هَذَا الدِّينِ يَحْمِلُهُ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ

(١) برقم (١٩٢٠) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري بنحوه (٧١، ٣١١٦، ٣٦٤١) من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٣) برقم (٤٢٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في «المستدرک» (٤/٥٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ^(١).

وَلَمْ تُصَبِّ الْأُمَّةُ بِمُصِيبَةٍ هِيَ أَعْظَمُ مِنْ مُصَابِهَا بِفَقْدِ الْحَبِيبِ
الْمُصْطَفَى ﷺ، فَالْمُصِيبَةُ بِفَقْدِهِ مَنْ بَعْدَهُ تَهُونُ مَهْمَا كَانَ شَجَاهَا.

كَمَا أَنَّ مِنْ حُسْنِ الْعَزَاءِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - بَاقُونَ
بِذِكْرِهِمْ، أَحْيَاءٌ بِعِلْمِهِمْ، يَلْهَجُ النَّاسُ بِالشَّيْنِ عَلَيْهِمْ، وَالِدُّعَاءِ لَهُمْ،
وَيَجْتَهِدُونَ فِي اقْتِنَاءِ آثَارِهِمْ، وَتَرْسُمِ خُطَاهُمْ: عَلِمًا وَعَمَلًا، وَدَعْوَةً
وَمَنْهَجًا؛ تَشَبُّهُهُمُ بِالْكَرَامِ، إِنْ لَمْ يَكُونُوا مِثْلَهُمْ، فَذَلِكَ أَمَارَةُ الْفَلَاحِ،
وَطَرِيقُ الْحَيْرِ وَالصَّلَاحِ.

كَمَا أَنَّ مِنْ حُسْنِ الْعَزَاءِ - أَيْضًا - أَنَّ عُلَمَاءَ الشَّرِيعَةِ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ
وَالْمِنَّةُ - مُتَوَافِرُونَ عَبْرَ الْأَعْصَارِ وَالْأَمْصَارِ، يُحْيِي الْخَلْفُ مِنْهَجَ السَّلَفِ،
وَأُمَّةُ الْإِسْلَامِ أُمَّةٌ مِعْطَاءٌ، زَاخِرَةٌ بِالْكَفَاءَاتِ، ثَرِيَّةٌ بِالْعَطَاءَاتِ، مَلِيئَةٌ
بِالْقُدْرَاتِ، وَلَنْ يُجُورَ الْعَزْمُ - بِإِذْنِ اللَّهِ - وَلَنْ يَضْعَفَ الْعَطَاءُ - بِحَوْلِ
اللَّهِ - بِفَقْدِ عِلْمِ بَارِزٍ.

فَفِي الْأُمَّةِ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مَنْ يَحْمِلُ مِشْعَلَ الْهِدَايَةِ، وَرَايَةَ الْعِلْمِ

(١) أخرجه الآجري في «الشریعة» (٢٧٣/١)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٠٩/١٠)،

وابن عبد البر في «التمهيد» (٥٩/١) عن إبراهيم بن عبدالرحمن العذري، مرسلًا.

وَالدَّعْوَةَ، وَيَسُدُّ الثَّغْرَةَ، وَيَنْهَضُ بِالمَسْئُولِيَّةِ العِلْمِيَّةِ وَالدَّعْوِيَّةِ؛ خَيْرَ
قِيَامٍ وَأَتَمَّ مُهُوضٍ، وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نَسْمُوَ بِهِمِنَا، وَنَنْهَضَ بِمَهْمَاتِنَا فِي
نُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ، وَنَنْفَعِ عِبَادِ اللَّهِ.

فِيَا عُلَمَاءَ الشَّرِيعَةِ نُنَاشِدُكُمُ اللَّهَ أَنْ تَكُونُوا خَيْرَ خَلْفٍ لِحَيْرِ
سَلَفٍ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي اسْتِنْهَاضِ اِهْمَمِ!! انزِلُوا بِثِقَلِكُمْ إِلَى مِيدَانِ
التَّعْلِيمِ وَالتَّوَجِيهِ، وَابْذُلُوا وَسْعَكُمْ فِي مَلَأِ سَاحَةِ الدَّعْوَةِ، وَالنُّصْحِ
لِلْأُمَّةِ، وَصُونُوا عِلْمَكُمْ عَنِ الدَّنَايَا.

تَرْفَعُوا عَنْ مَوَاطِنِ الرِّيبِ، تَحَلُّوا بِسَمْتِ العُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، وَاعْلَمُوا
أَنَّ التَّقَاعَسَ فِي آدَاءِ هَذِهِ المِهْمَةِ يُجَرِّئُ العَوَامَّ وَأَنْصَافَ المُتَعَلِّمِينَ عَلَى
الْحَوْضِ فِي أُمُورِ الدِّينِ، وَهُمْ لَيْسُوا مِنْهَا فِي وَرْدٍ وَلَا صَدْرٍ!!

وَيَا طُلَّابِ العِلْمِ، اللَّهُ اللَّهُ! فِي جَمْعِ مَا تَنَاطَرَ مِنْ عِقْدِ المَحَبَّةِ وَالصَّفَاءِ
وَالْمُودَّةِ وَالْوَلَاءِ، وَانْتِظَامِهِ فِيهَا بَيْنَكُمْ فِي نَسِيجِ وَحْدَوِيٍّ مُتَمَيِّزٍ، تَتَمَّاسِكُ فِيهِ
أَيْدِينَا مَعَ أَيْدِي وُلَاتِنَا وَكِبَارِ عُلَمَائِنَا؛ قَطْعًا لِذَابِرِ الخِلَافِ، وَحَسْمًا لِأَسْبَابِ
النِّزَاعِ وَالشُّقَاقِ، وَحَذَارٍ مِنْ بَوَادِرِ اليَأْسِ وَإِطْلَالَةِ المُتَشَائِمِ، الَّتِي قَدْ تَطْفُو
عَلَى السَّطْحِ فِي مِيَادِينِ العِلْمِ وَالدَّعْوَةِ، وَالحِسْبَةِ وَالِإِصْلَاحِ!!

فَإِنَّ هَوْلَ الفَوَاجِعِ يُقَيِّضُ كَمَا لَ الرِّضَى بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ، وَعَدَمَ

الاستِسْلَامِ لِلجَزَعِ وَالتَّسَخُّطِ، فَذَانِكُمْ أَمَارَةُ النَّزَقِ^(١)، وَشَرَطُ اليَاسِ
وَالرُّعُونَةِ، مَعَ حُسْنِ التَّصَرُّفِ فِي الأُمُورِ. وَأَلَّا تُغْلَبَ العَوَاطِفُ
وَالانْفِعَالَاتُ، فَبِالعِلْمِ تُضْبَطُ المَسِيرَةُ، وَتِهْدَى الأُمَّةُ، وَلَا يَأْسَ مِنْ
رُوحِ اللّهِ، وَلَا قُنُوطَ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَالحَيَّرُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ بَاقٍ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.
وَاللّهُ وَحْدَهُ المَسْئُولُ أَنْ يُلْهَمَنَا رُشْدَنَا، وَأَنْ يَغْفِرَ لِمَنْ مَاتَ مِنْ
عُلَمَائِنَا، وَيَرْفَعَ دَرَجَاتِهِمْ فِي المَهْدِيِّينَ، وَيُوفِّقَ الأَحْيَاءَ لِبَيَانِ الحَقِّ
وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَأَنْ يَرْزُقَهُمُ التَّسَدِيدَ وَالتَّايِيدَ، وَيَكْتَبَ لَهُمُ القَبُولَ وَدَوَامَ
النَّفْعِ، وَأَنْ يَخْلِفَ عَلَى الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ خَيْرًا، وَيَحْفَظَهَا مِنْ شُرُورِ
الغَيْرِ، وَهَوْلِ الفَوَاجِعِ، لِلّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ
بِأَجَلٍ مُّسَمًّى!! وَالْحَمْدُ لِلّهِ عَلَى قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ، وَهُوَ وَحْدَهُ المُسْتَعَانُ،
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!!!
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللّهُ العَظِيمَ الجَلِيلَ لِي وَلِكُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ
كَافَّةً مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا، وَأَنْتَ خَيْرُ الغَافِرِينَ.

(١) التَّرَقُّ: حِفَّةٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَعَجَلَةٌ فِي جَهْلِ وَحُجْمٍ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (نَزَق).

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَوَاصِينَا بِيَدِهِ، مَاضٍ فِيْنَا حُكْمُهُ، عَدْلٌ فِيْنَا قَضَاؤُهُ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الدَّائِمُ عَطَاؤُهُ،
وَالْعَظِيمَةُ آلَاؤُهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْمُتَأَلِّقُ بِدُرِّهِ
وَبِهَآؤُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ، مَا لَيْلٌ سَجَى، وَمَا
صُبْحٌ بَدَا، وَسَلَمٌ تَسْلِيمًا أَبَدِيًّا سَرْمَدًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ،
وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلٌّ بِدْعَةٌ ضَالَّةٌ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: إِنَّ تَقْدِيرَ مَكَانَةِ الْعُلَمَاءِ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتًا،
إِنَّمَا يَنْبَغُ مِنْ تَعْظِيمِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي اخْتَفَتْ بِهِمْ، وَالِدِّينِ الَّذِي كَرَّمَهُمْ
وَحَفَلَ بِهِمْ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾
[العنكبوت: ٤٩].

وَمَنْ أَعْلَى قَدَرِ الشَّرِيعَةِ، أَعْلَى قَدَرِ حَمَلَتِهَا، وَهَذَا مَا تَمَيَّزَتْ بِهِ بِلَادُ
الْحَرَمَيْنِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - فَفِيهَا تَعَانَقَ سُلْطَانُ الْعِلْمِ مَعَ سُلْطَانِ الْحُكْمِ،



فِي نَسِيحِ مُتْرَابِطٍ، وَأَنْسَجَامٍ مُتْكَامِلٍ، لَمْ يَشْهَدْ التَّارِيخَ الْمُعَاصِرَ لَهُ مَثِيلًا،
 فَفَتَحَتْ الْأُمَّةُ قُلُوبَهَا؛ وَلَاءٌ لَوْلَاتِهَا وَعُلَمَائِهَا، وَقَامَ وِلَاةُ الْأَمْرِ فِيهَا
 بِتَشْجِيعِ عُلَمَائِهَا، وَطُلَّابِ الْعِلْمِ فِيهَا، مِمَّا يُمَثِّلُ شَاهِدًا مِنْ شَوَاهِدِ
 الثَّوَابِتِ الرَّاسِخَةِ الَّتِي قَامَتْ عَلَيْهَا أُسُسُ هَذِهِ الْبِلَادِ وَثَوَابِتُهَا،
 فَارْتَقَتْ - بِحَمْدِ اللَّهِ - إِلَى قِمَّةِ التَّمَيِّزِ الْفَرِيدِ فِي عَالَمٍ يَمُوجُ
 بِالْفَوْضَى وَالِاضْطِرَابَاتِ، وَتِلْكَ نِعْمَةٌ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَهَا، وَيُوزِعَنَا
 شُكْرَهَا، تَعَاوُنًا وَتَلَاخُمًا بَيْنَ الرُّعَاةِ وَالرَّعِيَّةِ، وَالْعُلَمَاءِ وَالْعَامَّةِ، وَالشَّبَابِ
 وَالشُّيُوخِ، وَأَنْ تَتَوَاصَلَ حَلَقَاتُ الْعَطَاءِ وَسَلْسِلُ الْوَفَاءِ؛ أَدَاءً لِحَقِّ مَنْ
 سَبَقْنَا مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَرَبْطًا لِلْأَجْيَالِ وَالنَّاشِئَةِ بِعُلَمَائِهِمُ الَّذِينَ تَمَيَّزُوا
 - بِفَضْلِ اللَّهِ - بِالْمَرْجِعِيَّةِ الْعَالِمِيَّةِ فِي الْعِلْمِ وَالْفَتْوَى؛ لِمَا تَحَلَّوْا بِهِ مِنْ
 اعْتِقَادٍ صَحِيحٍ، وَمَنْهَجٍ سَلِيمٍ.

وَالْحَقُّ أَنَّهُمْ أَتَّعَبُوا مِنْ بَعْدِهِمْ، وَتَرَكَوْا فَرَاغًا يَضَعُ بُلْغَةً، وَلَكِنَّ
 الْأَمَلَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ فِي الْبَقِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ عُلَمَائِنَا الْأَجْلَاءِ الَّذِينَ
 تَرَجُّوْا أَنْ يَكُونُوا خَيْرَ خَلْفٍ لِحَيْرِ سَلَفٍ.

فَلَا تَزَالُ - بِحَمْدِ اللَّهِ - شَجَرَةُ الدَّعْوَةِ الْإِصْلَاحِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ، تُؤْتِي أَكْلَهَا
 كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، يَجْمَلُهَا اللَّاحِقُ عَنِ السَّابِقِ، فِي سَلْسِلِ ذَهَبِيَّةٍ، فِي نَفْعِ
 الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ!

أَلَا وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ
مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ: كَثْرَةُ صَلَاتِكُمْ وَسَلَامِكُمْ عَلَى الرَّحْمَةِ
الْمُهْدَاةِ، وَالنَّعْمَةِ الْمُسْدَاةِ، نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ
رَبُّكُمْ - جَلَّ فِي عُلَاهُ -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَعَادَ عَلَيْنَا آلاءَ وَنِعَمًا، وَأَبَادَ عَنَّا فِتْنًا وَنِقَمًا، أَحْمَدُهُ
تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ، أَوْجَدَنَا وَقَدَّ كُنَّا عَدَمًا، وَفَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ
شُعُوبًا وَأُمَّمًا، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَشَادَ بِالْعِلْمِ
قُلُوبَ أَهْلِهِ؛ فَفَاضَتْ حِكْمًا، وَرَفَعَتْ هَامَاتِ الْعُلَمَاءِ بِالْتَّعْلِيمِ، فَشَفَى بِهَا
عِيًّا وَسَقَمًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً
عَرَبًا وَعَجَمًا، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ
بَدَّلُوا فِي الْعُلُومِ مُهْجًا وَهَيْمًا، فَكَانُوا شُمُوسًا وَقِمَمًا، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ
تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَا يَشُكُّ أَحَدٌ وَلَا يَتَمَارَى، أَنْ مَقَامَ الْعِلْمِ
وَأَهْلِهِ مَقَامٌ لَا يُجَارَى، وَمِيدَانُهُمْ مِيدَانٌ سَبَقَ لَا يُبَارَى، وَهَلْ بُنِيَتْ أَمْجَادُ

وَسَيِّدَاتُ حَضَارَاتٍ عَبَرَ التَّارِيخِ إِلَّا عَلَى دَعَائِمِهِ وَرَكَائِزِهِ؟! وَهَلْ أُمَّةٌ
سَادَتْ بِغَيْرِ التَّعَلُّمِ؟

كَيْفَ! وَالْعِلْمُ أَشْرَفُ مَطْلُوبٍ، وَأَجَلُّ مَرْغُوبٍ، وَأَعْظَمُ
مَوْهُوبٍ، الْعِلْمُ مَنبَعُ الْفَوَائِدِ، وَمَعْقَدُ الْفَرَائِدِ، وَمَجْمَعُ الشُّوَارِدِ.
الْعِلْمُ شَرَفُ الدَّهْرِ، وَمَجْدُ الْعَصْرِ، وَوَسَامُ الْفَخْرِ، وَتَاجُ الشَّرَفِ
لِكُلِّ قُطْرٍ، وَهُوَ فَخَارُ الزَّمَانِ، وَإِكْسِيرُ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، وَضَمَانَةُ السَّعَادَةِ
وَالْإِطْمِئْنَانِ!

الْعِلْمُ كَنْزٌ وَذُخْرٌ لَا نَفَادَ لَهُ نِعَمَ الْقَرِينِ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحِيحًا^(١)
وَأَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْمَوْلَى - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: وَإِذَا كَانَ الْعَالَمُ الْيَوْمَ يَتَنَادَى عِبْرَ هَيْئَاتِهِ
الْعَالَمِيَّةِ، وَمُنظَّمَاتِهِ الدَّوْلِيَّةِ؛ لِلإِضْلَاحِ وَالتَّنْمِيَةِ، وَمُكَافَحَةِ الْجَهْلِ
وَالْفَقْرِ وَالإِزْهَابِ وَالتَّنْمِيَةِ؛ فَإِنَّهُ وَاجِدٌ فِي الْعِلْمِ النَّافِعِ الْمُبْنِيِّ عَلَى
الإِيمَانِ الرَّاسِخِ ضَالَّتُهُ الْمُنشُودَةُ، وَفِي إِيجَادِ جِيلٍ مُتَسَلِّحٍ بِالْعُلُومِ
وَالْمَعَارِفِ، جَوْهَرَتُهُ الْمَفْقُودَةُ.

(١) مِنْ شِعْرِ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ، يُنْظَرُ: «الْفَقِيهِ وَالْمُتَفَقِّه» (١/١٨٦).

وَلَعَلَّ حَدِيثَ الْمُنَاسِبَةِ يَحْلُو، وَنَحْنُ نَعِيشُ مَعَ أَبْنَائِنَا الطُّلَابِ
وَفَتِيَاتِنَا الطَّالِبَاتِ إِشْرَاقَةَ عَامِ دِرَاسِيٍّ جَدِيدٍ، وَإِطْلَالَكَ مُوسِمٍ مُتَأَلِّقٍ فِي
الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالتَّحْصِيلِ، تَرْتَسِمُ عَلَى مُحْيَاهُ بَسْمَاتُ الْأَمَالِ الخَلَابَةِ،
وَإِشْرَاقَاتُ الْفَأَلِ الْوَثَابَةِ، وَاسْتِشْرَافَاتُ الْجَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْمَهَابَةِ
الْجَدَّابَةِ، فِي هِمَمٍ وَقَادَةَ لِتَحْقِيقِ مُسْتَقْبَلٍ أَفْضَلَ - بِإِذْنِ اللَّهِ - لِرَفْعِ رَايَةِ
تَقْدَمِ الْمُجْتَمَعِ وَمَهْضَةِ الْأُمَّةِ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: حَجَرُ الزَّاوِيَةِ وَقُطْبُ الرَّحَى فِي الْأَفَاقِ التَّعْلِيمِيَّةِ
وَالتَّرْبَوِيَّةِ، فِتَّةٌ عَزِيزَةٌ عَلَى نُفُوسِنَا، مُتَمَكِّنَةٌ مِنْ قُلُوبِنَا، فِتَّةٌ لَهَا مَكَانَتُهَا
السَّامِيَّةُ، وَمَنْزِلَتُهَا السَّامِقَةُ فِي الدِّينِ وَالْمُجْتَمَعِ وَالْأُمَّةِ، فِتَّةٌ جَدِيدَةٌ
بِالْإِحْتِرَامِ، وَالتَّكْرِيمِ وَالتَّقْدِيرِ، وَخَفِيَّةٌ بِالْإِهْتِمَامِ وَالْإِجْلَالِ وَالتَّوْقِيرِ،
خَفِيلَةٌ بِالْعِنَايَةِ وَالرَّعَايَةِ وَالتَّبَجِيلِ؛ لِأَنَّهَا فِي الْأُمَّةِ بِمَنْزِلَةِ الْغُرَّةِ
وَالتَّحْجِيلِ، كَيْفَ؟! وَقَدْ جَاءَ التَّنْوِيهُ بِقَدْرِهَا فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ، وَلَا غُرُ
فَلَهَا فِي مَجَالِهَا الْقِدْحُ الْمُعْلَى، وَالدَّوْرُ الْمُجَلَّى! كَيْفَ؟ وَهِيَ لِلْعُقُولِ بَانِيَّةٌ،
وَلِتَقْوِيمِ الْفُهُومِ وَتَثْقِيفِهَا رَانِيَّةٌ، وَفِي الْخَيْرِ سَاعِيَّةٌ، أَصْحَابُهَا لِلْعِلْمِ قَادَةٌ،
وَلِلتَّرْبِيَةِ شَادَةٌ، وَلِلْمَعْرِفَةِ رَادَةٌ، وَلِلتَّحْصِيلِ سَادَةٌ.

وَأَجْزِمُ - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - أَنَّكُمْ أَدْرَكْتُمْ بَعْدَ هَذَا النِّعْتِ الْفَرِيدِ
الْمَعْنَى الْمُرَادَ وَبَيَّنْتَ الْقَصِيدِ، إِنَّهَا فِتَّةٌ الْبَدَلِ وَالْعَطَاءِ وَالْمَكْرَمَاتِ، مِنْ



المُعَلِّمِينَ وَالْمُعَلَّمَاتِ، وَالْمُرَبِّينَ وَالْمُرَبِّيَّاتِ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: الْمُعَلَّمُونَ هُمُ النُّجُومُ السَّاطِعَةُ، وَالْكَوَاكِبُ
الْلَّامِعَةُ فِي سَمَاءِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ النَّافِعَةِ، هُمُ الْمَصَابِيحُ الْمُتَلَاثَةُ،
وَالشُّمُوعُ الْوَضَاءَةُ الَّتِي تَحْتَرِقُ؛ لِتُضِيءَ الطَّرِيقَ لِلْأَجْيَالِ الصَّاعِدَةِ
وَالنَّاشِئَةِ الْوَاعِدَةِ، هُمُ حَمَلَةُ مَشْكَاتِ النُّبُوَّةِ، وَالْمُؤْتَمِنُونَ عَلَى مِيرَاثِ
الرِّسَالَةِ فِي التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ.

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِيهِ التَّبَجِيلَا كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا
أَرَأَيْتَ أَعْظَمَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولًا^(١)

فِيهَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُعَلَّمُونَ؛ يَا مَنْ شَرَّفْتُمْ بِأَعْظَمِ مُهِمَّةٍ، وَأَشْرَفِ
وَضِيفَةٍ، هَيْنَا لَكُمْ شَرَفُ الرِّسَالَةِ، وَتُبُلُّ الْمِهْمَةِ، فَمَهْمَا عَانَيْتُمْ وَقَاسَيْتُمْ،
وَمَهْمَا جَارَ الْبَعْضُ عَلَيكُمْ، وَهَمَّشَ رِسَالَتِكُمُ الْمُتَالِقَةَ، وَقَلَّلَ هَيْبَتِكُمْ
الْمُتَأَصِّلَةَ، وَغَمَطَكُمْ^(٢) حَقَّكُمْ الْأَدَبِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ، وَمَهْمَا أَغْفَلَ دَوْرَكُمْ
الرَّائِدَ، وَمُهْمَتَكُمْ الْمَشْرِفَةَ، لَا سِيَّمَا فِي عَضْرِ الثُّورَةِ التَّقَانِيَّةِ، وَالْقَنَوَاتِ
الْفَضَائِيَّةِ، وَالشَّبَكَاتِ الْمَعْلُومَاتِيَّةِ، مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ، سَتَظَلُّونَ - أَحِبَّتِي

(١) الأبيات لأحمد شوقي، يُنظر: «ديوانه» (١/ ٨٥ وما بعدها).

(٢) غَمَطَ النَّاسُ: احْتَقَرَهُمْ وَالْإِزْرَاءَ بِهِمْ. يُنظر: «اللسان» (غمط).

الْمُدْرَسِينَ - الْمَنْهَلَ الْعَذْبَ الَّذِي تَسْتَقِي مِنْهُ الْأَجْيَالُ، وَالنُّورَ الْمُتَوَهَّجَ
الَّذِي تَسْتَنِيرُ الْأُمَّةُ بِهِدَاهُ إِلَى مَوَاطِنِ الْعِزِّ وَالنَّصْرِ وَالرَّفْعَةِ وَالْفَخَارِ.
وَمَهْمَا سَطَرَ الْبَيَانَ وَنَطَقَ اللِّسَانَ، فَإِنَّهُ سَيَظَلُّ عَاجِزًا عَنِ تَوْفِيَّتِكُمْ
قَدْرِكُمْ، وَيَكْفِيكُمْ ثَنَاءُ رَبِّكُمْ - جَلَّ وَعَلَا - وَمَدْحُ نَبِيِّكُمْ ﷺ، أَخْرَجَ
التِّرْمِذِيُّ^(١) وَغَيْرُهُ^(٢)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ
السَّمَوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحَوْتَ
لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ».

اللَّهُ أَكْبَرُ! يَا لَهُ مِنْ فَضْلِ عَظِيمٍ، وَشَرَفِ جَسِيمٍ! لَا يَنْتَظِرُ بَعْدَهُ
الْمُعَلِّمُ مِنْ أَحَدٍ جِزَاءً وَلَا شُكُورًا.

أَعِزَّائِي الْمُعَلِّمِينَ وَأَخَوَاتِي الْمُعَلِّمَاتِ: وَمَعَ عِظَمِ الشَّرِيفِ لِعَظِيمِ
التَّكْلِيفِ، فَاللَّهُ اللَّهُ! فِي الاضْطِلَاعِ بِحِمْلِ الرِّسَالَةِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ عَلَى
خَيْرِ وَجْهِ، فَلَقَدْ ائْتَمَّتْكُمْ الْأُمَّةُ عَلَى أَعَزِّ مَا تَمْلِكُ: عَلَى عُقُولِ فَلذَاتِ
أَكْبَادِهَا، وَأَفْكَارِ ثَمَرَاتِ فُؤَادِهَا، أَلَيْسَ يَعْيشُ الطَّالِبُ سَحَابَةً وَقْتِهِ،
وَشَطْرَ يَوْمِهِ، مُتَقَلِّبًا فِي أَعْطَافِ قِلَاعِ التَّعْلِيمِ، وَحُصُونِ التَّرْبِيَةِ،

(١) برقم (٢٦٨٥) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٩١٢) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

وَهِيَ - وَلَا رَيْبَ - الْمَحَاضِنُ الْمَأْمُونَةُ، وَالرِّيَاضُ الْوَارِفَةُ، الَّتِي مِنْ أَمِّمْ
 أَرْكَانِهَا مُعَلِّمُونَ حَازِمُونَ مَهْرَةً، وَأَسَاتِذَةٌ طَامِحُونَ بَرَرَةً، وَلَكِنْ - وَاحِرَّ
 قَلْبَاهُ، وَاعْظَمَ خَطْبَاهُ!! - إِذَا خَيَّبَ الْبَعْضُ الظُّنُونَ، فَاَنْسَلَ إِلَى هَذِهِ
 الْعَمَلِيَّةِ الْمُهَمَّةِ مُنْذَسُونَ، فِي مَمُوجَاتِ عَقْدِيَّةٍ وَفِكْرِيَّةٍ وَسُلُوكِيَّةٍ،
 وَأَنْتِمَاءَاتٍ وَوَلَاءَاتٍ طَائِفِيَّةٍ وَحِزْبِيَّةٍ.

فِيَا أَيُّهَا الْمَعْلَمُ الْمُبَارَكُ: اجْعَلْ طَوْعَ بَنَانِكَ، وَخَفَقَ جَنَانِكَ،
 أَصْلَ الْأُصُولِ: الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ فِي هَذِهِ الْمُهَمَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْ
 بَالِكَ - يَا رَعَاكَ اللَّهُ، وَأَنْتَ جُنْدِيٌّ فِي مِيدَانِ التَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَّةِ - أَنَّ التَّعْلِيمَ
 قُرْبَةٌ وَعِبَادَةٌ يُزْدَلَفُ بِهَا إِلَى اللَّهِ، فَإِنْ فَقَدَ الْمَعْلَمُ هَذَا الْأُصْلَ، انْتَقَلَ
 مِنْ أَفْضَلِ الطَّاعَاتِ إِلَى أَسْوَأِ الْمُخَالَفَاتِ، وَمِنْ أَعَالِي الدَّرَجَاتِ إِلَى
 أَحْطَى الدَّرَكَاتِ.

فَاسْتَمْسِكْ - أَخِي الْمَعْلَمُ أَقْرَّ اللَّهُ بِكَ الْأَعْيْنَ - بِهَذَا الْأُصْلِ
 الْأَصِيلِ، فَبِقَدْرِ تَحْقِيقِهِ لَدَيْكَ، تَجْنِي الشُّمَارَ بِيَدَيْكَ، غَفَرَ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ،
 وَلِوَالِدَيْنَا وَوَالِدَيْكَ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: الْجِيلُ أَمَانَةٌ، وَالتَّعْلِيمُ وَالتَّرْبِيَّةُ أَمَانَةٌ، وَأَيُّ ضَرْبٍ
 مِنَ التَّهَاوُنِ وَالتَّقَاعْسِ فِي آدَاءِ هَذِهِ الْأَمَانَةِ، فَإِنَّهُ لَوْنٌ مِنْ أَلْوَانِ الْخِيَانَةِ،

وَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ
وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأَنْفَالُ: ٢٧].

وَيَا لِلَّهِ! مَا أَعْظَمَ هَذِهِ الْأَمَانَةَ! وَمَا أَخْطَرَ التَّفْرِيطَ فِيهَا! لَا سِيَّما
فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ الْمُتَأَخَّرَةِ، حَيْثُ التَّحَدِّيَاتُ الْخَطِرَةُ، وَالْمُسْتَجِدَّاتُ
الْمُتَلَحِّقَةُ، وَالْمُتَغَيِّرَاتُ الْمُتَسَارِعَةُ، وَالْأَزْمَاتُ الْمُتَابِعَةُ.

وَلَعَمْرُ الْحَقِّ! كَمْ نَحْنُ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى الْعَوَاصِمِ مِنْ
الْقَوَاصِمِ الَّتِي زَعَزَعَتْ أَرْكَانَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَأَوْهَتْ مُتْنَهَا^(١)
السُّلُوكِيَّةَ وَالتَّعْلِيمِيَّةَ، وَلَعَلَّ مَنْ حَمَلُوا أَمَانَةَ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ أَوْلَىٰ ثُمَّ
أَوْلَىٰ مَنْ يَتَحَلَّىٰ بِرُؤْفِقِ هَذِهِ الرَّسَالَةِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي أَحْسَبُ أَنَّهَا مِنْ أَهَمِّ
مَا يَتَوَسَّسُ بِهِ الْمُعَلِّمُونَ. ذَلِكَ هُوَ جَانِبُ الْقُدُوةِ وَالتَّزَامِ الْأَخْلَاقِيَّاتِ هَذِهِ
المُهِّمَةِ النَّبِيلَةِ الْمَسْئُورَةِ، وَذَلِكَ بِحُسْنِ السَّمْتِ، وَالهَدْيِ الصَّالِحِ، وَجَمَالِ
الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، وَمُرَاعَاةِ كَرِيمِ السَّجَايَا وَالشَّمَائِلِ، وَتُبُلِّ الْأَخْلَاقِ
وَالْفَضَائِلِ، الَّتِي تَأْسِرُ الطُّلَّابَ عَلَى الْإِثْسَاءِ أَسْرًا. وَأَقْبَحُ مَا يَرَى
الْمُتَلَقِّي مِنْ مُعَلِّمِهِ - وَهُوَ يَرْمُقُ سُلُوكَهُ - أَنْ يُخَالِفَ فِعْلُهُ قَوْلَهُ، فَإِنْ وَقَعَ
الْمُعَلِّمُ فِي هَذَا الدَّرَكِ، أُهَيْبَ بِحَسْرَةٍ:

(١) أَوْهَتْ مُتْنَهَا: أَي: قَوَّتْهَا، وَذَهَبَ بِمُتْنِهِ: بِقَوَّتِهِ. يُنْظَرُ: «الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ» (مَنْ).

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَعْلَمُ غَيْرِهِ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
تَصِفُ الدَّوَاءَ مِنَ السُّقَامِ لِذِي الضَّنَا كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
وَأَرَاكَ تَلْقَحُ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا نُصْحًا وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمٌ^(١)
وَأَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْحَقِّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ

اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

وَهَلْ أَفْرَزْتَ تِلْكَ التَّنَاقُضَاتُ التَّرْبَوِيَّةُ إِلَّا جِيلًا يَعِيشُ مَعْرَةً
التَّنَاقُضِ وَالْأَزْدِوَاجِيَّةِ، وَمَا تُخَلِّفُهُ مِنْ آثَارِ نَفْسِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ خَطِيرَةٍ،
فَاعِيدُكَ بِاللَّهِ - أَيُّهَا الْمَعْلَمُ الْفَاضِلُ - أَنْ يَكُونَ لَكَ كِفْلٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ آثَارَةٌ
مِنْهُ، فَمَا ذَاكَ إِلَّا طَعْنَةٌ نَجَلَاءُ بِخَنْجَرٍ مَسْمُومٍ فِي خَاصِرَةِ الْفِكْرِ الصَّحِيحِ
وَالْمَنْهَجِ السَّلِيمِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ مَسْئُولِيَّةَ اخْتِيَارِ الْأَكْفَاءِ مِنَ الْمُتَصَدِّقِينَ
لِلرَّسَالَةِ التَّرْبَوِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِيَّةِ، مَسْئُولِيَّةٌ عَظْمَى، فَلَا يُصَدَّرُ فِي هَذَا
الْمَجَالِ كُلِّ دَعْيٍ مَهْوَسٍ، وَلَا يُعَيَّنُ كُلُّ مُفْلِسٍ مُتَصَحَّرِ الْفِكْرِ، حَتَّى
لَا تُتْلَاكَ هَذِهِ الْمِهْمَةُ الْعَظِيمَةُ فِي كُلِّ نَادٍ وَمَجْلِسٍ.

وَمِنْ هُنَا تَأْتِي ضَرُورَةُ حُسْنِ الْإِعْدَادِ، وَدَوْرَاتِ التَّدْرِيبِ

(١) أخرج هذه الأبيات البيهقي بسنده في «شعب الإيمان» (٣١٦/٢) ونسبها إلى ابن السكّ الواعظ.

وَالْإِمْدَادِ؛ تَرْقِيًّا فِي مَدَارِجِ الشُّمُوءِ بِهَذِهِ الرَّسَالَةِ الْكُبْرَى وَالْمُنْتَسِبِينَ إِلَيْهَا،
وَحِفْظًا لِلْأَجْيَالِ مِنْ رُغُونَاتِ الْأَخْلَاءِ. وَمَا يَجْدُرُ التَّذْكِيرُ بِهِ فِي هَذَا
الصَّدَدِ: رَبُّطُ الْعِلْمِ بِالْأَدَبِ، فَهُمَا صِنْوَانٍ لَا يَفْتَرِقَانِ، وَعَلَى هَذَا دَرَجَ
السَّلَفُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ حَلِيَةِ الْمُعَلِّمِ الْمُوَفَّقِ.

عَنْ ابْنِ سِيرِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - قَالَ: «كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ الْهَدْيَ كَمَا
يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ». وَعَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيَوَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ:
«حَدِّثْنَا وَلَا تُحَدِّثْنَا عَنْ مُتَمَاوُتٍ وَلَا طَعَّانٍ». رَوَاهُمَا الْخَطِيبُ فِي الْجَامِعِ^(١).

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «نَحْنُ إِلَى قَلِيلٍ مِنَ الْأَدَبِ أَحْوَجُ بِنَا
إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ»^(٢).

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: «مَا تَعَلَّمْنَا مِنْ أَدَبٍ مَالِكٍ أَكْثَرَ مِمَّا تَعَلَّمْنَا مِنْ
عِلْمِهِ»^(٣).

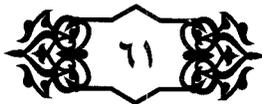
وَقَالَ الْأَجْرِيُّ فِي (أَخْلَاقِ الْعُلَمَاءِ)^(٤): «وَيُؤَدَّبُ جُلَسَاءُهُ بِأَحْسَنِ مَا

(١) يُنظَرُ: «الْجَامِعُ لِأَخْلَاقِ الرَّوَايِ وَأَدَابِ السَّامِعِ» (١/٧٩، ١٣٩).

(٢) أَخْرَجَهُ الرَّامَهْرَمَزِيُّ فِي «الْمَحَدَّثِ الْفَاصِلِ» (١/٥٥٩)، وَالْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي
«شَرَفِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ» (١/١٢٢).

(٣) يُنظَرُ: «تَارِيخُ الْإِسْلَامِ» (١١/٣٢٣)، وَ«سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» (٨/١١٣).

(٤) (ص ٥٢).



يَكُونُ مِنَ الْأَدَبِ».

فَالْعِلْمُ حَرْبٌ لِلْفَتَى الْمُتَعَالِي كَالسَّيْلِ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي^(١)
فِي تَوَاضِعِ جَمٍّ، وَطَلَاقَةٍ فِي الْمَحْيَى، وَتَصَوُّنٍ عَنِ الشُّبُهَاتِ
وَاللَّغَطِ، فَإِنَّ الْغَلَطَ تَحْتَ اللَّغَطِ.

وَإِذَا الْمُعَلِّمُ سَاءَ لَحْظَ بَصِيرَةٍ جَاءَتْ عَلَى يَدِهِ الْمَعَارِفُ حَوْلًا^(٢)
مَعَ الْحَذَرِ مِنْ إِقْحَامِهِمْ فِيهَا لَا يُدْرِكُونَهُ وَلَا يَفْهَمُونَهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ،
يَقُولُ عَلِيُّ عليه السلام: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتْرِيدُونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ؟!»^(٣). وَفِي أَثَرِ أَنْ ابْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُحَدِّثَ النَّاسَ
بِحَدِيثٍ لَمْ تَبْلُغْهُ عَقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ»^(٤).

عَزِيزِي الْمُعَلِّمُ، أُحْتَبِي الْمُعَلِّمَةَ: وَمِمَّا لَا يَفُوتُ سَوْفُهُ، أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ
رَبْطِ الْعِلْمِ وَالتَّرْبِيَةِ بِالْمُعْتَقَدِ الصَّحِيحِ، وَالْمَنْهَجِ السَّلِيمِ، وَالدِّينِ
الْحَنِيفِ، الَّذِي شَرَفْنَا بِالِانْتِسَابِ إِلَيْهِ.
رَبُّو الْأَجْيَالَ عَلَى مَنْهَجِ الْوَسْطِيَّةِ وَالِاعْتِدَالِ، فَلَا غُلُوَّ وَلَا جَفَاءَ،

(١) يُنْظَرُ: «التَّبْيَانُ فِي آدَابِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ» (١/ ٢٥).

(٢) هَذَا الْبَيْتُ لِشَوْقِي، يُنْظَرُ: «دِيْوَانُهُ» (١/ ١١٨).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٢٧).

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٥).

عَلَّمُوهُمْ قِيَمَ التَّسَامُحِ وَالرَّفْقِ وَالْيُسْرِ، وَرَفَعَ الْحَرَجَ، حَذَرُوهُمْ مِنْ
الْأَفْكَارِ الْمُنْحَرِفَةِ، وَالْمَسَالِكِ الضَّالَّةِ، وَالتَّيَّارَاتِ الزَّالَّةِ، سِوَاءَ أَكَانَ فِي
جَانِبِ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ، أَمْ التَّحَلُّلِ مِنَ الْقِيَمِ وَالثَّوَابِ، وَالانْسِيَاقِ وَرَاءَ
عَوْلَمَةِ الْفِكْرِ، وَتَغْرِيْبِ الثَّقَافَةِ؛ فَكِلَا طَرَفِي قَصْدِ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ.

وَأَجْزِمُ أَنَّهُ عِنْدَ تَحْقِيقِ ذَلِكَ كُلِّهِ، أَنَّ الْأُمَّةَ سَتَسْعُدُ - بِمَنْ اللّٰهُ -

بِحِيلٍ لَا كَالْأَجْيَالِ، فَرِيدٍ مِنْ نَوْعِهِ: عَقِيدَةٌ وَمَنْهَجًا وَسَلُوكًا.

وَبَعْدُ، أُمَّةُ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ: فَنِلْكَ شَذْرَةٌ مِنْ صِفَاتِ وَآدَابِ

الْمُعَلِّمِ الْمُلْهَمِ النَّاجِحِ، لِإِجَادِ جَيْلٍ مُتَبَصِّرٍ نَاجِحٍ، وَمُتَهَمِّمٍ صَالِحٍ، تَقَرُّ بِهِ
أَعْيُنُ الْأُسْرَةِ وَالْمُجْتَمَعِ وَالْأُمَّةِ، فَبُورِكَتْ جُهُودُ الْمُعَلِّمِينَ الْكُفَّاءِ،
وَسُدَّدَتْ أَقْوَاهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ، وَلَا حَرَمَهُمُ اللّٰهُ ثَوَابَ بَدْلِهِمْ وَعَطَائِهِمْ،
فَتَغْرَهُمُ أَهْمُ الثُّغُورِ الْمَعْنَوِيَّةِ، فَكَمْ نَفَعَ اللّٰهُ بِهِمُ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ! وَكَمْ
تَعَلَّمَتِ الْأَجْيَالُ مِنْهُمْ، كَيْفَ يَكُونُ الْبَدْلُ وَالْعَطَاءُ، فِي مَنْهَجٍ مُتَمَيِّزٍ،
وَفِكْرٍ نَيِّرٍ، وَإِبْدَاعٍ مُتَأَلِّقٍ، سَيَكُونُ بِإِذْنِ اللّٰهِ زَادًا نِعْمًا هُوَ فِي دُنْيَاهُمْ،
وَذُخْرًا فِي آخِرَاهُمْ.

وَكَانَ اللّٰهُ فِي عَوْنِ الْعَامِلِينَ لِحُدْمَةِ دِينِهِمْ، وَصَلَحِ مُجْتَمَعِهِمْ

وَأُمَّتِهِمْ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ

الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ بَارِي النَّسَمِ، وَخَالِقِ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ، أَحْمَدُهُ - تَعَالَى - عِلْمَ
الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَسْدَى وَأَنْعَمَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا
مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الْهَادِي إِلَى السَّبِيلِ الْأَقْوَمِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ، وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ هِيَ الزَّادُ وَالْعُدَّةُ،
وَمُنْتَزَلُ الْمَحَامِدِ، وَمِعْرَاجُ السُّمُوءِ، وَمَبْعَثُ الْقُوَّةِ، وَالْمَعِينُ عَلَى الْعِلْمِ
وَالْعَمَلِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْفِتَنِ، وَالْعِصْمَةَ مِنَ الْمِحَنِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ: وَمَنْ أَهَمَّ صِفَاتِ الْمُعَلِّمِ النَّاجِحِ
أَنْ يَكُونَ حَسَنَ الْأَلْفَازِ، دَقِيقَ الْأَحْوَاطِ، مُرْتَوِيًا بِمَا يَحْمِلُ مِنْ أَفْكَارِ
تَعْلِيمِيَّةٍ مُبْدِعَةٍ، مُتَمَكِّنًا مِنْ أُصُولِ الْمَسَائِلِ الَّتِي يَطْرُقُهَا، إِجْبَابًا
فِي بَسْطِهَا، مُرَاعِيًا الْفُرُوقَ الْعَقْلِيَّةَ وَالشُّعُورِيَّةَ وَالاجْتِمَاعِيَّةَ بَيْنَ
طُلَّابِهِ، مُتَجَدِّدًا فِي أُسْلُوبِ عَرْضِهِ، لَا يَقِفُ فِي الْعِلْمِ عِنْدَ حَدِّ الشَّهَادَةِ
الْمُؤَقَّتَةِ، بَلْ الْعِلْمُ عِنْدَهُ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «مَعَ الْمُخْبِرَةِ

إِلَى الْمَقْبَرَةِ»^(١).

وَمِنْ أَهَمِّ سِمَاتِ الْمُعَلِّمِ الْوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِ عِلْمِهِ، وَعَدَمُ الْجُرْأَةِ عَلَى الْفِتْوَى، وَالْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَسُؤَالُ مَنْ هُوَ أَعْلَمَ مِنْهُ، وَعَدَمُ الْاسْتِنْكَافِ مِنْ قَوْلٍ: لَا أَدْرِي. يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: « إِذَا نَسِيَ الْعَالِمُ كَلِمَةَ (لَا أَدْرِي)، فَقَدْ أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ »^(٢). وَيَقُولُ الشَّعْبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: « (لَا أَدْرِي) نِصْفُ الْعِلْمِ »^(٣).

وَلِيَحْذَرَ الْمُعَلِّمُ الْفَاضِلُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُتَنَمِّرًا فِي الْعِلْمِ، مُتَطَفِّلًا عَلَى غَيْرِ فَنِّهِ، فَمَنْ تَحَدَّثَ فِي غَيْرِ فَنِّهِ أَتَى بِالْعَجَائِبِ، وَلِيَحْذَرَ - أَيْضًا - أَنْ يَكُونَ أَبَا شَبْرٍ فِي الْعِلْمِ، فَقَدْ قِيلَ: الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ أَشْبَارٌ، مَنْ دَخَلَ الشَّبْرَ الْأَوَّلَ تَكَبَّرَ، وَمَنْ دَخَلَ الشَّبْرَ الثَّانِي تَوَاضَعَ، وَمَنْ دَخَلَ الشَّبْرَ الثَّلَاثَ عِلْمٌ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ.

كَمَا يَحْذَرُ مِنَ التَّصَدُّرِ قَبْلَ حِينِهِ، فَمَنْ تَصَدَّرَ قَبْلَ حِينِهِ؛ هَوَىٰ فِي

(١) أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص ٣٦، ٣٧).

(٢) أخرجه البيهقي في «المدخل إلى السنن» (ص ٤٣٦)، والخطيب البغدادي في «الفييه والمتفه» (٢/٣٦٦) ..

(٣) أخرجه الدارمي (١/٧٤)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن» (١/٤٣٥) من قول

الشعبي - رحمه الله ..

حِينِهِ، وَلِيَرْهَبَ الْخَوْصَ فِي زَلَّاتِ الْعُلَمَاءِ، وَتَتَّبِعِ سَقَطَاتِ النَّبَلَاءِ،
وَلَا يُقْحِمُ نَفْسَهُ وَطُلَّابَهُ فَيَمَّا يُوَعِّرُ الصُّدُورَ، وَيَبْعَثُ عَلَى الْفُرْقَةِ
وَالْاِخْتِلَافِ وَالشُّرُورِ، وَالْاِزْدِوَاجِيَّةِ وَعَظَائِمِ الْأُمُورِ، فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ
فَأَنْتَى لَهُ أَنْ يُجْرَجَ حَيْلًا مُتَوَشِّحًا بِسِرِّبَالِ الْأَدَبِ؛ خَشِيَّةَ الْخِلَافِ
وَالْعَطَبِ.

أُخْتِي الْمُعَلِّمَةِ: وَلَيْسَ مَسْئُورِيَّتِكَ التَّرْبُويَّةُ بِأَقْلَ مِنْ مَسْئُورِيَّةِ
الْمُعَلِّمِينَ، بَلْ قَدْ تَكُونُ أَعْظَمَ، لِمَا تُمَثِّلُهُ الْمَرْأَةُ مِنْ مَكَانَةِ عُظْمَى فِي
الْمُجْتَمَعِ وَالْأُمَّةِ، فَاللَّهُ اللَّهُ! فِي الْاِلتِزَامِ بِكَمَالِ التَّرْبِيَّةِ وَبِهَاءِ التَّعْلِيمِ،
عَلَى مَا يُمَيِّزُ الْمَرْأَةَ الْمُسْلِمَةَ فِي حِجَابِهَا وَعَفَافِهَا وَحِسْمَتِهَا، وَمَا يُجَافِيهَا
عَنْ كُلِّ مَا يُحِلُّ بِكَرَامَتِهَا، وَلَا يُنَاسِبُ طَبِيعَتَهَا مِنْ جَوَانِبِ الْاِخْتِلَاطِ
الْمُحَرَّمِ، وَالتَّبَرُّجِ الْمَذْمُومِ.

رَبُّوا الْبَنَاتِ عَلَى الْفَضِيلَةِ إِنَّهَا فِي الْخَافِقِينَ لَهُنَّ خَيْرٌ وَثَاقٍ^(١)
وَإِنَّ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الْبِلَادِ الْمُبَارَكَةِ، مَا نَنْعَمُ بِهِ مِنْ
خُصُوصِيَّةٍ مُمَيَّزَةٍ فِي مَنَهِجِ التَّعْلِيمِ وَأَهْدَافِهِ وَغَايَاتِهِ، وَتَوَاؤُمٍ فَذُّ بَيْنَ
مُدْخَلَاتِ التَّعْلِيمِ وَمُخْرَجَاتِهِ.

(١) مِنْ شِعْرِ حَافِظِ إِبْرَاهِيمِ (شَاعِرِ النَّيْلِ)، يُنْظَرُ: «دِيْوَانُهُ» (ص ٢٣٠).

فَالْمُقَرَّرَاتُ وَالْمَنَاهِجُ - نَحْمَدُ اللَّهَ - مَفَاخِرُ وَمَبَاهِجُ، وَبِهَا تَتَحَقَّقُ
 النَّهْضَةُ وَالْأَمَالُ، وَتَتَخَرَّجُ أَجْيَالُ الْوَسْطِيَّةِ وَالْإِعْتِدَالِ، وَإِنَّ مَسْئُورِيَّةَ
 الْمُعَلِّمِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَرْبِطَ طُلَّابَهُ بِالْوَلَاءِ لِلَّهِ، ثُمَّ لِدِينِهِ وَوَلَاةِ أَمْرِهِ وَعُلَمَائِهِ
 وَبِلَادِهِ، وَأَنْ يُعَزِّزَ فِيهِمْ انْتِمَاءَهُمْ لِعَقِيدَتِهِمْ وَبِلَادِهِمْ الْإِسْلَامِيَّةِ، الَّتِي
 هِيَ قِبْلَةُ الْمُسْلِمِينَ، وَمَهْبِطُ الْوَحْيِ، وَأَرْضُ الْحَرَمِينَ وَالرَّسَالَةِ الْخَالِدَةِ.

أَدَامَ اللَّهُ عَلَيْهَا وَعَلَى سَائِرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ الْأَمْنِ وَالْأَمَانَ، إِنَّهُ جَوَادٌ
 كَرِيمٌ. ﴿أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ

ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣٨١﴾ [البقرة].
 ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مُعَلِّمِ الْبَشَرِيَّةِ، كَمَا أَمَرَكُمْ
 بِذَلِكَ رَبُّكُمْ رَبُّ الْبَرِيَّةِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].



القِسْمُ الثَّلَاثُ
العَقِيْدَةُ

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين،
القائل في محكم كتابه المبين: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ
فَاتَّبِعَهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية]، أحمده تعالى
وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له، له الخلق كله، وله الحمد كله، وله الأمر كله، وله الحكم
وإليه ترجعون، وأشهد أن نبينا محمداً عبداً لله ورسوله، وحبيبه
وخليله، بعثه بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله
بإذنه وسراجاً منيراً، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة وكشف
- بإذن ربه - الغممة، فصلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً
كثيراً.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: اتقوا الله ربكم وأطيعوه، وتوبوا إليه
واستغفروه، وتمسكوا بشريعته، وعلى آله اشكروه.

عِبَادَ اللَّهِ، أَتَدْرِكُونَ كَيْفَ تَتَحَقَّقُ عِبُودِيَّتُكُمْ لِرَبِّكُمْ عَلَى
الْحَقِيقَةِ؟ أَتَعْلَمُونَ بِإِذَا تَتَمَثَّلُ دِينُونُتُكُمْ لِإِلَهِكُمْ عَلَى أَهْدَى سَبِيلٍ وَأَقْوَمِ
طَرِيقَةٍ؟

إِنَّ ذَلِكَ لَا يَتِمُّ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - إِلَّا بِالْإِيْمَانِ الْكَامِلِ بِالْحَاكِمِيَّةِ
لِلَّهِ وَحْدَهُ؛ ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ
وَمَا آبَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا
تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿ [يوسف]؛ كَمَا أَنَّهُ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالْيَقِينِ التَّامِّ، وَالْإِيْمَانِ الْجَازِمِ
بِأَحْقِيَّةِ شَرِيعَةِ اللَّهِ لِتَنْظِيمِ الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ عَلَى مُسْتَوَى الْأَفْرَادِ
وَالْمُجْتَمَعَاتِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدُّوَلِ وَالْحُكُومَاتِ: فِي الْعَقَائِدِ وَالْعِبَادَاتِ،
وَالْأَخْلَاقِ وَالْمَعَامَلَاتِ، وَأُصُولِ الْحُكْمِ وَالسِّيَاسَةِ، وَالْاِقْتِصَادِ
وَالاجْتِمَاعِ وَالسُّلُوكِ، وَكُلِّ مَجَالٍ مِنَ الْمَجَالَاتِ.

لَقَدْ دَاخَلَتْ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ كُلَّ الْفِئَاتِ، وَوَسَعَتْ جَمِيعَ الْأَجْنَاسِ
وَالسِّيَّاتِ، وَسَادَتْ عَلَى الْعَوَالِمِ وَالْحَضَارَاتِ، هَيْمَنْتْ عَلَى جَمِيعِ
الْأَزْمِنَةِ وَالْأَعْصَارِ، وَسَعَتْ كُلَّ الْأَمْكِنَةِ وَالْأَمْصَارِ، فَلَمْ تَضُقْ دَرْعًا

بِكُلِّ جَدِيدٍ، وَإِنَّمَا شَمِلَتْ كُلَّ تَلِيدٍ^(١) وَطَرِيفٍ.

وَلَمْ تَقِفْ عَاجِزَةً يَوْمًا مَا أَمَامَ الْمُسْتَجِدَّاتِ، بَلْ كَانَتْ دَوَاءً نَاجِعًا^(٢)
لِلْمُعْضَلَاتِ، وَبَلَسْمًا شَافِيًا لِلْمُشْكَلَاتِ، وَحَكْمًا عَدْلًا عَلَى جَمِيعِ
الْمُتَغَيِّرَاتِ، مَعَ مُوََاكِبَةٍ لِلْمُعَاصِرَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ تَطَوُّرَاتٍ، كَيْفَ وَهِيَ
تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ؟! ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) ﴿

[الملك]، ﴿قُلْ أَعْلَمُ أَمْرَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ

الْكِتَابَ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: إِنَّ مِنْ مُقْتَضِيَاتِ الْعَقِيدَةِ: أَنَّ الْإِلَهَ الَّذِي يُصَلَّى
لَهُ، وَيُسَجَّدُ لَهُ، هُوَ الْإِلَهُ الَّذِي يَجِبُ التَّحَاكُمُ إِلَى شَرْعِهِ، وَتَطْبِيقُ
تَعَالِيمِهِ، وَاتِّبَاعُ أَوْامِرِهِ فِي كُلِّ شَاذَّةٍ وَفَازَّةٍ، وَفِي شَتَّى نَوَاحِي الْحَيَاةِ.
فَالْإِلَهُ الَّذِي يَتَفَرَّدُ بِالْخَلْقِ وَحْدَهُ، هُوَ الَّذِي يَتَفَرَّدُ بِالْأَمْرِ وَحْدَهُ؛

(١) التَّلِيدُ: مَنْ تَلَدَ، وَالتَّالِدُ: الْمَالُ الْقَدِيمُ الْأَصْلِيُّ، فَالتَّلِيدُ: الْقَدِيمُ، وَفِي الْأَثَرِ عَنْ ابْنِ
مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْكَهْفُ، وَمَرْيَمُ، وَطَه، وَالْأَنْبِيَاءُ، هُنَّ مِنْ
الْعِتَاقِ الْأَوَّلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي»، أَي مِنْ قَدِيمِ مَا أَخَذَتْ مِنَ الْقُرْآنِ. يُنْظَرُ:
«اللسان» (تلد).

(٢) يُقَالُ: مَاءٌ نَاجِعٌ، أَي: هَنِيءٌ، مَرِيءٌ. وَدَوَاءٌ نَاجِعٌ، أَي: شَافٍ، فَعَالٌ، نَافِعٌ. يُنْظَرُ:
«المحيط» (نجع).

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَمَا أَسِئَاءَ فَهْمِ الْإِسْلَامِ، إِلَّا لَمَّا أُقْصِيَ عَنِ تَنْظِيمِ أُمُورِ الْحَيَاةِ،
وَفُصِّلَ عَنِ الْحُكْمِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَجَالَاتِهَا بِحُجَّةٍ أَوْ بِأُخْرَى.

وَمَا غَزِيَتِ الْمُجْتَمَعَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِدَسِيسَةِ هِيَ أَعْظَمُ مِنْ
إِقْصَاءِ شَرِيعَةِ اللَّهِ عَنِ الْحُكْمِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ فِي أَرْضِ اللَّهِ،
وَالِاعْتِيَاضِ عَنْهَا بِقَوَانِينِ وَضَعِيَّةٍ وَأَنْظِمَةِ بَشَرِيَّةٍ، هِيَ سُبَّاطَةٌ^(١) أَذْهَانِ
ضَعِيفَةٍ، وَعُصَارَةٌ أَفْكَارٍ هَزِيلَةٍ، طُبِّقَتْ حَقَبًا مِنَ الدَّهْرِ، وَرَدَّحًا^(٢) مِنْ
الزَّمَنِ، فَمَا جَلَبَتْ غَيْرَ الْحَرَابِ وَالِدَّمَارِ، وَمَا أَحَلَّتْ غَيْرَ الْبَلَاءِ وَالْبَوَارِ.

فَهَلْ قَطَعَتْ دَابِرَ الْجَرِيمَةِ؟! وَهَلْ قَضَتْ عَلَى مَظَاهِرِ الْفَسَادِ؟!
وَهَلْ حَقَّقَتْ الْأَمْنَ لِلْبِلَادِ وَالْعِبَادِ؟! لَا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ! وَهَلْ يَقْطَعُ الْمَاءُ
الْمِلْحَ الْأَجَاجَ شَدِيدَ الظَّمِّ؟!!

لَقَدْ دَلَّتِ الْإِحْصَاءَاتُ، وَطَالَعَتْنَا التَّقْرِيرَاتُ: أَنَّ الْمُجْتَمَعَاتِ الَّتِي
لَا تُطَبَّقُ فِيهَا هَذِهِ الشَّرِيعَةُ، تَكُونُ الْجَرَائِمُ فِيهَا بِمُعَدَّلِ جَرِيمَةٍ فِي كُلِّ

(١) السُّبَّاطَةُ: الكُنَاسَةُ، أَي: الموضع الَّذِي تُرْمَى فِيهِ الكُنَاسَةُ وَالتَّرَابُ. يُنْظَرُ: «اللسان»
(سبط).

(٢) الرَّدَّحُ: المُدَّةُ الطَّوِيلَةُ، يُقَالُ: أَقَامَ رَدَّحًا مِنَ الدَّهْرِ، أَي: مُدَّةً طَوِيلَةً، أَوْ: طَوِيلًا. يُنْظَرُ
«تاج العروس» (رَدَّح).

دَقِيقَةً؛ قَتْلُ أَوْ زِنَى أَوْ سَرِقَةٌ أَوْ انْتِحَازٌ أَوْ اخْتِطَافٌ أَوْ غَيْرُهَا.

فَكَيْفَ يَرْضَى الْعُقَلَاءُ أَنْ يُحْكُمُوا أَوْ يُحْكَمُوا بِغَيْرِ شَرِيعَةٍ

رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ!؟

وَلَقَدْ اسْتَبَانَ لِلْعَالَمِ كُلِّهِ إِفْلَاسُ النُّظُمِ الْوَضْعِيَّةِ، وَعَجْزُهَا عَنِ

تَحْقِيقِ السَّعَادَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَهَذَا بُرْهَانٌ سَاطِعٌ، وَدَلِيلٌ قَاطِعٌ، عَلَى أَنَّ

الْمَخْلُوقَ الضَّعِيفَ لَا غِنَى لَهُ عَنِ تَشْرِيعِ الْخَالِقِ الْقَوِيِّ الْقَادِرِ، الْعَالِمِ

بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ، وَمَا يُسَعِدُهُمْ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ.

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - تَبْقَى دَعْوَةٌ مَبْحُوحَةٌ لِلْمُتَحَذِّلِينَ^(١):

أَهْلِ الْعِلْمَانَةِ، الْمُفْتُونِينَ بِأَعْدَاءِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ، الَّذِينَ لَا يَزَالُ فَحِيحُهُمْ^(٢)

الْمَسْمُومُ يُسْمَعُ بَيْنَ الْفَيْنَةِ وَالْأُخْرَى، مُتَّهِمِينَ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ بِالْعَجْزِ

وَالْقُصُورِ عَنِ مُسَايَرَةِ رُكْبِ الْمَدِينَةِ الْحَدِيثَةِ!؟ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً

تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ ﴿٥﴾ [الكهف]، ﴿أَمْ لَهُمْ

شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]،

(١) الْمُتَحَذِّلُونَ: الْمُتَنَزِّهُونَ وَالْمُنْتَهِيُونَ؛ يُقَالُ: بَدَأَ مُتَحَذِّلًا فِي كَلَامِهِ، سَطْحِيًّا فِي تَفْكِيرِهِ.

يُنْظَرُ: «اللسان» (حذلق).

(٢) الْفَحْفَحَةُ: تَرَدُّدُ الصَّوْتِ، وَالْفَحِيحُ: صَوْتُ الْأَفْعَى. يُنْظَرُ: «اللسان» (فحح).

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ
 قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ
 الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ [النساء]، وَكُلُّ دَعْوَةٍ إِلَى
 تَحْكِيمٍ غَيْرِ شَرِيعَةِ اللَّهِ، فَهِيَ دَعْوَةٌ طَاغُوتِيَّةٌ مَرْدُودَةٌ.

وَلَقَدْ نَفَى الْقُرْآنَ الْإِيمَانَ عَمَّنْ لَمْ يَتَحَاكَمْ إِلَى شَرِيعَةِ اللَّهِ وَإِلَى
 سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا
 شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا
 تَسْلِيمًا ﴾ [النساء].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - تَعْلِيْقًا عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ: «أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ
 بِنَفْسِهِ عَلَى نَفْيِ الْإِيمَانِ عَنِ الْعِبَادِ حَتَّى يُحَكِّمُوا رَسُولَهُ فِي كُلِّ مَا شَجَرَ
 بَيْنَهُمْ مِنَ الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ، وَلَمْ يَكْتَفِ فِي إِيْمَانِهِمْ بِهَذَا التَّحْكِيمِ بِمَجْرَدِهِ،
 حَتَّى يَنْتَفِي عَنْ صُدُورِهِمُ الْحَرْجُ وَالضُّيْقُ بِقَضَائِهِ وَحُكْمِهِ، وَلَمْ يَكْتَفِ
 مِنْهُمْ بِذَلِكَ - أَيْضًا - حَتَّى يُسَلِّمُوا لَهُ تَسْلِيمًا وَيَنْقَادُوا انْقِيَادًا» (١).

وَيَقُولُ سَهَاةُ الْعَلَامَةِ الْمُفْتِي الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:
 «إِنَّ مِنَ الْكُفْرِ الْأَكْبَرِ الْمُسْتَبِينَ، تَنْزِيلَ الْقَانُونِ اللَّعِينِ، مَنْزِلَةَ مَا نَزَلَ بِهِ

(١) يُنظر: «إعلام الموقعين» (١/٥١).

الرُّوحِ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِيَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ

مُبِينٍ لِلْحُكْمِ بِهِ بَيْنَ الْعَالَمِينَ، وَالرَّدِّ إِلَيْهِ عِنْدَ تَنَازُعِ الْمُتَنَازِعِينَ»^(١).

وَلَقَدْ وَصَفَ - سُبْحَانَهُ - مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِشَرِّهِ بِثَلَاثَةِ أَوْصَافٍ

شَنِيعَةٍ: بِالْكَفْرِ وَالظُّلْمِ وَالْفِسْقِ، عِيَاذًا بِاللَّهِ!!

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّ تَطْبِيقَ شَرِيعَةِ اللَّهِ هُوَ عُنْوَانُ الصَّلَاحِ،

وَطَرِيقُ الْإِصْلَاحِ، وَسَبِيلُ الْعِزِّ وَالْفَلَاحِ، وَسَبَبُ الْخَيْرِ وَالتَّوْفِيقِ

وَالنَّجَاحِ، إِنَّهُ لَا سَعَادَةَ لِلبَشَرِيَّةِ الْيَوْمَ - وَهِيَ تَخْبِطُ فِي دِيَاجِيرِ^(٢)

الظَّلَامِ، وَتُعَانِي مِنَ الضِّيَاعِ وَالشَّقَاءِ، وَعَدَمِ صِلَاحِ الْأَوْضَاعِ، وَتُعَانِي

الانْهِيَارَ فِي مَجَالَاتٍ شَتَّى - إِلَّا بِتَحْكِيمِ شَرِيعَةِ اللَّهِ.

وَمَا حَلَّ وَيَحُلُّ بِالْأُمَّمِ مِنْ بَلَاءٍ وَدِمَاءٍ، وَفِتْنٍ وَتَسَلُّطٍ، إِلَّا نَتِيجَةٌ

حَتْمِيَّةٌ لِإِقْصَاءِ النُّورِ الْمُشْرِقِ، وَالْفَجْرِ الْوَضَائِعِ عَنِ التَّطْبِيقِ فِي وَاقِعِ

الْحَيَاةِ، وَهَذَا يُجَسِّدُ الْمَسْئُولِيَّةَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، الَّذِينَ - لِأَشْكَ -

يَهْمُهُمْ أَمْرُ دِينِهِمْ، وَيُؤَرِّقُهُمْ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ حَالُ أُمَّتِهِمْ.

وَإِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ مَسْئُولِيَّةً فِي هَذَا الشَّأْنِ: الْوُلَاةُ وَالرُّعَمَاءُ

(١) يُنظر: «رسالة تحكيم القوانين» (ص ٥).

(٢) تقدم بيان معناها (ص ٣٨).

وَالْقَادَةَ وَالرُّؤْسَاءُ، الَّذِينَ فِي أَيْدِيهِمُ الْقُدْرَةُ وَالسُّلْطَانُ عَلَى أَنْ يَعُودُوا
بِالإِسْلَامِ إِلَى سِيرَتِهِ الأُولَى.

فِيَا قَادَةَ المُسْلِمِينَ، وَيَا رُؤْسَاءَ الدُّوَلِ، وَيَا أَيُّهَا المُسْتَوْوَلُونَ فِي
الحُكُومَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ، حَكِّمُوا شَرِيعَةَ اللَّهِ فِي أَرْضِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِ
اللَّهِ، اجْعَلُوهَا أَسَاسَ حُكْمِكُمْ، فِيهَا - وَاللَّهِ - دَوَامُ مُلْكِكُمْ، وَصَلَاحُ
أَحْوَالِكُمْ، وَاسْتِقْرَارُ شُعُوبِكُمْ، تَوَارَدُوا عَلَى الإِسْلَامِ تَجِدُوهُ خَيْرَ
الْأَنْظِمَةِ وَالْمَلَلِ، وَالدَّوَاءِ الشَّافِي مِنْ جَمِيعِ الأَدْوَاءِ وَالْعِلَلِ، وَاتَّخِذُوا مِنْ
عُلَمَاءِ الإِسْلَامِ الرِّبَانِيِّينَ بَطَانَةً، عَلَى أَدَاءِ هَذِهِ المُهِمَّةِ العَظِيمَةِ.

وَيَا عُلَمَاءَ الإِسْلَامِ، قُومُوا بِتَوْضِيحِ مَحَاسِنِ الشَّرِيعَةِ، وَالدَّعْوَةِ
المُسْتَمِرَّةِ فِي تَطْبِيقِهَا، وَالنَّصِيحَةِ المُخْلِصَةِ لِأُمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ.

أُمَّةُ الإِسْلَامِ: أَمَا أَنْ لَنَا أَنْ تَجْتَمِعَ قُوَانَا العِلْمِيَّةُ وَالعَمَلِيَّةُ
وَالدَّعْوِيَّةُ، وَأَنْ تَتَّوَحَّدَ قِيَادَاتُنَا السِّيَاسِيَّةُ وَالفِكْرِيَّةُ عَلَى هَدْيِ الكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، فَهِيَ - وَاللَّهِ ! - المَخْرُجُ مِنْ كُلِّ الضُّوَائِقِ، وَالمَخْلَصُ مِنْ
كُلِّ العَقَبَاتِ وَالعَوَائِقِ.

وَمَا عَانَى العَالَمُ الإِسْلَامِيُّ مَا عَانَاهُ: مِنْ فُرْقَةٍ وَتَشْتِتٍ وَصَعْفٍ
وَتَخَلْفٍ، إِلَّا بَعْدَ تَخْلِيهِ عَنِ شَرِيعَةِ اللَّهِ.

وَلَا سَبِيلَ إِلَى اسْتِعَادَةِ أَعْجَادِنَا، وَاسْتِرْدَادِ حُقُوقِنَا، سِوَى تَطْبِيقِ
شَرْعِ اللَّهِ، وَالْاِعْتِصَامِ بِحَبْلِ اللَّهِ، ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾
﴿٤﴾ يَنْصُرِ اللَّهُ ﴿ [الروم: ٤-٥]، وَيَوْمَئِذٍ تَتَسَلَّمُ أُمَّتُنَا الْمَجِيدَةَ، زِمَامَ

قِيَادَةِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ جَدِيدٍ، ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ ﴿١٧﴾ [فاطر].

مَعَاشِرَ الْإِخْوَةِ: وَإِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ مُوَدَّجًا تَطْبِيقِيًا عَمَلِيًّا مَلْمُوسًا،
وَوَاقِعًا حَيًّا مَحْسُوسًا، لِصَلَاحِيَّةِ تَطْبِيقِ الشَّرِيعَةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ:
فَانظُرُوا - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - إِلَى مَا تَعِيشُهُ هَذِهِ الْبِلَادُ الْمُبَارَكَةُ، بِلَادُ الْحَرَمَيْنِ
الشَّرِيفَيْنِ، الَّتِي هِيَ بِحَقِّ شَامَةٍ فِي وَجْهِ الْعَالَمِ، وَغُرَّةٌ فِي جَبِينِ التَّارِيخِ
المُعَاصِرِ، لَمْ يَزِدْهَا تَطْبِيقُ شَرِيعَةِ اللَّهِ إِلَّا أَمْنًا وَعِزًّا وَفَخْرًا؛ تُوَكِّبُ
الْجَدِيدَ فِي تَمَسُّكِ فَرِيدِ الْبَالِغَاتِ الْعَقْدِيَّةِ، وَالْأُصُولِ الشَّرِيعِيَّةِ.

وَلَقَدْ جَاءَتْ الْأَنْظُمَةُ الثَّلَاثَةُ الْمُعْلَنَةُ أَحْيَرًا؛ صِيَاغَةً مُعَاصِرَةً
لِثَوَابِتِ أَصِيلَةٍ، لِتُؤَكِّدَ أَنَّ هَذِهِ الدَّوْلَةَ الْمُبَارَكَةَ، قَادِرَةٌ - بِتَطْبِيقِهَا لِشَرْعِ
اللَّهِ - عَلَى تَحْقِيقِ الْأَصَالَةِ وَالْمُعَاصِرَةِ مَعًا.

وَكَمْ سَرَّ كُلِّ مُسْلِمٍ، التَّأَكُّدُ عَلَى الْاِسْتِمْدَادِ وَالِاسْتِمْرَارِ عَلَى نَهْجِ
هَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْعَرَّاءِ.

وَهَكَذَا تَكُونُ الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ تَبْنِي وَتُؤَسِّسُ قَوَاعِدَ حُكْمِهَا،

عَلَى هَدْيِ كِتَابِ رَبِّهَا، وَتَقْوَمُ بِمَصَالِحِ رَعِيَّتِهَا قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ،
 وَحُسْنِ رِعَايَةِ لِعِبَادِ اللَّهِ. تُطَبَّقُ الشُّورَى - وَهِيَ إِحْدَى قَوَاعِدِ الْحُكْمِ
 الْإِسْلَامِيِّ - فِي مُرَاعَاةٍ وَتَخْيِيرٍ لِلْأَكْفَاءِ: فِي عَقِيدَتِهِمْ وَأَمَانَتِهِمْ
 وَاسْتِقَامَتِهِمْ؛ انْطِلَاقًا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل
 عمران: ١٥٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وَائْتِسَاءً
 بِتَطْبِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهَا عَمَلِيًّا فِي مَوَاضِعَ شَتَّى.

وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ - بِحَقِّ - لَيْسَ بِجَدِيدٍ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْبِلَادِ الْمُبَارَكَةِ
 وَقَادَتِهَا - وَفَقَهُمُ اللَّهُ - حَيْثُ مَارَسُوهُ مُنْذُ الْقِدَمِ، لَكِنَّ النَّصَّ عَلَيْهَا
 وَالتَّأَكِيدَ عَلَى تَطْبِيقِهَا، يُعْطَى - قَطْعًا - بُعْدًا كَبِيرًا فِي اسْتِمْرَارِ قَادَةِ هَذِهِ
 الْبِلَادِ - سَدَدَهُمُ اللَّهُ - عَلَى السَّيْرِ عَلَى هَدْيِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ؛ لِيُحَقِّقُوا
 لِأَبْنَائِهِمْ مَا يَضُبُّونَ إِلَيْهِ: مِنْ صِلَاحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، فِي وَقْتِ عَجَزَتْ
 فِيهِ (دِيمُقْرَاطِيَّاتُ) ^(١) الْعَصْرِ الزَّائِفَةِ، عَنْ تَحْقِيقِ ذَلِكَ الْمَطْلَبِ الْعَزِيزِ.

فَلْتَهَنَّأْ هَذِهِ الْبِلَادُ، وَقَادَتُهَا، وَشَعْبُهَا، بِهَذِهِ الْأَنْظَمَةِ الشَّرِيعِيَّةِ!
 وَلْتَكُنْ انْطِلَاقَةً لِمُسْتَقْبَلِ أَفْضَلِ، وَإِصْلَاحِ أَشْمَلِ، يُحَقِّقُ لِلْبِلَادِ

(١) الدِيمُقْرَاطِيَّةُ: كَلِمَةٌ قَدِيمَةٌ يُونَانِيَّةٌ الْأَصْلُ، مَعْنَاهَا حُكْمُ الشَّعْبِ لِلشَّعْبِ. يُنْظَرُ:

«الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب» (٢/١٠٦٦).



وَالْعِبَادِ، الْخَيْرَ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ [المائدة].

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، أَقُولُ
قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ
هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحِيمِ الْوَدُودِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ، كَتَبَ لِدَعْوَتِهِ الْخُلُودَ، وَضَمِنَ لَشَرِيْعَتِهِ الْبَقَاءَ وَالصُّمُودَ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ،
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، أُولِي الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ وَالْجُودِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَتَمَسَّكُوا بِشَرِيْعَةِ اللَّهِ، وَلْتَقَرُّوا أَعْيُنًا
بِوَعْدِ اللَّهِ بِنَصْرِ شَرِيْعَتِهِ، وَتَمَكِّنِ أَوْلِيَاءَهُ، فَقَدْ ضَمِنَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ -
لَشَرِيْعَتِهِ وَالْقَائِمِينَ بِهَا، سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ، وَخَيْرَ الْحَيَاتَيْنِ: نَصْرٌ وَتَمَكِينٌ فِي
الدُّنْيَا، وَجَنَّةٌ وَرِضْوَانٌ فِي الْآخِرَةِ.

أَلَا وَإِنَّ بَشَائِرَ انْتِصَارِ هَذِهِ الشَّرِيْعَةِ قَدْ تَتَابَعَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ، فَفِي
الْأُمَّةِ عَوْدَةٌ إِلَى مَنْهَجِ اللَّهِ، وَفِي السَّبَابِ صَحْوَةٌ تَلْتَمِسُ مَنْهَجَ اللَّهِ.
أَنْظَمَةُ الْبَشْرِ تَهَاوَى، وَدَعَاوَاتُ الْخَيْرِ تَنْتَامِي، مَعَ الْحَاجَةِ إِلَى
التَّوْجِيهِ وَالتَّسْدِيدِ. سَقَطَتْ صُرُوحُ الشُّيُوعِيَّةِ^(١) الْمُلْحِدَةِ، وَدَالَتْ

(١) الشُّيُوعِيَّةُ: مصطلح حادث، يأتي في اللغة من كلمة (مشاعية)، وهي تعني - في =

عُرُوشَهَا، بَعْدَ أَنْ جَثَمَتْ - قُرَابَةَ سَبْعِينَ عَامًا - عَلَى قُلُوبِ شُعُوبٍ
تَتَلَهَّفُ لِلْإِسْلَامِ، حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ بِتَخْطِيمِ أَسْوَارِهَا الْحَدِيدِيَّةِ،
وَهَذَا - بِحَدِّ ذَاتِهِ - نَصْرٌ لِلدِّينِ وَأَهْلِهِ، وَتَتَابَعُ بِشَائِرِ النَّصْرَةِ الْمَشْرِقَةِ، مِنْ
جَنَابَاتِ الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ، وَمَنْ ثَرَى فَلَسطِينَ السَّلِيَّةِ، وَمِنْ أَعْتَابِ
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الْمُبَارِكِ، وَعَدُّ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ بِتَخْرِيهِ عَلَى مَا جَاءَ فِي
سُنَّةِ الْمُصْطَفَى الْأَمِينِ ﷺ بِمَقَاتَلَةِ غَاصِبِيهِ، حَتَّى هَزِيمَتِهِمْ بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَالْيَوْمَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - هَا هِيَ رَايَةُ الْإِسْلَامِ تَرْتَفِعُ خَفَاقَةً عَلَى
مَشَارِفِ «كَابُول» بِأَيْدِي الْمَجَاهِدِينَ الْأَفْغَانِ، بَعْدَ أَنْ صَارَعَ الْإِيمَانُ
الْإِلْحَادَ قُرَابَةَ ثَلَاثَةِ عَشَرَ عَامًا، قَدَّمَ فِيهِ الْمَجَاهِدُونَ الْأَبْطَالُ الدِّمَاءَ
وَالْأَشْلَاءَ: قُتِلَ مِنْهُمْ زُهَاءَ الْمِليُونِ، وَشُرِّدَ مِنْهُمْ مَا يُقَارِبُ خَمْسَةَ
مِلايين! وَالْيَوْمَ تَهْنَأُ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِفَرَحَةٍ النَّصْرِ عَلَى أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ!
لَكِنْ يَا عِبَادَ اللَّهِ، لَكِنْ أَيُّهَا الْمَجَاهِدُونَ، لَا تَسْتَحْكِمُ الْفَرَحَةَ،
وَلَا تَتَحَقَّقُ آمَالُ الْأُمَّةِ، إِلَّا بِوَحْدَةِ قَادَةِ الْمَجَاهِدِينَ، وَاجْتِمَاعِ كَلِمَتِهِمْ،

= مفهوم الماركسيين والشيوعيين - مشاعية الملكية للأرض ووسائل الإنتاج، فهي
نظرية اجتماعية (باطلة)، وحركة سياسية (مُفْلِسَة)، ترمي إلى السيطرة على
المجتمع ومقدراته لصالح أفراده بالتساوي، والقضاء على الملكية الخاصة. يُنظر:
«الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب» (٢/٩٢٩).

وَتَغْلِيْبِ مَصَالِحِ الْأُمَّةِ عَلَى الْجَوَانِبِ الدَّائِيَّةِ، وَالْأُمُورِ الشَّخْصِيَّةِ،
وَالْتَرَفُّعِ عَنِ الْخِلَافَاتِ الْجُزْئِيَّةِ.

نَعَمْ! لَا تَتَمُّ فَرْحَةُ النَّصْرِ - أَيُّهَا الْمُجَاهِدُونَ - إِلَّا بِخُلُوصِ النِّيَّاتِ
وَالْمَقَاصِدِ، وَإِنْ خُسِرَتِ الْكَرَاسِي وَالْمَقَاعِدُ.

وَلَا أَحَدٌ مَزِيدًا عَلَى عَقْدِ النَّصَائِحِ الثَّمِينَةِ، وَدُرْرِ التَّوْجِيهَاتِ
الْكَرِيمَةِ، الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا رِسَالَةُ خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ - وَفَقَهُ اللَّهِ - إِلَى
قَادَةِ الْمُجَاهِدِينَ، وَإِنَّا لَمُتَطَلِّعُونَ جَمِيعًا إِلَى تَمَثُّلِهَا وَاقِعًا عَمَلِيًّا؛ حَتَّى تَصَلَ
أَفْغَانِسْتَانَ إِلَى مَصَافِّ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ قَرِيبًا بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَفِي ذَلِكَ دَرْسٌ لِلدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ، أَلَّا يَسْتَعْجِلُوا النَّتَاجَ، كَمَا فِيهِ
سَلَوَى وَانْشِرَاحٌ لِلْقُلُوبِ الَّتِي دَاهَمَهَا الْيَأْسُ، وَعِبْرَةٌ لِمَنْ يَسْلُكُ
مَسَالِكَ الْعَجَلَةِ؛ أَنْ يَلْتَزِمَ نَهْجَ التَّوَدَّةِ وَالْحِكْمَةِ، فَيَدِينُ اللَّهَ مَنْصُورًا بِإِذْنِ
اللَّهِ، وَالْخَيْرُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ. هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا
- رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى أَزْكَى الْبَرِيَّةِ، وَهَادِي الْبَشَرِيَّةِ، كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ
رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ - ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى

النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].

التَّوْحِيدُ

سَبِيلُكَ النَّصْرَ حِيَا الْخُطُوبِ الْعَصْرَ

الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَفَرَّدَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَبَانَ لِلْإِنْسَانِيَّةِ دَلَائِلَ الْأُلُوهِيَّةِ،
أَحْمَدُهُ - تَعَالَى - وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَسَدَى مِنْ مَنَّةٍ وَعَطِيَّةٍ، وَدَفَعَ مِنْ نِقْمَةٍ
وَبَلِيَّةٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَنْقَذَنَا بِالْبِعْثَةِ
الْمُحَمَّدِيَّةِ مِنْ بَرَاثِنِ الْإِشْرَاكِ وَالْوَثْنِيَّةِ، وَأَعَزَّنَا بِالتَّوْحِيدِ، وَأَبْطَلَ
مَسَالِكَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ
وَسَيِّدِ الْبَشَرِيَّةِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، الَّذِينَ شَادُوا
صُرُوحَ الْحَنِيفِيَّةِ، وَأَعْلَوْا مَنَارَ الْمِلَّةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ
بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَى اللَّهِ - جَلَّ فِي عُلَاهُ - فَإِنَّ
تَقْوَاهُ - سُبْحَانَهُ - أَعْظَمَ الْعَوَاصِمِ مِنْ أَعْتَى الْقَوَاصِمِ.
أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ بِعَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ الْخَالِصَةِ؛
لِيُحَرِّرَ الْقُلُوبَ مِنْ رِقِّ الْعِبُودِيَّةِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَيَرْفَعَ النُّفُوسَ إِلَى قِمَمِ الْعِزِّ

وَالشَّرَفِ وَالصَّفَاءِ، وَيَسْمُو بِهَا عَنْ بَوَارِ الوَثْنِيَّةِ وَالخُرَافَةِ وَالشَّقَاءِ، وَإِنَّ
عَقِيدَةَ الْمُسْلِمِ أَعَزُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ، وَأَعْلَى شَيْءٍ لَدَيْهِ، بِهَا يُوَجِّهُ أَعْتَى
التَّحَدِّيَّاتِ، وَيَصْبِرُ عَلَى مُرِّ الْاِبْتِلَاءَاتِ، وَبِهَا يَكُونُ سَدًّا مَنِيعًا
وَدِرْعًا وَاقِيًا أَمَامَ زَحْفِ الْأَبَاطِيلِ وَالضَّلَالَاتِ، وَغَزْوِ الشُّعُودَةِ
وَالخُرَافَاتِ، ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٥١) [التوبة]، فَلَا مُسَاوَمَةَ عَلَى
العَقِيدَةِ مَهْمَا كَانَتْ الْمُتَغَيَّرَاتُ، وَلَا تَنَازُلَ عَنِ الْمَبَادِي مَهْمَا عَظُمَتِ
الدَّسَائِسُ وَالْمُؤَامَرَاتُ، بِهَذَا عَزَّتِ الْأُمَّةُ وَسَادَتْ، وَانْتَصَرَتْ وَقَادَتْ
﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٧) [الروم].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: شَرُّ الْبَلَايَا: الْاِنتِكَاسَةُ^(١) وَالرَّدَى، بَعْدَ
الْيَقِينِ وَالْهُدَى، وَأَشْنَعُ الْمَوَارِدِ: الْعَمَى بَعْدَ الْبَصِيرَةِ، وَالْغَيِّ وَالْعِنَادُ،
بَعْدَ انْبِلَاجِ^(٢) سَبِيلِ الرَّشَادِ.

(١) الْاِنتِكَاسَةُ: انْقِلَابُ الشَّيْءِ عَلَى رَأْسِهِ، وَيُقَالُ: اِنتِكَاسَةُ الْمَرِيضِ، أَي: مُعَاوَدَتُهُ
الْمَرَضَ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (نَكْس).

(٢) الْاِنْبِلَاجُ: الْوَضُوحُ وَالْإِشْرَاقُ، وَمِنْهُ اِنْبِلَاجُ الصَّبْحِ. يُنْظَرُ: «مَقَائِسُ اللُّغَةِ»
(بَلَج).

وَلَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ عِبَادَهُ حُنَفَاءً، فَاجْتَالَتْهُمْ^(١) الشَّيَاطِينُ عَنْ دِينِهِمْ،
وَزَيَّنَتْ لَهُمْ مَسَالِكَ الانْحِرَافِ وَالضَّلَالِ.

وَقَدْ تَأَى الْإِسْلَامَ بِأَهْلِهِ، وَارْتَفَعَ بِأَتْبَاعِهِ، عَنْ أَوْهَامِ الْجَاهِلِيَّةِ
وَأَوْضَارِهَا، وَطَهَّرَ نُفُوسَهُمْ مِنْ رِجْسِ الْوَثْنِيَّةِ وَأَبَاطِيلِهَا، وَابْتَعَدَ بِهِمْ
عَنْ بَرَاثِنِ الْإِسْفَافِ^(٢) وَالْإِسْتِخْفَافِ، فِي كُلِّ أَنْمَاطِهِ وَصُورِهِ، وَفِي
طَلِيعَةِ ذَلِكَ مَظَاهِرُ الشُّرْكِ وَالتَّجْهِيلِ؛ وَمَبَادِئُ الْخُرَافَةِ وَالتَّضْلِيلِ؛ لَمَّا
تُمَثِّلُهُ مِنْ طَعْنَةٍ نَافِذَةٍ فِي صَمِيمِ الْعَقِيدَةِ، وَشَرْخِ خَطِيرٍ فِي صَرْحِ التَّوْحِيدِ
الشَّامِخِ، وَانْهِيَارِ مُزْرِ يَثْلُمُ^(٣) الْعِزَّةَ، وَيُذْهِبُ الْقُوَّةَ، وَيَقُلُّ^(٤) الْعِزَائِمَ،
وَيُلْحِقُ الْهَزَائِمَ، وَيَقْضِي عَلَى الْعِزَمَاتِ، وَيُشَكِّكُ فِي الثَّوَابِتِ

(١) اجْتَالَتْهُمْ: استخففتهم، فجالوا معهم في الضلال، يُقَالُ: جَالَ وَاجْتَالَ: إِذَا ذَهَبَ
وَجَاءَ، وَاجْتَالَ الشَّيْءُ: إِذَا ذَهَبَ بِهِ وَسَاقَهُ. يُنْظَرُ: «النَّهْيَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ
وَالْأَثَرِ» (جول).

(٢) الْإِسْفَافُ: التَّزْوِيلُ وَالانْحِطَاطُ، يُقَالُ: أَسْفَفَ الطَّائِرُ: إِذَا طَارَ وَعَادَ إِلَى الْأَرْضِ
دَائِمًا مِنْهَا حَتَّى كَادَتْ رِجْلَاهُ تَصِيبَانَهَا. يُنْظَرُ: «أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ» (سفف).

(٣) تَقَدَّمَ بَيَانُ مَعْنَاهَا، يُنْظَرُ: (ص ٤٠).

(٤) يُقَالُ: قَلَّ الْقَوْمُ: إِذَا كَسَرَهُمْ وَهَزَمَهُمْ، وَرَجُلٌ قَلَّ وَقَوْمٌ قَلُّوا: أَيُّ مَنْهَزَمُونَ،
يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ؛ لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ مُصَدَّرٌ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (فلل).

وَالْيَقِينِيَّاتِ، وَيُرَوِّجُ لِسُوقِ التَّخْرُصَاتِ وَالْخَزَعِيَّاتِ^(١)؛ فَيَقَعُ
 الاضْطِرَابُ وَالْفَوْضَى فِي الْأُمَّةِ، وَيُخْرَقُ سِيَاحُ الْأَمْنِ وَالْوَحْدَةِ
 وَالْهُدَايَةِ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ
 وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [٨٢] [الأنعام].

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: وَإِذَا كَانَتْ قَضَايَا الْأَعْتِقَادِ، مِنْ الثَّوَابِتِ
 وَالْمُسَلَّمَاتِ، فَإِنَّهُ مَعَ طُولِ الْأَمْدِ، وَحُصُولِ التَّخْلُفِ الْمُزْرِيِّ، لَدَى
 شَرَائِحَ كَثِيرَةٍ فِي الْأُمَّةِ، صَحِبَ ذَلِكَ جَهْلٌ ذَرِيعٌ بِكَثِيرٍ مِنَ الْحَقَائِقِ
 الْعَقْدِيَّةِ، وَالْمُسَلَّمَاتِ الشَّرْعِيَّةِ؛ وَحُدُوثُ نَوْعٍ مِنَ الْغَفْلَةِ أَوْ التَّغْفِيلِ،
 دَفَعَتْهَا عَمَلِيَّاتُ تَرْيِيفٍ لِلْحَقَائِقِ، تَحْتَ سِتَارِ مُسَمِّيَّاتٍ مَعْسُولَةٍ؛ كَانَ
 مِنْ نَتِيجَةِ ذَلِكَ تَمْرِيرُ بَعْضِ الصُّوَرِ الشَّرِكِيَّةِ، وَتَسْوِيقُ بَعْضِ الطُّقُوسِ
 الْبِدْعِيَّةِ، بَلِ الْمُجَادَلَةُ وَالْمُحَاكَّةُ^(٢) لِإِلْبَاسِهَا لِبَاسِ الدِّينِ، وَالِدِّينُ مِنْهَا
 بَرَاءٌ.

وَلَعَلَّ مَا أُحْدِثَ حَوْلَ الْقُبُورِ وَالْأَضْرِحَةِ وَالْمَشَاهِدِ، مِنْ أَوْضَحِ

(١) الْخَزَعِيَّاتُ: الْأَكَاذِيبُ وَالْأَعْتِقَادَاتُ الْوَاهِيَّةُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (خزعل).

(٢) الْمَحْكُ وَالْمُحَاكَّةُ: التَّمَادِي فِي اللَّجَاجَةِ عِنْدَ الْمَسَاوِمَةِ وَالْغَضَبِ، وَالْمُنْتَحِكُ:

اللَّجُوجُ، وَتَمَاحِكَا فِي الْبَيْعِ: تَلَاجَا. يُنْظَرُ: «تاج العروس» (محك).

النَّمَاذِجِ عَلَى هَذَا التَّرْزِيفِ الَّذِي أَصَابَ الْأُمَّةَ فِي أَعَزِّ مُقَوِّمَاتِهَا - وَهُوَ تَوْحِيدُهَا لِرَبِّهَا - وَلَمْ يَقِفِ الْأَمْرُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، بَلْ ائْتَدَّ لِيُقْذِفَ كُلَّ يَوْمٍ بِجَدِيدٍ فِي عَالَمِ الْخُرَافَةِ وَالذَّجَلِ، وَبَثَّ الشَّائِعَاتِ، وَنَسَجَ الْأَكَاذِيبِ؛ مِمَّا يُؤَكِّدُ أَهْمِيَّةَ حِمَايَةِ جَانِبِ الْأَمْنِ الْعَقْدِيِّ فِي الْأُمَّةِ؛ حَتَّى لَا يُؤَثِّرَ سُوسُ الْأَوْهَامِ، وَشَبَكَاتُ هَذَا الْإِجْرَامِ، سَلْبًا فِي جَوَانِبِ شَتَّى مِنْ وَاقِعِ الْأُمَّةِ، أَفْرَادًا وَجُمُوعَاتٍ، تِلْكَ - لَعَمْرُ اللَّهِ - عَاقِبَةُ الْإِشْرَاكِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ وَضُرُوبِهِ ﴿حُفْنَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ [الحج].

وَيَزِدَادُ الذُّهُولُ وَالْعَجَبُ، حِينَمَا تَجِدُ الْأَوْهَامَ رَوَاجًا لَدَى جِبَلٍ كَثِيرٍ مِنَ الْعَوَامِّ، مِمَّنْ يَنْسَاقُونَ وَرَاءَ كُلِّ شَائِعَةٍ، وَيُلْغُونَ عُقُولَهُمْ عِنْدَ كُلِّ ذَائِعَةٍ، فَهَذَا دَعِيٌّ يَزْعُمُ فِي أَحْلَامٍ وَرُؤْيٍ وَمَنَامَاتٍ، أَنَّ النَّبِيَّ أَوْ الْوَلِيَّ - إِنْ ثَبَتَ ذَلِكَ - جَاءَهُ وَأَخْبَرَهُ بِبَعْضِ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ، وَأَمْلَأَهُ آيَاتٍ تُرَدِّدُ كَذَا وَكَذَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، ثُمَّ يَأْمُرُهُ بِطَبْعِهَا وَنَشْرِهَا وَتَوَزِيعِهَا، وَأَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؛ فَسَيَحْصُلُ لَهُ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْخَيْرَاتِ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْهُ فَسَيُعَاقَبُ بِعُقُوبَاتٍ شَتَّى؛ فَيَيْئُسُ هَذَا، وَيُصَدِّقُهَا أَوْلِيَاكَ، وَيَتَلَقَّاها هَوْلًا! ثُمَّ لَا تَسْأَلُ عَمَّا تُحَدِّثُهُ هَذِهِ الْخُرَافَاتُ فِي أَوْسَاطِ كَثِيرٍ مِنَ الدَّهْمَاءِ،

وَمَا تَفَعَّلُهُ فِي عُقُولِ جَمٍّ غَفِيرٍ مِنَ البُسْطَاءِ !

وَالسُّؤَالُ الْمُلِحُّ هُنَا: أَيْنَ الْإِيمَانُ الصَّحِيحُ؟ وَأَيْنَ التَّفَكِيرُ السَّلِيمُ؟

أَوْ لَسْنَا نَتَلَوُ وَنُصَدِّقُ قَوْلَ الْحَقِّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : ﴿ وَإِنْ يَمَسَّكَ

اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [يونس: ١٠٧]، لَكِنَّ الْعَجَبَ - وَالْعَجَائِبُ جَمَّةٌ - حِينَما تُلغَى الْأَفْكَارُ وَالْعُقُولُ، أَمَامَ قَوْلِ كُلِّ دَعِيٍّ جَهُولٍ!! وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانَ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: اقْتِضَاءُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، مُخَالَفَةُ أَصْحَابِ

الْجَحِيمِ، وَلَقَدْ بَعَثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِأَهْدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ؛ فَأَبْطَلَ اللَّهُ بِهِ مَسَالِكَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا مَعَالِمُ الشُّرْكِ وَالْوَثْنِيَّةِ، فَاسْتَأْصَلَ شَاقَتَهَا^(١)، وَقَطَعَ جُرْثُومَتَهَا.

وَمِنْ مَسَالِكِ الْخُزَعِيَّاتِ وَالْأَوْهَامِ، وَالتَّفَرُّقِ وَالْفَوْضَى:

مُخَالَفَةُ وِلِيِّ الْأَمْرِ، وَعَدَمُ الْإِنْقِيَادِ لِلنِّظَامِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْرَاضِ السَّائِدَةِ.

(١) الشَّاقَةُ: فَرْحَةٌ تَخْرُجُ فِي أَسْفَلِ الْقَدَمِ فَتُكْوَى فَتَذْهَبُ. وَاسْتَأْصَلَ اللَّهُ شَاقَتَهُ:

أَذْهَبَهُ كَمَا تَذْهَبُ تِلْكَ الْقَرْحَةُ، أَوْ أزالَهُ مِنْ أَصْلِهِ. يُنظَرُ: «القاموس المحيط» (شاف).

وَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ!! فَالْأُمَّةُ الْيَوْمَ تَوَاجَهُ مَوْجَاتٍ مِنْ
 مَظَاهِرِ الْجَاهِلِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ، وَحَمَلَاتٍ مِنَ الْعِلْمَنِهْ وَالتَّغْرِيْبِ، فِي ظِلِّ مَا
 يُسَمَّى بِ(عَصْرِ الْعَوْلَةِ)^(١)؛ لِتَضْيِيعِ هُوِيَّةِ الْأُمَّةِ، وَإِذَابَةِ شَخْصِيَّتِهَا فِي
 أَنْوَاعٍ مِنَ الرَّدَّةِ وَالصَّدِّ عَنْ دِينِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - وَتَجْفِيفِ مَنَابِعِ الْحَيْرِ
 فِي الْأُمَّةِ، وَزَرْعِ الْأَلْغَامِ الْمَخْبُوءَةِ، وَالْحَلَايَا الْغَالِيَةِ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ
 الْإِسْلَامِيَّةِ، لِصَهْرِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ غَيْرِهِمْ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ، تَخْتَلِطُ فِيهِ
 الْمَفَاهِيمُ، وَتَتَقَلَّبُ فِيهِ الْمَوَازِينُ، فِي شِعَارَاتٍ بَرَّاقَةٍ، وَدَعَايَاتٍ خَلَّابَةٍ،
 وَلَا يَزَالُونَ فِي حَالَةٍ اسْتِنْفَارٍ قُصْوَى لِنَشْرِ مُصْطَلَحَاتٍ غَامِضَةٍ
 وَمُعْتَقَدَاتٍ بَاطِلَةٍ، تُزْرِي بِالْعُقُولِ، وَتَذْهَبُ بِالِدِّيَانَةِ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: ثَمَّةَ حَقِيقَةً مُرَّةً مُؤَلَّمَةً، وَهِيَ أَنَّ الْمُسْتَقْرَى
 لِلتَّارِيخِ الْإِنْسَانِيِّ، وَالْمَتَأَمَّلِ لِلتُّرَاثِ الْبَشَرِيِّ، يَجْدُ أَنَّ الْعُقُولَ الْبَشَرِيَّةَ
 قَدْ تَعَرَّضَتْ لِعَمَلِيَّاتٍ وَأَدِ وَاغْتِيَالٍ خَطِيرَةٍ، عَبْرَ حَقَبٍ طَوِيلَةٍ وَعُصُورٍ

(١) الْعَوْلَةُ: يُقْصَدُ بِهَا فَرْضُ نِظَامٍ مُوَحَّدٍ عَلَى الْعَالَمِ، فَهِيَ عَزْوُ الْعَالَمِ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ،
 وَالْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ، فِكْرِيًّا وَسِيَاسِيًّا وَاِقْتِصَادِيًّا، وَفَرْضُ هَيْمَنَةِ
 الْقُوَى الْكَبْرَى عَلَى الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ، تَحْتَ عُنَاوِينِ جَدِيدَةٍ مَغْرِبِيَّةٍ وَبَرَّاقَةٍ. يُنْظَرُ:
 «الْإِسْلَامُ وَالْعَوْلَةُ» لِسَامِي الدَّلَالِ (ص ٤٧)، وَ«مَا الْعَوْلَةُ» لِحَسَنِ حَنْفِي
 (ص ١١).

مُتَّابِعَةٍ، يَتَوَلَّى كِبْرَ أَسْلِحَتِهَا خَنَاجِرُ الْأَوْهَامِ وَالْخُرَافَةِ، وَالْغَامُ الدَّجَلِ
وَالشُّعُودَةِ، وَتِلْكَ - لَعَمْرُ الْحَقِّ - أَعْتَى طَعْنَةً تُسَدِّدُ فِي خَاصِرَةِ الْإِنْسَانِ
الْعَقْلِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ! وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ التَّحَرُّرَ الْحَقِيقِيَّ مِنْ أَغْلَالِ الْوَهْمِ
وَالْخُرَافَةِ إِنَّمَا يُمَثَّلُ السِّيَاحَ الْمُحْكَمَ، وَالْحِصَانَةَ الْوَاقِيَّةَ، وَالْحِمَايَةَ وَالِدَّعَايَةَ
الْحَقَّةَ لَأَهْمِ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ، وَهِيَ تَحْصِينُ عَقْلِهِ مِنَ الْخِيَالَاتِ.

وَمِنْ هُنَا كَانَتْ أَنْبُلُ مَعَارِكِ الْعَقِيدَةِ، مَعْرَكَةٌ تَخْرِيرِ الْعُقُولِ
الْإِنْسَانِيَّةِ، مِمَّا يُصَادِرُ الْفِكْرَ، وَيُصَادِمُ الْفِطْرَةَ، وَيَغْتَالِ الْمَبَادِيَّ،
وَهَيْهَاتَ أَنْ تُعَمَّرَ الْحَيَاةُ، وَتُشَادَّ الْحَضَارَةُ، بِالْبُلْهِ وَالْمَشْعُودِينَ، الَّذِينَ
لَا يَزْعُونَ لِلْإِنْسَانِ كَرَامَةً، وَلَا لِلْعُقُولِ حِصَانَةً وَصِيَانَةً!!

وَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الَّذِينَ يُسَلِّمُونَ عُقُولَهُمْ لِعُزْوٍ فِي الصِّمِيمِ مِنْ
أَعْدَائِهِمْ، فَيَقْعُونَ صَرَعى التَّقْلِيدِ الْأَعْمَى، وَالتَّشْبِهِ الْأَرْعَنِ^(١)؛ وَقَدْ
قَالَ ﷺ - مُحَدِّرًا لِأُمَّتِهِ وَمُنذِرًا: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، خَرَّجَهُ
الْإِمَامُ أَحْمَدُ^(٢) وَأَبُو دَاوُدَ^(٣).

وَإِنَّ النَّاطِرَ الْغَيُورَ فِي تَارِيخِ الْأُمَّمِ وَحَضَارَاتِ الشُّعُوبِ، لَيَعْجَبُ

(١) الْأَرْعَنُ: الْأَهْوَجُ فِي مَنْطِقِهِ وَفِعْلُهُ. يُظَرُّ: «اللسان» (رعن).

(٢) فِي «الْمُسْنَدِ» (٥٠/٢) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) بِرَقْمِ (٤٠٣١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَيَحَارُ مِنَ التَّقَلُّبَاتِ الطَّارِئَةِ، وَالتَّغْيِرَاتِ الْمَفَاجِئَةِ! وَنَحْنُ أُمَّةٌ لَهَا
حَضَارَتُهَا وَمِيزَاتُهَا، فَأَمَّتْنَا مَتَّبِعَةٌ لَا تَابِعَةَ، قَائِدَةٌ لَا مَقُودَةَ.

فَالِى الْمُنْهَزِمِينَ مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا، السَّائِرِينَ فِي سَرَادِيبِ التَّغْرِيبِ،
وَأَنْفَاقِ التَّيَعِّيَةِ: حَذَارٍ مِنَ التَّطْوِيحِ^(١) فِي مَهَاوِي الْعَدَمِ، وَبُؤْرِ^(٢) الْفَنَاءِ
الَّتِي يَقْدِفُ بِهَا طُوفَانُ الْعَوْلَةِ الْحَدِيثَةِ، فِي نَسْفِ لِقِيمِ، وَتَضْيِيعِ لِلْهُوِيَّةِ،
فِي دَعَوَاتٍ مُدَوِّيَّةٍ مُرِيَّةٍ، يَكُونُ لَهَا رَجْعُ الصَّدَى فِي بَعْضِ النُّفُوسِ
الْمَرِيضَةِ، وَمِنْ أَسْفٍ أَنْ تَكُونَ مِنْ بَعْضِ الْمُفْتُونِينَ بِوَيْصِ^(٣) حَضَارَةِ،
مِنْ ثَلَّةٍ مِنْ حَمَلَةِ الْأَقْلَامِ، وَرِجَالِ الْإِعْلَامِ الْمُتَسَبِّينَ إِلَى قُشُورِ ثِقَافِيَّةٍ!

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا
هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْنَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف]،
وَإِنَّ مَصِيرَ الْعَالَمِ لَيْسَ بِيَدِ الشَّرْقِ وَلَا الْعَرَبِ، وَإِنَّمَا هُوَ بِيَدِ مَلِكِ

(١) طَاحَ يَطُوحُ وَيَطِيحُ: هَلَكَ أَوْ أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ، وَطَوَّحَهُ: بَعَثَهُ إِلَى أَرْضٍ لَا
يَرْجِعُ مِنْهَا. يُنْظَرُ: «تَاجُ الْعُرُوسِ» (طُوح).

(٢) الْبُؤْرَةُ: بِالضَّمِّ -: الْخُفْرَةُ يُطْبَخُ فِيهَا، وَجَمْعُهَا: بُؤْرٌ. يُنْظَرُ: «تَاجُ الْعُرُوسِ» (بَار).

(٣) الْوَيْصُ: الْبَرِيْقُ. يُنْظَرُ: الْلِسَانُ (وَيْص).

المُلوِك: المُدبِّر القَاهِر، العَزِيز المُقْتَدِر، مُصَرِّف الأَكْوَان، وَمُدبِّر الأَحْوَال
وَالأَزْمَان، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

فَالِى الدِّينِ - يَجِبُطُونَ فِي الْقَضَايَا حَبِطَ عَشْوَاءٍ؛ لِيَحِلُّوا عِقْدَ
عَقِيدَتِنَا، وَيُسْتَتُوا حَبَاتَهُ؛ وَيَتَضُّوا عَلَى الْبَقِيَّةِ الْبَاقِيَّةِ مِنْ تَأَلُّقِهِ؛ لِتَمْرِيرِ
خُطَطٍ وَمُؤَامِرَاتٍ ضِدَّ مُجْتَمَعَاتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ، تَحْتَ شِعَارَاتٍ
مَشْبُوهُةٍ، وَأَبْوَاقٍ مَفْضُوْحَةٍ، وَأَقْلَامٍ مَكْشُوْفَةٍ -: رُوَيْدُكُمْ! فَفِي عَقِيدَةِ
الْأُمَّةِ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مَا يَحْجِزُهَا عَنْ تَصْديقِ هَذِهِ التَّرَاهَاتِ (١)، وَتَلَقُّفِ
تِلْكَ الشَّائِعَاتِ!! وَكَفَى الْأُمَّةَ مَا تَلْقَاهُ مِنْ كَيْدٍ وَتَحْذِيَّاتٍ!

وَإِنَّ الْوَاجِبَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَمُؤَسَّسَاتِهِ، وَالْجِهَاتِ الدَّعْوِيَّةِ،
وَالهَيْئَاتِ الْإِصْلَاحِيَّةِ فِي الْأُمَّةِ، الْمُبَادَرَةَ إِلَى تَطْوِيقِ هَذِهِ الْفِتَنِ، وَرَبْطِ
النَّاسِ بِالْمَرَاَجِعِ الْمَوْثُوْقَةِ، وَتَقْيِيْدِهِمْ بِالْمَصَادِرِ الْمَأْمُونَةِ، الَّتِي تُمَثِّلُ مِنْهَا
مُؤْتَمِنًا فِي عَقِيدَةِ الْأُمَّةِ وَمَنْهَجِهَا، وَالْحُكْمِ عَلَى النَّوَازِلِ وَالْمُسْتَجِدَّاتِ فِيهَا
مِنْ مَنْظُورِ عَقْدِيٍّ وَتَأْصِيلِ شَرْعِيٍّ.

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ: وَمَعَ أَنَّ الْعَالَمَ يَعِيشُ عَصْرَ الْمَدَنِيَّاتِ

(١) التَّرَاهَاتِ: الأَبَاطِيلُ، وَاحِدَتُهَا تَرَاهَةٌ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ: الطَّرْقُ الصَّغَارُ الْمَتَشَعِبَةُ عَنِ
الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (تره).

والتَّقْنِيَّاتِ، الَّتِي يُفْتَرَضُ أَنَّهَا تُنَاوِيُ الخُرَافَةَ، وَتُنَاقِضُ الشَّعْوَذَةَ،
وَمُحَارِبُ الدَّجَلِ، فَإِنَّهُ يَحِقُّ لِلغَيُورِ أَنْ يَتَسَاءَلَ: هَلْ نَأَتْ هَذِهِ
الْحَضَارَاتُ وَالثَّقَافَاتُ عَنِ الشَّعْوَذَاتِ^(١) وَالخُرَافَاتِ؟

والجوابُ - بِكُلِّ أَسْفٍ -: لَقَدْ تَطَوَّرَتْ بِتَطَوُّرِ الزَّمَنِ، وَدَخَلَتْ
مَجَالَاتٍ شَتَى فِي الاقْتِصَادِ وَالاجْتِمَاعِ وَغَيْرِهِمَا؛ طَلَبًا لِلحِظِّ بِزَعْمِهِمْ،
نَاهِيكُمُ عَمَّا يَرَوُّجُ فِي أَوْسَاطِ العَامَّةِ مِنَ التَّعَلُّقِ بِالأَبْرَاجِ وَالمَطَالِيعِ، مِمَّا
يَدْعُو إِلَى الأَسَى وَالأسْفِ!! فَغَرِيبٌ يَا أَهْلَ العَقِيدَةِ، وَعَجِيبٌ يَا حَمَلَةَ
الشَّرِيعَةِ أَنْ يَنْسَاقَ النَّاسُ وَرَاءَ الشَّائِعَاتِ وَالأَوْهَامِ، وَيَسْتَسَلِمُوا
لِلخَيَالَاتِ وَالأَحْلَامِ!!!

إِنَّ حَقًّا عَلَى أَهْلِ العَقِيدَةِ وَالإِسْلَامِ، أَنْ يَذْرِفُوا الدَّمْعَ السَّجَامَ^(٢)
عَلَى انْتِشَارِ هَذِهِ الخُزَعِيَّاتِ وَالأَوْهَامِ، وَفِي المُقَابِلِ مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ أُمَّةِ
الإِسْلَامِ فِي كَثِيرٍ مِنَ البِقَاعِ، بَدَأَ بِقَضِيَّتِنَا الكُبْرَى: قَضِيَّةُ أَوْلَى القِبْلَتَيْنِ،
وَمَسْرَى سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ - فَكَّ اللّهُ أَسْرَهُ وَأَقْرَّ الأَعْيُنَ بِشُمُوحِهِ وَتَحَرَّرَهُ -

(١) الشَّعْوَذَةُ: خِيفَةٌ فِي اليَدِ، وَأَخْذٌ كَالسَّحْرِ يُرَى الشَّيْءَ بِغَيْرِ مَا عَلَيْهِ أَصْلُهُ فِي رَأْيِ
العَيْنِ. يُنْظَرُ: «القَامُوسُ المَحِيطُ» (شَعَدَ).

(٢) سَجَمَ الدَّمْعُ وَالْعَيْنُ وَالمَاءُ، يَسْجُمُ سِجُومًا وَسِجَامًا: إِذَا سَالَ. يُنْظَرُ: «النِّهَايَةُ فِي
غَرِيبِ الحَدِيثِ وَالأَثَرِ» (سَجَمَ).

وَمُرُورًا بِأَحْوَالِ إِخْوَةِ الْعَقِيدَةِ عَلَى ثَرَى كِشْمِيرٍ، وَمَا فُجِعْنَا بِهِ مِنْ تَتَابُعِ
الرِّلَازِلِ عَلَى إِخْوَانِنَا فِي تُرْكِيَا، مِمَّا خَلَفَ آثَارًا وَدَمَارًا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَدِرَّ
عَطْفَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ؛ فَيُسَهِّمُوا فِي إِغَاثَةِ إِخْوَانِهِمُ الْمُنْكَوِبِينَ، وَيَرْفَعُوا
أَكْفَ الصَّرَاعَةِ بِالِدُّعَاءِ لَهُمْ.

أَلَا فَلْيُحْسِنِ اللَّهُ عَزَاءَهُمْ! وَلْيَجْبُرْ مُصَابِهِمْ! وَوَقَى اللَّهُ بِلَادَ
الْمُسْلِمِينَ شُرُورَ الْحَوَادِثِ وَالْكَوَارِثِ، وَشَكَرَ اللَّهُ لِدَوِي الْجُهُودِ الْحَيَّةِ
فِي بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - رُعَاةً وَرَعِيَّةً، وَوَقَّقَ مَسَاعِيهِمْ فِي إِغَاثَةِ
الْمُنْكَوِبِينَ، وَنُصْرَةَ قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ؛ وَأَنْتِهَاءً بِالْأَحْوَالِ الْمَأْسَاوِيَّةِ عَلَى
أَرْضِ الْقَوْقَازِ، وَمَأْسَاةِ إِخْوَانِنَا فِي الشَّيْشَانِ الَّتِي بَلَغَتْ حَدًّا مِنْ
الْبَشَاعَةِ لَا يَسَعُ السُّكُوتُ عَلَيْهِ، فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَإِلَى اللَّهِ الْمُسْتَكَى،
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ !!!

أَيُّ عَيْنٍ يَجْمَلُ بِهَا أَنْ تَسْتَبْقِيَ فِي مَاقِيهَا قَطْرَةً وَاحِدَةً مِنْ
الدَّمُوعِ؟ فَلَا تَجُودُ بِهَا أَمَامَ هَذِهِ الْأَوْضَاعِ الْمُؤَلِّمَةِ، وَالْمَنَاظِرِ الْمُحْزِنَةِ
وَالْأَخْبَارِ الْمُرْوَعَةِ، وَاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَغْيَرُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى دِينِهِ أَنْ
يُسْعِدَ أَقْوَامًا لَمْ يَقْدِرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ. بَلْ مَا يَرَى مِنْ سَلْبِ النِّعَمِ،
وَحُصُولِ النِّقَمِ، وَتَتَابُعِ النُّذْرِ، وَكَثْرَةِ الْعِبْرِ، وَتَسْلِيطِ الْأَعْدَاءِ، مَا هُوَ إِلَّا
سَبَبُ تَغْيِيرِ الْعِبَادِ وَتَفْرِيطِهِمْ ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ

يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ آفَلًا مَرَدَّةً لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ [الرعد].

وَاللَّهِ لَنْ يَسْتَرْجِعَ الْمُسْلِمُونَ سَالِفَ مَجْدِهِمْ، وَلَنْ يَبْلُغُوا قِمَّةَ عَزْهِمْ وَنَضْرِهِمْ، إِلَّا بِاسْتِرْجَاعِ مَا فَرَّطُوا فِيهِ مِنْ أَمْرِ عَقِيدَتِهِمْ. وَإِنَّ السَّلَاحَ الْمَضَاءَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَحْمِلَهُ الْأُمَّةُ - فِي عَالَمٍ يَمُوجُ بِالْمُتَغَيِّرَاتِ، وَيَنْوَأُ بِالتَّحْدِيَّاتِ - هُوَ سِلَاحُ الْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ.

وَإِذَا كَانَ السَّاسَةُ وَالْاِقْتِصَادِيُّونَ، وَأَرْبَابُ الْفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ وَالْإِعْلَامِيِّونَ، يَتَحَدَّثُونَ عَنْ كَيْفِيَّةِ اسْتِقْبَالِ الْعَالَمِ لِلْأَلْفِيَّةِ الثَّالِثَةِ، فَإِنَّ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ مُطَالِبَةٌ أَلَّا يَزِيدَهَا مُرُورُ الْأَيَّامِ، وَتَعَاقُبُ الْقُرُونِ وَالْأَعْوَامِ، إِلَّا تَمَسَّكَ بِثَوَابِتِهَا، وَاعْتِزَّازًا بِمَبَادِئِهَا، وَتَحْقِيقًا لَوَحْدَتِهَا، لِتَكُونَ - كَمَا أَرَادَ اللَّهُ - خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَالْوَحْدَةُ وَالتَّوْحِيدُ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ وَسَائِلِ الطَّرِيقِ، هُوَ سِلَاحُنَا الْفَاعِلُ لِدُخُولِ الْقَرْنِ الْجَدِيدِ.

وَآخِرًا: أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ، بَدَتِ الصُّورَةُ قَاتِمَةً؛ نَتِيجَةُ الْجُرْحِ الْعَمِيقِ الَّذِي نَكَأَتْهُ الْإِنْجِرَافَاتُ فِي عُقُولِ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ، حَتَّى أَثَرَ ذَلِكَ فِي أَوْضَاعِهَا، فَإِنَّ الْأَمَالَ مَعْقُودَةٌ - بَعْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى حَمَلَةِ الْعَقِيدَةِ، وَعُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ، وَأَرْبَابِ الدَّعْوَةِ وَالْإِصْلَاحِ فِي الْأُمَّةِ؛ لِلسَّيْرِ عَلَى خُطَى جَادَةٍ، وَمَنْهَجِيَّةٍ صَحِيحَةٍ، تَتَّبَعُهَا جُهُودٌ عَظِيمَةٌ، تَجْمَعُ بَيْنَ أَصَالَةِ

الْمَاضِي وَتَقَانَاتٍ^(١) الْوَاقِعِ؛ لِتُؤَاكِبَ الْأُمَّةَ تَحْدِيَّاتِ الْعَصْرِ، وَتُؤَاجِهُهَا
بِأَسَالِيْبِهِ وَوَسَائِلِهِ، لِإِنْفَاقِ التَّائِهِيْنَ فِي دُرُوبِ الْبَاطِلِ وَالْوَهْمِ، بِأَسَالِيْبِ
حَكِيْمَةٍ، تُحَقِّقُ الْمَصَالِحَ وَتَدْرَأُ الْمَفَاسِدَ بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَكَانَ اللَّهُ فِي عَوْنِ كُلِّ عَامِلٍ مُخْلِصٍ لِعَقِيدَتِهِ وَجُمُعَةٍ وَأُمَّتِهِ

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦٩)
[العنكبوت]. نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ،
أَقُولُ مَا سَلَفَ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي وَلَكُمْ فِي مَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ
عَوْضًا مِنْ كُلِّ خَلْفٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، فَهُوَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ،
وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

(١) تَقَانَاتٍ: جَمْعُ تَقَانَةٍ، وَالتَّقْنُ بِالْكَسْرِ: مَا يَقُومُ بِهِ الْمَعِاشُ، وَيَصْلُحُ بِهِ التَّدْبِيرُ،
كَالْحَدِيدِ وَغَيْرِهِ مِنْ جَوَاهِرِ الْأَرْضِ. يُنْظَرُ: «تَاجُ الْعُرُوسِ» (تَقْن).

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَظْمٍ مَلَكُوتُهُ فَاقْتَدَرَ، وَعَزَّ سُلْطَانُهُ فَقَهَرَ، أَحْمَدُهُ
- تَعَالَى - وَأَشْكُرُهُ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَحْفَظَنَا وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ضَرَرٍ،
وَيَحْمِينَا وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ، كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ، سَيِّدُ الْبَشَرِ، الشَّافِعُ الْمُسْتَفْعُ فِي الْمَحْشَرِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم
وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ السَّادَةِ الْغُرَرِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ
بِإِحْسَانٍ، مَا اتَّصَلَتْ عَيْنٌ بِنَظَرٍ، وَأُذُنٌ بِخَبْرٍ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - فَإِنَّ مِنْ اتَّقَاهُ وَقَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ
حَفِظَهُ وَكَفَاهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ
مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.
أَيُّهَا الْإِخْوَةَ فِي اللَّهِ: فِي الْوَقْتِ الَّذِي رَفَعَتْ فِيهِ بَعْضُ
الْمُنْظَمَاتِ الْمَشْبُوهَةِ، وَالْقَنَوَاتِ الْمَفْضُوحَةِ عَقِيرَتَهَا^(١) ضِدَّ بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ

(١) عَقِيرَةُ الرَّجُلِ: صَوْتُهُ إِذَا غَنَّى أَوْ قَرَأَ أَوْ بَكَى. يُنْظَرُ «اللِّسَانُ» (عقر).

الشَّرِيفِينَ - حَرَسَهَا اللَّهُ - فِي وَقُوفِهَا الْمَوْقِفَ الْحَقَّ مِنْ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ
 الْمُنْبِقَةِ مِنْ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ، وَتَعَالَتْ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - صِيحَاتُ الْاسْتِنكَارِ
 الْإِسْلَامِيَّةِ، وَقَرَارَاتُ الْإِنْصَافِ الْعَالَمِيَّةِ؛ لَمَّا يُمَثَّلُهُ الْاِفْتِرَاءُ عَلَيْهَا مِنْ
 طَعْنَةٍ فِي جَوْهَرِ الْإِسْلَامِ، وَتِلْكَ شَنْشِنَةُ^(١) مَعْرُوفَةٌ مِنْ أَخْزَمِ^(٢)، فَلَنْ
 تُؤَثِّرَ - بِإِذْنِ اللَّهِ - عَلَى تَمَسُّكِنَا بِثَوَابِنِنَا، وَاعْتِرَازِنَا بِإِسْلَامِنَا، مَهْمَا حَاوَلَ
 خَفَافِيشُ الظَّلَامِ، إِسْدَالَ السُّتَارِ عَلَى عُقُولِ الْبَعْضِ، فَلَنْ يَجُجِبَ نُورَ
 الشَّمْسِ كَفِّ دَعْيِي مَا فُونِ^(٣) ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
 النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف].

(١) الشَّنْشِنَةُ: الطَّبِيعَةُ وَالسَّجِيَّةُ وَالْعَادَةُ. يُنْظَرُ «تَاجُ الْعُرُوسِ» (شَنْن).

(٢) هَذَا مِثْلُ مَعْرُوفٍ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَذَكَرَ فِي مَعْنَاهُ مَا نُقِلَ عَنِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ أَنَّ هَذَا
 الشَّعْرَ لِأَبِي أَخْزَمِ الطَّائِيِّ - وَهُوَ جَدُّ أَبِي حَاتِمٍ أَوْ جَدُّ جَدِّهِ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ:
 أَخْزَمٌ، وَقِيلَ: كَانَ عَاقًا، فَمَاتَ وَتَرَكَ بَنِينَ فَوَثَبُوا يَوْمًا عَلَى جَدِّهِمْ أَبِي أَخْزَمِ
 فَأَذَمُّوهُ، فَقَالَ:

إِنَّ بَنِي زَمَلُونِي بِالْدَّمِ شَنْشِنَةُ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْزَمِ

يُنْظَرُ: «تَهْذِيبُ اللَّغَةِ» (خَزَم).

(٣) الْمَافُونُ: الضَّعِيفُ الرَّأْيِ وَالْعَقْلُ، وَالْمَتَمَدِّحُ بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُ. يُنْظَرُ: «الْقَامُوسُ
 الْمَحِيطُ» (أَفْن).



إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: مِنْ رِعَايَةِ حَقِّ الْإِنْسَانِ تَحْقِيقُهُ لِلْعَقِيدَةِ
الصَّحِيحَةِ، وَالْمَنْهَجِ السَّلِيمِ، وَنَظَرْتُهُ الصَّحِيحَةَ لِلْكَوْنِ وَالْحَيَاةِ،
وَتَفْوِيضُهُ الْأُمُورَ كُلَّهَا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؛ وَعَدَمُ التَّشَاؤُمِ وَالتَّطَيُّرِ بِبَعْضِ
الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ، وَالْأَوْقَاتِ وَالْأَعْوَامِ، وَالطُّيُورِ وَالْأَرْقَامِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا
يَتَعَلَّقُ بِهِ بَعْضُ الْعَامَّةِ مِنَ الْأَوْهَامِ فِي شَهْرِ صَفَرٍ وَغَيْرِهِ.

ففي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ وَلَا هَامَّةَ وَلَا صَفَرَ»^(١).

فَيَا أَبْنَاءَ الْعَقِيدَةِ: حَذَارِ أَنْ تَعَبَثَ الْحَيَالَاتُ بِعُقُولِكُمْ،
وَتَسْتَسْلِمُوا لِلْأَفَاكِينِ وَالْمُغْرِضِينَ !! وَذَلِكَ أَعْلَى تَكْرِيمٍ لِلْإِنْسَانِ فِي
الْحِفَازِ عَلَى دِينِهِ وَعَقْلِهِ، وَنَفْسِهِ وَمَالِهِ وَعَرْضِهِ، فَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ
الْمُتَحَرِّضُونَ^(٢) وَالْمُتَقَوِّلُونَ، وَلْيُخَسِّ^(٣) الْمُغْرِضُونَ وَالشَّائِثُونَ^(٤)،
وَاللَّهُ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَهُوَ مَوْلَانَا، فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ.

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٢) الْمُتَحَرِّضُونَ: الْكَذَابُونَ، تَحَرَّصَ فَلَانُ الْبَاطِلِ، وَاخْتَرَصَهُ: اخْتَلَقَهُ وَافْتَعَلَهُ. يُنْظَرُ:
«تهذيب اللغة» (خرص).

(٣) الْحَاسِي: الْبَعِيدُ، وَقِيلَ: الْمَطْرُودُ، يُنْظَرُ: «اللسان» (خسأ).

(٤) الشَّائِثُونَ: الْمُبْغِضُونَ، وَشَتَأَ: أَبْغَضَ، وَشَتَانُ: بَغِيضٌ. يُنْظَرُ: «اللسان» (شئأ).

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ، كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ اللَّطِيفُ
الْحَبِيرُ، فَقَالَ - تَعَالَى - قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

الْأَثَرُ الْأَيْبِيُّ

لِاسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِ الْحُسَيْنِيِّ

الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ
فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

عِبَادَ اللَّهِ: تَتَضَاءَلُ الْمَعَارِفُ وَالْعُلُومُ أَمَامَ الْعِلْمِ بِأَشْرَفِ

مَعْلُومٍ، وَهُوَ الْعِلْمُ بِاللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ

إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فَأَفْضَلُ مَا عَرَفَ الْعِبَادُ، رَبَّهُمْ وَخَالِقَهُمْ

وَبَارِئَهُمْ - سُبْحَانَهُ - وَمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَنُعُوتِ الْجَلَالِ
وَالْجَمَالِ؛ إِذْ شَرَفَ الْعِلْمَ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ؛ لِذَلِكَ كَانَ الْعِلْمُ بِاللَّهِ وَبِأَسْمَائِهِ
وَصِفَاتِهِ، أَشْرَفَ الْعُلُومِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

كَمَا أَنَّ مِنْ مُقْتَضِيَّاتِ الْإِيْمَانِ وَصَمِيمِ الْعَقِيدَةِ، وَصِحَّةِ التَّوْحِيدِ: أَنْ
يُؤْمِنَ الْعَبْدُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى، وَمَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ،
كَانَ مِنْهُ أَخْوَفَ، وَأَشَدُّ النَّاسِ خَشِيَّةً لِلَّهِ هُمُ الْعُلَمَاءُ الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ،
وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَقَدْ جَاءَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِالْعِنَايَةِ بِهَذَا الْقِسْمِ مِنْ أَقْسَامِ تَوْحِيدِ
الْعِبَادِ لِرَبِّهِمْ، بَلْ لَا تَكَادُ تَخْلُو آيَةٌ مِنْ آيَاتِهِ مِنْ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى،
أَوْ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْعِلْمِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَالْقُرْآنُ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ
أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، أَكْثَرُ مِمَّا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ
وَالنِّكَاحِ فِي الْجَنَّةِ، وَالآيَاتِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِذِكْرِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، أَعْظَمُ قَدْرًا
مِنْ آيَاتِ الْمَعَادِ، فَأَعْظَمُ آيَةٌ فِي الْقُرْآنِ، آيَةُ الْكُرْسِيِّ الْمُتَضَمِّنَةُ لِذَلِكَ»^(١)،
وَأَفْضَلُ سُورَةٍ: سُورَةُ أُمِّ الْقُرْآنِ^(٢)، وَفِيهَا مِنْ ذِكْرِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ،

(١) كما في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم (٨١٠).

(٢) كما في حديث أبي سعيد بن المعلی رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري (٤٤٧٤).



أَعْظَمُ مِمَّا فِيهَا مِنْ ذِكْرِ الْمَعَادِ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]،
تَعَدَّلَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ^(١)، وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ - أَيْضًا - أَنَّهُ بَشَرٌ الَّذِي كَانَ
يَقْرُؤُهَا وَيَقُولُ: إِنِّي لِأَجِبُّهَا لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، بِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ^(٢)، فَبَيَّنَ أَنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ يُحِبُّ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ^(٣). انْتَهَى كَلَامُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ.

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: إِذَا كَانَ مِنَ الْمُتَقَرَّرِ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - خَلَقَ
الْحَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ؛ فَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَعْبُدُوهُ دُونَ أَنْ يَعْرِفُوهُ؟!
بَلْ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهِمْ لَهُ - سُبْحَانَهُ - لِيُحَقِّقُوا الْحِكْمَةَ الْعُظْمَى،
وَالْغَايَةَ الْكُبْرَى مِنْ إِيجَادِهِمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَالْاهْتِمَامَ بِمَعْرِفَتِهِ - سُبْحَانَهُ -
اهْتِمَامًا بِمَا خَلَقَ الْعِبَادَةَ لَهُ، وَإِهْمَالَ ذَلِكَ تَضْيِيعًا لِمَا مِنْ أَجْلِهِ خُلِقُوا.
وَإِنَّ مِنَ الزَّرَايَةِ^(٤) بِالْعَبْدِ - وَنَعَمُ الْمَوْلَى عَلَيْهِ تَتْرَى، وَفَضْلُهُ عَلَيْهِ

(١) كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري (٥٠١٣)، وحديث
أبي الدرداء رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم (٨١١).

(٢) كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - الذي أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم
(٨١٣).

(٣) يُنظر: «درء تعارض العقل والنقل» (٥/٣١٠).

(٤) الزَّرَايَةُ: من الازدراء: أي الاحتقار والانتقاص. يُنظر: «اللسان» (زري).



يَتَوَالِي - أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا بِرَبِّهِ، مُعْرِضًا عَنِ مَعْرِفَتِهِ، وَالْعِلْمُ بِأَسْمَائِهِ
وَصِفَاتِهِ؛ إِذْ يَقْدِرُ ذَلِكَ زَيْدٌ إِيمَانُهُ، وَيَقْوَى يَقِينُهُ، فَالْعِلْمُ بِالْأَسْمَاءِ
وَالصِّفَاتِ يُورِثُ الْآثَارَ الْعَظِيمَةَ عَلَى حَيَاةِ الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ، فَيَحْيَا الْحَيَاةَ
الطَّيِّبَةَ، وَيَسْعَدُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ.

يَقُولُ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَالْعِلْمُ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى
أَصْلٌ لِلْعِلْمِ بِكُلِّ مَعْلُومٍ، فَإِنَّ الْمَعْلُومَاتِ بِسِوَاهِ - سُبْحَانَهُ - إِمَّا أَنْ تَكُونَ
خَلْقًا لَهُ - تَعَالَى - أَوْ أَمْرًا، وَمَصْدَرُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ عَنِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى،
وَهُمَا مُرْتَبِطَانِ بِهَا اِزْتِبَاطَ الْمُقْتَضَى بِمُقْتَضِيهِ، فَمَنْ أَحْصَى أَسْمَاءَهُ كَمَا
يَنْبَغِي لِلْمَخْلُوقِ؛ أَحْصَى جَمِيعَ الْعُلُومِ؛ لِأَنَّ الْمَعْلُومَاتِ هِيَ مِنْ مُقْتَضَاهَا
وَمُرْتَبِطَةٌ بِهَا»^(١).

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَصْبَهَانِيُّ: «فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَعْرِفُوا
أَسْمَاءَ اللَّهِ وَتَفْسِيرَهَا؛ فَيُعْظَمُوا اللَّهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ رَجُلٌ
أَنْ يَتَزَوَّجَ إِلَى رَجُلٍ أَوْ يُزَوِّجَهُ، أَوْ يُعَامِلَهُ، طَلَبَ أَنْ يَعْرِفَ اسْمَهُ
وَكَنْيَتَهُ وَاسْمَ أَبِيهِ وَجَدِّهِ، وَسَأَلَ عَنِ صَغِيرِ أَمْرِهِ وَكَبِيرِهِ، فَاللَّهُ
- الَّذِي خَلَقْنَا وَرَزَقْنَا، وَنَحْنُ نَرْجُو رَحْمَتَهُ وَنَخَافُ مِنْ سَخَطِهِ - أَوْلَى

(١) يُنظَرُ: «بدائع الفوائد» (١/ ١٧٠).

أَنْ نَعْرِفَ أَسْمَاءَهُ وَتَفْسِيرَهَا» (١).

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: لَقَدْ دَرَجَ سَلَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - عَلَى الْمَنْهَجِ الْأَسْمَى وَالطَّرِيقِ الْأَسْنَى، فِي صِفَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَاتَّفَقُوا عَلَى الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِهَا وَالتَّصَدِيقِ لَهَا، وَإِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - لِنَفْسِهِ، وَأَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ ﷺ، وَنَفِي مَا نَفَاهُ - سُبْحَانَهُ - عَنْ نَفْسِهِ، وَنَفَاهُ عَنْهُ رَسُولُهُ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَلَا تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، كَمَا قَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى]، وَقَالَ

- جَلَّ وَعَلَا -: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (٦٥) [مريم].

يَقُولُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «لِلَّهِ - تَعَالَى - أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ جَاءَ بِهَا كِتَابُهُ، وَأَخْبَرَ بِهَا نَبِيُّهُ أُمَّتَهُ، لَا يَسَعُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ قَامَتٌ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، رَدُّهَا» (٢).

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَلَا يَبْلُغُ الْوَاصِفُونَ كُنْهَ عَظَمَتِهِ، الَّذِي هُوَ كَمَا

(١) يُنْظَرُ: «الْحُجَّةُ فِي بَيَانِ الْمَحْجَةِ» (١/١٣٤).

(٢) أَخْرَجَهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي يَعْلَى فِي «طَبَقَاتِ الْخَنَابِلَةِ» (١/٢٨٣)، وَابْنُ قِدَامَةَ الْمَقْدِسِي

فِي «إِثْبَاتِ صِفَةِ الْعُلُوِّ» (ص ١٢٤).

وَصَفَ نَفْسَهُ، وَفَوْقَ مَا يَصِفُهُ بِهِ خَلْقُهُ»^(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: سَمِعْتُ نَعِيمَ بْنَ حَمَّادٍ يَقُولُ:

«لَيْسَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا رَسُولُهُ تَشْبِيهَا»^(٢).

وَرُوِيَ عَنِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ

الْمُبَارَكِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - أَنَّهُمْ قَالُوا فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ: «أَمْرُوهَا كَمَا

جَاءَتْ بِهَا كَيْفٍ»^(٣).

وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ حِينَ سُئِلَ عَنِ الْاِسْتِوَاءِ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه] كَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: «الْاِسْتِوَاءُ

مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْاِیْمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ

بِدْعَةٌ»^(٤).

(١) يُنظر: «الرسالة» (٨/١).

(٢) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٧٢).

(٣) أخرجه الحلال في «السنة» (٢٥٩/١)، وابن بطة في «الإبانة» (٢٤١/٣)،

واللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» (٥٢٧/٣)، والبيهقي في «السنن

الكبرى» (٢/٣)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٤٩/٧).

(٤) أخرجه اللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» (٣٩٨/٣)، والبيهقي في

«الأسماء والصفات» (١٥٠، ١٥١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٢٥/٦).

فَهَذِهِ - إِخْوَةٌ الْإِسْلَامِ - عَقِيدَةُ السَّلَفِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ،
تَلَقَّاهَا التَّابِعُونَ، وَتَوَاصَوْا بِهَا جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، مُحَذِّرِينَ مَنْ مُخَالَفَتِهَا،
وَالْمَيْلِ عَنْهَا وَالشَّطَطِ^(١) فِيهَا، وَدَانَ لَهَا أَيْمَّةُ السَّلَفِ وَاتَّبَاعُهُمْ بِإِحْسَانٍ.

كَيْفَ لَا؟ وَقَدْ زَكَّاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ! يَقُولُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَإِنَّ

ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ نَوَلُوا فَمَا نَمَّاهُمْ فِي شِقَاقِ ﴿
[البقرة: ١٣٧]. فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعِبَادِ السَّيْرِ عَلَى مَا سَارُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّهُمْ
كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ، وَالذِّينِ الْقَوِيمِ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: وَمِنْ أُبْرَزِ مَنَاهِجِ السَّلَفِ وَعَقِيدَتِهِمْ فِي هَذَا
الْبَابِ، الْإِثْبَاتُ وَالنَّفْيُ، عَلَى مُقْتَضَى النُّصُوصِ، وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ النُّقْلُ
الصَّحِيحُ الَّذِي لَا يُخَالِفُ الْعَقْلَ الصَّرِيحَ، أَمَّا إِعْمَالُ الْعُقُولِ الْمَجْرَدَةِ فِي
هَذَا الْبَابِ الْعَظِيمِ، فَهُوَ مِنَ الْإِلْحَادِ الْمَذْمُومِ.

يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -^(٢):

أَسْمَاؤُهُ أَوْصَافٌ مَدْحٌ كُلُّهَا مُشْتَقَّةٌ قَدْ جُمِلَتْ لِمَعَانٍ

(١) الشَّطَطُ: الْبُعْدُ - وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا - وَقِيلَ: النَّقْصَانُ، وَقِيلَ: الْجَوْرُ. يَنْظُرُ: «اللسان»
(شطط).

(٢) يُنْظَرُ: «القصيدة النونية» بشرح ابن عيسى (٢/٢٥١).



إِيَّاكَ وَالْإِحَادَ فِيهَا إِنَّهُ كُفْرٌ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ كُفْرَانٍ
وَحَقِيقَةٌ الْإِحَادِ فِيهَا الْمَيْلُ بِالْإِشْرَاكِ وَالتَّعْطِيلِ وَالنُّكْرَانِ
وَمِنَ الْقَوَاعِدِ الْمُثَلَّى فِي صِفَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، أُمَّهَا
تَوْقِيفِيَّةٌ^(١)، لَا تَجُوزُ إِلَّا بِالِدَّلِيلِ النَّقْلِيِّ.

لَكِنَّهَا فِي الْحَقِّ تَوْقِيفِيَّةٌ لِنَابِذِ أَدِلَّةٍ وَفِيَّهِ^(٢)

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: إِنَّ تَحْقِيقَ الْإِيمَانِ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، يَقْتَضِي
الْعِلْمَ بِمَعْنَاهَا، وَالْعَمَلَ بِمُقْتَضَاهَا، وَأَنْ تُرَى آثَارُ الْإِيمَانِ بِهَا فِي حَيَاةِ
الْعَبْدِ وَالْأُمَّةِ وَقَعًا مَلْمُوسًا، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا؛ وَعَمَلًا مُشَاهِدًا
مَحْسُوسًا.

وَهَذِهِ وَقَفَاتٌ فِي ظِلَالِ بَعْضِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، وَقُطُوفٌ مِنْ
مَعَانِيهَا، وَشَدْرَاتٌ مِنْ آثَارِهَا.

فَاللَّهُ: هُوَ الَّذِي تَأَلَّهُهُ الْقُلُوبُ بِالْحُبِّ وَالْمَوَدَّةِ وَالتَّعْظِيمِ، وَمَنْ
آمَنَ بِهِ اقْتَضَاهُ ذَلِكَ: تَوْحِيدُهُ، وَإِفْرَادُهُ بِالْعِبَادَةِ، وَالبُعْدَ عَنِ الْإِشْرَاكِ
بِهِ، فَهَلْ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ، وَعَمَدَ إِلَى الْقُبُورِ وَالْأَضْرِحَةِ يَسْأَلُهَا مِنْ

(١) معنى توقيفية: أي: لا اجتهاد فيها.

(٢) يُنظر: «العقيدة السَّفَارِينِيَّة» (ص ٥٢).



دُونَ اللَّهِ؛ قَدْ حَقَّقَ الْإِيْمَانَ بِهَذَا الْاسْمِ الْعَظِيمِ، وَإِنْ تَسَمَّى بِهِ؟!
 وَمِنْ أَسْمَائِهِ - سُبْحَانَهُ - الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ: فَكُلُّ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ
 نِعَمٍ وَأَلَاءٍ فِيهِ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ، فَبِعْتَهُ الرُّسُلَ، وَإِنْزَالَ الْكِتَابِ،
 وَالْأَمْنُ وَالْإِطْمِئْنَانُ، وَالرَّغَدُ وَالصَّحَّةُ، وَالْمَالُ وَالْوَلَدُ، وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ،
 وَالْمَطَرُ وَالنَّبَاتُ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ، فَهُوَ - سُبْحَانَهُ - أَرْحَمُ بِهِمْ
 مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا! ^(١) فَمَا وَجِدَتْ مِنْ نِعْمَةٍ وَلَا دَفَعَتْ مِنْ نِقْمَةٍ،
 إِلَّا وَهِيَ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - الَّتِي عَمَّتِ الْوُجُودَ وَشَمِلَتْ كُلَّ
 مَوْجُودٍ.

وَهُوَ - جَلَّ وَعَلَا - السَّمِيعُ الْبَصِيرُ: الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ
 ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿٥﴾ [آل عمران]، يَرَى
 دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ، عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّيِّءِ، فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ ^(٢) ﴿يَعْلَمُ
 خَافِيَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ﴿١١﴾ [غافر]، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، قَالَ
 - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِنْ يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ ﴿٧﴾ [طه].

(١) كما في حديث عمر بن الخطاب ؓ الذي أخرجه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

(٢) يُنظر: «مدارج السالكين» (٣/٢٥٣).

يَا مَنْ يَرَى 'مَدَّ البَعُوضِ جَنَاحَهَا
وَيَرَى 'نِيَاطَ عُرُوقِهَا فِي نَحْرِهَا
وَيَرَى 'مَكَانَ الدَّمِ فِي أَعْضَائِهَا
وَيَرَى 'مَكَانَ المَشْيِ مِنْ أَقْدَامِهَا

لَا إِلَهَ لَنَا غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ لَنَا سِوَاهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ!

أَيْنَ المَبَارِزُونَ بِالمَعَاصِي!؟

أَيُظُنُّونَ أَنَّ اللهَ لَا يَرَاهُمْ!؟ إِذَا تَوَارَوْا عَنِ عِيُونِ الخَلْقِ، فَهَلْ

يَتَوَارُونَ عَنِ رُؤْيَةِ الخَالِقِ!؟

إِذَا خَلَوْتَ بِرَبِيَّةٍ فِي ظُلْمَةٍ وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ

فَاسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِ الإِلَهِ وَقُلْ لَهَا إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي^(١)

رَاوَدَ رَجُلٌ امْرَأَةً فِي الصَّحْرَاءِ عَنِ نَفْسِهَا، فَقَالَ: لَا تَرَانَا إِلَّا

الكَوَاكِبُ، فَقَالَتْ: أَيْنَ مُكْوِبُهَا!؟ فَانصَرَفَ عَنْهَا^(٢).

(١) يُنظر: «الكشاف» للزمخشري (١/١٤٥)، و«المستطرف في كل فن مستظرف»

(٢/٢٢٥).

(٢) يُنظر: «نونية القحطاني» (١/٢٥).

(٣) أخرج هذه القصة البيهقي في «شعب الإيمان» (١/٥١١).

يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ :-

وَهُوَ السَّمِيعُ يَرَى وَيَسْمَعُ كُلَّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانٍ
وَيَرَى خِيَانَاتِ الْعُيُونِ بِلِحْظِهَا وَيَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبِ الْأَجْفَانِ (١)
وَلَمَّا أَرَادَتِ الْمَرَأَةُ أَنْ تَغُشَّ اللَّبْنَ بِالْمَاءِ، عَلَى عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَتْ:
إِنَّ عُمَرَ لَا يَرَانَا. قَالَتْ ابْتِثَاهَا الْمُؤْمِنَةُ: إِذَا كَانَ عُمَرُ لَا يَرَانَا، فَإِنَّ رَبَّ
عُمَرَ يَرَانَا (٢).

اللَّهُ أَكْبَرُ!! إِنَّهَا حَقِيقَةُ الْإِحْسَانِ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ
لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ (٣)، ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ (١٧) الَّذِي يَرِيكَ
حِينَ تَقُومُ ﴿ [الشعراء].

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: وَمِنْ أَسْمَائِهِ - سُبْحَانَهُ -: الْقَوِيُّ
الْقَهَّارُ، الْكَبِيرُ الْجَبَّارُ: فَالْحَلِّقْ كُلَّهُمْ - مَهْمَا بَلَغَتْ قُوَّتُهُمْ - تَحْتَ قُدْرَتِهِ

(١) يُنظر: «النونية» بشرح ابن عيسى (٢/٢١٥).

(٢) أخرج هذه القصة الأجرى في «أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز» (ص ٤٨)،
وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٧٠/٢٥٤)، والبنت هي جدة الخليفة
الأموي العادل عمر بن عبد العزيز - رحمه الله.

(٣) كما في حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

وَقَهْرِهِ، وَمَا مِنْ جَبْرُوتٍ إِلَّا وَقَدْ ذَلَّ لِعَظَمَتِهِ وَسَطَوْتِهِ، وَكُلُّ قَوِيٍّ
ضَعِيفٍ أَمَامَ قُوَّةِ الْجَبَّارِ - جَلَّ جَلَالُهُ -: ﴿ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ

الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١١٥﴾ [البقرة].

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ قُوَّةَ أَرْضِيَّةٍ - غَرِيبَةٍ أَوْ شَرِيقَةٍ - قُوَّةٌ لَا تُقَهَّرُ وَلَا تُدَحَّرُ،
فَلْيُصَحِّحْ إِيَّانَهُ، وَلْيُجَدِّدْ يَقِينَهُ، فَاللَّهُ أَكْبَرُ وَأَقْوَى مِنْ كُلِّ مَالِكٍ، وَمَنْ
كُلَّ كَبِيرٍ، سُبْحَانَهُ، إِلَّا فَلْيَقَرَّ أَعْيُنًا بِذَلِكَ، الْمُضْطَهَّدُونَ وَالْمُظْلَمُونَ فِي
كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

وَهُوَ الْقَوِيُّ لَهُ الْقُوَى جَمْعًا تَعَا لِي رَبُّ ذِي الْأَكْوَانِ وَالْأَزْمَانِ
وَكَذَلِكَ الْقَهَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ فَالْخَلْقُ مَقْهُورُونَ بِالسُّلْطَانِ (١)
وَمِنْ أَسْمَائِهِ - تَعَالَى - الرَّزَّاقُ: الَّذِي عَمَّ بِرِزْقِهِ كُلَّ شَيْءٍ، فَمَا مِنْ
دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا، مَنْ الَّذِي رَزَقَ الْحَيْتَانَ فِي الْبِحَارِ،
وَالطُّيُورَ فِي أَعْلَى الْأَوْكَارِ، وَالسَّبَاعَ فِي مَهَامِهِ الْقِفَارِ، إِلَّا الْعَزِيزُ الرَّزَّاقُ
الْغَفَّارُ !!؟

(١) يُنظَرُ: «النونية» بشرح ابن عيسى (٢/٢١٨).

وَلَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا وَأَجْلَهَا^(١)، وَلَوْ اجْتَمَعَ
 الْخَلْقُ كُلُّهُمْ، إِنْسَهُمْ وَجِنُّهُمْ، عَلَى أَنْ يَمْنَعُوا عَنْ أَحَدٍ رِزْقًا سَأَلَهُ اللَّهُ
 إِلَيْهِ، لَنْ يَسْتَطِيعُوا، لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، قَالَ
 سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ﴿٥٨﴾ [الذاريات].

وَاعْلَمْ أَنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَا يُجْرُهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا تَدْفَعُهُ كَرَاهِيَّةُ
 كَارِهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

وَكَذَلِكَ الرَّزَّاقُ مِنْ أَسْمَائِهِ وَالرِّزْقُ مِنْ أَفْعَالِهِ نَوْعَانِ^(٢)
 يَا عَبْدَ اللَّهِ: الْجَأُ لِحَنَابِهِ تَجِدُهُ قَرِيبًا مُجِيبًا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
 خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [الحج].

وَمِنْ أَسْمَائِهِ: الْغَفُورُ الْكَرِيمُ: يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا وَإِنْ عَظُمَتْ،
 وَيَسْتُرُ الْعُيُوبَ وَإِنْ كَثُرَتْ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ [النجم: ٣٢]،
 وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ عَنْهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَنَّهُ قَالَ: «يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا
 دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي عَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ!

(١) كما في حديث جابر رضي الله عنه الذي أخرجه ابن ماجه (٢١٤٤).

(٢) يُنظر: «النونية» بشرح ابن عيسى (٢/٢٣٤).

لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ
بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»^(١).

فَيَا أَيُّهَا الْمُدْنِبُونَ وَالْمَفْرَطُونَ، الْبِدَارَ، الْبِدَارَ، إِلَى حَمِي الْكَرِيمِ
الْعَقَّارِ!!

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ :-

وَهُوَ الْغُفُورُ فَلَوْ أَتَى بِقُرَابِهَا مِنْ غَيْرِ شُرْكَ بَلٍ مِنَ الْعِضْيَانِ
لَأَتَاهُ بِالْغُفْرَانِ مِْلءَ قُرَابِهَا سُبْحَانَهُ هُوَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ^(٢)

وَمِنْهَا: الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ: حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ، فَلَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا
عَبَثًا، وَلَمْ يَتْرِكْ خَلْقَهُ سُدًى، وَلَمْ يُشْرِعْ شَيْئًا لَهَوًّا وَلِعْبًا.

الْعَلِيمُ بِخَلْقِهِ وَمَصَالِحِهِمْ، ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]،

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١٤) [الملك: ١٤]، فَهُوَ الْعَلِيمُ
وَالنَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ، وَالْحَكِيمُ وَالنَّاسُ يَتَّبِعُونَ الْهَوَىٰ وَيَجْهَلُونَ، فَمَنْ

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٣٥٤٠)، والطبراني في «الأوسط» (٣١٥/٤) من
حديث أنس رضي الله عنه، قال أبو عيسى: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»،
وأخرجه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أحمد في «المسند» (١٤٨/٥)، والدارمي في «سننه»
(٢٧٨٨)، والحاكم في «المستدرک» (٢٤١/٤) وصححه.

(٢) يُنظَر: «النونية» بشرح ابن عيسى (٢٣١/٢).

أَمِنَ بِذَلِكَ حَقَّ الْإِيمَانِ سَلَّمَ لِشَرَعِ رَبِّهِ، وَوَقَفَ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَلَمْ
يَعْتَرِضْ عَلَى حُكْمِهِ ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا ﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿ إِنْ
الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وَلَا عَلَى أَمْرِهِ ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾
[الأعراف: ٥٤]، فَالَّذِينَ يَعْتَرِضُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الشَّرْعِ، إِنَّمَا يُصَادِمُونَ
هَذِهِ الْعَقِيدَةَ، وَالَّذِينَ يُطَالِبُونَ بِالْإِعْيَادِ الْحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ، وَإِبَاحَةِ الْمَعَامَلَاتِ
الرَّبَوِيَّةِ، يُشَكِّكُونَ فِي حِكْمَةِ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ، وَالَّذِينَ يَعْتَرِضُونَ عَلَى حُكْمِ
الْإِسْلَامِ فِيمَا يُخْصُ الْمَرْأَةَ الْمُسْلِمَةَ، إِنَّمَا يَطْعُنُونَ فِيمَنْ شَرَعَ ذَلِكَ لَهَا، فَمَنْ
الَّذِي أَمَرَهَا بِالْحِجَابِ؟ وَمَنْ الَّذِي أَمَرَهَا بِالْفَرَارِ فِي الْبَيْتِ؟ وَمَنْ الَّذِي
شَرَعَ لَهَا حُقُوقَهَا وَوَجِيبَاتَهَا؟ ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ [التين: ٨].

إِذَا فَلِمَ إِذَا، ثُمَّ لِمَاذَا تُثَارُ - بَيْنَ الْفَيْنَةِ وَالْأُخْرَى - هَذِهِ الْقَضَايَا،
وَكَاثِمًا لَيْسَتْ مِنَ الثَّوَابِتِ وَالْمُسَلَّمَاتِ عِنْدَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ!!
لَقَدْ طَفَحَ الْكَيْلُ بِأَقْلَامِ حَاقِدَةٍ، وَصَرَخَاتِ مَحْمُومَةٍ؛ تَتَقَاطَرُ أَحْقَادًا
عَلَى قِيمِ الْأُمَّةِ وَعِفَّتِهَا وَمُثْلِهَا، بِدَعْوَى التَّحْرِيرِ، وَأَفْكَارِ زَانِفَةٍ تَفُوحُ
مِنْهَا رَائِحَةُ الْعِلْمَانَةِ الْمَافُونَةِ^(١)، وَالْعَوْلَمَةِ الْمُسْتَهْجَنَةِ^(٢)؛ تَسْتَهْجِنُ

(١) تقدم بيان معناها (ص ١٠٠).

(٢) مستهجنة: معيبة. يُنظر: «تاج العروس» (هجن).

مُجْتَمَعِ الصَّالِحِينَ وَالْمُحَافِظِينَ، وَتَسْخَرُ مِنْ شَرِيعَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَتَبًّا لِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ الْآثِمَةِ!! وَسُحْقًا لِهَذِهِ الْهَتَافَاتِ الرَّائِفَةِ!! أَلَا شَاهَتِ^(١) الْوُجُوهُ!! قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ، حِينَ اعْتَرَضُوا عَلَى شَرْعِ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ؛ فَمَهْلًا يَا دُعَاةَ الرِّذِيلَةِ! رُؤَيْدُكُمْ يَا أَعْدَاءَ الْفَضِيلَةِ! مَاذَا يُرِيدُ هَؤُلَاءِ؟! وَلِمَصْلَحَةٍ مَنْ يَنْفُثُونَ سُومَهُمْ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْمُسْلِمَةِ الْمُحَافِظَةِ!؟

فَأَهْلُ الْإِيمَانِ وَالْغَيْرَةِ يُدْرِكُونَ أَنَّ وِرَاءَ الْأَكْمَةِ^(٢) مَا وَرَاءَهَا!

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف].

وَلَقَدْ جَاءَتْ تَضَرِّجَاتُ وِلَاةِ الْأَمْرِ - وَفَقَّهُمُ اللَّهُ - بَلَسًا يَشْفِي صُدُورَ الْغَيْرِ، وَيَقْطَعُ الطَّرِيقَ أَمَامَ الْأَدْعِيَاءِ الْأَفَاكِينِ، وَاللَّهُ نَسَأَلُ أَنْ يَحْفَظَ بِلَادَنَا وَبِلَادَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كَيْدِ الْكَاثِبِينَ، وَأَنْ يُوفِّقَ وِلَاةَ أَمْرِنَا لِنُصْرَةَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَقَمَعَ الْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ.

(١) شَاهَتِ: فَبَحَتْ. يُنْظَرُ: «اللسان» (شوه).

(٢) الْأَكْمَةُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي يَكُونُ أَشَدَّ ارْتِفَاعًا مِمَّا حَوْلَهُ، أَوْ: هِيَ دُونَ الْجِبَالِ، وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ: (وِرَاءَ الْأَكْمَةِ مَا وَرَاءَهَا)، يُقَالُ ذَلِكَ عِنْدَ الْهَرَّةِ بِكُلِّ مَنْ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِمَا لَا يُرِيدُ إِظْهَارَهُ. يُنْظَرُ: «تاج العروس» (أكم).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَتَذَكَّرُوا أَسْمَاءَ رَبِّكُمْ وَصِفَاتِهِ، وَحَقِّقُوا
الإِيمَانَ بِهَا عِلْمًا وَعَمَلًا، وَلْتَصْطَبِغْ حَيَاتُكُمْ بِآثَارِهَا: صَلَاحًا وَإِصْلَاحًا؛
تَسْعُدُوا فِي دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَجَتْكُمْ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا
وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾
[الأعراف].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ
الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَفَرَّدَ بِكُلِّ كَمَالٍ، وَاخْتَصَّ بِأَعْلَى جَلَالٍ وَأَبْهَى
جَمَالٍ، أَحْمَدُهُ - تَعَالَى - وَأَشْكُرُهُ، وَأَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ مِنَ الْفَضْلِ، وَأَسْأَلُهُ
صَلَاحَ الْحَالِ وَالْبَالِ وَالْمَالِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ، الْمُنَزَّهُ عَنِ الْأَنْدَادِ وَالنُّظَرَاءِ وَالْأَمْثَالِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، كَرِيمَ السَّجَايَا وَشَرِيفُ
الْخِصَالِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، خَيْرِ صَحْبٍ وَآلٍ، وَالتَّابِعِينَ
وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، مَا تَعَاقَبَ الْغُدُوُّ وَالْأَصَالُ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَآمِنُوا بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعَلِيَّةِ،
وَاعْلَمُوا أَنَّ أَسْمَاءَهُ - سُبْحَانَهُ - لَا يُحْصِيهَا إِلَّا هُوَ - جَلَّ وَعَلَا - كَمَا فِي
حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «أَسْأَلُكَ
بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ
أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ...» الْحَدِيثُ،

خَرَجَهُ أَحْمَدُ بَسْنَدٍ صَحِيحٍ^(١).

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢)، فَهَذَا الْفَضْلُ الْعَظِيمُ مُرْتَبِطٌ بِهَذَا الْعَمَلِ الْجَلِيلِ، كَمَا عَلَيْهِ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ. وَنَقَلَ النَّوَوِيُّ الْأَنْفَاقَ عَلَيْهِ^(٣)، وَقَالَ الْحَطَّابِيُّ: «هُوَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: لِيَزِيدَ أَلْفُ دِرْهَمٍ أَعَدَّهَا لِلصَّدَقَةِ»^(٤).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «تَقْيِيدُهُ بِهَذَا الْعَدَدِ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾^(٥) [المذثر: ٣٠] فَلَمَّا اسْتَقْلَوْهُمْ قَالَ:

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المذثر: ٣١]، فَلَا يَعْلَمُ أَسْمَاءَهُ إِلَّا هُوَ»^(٥).
وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَالْمُحَقِّقُونَ^(٦).

(١) فِي «الْمُسْنَدِ» (١/٣٩١).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٣٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٧٧).

(٣) يُنْظَرُ: «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١٧/٥).

(٤) نَقَلَهُ عَنْهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «كَشْفِ الْمَشْكَالِ» (٣/٤٣٤)، وَابْنُ حَجَرٍ فِي «فَتْحِ الْبَارِيِّ» (١١/٢٢٠).

(٥) يُنْظَرُ: «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (٦/٣٨١).

(٦) يُنْظَرُ: «فَتْحُ الْبَارِيِّ» (١١/٢١٩-٢٢٠).

وَمَعْنَى أَحْصَاهَا: أَي حَفِظَهَا وَعَرَفَهَا لَفْظًا وَمَعْنَى، وَتَعَبَّدَ اللَّهُ بِهَا
وَبِمُقْتَضَاهَا. وَلَا يَعْزُبُ عَنِ الْبَالِ فِي هَذَا الْمَجَالِ، فَضُلُّ اسْمِ اللَّهِ
الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ،
الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»، فَقَالَ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ
بِهِ أُعْطِيَ». خَرَّجَهُ أَحْمَدُ^(١)، وَأَهْلُ السُّنَنِ^(٢)، وَالْحَاكِمُ^(٣)، وَقَالَ: «صَحِيحٌ
عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ».

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ»^(٤).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَحَقِّقُوا الْإِيمَانَ بِرَبِّكُمْ، وَبِأَسْمَائِهِ

(١) في «المسند» (٣٤٩/٥).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥)، والنسائي في «الكبرى»

(٣٤٩/٤)، وابن ماجه (٣٧٥٧).

(٣) في «المستدرک» (٦٨٣/١).

(٤) أخرجه أبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٢٤)، والنسائي في «الكبرى»

(٣٨٦/١)، وأحمد في «المسند» (١٥٨/٣).

الحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَى، وَادْعُوهُ بِهَا، وَحَقِّقُوهَا فِي حَيَاتِكُمْ عَلِمًا وَعَمَلًا؛
لِتَرْتَسِمَ آثَارًا عَلَى سُلُوكِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، فِي الْجَلْوَةِ
وَالجَلْوَةِ^(١)، تَكُونُوا مِنَ الْمُفْلِحِينَ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى خَيْرِ مَنْ حَقَّقَ الْإِيمَانَ
بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، أَفْضَلَ الْخَلِيقَةِ، وَأَشْرَفِ الْبَرِيَّاتِ، كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ
رَبُّكُمْ - جَلَّ وَعَلَا - بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].

(١) الجَلْوَةُ: الظُّهُورُ أَمَامَ النَّاسِ، مَنْ جَلَا يَجْلُو جَلَاءً: إِذَا اتَّضَحَ وَانْكَشَفَ. يُنظَرُ:
«اللِّسَانُ» (جَلِي).

القِسْمُ الرَّابِعُ:

السُّنَّةُ وَالسِّيَرَةُ

النُصْرَةُ وَالِدَفَائِحِ فِي التَّاسِيَةِ وَالْإِتْبَاعِ

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، لَا يُشَامُ^(١) مَكَانًا، وَلَا يُحَدُّ
أَوَانًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، نَشَرَ عَلَيْنَا بِسِيرَةِ
خَيْرِ الْوَرَى رَحْمَةً وَهُدًى وَأَمَانًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ
وَرَسُولُهُ، أَعَزَّ الْبَرِيَّةِ رَحْمَةً وَحِلْمًا وَحَنَانًا، وَأَسْمَاهَا شَائِلٌ وَقَدْرًا وَشَانًا،
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، دُونَ جَنَابِهِ
الشَّرِيفِ نُزْهَفُ يِرَاعَةَ، وَنُحَدُّ سِنَانًا، وَعَلَى آلِهِ الْأُلَى كَانُوا فِي الدِّيَاجِي
رُهْبَانًا، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِخْلَاصٍ يَرْجُو مِنَ الْمَوْلَى غُفْرَانًا وَإِحْسَانًا، وَسَلَّمْ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا لَا يُدَانِي.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ مَا يُوصَى بِهِ وَيُسْتَزَادُ، وَأَعْظَمَ مَا يُورَى بِهِ زِنَادُ التَّاسِيَةِ
بِخَيْرِ الْعِبَادِ: تَقْوَى اللَّهِ فِي الْغَيْبِ وَالْإِشْهَادِ، أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ - رَحِمَكُمُ
اللَّهُ - وَتَزَوَّدُوا التَّقْوَى فَإِنَّهَا خَيْرُ الزَّادِ، تَكُونُوا مِنْ نَمِيرِ الصَّلَاحِ خَيْرِ

(١) لَا يُشَامُ: لَا يُرَى وَلَا يُبَصَّرُ؛ لِامْتِدَادِهِ وَبُعْدِهِ. يُنْظَرُ: «اللسان» (شيم).

وَرَادٍ، وَمِنْ ذَرَى الْفَلَاحِ وَالْعِزَّةِ أَصْدَقَ رُؤَادٍ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: فِي سَمْعِ الزَّمَانِ، وَبَيْنَ مَقَلِ الْأَكْوَانِ، يَتَبَفُّ
تَأْرِخُ الْبَشَرِ فِي مَا مَضَى وَغَبَرَ، بِأَعْظَمِ الْبَشَرِ، أَلَا وَهِيَ بَعْتَةُ خَيْرِ الْبَشَرِ،
الْبَعْتَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ لَا زَالَتْ مُضْمَخَةً^(١) بِالْبَنْبَعَةِ السَّنِيَّةِ، عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ
صَلَاةٍ وَأَزْكَى سَلَامٍ وَنَحِيَّةٍ.

لَقَدْ اقْتَضَتْ حِكْمَةُ الْبَارِي - جَلَّ جَلَالُهُ - أَنْ يَكُونَ هَذَا الرَّسُولُ
الْأَطْهَرُ، ذَوِ الْإِعْجَازِ الْأَطْهَرِ، وَالْهَدْيِ الْأَبْهَرِ، وَالْخُلُقِ السَّنِيِّ الْأَزْهَرِ،
الْمُنْقَذَ بَعْدَ اللَّهِ جَلَّ فِي عُلَاهِ، الَّذِي أَحْيَى بِالْوَحْيِ أُمَّةً أَنْغَمَسَتْ فِي
السَّقَاءِ وَالْعَدَمِ، وَشَقَّ بِهَا مَا اكْتَنَفَ الْأَجْيَالُ مِنْ ضَلَالٍ وَظُلْمٍ.
فَوَاعَجَبًا! مَا أُمَّةٌ كَانَتْ تَفْخَرُ بِبَأْوِ^(٢) الْجَاهِلِيَّةِ، وَرَدَائِلِ الْوَثْنِيَّةِ، تَنْهَبُ
الْأَمْوَالَ اغْتِصَابًا، وَتَسْفِكُ الدِّمَاءَ غِلَابًا، أُمَّةٌ غَائِرَةٌ فِي أُمَّتَيْهَا، مُزَقَّةٌ
بِأَنَانِيَّتَيْهَا، مُغْرِقَةٌ كُلَّ الْإِعْرَاقِ فِي هَمَجِيَّتَيْهَا.

فَجِئْتَ يَا مُنْقَذَ الْإِنْسَانِ مِنْ خَطَرٍ كَالْبَدْرِ لَمَّا يُجَلِّي حَالِكَ الظُّلْمِ

(١) الضَّمخُ: لَطُخَ الْجَسَدَ بِالطَّيْبِ حَتَّى كَأَنَّهُ يَقْطُرُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «كَانَ يُضْمَخُ رَأْسَهُ
بِالطَّيْبِ»، فَالضَّمخُ: التَّلَطُّحُ بِالطَّيْبِ وَالْإِكْثَارُ مِنْهُ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (ضَمخ).
(٢) الْبَأْوُ: الْكِبْرُ وَالْفَخْرُ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (بَأَى).

أَقْبَلْتَ بِالْحَقِّ يَجْتُ الصَّلَالَ فَلَا يَلْقَى عَدُوَّكَ إِلَّا عَلَقَمَ النَّدَمِ (١)
 وَأَعَزُّ مِنْ ذَلِكَ وَأَجَلُّ قَوْلُ الْمَوْلَى - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
 وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
 مُبِينٍ ﴾ [آل عمران].

نَعَمْ! إِنَّهُ ذَلِكُمُ الرَّسُولُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ، وَقُدْوَةُ الْعَالَمِينَ،
 وَرَحْمَةُ اللَّهِ لِلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، كَمَلَهُ اللَّهُ بِأَجْمَلِ الشَّمَائِلِ وَأَسْنَى الْمَنَاقِبِ،
 وَزَكَّاهُ بِالْمُحْتَدِ (٢) الشَّرِيفِ، وَالْمَجْدِ الثَّاقِبِ، ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (٤)
 [الشرح]، صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا أَوْمَضَ بَرَقٌ وَأَضَاءٌ، وَمَا عَانَقَتْ كِبَدَ السَّمَاءِ
 الثُّرَيَّا وَالْجُوزَاءُ. أَتَتْهُ عَلَيْهِ اللَّهُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ، وَاجْتَبَاهُ عَنْ
 خَاصَّتِهِ وَأَحْبَابِهِ، وَأَوْلَاهُ شَمَّ الْخِصَائِصِ، وَبَرَّاهُ مِنَ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ،
 قَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَأَذْنَاهُ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى وَنَاجَاهُ، ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ
 رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. حَثَّ عَلَى الْإِقْتِدَاءِ بِهِدْيِهِ، وَأَمَرَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ

(١) البیتان من قصيدة «السراج المنير» للدكتور: ناصر بن مسفر الزهراني.

(٢) الْمُحْتَدُ: الْأَصْلُ وَالطَّبْعُ، وَالْخَالِصُ الْأَصْلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَحَتَدُهُ تَحْتِيدًا: اخْتَرْتَهُ
 لِحُلُوصِهِ وَفَضْلِهِ. يُنْظَرُ: الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ (حتد).

وَمَهِيهِ: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧].

خَفَّفَ عَنْ أُمَّتِهِ وَسَهَّلَ، وَيَسَّرَ فِيهَا يَسُقُّ عَلَيْهَا وَرَفَقَ وَتَمَهَّلَ - بِأَبِي
وَأُمِّي هُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِيَكُونَ بِأُمَّتِهِ رَوْفًا، وَبِالْخَلْقِ بَرًّا
عَطُوفًا، فَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ». أَخْرَجَهُ
أَحْمَدُ^(١)، وَغَيْرُهُ^(٢).

لَا يَنْتَقِمُ مَعَ الْقُدْرَةِ، وَيَصْبِرُ عَلَى مَا يَشُقُّ وَيَكْرَهُ، ﴿ فِيمَا رَحِمْتَهُ مِنْ
اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:
١٥٩]. خَصَّهُ الْبَارِي بِحَوْضِ الْكَوْثَرِ، وَقَمَّأَ شَانَتْهُ فَقَالَ: ﴿إِن
شَانَتْكَ هُوَ الْأَبْتَرُ^(٣)﴾ [الكوثر]، زَكَاهُ الْمَوْلَى الْعَظِيمُ فِي قَوْلٍ عَظِيمٍ:
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم].

اللَّهُ أَكْبَرُ! فَحَسْبُكَ مِنْ شَمَائِلِ تَهْتِنٍ^(٣) بِالزَّكَاةِ وَالْعِظْمَةِ وَتَرْوَعُ،
وَتَأْتَلُقُ بِالْهُدَى وَالتَّقَى وَتَضُوعُ.

يَكْفِيهِ مِنْ كُلِّ مَدْحٍ مَدْحِ خَالِقِهِ فِي طَهٍ وَيَسِ ثَمَّ الشَّرْحِ وَالْقَلَمِ

(١) في «المسند» (٣٣٨ / ٤) من حديث محجن بن الأدرع السلمى رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٠٤) من حديث محجن بن الأدرع السلمى رضي الله عنه.

(٣) تَهْتِنٌ: تَصُبُّ، وَيُقَالُ لِلْمَطَرِ وَالدَّمْعِ: هَتْنٌ. يُنْظَرُ: «اللسان» (هتن).

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، أَتْبَاعِ سَيِّدِ الْأَنْامِ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، وَإِلَى
 الْعَالَمِ الَّذِي لَفَّتَهُ الْغَوَاشِي الدُّهُمُ مِنَ الْإِحْتِرَابِ وَالْعُنْفِ وَالْغِلْظَةِ،
 وَالْخِدَاعِ وَالْمَكْرِ وَالنَّقْمَةِ، هَاكُمْ أَنْوَارًا مِنْ مَشْكَاتِ شَمَائِلِهِ، وَدُونَكُمْ
 قَطْرَاتِ عِدَابٍ مِنْ فَيُوضِ مَكَارِمِهِ، فِدَاهُ أَبِي وَأُمِّي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ. حَيْثُ لَاقَى مِنْ أَعْدَائِهِ مَا تَبَيَّنُ لَهُ النَّوَاصِي، وَتَنَهَّدُ مِنْ هَوَلِهِ
 الصَّيَاصِي^(١): «شَجُّوا رَأْسَهُ الشَّرِيفَ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَّتَهُ، وَأَذْمُوا عَقْبَهُ،
 وَالْقُوَا سَلَا الْجَزُورِ عَلَى جَسَدِهِ الطَّاهِرِ، وَحَاوَلُوا قَتْلَهُ وَالْقَضَاءَ عَلَيْهِ،
 فَهَلْ انْتَقَمَ وَاشْتَفَى؟ كَلَّا، فَمَا كَانَ مِنْ هَذَا النَّبِيِّ الْعَظِيمِ إِلَّا أَنْ صَفَحَ
 وَدَعَا: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٢).

وَفِي مَشْهَدِ آخِرِ وَصَّاءٍ، حِينَما دَخَلَ مَكَّةَ فَاتِحًا ظَافِرًا، بَعْدَ
 أَنْ قَصَدَتْهُ قُرَيْشٌ بِكُلِّ جَرِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ، مَا كَانَ مِنْهُ - وَهُوَ الْقُدُوءَةُ الْمَانُ
 الشَّاكِرُ - إِلَّا أَنْ عَفَا وَغَفَرَ لَهَا تَمَكَّنَ وَقَدَّرَ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ!»^(٣),

(١) الصَّيَاصِي: الحصون، وكل شيء امتنع. يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب (صيص).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة النبوية» (٢/ ٥٣١)، قال: «حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة...»، فذكره في حديث طويل =

«فإني أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ

لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف]»^(١).

وَهُنَا لَفْتَةٌ. **أَيُّهَا الْحَبُورُ** - وَهِيَ أَنَّ شَمَائِلَ الصَّفْحِ وَالْعَفْوِ وَالْحِلْمِ لَا تَطْرُدُ مَعَ مَا يَمَسُّ الْأُصُولَ وَالْمُقَدَّسَاتِ، وَيَنَالُ مِنَ الْقِيَمِ وَالْمَبَادِي، وَالثَّوَابِ وَالْمُسَلَّمَاتِ، كَمَا أَرَشَدَ لِذَلِكَ سَيِّدُ الْبَرِيَّاتِ - عَلَيْهِ أَرْكَى الصَّلَوَاتِ وَأَتَمَّ التَّسْلِيمَاتِ - فَكَانَ إِذَا انْتَهَكَتْ حُرْمَاتُ اللَّهِ لَمْ يَقُمْ لِعُضْبِهِ قَائِمَةٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَمِنْ بَدِيعِ شَفَقَتِهِ، وَعَمِيقِ تَوَاضُعِهِ - صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - حِينَمَا حَصَرَهُ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِهِ، وَارْتَجَفَ مِنْ مَهَابَتِهِ، ابْتَدَرَهُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ بِأُمَّتِهِ بِقَوْلِهِ: «هُوَ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَمْلُوكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ». أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ^(٢)، وَغَيْرُهُ^(٣).

تَحْيَى الْقُلُوبُ إِذَا تُتْلَى شَمَائِلُهُ كَالْأَرْضِ تَحْيَا إِذَا مَا جَادَهَا الْمَطَرُ

= بسند معضل، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (١٦١/٢) من طريق ابن إسحاق

عن قتادة السدوسي مرسلًا، وأخرجه ابن حبان في «الثقات» (٥٦/٢).

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٥٤/١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) برقم (٣٣١٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٤/٢) من حديث جرير رضي الله عنه، وأخرجه الحاكم

في «المستدرک» (٤٧/٣) من حديث أبي مسعود رضي الله عنه.



طَابَتْ خَلَاتِقُهُ رَاقَتْ فَضَائِلُهُ جَادَتْ جَوَامِعُهُ إِذْ كَلَّهَا دُرُّرُ
 كَيْفَ! وَلَمْ يُعْرِفْ عَبْرَ التَّأْرِخِ الْمَدِيدِ، بِشَهَادَةِ الْأَعْدَاءِ قَبْلَ الْأَوْدَاءِ،
 مَنْ نَالَ الْعِظَمَةَ الشَّمَاءَ^(١) مِنْ أَطْرَافِهَا، وَالْكَمَالَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ مِنْ أَكْنَافِهَا،
 مَا نَالَهُ نَيْبُنَا وَحُبَيْبُنَا وَقُدُوتُنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حَيْثُ حَفِظْتَ لَنَا
 الصُّدُورُ قَبْلَ السُّطُورِ، دَقِيقَ صِفَاتِهِ، وَجَلِيلَ حَالَاتِهِ، وَكُلَّ لَمَحَةٍ مِنْ
 لَمَحَاتِهِ.

مِنِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ نَشْرُهُ عَطْرُ مَا سَارَ بَدْرُ الدُّجَى فِي الْأَفْقِ مُنْتَقِلًا
 إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَالْحَدِيثُ عَنْ سِيرَةِ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى - عَلَيْهِ
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بَعِيدُ الْمَدَى، عَمِيقُ الْمَسْقَى، يُشْنَفُ الْمَسَامِعَ، وَيُذْرِفُ
 مِنَ الْمَحَبِّ الْمَدَامِعَ، فَالْبَصَائِرُ فِي رِيَاضِ مَنَاقِبِهِ كَلِيلَةٌ كَسِيرَةٌ، وَالْأَبْصَارُ
 دُونَ فَضَائِلِهِ حَسِيرَةٌ قَاصِرَةٌ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا
 ﴿١١٣﴾ [النساء].

يَا رَاغِبًا فِي حَضْرِ فَضْلِ مُحَمَّدٍ خَفِّضْ عَلَيْكَ فَفَضْلُهُ لَا يُحْصَرُ
 إِنْ قُلْتَ مِثْلَ الرَّمْلِ أَوْ مِثْلَ الْحَصَى أَوْ مِثْلَ قَطْرِ الْغَيْثِ قُلْنَا أَكْثَرُ

(١) الشَّمَاءُ: المرتفعة، والشَّمَمُ: ارتفاعُ فِي الْجَبَلِ، يُقَالُ: جَبَلٌ أَشَمٌّ: أَي طَوِيلُ الرَّأْسِ.
 يُنْظَرُ: «تاج العروس» (شمم).

أَحْبَابَ رَسُولِ الْهُدَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ:
وإِزَاءَ هَذِهِ السَّائِلِ النَّبِيَِّّةِ، وَالْمَنَاقِبِ الطَّاهِرَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، خَضَعَ
مُنْصِفُو الْعَرَبِ، وَدَانُوا بِالنَّبْلِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ، وَالْفَضْلِ وَالْعَالِيَّةِ هَذِهِ
الشَّخْصِيَّةَ الزَّكِيَّةَ.

يَقُولُ أَحَدُهُمْ: (إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَجُلٌ عَظِيمٌ حَقًّا، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ
شَكَّلَتْ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةٍ مِنَ الدُّوَلِ عَلَى أُسُسِ الْمَبَادِي وَالْأَنْظِمَةِ وَالِدَسَاتِيرِ
الَّتِي وَضَعَهَا).

وَقَالَ آخَرُ: (إِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُدْعَى مُحَمَّدٌ ﷺ مُنْقِذُ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَلَوْ أَنَّ
رَجُلًا مِثْلَهُ تَوَلَّى زَعَامَةَ الْعَالَمِ الْحَدِيثِ لَنَجَحَ فِي حَلِّ مُشْكَلاتِهِ، وَأَحَلَّ
السَّلَامَ وَالسَّعَادَةَ فِي الْعَالَمِ).

وَيَقُولُ غَيْرُهُ: (لَا رَيْبَ أَنَّ مُحَمَّدًا كَانَ مِنْ عُظَمَاءِ الرِّجَالِ الْمُصْلِحِينَ،
وَيَكْفِيهِ فَخْرًا أَنَّهُ هَدَى أُمَّةً بَرُمَتْهَا إِلَى نُورِ الْحَقِّ، وَفَتَحَ لَهَا طَرِيقَ الرُّقِيِّ
وَالْمَدِينَةِ).

وَقَالَ آخَرُ: (لَمْ يَعْهَدِ التَّأْرِيخُ مُصْلِحًا أَيَقْظَ النُّفُوسَ، وَأَحْيَا
الْأَخْلَاقَ، وَرَفَعَ شَأْنَ الْفَضِيلَةِ فِي زَمَنِ قَصِيرٍ، كَمَا فَعَلَ مُحَمَّدٌ ﷺ).

اللَّهُ أَكْبَرُ! تِلْكَ هِيَ رِسَالَةُ الْمُنْصِفِينَ مِنَ الْعَالَمِ، نَزُفَهَا إِلَى الْعَالَمِ،
وَلَيْسَ نَمَّتَ تَعْلِيْقُ، فَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ.

مَعَاشِرَ الْمُحِبِّينَ: وَمَعَ تِلْكَ الْوَمَضَاتِ الْمَشْرِقَاتِ، فَالْسَّيْرَةُ
 النَّبَوِيَّةُ الْعَطْرَةُ، مَهْمَا امْتَدَّتْ بِهَا الْأَمَادُ، وَطَالَتْ عَلَيْهَا الْأَبَادُ، فَسَتَبَقَى
 عِبَقَةٌ فِي الصُّدُورِ، مُفْتَحَةً كَأَكْبَامِ الزُّهُورِ أَبَدَ الدُّهُورِ، وَهِيَ رِسَالَةٌ إِلَى
 الْبَشَرِيَّةِ قَاطِبَةً: أَلَّا عُرُوجَ لِلْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى مَدَارَاتِ الْوَيْثَامِ، وَصَادِقِ الْوُدِّ
 وَالسَّلَامِ، وَالْحُبِّ وَالْإِحْتِرَامِ، إِلَّا تَحْتَ لِيَوَاءِ شَمَائِلِهِ، وَفِي سَنَاءِ فَضَائِلِهِ،
 الَّتِي تَحْتَضِنُ كُلَّ ضُرُورَاتِ الرُّقِيِّ وَالْعَلَاءِ.

وَلَكِنْ وَمَعَ هَذَا الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ الْمُتَوَجِّجِ بِحُسْنِ السَّجَايَا، وَتُبْلِ
 الْخِصَالِ، وَعَلَى الرُّغْمِ مِنْ كُلِّ مَا يَلِيْقُ بِهِ مِنْ مَدَارَاتِ الْكَمَالِ، الَّذِي
 لَا يَزَالُ يُشْرِقُ وَيَلُوحُ، وَيَغْدُو بِهِ كُلُّ مُحِبٍّ وَيَرُوحُ، أَنْكَرَهُ وَشَانَاهُ
 وَانْتَقَصَهُ وَعَادَاهُ ذُوو دِخْلَةٍ^(١) مَفْضُوحُونَ، وَأَرْبَابُ لُؤْمٍ مَقْبُوحُونَ،
 طَوَّوْا كَشْحَهُمْ^(٢) عَلَى مُسْتَكْنَةٍ مِنَ الْحَقْدِ الْأَسْوَدِ لِلْإِسْلَامِ، وَنَبِيِّهِ
 أَشْرَفِ الْأَنَامِ، فِدَاهُ أَبِي وَأُمِّي وَنَسَبِي وَنَشَبِي^(٣)؛ حَيْثُ أَدْلَجَ أَوْلِيكَ

(١) الدِّخْلَةُ: باطن الأمر، يُقال: دخلت الرجل: أي نَيْتُهُ وَخَلَدُهُ وَبَاطِنُهُ. يُنظر:
 «اللسان» (دخل).

(٢) الكَشْحُ: جانب البطن، يُقال: طوى كَشْحَهُ على أمرٍ: إذا أضمَره وَسْتَرَهُ. يُنظر:
 «اللسان» (كشح).

(٣) النَّشَبُ: المال والعقار. يُنظر: «اللسان» (نشب).

الْأَفَّاكُونَ - لَا كَانُوا - فِي دِيَارِ حِيرِ التَّطَاوُلِ وَالْإِسْتِهْزَاءِ، فَطَوَّحُوا بِالْأُمَّةِ فِي
بُحْرَانَ الْأَسَى الْلَاهِبِ، وَالْغَضَبِ النَّاهِبِ، الَّذِي مَا زَادَهَا بِفَضْلِ اللَّهِ
إِلَّا اتِّحَادَ تَمَكِينٍ، وَهَيْبَةَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ.

أَيْسَخَرُونَ مِنَ الْأَنْوَارِ قَدْ كَشَفَتْ مَجَاهِلَ الظُّلْمِ فَانزَاخَتْ غَوَاشِيهَا
أَيْهَرُونَ بِهِ سُئِلَتْ أَكْفُهُمْ وَدَمَّرَ اللَّهُ مَا تَجَنَّبِي وَجَانِيهَا^(١)
وَلَكِنْ مَهْمَا كَلَحَتْ الْأَحْقَادُ، وَاسْوَدَّتِ الضَّغَائِنُ، فَلَنْ تَرَزَأَ سَطْوَعَ
الْجَنَابِ الْمُحَمَّدِيِّ نَقِيرًا، وَلَنْ تَنَالَ مِنَ الْمَقَامِ النَّبَوِيِّ فِتِيلًا وَلَا قِطْمِيرًا،
أَنْى ذَلِكَ وَقَدْ قَالَ الْبَارِي - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ [الأحزاب].
يَا جَاهِلِينَ عَلَى الْهَادِي وَدَعْوَتِهِ

هَلْ تَجْهَلُونَ مَقَامَ الصَّادِقِ الْعَلَمِ
قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ
أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، أَحَبَّةَ خَيْرِ الْأَنْسَامِ: وَفِي ظِلِّ تَدَاعِيَاتِ تَفْعِيلِ

(١) البيتان من شعر الشيخ: محمد بن عايض القرني. يُنظر: «وَأَمَّا مُحَمَّدَاهُ!» (٤/ ٧١١).

النُّصْرَةَ لِلْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ﷺ، هَتَفَ بِأُمَّتِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَنْ
 طَبْتُمْ، طَبْتُمْ، وَطَابَتْ نُصْرَتُكُمْ وَمَسَاعِيكُمْ، وَكَالَلَ اللَّهُ بِالظَّفْرِ
 أَمَانِيكُمْ، وَمَحَقَّ آثَارَ مَنْ يُعَادِيكُمْ، وَجَزَيْتُمْ عَنْ نُصْرَةِ خَلِيلِ اللَّهِ
 وَمُصْطَفَاهُ، وَحَبِيْبِهِ وَمُحْتَبَاهُ، أَعْظَمَ الْجَزَاءِ وَأَوْفَاهُ، أَلَا فَابْتُؤَا عَلَى نُصْرَةِ
 نَبِيِّكُمْ عَلَى الدَّوَامِ، بِلِزُومِ غَرَزِ سُنَّتِهِ، وَالْإِعْتِصَامِ بِمَحَجَّتِهِ وَمِلَّتِهِ،
 وَالتَّوَارِدِ عَلَى الوَحْدَةِ وَالْإِتِّلَافِ، وَنَبَذِ رُغُونَاتِ الفُرْقَةِ وَالْإِخْتِلَافِ.

تِلْكَكُمْ - يَا رِعَاكُمْ اللَّهُ - النُّصْرَةُ الْحَقِيقِيَّةُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ، فَأُمَّتُنَا
 الْإِسْلَامِيَّةُ - وَمَعَ الْأَسَى الْفَاتِكِ - لَا تَزَالُ أَعَاصِيرُ التَّنَافِرِ وَالتَّنَاحُرِ
 تَعَصِفُ بِخِيَامِهَا فِي بَقَاعِ شَتَايَ، وَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ مِنْ النُّصْرَةِ مِنْ أَتْبَاعِ
 الْحَبِيبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُشْهَرَ الْأَسْلِحَةُ تَلْقَاءَ نُحُورِ الْأَحِبَّةِ فِي بَعْضِ
 الْأَصْقَاعِ، دُونَ اِرْتِعَادِ أَوْ خَوْفِ أَوْ إِيْعَادِ، أَنْسُوا وَصِيَّتَهُ ﷺ لِأُمَّتِهِ:
 «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»؟ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١).

وَالدَّعْوَةُ لَهْبِي^(٢) لِلْأُمَّةِ بِعَامَّةٍ عَلَى إِخْتِلَافِ مَذَاهِبِهَا
 وَمَشَارِبِهَا، وَتَعَدُّدِ أَطْيَافِهَا وَشَرَائِحِهَا، أَنْ يَنْصُؤُوا تَحْتَ رَايَةٍ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٢١)، وَمُسْلِمٌ (٦٥) مِنْ حَدِيثِ جَبْرِ ﷺ.

(٢) هَبَّ الرَّجُلُ لَهَبًا: عَطَشَ، فَهُوَ لَهْبَانٌ، وَهِيَ هَبْيٌ. يُنْظَرُ: «اللسان» (هَبَّ).

السُّنَّةِ الْمُبَارَكَةِ، وَأَنْ يَسْتَلْهُمُوا دُرُوسَ الْوَحْدَةِ وَالْاجْتِمَاعِ مِنْ
 مَعِينِ السَّيْرِ الْعَطْرَةِ، وَذَلِكَ مُقْتَضَى تَعْزِيرِهِ وَتَوْقِيرِهِ وَمَحَبَّتِهِ
 وَنُصْرَتِهِ ﷺ. عَلَى ذَلِكَ فَاسْتَقِيمُوا وَاسْتَمِرُّوا، فِي تَجَافٍ عَنِ
 آيَةِ النَّصْرَةِ الْمَحْدُودَةِ، وَاحْتِدَامِ الْإِنْدِفَاعِ وَالْإِنْفِعَالِ وَالْعَاطِفَةِ
 الْمَشْبُوبَةِ، إِبَّانَ رُدُودِ أَفْعَالٍ مَوْقُوتَةٍ. ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ
 وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٥٧)
 [الأعراف]. وَيَا بُشْرَاكُمْ يَا أَهْلَ النَّصْرَةِ وَالْحُبِّ، قَوْلُهُ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ
 أَحَبَّ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(١). وَهَا أَنْتُمْ أَوْلَاءٌ - وَأَيْمُ اللَّهِ - مِمَّنْ أَحَبَّ، فَفَدَى
 وَائْتَسَى وَذَبَّ.

أَجِبَّةَ الْحَبِيبِ: وَمُقْتَضَى الْحُبِّ وَالِاتِّبَاعِ، وَالنُّصْرَةِ وَالِدَّفَاعِ:
 نَشْرُ سِيرَتِهِ فِي الْفَضَاءَاتِ وَالْأَصْقَاعِ، وَإِهْدَاؤِهَا لِلْعَالَمِ الظَّمِيِّ^(٢)،
 نَفْحَةَ بِالرَّحْمَةِ وَالْخَيْرِ تَسْرِي، وَوَمُضَّةً بِالْهُدَى وَالْحُبِّ تَجْرِي،
 مُتَوَجَّةً بِالتَّمَسُّكِ الصَّادِقِ بِسُنَّتِهِ، وَالْإِقْتِفَاءِ الصَّحِيحِ لِسِيرَتِهِ، بِمَنْهَجِ
 لِلْمَحَبَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ يَمْتَّازُ بِالْإِعْتِدَالِ وَالْوَسْطِيَّةِ، فِي نُزُوعِ عَنِ

(١) أخرجه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) الظَّمِيُّ: العَطْشَانُ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (ظماً).

الْغُلُوُّ وَالْجَفَاءُ، وَالتَّقْصِيرِ وَالْإِطْرَاءُ.

وَمَا يَبْعَثُ فِي الْغَيْرِ الْأَسَى وَالْغُصَصَ، أَنْ يُقْتَصَرَ فُسْطَاطٌ^(١) السَّيْرَةَ
الْعَضَاءُ، وَرَوَاقُ السَّنَةِ الشَّمَاءُ، عَلَى قَبِيلِ السَّرْدِيَّاتِ وَالْقَصَصِ، فِي لَيَالٍ
مَعْلُومَةٍ تُحْيَا وَتُخْصُ، عَطَلَةٌ عَنِ مَوْرِدِ بُرْهَانٍ وَنَصٍّ، أَوْ أَنْ يُصَابَ وَجْهُ
السَّنَةِ الْمَشْرِقِ بِالْكَافِ^(٢)، وَمُحْيَاهَا الْوَضِيءُ بِيَدَعٍ كَالنَّظْفِ^(٣)، وَذَلِكَ بِمَا
يُقَمِّشُهُ^(٤) الْمَمُوهُونَ فِي خَرِيفٍ مَحَبَّتِهِمْ، مِنْ مُحَدَّثَاتِ الْمَوَالِدِ، وَتَرَائِمِ
الْقَصَائِدِ، فِي اجْتِمَاعَاتٍ تَعُجُّ بِالْمَاكِلِ وَالْمَوَائِدِ، وَتُرَّهَاتٍ هِيَ لِلْسَّنَةِ
السَّنِيَّةِ مَكَائِدُ، وَلِمُحِبِّي السَّيْرَةِ الْغَرَاءِ عَوَائِقُ وَمَكَابِدُ، فَاللَّهُمَّ اتَّبَاعًا
لَا ابْتِدَاعًا، وَإِلَى اللَّهِ نَشْكُو اشْتِدَادَ الْكُرْبَةِ، وَعِظَمَ الْغُرْبَةَ لِلْسَّنَةِ وَأَهْلِهَا.
أُمَّةَ الْإِقْتِدَاءِ وَالْإِقْتِفَاءِ: وَمَا يَتَنَوَّرُ مِنَ السَّيْرَةِ الشَّرِيفَةِ، وَالشَّمَائِلِ

(١) الْفُسْطَاطُ: الْبَيْتُ مِنَ الشَّعْرِ، وَفُسْطَاطُ الْمِصْرَ: مَجْتَمِعُ أَهْلِهِ حَوْلَ جَامِعِهِ. يُنْظَرُ:

«اللسان» (فسط).

(٢) الْكَافُ: حُمْرَةٌ كِدْرَةٌ تَعْلُو الْوَجْهَ، وَقِيلَ: لَوْنٌ بَيْنَ السَّوَادِ وَالْحُمْرَةِ، وَيُقَالُ لِلْبَهَقِ:

الْكَافُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (كلف).

(٣) النَّظْفُ: الْعَيْبُ، وَنَظْفُهُ: لَطَخَهُ بِعَيْبٍ وَقَذَفَهُ بِهِ. يُنْظَرُ: «اللسان» (نظف).

(٤) يُقَمِّشُهُ: يَجْمَعُهُ، مِنَ الْقَمَشِ، وَهُوَ: جَمْعُ الشَّيْءِ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، وَقِيلَ: الْقَمَشُ:

الرِّدْيُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. يُنْظَرُ: «اللسان» (قمش).

الْمَنِيْفَةِ، إِعْرَازِ مَنْهَجِ الْإِقْتِدَاءِ وَالْإِهْتِدَاءِ، فَاللَّوْعَةُ الَّتِي كَانَتْ مُتَوَالِيَةً
 الْوَجِيبِ^(١)، فِي فُرَادِ الْحَبِيبِ ﷺ، عَلَى أَنْ تَكُونَ أُمَّتُهُ عَلَى مَوْرِدِ الْهَدَايَةِ
 وَالْعِزَّةِ وَالسَّدَادِ، وَمَعِينِ السَّعَادَةِ وَالرَّشَادِ، فِي كُلِّ سَكَنَاتِهِ وَخَلَجَاتِهِ،
 هِيَ الَّتِي يَيْبُ بِكُمْ الْمُحِبُّ أَنْ تُخَالِطَ قُلُوبَكُمْ، وَأَنْ تَكُونَ نُصَبَ
 أَعْيُنِكُمْ، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الإحزاب: ٢١].

فِيهَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنَاتُ وَالْمُؤْمِنُونَ، الْمُقْتَفُونَ لِأَثَارِ النَّبِيِّ الْمَيْمُونِ، عَلَيْهِ
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَتَرَى فِي الْخُفُوقِ وَالسُّكُونِ، اتَّخِذُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ
 شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا، وَمِنْ سِيرَةِ الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ وَالنَّعْمَةِ الْمُسَدَاةِ،
 تَرِيًّا قَا لِأَدْوَائِكُمْ وَعِلَاجًا، وَنَبْرَاسًا لِدُرُوبِ حَيَاتِكُمْ وَهَاجًا، تَبْلُغُوا
 - لَعَمْرُ اللَّهِ - أَعْلَى مَنَازِلِ الْعِزِّ وَتَضَعُدُوا، وَتُفْلِحُوا فِي أَوْلَاكُمْ وَأَخْرَاكُمْ
 وَتَسْعَدُوا. ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
 ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ
 اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَبَلَّغْنَا فِيهَا يُرْضِيهِ كُلَّ نِعْمَةٍ
 وَمِنَّةٍ، وَعَصَمْنَا جَمِيعًا مِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَفِتْنَةٍ، وَرَفَعَ لِلسُّنَّةِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ مَنَارًا،

(١) الْوَجِيبُ: الْخَفْقَانُ وَالْإِضْطْرَابُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (وجب).

وَجَعَلَ كُلَّ الْبِلَادِ لَهَا دَارًا، إِنَّهُ خَيْرٌ مَسْئُولٍ وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ. أَقُولُ قَوْلِي
هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِكافةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ
ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّ رَبِّي رَوْوْفٌ رَحِيمٌ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَبِإِيَّائِهِ التَّوْفِيقِ وَالْإِصَابَةِ، وَأَهْلِ التَّقْوَى وَالْإِنَابَةِ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً تَجِبُ عَنِ الْقَلْبِ
أَوْصَابُهُ^(١)، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا خَيْرَ مَنْ أَبَانَ بِشَمَائِلِهِ الْحَقِّ وَأَصَابَهُ،
صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَآلِهِ وَصَحَابَتِهِ خَيْرِ الْأَلِّ وَالصَّحَابَةِ،
أَوْلِي الْفَضْلِ وَالنَّجَابَةِ، الَّذِينَ اقْتَدَوْا بِسِيرَتِهِ، وَنَصَرُوهُ وَعَزَّرُوا جَنَابَهُ،
وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ إِخْوَةَ الْإِيمَانِ، وَلْيَكُنْ مِنْكُمْ بِحُسْبَانٍ، أَنْ مَحَبَّةَ
النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَالرَّسُولِ الْمُجْتَبَى، سَيِّدِ وَلَدِ عَدْنَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ، قَاضِيَةٌ بِمَحَبَّةِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ وَأَرْضَاهُنَّ
أَجْمَعِينَ، زَوْجَاتِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ، وَكَذَا آلِهِ الْأَطْهَارِ، وَصَحَابَتِهِ الْأَبْرَارِ،
الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ وَالْأَنْصَارِ، فَحُبُّهُمْ جَوَازٌ عَلَى الصِّرَاطِ، وَدَلِيلُ الْإِيمَانِ
الْمُورِثِ لِلْبَشْرِ وَالْإِغْتِبَاطِ.

(١) الوَصْبُ: الوجد والمرض، والجمع: أوصاب. يُنظر: «اللسان» (وصب).

يَقُولُ - عَزَّ اسْمُهُ - فِي تَرْكِيَةِ وَمَدْحِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِهِ الطَّيِّبِينَ
 الطَّاهِرِينَ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
 تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وَقَدْ أَوْصَى بِهِمْ هُوَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ - فِي قَوْلِهِ: «أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ثَلَاثًا»، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ^(١).
 قَالَ الْإِمَامُ الطَّحَاوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلِ فِي
 أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنْسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ
 الْمُبْرئينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ، فَقَدْ بَرِيَ مِنَ النَّفَاقِ»^(٢).

لَا تَعُدُّ عَنْ سُنَنِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ وَالزَّمَّ مَحَبَّةَ آلِهِ الْأَطْهَارِ
 وَارْفَعَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ رَايَاتِ الْوَلَا تَجِدِ الْوِقَايَةَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ
 كَمَا تَقْتَضِي مَحَبَّتُهُ وَنُصْرَتُهُ - عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَلَاةٍ وَأَزْكَى سَلَامٍ - مَحَبَّةً
 جَمِيعِ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ وَاقْتَفَى أَثْرَهُمْ، هُدِيَ إِلَى سَوَاءِ
 الطَّرِيقِ، وَكَانَ حَلِيفَهُ الْفَلَاحُ وَالتَّوْفِيقُ. يَقُولُ - عَزَّ وَجَلَّ - مُتَرْضِيًا عَنْ
 كُلِّ الصَّحْبِ الْخَيْرَةِ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ
 تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]. وَيَقُولُ ﷺ: «اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي،

(١) برقم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٢) يُنظر: «العقيدة الطحاوية» (ص ٥٨).

اللَّهِ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي
 أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ
 آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ^(١)،
 وَالتِّرْمِذِيُّ^(٢).

يَكْفِيهِمْ أَنْ خَيْرَ الرُّسُلِ أَكْرَمَهُمْ وَأَنْتُمْ أَفْضَلُ الْأَخْيَارِ وَالْبَرَّةِ
 مِنِّي عَلَيْهِمْ سَلَامٌ طَيِّبٌ أَرْجُ مَا أَظْهَرَ الْبَحْرُ مِنْ قَامُوسِهِ
 هَذَا وَعَلِّمُوا - يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ - أَنْ مِنْ أَجْلِ صُورِ النَّصْرَةِ وَأَدْوَمِهَا:
 كَثْرَةَ صَلَاتِكُمْ وَسَلَامِكُمْ عَلَى الْحَبِيبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَلَا فَالْهَجُوعُ
 بِالصَّلَاةِ تَتْرَى وَالسَّلَامِ، عَلَى أَزْكَى نَبِيٍّ وَأَعْظَمِ إِمَامٍ، عَلَيْهِ أَكْمَلُ
 التَّحَايَا الْمُبَارَكَاتِ، مُتَوَالِيَاتٍ فِي الْبَدءِ وَالخِتَامِ، كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ
 الْمَوْلَى الْمَلِكُ الْعَلَامُ، فَقَالَ قَوْلًا كَرِيمًا يُتَى عَلَى الدَّوَامِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ
 وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
 تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

صَلُّوا عَلَى خَيْرِ الْوَرَى تُفْلِحُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ

(١) في «المسند» (٥/٥٤) من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه.

(٢) برقم (٣٨٦٢) من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه.

وَاسْتَكْبَرُوا مِنْهَا تَنَالُوا الْبَقَا فِي جَنَانٍ رِيَاضَهَا نَاضِرَةٌ
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ الصَّادِقِ فِيمَا نَطَقَ، وَالْحَاتِمِ لِمَنْ سَبَقَ،
صَلَوَاتُ رَبِّي تَتَرَى عَلَيْهِ عَلَى الْوَلَا، تَعْمُ الْأُفُقَ طَيِّبًا وَمَنْدَلًا، وَعَلَى آلِهِ
وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَأَنْصَارِهِ وَخَاصَّتِهِ وَأَحْبَابِهِ، اللَّهُمَّ بَلِّغْهُ
الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ، وَحَقِّقْ لَهُ كُلَّ مَوْعُودٍ، اللَّهُمَّ آتِهِ الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ،
وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ سُنَّتِهِ،
وَالثَّابِتِينَ عَلَى مِلَّتِهِ، وَارزُقْنَا شَفَاعَتَهُ، وَاحْشُرْنَا تَحْتَ لِيَوَائِهِ، وَأُورِدْنَا
حَوْضَهُ، وَاسْقِنَا بِيَدِهِ الشَّرِيفَةَ شَرْبَةً لَا نَنْظَمُأُ بَعْدَهَا أَبَدًا، يَا جَوَادُ
يَا كَرِيمُ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ الَّذِي لَا يُرَامُ، وَمُلْكِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ،
وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ، أَنْ تُعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ.

أَسْرَجَ الْجَنَائِكَ فِي أَيْرُكِي السَّمَائِكَ

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنُثْنِي عَلَيْهِ
الْخَيْرَ كُلَّهُ، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا هَدَيْتَنَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْنْتَ عَلَيْنَا بِبِعْثَةِ خَيْرِ
الْأَنْبَاءِ، لَكَ الْحَمْدُ كُلُّ الْحَمْدِ لَا مَبْدَأَ لَهُ وَلَا مُتَهَيٍّ، وَاللَّهُ بِالْحَمْدِ أَجْدَرُ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، نَصَبَ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ أَعْظَمَ
الدَّلَائِلِ، وَأَقَامَ عَلَى أُلُوهِيَّتِهِ الْآيَاتِ الْجَلَائِلِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا
عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ سَيِّدَ الْأَوَّالِ وَالْآخِرِ وَالْأَوَائِلِ، الْمَبْعُوثُ بِأَكْرَمِ السَّجَايَا
وَأَشْرَفِ الشَّمَائِلِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَحْبَبُوهُ مَحَبَّةً
تَفُوقُ مَحَبَّةَ النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ وَالْحَلَائِلِ، أُولِي الْمَكْرَمَاتِ وَالْفَضَائِلِ،
وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَفِي نُصْرَةِ الْحَقِّ يُجَاهِدُ وَيُنَاضِلُ،
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: حِينَمَا يَتَعَاطَمُ رُكَّامُ الْفِتَنِ فِي الْأُمَّةِ، وَتُحَيِّمُ
عَلَى سَمَائِهَا الصَّافِيَةَ غُيُومُ الْغُمَّةِ، فَيَلْتَبِسُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، وَتَخْفَى مَعَالِمُ
الْحَقِّ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْمِلَّةِ، وَيَخْتَلِطُ الْهَوَىٰ بِالْهَدَىٰ: فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ

سُبْحَانَهُ هِيَ الَّتِي تُنِيرُ طَرِيقَ الْهِدَايَةِ، وَيَبْدُدُ نُورَهَا ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ
وَالْغَوَايَةِ.

وَمَنْ وَهَبَهُ اللَّهُ التَّقْوَى، فَقَدْ وَهَبَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ عَلَى دَرْبِ النِّجَاةِ
فِي سَلَامَةٍ مِنَ الْمُؤَثِّرَاتِ الْعَقْدِيَّةِ وَالْمَنْهَجِيَّةِ، وَفِي بُعْدٍ عَنِ اللَّوْثَاتِ^(١)
الْفِكْرِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ.

وَمَا أَحْوَجَ الْأُمَّةَ الْيَوْمَ إِلَى أَنْ تُعْمَرَ قُلُوبَ أَبْنَائِهَا بِالتَّقْوَى وَالْيَقِينِ؛
لِيَتَحَقَّقَ لَهَا - بِإِذْنِ اللَّهِ - النَّصْرُ وَالتَّمْكِينُ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: قَضَيْتُنَا الْكُبْرَى الَّتِي يَجِبُ أَلَّا تُنْسَى فِي
جَدِيدِ التَّحْدِيَّاتِ، وَفِي تَعَاقِبِ الْحَوَادِثِ وَالْمُؤَامَرَاتِ، حَيْثُ إِنَّهَا الرِّكِيْزَةُ
الْعُظْمَى الَّتِي تُبْنَى عَلَيْهَا الْأَمْجَادُ وَالْحَضَارَاتُ، بَلْ وَتَتَحَقَّقُ بِهَا
التَّطَلُّعَاتُ وَالْإِنْتِصَارَاتُ، وَتَخْرُجُ بِهَا الْأُمَّةُ مِنْ دَوَامَةِ الصَّرَاعَاتِ هِيَ:
أَنَّهَا أُمَّةٌ عَقِيدَةٌ إِيْمَانِيَّةٌ صَافِيَّةٌ، وَرِسَالَةٌ عَالَمِيَّةٌ سَامِيَّةٌ، أُمَّةٌ تَوْحِيدٌ خَالِصٌ
لِلَّهِ، وَاتِّبَاعٌ مُطْلَقٌ لِلْحَبِيبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ الْكُبْرَى هِيَ
حَدِيثُ الْمُنَاسَبَةِ وَكُلُّ مُنَاسَبَةٍ، وَالتَّذْكِيرُ بِهَا مَوْضُوعُ السَّاعَةِ وَكُلُّ
سَّاعَةٍ، إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

(١) اللُّوْثَةُ وَاللَّوْثَةُ: التَّلَطُّحُ بِشَيْءٍ مُفْسِدٍ. يُنْظَرُ: «تاج العروس» (لوث).

وَإِنْ خَيْرَ مَا عُنِيَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ، وَتَحَدَّثَ عَنْهُ الْمُصْلِحُونَ:
 الْعَقِيدَةُ الْإِيمَانِيَّةُ، وَالسُّنَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ، وَالسِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ؛ فَهِيَ لِلْأَجْيَالِ خَيْرُ
 مُرَبٍّ وَمُؤَدِّبٍ، وَأَفْضَلُ مُعَلِّمٍ وَمُهَذِّبٍ، وَلَيْسَ هُنَاكَ أَمْتَعٌ لِلْمَرْءِ مِنْ
 التَّحَدُّثِ عَمَّنْ يُحِبُّ؛ فَكَيْفَ وَالْمَحْبُوبُ هُوَ حَيْبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ،
 وَسَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ؛ فَهُوَ مِنْهُ اللَّهُ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ، وَرَحْمَتُهُ عَلَى
 الْإِنْسَانِيَّةِ، وَنِعْمَتُهُ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ فَبِاللَّهِ، ثُمَّ بِمُحَمَّدِ بْنِ
 عَبْدِ اللَّهِ: قَامَتْ شُرْعَةٌ، وَشَيَّدَتْ دَوْلَةٌ، وَأَشْمَخَرَتْ^(١) حَضَارَةً،
 وَأُسِّسَتْ مِلَّةٌ مِنْ مِلَلِ الْهَدَىٰ غَرَاءَ، بُنِيَتْ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَهِيَ حَقِيقَةٌ
 نَادَىٰ بِهَا الْحُكَمَاءُ وَالْعُقَلَاءُ.

وَلَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ نَالَ مِنَ الْحُبِّ وَالتَّقْدِيرِ مَا نَالَهُ
 الْمُصْطَفَى ﷺ؛ فَبِاسْمِهِ تَلْهَجُ مَلَائِكَةُ الْأَلْسِنَةِ، وَلِذِكْرِهِ تَهْتَزُّ قُلُوبُ
 الْمُسْلِمِينَ؛ وَلَكِنَّ الْجَوْهَرَ فِي ذَلِكَ أَنْ يَتَحَوَّلَ هَذَا الْحُبُّ إِلَى مَحْضِ اتِّبَاعِ
 دَقِيقِ لِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كَمَا قَالَ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ
 مُبَيِّنًا مَعْيَارَ الْمَحَبَّةِ الصَّادِقَةِ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ

اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران].

(١) اشْمَخَرَتْ: طَالَ، وَالْمُشْمَخَرُ: الْجَبَلُ الْعَالِي. يُنْظَرُ: «تَاجُ الْعُرُوسِ» (شَمْخَر).

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَلَمْ تَكُنْ حَاجَةً الْأُمَّةِ فِي عَصْرِ مَا، إِلَى
الِاقْتِبَاسِ مِنْ مِشْكَاتِ النُّبُوَّةِ وَمَعْرِفَةِ السَّيْرِ الْعَطْرَةِ - مَعْرِفَةِ اهْتِدَائِهِ
وَاقْتِدَائِهِ - أَشَدَّ إِلَيْهَا مِنْ هَذَا الْعَصْرِ، الَّذِي تَقَادَفَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ أَمْوَاجَ
الْمِحْنِ، وَتَشَابَكَتْ فِيهِ حَلَقَاتُ الْفِتَنِ، وَغَلَبَتْ فِيهِ الْأَهْوَاءُ،
وَاسْتَحْكَمَتِ الْمَزَاعِمُ وَالْآرَاءُ، وَوَجَّهَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ أَلْوَانًا مِنَ التَّصَدِّي
السَّافِرِ، وَالتَّحَدِّي الْمَاكِرِ، وَالتَّأْمُرِ الْجَائِرِ، مِنْ قَبْلِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ
رَمَوْهُ عَنِ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ: مَنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
وَعَضِبَ عَلَيْهِمْ، وَيَشُدُّ أَرْهَمُ الْمُفْتُونُونَ بِهِمْ، الْمُتَأَثِّرُونَ بِمَشَارِبِهِمْ
الْعَكْرَةَ، وَأَفْكَارِهِمُ الْمُظْلِمَةَ النَّكْرَةَ، مِنْ دُعَاةِ الْعِلْمَانِيَّةِ^(١) وَالتَّغْرِيبِ^(٢).

وَيَزِدَادُ الْأَسَى حِينَ يَجْهَلُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ حَقَائِقَ دِينِهِمْ،
وَجَوْهَرَ عَقِيدَتِهِمْ، وَيَسِيرُونَ مَعَ التِّيَّارَاتِ الْجَارِفَةِ، دُونَ تَمَحُّصِ
وَلَا تَحْقِيقِ، أَوْ يَجْمُدُونَ عَلَى مَوْرُوثَاتٍ مُبْتَدَعَةٍ، دُونَ تَحْلِيلِهَا وَلَا تَدْقِيقِ،

(١) العلمانيَّة: فصل الدِّين عن الدَّولة، وذلك بإقامة الحياة على العلم الوضعي
والعقل، مع اعتبار المصلحة العامة بعيداً عن الدِّين. ينظر: «موسوعة الأديان
والمذاهب المعاصرة» (٢/٦٨٩).

(٢) التغريب: تيار فكري شهير، يرمي إلى صَبْنِ حياة الأمم بعامَّة، والمسلمين بخاصَّة،
بالأسلوب الغربي. ينظر: «موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة» (٢/٧٠٨).

وَقَدْ صَحَّ عَنِ الْمَعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ ^(١).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: يَا أَحْبَابَ رَسُولِ اللَّهِ - عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ - هَذِهِ وَقَفَاتٌ وَمُقْتَطَفَاتٌ مَعَ جَانِبٍ مِنْ أَهَمِّ جَوَانِبِ السُّنَّةِ الْعَطْرَةِ، وَالسَّيْرَةِ الْمُبَارَكَةِ، ذَلِكُمْ هُوَ جَانِبُ الشَّمَائِلِ النَّبَوِيَّةِ، وَالسَّجَايَا الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَالْآدَابِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ؛ فَهِيَ مَعِينٌ ثَرٌّ، وَيَنْبُوعٌ صَافٍ مُتَدَقِّقٌ، يَرْتَوِي مِنْ نَمِيرِهِ ^(٢) كُلُّ مَنْ أَرَادَ السَّلَامَةَ مِنْ لَوْثَاتِ الْوَثْيَةِ، وَالنَّجَاةَ مِنْ أَكْدَارِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالِاسْتِقَامَةَ عَلَى أَرْكَى هَدْيٍ، وَأَلْحَبِ ثَنِيَّةٍ ^(٣)، بَلْ هِيَ الْمَنْظُومَةُ الْمُتَالِقَةُ، وَالْكَوْكَبَةُ الْمُتَلَالِئَةُ، وَالشَّمْسُ السَّاطِعَةُ، وَالسَّنَا الْمَشْرُقُ، وَالْمِشْعَلُ الْوَضَاءُ، الَّذِي يُبَدِّدُ ظُلْمَاتِ الْانْحِرَافَاتِ، وَحَنَادِسَ ^(٤) الْخُرَافَاتِ.

وَلَكِنَّ فَاتَتْ كَثِيرِينَ رُؤْيَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَإِنَّ فِي تَأْمُلِ شَمَائِلِهِ

(١) برقم (١٧١٨)، من حديث عائشة - رضي الله عنها.

(٢) يُقَالُ: مَاءٌ نَمِيرٌ: أَي مَاءٌ نَافِعٌ عَذْبٌ. يُنْظَرُ: «الصَّحَاحُ» (نمر).

(٣) الثنية: الطريق في الجبل، وأحب ثنية: أوضح طريق. يُنْظَرُ: «القَامُوسُ الْمَحِيطُ» (ثنى).

(٤) كَيْلَةُ حِنْدَسٍ: شَدِيدَةُ الظُّلْمَةِ، وَالْجَمْعُ: حِنَادِسٌ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (حنديس).

لِعِزَاءٍ وَسُلُوَانًا؛ فَالْمُتَثَلُونَ لِشَمَائِلِهِ، إِنْ لَمْ يَصْحَبُوا نَفْسَهُ
أَنْفَاسَهُ صَحِبُوا^(١).

إِنْ فَاتَكُمْ أَنْ تَرَوْهُ بِالْعُيُونِ فَمَا يَفُوتُكُمْ وَصْفُهُ هَدْيِ شَمَائِلُهُ
مُكْمَلُ الذَّاتِ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ وَفِي صِفَاتٍ فَلَا تُحْصَى فِضَائِلُهُ

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: إِنَّا بِحَاجَةٍ إِلَى تَجْدِيدِ الْوَعْيِ عَلَى ضَوْءِ السُّنَّةِ
الْمُطَهَّرَةِ، وَتَصْحِيحِ الْمَوَاقِفِ عَلَى ضَوْءِ السِّيَرَةِ الْعَطِرَةِ، وَالْوُقُوفِ طَوِيلًا
لِلْمُحَاسَبَةِ وَالْمُرَاجَعَةِ؛ نُرِيدُ مِنْ مُطَالَعَةِ السُّنَّةِ وَالسِّيَرَةِ، مَا يَزِيدُ الْإِيمَانَ
وَيُزَكِّي السَّرِيرَةَ، وَيَعْلُو بِالْأَخْلَاقِ وَيَقُومُ الْمَسِيرَةَ!

يُخْطِئُ كَثِيرٌ حِينَمَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْمُصْطَفَى ﷺ وَسِيرَتِهِ، كَمَا يَنْظُرُ
الْآخَرُونَ إِلَى عُظَمَائِهِمْ فِي نَوَاحٍ قَاصِرَةٍ، مَحْدُودَةٍ بِعِلْمٍ أَوْ حِنْكَةٍ أَوْ
عَبَقْرِيَّةٍ؛ فَرَسُولُنَا ﷺ قَدْ جَمَعَ نَوَاحِيَ الْعِظَمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ كُلِّهَا، فِي ذَاتِهِ
وَشَمَائِلِهِ وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِ، لَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَيْسَ رَبًّا فَيُقْصَدُ، وَلَا إِهًا فَيُعْبَدُ،
وَإِنَّمَا هُوَ نَبِيٌّ يُطَاعُ وَرَسُولٌ يُتَّبَعُ، خَرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»؛ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ إِنَّمَا أَنَا

(١) (إِنْ لَمْ يَصْحَبُوا نَفْسَهُ أَنْفَاسَهُ صَحِبُوا) شَطْرُ بَيْتٍ يُنْسَبُ لِأَبِي عَامِرِ الْحَسَنِ بْنِ

مُحَمَّدِ الْقَوْمِيِّ. يُنْظَرُ: «طَبَقَاتُ الْفُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ» (١/٣٥٧).

عَبْدٌ؛ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(١).

إِنَّ مِنَ الْمُؤَسَّفِ حَقًّا: أَنْ بَعْضَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَمْ يَقْدُرُوا رَسُوهُمْ
- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - حَقَّ قَدْرِهِ، حَتَّى وَهُمْ يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ بِالْحُبِّ
وَالتَّعْظِيمِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ حُبُّ سَلْبِيٍّ، لَا صَدَى لَهُ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ، وَلَا أَثَرَ لَهُ
فِي السُّلُوكِ وَالْإِمْتِنَالِ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: تَأَمَّلُوا هَدْيَهُ وَشَمَائِلَهُ - بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ - فِي جَوَابِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِأَسْرِهِا:

فَفِي مَجَالِ تَوْحِيدِهِ لِرَبِّهِ: صَدَعَ بِالتَّوْحِيدِ، وَدَعَا إِلَيْهِ ثَلَاثَ
عَشْرَةَ سَنَةً بِمَكَّةَ، وَعَشْرًا بِالْمَدِينَةِ؛ كَيْفَ لَا! وَهُوَ الْمُنزَّلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ
سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أَمَرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].

وَإِنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ عَلَى مُجِبِّهِ: أَنْ يُعْنُوا بِأَمْرِ الدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ،
الَّتِي قَامَتْ عَلَيْهَا رِسَالَتُهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَمُحَادَرَةَ كُلِّ مَا يُخْدِشُ
صَحِيحَ الْمُتَقَدِّدِ وَصَفْوِ الْمُتَابِعَةِ: مِنْ ضُرُوبِ الشَّرِكِيَّاتِ وَالبِدَعِ وَالمُحَدَّثَاتِ.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وَفِي مَجَالِ عُبُودِيَّتِهِ لِرَبِّهِ: قَامَ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَفْطَرَتْ^(١) قَدَمَاهُ،
فَيُقَالُ لَهُ: تَفَعَّلَ هَذَا؛ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟!
فَيَقُولُ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»؛ خَرَّجَهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ
الْمُعِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه^(٢).

يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم: وَفِي مَجَالِ الْأَخْلَاقِ: تُلْفُونَهُ مِثَالَ الْكَمَالِ فِي
رِقَّةِ الْقَلْبِ، وَسَمَاحَةِ الْيَدِ، وَكَفِّ الْأَذَى، وَبَذْلِ النَّدَى، وَعِفَّةِ النَّفْسِ،
وَاسْتِقَامَةِ السَّيْرَةِ؛ كَانَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - دَائِمَ الْبِشْرِ، سَهْلَ
الطَّبْعِ، لَيِّنَ الْجَانِبِ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا صَخَّابٍ^(٣) فِي الْأَسْوَاقِ،
وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ.

زَانَتْهُ فِي الْخُلُقِ الْعَظِيمِ سَمَائِلٌ يُغْرَى بِهِنَّ وَيُولَعُ الْكِرْمَاءُ^(٤)
وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَبْلَغُ، ثَنَاءُ رَبِّهِ عَلَيْهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ

(١) فَطَرَ الشَّيْءَ يَفْطُرُهُ وَفَطْرُهُ: شَقَّهُ، وَتَفَطَّرَ الشَّيْءُ: تَشَقَّقَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾، أَي: انشقت. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (فَطَّرَ).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١١٣٠)، وَمُسْلِمٌ (٢٨١٩).

(٣) الصَّخَّابُ: الصِّيَاحُ وَالْجَلْبَةُ، وَشِدَّةُ الصَّوْتِ وَاجْتِلَاطُهُ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ»

(صخَب).

(٤) مِنْ قَصِيدَةِ «وَلِدَ الْهُدَى» لِلشَّاعِرِ أَحْمَدَ شَوْقِي، يُنْظَرُ: «دِيَوَانُهُ» (٣٤/١).

عَظِيمٍ ﴿٦﴾ [الفلم].

فِيمَا يَقُولُ أَنَسٌ رضي الله عنه: «مَا مَسَسْتُ دِيْبَا جَا وَلَا حَرِيرًا أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَلَا شَمَمْتُ رَائِحَةَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم»^(١)، «وَلَقَدْ خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سِنِينَ؛ فَمَا قَالَ لِي: أُفَّ! قَطُّ، وَلَا قَالَ لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ؟! وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَا فَعَلْتَ كَذَا؟!»^(٢).

وَيَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ رضي الله عنه: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم»^(٣).

وَفِي الْبُخَارِيِّ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مُرِّي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ صلى الله عليه وسلم فَضَحِكَ، وَأَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ!!^(٤)

(١) أخرجه البخاري (٣٥١٦)، ومسلم (٢٣٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٤١)، وأحمد في «المسند» (١٩٠ / ٤).

(٤) أخرجه البخاري (٣١٤٩).

وَفِي الْجُمْلَةِ كَانَ ذَا شَفَقَةٍ، وَرَحْمَةٍ شَامِلَةٍ، وَعَظْفٍ سُحْبُهُ هَامِلَةٌ.
تِلْكَ.. لَعْمُرُ الْحَقِّ - عَرَاقَةُ الْخِلَالِ، وَسُمُو الْخِصَالِ، وَكَرِيمُ
الشَّمَائِلِ، وَعَظِيمُ الْفَضَائِلِ، فَسُبْحَانَ مَنْ رَفَعَ قَدْرَهُ، وَشَرَحَ صَدْرَهُ،
وَأَعْلَى فِي الْعَالَمِينَ ذِكْرَهُ!!

وَضَمَّ إِلَهِ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ: أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجَلِّهُ فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ^(١)
فَهَلْ مَنْ يَتَغَنُّونَ الْيَوْمَ بِسِيرَتِهِ يَقْتَفُونَ أَثْرَهُ فِي هَدْيِهِ وَشَمَائِلِهِ؟!
وَأَنْظُرُوا - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - إِلَى صَفْحَةٍ أُخْرَى مِنْ صَفْحَاتِ
شَمَائِلِهِ فِي الْقُوَّةِ وَالْجِهَادِ، وَالْحِمَاةِ وَالنَّجْدَةِ: فَقَدْ كَانَ - عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - شُجَاعًا لَا يَعْرِفُ الْخَوْفَ، مِقْدَامًا لَا يَعْرِفُ التَّرَدُّدَ؛
يَقُولُ أَنَسُ رضي الله عنه: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَشْجَعَ النَّاسِ؛ وَلَقَدْ فَزَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ
لَيْلَةً، فَاَنْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمُ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم رَاجِعًا قَدْ
سَبَقَهُمْ إِلَيْهِ، عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ، وَالسَّيْفُ فِي عُنُقِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:
«لَمْ تَرَاعُوا!!!»^(٢).

(١) الأبيات من قصيدة لحسان بن ثابت رضي الله عنه، يُنظر: «ديوانه» (١/ ٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧).

وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا إِذَا اِحْمَرَّ الْبَأْسُ وَلَقِيَ الْقَوْمَ الْقَوْمَ اتَّقَيْنَا
بِرَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (١).

وَهَكَذَا كَانَ فِي مُعَامَلَاتِهِ، لِأَصْحَابِهِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَزَوْجَاتِهِ،
يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ
لِنِسَائِهِمْ». خَرَّجَهُ أَحْمَدُ (٢) وَأَهْلُ السُّنَنِ (٣).

وَهَكَذَا فِي سِيَاسَةِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَفِي عِبَادَتِهِ لِرَبِّهِ، وَفِي نَفَقَتِهِ
وَبَذْلِهِ، وَحِرْصِهِ عَلَى آدَاءِ رِسَالَتِهِ، وَتَبْلِيغِ دَعْوَةِ خَالِقِهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَهَاكُمْ - رِعَاكُمْ مَوْلَاكُمْ - أَنْمُودَجَّا عَلَى حِكْمَتِهِ فِي الدَّعْوَةِ،
وَرِفْقِهِ بِالْمَدْعُوعِينَ، وَرَحْمَتِهِ بِالنَّاسِ مُسْلِمِينَ وَغَيْرِ مُسْلِمِينَ ﴿ وَمَا
أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء]، وَمُرَاعَاتِهِ لِحُقُوقِ

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (١/١٥٦)، وَأَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» (١/٢٥٨)، وَالْحَاكِمُ
فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٢/١٤٣).

(٢) فِي «الْمُسْنَدِ» (٤/٤٧٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (١١٦٢) بِلَفْظِهِ، وَأَخْرَجَ شَطْرَهُ الْأَوَّلُ: أَبُو دَاوُدَ (٤٦٨٢)،
وَالدَّارِمِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (٢/٤١٥)، وَابْنُ حِبَانَ (٢/٢٢٧)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»

(٣/١)، جَمِيعُهُمْ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الإنسان، بل رفقه حتى بالحيوان، في وقت تتغنى فيه حصاره اليوم بدوس كرامة الإنسان، ورعاية أخط الحيوان، فالله المستعان.

وَيَتَجَلَّى هَذَا الْأَنْمُودَجُ الرَّائِدُ فِي قِصَّةِ الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي بَالَ فِي

نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ حِينَ نَهَرَهُ الصَّحَابَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فَقَالَ لَهُمْ ﷺ: «دَعُوهُ وَلَا تُزْرِمُوهُ»^(١)،^(٢) «إِنَّمَا بُعِثْتُ مُبَشِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»^(٣)؛ وَأَرْشَدَهُ بِرَفِقٍ وَحِكْمَةٍ، وَكَانَتِ التَّيِّجَةُ أَنْ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: «اللَّهُمَّ، ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا»^(٤). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي قِصَّةِ ثُمَامَةَ بْنِ أَثَالٍ حِينَ أُسِرَ وَرُبِطَ بِسَارِيَةِ الْمَسْجِدِ وَهُوَ مُشْرِكٌ وَسَيِّدُ قَوْمِهِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمُرُّ بِهِ وَيَقُولُ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟!» فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ؛ إِنْ تَقْتُلْ؛ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمَ؛ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٍ؛ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ، فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ!! فَيَقُولُ ﷺ: بَعْدَ أَنْ أَكْرَمَهُ وَرَفَّقَ بِهِ وَأَحْسَنَ مُعَامَلَتَهُ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ»؛ فَاَنْطَلَقَ.

(١) زَرَمَ الشَّيْءُ يَزْرُمُهُ: قَطَعَهُ. وَالْمُرَادُ هُنَا: لَا تَنْهَرُوهُ فَتَقْطَعُوا عَلَيْهِ بَوْلَهُ. يُنْظَرُ: «الْنَهَايَةُ فِي

غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ»، وَ«اللسان» (زرم).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٠٢٥)، وَمُسْلِمٌ وَاللَّفْظُ لَهُ (٢٨٤) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٢٠) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٠١٠) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تُمامةً، فاغتسل ثم دخل المسجد، وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله،
 وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله!! والله - يا محمد - ما كان على وجه
 الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك؛ فقد أصبح وجهك اليوم أحبّ
 الوجوه كلّها إليّ، وما كان من دين أبغض إليّ من دينك؛ فأصبح دينك
 اليوم أحبّ الدين كلّهُ إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك؛
 فأصبح بلدك أحبّ البلاد كلّها إليّ». خرّجه الشيخان^(١).

الله أكبر!! لقد تجاوز عن جهله وإثمه، وكم عفا عن مثله!!
 تلك آثار الدعوة بالرفق والرحمة والحسنى، والبعد عن مسالك العنف
 والغلظة والفظاظة، وهو درسٌ بليغٌ للدعاة إلى الله إلى قيام الساعة.
 بنيت لهم من الأخلاق ركنًا فحانوا الركن فأنهدم اضطرابًا
 وكان جنابهم فيها مهيبًا وللأخلاق أجدر أن تُهابا^(٢)
 ولما قيل له: ألا تدع على المشركين!! قال: «إني لم أبعث لعانا؛ وإنما
 بعثت رحمةً»؛ خرّجه مسلم^(٣).

(١) البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الأبيات لأحمد شوقي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم. يُنظر: «ديوانه» (٧٢/٢).

(٣) برقم (٢٥٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَقَالَ هُمْ: «مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟!»، قَالُوا: خَيْرًا؛ أَخْ كَرِيمٌ،
وَأَبْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، اذْهَبُوا
فَأَنْتُمْ الطُّقَاءُ!»^(١).

أَلَا فَلْتَعْلَمِ الْإِنْسَانِيَّةُ قَاطِبَةً، وَالْبَشَرِيَّةُ جَمْعَاءَ، هَذِهِ الصَّفَحَاتِ
النَّاصِعَةَ مِنْ رَحْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَرُسُولِ الْإِسْلَامِ وَالسَّلَامِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ - الَّذِي يَجِدُونَ ذِكْرَ شَتَائِلِهِ فِي تَوْرَةِ مُوسَى وَفِي بَشَارَةِ عِيسَى
عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وَلْيَعْلَمْ مَنْ يَقِفُ وَرَاءَ الْحَمَلَاتِ الْمُغْرَضَةِ ضِدَّ الْإِسْلَامِ،
وَرُسُولِ الْإِسْلَامِ، وَأَهْلِ الْإِسْلَامِ: مَا يَفِيضُ بِهِ الْإِسْلَامُ مِنْ مَكَارِمٍ
وَفَضَائِلَ، وَمَا يَفِيضُ بِهِ مِنْ مَحَاسِنَ وَشَتَائِلَ! وَمَدَى الْبَوْنِ الشَّاسِعِ بَيْنَ
عَالَمِيَّةِ السَّامِيَّةِ، وَعَوْلَتِهِمُ الْمَأْفُونَةَ^(٢)، فِي إِهْدَارِ لَلْقِيمِ الْإِنْسَانِيَّةِ،
وإِزْرَاءِ بِالمَثَلِ الْأَخْلَاقِيَّةِ.

وَهَلْ تُدْرِكُ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْيَوْمَ، الطَّرِيقَةَ الْمُثَلَّى لِلدَّعْوَةِ إِلَى دِينِهَا،

(١) تقدم تخريجه (ص ١٣١)، وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»،

قاله في غزوة أحد، كما في حديث ابن مسعود ﷺ المتقدم تخريجه (ص ١٣١).

(٢) تقدم بيان معناها (ص ١٠٠).

وَإِحْيَاءِ سُنَّةِ رَسُولِهَا ﷺ إِحْيَاءَ عَمَلِيًّا حَقِيقِيًّا، لَا صُورِيًّا وَشَكْلِيًّا؟!!

إِنَّ حَقًّا عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ - وَهُمْ الْمُؤْتَمِنُونَ عَلَى مِيرَاثِ النُّبُوَّةِ - أَنْ
تَضَقُّلَهُمُ الْوَقَائِعُ، وَتُرَبِّبَهُمُ التَّجَارِبُ؛ إِذْ لَا تَزَالُ الْفِتْنُ وَالْخُطُوبُ
مُدْهِمَةً عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَإِذَا كَانَتِ الْأُمَّةُ فِي هَذِهِ الظُّرُوفِ الْحَرِجَةِ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا، تَلْهَجُ
بِشَمَائِلِ الْمُصْطَفَى ﷺ - وَذَلِكَ مَطْمَحٌ - فَهَلْ يَطِيبُ الْحَدِيثُ، وَهَلْ
يَحْلُو الْكَلَامُ، وَمُقَدَّسَاتُ الْمُسْلِمِينَ يَعْثُ فِيهَا أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ مِنْ
الْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ؟!!

وَهَا هُمْ يُصَعَّدُونَ عُذْوَانَهُمْ وَإِرْهَابَهُمْ، وَيَزِيدُونَ فِي إِذْكَاءِ نَارِ الْفِتْنَةِ
فِي صَلْفٍ وَرُغُونَةٍ عَلَى سَمْعِ الْعَالَمِ وَبَصَرِهِ؛ تَحَدِّيًا لِمَشَاعِرِ الْمُسْلِمِينَ فِي
مَسْرَى سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ، وَثَالِثِ الْمَسْجِدِينَ الشَّرِيفِينَ، أَقْرَأَ اللَّهُ أَعْيُنَ الْمُؤْمِنِينَ
بِفِكَ أَسْرِهِ مِنَ الْيَهُودِ الْغَاصِبِينَ، وَجَعَلَهُ طَلِيقًا عَزِيزًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

كَيْفَ يَجْمَلُ الْحَدِيثُ، وَأَعْدَاءُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُلْحِدِينَ يُصِرُّونَ
عَلَى صَلْفِهِمْ وَعُذْوَانِهِمْ، ضِدًّا إِخْوَانِنَا وَحُرْمَاتِنَا فِي الشَّيْثَانِ الْمَجَاهِدَةِ؟!
كَيْفَ يَحْلُو الْكَلَامُ، وَالْهِنْدُوسُ الْوَثْنِيُّونَ يُمَعِنُونَ فِي حَقْدِهِمْ
السَّافِرِ ضِدًّا إِخْوَانِنَا وَمَشَاعِرِنَا فِي كِشْمِيرِ الْمُسْلِمَةِ؟!!



كَيْفَ وَكَيْفَ؟! وَقَضَايَا الْإِسْلَامِيَّةِ مُعَلَّقَةٌ، وَأَوْضَاعُ أُمَّتِنَا

مُتَرَدِّدَةٌ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!؟

إِنَّ الْأُمَّةَ الْيَوْمَ بِأَمْسِ الْحَاجَةِ - فِي هَذِهِ اللَّحْظَاتِ الْحَاسِمَةِ مِنْ

تَأْرِخِهَا - إِلَى التَّمَسُّكِ الصَّحِيحِ بِدِينِهَا وَسُنَّةِ رَسُولِهَا، فِي مَحَبَّةٍ

وَتَأَلُّفٍ وَاعْتِصَامٍ، وَفِي سَمَاحَةٍ وَيُسْرٍ وَوِثَامٍ؛ وَبِذَلِكَ تَتَحَقَّقُ وَحْدَةُ

الصَّفِّ، وَجَمْعُ الشَّمْلِ، وَتَوْحِيدُ الْكَلِمَةِ عَلَى مَنْهَجِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ

سَلَفِ الْأُمَّةِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ

حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِمَا مِنْ

الآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، وَلِجَمِيعِ

الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَإِثْمٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَبَانَ الطَّرِيقَ، وَأَوْضَحَ الْمَحَجَّةَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ؛ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، كَسَاهُ مِنْ حُلَلِ النُّبُوَّةِ مَا زَادَهُ مَهَابَةً وَبَهْجَةً، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ؛ الَّذِينَ فَدَوْهُ بِكُلِّ مَا لَدَيْهِمْ مِنْ نَفْسٍ وَمُهْجَةٍ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا أَمَّ الْبَيْتَ زَائِرٌ وَاعْتَمَرَهُ وَحَجَّةٌ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَرَوْا^(١) قُلُوبَكُمْ وَأَرْوَاكُمْ مِنْ شَمَائِلِ نَبِيِّكُمْ ﷺ، وَتَأَمَّلُوا خِصَالَهُ الْعَظِيمَةَ، وَشَمَائِلَهُ الْكَرِيمَةَ، وَارْبِطُوا أَنْفُسَكُمْ وَنَاشِئَتَكُمْ وَأَسْرُكُمْ بِهَا رِبَاطًا مُحْكَمًا وَثِيقًا، يَسْمُو عَنْ التَّخْصِيسِ فِي أَوْقَاتٍ، وَالتَّعْيِينِ فِي مُنَاسَبَاتٍ، فَلَيْسَ هَذَا مِنْ هَدْيِ السَّلَفِ الْأَثْبَاتِ، وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ هَذِهِ الشَّمَائِلَ الْمُصْطَفَوِيَّةَ،

(١) رَوُوا: تزودوا بالماء، والمقصود هنا: الاستزادة من شَمَائِلِ الْمُصْطَفَى ﷺ. يُنظَر:

«اللسان» (روي).

وَالسَّجَايَا النَّبَوِيَّةَ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهَا تَأْثِيرٌ عَمَلِيٌّ فِي إِصْلَاحِ الْمَنْهَجِ،
وَأَثَرٌ تَطْبِيقِيٌّ فِي إِحْكَامِ الْمَسِيرَةِ وَالْبِنَاءِ، فِي عَصْرِ كَثُرَتْ فِيهِ الْمُتَغَيَّرَاتُ،
وَتَسَارَعَتْ فِيهِ الْمُسْتَجِدَّاتُ، عَبَّرَ كَثِيرٌ مِنَ الْقَنَوَاتِ وَالشَّبَكَاتِ، فَالسُّنَّةُ
خَيْرٌ عَاصِمٍ مِنْ شُرُورِ هَذِهِ الْقَوَاصِمِ.

وَإِنَّ الْأُمَّةَ الْيَوْمَ، بِحَاجَةٍ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ زَمَانٍ مَضَى: إِلَى الْإِتِّحَادِ
عَلَى مَنْهَجِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ تَتَلَفَى فِي الْجُهُودِ فِي مِيدَانِ وَاحِدٍ نَحْوَ
الْهَدَفِ السَّامِيِّ الَّذِي يَسْعَى إِلَيْهِ كُلُّ مُسْلِمٍ؛ لِقِيَادَةِ سَفِينَةِ الْأُمَّةِ إِلَى بَرِّ
الْأَمَانِ، وَشَاطِئِ السَّلَامِ، بَعِيدًا عَنْ كُلِّ مَا يُعَكِّرُ صَفْوَ وَرُودِهَا. مَعَ
التَّكْيِيدِ وَالتَّذْكِيرِ، أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ عَلَى ثَغْرِ مِنْ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ فِي خِدْمَةِ
دِينِهِ وَعَقِيدَتِهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، بِحَسَبِ مَكَانِهِ وَمَسْئُولِيَّتِهِ.

فَأَرَوْا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا، وَسِيرُوا بِخُطَى
مُتَوَازِنَةٍ، يُتَوَجَّهَ الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ، الَّذِي مِنْ خِلَالِهِ يُبْنَى الْوَعْيُ الْوَاقِعِيُّ؛
لِتَسْتَأْنِفَ هَذِهِ الْأُمَّةُ دَوْرَهَا الْقِيَادِيَّ وَمَكَانَهَا الرِّيَادِيَّ، فِي مُقَدِّمَةِ
الرَّكْبِ، وَلِتَقُودَ الْبَشَرِيَّةَ الْحَيْرِيَّ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى مَوَاطِنِ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ؛

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].
هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى،

وَالرَّسُولِ الْمُجْتَبَى، صَاحِبِ الْحَوْضِ الْمَوْرُودِ، وَاللَّوَاءِ الْمَعْقُودِ، وَالْمَقَامِ
الْمَحْمُودِ؛ مَنْ:

بَلَغَ الْعُلَا بِجَلَالِهِ سَطَعَ الدُّجَى لِحَمَالِهِ
حَسُنْتَ جَمِيعُ خِصَالِهِ صَلُّوا عَلَيْهِ وَآلِهِ
صَلُّوا عَلَيْهِ صَلَاةً مُتَّبِعٍ لَهُ، مُحِبِّ لَهُ، مُقْتَفٍ آثَارَهُ، مُتَمَسِّكِ بِسُنَّتِهِ؛
فَلَا إِطْرَاءَ وَلَا جَفَاءَ، كَمَا أَمَرُكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ وَعَلَا، فَقَالَ تَعَالَى
قَوْلًا كَرِيمًا، فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ، وَأَصْدَقِ الْقِيلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْبَيِّنَاتِ وَاهْتَدَى، لِيُخْرِجُوا النَّاسَ
 مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، وَأَشْهَدُ أَنْ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
 وَرَسُولُهُ: نَبِيُّ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، وَرَفَعَ ذِكْرَهُ، وَوَضَعَ وِزْرَهُ، وَجَعَلَ
 الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، بَعَثَهُ اللَّهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ،
 فَأَقَامَ مَعَالِمَ الدِّينِ، وَأَرْسَى قَوَاعِدَ الْمِلَّةِ. أَتَمَّ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ، وَأَكْمَلَ بِهِ
 النِّعْمَةَ فَالْحَيُّرُ مَا جَاءَ بِهِ، وَالدِّينُ مَا شَرَعَهُ، وَالْحَقُّ مَا التَزَمَهُ، فَصَلَّى اللَّهُ
 وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، خَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَتَقَاهَا اللَّهُ،
 وَأَحَبَّهَا لِرَسُولِهِ ﷺ، وَأَكْثَرَهَا اتِّبَاعًا لَهُ، فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ،
 وَمَنْ لَزِمَ هُدْيَهُمْ وَدَعَا بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعُصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَى.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: وَصِيَّتِي إِلَيْكُمْ - مِنْ هَذِهِ الْبُقْعَةِ الطَّاهِرَةِ -

تَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالذُّبُّ فِي عِبَادَتِهِ؛ أَدَاءً لِحَقِّهِ، وَرَغْبًا فِي مَرْضَاتِهِ، وَخَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ، كَمَا أُوصِيَكُمْ وَنَفْسِي بِطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ وَالْإِنْقِيَادِ لِأَمْرِهِ، وَالْبُعْدِ عَنْ زَوَاجِرِهِ، وَتَرْكِ سُنَّتِهِ، وَالتَّعَبُّدِ لِلَّهِ بِشَرِيعَتِهِ، لِنَحْقِيقِ الْفَوْزِ بِالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: لَا غِنَى لِلْمُسْلِمِ فِي حَيَاةٍ قَصِيرَةٍ الْأَمَدِ، قَلِيلَةِ الْمَدَدِ، ضَيِّلَةِ الْعَدَدِ، كَثِيرَةِ الْمَحَنِ وَالْفِتَنِ وَالنَّكَدِ، عَظِيمَةِ الْمَصَائِبِ وَالْكَبَدِ أَنْ يَرْسُمَ لِنَفْسِهِ - إِنْ رَامَ نَجَاتَهَا - مِنْهَا جَا سَلِيمًا مِنَ التَّعَثُّرِ، بَعِيدًا عَنِ الْبَلْبَلَةِ وَالتَّأَثُّرِ، يَضْمَنُ وَصُولَهُ إِلَى هَدَفِهِ الْمَنْشُودِ.

فَكَمَا أَنَّ النَّاسَ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُمْ يُعِدُّونَ الْخِطَطَ، وَيَرْسُمُونَ الْمَنَاهِجَ، لِإِدْرَاكِ مُتَبَغَاهُمْ وَمَا يُؤْمَلُونَ، دُونَ عَقْدٍ وَلَا مَصَاعِبَ، كَذَلِكَ مَنْ أَرَادَ سَفَرًا، فَإِنَّهُ يُجْتَهِدُ غَايَتَهُ، وَيَبْدُلُ وَسْعَهُ فِي مَعْرِفَةِ الطَّرِيقِ وَسَلَامَتِهِ مِنَ الْمَخَاوِفِ، وَالْوُصُولِ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ دُونَ مَشَاقِّ وَلَا عَقَبَاتٍ.

فكَذَلِكَكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - مَنْ كَانَ مُسَافِرًا إِلَى الْآخِرَةِ، بَاحِثًا عَنِ السَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ، رَاغِبًا فِي نَعِيمِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ، خَائِفًا مِنْ غَضَبِهِ وَنَارِهِ، فَأُولَى لَهُ أَنْ يُجْتَهِدَ غَايَةَ الاجْتِهَادِ فِي مَعْرِفَةِ الطَّرِيقِ الْمَوْصِلِ إِلَى اللَّهِ، دُونَ زَيْغٍ وَلَا ضَلَالٍ، خَشْيَةً أَنْ يَفْجَأَهُ الْأَجَلُ، فَيَلْقَى رَبَّهُ عَلَى غَيْرِ هُدًى

مِنَ اللَّهِ، وَلَا أَثَارَةَ مِنْ عِلْمِ بَسْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَلَا خِيَارَ لِلْمُسْلِمِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ - لَا سِيَّمَا مَعَ كَثْرَةِ الْفِتَنِ، وَغَلَبَةِ
الْاِخْتِلَافِ وَالْهَوَى، وَشُيُوعِ مَظَاهِرِ الْمُخَالَفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ - أَنْ يَسِيرَ
فِي حَيَاتِهِ مُلتَزِمًا بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، مُقْتَفِيًا أَثَارَ سَلَفِ هَذِهِ
الْأُمَّةِ، مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ، مِنْ أَهْلِ الْقُرُونِ
الثَّلَاثَةِ الْمُفْضَلَةِ، الْمَشْهُودِ لَهَا بِالْخَيْرِيَّةِ مِنْ رَسُولِ الْهُدَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ.

وَلَمَّا كَادَتْ مَعَالِمُ هَذَا الْمَنْهَجِ تَخْفَى، وَأَوْشَكَتْ دَلَالُهُ أَنْ تُمْحَى،
وَأَثَارُهُ أَنْ تَنْدَثِرَ، وَمَعَارِفُهُ أَنْ تَلْتَبِسَ، كَانَ لِرِزَامًا - وَقَدْ حَزَبَ الْأَمْرُ - أَنْ
يُذَكِّرَ الْمُسْلِمُونَ لِيَتَحَقَّقُوا بِهِ، فَيَعُودَ هُمْ سَالِفُ عِزِّهِمْ، وَغَابِرُ مَجْدِهِمْ،
وَسَابِقُ حَضَارَتِهِمْ، فَلَنْ يَصْلَحَ أَمْرُ آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوْلَاهَا.
فَالْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ - لِيُغَلَبَةَ الْجَهْلِ بِدِينِ اللَّهِ، وَقَلَّةِ الْبَصِيرَةِ بِسُنَّةِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - مُحْتَاجُونَ لِتَأْصِيلِ عِلْمِيٍّ وَعَمَلِيٍّ، وَتَقْعِيدِ شُرْعِيٍّ
يَكُونُ مُنْطَلِقًا لِلْعَمَلِ الْمُثْمِرِ، وَالْجُهْدِ الْبِنَاءِ الْمُتَوَازِنِ، الَّذِي يُوَصِّلُهُمْ إِلَى
اللَّهِ، دُونَ مُخَالَفَةِ وَلَا مُجَاوِزَةٍ، لَا سِيَّمَا فِي قَضَايَا الْاِعْتِقَادِ وَالْاِتِّبَاعِ.
وَمِنَ الْخُطُوطِ الْعَرِيضَةِ وَالْمَعَالِمِ الرَّئِيسَةِ فِي هَذَا الْمَنْهَجِ

وَالطَّرِيقِ، الْمَعَالِمُ الْمِهْمَةُ الْآتِيَةُ:

المَعْلَمُ الْأَوَّلُ: وَعَيْ الْمُسْلِمِ الْعَمِيقُ بِرِسَالَتِهِ فِي الْحَيَاةِ، أَلَا وَهِيَ:
عُبُودِيَّتُهُ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَعَيًْا يَسْرِي فِي رُوحِهِ وَقَلْبِهِ، سَرِيَانِ الدَّمِّ فِي
جَسَدِهِ، فَلَا يَغْفُلُ عَنْ تَحْقِيقِهَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا يَعْزُبُ عَنِ الْعَمَلِ بِهَا
سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ؛ تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٥٦] ﴿ [الذاريات].

المَعْلَمُ الثَّانِي: أَنَّ هَذِهِ الْعِبَادَةَ قَائِمَةٌ عَلَى شَرْطَيْنِ رَئِيسَيْنِ،
وَأَصْلَيْنِ عَظِيمَيْنِ، لَا تُقْبَلُ إِلَّا بِتَحْقِيقِهِمَا، وَهُمَا: الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ،
وَالْمُتَابَعَةُ لِرَسُولِهِ ﷺ.

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَمُقْتَضَاهُ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ الْعَمَلَ يَتَّعِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ،
وَلَا يُدْنِسُهُ شِرْكًَا وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً، يَقُولُ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿ فَمَنْ كَانَ
يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [١١٠] ﴿ [الكهف]،
فَالْمُسْلِمُ رَهِينُ عَقِيدَةٍ صَافِيَةٍ، وَأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، وَعِبَادَةٍ خَالِصَةٍ، وَرُوحٍ
مُتَسَامِيَةٍ.

وَأَمَّا الثَّانِي: فَيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَفِي أَعْمَالِهِ

وَأَحْوَالِهِ، وَتَحَرُّكَاتِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ، مُتَرَسِّمًا خُطَى النَّبِيِّ ﷺ، صَائِنًا نَفْسَهُ
عَنْ شَوَائِبِ الْإِبْتِدَاعِ وَالتَّزْيِيدِ فِي دِينِ اللَّهِ، وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ^(١) وَمُسْلِمٍ^(٢)
قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» وَعِنْدَ
مُسْلِمٍ^(٣): «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

تَلَا الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ
وَالْحَيَوَةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢٠]، فَقَالَ: «أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ،
فَإِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا، لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا
وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا، لَمْ يُقْبَلْ»^(٤).

المَعْلَمُ الثَّلَاثُ: مَنَاطُ الْهَدَايَةِ وَالصَّلَاحِ، وَالْفُوزِ وَالسَّعَادَةِ فِي
طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [الأحزاب]، وَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِنْ
تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]، وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» أَنَّهُ

(١) برقم (٢٦٩٧) من حديث عائشة - رضي الله عنها.

(٢) برقم (١٧١٨) من حديث عائشة - رضي الله عنها.

(٣) برقم (١٧١٨) من حديث عائشة - رضي الله عنها.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩٥)، ويُنظر: «جامع العلوم والحكم» (ص ١٣).

- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قَالَ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا - إِنْ
 اعْتَصَمْتُمْ بِهِ - كِتَابُ اللَّهِ»^(١)، وَفِي رِوَايَةٍ: «كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّتِي»^(٢).
 أَمَّا النَّصُوصُ الْمُلْزِمَةُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَلَا تَكَادُ تَخْفَى عَلَى كُلِّ
 ذِي بَصِيرَةٍ.

المَعْلَمُ الرَّابِعُ: أَنَّ لُزُومَ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاقْتِفَاءَ أثرِهِ،
 وَالْوُقُوفَ عِنْدَ هَدْيِهِ، هُوَ الضَّمَانَةُ الْأَكِيدَةُ لِنَجَاةِ الْأُمَّةِ، وَانْتِشَاهَا مِنْ
 حَمِّ الْفِتَنِ، وَالنَّأْيِ عَنِ جَهَامَةٍ^(٣) الْمُحَدَّثَاتِ وَالضَّلَالَاتِ؛ وَلِذَا فَقَدْ كَانَ
 النَّبِيُّ ﷺ - وَهُوَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ بِأُمَّتِهِ - شَدِيدُ الْحِرْصِ عَلَى أَنْ تَنْطَبِعَ
 سُنَّتُهُ الْمُبَارَكَةُ، فِي قُلُوبِ أُمَّتِهِ؛ إِذْ كَانَ لَهْجٌ^(٤) الْأَمْرِ بِذَلِكَ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ، وَالْأَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ لَا تَكَادُ تَخْفَى عَلَى الْمُسْلِمِ.

المَعْلَمُ الْخَامِسُ وَالْمِهْمُ: أَنَّ مَحَبَّةَ الرَّسُولِ ﷺ دَيْنٌ يَدِينُ اللَّهُ بِهِ

(١) تقدم تخريجه (ص ١٩).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (١/٩٣)، والدارقطني في «سننه» (٤/٢٤٥)،
 والبيهقي في «الكبرى» (١٠/١١٤) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) جَهَامَةٌ: غِلْظَةٌ وَسَاجَةٌ، يُقَالُ: جَهَمَهُ: أَي: اسْتَقْبَلَهُ بِوَجْهِ كَرِيهٍ. يُنْظَرُ: «اللسان»
 (جهم).

(٤) تقدم شرحها (ص ١٥).

كُلُّ مُسْلِمٍ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ وَاجِبٌ لَا خِيَارَ فِيهِ، فَهُوَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -
 إِمَامُنَا وَقُدُوتُنَا وَسَيِّدُنَا وَحَبِيبُنَا، وَحُبُّهُ يَفُوقُ حُبَّ النَّفْسِ وَالْأَهْلِ
 وَالْمَالِ وَالْوَالِدِ، يَقُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، عَنْ
 أَنَسٍ رضي الله عنه: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ
 وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١)، بَيِّنَةٌ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تُقَاسَ مَحَبَّتُهُ - بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي صلوات الله -
 بِمِقْيَاسِ الشَّرْعِ، وَتُوزَنَ بِمِيزَانِ النَّقْلِ الصَّحِيحِ، وَمَعْيَارِ الْكِتَابِ
 وَالسُّنَّةِ، فَشَتَانٌ بَيْنَ الْمَحَبَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ الصَّادِقَةِ، وَبَيْنَ الْمَحَبَّةِ الْمُدَّعَاةِ الْمُرِيفَةِ،
 وَفَضْلٌ مَا بَيْنَهُمَا: تَحْقِيقُ الْمَتَابَعَةِ لِلْمَحْبُوبِ؛ لِقَوْلِهِ - تَعَالَى - ﴿قُلْ إِنْ
 كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].
 وَأَمَّا الْمَحَبَّةُ الْمُدَّعَاةُ، فَهِيَ الْقَائِمَةُ عَلَى الْمَبَانِي دُونَ الْمَعَانِي، وَالْمَظَاهِرِ
 دُونَ الْجَوَاهِرِ، وَالْإِدَّعَاءِ دُونَ الْعَمَلِ وَالْمَتَابَعَةِ، وَذِكْرِيَّاتِ الْمُنَاسَبَاتِ فِي
 أَيَّامٍ وَلِيَالٍ مَعْلُومَاتٍ، دُونَ اتِّبَاعِ مَدَى الْحَيَاةِ إِلَى الْمَمَاتِ.
 فَانظُرْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَحْبُوبُ: مِنْ أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ أَنْتَ؟
 صَوَّرَ الْعَلَّامَةُ ابْنَ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ بِقَوْلِهِ:
 أَتُحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدَّعِي حُبَّهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانٍ

(١) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

وَكَذَا تُعَادِي جَاهِدًا أَحْبَابَهُ أَيْنَ الْمَحَبَّةِ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ
 شَرُّطُ الْمَحَبَّةِ أَنْ تُوَافِقَ مَنْ تُحِبُّ عَلَى مُحَبَّتِهِ بِلا عِضْيَانِ
 فَإِذَا ادَّعَيْتَ لَهُ الْمَحَبَّةَ مَعَ خِلا فَكُ مَا يُحِبُّ فَأَنْتَ ذُو مُهْتَانِ^(١)

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: بِهَذِهِ الْمَعَالِمِ الْوَاضِحَةِ، وَالرَّكَائِزِ الظَّاهِرَةِ، فِي
 قَضِيَّتِي الْاِعْتِقَادِ وَالْاِتِّبَاعِ، يَسْتَطِيعُ كُلُّ ذِي بَصِيرَةٍ، وَيَتَأَهَّلُ كُلُّ ذِي عَقْلِ
 رَشِيدٍ، أَرْقَتَهُ مُجَافَاةُ السُّنَّةِ، أَنْ يَحْكُمَ عَلَيَّ مَا جَدَّ فِي حَيَاةِ النَّاسِ الْيَوْمَ،
 وَمَا أُحْدِثُ فِي مُجْتَمَعَاتِهِمْ، فَيَدْفَعُهُ ذَلِكَ إِلَى التَّمَسُّكِ الصَّحِيحِ بِالْكِتَابِ
 وَالسُّنَّةِ، فَفِيهِمَا السَّلَامَةُ وَالْعِصْمَةُ، بَعِيدًا عَنِ مَظَاهِرِ الْجَفَاءِ أَوْ الْعُلُوِّ.

وَمَا أَحَقَّ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ! وَقَدْ انْسَرَبَتْ^(٢) بِهِمُ السُّبُلُ، وَعَمَّ
 بَيْنَهُمُ التَّنَازُعُ، وَبَعَدَتْ بِهِمُ الشُّقَّةُ وَأَبْعَدُوا النُّجْعَةَ أَنْ يَعُودُوا لِتَأْرِيخِهِمْ
 الْأَغْرَ^(٣)، وَمَا ضِيهِمُ الْأَفْحِ^(٤)، فَلَهُمْ فِيهِ الْمُنْبَعُ الَّذِي
 لَا يَنْضَبُ، وَالْمَعِينُ الَّذِي لَا يَأْسُنُ^(٥)، وَمَا أَحْوَجَهُمْ لِلْفَهْمِ النَّقِيِّ لِسُنَّةِ

(١) يُنظَرُ: «القصيدة النونية» مع شرح ابن عيسى (٢/ ٢٦٤).

(٢) انْسَرَبَتْ: جَرَتْ، يُقَالُ: سَرَبَ الْمَاءُ: إِذَا جَرَى. يُنظَرُ: «اللسان» (سرب).

(٣) الْأَغْرُ: الْحَسَنُ، وَقِيلَ: هُوَ الْأَبْيَضُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. يُنظَرُ: «الصحيح» (غرر).

(٤) تقدم شرحها (ص ٢٩).

(٥) يَأْسُنُ: يَتَغَيَّرُ، وَالْمَاءُ الْأَسْنُ: الَّذِي تَغَيَّرَتْ رِيحُهُ، وَقِيلَ: الَّذِي لَا يَشْرِبُهُ أَحَدٌ لِتَنَنِهِ.

يُنظَرُ: «مفردات ألفاظ القرآن»، و«اللسان» (أسن).

نَبِيَّهِمْ ﷺ وَسِيرَتِهِ، وَمَرَّاجَعَةَ أَنْفُسِهِمْ قَبْلَ أَنْ تُطَوَّحَ بِهِمْ حَيَاةُ الْبُعْدِ عَنِ
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، إِنْ غَلَوْا وَإِفْرَاطًا، وَإِنْ تَضَيَّعًا وَتَفْرِيطًا.

فَإِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ جَدِيدٍ - يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - فَفِيهِمَا
- وَاللَّهِ - الْحُلُّ النَّاجِحُ، وَالذَّوَاءُ النَّاجِعُ^(١) لِكُلِّ الْمَشْكَالَاتِ وَالْمُعْضَلَاتِ،
وَلَنْ تَجْتَمِعَ الْكَلِمَةُ، وَتَتَوَحَّدَ الصُّفُوفُ، وَتَصْلُحَ الشُّعُوبُ، وَيَسْعَدَ
الْعِبَادُ، وَتَأْمَنَ الْبِلَادُ إِلَّا بِذَلِكَ، وَذَلِكَ وَعَدُّ اللَّهِ الَّذِي لَا يُخْلِفُ
الْمِيعَادَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَأَسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا.

(١) تقدم شرحها (ص ٧٣).

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أحوَالِ أَهْلِ الزَّيْغِ
وَالضَّلَالِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،
تَرَكْنَا عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلَهَا كَنْهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ،
فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ

تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ: إِنَّ فَضْلَ مَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
- إِذَا دُعُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَاتَّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ -: أَنَّ الْمُنَافِقِينَ يَقُولُونَ
أَمَّا نُمُّ يُعْرِضُونَ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَيَسْمَعُونَ وَيُطِيعُونَ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ
مَنْهَجَ الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ - عَنِ الْمُنَافِقِينَ: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَأَمَّا بِاللَّهِ
وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقًا مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ
﴿ [النور]، وَيَقُولُ عَنْ مَنْهَجِ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ: ﴿ إِنَّمَا كَانَ
قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ [النور].

فَلْتَقِ اللَّهَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - وَلْنَسْمَعْ وَلْنُطِيعَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ،
وَلْنُحْذِرَ كُلَّ الْحُذْرِ مِنَ الْمُخَالَفَةِ، فَإِنَّ عُقْبَاهَا الْفِتْنَةُ وَالْعَذَابُ الْأَلِيمُ،
عِيَادًا بِاللَّهِ. وَإِنَّهُ لَمِنْ بَابِ عِرْفَانَ الْحَقِّ لِأَهْلِهِ، وَشُكْرِ الْمُنْعِمِ الْمُتَفَضِّلِ
- جَلَّ وَعَلَا -: أَنْ هَذِهِ الْبِلَادُ الْمُبَارَكَةُ، انْبَثَقَ^(١) مِنْهَا فَجْرُ الْإِسْلَامِ،
وَبَزَعَتْ مِنْهَا شَمْسُ الرِّسَالَةِ - فَهِيَ مَهْبِطُ الْوَحْيِ، وَمَنْبَعُ الْهُدَى، وَقِبْلَةُ
الْمُسْلِمِينَ - قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهَا فَبَوَّأَ قَادَتَهَا لِلدَّعْوَةِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فِي
كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِمْ، ثَبَّتَهُمُ اللَّهُ عَلَى الْحَقِّ، وَزَادَهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْخَيْرِ
إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى الْهَادِي إِلَى أَقْوَمِ السُّنَنِ، كَمَا أَمَرَكُمُ الْمَوْلَى
ذُو الرَّحْمَةِ وَالْمِنَنِ، وَذَلِكَ فِي أَصْدَقِ الْقَبِيلِ وَأَحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥١﴾ [الأحزاب].

(١) يُقَالُ: انْبَثَقَ الْفَجْرُ، أَي: أَقْبَلَ مِمَّتًا فِي الشَّرْقِ، وَانْبَثَقَ السَّيْلُ عَلَيْهِمْ، أَي: أَقْبَلَ وَلَمْ
يُحْتَسِبُوهُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (بثق).

القِسْمُ الْخَامِسُ:

الْعِبْرَاتُ

مَعْرَاجُ الْمَوْءُؤِ مِّنَ

الْخُطْبَةِ الْاَوَّلَى:

اِنَّ الْحَمْدَ لِلّٰهِ، نَحْمَدُكَ رَبِّيْ وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوْبُ اِلَيْكَ، وَنَعُوْذُ بِاللّٰهِ
مِنْ شُرُوْرِ اَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ اَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللّٰهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ
يُضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَاَشْهَدُ اِلَّا اِلَهًا اِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ،
سُبْحَانَكَ رَبَّنَا، لَكَ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالسَّنَاءُ، جَعَلْتَ الصَّلَاةَ عِمَادَ الدِّيْنِ،
وَعِصَامَ الْيَقِيْنِ، وَسَلَوَى الطَّائِعِيْنَ، وَقُرَّةَ عِيُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ. وَاَشْهَدُ اَنْ نَبِيَّنَا
مُحَمَّدًا عَبْدُ اللّٰهِ وَرَسُوْلُهُ، وَمُصْطَفَاهُ وَخَلِيْلُهُ، اَفْضَلُ الْبَرِيَّةِ، وَسَيِّدُ
الْبَشَرِيَّةِ، اِمَامُ الْمُتَّقِيْنَ، وَقُدُوَّةُ الْمُصَلِّيْنَ الْخَاشِعِيْنَ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ
عَلَى الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ وَالنَّعْمَةِ الْمُسْتَدَاةِ، نَبِيَّنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللّٰهِ، وَعَلَى اٰلِهِ
الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ، وَاَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِيْنَ وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ وَاهْتَدَى
بِهَدَاهُ اِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ.

اَمَّا بَعْدُ:

فَيَا اَيُّهَا الْمُسْلِمُوْنَ: اتَّقُوا اللّٰهَ رَبَّ الْعَالَمِيْنَ، وَكُوْنُوا بِدِيْنِكُمْ
مُسْتَمْسِكِيْنَ، وَعَلَى عَمُوْدِهِ مُحَافِظِيْنَ، وَفِيْهِ خَاشِعِيْنَ خَاضِعِيْنَ،
تَسْلُكُوْا سَبِيْلَ الْمَفْلِحِيْنَ، وَهَذَا - وَاَيْمُ اللّٰهِ - غَايَةُ الْعَامِلِيْنَ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ فِي خِصْمٍ مَشَاغِلِ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَوِيَّةِ، وَمَا تُفْرِزُهُ الْحَضَارَةُ الْمَادِّيَّةُ مِنْ مُشْكِلَاتِ نَفْسِيَّةٍ وَتَوَثُّرَاتِ
عَصَبِيَّةٍ، يَحْتَاجُ حَاجَةً مُلِحَّةً إِلَى مَا يُنْفَسُ عَنْ مَشَاعِرِهِ، وَيُخَفِّفُ مِنْ
لَأْوَائِهِ^(١) وَمَصَائِبِهِ، وَيَبْعَثُ فِي نَفْسِهِ الطَّمَأِينَةَ الْقَلْبِيَّةَ وَالرَّاحَةَ النَّفْسِيَّةَ،
بَعِيدًا عَنِ الْعُقْدِ وَالْاِكْتِنَابِ، وَالْقَلَقِ وَالِاضْطِرَابِ، وَهَيْهَاتَ أَنْ يَجِدَ
الْإِنْسَانَ ذَلِكَ إِلَّا فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ وَعِبَادَاتِهِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي تُثْمَلُ دَوَاءً
رُوحِيًّا نَاجِعًا لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الْأَدْوِيَّةِ الْمَادِّيَّةِ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَتَحُلُّ بِالْأُمَّةِ حَوَادِثُ وَبَلَايَا، وَتُصَابُ بِكَوَارِثِ
وَرَزَايَا، تَشْغَلُهَا عَنْ قَضَايَاهَا الْأَصْلِيَّةِ وَثَوَابِتِهَا الشَّرْعِيَّةِ، وَتَمُرُّ بِالْأُمَّةِ
الْمُنَاسَبَاتُ وَالْمَوَاسِمُ، فَتَأْخُذُ حَقَّهَا مِنَ التَّذْكِيرِ بِهَا وَالِإِهْتِمَامِ لَهَا، غَيْرَ أَنَّ
حَدِيثَ الْمُنَاسَبَةِ - وَكُلَّ مُنَاسَبَةٍ - مَوْسِمٌ عَظِيمٌ، وَمَنْهَلٌ عَذْبٌ كَرِيمٌ،
يَتَكَرَّرُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي غَفْلَةٍ عَنْ تَحْقِيقِ آثَارِهِ،
وَالْتَنَوِيهِ بِمَكَانَتِهِ وَأَسْرَارِهِ، وَالْعِنَايَةِ بِحِكْمِهِ وَأَحْكَامِهِ، يَقُولُ ﷺ:
«أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلَّ

(١) اللأواء هي: الشدة، يُقال: أصابتهم لأواءٌ ولأواءٌ، كلها الشدة، وتكون اللأواءُ

من شدة المرض. ينظر: «تاج العروس» (لأبي)

يَبْقَى مِنْ دَرْنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرْنِهِ شَيْءٌ. قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»، متفق عليه^(١).

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: نَتِيجَةَ انْبِعَاثِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَارْتِمَائِهِمْ فِي أَحْضَانِ الدُّنْيَا، وَالتَّنَافُسِ فِي جَمْعِ حُطَامِهَا، وَانْشِغَالِ الْقُلُوبِ وَالْهَمَمِ بِهَا، وَنَسْيَانِ الدَّارِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَالْغَفْلَةِ عَنِ الْعَمَلِ لَهَا فِي هَذَا الصِّرَاعِ وَالِاحْتِدَامِ الْحَيَاتِيِّ، تَنَاسَى بَعْضُهُمْ مَكَانَةَ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ، فَلَمْ يُبَالُوا بِهَا، وَلَمْ يَكْتَرْتُوا بِإِقَامَتِهَا، وَصَدَقَ فِيهِمْ قَوْلُ الْحَقِّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى :- ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ

فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ [مریم].

وَصِنْفٌ آخَرٌ يُؤَدِّبُهَا، وَلَكِنْ مَعَ الْوُقُوعِ فِي الْخَلَلِ، وَالِاسْتِمْرَارِ فِي الزَّلَلِ، يُصَلُّونَ وَلَكِنْ لَا تُرَى آثَارُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ، لَا يَتَأَدَّبُونَ بِأَدَابِهَا، وَلَا يَلْتَرَمُونَ بِأَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا، صَلَاتُهُمْ صُورِيَّةٌ شَكْلِيَّةٌ؛ لِإِخْلَالِهِمْ بِلُبِّهَا وَرُوحِهَا وَخُشُوعِهَا، يُصَلُّونَ جَسَدًا بِلَا رُوحٍ، وَبَدَنًا بِلَا قَلْبٍ، وَحَرَكَاتٍ بِلَا مَشَاعِرَ وَأَحَاسِيسٍ، صَلَاتُهُمْ مَرْتَعٌ لِلْوَسَاوِسِ وَالْهَوَاجِسِ، يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَهُمْ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ، فَيَجْعَلُهُ يَصُولُ

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَيَجُولُ بِفِكْرِهِ فِي مَجَالَاتِ الدُّنْيَا، يَتَحَرَّكُ وَيَتَشَاغَلُ، وَيَسْتَطِيلُ
وَيَتَشَاوَلُ، وَيَلْتَفِتُ بِقَلْبِهِ وَبَصَرِهِ إِلَى حَيْثُ يُرِيدُ، فَيَنْفَتِلُ مِنْ صَلَاتِهِ وَلَمْ
يَعْقِلْ مِنْهَا إِلَّا قَلِيلًا، بَلْ لَعَلَّ بَعْضَهُمْ لَا يَعْقِلُ مِنْهَا شَيْئًا.

ثُمَّ لَا تَسْأَلُ عَنِ الْأَحْوَالِ وَسَيِّئِ الْفِعَالِ، وَقَبِيحِ الْخِصَالِ بَعْدَ
الصَّلَاةِ: فَحُشٌّ فِي الْقَوْلِ، وَإِسَاءَةٌ فِي الْفِعْلِ، وَأَكْلٌ لِلْحَرَامِ، وَتَعَسُّفٌ
فِي الْأَخْلَاقِ، وَاجْتِرَاحٌ^(١) لِلسَّيِّئَاتِ، وَإِضْرَارٌ عَلَى الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ،
وَرَبَّمَا تَسَاءَلَ بَعْضُهُمْ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ
تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ هَذِهِ
الآيَةِ؟ فَنَحْنُ نُؤَدِّي الصَّلَاةَ، وَلَكِنْ لَا أَثْرَ لَهَا فِي حَيَاتِنَا، وَلَا ثَمْرَةَ لَهَا فِي
وَأَقِينَا، وَتَغْيِيرِ أَحْوَالِنَا، وَتَحْسُنِ مَنَاهِجِنَا، وَصَلَاحِ سَائِرِ جَوَانِبِ
حَيَاتِنَا؟

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: إِنَّ الصَّلَاةَ الَّتِي يُرِيدُهَا الْإِسْلَامُ هِيَ الَّتِي تُمَثِّلُ
الْمِعْرَاجَ الرُّوحِيَّ لِلْمُؤْمِنِ، حَيْثُ تَعْرُجُ بِهِ رُوحُهُ كُلَّمَا قَامَ مُصَلِّيًا فِي
فَرِيضَةٍ أَوْ نَافِلَةٍ، مُنْتَقِلَةً مِنْ عَالَمِ الْمَادَّةِ الَّذِي سَبَا، وَفَرَّقَ النَّاسَ أَيْدِي سَبَا

(١) اجْتَرَحَ الشَّيْءَ: اِكْتَسَبَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾
[الجاثية: ٢١]، أَيْ: اِكْتَسَبُوهَا. يُنْظَرُ: «مَفْرَدَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ» (جَرَح).

إِلَى عَالَمِ السُّمُومِ وَالطُّهْرِ وَالصَّفَاءِ وَالنَّقَاءِ، وَفِي ذَلِكَ مَصْدَرُ السَّعَادَةِ
وَالسُّرُورِ، وَمَبْعَثُ الطَّمَأْنِينَةِ وَالْحُبُورِ، وَالنَّبْعِ الْجِيَّاشِ^(١) لِكُلِّ عَمَلٍ
صَالِحٍ مَبْرُورٍ، وَكَانَ ذَلِكَ دَيْدَنَ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا، وَهَكَذَا كَانَ الْمُصْطَفَى
الْقُدُّوَةُ ﷺ: «إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى»، خَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ^(٢) وَأَبُو دَاوُدَ^(٣)
مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: الصَّلَاةُ غِذَاءُ الْقُلُوبِ، وَزَادَ الْأَرْوَاحَ،
مُنَاجَاةً وَدُعَاءً، خُضُوعٌ وَتَنَاءً، وَتَذَلُّلٌ وَبُكَاءٌ، وَتَوَشُّلٌ وَرَجَاءٌ،
وَاعْتِصَامٌ وَالتَّجَاءُ، وَتَوَاضَعٌ لِكِبْرِيَاءِ اللَّهِ، وَخُضُوعٌ لِعِظَمَتِهِ، وَانْطِرَاحٌ
بَيْنَ يَدَيْهِ، وَانْكِسَارٌ وَافْتِقَارٌ إِلَيْهِ، تَذَلُّلٌ وَعُبُودِيَّةٌ، وَتَقَرُّبٌ وَخُشُوعٌ
لِجَنَابِ الرَّبُّوبِيَّةِ، إِتْمَانٌ مَلْجَأٌ الْمُسْلِمِ، وَمَلَاذُ الْمُؤْمِنِ، فِيهَا يَجِدُ الْبَلْسَمَ
الشَّافِي، وَالدَّوَاءَ الْكَافِي، وَالغِذَاءَ الْوَافِي، إِتْمَانٌ خَيْرٌ عُدَّةٍ وَسِلَاحٍ، وَأَفْضَلُ
جُنَّةٍ وَكِفَاحٍ، وَأَعْظَمُ وَسِيلَةٍ لِلصَّلَاحِ وَالْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ، تُنْشِئُ فِي
النُّفُوسِ، وَتُذَكِّي فِي الضَّمَائِرِ قُوَّةَ رُوحِيَّةٍ، وَإِيمَانًا رَاسِخًا، وَيَقِينًا عَمِيقًا،

(١) جَاشَتِ الْعَيْنُ: فَاضَتْ بِالذَّمُوعِ، وَجَاشَ الْوَادِي يَجِيشُ جَيْشًا: زَخَرَ وَامْتَدَّ جِدًّا.

يُنْظَرُ: «تَاجُ الْعُرُوسِ» (جَيْش).

(٢) فِي الْمُسْنَدِ (٥/٣٨٨).

(٣) بِرَقْمِ (١٣١٩).

وَنُورًا يُبَدِّدُ ظُلُمَاتِ الْفِتَنِ، وَيُقَاوِمُ أَعْتَى الْمَغْرِبَاتِ وَالْمِحَنِ، وَكَمْ فِيهَا مِنْ
الْأَسْرَارِ، وَالْحِكْمِ وَالْمَقَاصِدِ وَالْغَايَاتِ، الَّتِي لَا يَعْقِلُهَا كَثِيرٌ مِمَّنْ يُؤَدِّبُهَا،
فَمَا أَعْظَمَ الْأَجْرَ، وَأَوْفَرَ الْحِظَّ، لِمَنْ أَدَّاهَا عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ.

أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ ^(١) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَمْسُ
صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، مَنْ أَحْسَنَ وَضُوءَهُنَّ، وَصَلَّاهُنَّ
لِوَقْتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ، كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ».

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: لَا تَخْفَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مَكَانَةُ
الصَّلَاةِ فِي دِينِ اللَّهِ، وَمَنْزِلَتُهَا فِي شَرَعِ اللَّهِ، فَهِيَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ،
وَالْفَاصِلُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَمَنْزِلَتُهَا فِي الْإِسْلَامِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ
الْجَسَدِ، فَكَمَا أَنَّهُ لَا حَيَاةَ لِمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ، فَكَذَلِكَ لَا دِينَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ،
وَنُصُوصُ الشَّرْعِ فِي ذَلِكَ مُتَضَافِرَةٌ ^(٢) بِحَمْدِ اللَّهِ.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ بِهَذِهِ الْأَهْمِيَّةِ وَالْحَطُورَةِ، فَإِنَّ الَّذِي تَأْسَى لَهُ النَّفْسُ،
وَيَتَأَلَّمُ لَهُ الْقَلْبُ، أَنَّهُ لَا يَزَالُ فِي عِدَادِ الْمُتَسَبِّبِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ مَنْ لَا يَرْفَعُ

(١) برقم (٤٢٥) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) مُتَضَافِرَةٌ: مجتمعة، يُقال: تَضَافَرَ الْقَوْمُ عَلَى فُلَانٍ: إِذَا تَعَاوَنُوا وَتَجَمَّعُوا عَلَيْهِ.

يُنْظَرُ: «تاج العروس» (ضفر).

رَأْسًا بِهَا، وَلَا يَخْفُقُ قَلْبُهُ لَهَا!! فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يَعِيشُونَ بَيْنَ ظَهْرَانِي
 الْمُسْلِمِينَ، قَدْ خَفَّ مِيزَانُ الصَّلَاةِ عِنْدَهُمْ، وَطَاشَ مِعْيَارُهَا، بَلْ لَرُبَّمَا
 تَعَدَّى الْأَمْرُ إِلَى مَا هُوَ أَفْظَعُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!
 قُلُوبُهُمْ عَنِ اللَّهِ نَافِرَةٌ، وَأَعْمَالُهُمْ فِي شَرِكِ الْغَفْلَةِ وَالْقَسْوَةِ حَائِرَةٌ،
 فَهَلْ يَنْتَهِي أَوْلَتُكَ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ سَخَطُ اللَّهِ، وَتُعَاجِلُهُمُ الْمَنِيَّةُ وَهُمْ
 عَلَى هَذِهِ الْحَالِ السَّيِّئَةِ؟

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُصَلُّونَ: لَتَهْنِكُمْ الصَّلَاةُ! وَيَا بُشْرَى لَكُمْ مَا
 شَرَحَ اللَّهُ صُدُورَكُمْ لِهَذِهِ الْفَرِيضَةِ الْعَظِيمَةِ! وَهَنِيئًا لَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ
 وَفَضْلُهُ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ؛ لِقِيَامِكُمْ بِهَذَا الْوَاجِبِ الشَّرْعِيِّ الْعَظِيمِ!
 وَلَكِنْ أَيُّهَا الْمُصَلُّونَ: لِتَعْلَمُوا أَنَّ لِلصَّلَاةِ الْمَقْبُولَةِ شُرُوطًا
 وَأَرْكَانًا وَوَاجِبَاتٍ وَأَدَابًا لَا بُدَّ مِنَ الْوَفَاءِ بِهَا، كَمَا أَنَّ هُنَاكَ مَسَائِلَ مُهِمَّةً،
 وَأَخْطَاءً شَائِعَةً فِي هَذِهِ الْفَرِيضَةِ، يَحْتَاجُ الْمُصَلُّونَ مَعْرِفَتَهَا.

وَقَدْ وَرَدَ عِنْدَ أَحْمَدَ^(١): «إِنَّ أَسْوَأَ النَّاسِ سَرِقَةٌ الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ
 صَلَاتِهِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ؟ قَالَ: «لَا يُتِمُّ
 رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا». كَمَا وَرَدَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ

(١) في «المسند» (٣١٠/٥) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

مِنْهَا إِلَّا عَشْرَهَا تُسَعِّهَا ثَمْنُهَا سُبْعُهَا سُدُسُهَا خُمْسُهَا رُبْعُهَا ثُلُثُهَا
 نِصْفُهَا»^(١). وَهَذَا يَدْعُو الْمُسْلِمَ الْمُصَلِّيَ إِلَى أَنْ يَتَّبِعَهُ لِشَأْنِ صَلَاتِهِ؛ حَتَّى
 لَا يَخْسَرَ الثَّوَابَ، وَيَبُوءَ بِالْعِقَابِ، مُتَعَهِّدًا طَهَارَتَهَا وَشُرُوطَهَا وَأَرْكَانَهَا
 وَوَاجِبَاتِهَا، مُجْتَهِدًا فِي الْخُشُوعِ فِيهَا، فَهُوَ لُبُّهَا وَرُوحُهَا.

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ: لَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ، وَوَصَفَهُمْ
 بِالْخُشُوعِ لَهُ فِي أَجْلِ عِبَادَاتِهِمْ، وَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ الْفَوْزَ وَالْفَلَاحَ، فَقَالَ
 - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ

﴿٢﴾﴾ [المؤمنون]، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «أَيُّ: قَدْ فَازُوا
 وَسَعِدُوا وَحَصَلُوا عَلَى الْفَلَاحِ»^(٢).

وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَأَصْلُ الْخُشُوعِ: هُوَ لِينُ الْقَلْبِ
 وَرِقَّتُهُ وَسُكُونُهُ وَخُضُوعُهُ وَانْكِسَارُهُ وَحُرْقَتُهُ، فَإِذَا خَشَعَ الْقَلْبُ تَبِعَهُ
 خُشُوعُ جَمِيعِ الْجَوَارِحِ لِأَنَّهَا تَابِعَةٌ لَهُ»^(٣).

وَقَدْ رَأَى بَعْضُ السَّلَفِ رَجُلًا يَعْثُ بِلِخِيَّتِهِ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ:

(١) أخرجه أبو داود (٧٩٦)، وأحمد (٣٢١/٤) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه.

(٢) يُنظر: «تفسير ابن كثير» (٣/٢٣٩).

(٣) يُنظر: «الخشوع في الصلاة» (ص ١٧).

«لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ». رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ حُدَيْفَةَ رضي الله عنه (١)،
 وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رضي الله عنه (٢)، وَيُرْوَى مَرْفُوعًا، لَكِنْ بِإِسْنَادٍ لَا يَصِحُّ (٣).
 وَفِي مَعْنَى الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «هُوَ
 الْخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ، وَأَنْ تَلِينَ كَنَفَكَ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ، وَأَنْ لَا تَلْتَفِتَ فِي
 صَلَاتِكَ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا» (٤).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي
 صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون]، قَالَ: «خَائِفُونَ سَاكِنُونَ» (٥).

-
- (١) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٩٤/١).
 (٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤١٩/١)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة»
 (١٩٤/١)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٢٦٦/٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه»
 (٨٦/٢).
 (٣) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (٢١٠/٣) مرفوعًا من حديث أبي
 هريرة رضي الله عنه. قال الحافظ العراقي: «فيه سليمان بن عمرو، مجمع على ضعفه».
 يُنظر: «طرح التثريب في شرح التقريب» (٣٣٣/٢).
 (٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٠٣/١)، وعبد الرزاق في «مصنفه»
 (٢٥٥/٢)، والطبري في «تفسيره» (٢/١٨)، والحاكم في «المستدرک»
 (٣٩٣/٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٧٩/٢).
 (٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/١٨).

وَعَنِ الْحَسَنِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: «كَانَ الْخُشُوعُ فِي قُلُوبِهِمْ فَغَضُوا
بِذَلِكَ أَبْصَارَهُمْ، وَحَفِضُوا الْجَنَاحَ»^(١).

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: «كَانُوا يُحْفِضُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى مَوْضِعِ
سُجُودِهِمْ»^(٢).

وَحِكَايَ عَنِ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ،
فَسَقَطَ حَائِطُ الْمَسْجِدِ، فَفَزِعَ أَهْلُ السُّوقِ لِهَدَّاتِهِ فَمَا التَفَتَ، وَلَمَّا هُنَّئِ
بِسَلَامَتِهِ عَجِبَ! وَقَالَ: مَا شَعُرْتُ بِهِ^(٣).

هَذَا هُوَ مَنَهْجُ السَّلَفِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - الَّذِينَ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ تَسْتَشْعِرُ
رَهْبَةَ الْمَوْقِفِ فِي الصَّلَاةِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ؛ فَتَسْكُنُ وَتَخْشَعُ، فَيَسْرِي
الْخُشُوعُ مِنْهَا إِلَى جَمِيعِ الْجَوَارِحِ وَكُلِّ الْحَرَكَاتِ وَالْمَلَامِحِ، وَيَغْشَى
أَرْوَاحَهُمْ جَلَالُ اللَّهِ وَعَظَمَتُهُ وَهُمْ يَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَتَخْتَفِي مِنْ
أَذْهَانِهِمْ جَمِيعُ الشَّوَاغِلِ عِنْدَمَا يَشْتَغِلُونَ بِمُنَاجَاةِ الْجَبَّارِ - جَلَّ جَلَالُهُ -
وَيَتَوَارَى عَنْ حِسِّهِمْ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ كُلِّ مَا حَوْلَهُمْ؛ فَيَتَطَهَّرُ وَجَدَانُهُمْ
مِنْ كُلِّ دَنْسٍ، وَيَنْفِضُونَ عَنْهُمْ كُلَّ شَائِبَةٍ، وَتَتَوَارَى أَمَامَ لَذِيذِ

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/١٨).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/١٨).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١/٣٨٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/٢٩١).

مُنَاجَاتِهِمْ كُلَّ نَائِبَةٍ، وَعِنْدئذٍ تَتَضَاعَلُ الْمَادِيَّاتُ، وَتَتَلَاشَى جَمِيعُ الدُّنْيَوِيَّاتِ، وَحِينَئذٍ تَكُونُ الصَّلَاةُ رَاحَةً قَلْبِيَّةً، وَطَمَإِينَةً نَفْسِيَّةً، وَقُرَّةَ عَيْنٍ حَقِيقَةً، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ^(١) وَالنَّسَائِيُّ^(٢) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ». وَمَا أَعْظَمَ ذَلِكَ، وَمَا أَجَلَّهُ!

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِإِبِلَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا بِلَالُ، أَقِمِ الصَّلَاةَ، أَرِحْنَا بِهَا». رَوَاهُ أَحْمَدُ^(٣) وَأَبُو دَاوُدَ^(٤).

اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا الرَّاحَةُ الدَّائِمَةُ لِلنَّفُوسِ الْمُطْمَئِنَّةِ؛ لِكَيْ تَشْعُرَ مِنْ خِلَالِ إِقَامَتِهَا أَنَّهَا تُنَاجِي مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ الْمُصَلِّيَّ حِينَئِذَا يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ إِنَّهَا هُوَ تَعْظِيمٌ لِلَّهِ، وَإِذَا وَضَعَ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى، فَهُوَ ذُلٌّ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاهُ، كَمَا سُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنِ الْمُرَادِ بِذَلِكَ فَقَالَ: «هُوَ ذُلٌّ بَيْنَ يَدَيْ عَزِيزٍ»^(٥)، وَإِذَا رَكَعَ فَهُوَ إِقْرَارٌ بِعَظَمَةِ

(١) في «المسند» (٣/٢٨٥).

(٢) في «المجتبى» (٧/٦١).

(٣) في «المسند» (٥/٣٦٤) من حديث رجل - لم يُسَمَّ - من أصحاب رسول الله ﷺ.

(٤) واللفظ له برقم (٤٩٨٥) من حديث رجل - لم يُسَمَّ - من أصحاب رسول الله ﷺ.

(٥) أخرجه ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/٨٤).

اللَّهِ، وَإِذَا سَجَدَ فَهُوَ تَوَاضِعٌ أَمَامَ عُلُوِّ اللَّهِ.
وَهَكَذَا يَكُونُ الْمُسْلِمُ فِي صَلَاتِهِ، يُوثِقُ الصَّلَاةَ بِمَوْلَاهُ؛ لِيَقْوَزَ بِوَعْدِ
اللَّهِ الَّذِي لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ^(١) عَنْ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ: «مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ نَحَضَّرُهُ صَلَاةً مَكْتُوبَةً، فَيُحْسِنُ وَضُوءَهَا
وَحُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ
تُوتْ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ».

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُصَلُّونَ: إِنَّ الْمُصَلِّيَّ حَقًّا مَنْ يُقِيمُ الصَّلَاةَ كَامِلَةً
الْفَرَائِضِ وَالْأَرْكَانِ، مُسْتَوْفِيَةِ الشُّرُوطِ وَالْوَاجِبَاتِ وَالْآدَابِ، يَسْتَعْرِقُ
فِيهَا الْقَلْبَ، وَيَتَفَاعَلُ مِنْ خِلَالِهَا الْوُجْدَانَ، وَيُحَافِظُ عَلَيْهَا مُحَافِظَةً تَامَةً
قَدَرِ الطَّاقَةِ، يَبْعَثُهُ عَلَى ذَلِكَ قَلْبٌ يَقْظٌ، وَشُعُورٌ صَادِقٌ، وَإِحْسَاسٌ
مُرْهَفٌ، وَضَمِيرٌ حَيٌّ، فَيَنْصَرِفُ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَى الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ الْحُشُوعَ فِيهَا
إِنَّمَا يَحْصُلُ لِمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ لَهَا، وَاشْتَغَلَ بِهَا عَمَّا عَدَاهَا، وَآثَرَهَا عَلَى
غَيْرِهَا، وَهَذِهِ دَرَجَةٌ تُحَلَّقُ بِالْمُصَلِّيِّ فِي مَصَافِّ الْأَخْيَارِ الْأَبْرَارِ.

وَمَنْزِلَةُ الْحُشُوعِ مِنَ الصَّلَاةِ - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - كَمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنْ

(١) برقم (٢٢٨).

الجسد، فالذي يجعل الصلاة مرتعة للتفكير في أمور دنياه، ومجلاً للهواجس في مشاغله، قلبه في كل وادٍ، وهمه في كل مكان، يختلس الشيطان من صلاته بكثرة التفاتيه، وعيته بملابسه ويده، ورجليه وجوارحه، وربما أحل بطمأنينتها، ولم يع ما قرأ فيها، فيخشى أن ترد عليه صلاته، فقد ورد عند الطبراني^(١) وغيره^(٢): أن صلاة من هذه حاله، تلف كما يلف الثوب الخلق^(٣)، ثم يرمى بها وجه صاحبها، عياداً بالله.

أمة الإسلام: إنه لما طال بالناس الأمد، وقست قلوبهم، وأسأؤوا فهم شعائر الإسلام، أصبحت ترى من يخل ببعض الشروط والأركان والواجبات، فلم تعمل الصلاة عملها في قلوب الناس، ولم تؤثر في حياتهم، فهناك من يودها، ولكن لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر، ولا تمنعه مما يندس العقيدة أو يخالف السنة، أو يناقض مبادئ الإسلام، ولا تمنعه من تعاطي الربا، واقتراف الزنى والرشوة والغش، وشرب المسكرات، وتعاطي المخدرات، أو التساهل في

(١) في «المعجم الأوسط» (٣/٢٦٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣/١٤٣) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٣) الخلق: البالي، خلق وأخلق إخلاقاً واخلوq: بلي. يُنظر: «اللسان» (خلق).

حُقُوقِ الْعِبَادِ وَالْوَقِيعَةِ فِي أَعْرَاضِهِمْ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ. هَلْ أَوْلَيْكَ قَدْ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَدَّوْا حَقَّهَا؟

وَاللَّهِ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَانْتَهَوْا عَنْ كُلِّ مُحَرَّمٍ، وَأَقْلَعُوا عَنْ كُلِّ مَا يُخَالِفُ شَرْعَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَلَكِنَّهُ إِضَاعَةٌ جَوْهَرِ الصَّلَاةِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!

خَرَجَ التِّرْمِذِيُّ^(١) مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: «أَنَّ أَوَّلَ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ: الْخُشُوعُ، فَيُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَلَا تَرَى فِيهِ رَجُلًا خَاشِعًا». فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ: مَا هِيَ حَالُنَا الْيَوْمَ مَعَ هَذِهِ الْفَرِيضَةِ الْعَظِيمَةِ؟
أَجْسَادٌ تَهْوِي إِلَى الْأَرْضِ، وَقُلُوبٌ غَافِلَةٌ هَامِدَةٌ، وَأَفْنِدَةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِالدُّنْيَا،
وَهُمْ مُرْتَكِسَةٌ^(٢)، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ.

فَهَلْ مِنْ عَوْدَةٍ صَادِقَةٍ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - إِلَى تَرْسُمِ خُطَى
الْمُصْطَفَى ﷺ فِي هَذِهِ الْفَرِيضَةِ الْعَظِيمَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ فَرَائِضِ الْإِسْلَامِ؟

(١) برقم (٢٦٥٣).

(٢) مُرْتَكِسَةٌ: مردودة، يُقال: رَكَسْتُ الشَّيْءَ وَأَرَكَسْتُهُ: إِذَا رَدَدْتَهُ وَرَجَعْتَهُ، وَالرَّكَسُ:

قلب الشَّيْءِ عَلَى رَأْسِهِ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (رَكَسَ).

فَتَكُونُ الْأَنْبِيَاءَ الْمُؤَنَسَ، وَالْمُغِيثَ الْمُنَجِّدَ إِذَا حَزَبْنَا الْأُمُورَ، وَهَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ شَأْنُ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ؛ لِتَعُودَ لِلْأُمَّةِ قُوَّتُهَا وَهَيْبَتُهَا، بَعْدَ أَنْ مُنِيَتْ بِنَكْسَةِ خَطِرَةِ أَفْقَدَتَهَا كَثِيرًا مِنْ مَقُومَاتِهَا الَّتِي تَجْعَلُهَا مُتَمَسِكَةً قَوِيَّةً.

أَلَا مَا أُخْرِي الْأُمَّةَ، وَهِيَ تَتَجَرَّعُ غُصَصَ الْهَزَائِمِ، أَنْ تَتَحَرَّى الْأَسْبَابَ وَالذَّوَافِعَ؛ لِتَقُومَ بِالتَّغْلِبِ عَلَيْهَا، وَإِنَّهَا وَاجِدَةٌ فِي شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ - وَأَعْظَمُهَا الصَّلَاةُ - مَا يَكُونُ سَبَبًا فِي صَقْلِ الْأَفْرَادِ، وَتَهْدِيبِ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَصَلَاحِ الْأَحْوَالِ، وَالْقَضَاءِ عَلَى أَسْبَابِ الضَّعْفِ وَالهَرِيمَةِ، وَخَوَاءِ الرُّوحِ الْمَعْنَوِيَّةِ فِي الْأُمَّةِ، وَاللَّهُ الْمَعِينُ وَالنَّصِيرُ!

نَحْنُ الَّذِينَ إِذَا دُعُوا لِصَلَاتِهِمْ وَالْحَرْبُ تَسْقِي الْأَرْضَ جَامًا أَحْمَرًا
جَعَلُوا الْوُجُوهَ إِلَى الْحِجَازِ فَكَبَّرُوا فِي مَسْمَعِ الرُّوحِ الْأَمِينِ فَكَبَّرُوا^(١)
أَلَا فَلْتَقِ اللَّهَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - فِي أُمُورِنَا عَامَّةً وَفِي صَلَاتِنَا خَاصَّةً،
فَإِنَّ حَظَّ الْمَرْءِ مِنَ الْإِسْلَامِ عَلَى قَدْرِ حَظِّهِ مِنَ الصَّلَاةِ.

وَلِنُفَكِّرَ فِي حَالِنَا: مَاذَا جَنِينَا مِنْ جَرَاءِ التَّهَاوُنِ بِشَعَائِرِ الْإِسْلَامِ
كُلِّهِ وَلَا سِيَّيَا الصَّلَاةِ، إِنَّ أُمَّةً لَا يَقِفُ أَفْرَادُهَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فِي الصَّلَاةِ

(١) الأبيات من قصيدة (شكوى) للشاعر محمد إقبال، يُنظر: «ديوانه» (١/ ٩٥).

لِطَلْبِ الْفَضْلِ وَالْحَيْرِ مِنْهُ، لَجْدِيرَةٌ أَلَّا تَقِفَ ثَابِتَةً فِي مَوَاقِفِ الْحَيْرِ
وَالْوَحْدَةِ، وَالنَّصْرِ وَالْقُوَّةِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ كُلُّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَإِذَا
أَصْلَحْنَا مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ.

وَإِنَّ أُمَّةً لَا يُعَفِّرُ أَبْنَاءُهَا وَجُوهَهُمْ فِي التُّرَابِ، وَيَمْرُغُونَ جِبَاهَهُمْ
فِي الْأَرْضِ؛ تَعْظِيمًا لِحَالِقِهِمْ، وَإِعْلَانًا لِلْعُبُودِيَّةِ التَّامَّةِ لَهُ، لِحَرِيَّةٍ أَنْ
لَا تَتَّبَتْ أَمَامَ التَّحَدِّيَّاتِ وَالْمُتَغَيَّرَاتِ، وَأَنْ تَذُوبَ فِي خِضَمِّ^(١) الْمَغْرِيَّاتِ
وَالْإِبْتِلَاءَاتِ، وَسُيُولِ الْمِحَنِ وَالْبَلَايَا، وَأَنْ تَغْرَقَ فِي مُسْتَنْقَعَاتِ الْفِتَنِ
وَالرِّزَايَا، وَإِنَّ مَرَدَّ تَرَدُّي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْضَاعِ فِي شَتَّى الْبِقَاعِ؛ لِتَرَدِّي
أَبْنَائِهَا فِي أَوْدِيَةِ الْمُخَالَفَاتِ، وَعَدَمِ الْقِيَامِ بِمَا هُوَ مِنْ أَوْجِبِ الْوَاجِبَاتِ،
أَلَّا وَهُوَ الصَّلَاةُ، فَإِلَى اللَّهِ الْمُشْتَكَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ!!

وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ، أَنْ يُصْلِحَ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَيَرْزُقَهُمْ
الْفَقْهَ فِي دِينِهِ وَالْبَصِيرَةَ فِيهِ، وَأَنْ يُجْعَلَهُمْ مُحَافِظِينَ عَلَى شَعَائِرِ دِينِهِمْ،
مُعَظَّمِينَ لَهَا، قَائِمِينَ بِعَمُودِهَا عَلَى خَيْرِ وَجْهِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ

(١) الْخِضَمُّ: الْجَمْعُ الْكَثِيرُ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (خِضَم).

وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ [البقرة]، بَارَكَ اللَّهُ لِي
وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِهِدِي سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ.
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَأَسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ عِمَادًا، وَجَعَلَ الصَّلَاةَ لَنَا ذُخْرًا وَزَادًا،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ فَلَا شُرَكَاءَ وَلَا أُنْدَادًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا
مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَكْمَلَ الْأُمَّةَ إِيْمَانًا وَصَلَاةً، وَأَعْظَمَهَا عِبَادَةً
وَجِهَادًا، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ، صَلَاةً وَسَلَامًا تَامِينَ مُتَلَازِمِينَ
لَا نُحْصِيهِمَا أَعْدَادًا، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ، إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُ النَّاسُ
زُرَافَاتٍ^(١) وَفُرَادَى.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَعَظِّمُوا شَعَائِرَ دِينِكُمْ، وَاسْتَحْضِرُوا
فِيهَا عَظْمَةَ بَارئِكُمْ - جَلَّ وَعَلَا - وَفَرِّغُوا قُلُوبَكُمْ مِنَ الشَّوَاغِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ،
وَالْعَلَاتِقِ الْمَادِّيَّةِ، وَأَقِيمُوا صَلَاتَكُمْ بِقُلُوبٍ حَاضِرَةٍ خَاشِعَةٍ، مُنِيبَةٍ
ضَارِعَةٍ.

وَاعْلَمُوا - يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ - أَنَّ أَجَلَ مَا يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ: حُضُورُ
الْقَلْبِ فِيهَا، وَاسْتِشْعَارُ عَظْمَةِ وَجَلَالِ الْخَالِقِ - جَلَّ وَعَلَا - وَتَفْرِغُ

(١) الزُّرَافَةُ: الجماعة، والزُّرَافَاتُ: الجماعات. يُنظر: «تاج العروس» (زرَف).

الْقُلُوبِ مِنَ الصَّوَارِفِ عَنِ اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ، وَالتَّخَفُّفُ مِنْ شَوَاغِلِ
الدُّنْيَا، وَعِمَارَةُ الْقُلُوبِ بِالْإِيمَانِ، وَسَدُّ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ عَلَى الْإِنْسَانِ.
وَمَا يُعِينُ الْعَبْدَ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا: قَصْرُ النَّظَرِ عَلَى مَوْضِعِ السُّجُودِ،
وَوَضْعُ الْيَدِ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى حَالَ الْقِيَامِ، وَالتَّدَبُّرُ فِيمَا يَقْرَأُ مِنَ
الْقُرْآنِ، وَفِيمَا يُرَدِّدُ مِنَ الْأَدْعِيَةِ، وَعَدَمُ الْإِلْتِفَاتِ، وَمُرَاعَاةُ الطَّمَأِينَةِ،
وَالْحَذَرُ مِنَ الْعَجَلَةِ وَالْعَبَثِ وَالْحَرَكَةِ. وَعَلَيْهِ اتِّبَاعُ الْإِمَامِ فِي حَرَكَاتِهِ
وَسَكَنَاتِهِ، وَانْتِقَالَاتِهِ، كُلُّ ذَلِكَ مَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنَ الْأَسْبَابِ
الَّتِي تُعِينُ الْمُسْلِمَ عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ كَمَا شَرَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَسَنَّ
رَسُولُهُ ﷺ، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُرَوِّضَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: إِنَّ مِنَ الظَّوَاهِرِ الْجَدِيدَةِ بِالْمُعَالَجَةِ - وَالَّتِي
لَهَا أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي انْصِرَافِ الْمُصَلِّينَ عَنِ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ - مَا قَدَفَتْ بِهِ
الْمَدِينَةُ الْمُعَاصِرَةُ مِنْ وَسَائِلِ الْإِتِّصَالِ الْحَدِيثَةِ، كَالهَوَاتِفِ الْمُتَنَقِّلَةِ الَّتِي يُلِي
بِهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَصْطَحِبُونَهَا فِي صَلَوَاتِهِمْ وَمَسَاجِدِهِمْ، وَهِيَ
تُسَبِّبُ أَدَى وَإِزْعَاجًا لِلْمُصَلِّينَ، فَأَيُّ خُشُوعٍ عِنْدَ هَذَا الْمُصَلِّي - عَفَا اللَّهُ
عَنْهُ - الَّذِي يَقْطَعُ حَلَاوَةَ إِقْبَالِهِ عَلَى رَبِّهِ، وَلَذِيذُ مُنَاجَاتِهِ لِخَالِقِهِ، رَنِينُ
هَاتِفِهِ الْمُتَكَرِّرِ؟! وَبَعْضُهُ بِنَعْمٍ مُحَرَّمٍ، فَيَشْغَلُ نَفْسَهُ وَيُوْذِي غَيْرَهُ، فَهَلْ
هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى الْمَسْجِدِ مُصْطَحِبِينَ هَذِهِ الْأَجْهَزَةَ مَفْتُوحَةً

جاءوا مُصَلِّينَ أَمْ مَاذَا؟

أَلَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ أُولَئِكَ فِي صَلَاتِهِمْ، وَلِيَحْذَرُوا مِنْ إِذَاءِ إِخْوَانِهِمْ
المُصَلِّينَ، وَهَتْكَ حُرْمَةَ بَيْوتِ اللَّهِ، وَمَتَى عَلِمَ اللَّهُ مِنْ عَبْدِهِ الرَّغْبَةَ فِي
الْحَيْرِ وَفَقَهُ لَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ.

وَلَوْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ، أَدَّوْا هَذِهِ الصَّلَاةَ كَمَا سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
مِنَ الْخُشُوعِ وَالسَّكِينَةِ وَالرَّقَّةِ وَالْوَقَارِ؛ لَكَانَتْ - بِتَوْفِيقِ اللَّهِ - انْطِلَاقَةً
جَادَّةً لِإِصْلَاحِ أَوْضَاعِهِمْ، وَتَغْيِيرِ أَحْوَالِهِمْ، وَسَلَامَةٍ مُجْتَمَعَاتِهِمْ،
وَطَرِيقًا إِلَى النَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَتَحْقِيقِ مَا يَضُبُّونَ إِلَيْهِ فِي دُنْيَاهُمْ
وَأُخْرَاهُمْ؛ لِأَنَّ فِي تَطْبِيقِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ السَّلَاحَ الْقَوِيَّ، وَالذَّرْعَ
الْوَاقِيَّ لِكُلِّ مَكْرُوهٍ؛ لِأَنَّ الدَّفَاعَ إِلَيْهِ: قُوَّةُ الْإِيمَانِ، وَصِدْقُ الْيَقِينِ،
وَحُسْنُ الْاِقْتِدَاءِ، وَالشُّوقُ إِلَى الْآخِرَةِ.

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاحْرِصُوا عَلَى إِقَامَةِ صَلَاتِكُمْ،
فَإِنَّهَا نُورٌ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَذُخْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ، وَإِنَّ الْمُتَمَلِّ فِي
آيَاتِ التَّنْزِيلِ لَيَجِدُ أَنَّ الْأَمْرَ بِالصَّلَاةِ يَأْتِي دَائِمًا بِأَسْلُوبِ الْإِقَامَةِ، وَفِي
ذَلِكَ زِيَادَةٌ مَعَانٍ عَلَى مُجَرَّدِ الْأَدَاءِ؛ لِأَنَّ الْإِقَامَةَ تَعْنِي الْإِتْمَامَ وَالْعِنَايَةَ
الْحَسِيَّةَ وَالرُّوحِيَّةَ، وَإِنَّ مَسْئُولِيَّةَ الْمُصَلِّينَ لِعَظِيمَةَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ،

تَعَاهِدًا لَهَا وَعِنَايَةً بِهَا، وَبِالنَّسَبَةِ إِلَى غَيْرِهِمْ مِنْ مَعَارِفَ وَأَقْرَابَ وَأَبْنَاءِ
وَجِيرَانٍ مِنْ حَيْثُ أَمْرِهِمْ وَنُصْحِهِمْ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ الْعَظِيمِ، كَمَا قَالَ
سُبْحَانَهُ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وَعَلَى أئِمَّةِ الْمَسَاجِدِ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ يَضْطَلِعُونَ بِمِهْمَةٍ
كُبْرَى، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقُومُوا بِهَا؛ عِنَايَةً وَتَفْقِيهَا بِأَحْكَامِهَا وَحِكْمِهَا عَلَى
حَسَبِ قَوْلِ الْمُصْطَفَى ﷺ فِيمَا خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ^(١): «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي
أُصَلِّي».

وَلَا بُدَّ مِنْ تَحْقِيقِ التَّعَاوُنِ بَيْنَ الْأئِمَّةِ وَالْمَأْمُومِينَ؛ وَذَلِكَ بِقِيَامِ كُلِّ
بِرِسَالَتِهِ لِتَحَقُّقِ التَّائِجِ الْمَرْجُوءِ بِإِذْنِ اللَّهِ.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى خَيْرِ مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ،
صَاحِبِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَالْحَوْضِ الْمَوْزُودِ، وَاللَّوَاءِ الْمَعْقُودِ، كَمَا
أَمَرَكُم بِذَلِكَ الرَّبُّ الْمَعْبُودُ، فَقَالَ - تَعَالَى - قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].

(١) برقم (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.



أَرْحَمْنَا بِهَا



الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ أَحْمَدُهُ - تَعَالَى - عَلَى كُلِّ حَالٍ وَأَعُوذُ بِهِ مِنْ
أَحْوَالِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً تَنْفَعُ
صَاحِبَهَا فِي الْحَالِ وَالْمَالِ وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،
صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ الصَّحْبِ وَالْآلِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَاشْكُرُوهُ عَلَى مَا
يَسَّرَ لَكُمْ مِنَ الْأَحْكَامِ وَمَا امْتَنَّنَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ نِعْمٍ عِظَامٍ فَقَدْ
شَرَعَ اللَّهُ لَكُمْ - يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - مِنَ الشَّرَائِعِ أَيْسَرَهَا عَمَلًا وَأَسْهَلَهَا
فِعْلًا وَأَعْظَمَهَا ثَوَابًا وَأَعَمَّهَا خَيْرًا وَمَنْ أَجَلُّ هَذِهِ الْفَرَائِضِ: فَرِيضَةُ
الصَّلَاةِ الَّتِي فُرِضَتْ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ خَمْسِينَ صَلَاةً ثُمَّ خَفَّفَتْ
- فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَتَيْسِيرًا وَرَحْمَةً - إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ
وَاللَّيْلَةِ فَهِيَ خَمْسٌ فِي الْعَدَدِ وَخَمْسُونَ فِي الْأَجْرِ.

وَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضْلِهَا مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي (صَحِيحِهِ) عَنْ

عُثْمَانُ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحَضَّرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا؛ إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ»^(١).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْهُ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»^(٢).

هَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ! مِمَّا وَعَدَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقِيمِينَ هَذِهِ الْفَرِيضَةَ عَلَى وَجْهِهَا الشَّرْعِيُّ أَمَّا الَّذِينَ نَكَسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَأَعْرَضُوا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَرَكُوا هَذِهِ الشَّعِيرَةَ وَفَتِنُوا بِزَيْفِ حَضَارَةِ الْكُفَّارِ وَبَرِيقِهَا الْحَادِئِ؛ فَلَا أَفْطَحَ وَأَعْظَمَ مِنْ خُرُوجِهِمْ مِنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ؛ لِمَا رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ^(٣) عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ

(١) تقدم تخريجه (ص ١٩٠).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٨١).

(٣) برقم (٨٢).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ».

وَلَمَّا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ^(١) وَأَهْلُ السُّنَنِ^(٢) عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ».

فَهَلْ يَرْضَى عَاقِلٌ أَنْ يُورِدَ نَفْسَهُ مَوَارِدَ الْكَافِرِينَ؟ هَلْ يُرِيدُ أَحَدٌ أَنْ
يَكُونَ مَصِيرُهُ غِيًّا وَوَيْلًا وَسَقْرًا^(٣)؟

ثُمَّ هَلْ تَعْلَمُونَ - إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ - مَاذَا يَتَرْتَّبُ عَلَى كُفْرِ تَارِكِ
الصَّلَاةِ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَاتِ؟

أَمَّا فِي الْحَيَاةِ فَلَا يُصَاحَبُ وَلَا يُسَاكَنُ وَلَا يُزَوَّجُ الْمُسْلِمَةَ وَإِذَا مَاتَ
- تَارِكًا لَهَا - فَلَا يُعَسَّلُ، وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ وَلَا يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا

(١) في «المسند» (٣٤٦/٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي في «الكبرى» (٢٠٨/١)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وابن حبان (٣٠٥/٤).

(٣) سَقْرٌ: اسم علم لنار الآخرة - نعوذ بالله منها - وقيل: سميت النَّارُ سَقْرًا؛ لأنها تذيب الأجسام والأرواح، وهو مأخوذ من قولهم: سَقَرْتُهُ الشَّمْسُ، أي: أذابته وأصابه منها ساقور، والساقور - أيضًا - حديدة تُحمى ويكوى بها الحمار. يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب، و«اللسان» (سقر).

يَرِيئُهُ أَقَارِبُهُ الْمُسْلِمُونَ بَلْ يُعَامَلُ مَعَامَلَةَ الْمُرْتَدِّينَ عِيَاذًا بِاللَّهِ!
 أَمَّا الَّذِينَ يُصَلُّونَهَا وَلَكِنْ لَا يَحْضُرُونَ الْجَمَاعَةَ إِمَّا تَهَاوُنًا وَكَسَلًا
 وَإِمَّا تَرَحُّصًا وَبَحْثًا عَنِ الْمَعَادِيرِ؛ فَهَؤُلَاءِ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ وَقَدْ عَرَّضُوا
 أَنْفُسَهُمْ لَوَعِيدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَحَرَمُوا مِنَ الْمَنَافِعِ الْجَمَّةِ وَالْمَصَالِحِ
 الْعَظِيمَةِ الَّتِي قَصَدَ الشَّارِعُ إِلَيْهَا وَتَرَكَوا الثَّوَابَ وَالْأَجْرَ الْكَبِيرَ الَّذِي
 رُتِّبَ عَلَيْهَا.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: إِنَّ الصَّلَاةَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الطَّهَارَةِ الشَّرْعِيَّةِ
 فَلَا صَلَاةَ إِلَّا بِهَا وَقَدْ ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي آيَتِي النِّسَاءِ وَالْمَائِدَةِ وَبَيْنَهَا قَوْلًا
 وَفِعْلًا رَسُولُنَا ﷺ، وَعَلَيْهِ، فَلْيُعْلَمَ أَنَّ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الْعَوَامِّ
 الْجَهْلَةِ مِنَ التَّسَاهُلِ فِي الْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ أَوْ التَّيْمُمِ مَعَ وُجُودِ الْمَاءِ، وَإِنْ
 كَانَ فِي الْبَحْثِ عَنْهُ عَنَاءٌ، فَإِنَّهُ مُنَافٍ لِلشَّرْعِ وَصَاحِبُهُ مُعَرِّضٌ نَفْسَهُ
 لِلْإِثْمِ وَالرَّدِّ.

وَلَمَّا اسْتَحَكَمَ ضَعْفُ الْإِيمَانِ فِي نُفُوسِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَهَامُوا
 فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فِيهَا، وَتَجَافَوْا عَنْ آثَارِ النُّبُوَّةِ وَقَلَّتْ رَغْبَتُهُمْ فِي
 الدَّارِ الْآخِرَةِ، أَصْبَحُوا يُؤَدُّونَ هَذِهِ الصَّلَاةَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا الشَّرْعِيِّ؛
 حَتَّى ابْتُلِيَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِهِدْمِ بَعْضِ أَرْكَانِهَا - كَالطَّمَأْنِينَةِ مَثَلًا - وَأَصْبَحَ
 يُحَاكِي الرِّيحَ فِي سُرْعَتِهِ وَالْغُرَابَ فِي نَقْرِهِ.

وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسِيءَ فِي صَلَاتِهِ - لِعَدَمِ اطْمِئْنَانِهِ فِيهَا - بِإِعَادَةِ
الصَّلَاةِ وَقَالَ لَهُ - ثَلَاثًا -: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»^(١). فَهَلْ يُحِبُّ
مُسْلِمٌ أَنْ يُتَعَبَ وَيُجْهَدَ بَدَنُهُ وَيَبُوءَ بِالْحَسَارَةِ وَالِإِثْمِ؟

وَهُنَا أَمْرٌ مِنَ الصَّلَاةِ هُوَ رُوحُهَا وَلُبُّهَا وَقَدْ عَزَّ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ
المُصَلِّينَ؛ لِطُولِ الأَمَدِ، وَقَسْوَةِ القُلُوبِ، وَاسْتِحْكَامِ الدُّنْيَا فِي النُّفُوسِ،
فَأَصْبَحَ كَثِيرٌ مِنَ المُصَلِّينَ لَا تُرَى آثَارُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَرُبَّمَا يَتَسَاءَلُ: أَلَمْ
يُقُلِّ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وَمَا نَحْنُ نُصَلِّيٌّ وَلَكِنْ لَا يَتَوَرَّعُ كَثِيرٌ مِنَ المُصَلِّينَ عَنِ ارْتِكَابِ
المُحَرَّمَاتِ وَمُقَارَفَةِ الفَوَاحِشِ وَالتَّسَاهُلِ فِي الوَاجِبِ؟ وَلَا رَيْبَ أَنَّ
ذَلِكَ مِنْ عَدَمِ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ كَمَا شَرَعَ اللَّهُ وَسَنَّ رَسُولُهُ ﷺ، وَمِنْ أَدَاءِ
الصَّلَاةِ جَسَدًا بِلا رُوحٍ أَوْ عَلَى أَنَّهَا عَادَةٌ يَفْعَلُهَا النَّاسُ.

وَلَوْ صَلَّى المُصَلِّونَ الصَّلَاةَ الشَّرْعِيَّةَ، وَأَقَامُوهَا وَفَقَّ سُنَّةَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتَحْضَرُوا الخُشُوعَ وَالرَّهْبَةَ القَائِمِينَ عَلَى حُضُورِ
القَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - مَعَ صَفَاءِ النَّفْسِ، وَالسُّمُوءِ الرُّوحِيِّ

(١) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لَنفَعَتْ وَأَثَرَتْ وَعَمِلَتْ عَمَلَهَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ وَمُجْتَمَعَاتِهِمْ وَصَارَتْ
أَكْبَرَ عَوْنٍ عَلَى أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ وَاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ:

﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥]،
وَلَكَّانَتْ خَيْرٌ رَافِدٍ لَانْحِسَارِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ .

وَقَدْ رَتَبَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْفَلَاحَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَجَعَلَ أُولَى صِفَاتِهِمْ:

الْخُشُوعَ فِي الصَّلَاةِ قَالَ - تَعَالَى -: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي
صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون].

وَحَدَّثَ - الْيَوْمَ وَلَا حَرَجَ - عَنْ خُشُوعِ الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ جَعَلُوا

الصَّلَاةَ مَحِلًّا لِلْهَوَاجِسِ وَالْحَوَاطِرِ وَمَرْتَعًا لِلْأَفْكَارِ وَالْوَسَاوِسِ
وَلَا مُخْلَصَ مِنْ ذَلِكَ، إِلَّا شِدَّةُ الْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ وَصِدْقُ اللَّجَأِ إِلَيْهِ
وَإِحْضَارُ الْقَلْبِ وَانْكِسَارُهُ وَرِقَّتُهُ وَلِينُهُ وَحُرْقَتُهُ وَالتَّخَلُّصُ مِنْ مَشَاغِلِ
الدُّنْيَا وَالِاسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ وَالِاسْتِعَاذَةُ بِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمِّهِ
وَنَفْسِهِ وَنَفْسِهِ .

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: يَا مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِأَدَاءِ الصَّلَاةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ

اعْلَمُوا أَنَّ لِلصَّلَاةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ ضَوَابِطَ وَقَوَاعِدَ:

أَهْمُهَا: الْإِقْتِدَاءُ التَّامُّ بِالْإِمَامِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ»^(١) فَلَا تَجُوزُ مُسَابَقَتُهُ، لَا فِي خَفْضٍ وَلَا رَفْعٍ وَلَا تَكْبِيرٍ وَلَا رُكُوعٍ، وَلَا سُجُودٍ وَلَا تَسْلِيمٍ وَفَاعِلٌ ذَلِكَ مُعَرَّضٌ لِبُطْلَانِ صَلَاتِهِ وَأَيُّ شَيْءٍ يَجْنِيهِ مِنْ عَمَلِهِ هَذَا سِوَى إِرْضَاءِ الشَّيْطَانِ وَاتِّبَاعِ وَسَاوِسِهِ؟

وَمِنْهَا: الْعِنَايَةُ بِتَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ وَإِقَامَتِهَا فَإِنَّ تَسْوِيَتَهَا مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - وَأَقِيمُوا دِينَكُمْ أَقِيمُوهُ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ، مِنْ غَيْرِ غُلُوبٍ وَلَا زِيَادَةٍ وَمِنْ غَيْرِ تَقْصِيرٍ وَلَا تَفْرِيطٍ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّسَاهُلَ فِي آدَائِهِ وَالتَّقْصِيرَ فِي آدَاءِ السُّنَّةِ فِيهِ وَالتَّشْدِيدَ فِي مَا فِيهِ سَعَةٌ وَمَنْدُوحَةٌ^(٣) وَقُومُوا بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ تَجَاهَ مَنْ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَهْلِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْبَنَاتِ فَإِنَّهُمْ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِكُمْ أَلْزِمُوهُمْ بِأَدَائِهَا تَابِعُوهُمْ وَتَفَقَّدُوهُمْ عِنْدَهَا؛ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦]، وَاقْتِدَاءً بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ

(١) أخرجه البخاري (٣٧٨)، ومسلم (٤١١).

(٢) كما في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه ابن ماجه (٩٩٣).

(٣) النَّدْحُ: مَا اتَّسَعَ مِنَ الْأَرْضِ، وَالْمَنْدُوحَةُ: السَّعَةُ. يُنْظَرُ: «تاج العروس» (ندح).

وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ يَقُولُ - تَعَالَى - عَنْ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -:
﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وَعَنْ
إِسْمَاعِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾
[مريم: ٥٥]، وَأَمَرَ مُحَمَّدًا ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ
عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: نِدَاءٌ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ الْمُبَارَكِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فِي
كُلِّ مَكَانٍ: بِأَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِي إِسْلَامِهِمْ وَيُقِيمُوا عَمُودَهُ وَهُوَ الصَّلَاةُ
فَلَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ.

وَنِدَاءٌ لِلْقَابِعِينَ فِي بُيُوتِهِمْ، الْمُتَشَبِّهِينَ بِنِسَائِهِمْ، وَالَّذِينَ
لَا يَحْضُرُونَ الصَّلَاةَ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَآثَرُوا التَّسْمُرَ أَمَامَ الْقَنَوَاتِ
وَالشَّبَكَاتِ: أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - وَيَحْذَرُوا فِتْنَةَ الدُّنْيَا وَيَحْذَرُوا
تَهْدِيدَهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي قَوْلِهِ: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ
وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَا ۝٥٩ ﴾ [مريم] وَيَتَذَكَّرُوا مَصِيرَهُمْ
وَالْحِسَابَ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَنْ تَقِفَ الْأُمَّةُ أَمَامَ أَعْدَائِهَا صَفًّا وَاحِدًا؛ إِلَّا إِذَا
وَقَفَتْ أَمَامَ رَبِّهَا فِي صُفُوفٍ صَلَاتِيهَا. وَلَمَّا اشْتَدَّ عَنَتُ الْكُفَّارِ

وَصَلَفُهُمْ^(١) أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقِيَامِ اللَّيْلِ لِمَا فِي الصَّلَاةِ مِنْ زَادٍ رُوْحِيٍّ كَبِيرٍ يُعِينُ عَلَى مُوَاجَهَةِ أَشَدِّ الْأَعْبَاءِ، وَمُقَارَعَةِ أَعْتَى الْأَعْدَاءِ.

وَدَعْوَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ الْمُصَلِّينَ! أَنْ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ عَلَى وَجْهِهَا الشَّرْعِيِّ بِتَمَامِ الطَّهَارَةِ وَالْخُشُوعِ وَالطَّمَأْنِينَةِ وَسَائِرِ الْأَرْكَانِ وَالْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ؛ عَمَلًا بِقَوْلِهِ ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(٢).

وَنَصِيحَةٌ مُشْفِقَةٍ إِلَى كُلِّ مُغْتَرِّبٍ بِنَفْسِهِ مُضَيِّعٍ لِفَرْضِهِ لِأَسِيًّا مِنَ الشَّبَابِ وَالشَّبَابَاتِ: أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - وَيُؤَدُّوا هَذِهِ الْفَرِيضَةَ؛ فَالْأَجَالَ مَخْدُودَةٌ وَالْأَنْفَاسُ مَعْدُودَةٌ وَالْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) الصَّلَفُ: قِلَّةُ الْحَيْرِ، وَالزِّيَادَةُ عَلَى الْمَقْدَارِ مَعَ تَكْبَرٍ، وَالصَّلِيفُ: الْمُبْغِضُ. يَنْظُرُ:

«اللسان» (صلف).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٩٩).

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِئْسَ الْمُتَّقِينَ
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم
وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَعَلِّمُوا أَنْ لِلصَّلَاةِ مَكَمَّلَاتٍ
وَمُتَمَّمَاتٍ تَسُدُّ خَلَلَهَا وَتَجْبُرُ نَقْصَهَا.

وَمِنْ ذَلِكَ: الْمَحَافِظَةُ عَلَى السُّنَنِ الرَّوَاطِبِ فَمَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا؛ بَنَى
اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ كَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ^(١) عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا.

وَمِنْهَا: الْمَحَافِظَةُ عَلَى النَّوَافِلِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ وَالْوَتْرِ قَالَ - سُبْحَانَهُ :-

﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ ① قُرْ أَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل].

وَمِنْهَا: الْأَذْكَارُ الشَّرْعِيَّةُ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَقَدْ ثَبَتَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

(١) برقم (٧٢٨)، ولفظه: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتِي عَشْرَةَ رَكْعَةً
تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ».

عَظْمٌ أَجْرٌ قَائِلَهَا وَأَثَرُهَا الْعَمِيقُ عَلَى قَلْبِهِ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ
الْقُلُوبُ﴾ [الرعد].

وَمِنْ هَذِهِ الْأَذْكَارِ: الْاسْتِغْفَارُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ
وَالتَّحْمِيدُ عَلَى الصِّفَةِ الشَّرْعِيَّةِ كَمَا وَكَيْفًا فَقَدْ وَرَدَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ^(١)
وغيره^(٢) أَنَّ مَنْ قَالَهَا دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ
زَبْدِ الْبَحْرِ.

وَاحْذَرُوا مَا أَحَدَّثَهُ النَّاسُ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الْبِدْعِ الَّتِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ كَالْجَهْرِ بِالنِّيَّةِ - مَثَلًا - فَإِنَّ ذَلِكَ بِدْعَةٌ.
وَمِنْهَا: الْأَذْكَارُ الْجَمَاعِيَّةُ بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّهَا خَالَفَ سُنَّةَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(١) برقم (٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ
ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ
وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ
الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبْدِ الْبَحْرِ».

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٠٤)، والنسائي في «الكبرى» (٤١/٦)، وأحمد في «المسند»

(٢/٣٧١)، ومالك في «الموطأ» (٢١٠/١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَمِمَّا يَحْسُنُ التَّنْبِيهُ لَهُ: أَنَّ الْمَرْأَةَ الْمُسْلِمَةَ حَالَ صَلَاتِهَا فِي
مَسَاجِدِ اللَّهِ؛ يَجِبُ عَلَيْهَا أَنْ تَلْتَزِمَ الْحِجَابَ الشَّرْعِيَّ فِي وَجْهِهَا
وَكَفَّيْهَا وَتَحْذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنَ التَّبَرُّجِ بِالزِّيْنَةِ وَإِبْدَائِهَا وَمُزَاحِمَةِ الرِّجَالِ
وَالتَّطْيِبِ، وَكَبْسِ الْمَلَابِسِ الْمُرَبِّبَةِ؛ فَتَرْجِعَ مَأْزُورَةً غَيْرَ مَأْجُورَةٍ وَالْعِيَاذُ
بِاللَّهِ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ،
كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ الْمَلِكُ الْعَلَامُ، فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا كَرِيمًا - فِي مُحْكَمِ
التَّنْزِيلِ، وَأَصْدَقِ الْقِيلِ -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾
يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].

رَمَضَانَ

جَلَالُ الْأَوْصِيَّافِ وَأَوْقِفَةُ انْتِصَافِ

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، أَحْمَدُ رَبِّي مِنَ الْحَمْدِ أَكْمَلَهُ وَأَوْفَاهُ، وَأَشْكُرُهُ سُبْحَانَهُ
أَنْ شَرَعَ لَنَا الصِّيَامَ؛ تَحْقِيقًا لِتَقْوَاهُ، وَحِصْنًا مَكِينًا دُونَ مَا يُسْخِطُهُ
وَيَأْبَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً عَبْدٌ مُنِيبٌ
أَوَّاهٍ، مُخَبِّتٌ بِجَوَارِحِهِ وَنَهَاهُ، وَجَلَّ أَنْ يَرَاهُ رَبُّهُ حَيْثُ مَهَاهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ
نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَمُصْطَفَاهُ، خَيْرٌ مَنْ صَامَ يَوْمَهُ، وَقَامَ
لَيْلَهُ حَتَّى تَفْطَرَتْ قَدَمَاهُ، فَصَلَّوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
الْبَالِغِينَ مِنْ كَمَالِ النَّفْسِ مُتْمَهَاهُ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ وَتَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ
وَاهْتَدَى بِهَدَاهُ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَسْتِمْسَاكَ بِالتَّقْوَى خَيْرٌ
مَطِيَّةً وَمَنْجَاةً، وَبُلُوغَهَا - لَدَى الْبَرَّةِ - أَفْضَلُ أُمْنِيَّةٍ مُرْتَجَاةً، هِيَ زَادُ
الرُّوحِ، وَقُوَّةُ الْقُلُوبِ، وَبِهَا يُسْتَجَلَبُ الْمَرْغُوبُ، وَيُؤْمَنُ الْمَرْهُوبُ،
وَتُسْتَدْفَعُ الْخُطُوبُ، وَهِيَ خَيْرٌ مَا يُبْلَغُ لِرِضَى عِلَامِ الْغُيُوبِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: فِي غَمْرَةِ الْمَادِّيَّاتِ، وَامْتِرَاجِ الشُّبُهَاتِ بِالشَّهَوَاتِ،
تَجِمُّ^(١) النَّفْسُ فِي رِحْلَتِهَا إِلَى اللَّهِ وَالِدَّارِ الْآخِرَةِ، وَيَعْتَوِرُهَا الْفُتُورُ،
وَتَتَخَلَّلُهَا الرَّتَابَةُ وَالْقُصُورُ، وَحِكْمَةٌ بِالْغَةِ خَصَّ الْبَارِي - جَلَّتْ حِكْمَتُهُ -
هَذِهِ الْأُمَّةَ بِمَوَاسِمَ لِلطَّاعَاتِ، وَأَزْمَنَةَ لِلقُرْبَاتِ، وَفُرْصٍ لِلخَيْرِ
سَانِحَاتٍ، مَنِ اهْتَبَلَهَا^(٢) وَأَنْضَى^(٣) فِيهَا رَاحِلَةَ جَسَدِهِ؛ نَالَ الْفَوْزَ
وَالسَّعَادَةَ، وَبَلَغَ مَرَضَةَ بَارِيهِ وَزِيَادَةَ، وَمَنْ تَعَاوَلَ عَنْهَا وَلَهَا؛ تَصَرَّمَ^(٤)
حَبْلٌ يَقِينُهُ وَوَهَى، وَالنَّاسُ فِي ذَلِكَ بَيْنَ مَرْحُومٍ وَمَحْرُومٍ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَمَنْ أَجَلَّ هَذِهِ الْأَزْمَنَةَ الْمُبَارَكَةَ، مَا مَنَّ
اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - عَلَيْكُمْ بِبُلُوغِهِ وَمُؤَافَاتِهِ، وَأَنْتُمْ تَرْفُلُونَ^(٥) فِي ثِيَابٍ مِنَ
الْخَيْرِ ضَافِيَةٍ، وَحَيَاةٍ آمِنَةٍ صَافِيَةٍ، إِنَّهُ شَهْرُ الْقُرْآنِ وَالْفُرْقَانِ، شَهْرُ
الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ

(١) تَجِمُّ: تستريح، وفي الحديث: «فقد جموا»، أي: استراحوا. يُنظر: «اللسان» (جم).

(٢) اهْتَبَلَهَا: اغتتمها، الاهتبال: الاعتنام، يُنظر: «اللسان» (هبل).

(٣) يُقَالُ: أَنْضَى فُلَانٌ الدَّابَّةَ: إِذَا أْتَعَبَهَا وَهَزَلَهَا. يُنظر: «القاموس المحيط» (نضا).

(٤) التَّصَرَّمَ: التَّقَطَّعَ. يُنظر: «اللسان» (صرم).

(٥) تَرْفُلُونَ: تَتَبَخَّرُونَ، رَفَلٌ إِزَارَةٌ: إِذَا أَسْبَلَهُ وَتَبَخَّرَ فِيهِ. يُنظر: «اللسان» (رفل).

تَتَضَوَّعُونَ^(١) أَرِيحَ^(٢) أَيَّامِهِ الْعَاطِرَةَ، وَتَحْيُونَ لِيَالِيهِ الزُّهْرَ الْغَامِرَةَ،
شَهْرٌ مُبَارَكٌ أَعْرُ، هُوَ: رَوْضَةٌ بِالْحَيْرِ غَنَاءٌ، وَمُورِدٌ بِالْبَرِّ وَالْهُدَى مِعْطَاءٌ،
وَمِشْعَلٌ بِالْمَكْرَمَاتِ وَالْهَبَاتِ لِأَلَاءِ.

فِي رَمَضَانَ: قُلُوبٌ أَنْسَتْ بِجَنبِ الرَّحِيمِ الْغَفَّارِ، وَالسِّنَةُ لَهَجَتْ
بِالتَّوْبَةِ وَالِدُّعَاءِ، وَالْحَمْدِ وَالِاسْتِغْفَارِ، نُفُوسٌ سَعِدَتْ بِالتَّلَاوَةِ
وَالْتَّسْبِيحِ، وَتَأَلَّقَتْ بِالتَّهَجُّدِ وَالتَّرَاوِيحِ، ذَائِبًا الْخُضُوعُ وَالْخُشُوعُ،
وَمَحَاجِرٌ أَسْهَدَهَا التَّفْرِيطُ، فَأَرْسَلَتْ أَحَرَ الدُّمُوعِ؛ كُلُّ ذَلِكَ طَاعَةٌ لِلَّهِ
وَأَبْتِغَاءٌ لِمَرْضِيهِ.

وَلَكُمْ يُغْبِطُ الْمُوقِفُونَ عَلَى تَذْوُقِهِمْ حَلَاوَةَ الطَّاعَةِ فِي رَمَضَانَ
وَعَيْرِهِ، وَتَحْلِيْقِهِمْ بِجَنَاحِي الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ فِي كُلِّ أَوْقَاتِهِمْ وَحَالَاتِهِمْ.
وَلَنْ يَقْدَرَ قَدْرَ هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ وَأَسْرَارِهِ، إِلَّا مَنْ أَنْارَ اللَّهُ بِصِيرَتِهِ،
وَأَيْقَظَ حِسَّهُ، وَزَكَّى نَفْسَهُ.

فِيَا لِلَّهِ! هَلْ يَسْتَقِيلُ بِوَصْفِ هَذَا الضَّيْفِ الْكَرِيمِ الْمُبَارَكِ، أَفْصَحُ

(١) تَتَضَوَّعُونَ: تَتَشَقَّقُونَ، يُقَالُ: تَضَوَّعَ مِنْهُ رَائِحَةٌ: تَتَشَقَّقُهَا. يُنْظَرُ: «تَاجُ الْعُرُوسِ»
(ضَوْع).

(٢) الْأَرْجُ وَالْأَرِيحُ: تَوْهَجَ الرِّيحِ الطَّيِّبِ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (أَرْج).

لِسَانٍ؟! أَوْ يُتْرَجُّ عَنْ أَفْضَالِهِ وَخَيْرَاتِهِ أَسَاطِينُ الْبَيَانِ؟! كَلَّا!!

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ لَيُمَثِّلُ جَامِعَةَ شَمَاءَ^(١) لِلْخَيْرِ
وَالْبِرِّ، وَمَدْرَسَةَ فَيْحَاءَ لِلحِلْمِ وَالصَّبْرِ، وَمَنَارَةَ فَعَسَاءَ^(٢) لِلإِيمَانِ
وَالتَّقْوَى، وَسُلَّمًا لِتَأْلُفِ الأُمَّةِ وَتَعَاطُفِهَا وَتَمَاسُكِهَا. يُزَكِّي الأَرْوَاحَ،
وَيُجَدِّدُهَا إِلَى بِلَادِ الأَفْرَاحِ، وَيَسْأَلُ سَخَائِمَ^(٣) النُّفُوسِ وَأَمْرَاضَ
القُلُوبِ، وَيُرَبِّي الإِرَادَاتِ الوَاهِنَةَ عَلَى الحَزْمِ وَالتَّصْمِيمِ، وَمَا ذَلِكَ إِلاَّ
بِالتَّحَرُّرِ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَالإِنْعَتَاقِ مِنَ الإِسْتِرْسَالِ فِي الرَّغَبَاتِ وَالمَلَدَّاتِ.
وَتِلْكَ هِيَ الحِكْمَةُ العَظِيمَةُ مِنْ تَدْيِيلِ آيَةِ الصَّوْمِ بِالْوَمْضَةِ الرَّائِعَةِ
مِنْ وَمَضَاتِ الأَسْلُوبِ القُرْآنِيِّ البَدِيعِ، فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ﴾، أَي: إِنَّ ثَمَرَةَ جُوعِ البُطُونِ، وَظَمِّ الهَوَاجِرِ^(٤) هِيَ التَّقْوَى،
وَكَفَى بِهَا عُرُوءَةً وَثَقَى!

(١) تقدم شرحها (ص ١٣٣).

(٢) فَعَسَاءُ: ثابتة قوية مُتَمَتِّعَةٌ. يُنظر: «تهذيب اللغة» (ف ع س).

(٣) سَخَائِمُ: جمع سَخِيمَةٍ، وهي: الحقد والضغينة، ومنه قوله ﷺ: «وَاسْأَلْ سَخِيمَةَ
قَلْبِي». يُنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، و«اللسان» (س خ م).

(٤) الهَوَاجِرُ: جمع هَاجِرَةٌ. وهي نصف النهار عند زوال الشمس إلى العصر. يُنظر:
«اللسان» (ه ج ر).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الصَّائِمُونَ: وَمَا يَنْدُ فِيهِ الْفَهْمُ لَدَى بَعْضِ
 الصَّائِمِينَ - وَهُوَ يُخَالِفُ حِكْمَةَ الصَّوْمِ، وَيُجَافِي أَصْلَ مَشْرُوعِيَّتِهِ - قُصُورُ
 فَهْمِهِمْ لِهَذِهِ الشَّعِيرَةِ الْعَظِيمَةِ، وَحَضْرُهَا فِي الْإِمْسَاكِ عَنِ الطَّعَامِ
 وَالشَّرَابِ وَالْمُفْطِرَاتِ الْحَسِّيَّةِ، مُسْتَرْسِلِينَ فِي اقْتِرَافِ الْآثَامِ، سَائِمِينَ^(١)
 جَوَارِحَهُمْ فِي مَرَاتِعِ الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَالْبَغْيِ وَالْبُهْتَانِ، وَالذُّنُوبِ
 وَالْعِصْيَانِ.

وَمَنْ كَانَ هَذَا شَأْنُهُ فِي أَوْقَاتِ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ النَّفْسُ فِيهَا إِلَى
 التَّزْكِيَةِ الرُّوْحِيَّةِ، وَالتَّصْفِيَةِ النَّفْسِيَّةِ، وَالتَّزَوُّدِ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ
 «فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»، كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ الْخَبْرُ عَنْ
 سَيِّدِ الْبَشَرِ ﷺ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ^(٢) وَغَيْرِهِ^(٣).

مَعَاشِرَ الصَّائِمِينَ: هَاهِيَ الْعَشْرُ الْأُولَى مِنْ رَمَضَانَ قَدْ
 تَصَرَّمَتْ، وَعَشْرُهُ الثَّانِيَةُ - عَشْرُ الْمَغْفِرَةِ - قَدْ أزدَاكَفَتْ لِسَاحَتِنَا وَتَشَوَّفَتْ،

(١) أَسْمَتْ الْإِبِلُ: إِذَا أُخْلِيَتْهَا تَرَعَى، وَالسَّائِمَةُ: كُلُّ مَاشِيَةٍ تُرْسَلُ تَرَعَى وَلَا تُعْلَفُ.

وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّهُمْ أَطْلَقُوا جَوَارِحَهُمْ فِي الْمَحْرَمَاتِ. يُنْظَرُ: «اللسان» (سوم).

(٢) بَرَقْم (١٩٠٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٣٦٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٧٠٧)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبْرِيِّ»

(٢/٢٣٨)، وَابْنُ حَبَانَ (٢٥٦/٨) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفثامٌ من أبناء الأمة لا يزالون في غفلتهم سادرين^(١)، وعن الحيرات
والقربات محجمين غير مبادرين، بل إن الشهر أوشك أن يتتصف،
وكثير من الناس من نفسه لم يتتصف!! إن النفس لتأسى وتلتاع، أن
ترى أقوامًا - لا سيما من الشباب والفتيات - يقطعون النهار بالنوم ملاء
الأجفان والأحداق، ويقطعون الليل بذرع الطرقات والأسواق،
مطلقين الأبصار والأسناع فيما حرم الله.

عجبًا لهؤلاء!! أين آثار الصوم الظاهرة والباطنة؟ أما قال

المولى سبحانه: ﴿وَذُرُوا ظَهْرَ الْأَثَمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، أين
دور الرقابة الأسرية، والرعاية الأبوية؟ أما أن للقلوب الغافلة أن تلين
في شهر القرآن، ولزواج القرآن!! ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ

قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

ويكأن غثائية^(٢) الأمة قد استمرؤوا^(٣) مخازي بعض الفضائيات

(١) السادِر: الذي لا يهتم بشيء ولا يبالي. يُنظر: «اللسان» (سدر).

(٢) الغثاء: الهالك البالي من أوراق الشجر الذي إذا خرج السيل رأيته مخالطاً زبده.
يُنظر: «اللسان» (غثا).

(٣) استمرؤوا: استساغوا. يُنظر: «اللسان» (مرأ).

وَسَعَارَهَا^(١) وَصَغَارَهَا فِي شَهْرِ الْبُطُولَةِ وَالْعِفَّةِ، وَالْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ، فَلَمْ
يَبَالُوا بِذَلِكَ بِأَلَّة!!

وَيُحُهُمْ! إِنْ لَمْ يَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ وَيُؤْوِبُوا إِلَى فِقْهِ حِكْمِ الصِّيَامِ، وَلَذَّةِ
الْمُنَاجَاةِ فِي التَّهَجُّدِ وَالْقِيَامِ، لَمْ تَبْر^(٢) مَا هُمْ فِيهِ مِنْ فِكْرٍ مُنْهَزِمٍ وَسُلُوكٍ
مُنْخَرِمٍ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

فِيَا بُغَاةَ الْخَيْرِ هَلُمُّوا أَقْبِلُوا، وَيَا بُغَاةَ الشَّرِّ كُفُّوا وَأَقْصِرُوا،
لَا بَدَّ - وَقَدْ تَفَاقَمَتِ الشُّرُورُ جَرَاءَ الْعَوْلَمَةِ وَالْانْفِتَاحِ - مِنَ الْعِنَايَةِ
بِالثَّوَابِ وَالتَّمَسُّكِ بِالْأُصُولِ، وَإِعْزَازِ جَانِبِ الْحِسْبَةِ، وَالْأَمْرِ
بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَهُوَ طَوْقُ النَّجَاةِ وَصِمَامُ الْأَمَانِ؛ لِمَا
يُرْهَقُ الْمُجْتَمَعَاتِ مِنْ قَتَرٍ^(٣) وَأَحْزَانٍ.

أُمَّةَ الْقُرْآنِ: وَمِنْ مَآثِرِ هَذَا الشَّهْرِ الْغَفِيرَةِ: ذَلِكُمْ الْإِرْتِبَاطُ
الْوَثِيقُ بَيْنَ رَمَضَانَ وَالْقُرْآنِ، حَيْثُ انْبَثَقَ نُورُ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ رَفِيعَةٍ
الذِّكْرِ، عَظِيمَةِ الْقَدْرِ، هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ السَّنِيَّةِ

(١) سَعَارُهُمْ: شَرُّهُمْ. يُنْظَرُ: «اللِّسَان» (سعر).

(٢) التَّبَارُ: الْهَلَاكُ، مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ، أَي: مُكْسَرٌ مُهْلَكٌ. يُنْظَرُ: «مَفْرَدَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ»
لِلرَّاعِبِ (تبر).

(٣) الْقَتَرُ: ضَيْقُ الْعَيْشِ. يُنْظَرُ: «اللِّسَان» (قتر).

اتَّصَلَ نُورُ السَّمَاءِ بِالْأَرْضِ، وَأُنزِلَ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزَةُ الْخَالِدَةُ عَلَى
 قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَالْكُونُ مِنْهُ تَبَسُّمٌ وَضِيَاءٌ، قَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ قَدْ
 جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥]،
 ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ [الأنبياء: ١٠]، أَي: فَخَرُّكُمْ
 وَشَرَفُكُمْ، كَيْفَ لَا؟! وَهُوَ الْمَلَأَ ذُنُوبَ الْفِتَنِ، وَالْمُنْقِذُ مِنَ الْمَصَائِبِ
 وَالْمِحَنِ، لَقَدْ أَحْيَى اللَّهُ بِهَذَا الْقُرْآنِ مَوَاتِ الْأُمَمِ، وَأَنْقَذَ عَقَائِدَهَا
 وَأَخْلَقَهَا مِنْ مَهَاوِي الْعَدَمِ، حَرَّرَ الْعَقْلَ الْإِنْسَانِيَّ مِنْ قَيْودِ الْأَوْهَامِ،
 وَأَطْلَقَهُ بَاحِثًا بِنُورِ الْعِلْمِ فِي الْأَكْوَانِ ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ
 وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

فَلَا عَجَبَ - عِبَادَ اللَّهِ - أَنْ تَأَلَّقَتْ أَرْقَىٰ مَدِينَةٍ عَرَفَتْهَا الْإِنْسَانِيَّةُ،
 وَأَرْوَعَ حَضَارَةٍ عَرَفَهَا التَّأْرِيخُ، حَضَارَةِ الْعَدْلِ وَالْفَضَائِلِ، وَالصِّدْقِ
 وَالسَّلَامِ، وَأَعْلَىٰ الْمَكَارِمِ، وَالتِّي لَنْ تَتَحَقَّقَ لِأَرْقَىٰ الْأُمَمِ حَضَارَةٌ
 وَتِقَانَةٌ، إِلَّا إِذَا اقْتَبَسَتْ مِنْ أَصُولِهِ، وَسَارَتْ عَلَىٰ شُعَاعِ هَدْيِهِ وَنُورِهِ.
 وَلَيْسَ جَالَ الْغُيُورُ بِالنَّظَرِ فِي أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ - وَمَا لَقَّهَا
 مِنَ التَّنَازُعِ وَالِإخْتِلَافِ، وَالتَّرَدُّيِّ فِي سَرَائِبِ الدَّلَّةِ وَالضُّعْفِ
 وَالْمَهَانَةِ - لَعَلِمَ يَقِينًا أَنَّ مَرَدَّ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَىٰ هَجْرِ الْقُرْآنِ، وَنَبْذِ الْعَمَلِ

بِأَحْكَامِهِ وَأَدَابِهِ ظَهْرِيًّا، وَالتَّجَافِي عَنِ التَّحَاكُمِ وَالرَّدِّ إِلَيْهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَتَوَارَدُوا عَلَى كِتَابِ رَبِّكُمْ، شُعُوبًا
وَدُوَلًا، شَبَابًا وَشَيْبًا، عُلَمَاءَ وَعَامَّةً، تِلَاوَةً وَتَدْبِيرًا، تَعَلُّمًا وَنَفْقُهُمَا،
وَعَمَلًا وَتَخَلُّقًا، مُلْتَمِسِينَ فِيهِ الشِّفَاءَ لِأَدْوَائِكُمْ، وَالْكَبْحَ لِأَهْوَائِكُمْ،
وَاقِفِينَ عَلَى مَوَاطِنِ الْهِدَايَةِ الَّتِي هَدَتْ وَأَسْعَدَتْ أَسْلَافَكُمْ، سَاعَتَيْدِ
تَسْتَعِيدُونَ مَجْدَكُمْ الْعَابِرَ التَّلِيدَ^(١)، وَعِزَّكُمْ الْعَتِيدَ، وَتَسْتَرِدُّونَ - بِإِذْنِ
اللَّهِ - قُدْسَكُمْ الْفَقِيدَةَ، وَأَرْضِيكُمْ السَّلِيَةَ.

خَرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي (صَحِيحِهِ)^(٢): «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ
يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ»؛ وَهَذَا ضَرَبَ السَّلْفُ أَرْوَاعَ
النَّمَاذِجِ فِي الْعِنَايَةِ بِالْقُرْآنِ فِي شَهْرِ الْقُرْآنِ، وَفِي خَتْمِهِ كَثِيرًا، يَقُولُ الْإِمَامُ
الزُّهْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ إِنَّمَا هُوَ شَهْرُ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ،
وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ»^(٣) وَلَمَّا دَخَلَ رَمَضَانُ تَرَكَ الْإِمَامُ مَالِكٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ -
مَجَالِسَ الْحَدِيثِ وَالْعِلْمِ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْقُرْآنِ.

(١) تقدم شرحها (ص ٧٣).

(٢) برقم (٨١٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٦/ ١١٠).

أَلَا مَا أَحْوَجَ الْخَلْفَ لِلسَّيْرِ عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ؛ لِيَتَحَقَّقَ لَهُمْ
صَلَاحُ الْحَالِ وَالْمَالِ!

أُمَّةَ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ: وَنَعْطِفُ بِكُمْ - يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ - إِلَى
التَّذْكِيرِ بِيَوْمٍ أَغْرَّ مِنْ أَيَّامِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، الْخَوَالِدِ، تَحَقَّقَ فِيهِ نَصْرٌ مُؤَزَّرٌ،
وَفَتْحٌ مُبِينٌ، غَيْرَ وَجْهَةَ التَّارِيخِ، وَغَدَا غُرَّةً فِي جَبِينِ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ،
وَبُطُولَاتِهَا، إِنَّهُ يَوْمُ الْفُرْقَانِ، الَّذِي فَرَّقَ اللَّهُ فِيهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ،
يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ، جَمْعُ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ، وَجَمْعُ الْكُفْرِ وَالْأَوْثَانِ، فِي
السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ، فَانْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَهُمْ قَلَّةٌ
فِي ذِلَّةٍ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، عَلَى
جَيْشِ الْكُفْرِ الْعَرَمَرَمِ (١).

فَكَمْ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ التَّارِيخِيَّةِ مِنْ مَوَاقِعَ لِلْعِبَرِ، وَمَكَامِنَ لِلْعِظَاتِ
لِلْمُدْكِرِ، مَا يَجِبُ أَنْ نَسْتَلْهِمَهُ وَنَتَبَصَّرَهُ، سِيَّمَا وَقَدْ أَحْدَقَتْ بِنَا الْفِتْنُ
وَادْهَمَّتْ، وَتَسَوَّرَتْنا الْمِحْنُ وَعَمَّتْ، وَنَجَمَتْ لَوْثَاتُ فِكْرِيَّةٍ مَارِقَةٌ
عَنِ الْمِلَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَتَدَاعَى عَلَى أُمَّتِنَا سُذَّازُ الْأَفَاقِ، وَضِضُضِيهِمْ (٢)،

(١) الْعَرَمَرَمُ: الْجَيْشُ الْكَبِيرُ. يَنْظُرُ: «مَخْتَارُ الصَّحَاحِ» (عَرَم).

(٢) الضِّضُضِيُّ: أَصْلُ الشَّيْءِ وَمَعْدَنُهُ. يَنْظُرُ: «غَرِيبُ الْحَدِيثِ» لِابْنِ سَلَامٍ. (ضَاضًا).

فِي خَرْقِ سَافِرٍ لِلْعُهُودِ وَالْمَوَائِقِ، يُتْرَجِمُ عَنْ ذَلِكَ بِجَلَاءٍ: صَلَفُهُمْ^(١)
السَّافِرِ عَلَى ثَرَى فِلِسْطِينَ الْمُجَاهِدَةِ، تَقْتِيلاً وَتَشْرِيداً، وَهُمْ بِذَلِكَ
يُقَدِّمُونَ لِلْعَالَمِ بِأَسْرِهِ رِسَالَةَ مُسْطَرَّةٍ بِأَحْرَفِ سَوْدَاءِ كَالِحَةٍ، أَنَّهُمْ أَرْبَابُ
الإِرْهَابِ الدُّوَلِيِّ بِلَا مُنَازِعٍ، وَأَعْدَاءُ السَّلَامِ الْعَالَمِيِّ. وَمَا الْأَوْضَاعُ فِي
بِلَادِ الرَّافِدِينَ بِأَحْسَنِ حَالًا مِنْ أُخْتِهَا، وَهَكَذَا فِي سَلَاسِلِ جِرَاحَاتِ
أُمَّتِنَا الْمَنْكُوءَةِ^(٢) فِي بَعْضِ الْبِلَادِ الْأُخْرَى الْمَنْكُوبَةِ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ: وَمِنْ مَوَاقِفِ التَّأْمُلِ وَالِإِعْتِبَارِ، فِي أَوْلَى مَوَاقِفِ
العِزَّةِ وَالِإِنْتِصَارَاتِ وَالْفُتُوحَاتِ، أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرُ الْجِدِّ
وَالْمُصَابِرَةِ، وَالْعَزْمِ وَالْمُثَابَرَةِ وَالِإِنْتِصَارَاتِ، وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ قُوَّةَ
الإِيْمَانِ، وَصِحَّةَ الْمُعْتَقَدِ، فَوْقَ الْعَدَدِ وَالْعُدَدِ، ﴿كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ
قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ثَالِثُهَا: أَنَّ نَصْرَ اللَّهِ
لَا يُسْتَجَلَبُ إِلَّا بِنُصْرَةِ دِينِهِ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ
وَيُنِيَّتْ أقدامكم﴾ (٧) [محمد].

أُمَّةَ الإِسْلَامِ: وَمَعَ مَا تَقَرَّرَ مِنْ حُرْمَةِ الشَّهْرِ الْكَرِيمِ، شَهْرِ

(١) تقدم شرحها (ص ٢٠٨).

(٢) تقدم شرحها (ص ٢٩).

الْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ، وَشَهْرِ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَاتِ، فَلَا تَزَالُ صُدُورٌ غَلَّتْ
مَرَاجِلُهَا^(١) بِالْبَغْضَاءِ وَالْحَسَدِ - وَعُقُولٌ انْحَرَفَتْ عَنْ سَوَاءِ الدِّينِ
وَالرَّشْدِ - قَدْ رَكِبَتْ مَتْنَ الْعُلُوِّ وَالْجَهْلِ، تُحَاوِلُ زَعْرَعَةَ أَمْنِ هَذِهِ الدِّيَارِ
الْأَمْنَةِ، وَتَنْشُرُ الْفَسَادَ وَالْإِجْرَامَ فِي رُبَاهَا الْحَالِمَةِ، فَانْتَهَكْتَ حُرْمَةَ
الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَامْتَشَقْتَ^(٢) أَيْدِيهَا أَعْمَالَ الْإِرْهَابِ، وَالْعُنْفِ
وَالتَّفْحِيرِ، وَأَفْعَالَ الْإِجْرَامِ وَالْإِنْسَادِ وَالتَّدْمِيرِ، فَكَانَ سَعْيُهُمْ فِي وَبَالٍ،
وَشَأْنُهُمْ فِي سِفَالٍ، بِمَنْ اللّهِ وَفَضْلِهِ، حَيْثُ رُدَّ كَيْدُهُمْ، وَأُحْبِطَ
مَكْرُهُمْ، وَكَانَ لَهُمْ بَوَاسِلُ الْأَرْصَادِ بِالْمِرْصَادِ.

أَلَا فَلْيَعْلَمْ كُلُّ دَعِيٍّ مَأْفُونٍ^(٣)، سَلَكَ مَسَالِكَ الْإِجْرَامِ، لَا سِيَّامَا فِي
الشَّهْرِ الْكَرِيمِ، وَالْبَلَدِ الْحَرَامِ - الَّذِي يَأْمَنُ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ، حَتَّى الطَّيْرُ
وَالْحَيَوَانُ وَالشَّجَرُ وَالنَّبَاتُ وَالْجَمَادُ، فَكَيْفَ بِالْمُسْلِمِ - أَنْ اللّهُ -
سُبْحَانَهُ - فَاضِحُهُ لَا مُحَالَةَ، وَحَافِظُهُ هَذِهِ الدِّيَارَ الْمُبَارَكَةَ مِنَ الْكَائِدِينَ
الْمُفْسِدِينَ: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُظْلَمِ نُذُقُهُ مِنْ عَذَابِ الْإِعْرَابِ﴾ [الحج].

(١) المَرَاجِلُ: جمع مِرْجَلٍ؛ وهو: الإِنَاءُ الَّذِي يُغْلَى فِيهِ الْمَاءُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (مرجل).

(٢) امْتَشَقَ الشَّيْءَ: أَخَذَهُ بِخَفَّةٍ، أَوْ: اخْتَطَفَهُ وَاخْتَلَسَهُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (مشق).

(٣) تَقْدِمُ بَيَانُ مَعْنَاهَا (ص ١٠٠).

وَهَيْهَاتَ أَنْ يَكُونَ إِصْلَاحٌ مُرْتَجَى، بِإِثَارَةِ الشَّغَبِ وَالْفَوْضَى، وَسُلُوكِ
مَسَالِكِ الْعُنْفِ، وَحَمْلِ السَّلَاحِ، وَزَعَزَعَةِ الْأَمْنِ وَالْإِنْتِحَارِ بِأَخْرَةٍ.
نَسْأَلُ اللَّهَ حُسْنَ الْخَاتِمَةِ، لَأَسِيَّافِ الْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَالزَّمَنِ
الْحَرَامِ، فَرُحْمَاكَ رَبَّنَا رُحْمَاكَ، وَاللَّهْمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ! وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ
الرَّدَى بَعْدَ الْهُدَى!

وَمَنْ تَقَطَّنَ لِأَثَارِ تِلْكَ النَّابِتَةِ النَّشَازِ، اسْتَشْعَرَ أَهْمِيَّةَ الْعِنَايَةِ
بِالْجِيلِ، وَتَرْبِيَةِ النَّشءِ عَلَى مَنْهَجِ الْوَسْطِيَّةِ وَالْإِعْتِدَالِ، وَتِلْكَ
مَسْئُولِيَّةٌ مُهِمَّةٌ، مُشْتَرِكَةٌ بَيْنَ الْمَسْجِدِ وَالْأُسْرَةِ وَالْمَدْرَسَةِ، وَوَسَائِلِ
الْإِعْلَامِ؛ لِيُوَدِّيَ كُلُّ دَوْرِهِ التَّرْبَوِيَّ؛ صَالِحًا وَإِصْلَاحًا، وَاللَّهُ
الْمَسْئُولُ أَنْ يَنْصُرَ دِينَهُ، وَيُعَلِّيَ كَلِمَتَهُ، وَيَحْفَظَنَا وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ
مُضَلَّاتِ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، إِنَّهُ خَيْرُ مَسْئُولٍ وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ.
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ
عَفُورًا.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَسِّرَ مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ؛ لِلْيُسْرَىٰ، وَمَنْ بَخَلَ
وَاسْتَعْنَىٰ؛ لِلْعُسْرَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
أَوْجَبَ الزَّكَاةَ لِإِغَاثَةِ الْمُحْتَاجِ وَالْمَلْهُوفِ، وَدَفَعَا لِلنَّوَائِبِ
وَالصُّرُوفِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَجْوَدُ النَّاسِ
بِالنَّدَىٰ وَالْمَعْرُوفِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الْبَازِلِينَ مِمَّا
مَلَكَتْ أَيْدِيهِمْ كُلِّ الصُّنُوفِ، وَسَلَّمَتْ سَلِيمًا كَثِيرًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ مَنْ
صَامَ حَقًّا، وَقَامَ لِلَّهِ صِدْقًا، رَقَّ قَلْبُهُ، وَلَانَ طَبَعُهُ، وَحَلَقَتْ فِي مَدَارَاتِ
الطُّهْرِ رُوحُهُ، وَأَرْهَفَتْ أَحَاسِيسُهُ، وَجَاشَتْ بِالْبَذْلِ نَفْسُهُ، وَفَاضَتْ
بِالْعَطَاءِ كَفَّهُ، فَاعْتَمُوا - وَفَقَّكُمْ اللَّهُ - هَذَا الشَّهْرَ لِلِاسْتِجَابَةِ لِثَلَاثِ
أَرْكَانِ الدِّينِ، أَلَا وَهُوَ الزَّكَاةُ، فَإِنَّهَا هِيَ قَرِينَةُ الصَّلَاةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ،
وَهِيَ فِي الْمُجْتَمَعِ - لَعَمْرُ الْحَقِّ - مُوَاسَاةٌ وَتَرَاحُمٌ وَتِلَاحُمٌ وَنَمَاءٌ،
لَا جِبَايَةَ وَإِعْنَاتٌ وَعِنَاءٌ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً
نُطِّهِرْهُمْ وَنُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣]، أَلَا فَجُودُوا أَيُّهَا الْكُرَمَاءُ النَّبَلَاءُ،

مِمَّا أَفَاضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَابْسُطُوا بِالنَّوَالِ وَالْعَطَاءِ الْأَيْدِي، لِتُبَدَّدُوا
بِذَلِكَ هُمُومَ الْمَدِينِينَ، وَعَوَزَ الْمُحْتَاجِينَ، وَخَصَاصَةَ الْمَكْرُوبِينَ،
وَلْتَفُوزُوا بِأَعْلَى الْمَنِّ: مَرْضَاةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقَدْ وَعَدَ - سُبْحَانَهُ -
الْمُنْفِقِينَ بِالْخَلْفِ الْجَزِيلِ، فَقَالَ - عَزَّ مِنْ قَائِلٍ -: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ

شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ ﴾ [سبأ].

يُذَكِّرُ بِذَلِكَ - أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ - فِي الْوَقْتِ الَّذِي اشْتَدَّتْ فِيهِ
الْحَمَلَاتُ الضَّارِيَّةُ عَلَى أُمَّتِنَا، وَشُوِّهَتِ الْأَعْمَالُ الْخَيْرِيَّةُ وَالْإِغَاثِيَّةُ،
مِمَّا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْتَّ (١) فِي الْأَعْضَادِ، وَلَا يُثَبِّطَ الْهَمَمَ وَالْعَزَائِمَ، وَلَكِنْ
لِيَكُنْ ذَلِكَ تَحْتَ مِظَلَّةِ مَأْمُونَةٍ، وَجِهَاتٍ مَوْثُوقَةٍ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي التَّنَافُسِ
فِي الْخَيْرِ، وَالتَّسَابُغِ إِلَيْهِ أَسْوَأَ حَسَنَةٍ فِي نَبِيِّكُمْ ﷺ، حَيْثُ «كَانَ أَجْوَدَ
النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ فَيَدَارِسُهُ
الْقُرْآنَ، فَلَرسُولُ اللَّهِ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ
الْمُرْسَلَةِ» (٢).

(١) يَفْتُّ: يَدُقُّ الشَّيْءَ وَيَكْسِرُهُ حَتَّى يَصِيرَ فَيْتِيًّا، وَيُقَالُ: فَتَّ فِي عَضْدِهِ: إِذَا أَوْهَنَ قُوَّتَهُ
وَأَسَاءَ إِلَيْهِ. يُنْظَرُ: «مَعْجَمُ مَقَائِسِ اللُّغَةِ» (فَت).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٠٨) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ، وَأَخْلَفَ عَلَيْكُمْ خَيْرًا، وَوَقَى أُمَّتَنَا
 الْفِتْنَ وَالْغَوَائِلَ^(١)، وَالشُّرُورَ وَالْقَلَاقِلَ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.
 أَلَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ - سَيِّدِ الْأَنْبَاءِ،
 خَيْرٍ مَنْ صَلَّى وَصَامَ، وَأَفْضَلٍ مَنْ تَهَجَّدَ لِلَّهِ وَقَامَ - كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ
 الْمَلِكُ الْعَلَّامُ، فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ
 عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

(١) الْغَوَائِلُ: الدَّوَاهِي وَالْمَهَالِكُ. يُنْظَرُ: «مفردات ألفاظ القرآن» للزَّعْبِ،
 و«القاموس المحيط» (غول).

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ الْمُمَجِّدِ، خَلَقَ الْبَرِيَّةَ مِنْ عَدَمٍ وَأَوْجَدَ،
وَهَدَانَا إِلَى السَّبِيلِ الْأَقْوَمِ الْأَرْشَدِ فَيَا بَشْرِي لِمَنْ يَسْعَى لِمَرْضَاةِ رَبِّهِ
وَيَجْهَدُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ لَا يُعَادِلُهَا
تَبْرٌ وَلَا عَسْجَدٌ^(١)، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَيْرٌ مَنْ صَامَ
وَقَامَ وَتَهَجَّدَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ صَفْوَةِ
الْمَلَائِكَةِ، فَفَارَزَ بِالْجَنَانِ الْعُلَا وَأَعْجَدَ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا
أَتَاهُمْ بِالْخَيْرَاتِ بَاغٍ وَأَنْجَدَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - فَإِنَّ
التَّقْوَى مِرْقَاةُ النِّجَاةِ، وَمَشْكَاةُ الْهُدَاةِ، وَأَزْكَى بِضَاعَةِ مُرْتَجَاةٍ فِي هَذِهِ
الْحَيَاةِ، وَخَيْرُ ذُخْرِ عَدَدِ اللَّمَمَاتِ، وَهَا هِيَ قَدْ تَدَانَتْ لَكُمْ دَوَاعِيهَا، فَيَا
فُوزَ وَعَايِيهَا! ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا

(١) العَسْجَدُ: الذهب، وقيل: اسم جامع للجوهر كله. يُنظر: «اللسان» (عسجد).

وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: مُنْذُ أَيَّامٍ قَلِيلٍ، قَدَّرَ الْبَارِئُ - جَلَّ وَعَلَا - الْمَنَازِلَ
فَجَبَانًا بِشَهْرِ كَرِيمٍ ذِي خَيْرٍ عَمِيمٍ، وَضَيْفٍ مُبَجَّلٍ أَثِيرٍ، هَفَّتْ لَهُ
الْأَشْوَاقُ، وَتَلَقَّتْهُ بِالْعِبْرَاتِ الْأَحْدَاقُ، شَهْرٌ أَرْسَلَ أَنْوَارَهُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ
الْمُؤْمِنَةِ الرَّضِيَّةِ، فَغَشِيَ أَقْطَارَهَا بِالتَّقْوَى وَالْحُبُورِ، وَأَفَاضَ عَلَيْهَا مِنْ
نَفَحَاتِهِ فَجَلَّلَهَا بِالرَّشَدِ الطَّهُورِ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ
الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]،
فِي رَمَضَانَ نُورُ الْإِيمَانِ يُشِعُّ وَيُضِيءُ، وَنَفَحَاتُ الْوَحْيِ الْمَبَارَكَاتُ
تَمْضِي وَتَجِيءُ، فَالْأَوْقَاتُ بِالطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ مَعْمُورَةٌ، وَالْأَرْوَاحُ
بِالطَّمَأْنِينَةِ وَالسَّكِينَةِ بِهَجَّةٍ مَعْمُورَةٌ، الْأَجْسَادُ عَنْ شَهَوَاتِهَا وَمَلَذَّاتِهَا
تُحَلَّتْ، وَالْأَرْوَاحُ بِحُلَى الْقُرْبَاتِ تَوَشَّتْ وَتَحَلَّتْ وَلِلْخَيْرِ الْجَمِيمِ (١)
شَمَّرَتْ وَتَجَلَّتْ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ بِمَقَاصِدِهِ وَخَصَائِصِهِ، وَعَبَقِ
ذِكْرِيَاتِهِ، هُوَ مَبْعَثُ عِزِّنَا، وَمَنَاطُ فَخْرِنَا، وَمَرْفَأُ جَدَّنَا وَمَجْدِنَا، تَضَمَّنَ
الْبُطُولَاتِ وَالْفَتْوَحَاتِ، وَتَنَزَّلَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، فِيهِ عُلُوُّ الْأَجْمَادِ،

(١) الجميم: الكثير من كل شيء. يُنظر: «اللسان» (جمم).

وَالظُّهُورُ عَلَى قُوَى الشُّرْكِ وَالطُّغْيَانِ، مَهْمَا أَجْلَبُوا بِالْخَيْلِ وَالْعَتَادِ.
 وَفِي الْجُمْلَةِ - يَا رَعَاكُمْ اللَّهُ - هُوَ مَوْسِمٌ لِتِجَارَةِ مَعَ اللَّهِ رَابِحَةٍ
 وَفُرْصَةٍ - لِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ، وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ - مُوَاتِيَةً سَانِحَةً، مَنْ ضَيَّعَهَا
 فَقَدْ أَدْنَى بِخَسَهُ^(١)، وَأَشَقَى الْمَحْرُومُ نَفْسَهُ.
 أَمَا كَانَ بَيْنَنَا أَتْرَابٌ^(٢) أَسْلِمُوا لِلتُّرَابِ؟ كَانُوا كَالشُّمُوسِ بَيْنَنَا
 وَالْأَقْمَارِ، قَدْ طَوَّاهُمُ الْبَوَارُ^(٣) إِلَى دَارِ الْقَرَارِ!!
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَيَنْ فُرْسَانُ الْكَلَامِ، وَحُدَّاقُ النَّشَارِ^(٤)
 وَالنِّظَامِ، يَصِفُونَ لِيَالِيَهُ الزُّهْرَ الْبَاهِرَةَ، وَالْآءَ أَيَّامِهِ الْمُتَظَاهِرَةَ،
 بَلْ مَا لَا يَكَادُ يُحْصَى مِنْ صُنُوفِ الْخَيْرِ وَدُرُوبِ الْهُدَى؟! وَلَا تَسَلْ
 عَنْ غُرَّةٍ^(٥) جَبِينِهِ: لَيْلَةَ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ.
 إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: ذَلِكَمُ هُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ وَذَلِكَمُ فَحْوَاهُ^(٦)

(١) بِخَسَهُ يَبْخَسُهُ بِخَسًا: نَقَصَهُ وَظَلَمَهُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (بخس).

(٢) التُّرَابُ: المماثل في السن، والجمع: أتراب. ينظر: «القاموس المحيط» (ترب).

(٣) الْبَوَارُ: الهلاك. ينظر: «اللسان» (أبر).

(٤) النَّشَارُ: الكلام المشثور. يُنْظَرُ: «اللسان» (نثر).

(٥) الْغُرَّةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: أَوْلَاهُ وَأَكْرَمَهُ. يُنْظَرُ: «تاج العروس» (غرر).

(٦) فَحْوَى الْكَلَامِ: ما ظهر للفهم من مطاوي الكلام، والمراد هنا: جَوْهَرُهُ. ينظر:

«مقاييس اللغة» (فحو).

وَمَبْنَاهُ. وَإِنَّ الْغُيُورَ لَيَتَسَاءَلُ فِي لَهْفٍ لِهَيْفٍ: هَلْ اسْتَطَاعَتْ أُمَّتُنَا
 الْإِسْلَامِيَّةُ أَنْ تَعِيَ حَقِيقَةَ الصَّوْمِ بِكُلِّ مَلَامِحِهَا وَدَلَائِلِهَا، مِنْ وَشْيٍ^(١)
 لِلنَّقْلِ، وَجَلَاءٍ لِلْعَقْلِ، وَصَفَاءٍ فِي الْقَلْبِ، وَأُنْسٍ لِلرُّوحِ، وَوَعْيٍ مُقْتَرِنٍ
 بِالتَّقْوَى، وَعِلْمٍ مُتَّصِلٍ بِمَخَافَةِ الْمَوْلَى - جَلَّ وَعَلَا - هَلْ أَدْرَكْنَا أَنَّ
 لَشَهْرِ رَمَضَانَ نُورًا يَجْدُرُ أَنْ تَسْتَضِيَءَ بِهِ النُّفُوسُ وَالْقُلُوبُ؟ فَثَبَّتْ
 الْأُمَّةُ أَقْدَامَهَا عَلَى طَرِيقِ التَّغْيِيرِ، بِوَعْيٍ لَا تَشُوبُهُ رَغَبَاتٌ، وَبِثَبَاتٍ
 لَا يَعْكُرُهُ ازْتِجَالٌ وَثَبَاتٍ! أَمْ أَنْ حَظَّنَا مِنْ رَمَضَانَ هُوَ الْإِسْمُ
 الْمَعْرُوفُ وَالزَّمَنُ الْمَأْلُوفُ وَصِلَةُ الْمُنَاسِبَةِ الْمُنْبِتَّةِ عَنِ الْوَاقِعِ
 وَالْحَالِ حِينَ تَشْرُقُ الشَّمْسُ أَوْ يُطِلُّ الْهَلَالُ.

وَيَا لَلَّهِ! كَمْ نَسَعَدُ وَنَغْتَبِطُ بِشَهْرِ رَمَضَانَ حِينَ نَجْعَلُ مِنْهُ دَوْرَةَ
 زَمَنِيَّةَ خَيْرَةٍ قَوِيَّةٍ؟ نَقُودُنَا إِلَى تَحْقِيقِ الذَّاتِ، وَالنُّصْرَةَ عَلَى الْمُعْتَدِينَ
 بِيَقِينٍ وَثَبَاتٍ، وَمَا أَعْظَمَهُ حِينَ ذَاكَ خَيْرًا يُصْنَعُ، وَدَرَجَةً أُثَيْلَةً^(٢) تُنَالُ.
 أُمَّةَ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ: وَمَا يُؤْسَى لَهُ - فِي شَهْرِ الْغُفْرَانِ، وَالْعِتْقِ

(١) وَشْيُ الشَّيْءِ: تَحْسِينُهُ وَتَهْدِيئُهُ. وَشَى الثَّوْبَ: نَمَمَهُ وَنَقَشَهُ وَحَسَّنَهُ. يُنْظَرُ:

«اللسان» (وشي).

(٢) يُقَالُ: يُقَالُ: مَجْدٌ أُثَيْلٌ، أَي: مُتَّصِلٌ فِي الشَّرْفِ. فَلِأَثَيْلٍ: كُلُّ شَيْءٍ لَهُ أَصْلٌ قَدِيمٌ. يُنْظَرُ:

«اللسان» (أثل).

مِنَ النَّيْرَانِ - أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ - هَدَاهُمُ اللَّهُ - طَاشَتْ عَنْ أَفْهَامِهِمْ
 كَثِيرٌ مِنْ حَقَائِقِ الصَّوْمِ وَمَضَامِينِهِ وَمَرَامِيهِ، فَحَبَسُوا الْجَوْفَ عَنِ الطَّعَامِ
 وَالشَّرَابِ فَحَسَبُوا، وَرَاحُوا يُطْلِقُونَ فِي الْمُحَرَّمَاتِ الْبَصَرَ، وَلَمْ يَصُونُوهُ
 عَنْ فُضُولِ النَّظَرِ، وَتَقَحَّمُوا حَمَى اللِّسَانِ، وَلَمْ يَرَعَوْا^(١) عَنِ النَّيْمَةِ
 وَالْغِيَةِ وَالْبُهْتَانِ، وَاللَّغْوِ وَهَجْرِ الْقَوْلِ وَالْهَدْيَانِ.

وَمَنْ تَوَافَى عَلَى هَذَا الشَّانِ - عِيَاذًا بِاللَّهِ - كَانَ كَمَنْ شَادَ قَضْرًا وَهَدَمَ
 مَضْرًا؛ خَرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»^(٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَمْ
 يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»،
 وَيُطَوِّحُ بِكَ الشَّجْنُ^(٣) وَالشَّجَى، حِينَ تَسْمَعُ عَنْ فِتْنَامِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 قَدْ غَدَوْا أَحْلَاسَ^(٤) اللَّذَّةِ، يَكْرَعُونَ^(٥) مِنْ صَرَى^(٦) بَعْضِ الْفَضَائِيَّتِ

(١) لم يرَعُوا: لم يكفوا ولم يتزجروا. يُنظر: «اللسان» (رعي).

(٢) برقم (١٩٠٣) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) الشَّجْنُ: الهمُّ والحزن. ينظر: «اللسان» (شجن).

(٤) يُقال: فلان من أحلاس البلاد: إذا لم يزايلها من حُبِّه إياها، والمراد بـ(أحلاس

اللذة) أي: مولعين باللذة وملازمين لها. يُنظر: «اللسان» (حلس).

(٥) يُقال: يَكْرَعُ الماء: إذا تناوله فبفيه من موضعه من غير أن يشرب بِكَفِّهِ ولا بإناء.

يُنظر: «اللسان» (كرع).

(٦) الصَّرَى: ما طال مُكثُّهُ ففسد وأَسِن. يُنظر: «الصحاح» (صَرَى).

المُسْفَةَ، فِي قَرَمٍ^(١) وَسُهُومٍ^(٢)، وَيُرْمَدُونَ أَبْصَارَهُمْ - فِي نَهْمٍ -
 بِقَتَامِهَا^(٣) الْأَذْفَرِ^(٤). - عِيَاذًا بِاللَّهِ - أَلَمْ يَعْلَمْ هَؤُلَاءِ أَنَّ هَذِهِ الْفَضَائِلَ
 الْحَوَاطِمَ^(٥)، شِرَاعٌ يَدْفَعُ سَفِينَتَنَا لِمَا فِيهِ حَتْفُ شَبَابِنَا وَفَتْيَاتِنَا وَجُرْثُومَةَ
 خَطِيرَةٍ تُصَدِّعُ وَادِي فَضَائِلِنَا وَعِفَّتِنَا.

أَلَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ - فِي شَهْرِ التَّنْزِيلِ وَالتَّرْتِيلِ - الَّذِينَ نَصَبُوا أَنْفُسَهُمْ
 حُدَاةً^(٦) لِلْغَرَائِزِ وَالشَّهَوَاتِ فِي بَيْدَاءِ الْحَيَاةِ، يُلْهَبُونَهَا إِذَا سَكَنْتَ،
 وَيُضْرِمُونَهَا إِنْ خَمَدَتْ - يَا وَيْحَهُمْ! - لَا الْعَبْرَةَ أَرَأَقُوا، وَلَا عَلَى
 زَوَاجِرِ الْقُرْآنِ أَفَاقُوا! أَلَا فَلْنَعُدْ جَمِيعًا إِلَى رَبَاطِ الْفَضَائِلِ وَالطُّهْرِ
 وَالْعَفَافِ، فَنَحْزِمَ بِهِ أُمُورَنَا، وَنُوثِقَ بِهِ رَوَابِطَنَا، قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الْحِزَامُ

(١) الْقَرَمُ: شِدَّةُ الشَّهْوَةِ. يُنْظَرُ: «اللسان» (قرم).

(٢) الشُّهُومُ: مَصْدَرُ (سَهَمَ)، وَسَهْمُ الرَّجُلِ: تَغْيِيرُ لَوْنِهِ عَنِ حَالِهِ لِعَارِضٍ مِنْ هَمٍّ أَوْ
 هُزَالٍ. وَالشُّهُامُ: الضُّمُورُ وَالتَّغْيِيرُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (سَهَمَ).

(٣) الْقَتَامُ: الْعُبَارُ الْأَسْوَدُ، يُقَالُ: ارْتَفَعَ الْقَتَامُ حَتَّى خَفِيَتِ الْأَعْلَامُ. يُنْظَرُ: «الصحاح»
 (قتم).

(٤) الدَّفَرُ: النَّتْنُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (دفر).

(٥) الْحَوَاطِمُ: النَّتْنُ تَكْسِرُ الدِّينِ وَتَحْطِمُ الْهُدَى وَالرَّشَادَ. يُنْظَرُ: «اللسان» (حطم).

(٦) الْحُدَاةُ: الرَّعَاةُ، الَّذِينَ يَسُوقُونَ الْإِبِلَ بِالْغِنَاءِ. يُنْظَرُ: «اللسان» (حدا).



الطَّيِّبِينَ^(١)، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا

أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦].

أُمَّةَ الْقُرْآنِ: وَمِنْ خَصَائِصِ هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ تَرْتِيلُ الْقُرْآنِ

الْكَرِيمِ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ^(١)﴾ [القدر]، نَعَمْ! نَزَلَتْ الْآيَاتُ

الْبَيِّنَاتُ فَأَنَارَتِ الدُّنْيَا، وَكَانَتْ غَارِقَةً فِي لُجَّةِ^(٢) الظَّلَامِ، غَيَّرَتِ الْجَهْلَ

وَالهَمَجِيَّةَ، إِلَى قِمَّةِ الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فِي عَدَلٍ شَامِلٍ، وَعِلْمٍ نَافِعٍ،

وَوَعْيٍ مُتَكَامِلٍ، وَأَزْوَى هَذَا الْكِتَابِ الْمُبِينِ الْعَالَمِ بِمَائِهِ، وَمَا مَاؤُهُ إِلَّا

الْحَيَّرُ الْمَحْضُ لِلْإِنْسَانِيَّةِ، وَالصَّلَاحُ وَالنَّفْعُ وَالسَّعَادَةُ لِلْبَشَرِيَّةِ،

وَالْمُضِيئُ بِهَا فِي طَرِيقِ الْهُدَى وَالنُّورِ. أَعْجَزَتْ كَلِمَاتُهُ الْبُلْغَاءَ، وَكَاعَ^(٣)

دُونَ نَظْمِهَا الْفُصْحَاءَ، فَالْفَاطَةُ وَمَعَانِيهِ إِلَيْهَا الْمُتَهَيِّ، وَبَلَاعَتُهُ حَيَّرَتْ

أُولَى الْأَلْبَابِ وَالنُّهَى: ﴿الرَّكَتَبُ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ

خَيْرٍ^(١)﴾ [هود].

(١) تقدم بيان معناها (ص ٣٠).

(٢) لُجَّةُ الشَّيْءِ: مَعْظَمُهُ. يُنْظَرُ: «تاج العروس» (لجج).

(٣) يُقَالُ: كَاعَ عَنِ الشَّيْءِ أَي: هَابَهُ وَجَبَنَ عَنْهُ؛ كَقَوْلِنَا: كَاعَ عَنِ تَسَلُّقِ الْجَبَلِ. يُنْظَرُ:

«اللسان» (كيع).

فَهَلْ تَعِي الْأُمَّةُ دَوْرَهَا مُجَاهَ كِتَابِ رَبِّهَا فِي أَفْضَلِ شُهُورِهَا،
 خُصُوصًا فِي هَذَا الْمُنْعَطِفِ الْخَطِيرِ، وَهَذِهِ الْحِقْبَةُ التَّارِيخِيَّةُ الَّتِي تَمُرُّ
 بِهَا، وَفِي هَذِهِ الْأَوْنَةِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِيهَا شِرْذِمَةٌ مِنْ سُذَّازِ الْأَفَاقِ - مَبَاءةٌ^(١)
 كُلُّ خِسَّةٍ وَلُؤْمٍ - رَمَى بِهِمْ حِقْدَهُمُ الْأَسْوَدَ اللَّامِحْدُودَ، وَكَيْدَهُمُ الْأَحْمَرَ
 الْمُتَفَاقِمَ، لِمُعَارَضَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالتَّطَاوُلِ عَلَى الدَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ،
 وَالْأَحْكَامِ الْقُدْسِيَّةِ، وَالْجَنَابِ الْمُحَمَّدِيِّ، فِي هَرَطَقَاتٍ^(٢) يَزْعُمُونَ أَنَّهَا
 (الْفُرْقَانُ الْحَقُّ)، وَ مَا هِيَ إِلَّا (الْفُرْقَانُ الْخَلْقُ)^(٣): ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةٌ
 تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝﴾ [الكهف]، ﴿فَوَيْلٌ
 لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ۝٧٩﴾ [البقرة].
 وَلَيْسَ بَدْعًا أَنْ يُؤْلَفَ الْقَوْمُ مَا أَلْفُوا، وَأَنْ يَرْتَكِبُوا مِنَ الْإِفْتِرَاءَاتِ
 وَالْحَزْغِيَّاتِ مَا ارْتَكَبُوا، فَهُمْ الَّذِينَ اتَّخَذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُؤًا، وَكَتَمُوا مَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ، وَحَرَّفُوا التَّوْرَةَ وَبَدَّلُوهَا، كَيْفَ لَا؟! وَقَدْ

(١) باء إلى الشيء: رجع إليه، والمبأة: المرجع. يُنظر: «اللسان» (بوا).

(٢) هرطقات: جمع هرطقة، وهي كلمة يونانية، يُعنى بها: البِدْعُ الْمُخَالِفَةُ لِأَصُولِ
 الدِّينِ. يُنظر: «ويكيبيديا - الموسوعة الحرة» (هرطق).

(٣) تقدم بيان معناها (ص ١٩١).

فَضَحَ اللَّهُ خَلَاقَهُمْ وَنِيَّاتِهِمْ، وَلَمْ يُعَادِرِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ صَغِيرَةً وَلَا
كَبِيرَةً مِمَّا تَنْطَوِي عَلَيْهِ نُفُوسُهُمْ مِنَ الْخُبْثِ وَالْمَكْرِ إِلَّا أَوْضَحَهَا
وَجَلَّاهَا: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٦٤)

[المائدة]، وَإِنَّ مَا أَتَوْهُ مِنْ أَبَاطِيلَ، وَمَا افْتَرَوْهُ مِنْ تَضْلِيلٍ، لِأَنْزَلُ رُتْبَةً مِنْ
أَنْ يُتَنَاوَلَ بَرْدٌ أَوْ نِقَاشٍ، فِي هَذَا الْمَكَانِ الْأَقْدَسِ، «فَلْيَلْبِغَنَّ هَذَا الدِّينُ مَا
بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ» (١)، وَلَكِنْ عَلَيْنَا أَنْ نُدْرِكَ أَهْمُهُمْ يُرِيدُونَ إِصَابَتَنَا - وَمَا هُمْ
بِبَالِغِينَ - فِي مُقَدَّسَاتِنَا وَثَوَابِتِنَا، وَكِتَابِنَا الَّذِي أَيْقَنُوا أَنَّهُ حَيَاتُنَا وَنَجَاتُنَا،
وَأَنَّا بِهِ صَرْنَا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَأَنَّهُ النُّورُ وَالضِّيَاءُ لِلْعَالَمِينَ.

وَلَعَلَّ هَذِهِ الصَّوَاعِقَ وَالرُّعُودَ، نَجْنِي مِنْهَا - بِإِذْنِ اللَّهِ - يَانِعَ الثَّمَرِ
وَالْوُرُودِ، فَتُوقِظَ فِينَا الْإِسْتِمْسَاكَ بِهَذَا الْقُرْآنِ الْخَالِدِ، وَالِإِعْتِصَامَ
بِأَحْكَامِهِ وَأَوَامِرِهِ، وَأَنْ تَتَوَاصَى عَلَى الْعَمَلِ بِهِ فِي شُؤُونِنَا كَافَّةً: ﴿كَذَلِكَ
يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ
فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

مَعَاشِرَ الصَّائِمِينَ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٠٣/٤)، والحاكم في «المستدرک» (٤/٤٣٠)،
والبيهقي في «الكبرى» (١٨١/٩) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

[الأحزاب: ٢١]، وَإِنَّ مِنْ كَمَالِ هَدْيِهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ: الْبَذْلَ وَالْإِنْفَاقَ، قَالَ الْإِمَامُ الْمَاوَرِدِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «مُنِحَ ﷺ مِنَ السَّخَاءِ وَالْجُودِ، حَتَّى جَادَ بِكُلِّ مَوْجُودٍ، وَأَثَرَ بِكُلِّ مَطْلُوبٍ وَمَحْبُوبٍ»^(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [التغابن]، وَمَا الْإِنْفَاقُ وَالْإِحْسَانُ - فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ الْمَيْمُونِ - لِلْمُعْزِزِينَ^(٢) وَالْمُعْسِرِينَ وَالْمَدِينِينَ، إِلَّا دَلِيلٌ حُبِّ شَفِيفٍ، وَإِيْمَانٍ مُزْهِرٍ رَفِيفٍ^(٣)، يَحْمِلُ النَّفْسَ عَلَى الْمَشَاعِرِ الرَّقِيقَةِ الْحَانِيَةِ، فَتَسْرِي فِي الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ كَالرِّيحِ الرَّخَاءِ^(٤)، فَتُبْذَلُ فِي نَدَاوَةٍ وَرَخَاءٍ، فَمُدُّوا أَيْدِيكُمْ لِإِخْوَانِكُمْ بِالْعَطَاءِ، تَحُوزُوا مَرْضَاةَ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

وَأَنَا - أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ - إِذْ نَقَرْتُ مَعَكُمْ بَابَ الْوُدِّ وَالْعَطْفِ، وَنُشِرْتُ

(١) يُنظر: أعلام النبوة (ص ٣٠٢).

(٢) رَجُلٌ مُعْزِزٌ: أَي: فَقِيرٌ، مُحْتَاجٌ. يُنظر: «أساس البلاغة» (عوز).

(٣) رَفِيفٌ: لَامِعٌ مُتَلَالِئٌ. يُنظر: «أساس البلاغة» (عوز).

(٤) الرَّخَاءُ مِنَ الرِّيحِ: اللَّيْنَةُ السَّرِيعَةُ، لَا تَزْعُزِعُ شَيْئًا، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِ رُحَاءِ

حَيْثُ أَصَابَ﴾. يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن»، و«اللسان» (رخی).

دُونَكُمْ قَنَاةَ الْحُبِّ وَاللُّطْفِ؛ لِنَقُولَ: شَاهَتْ وُجُوهُ الشَّانِئِينَ^(١) عَلَى
 الْأَعْمَالِ الْخَيْرِيَّةِ وَالْإِغَائِيَّةِ، الَّتِي يَفُوحُ شَذَاهَا فِي هَذِهِ الدِّيَارِ الْمُبَارَكَةِ.
 وَلَسْتُمْ - يَا بُغَاةَ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ - الَّذِينَ تَفُلُّ فِي هِمَمِكُمْ
 وَعَزَائِمِكُمْ الْأَرَاجِيفُ^(٢) وَالْإِفْتِرَاءَاتُ، وَالْأَكَاذِيبُ وَالْمُثَبِّطَاتُ^(٣)،
 وَلَا يُنَافِي هَذَا صَبْطَ الْمَوَارِدِ وَالْمَصَارِفِ وَتَرْشِيدَهَا، وَإِنَّا لَنَحْمَدُ اللَّهَ
 أَنَّ اهْتِيَاتِ الْمُؤْتَوِّقَةَ كَثِيرَةٌ، وَالْمُؤَسَّسَاتِ الْأَمْنِيَّةَ عَدِيدَةٌ، فَلَا تُنْسِكُ
 - يَا مُحِبُّ - الْكَفَّ، لَعَلَّكَ عَنِ النَّارِ تُذَادُ وَتَكْفُ، بِمَنْ اللَّهَ وَكَرَّمَهُ!

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَإِنَّكُمْ إِذْ تَعِيشُونَ شَرَفَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ،
 وَتَتَنَعَّمُونَ بِطَيْبِ الْمَقَامِ وَوَارِفِ الْأَمَانِ، فِي هَذِهِ الْأَجْوَاءِ الْعَبَقَةِ^(٤)
 الْأَرِيحَةِ، وَالْجَوَاءِ^(٥) الْمُنَشَّرَةِ الْبَهِيجَةِ، لَا مَعْدَى لَنَا عَنْ تَذَكُّرِ إِخْوَانِنَا

(١) تقدم بيان معناها (ص ١٠١).

(٢) الْأَرَاجِيفُ: الْأَخْبَارُ الْكَاذِبَةُ السَّيِّئَةُ. يَنْظُرُ: «اللسان» (رجف).

(٣) يُقَالُ: مُثَبِّطٌ لِلْعَزَائِمِ، أَي: مُحِبِّطُهَا، مَنْ لَا يُشَجِّعُ عَلَى الْقِيَامِ بِشَيْءٍ. يَنْظُرُ: «اللسان»
 (ثبط).

(٤) يُقَالُ: رَجُلٌ عَبَقٌ وَامْرَأَةٌ عَبَقَةٌ: إِذَا تَطَيَّبَا بِأَذْنَى طَيْبٍ لَمْ يَذْهَبْ عَنْهَا أَيَّامًا. يُنْظَرُ:
 «القاموس المحيط» (عبق).

(٥) الْجَوَاءُ: الْفَرْجَةُ الَّتِي بَيْنَ مَحَلَّةِ الْقَوْمِ، وَسَطِ الْبُيُوتِ. يَنْظُرُ: «اللسان» (جوا).

الْمَكْلُومِينَ^(١) بِحَسْرَةٍ تَكْوِي أَكْبَادَ الْغُيُورِينَ، وَتُدْمِي أَفْئِدَةَ
 الْمُلتَاعِينَ^(٢)، فِي أَوْلَى الْقِبْلَتَيْنِ، وَمَسْرَى سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ، حَيْثُ يَسُومُهُمْ
 جَلَاوِزَةٌ^(٣) الْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ - دُونَ حَسِيبٍ أَوْ رَقِيبٍ - الْقَهْرَ وَالتَّذْمِيرَ،
 وَالْقُصْفَ وَالتَّفْجِيرَ، وَمَا لَا يَخْطُرُ بِبَالٍ مِنَ التَّعْذِيبِ وَالتَّنْكِيلِ، فَهَلْ
 تُحْرِكُ الْأَشْلَاءَ وَالدِّمَاءَ، وَبُكَاءَ الْيَتَامَى، وَصَرَخَاتِ الْإِيَامَى تَحْتَ
 أَنْقَاضِ الْبُيُوتِ، وَلَوْعَةِ الْأَرَامِلِ فِي الظُّلُمَاتِ، وَحُزْنِ الْمُلتَاعِينَ فِي
 الْمُخَيَّمَاتِ، دُعَاةِ السَّلَامِ، وَمُحَارِبِي الْإِرْهَابِ، وَالْمُدَافِعِينَ عَنِ
 حُقُوقِ الْإِنْسَانِ!؟ وَإِنَّ ذَلِكَ الْهَوْلَ - وَبَعْضُهُ يَكْفِي - عَلَى أَيْدِي هَؤُلَاءِ
 الْأَثِمِينَ الْمُحْتَلِّينَ الْغَاصِبِينَ، مُدَبَّرٍ فِي تَحَدٍّ جَهِيرٍ لِلْقَرَارَاتِ الدَّوْلِيَّةِ،
 وَاسْتِطَالَةِ رَعْنَاءِ عَلَى مَوَائِقِ الشَّرَفِ الْعَالَمِيَّةِ، وَنَقْضِ غَيْرِ مَسْبُوقٍ
 لِلْعُهُودِ وَالْمُبَادَرَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

لَكِنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سَيْطَ مِنْ دَمِهَا فَجَعٌ وَوَلَعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلٌ^(٤)

(١) الكَلْمُ: الجرح، ومكْلُوم، أي: مجروح. ينظر: «تهذيب اللغة» (كلم).

(٢) يُقَالُ: قَلْبٌ مُلتَاعٌ، أي: مُحْتَرِقٌ مِنْ شَوْقٍ أَوْ هَمٍّ. ينظر: «اللسان» (لوع).

(٣) جَلَاوِزَةٌ: جمع جِلْوَاذٍ، وهو الشرطي. ينظر: «تاج العروس» (جلز).

(٤) من قصيدة (بانة سعاد) لكعب بن زهير بن أبي سلمى في مدح النبي ﷺ. ينظر:

«ديوانه» (ص ١٠٩).

إِنَّا نُنَاشِدُ - بِاسْمِ الْمُسْلِمِينَ الصَّائِمِينَ الْقَائِمِينَ - الْمُنْتَظَمَاتِ
 الْعَالَمِيَّةِ، وَالْهَيْئَاتِ الدُّوَلِيَّةِ، وَالْجُمُعِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ
 لِلتَّحَرُّكِ الْعَاجِلِ الْفَوْرِيِّ لَوْقَفِ الْعُدْوَانِ الْوَحْشِيِّ
 الْمْتَعَطِّرِسِ ^(١) الْأَرْعَنِ ^(٢) فِي أَرْضِ فَلِسْطِينَ وَالْأَقْصَى، وَالِإلتِزَامِ
 بِمَوَاقِفِ شَرَفِ دَوْلِيَّةِ تَمْنَعِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَتَعْمَلُ عَلَى حِمَايَةِ
 الْعُرْلِ الْأَبْرِيَاءِ الصَّائِمِينَ، مِنْ إِزْهَابِ الْمُعْتَدِينَ، وَعُدْوَانِ
 الظَّالِمِينَ، مَعَ تَحْقِيقِ فَحْوَى الْقَرَارَاتِ، وَالْعُهُودِ الَّتِي ضَمِنَتْ
 سَلَامَتَهُمْ وَوَحْدَةَ أَرْضِيهِمْ، وَمَنْعِ الظُّلْمِ وَالْإِعْتِدَاءِ عَلَى مُقَدَّسَاتِ
 الْمُسْلِمِينَ، بَلْ وَالْأَقْلِيَّاتِ الْمُضْطَهَدَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: إِنَّنَا فِي مُوَاجَهَةِ هَذِهِ الْمَآسِي
 اللَّافِحَةِ ^(٣)، لَتَتَطَلَّعُ بِلَهْفٍ إِلَى صَلاَحِ الْأَحْوَالِ، وَاسْتِثْبَابِ الْأَمْنِ،
 وَفُشُوِّ الرَّخَاءِ وَالِإِسْتِقْرَارِ فِي بِلَادِ الرَّافِدِينَ الْجَرِيحَةِ، حَيْثُ الدَّمَارُ يَلْتَهُمُ

(١) التَّعَطَّرُسُ: الإعجاب بالشيء، والتطاول على الأقران. يُنظر: «اللسان»
 (عطرس).

(٢) تقدم بيان معناها (ص ٩٢).

(٣) يُقال: شَمَسَ لَافِحَةً، أَي: مُحْرِقَةً، وَبَرَدَ لَافِحٌ، أَي: قَارِسٌ. يُنظر: «اللسان» (لفح).

الْعَجْزَةَ وَالْأَطْفَالَ، وَالنِّسَاءَ وَالرِّجَالَ. وَالْأَمْلُ أَنْ تَتَوَلَّى أَطْيَافُ الْبِلَادِ
 دَفَّةَ الْأُمُورِ وَانْتِظَامَهَا، سِيَادَةً وَاسْتِقْلَالًا، فِي تَجَافٍ لِلْقُوَى الظَّالِمَةِ
 وَالتَّدخُّلَاتِ الغَاشِمَةِ، فَهَلْ تَنْزِعُ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ - وَذَلِكَ وَشَلٌّ (١) مِنْ
 جِرَاحِهَا الثَّاعِبَةِ (٢) - زِمَامَ التَّغْيِيرِ لِتُنْقِذَ نَفْسَهَا، وَتَسْتَعِيدَ عِزَّتَهَا وَمَجْدَهَا،
 وَتُجَنِّبَ الْأَجْيَالَ الْقَادِمَةَ، ذُلَّ الدُّنْيَا وَجَحِيمَ الْآخِرَةِ؟! وَكَانَ اللَّهُ فِي
 عَوْنِ الْعَامِلِينَ الْمُخْلِصِينَ لِصَلَاحِ مَجْتَمَعِهِمْ وَعِزِّ أُمَّتِهِمْ.

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سُبُلَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ صَفْوَةِ عِبَادِكَ
 الْأَخْيَارِ، بِرَحْمَتِكَ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ، أَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ
 الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ
 وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) الْوَشَلُّ: الْمَاءُ الْقَلِيلُ يَتَحَلَّبُ مِنْ جَبَلٍ أَوْ صَخْرَةٍ وَلَا يَتَّصِلُ قَطْرُهُ، وَالْجَمْعُ:
 أَوْشَالٌ. يُنْظَرُ: «اللسان» (وشل)، والمراد هنا: أن هذا قليل من جراح الأمة
 الكثيرة.

(٢) يُقَالُ: تُعِبَ الْمَاءُ وَالِدَمُ يُثَعِبُهُ تُعْبًا، أَي: فَجَّرَهُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (ثعب).

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَبِی التَّوْفِیْقِ وَالْفَلَاحِ، بِأَسْطِ النِّعْمَاءِ لِلشَّاكِرِينَ بِالْغُدُوِّ
وَالرَّوْحِ، تَزَكَّتْ لَهُ الْقُلُوبُ، فَسَعِدَتْ بِالطَّمَأْنِينَةِ وَالْإِنْشِرَاحِ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً نَسْتَبِينُ بِهَا الْحَرَامَ مِنَ
الْمُبَاحِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، إِمَامُ الْجُودِ وَالْبَذْلِ
وَالسَّمَّاحِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، أَهْلِ التَّقْوَى
وَالصَّلَاحِ، الْمُسَارِعِينَ فِي الْخَيْرِ كَسَوَافِي^(١) الرِّيَّاحِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ
تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَعَلِّمُوا أَنَّ التَّقْوَى خَيْرٌ زَادٍ فِي
الْعَوَاقِبِ، وَكَافَيْتُكُمْ - بِإِذْنِ اللَّهِ - مِنْ شَرِّ كُلِّ غَاسِقٍ^(٢) وَوَاقِبٍ،
فَاعْمُرُوا بِهَا أَوْقَاتِكُمْ، قَبْلَ ذَهَابِ الْفُرْصِ، وَدُنُوبِ الْأَجَالِ وَالْغُصَصِ.

(١) سَفَا فِي مَشِيهِ وَطَيْرَانِهِ يَسْفُو سُفُوءًا: أَسْرَع. فسوافي الرياح سرعتها. يُنظر:
«اللسان» (سفي).

(٢) الْغَاسِقُ: اللَّيْلُ إِذَا غَابَ الشَّفَقُ وَاشْتَدَّتْ ظُلْمَتُهُ، وَالْقَمَرُ إِذَا أَظْلَمَ بِالْخُسُوفِ.
يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للرَّاعِبِ، و«الصحاح» (غسق).

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: إِنَّ مِمَّا يَجْدُرُ بِالصَّائِمِ الْعِنَايَةُ بِهِ، وَالِإِهْتِمَامُ: فَقَهُ
الصِّيَامِ، فَلَنْعَطِفَ بِكُمْ - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ فَقِهِ الصِّيَامِ،
فَمِنْ ذَلِكَ مَعْرِفَةُ الْمُفْطَرَاتِ الَّتِي تُفْسِدُ الصَّوْمَ وَتُبْطِلُهُ:

وَمِنْهَا: مُطْلَقُ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، عَنْ طَرِيقِ الْفَمِ أَوْ الْأَنْفِ؛

لِقَوْلِهِ - تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ

الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وَالسَّعُوطُ^(١)

فِي الْأَنْفِ بِمَنْزِلَةِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «وَبَالِغٌ فِي الْإِسْتِنْشَاقِ

إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا»، خَرَّجَهُ أَبُو دَاوُدَ^(٢) وَالتِّرْمِذِيُّ^(٣).

الثَّانِي مِنَ الْمُفْطَرَاتِ: مَا كَانَ بِمَعْنَى الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ: كَالِإِبْرِ

الْمُعْذِيَةِ الَّتِي تَتَوَّبُ عَنِ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ، فَإِذَا تَنَاوَلَهَا الصَّائِمُ؛ أَفْطَرَ،

وَأَمَّا الَّتِي لَا تُغْذِي، فَلَا تُفْطَرُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - سِوَاءَ تَنَاوَلَهَا عَنْ طَرِيقِ

الْعُرُوقِ أَمْ الْعَضَلَاتِ، وَمِثْلُهَا الْقَطْرَةُ فِي الْعَيْنِ وَالْأَذُنِ، فَلَا تُفْطَرُ عَلَى

الصَّحِيحِ مِنْ قَوْلِي الْعُلَمَاءِ، وَالْأَحْوَابُ أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا لَيْلًا.

(١) السَّعُوطُ: الدَّوَاءُ يُدْخَلُ فِي الْأَنْفِ. يُنْظَرُ: «اللسان» (سعط).

(٢) برقم (١٤٢) من حديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه.

(٣) برقم (٧٨٨) من حديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه.

الْمُفْطَرُّ الثَّلَاثُ: الْجِمَاعُ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، وَإِثْمُهُ عَظِيمٌ، وَفِعْلُهُ
 شَنِيعٌ وَمَنْ أَتَى ذَلِكَ لَزِمَهُ مَعَ الْقَضَاءِ، الْكِفَارَةُ الْمُغْلَظَةُ، وَهِيَ عِتْقُ
 رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ [المجادلة: ٤].

الْمُفْطَرُّ الرَّابِعُ: أَنْزَالُ الْمَنِيِّ بِرَغْبَةٍ وَاخْتِيَارٍ، كَمَنْ عَمَدَ إِلَى
 التَّقْيِيلِ وَاللَّمْسِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ، وَإِذَا كَانَ الْأَنْزَالُ عَنِ اخْتِلَامٍ، فَإِنَّهُ
 لَا يُفْطَرُ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ
 أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلِّمْ بِهِ». خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ^(١) وَمُسْلِمٌ^(٢).

الْمُفْطَرُّ الْخَامِسُ: التَّقْيُؤُ عَمْدًا؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ ذَرَعَهُ قِيءٌ
 وَهُوَ صَائِمٌ فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ، وَإِنْ اسْتَقَاءَ فَلْيَقْضِ». خَرَّجَهُ أَبُو دَاوُدَ^(٣)
 وَالتِّرْمِذِيُّ^(٤) وَمَعْنَى ذَرَعَهُ: أَيُّ غَلَبَهُ.

الْمُفْطَرُّ السَّادِسُ: إِخْرَاجُ الدَّمِ بِالْحِجَامَةِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَفْطَرَ

(١) برقم (٦٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) برقم (١٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) برقم (٢٣٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) برقم (٧٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ». خَرَجَهُ أَحْمَدُ^(١) وَأَهْلُ السُّنَنِ^(٢)، وَأَمَّا خُرُوجُ
يَسِيرِ الدَّمِ - لِتَحْلِيلِ أَوْ جِرْحٍ وَرَعَافٍ - فَلَا يُفْطَرُ.
الْمُفْطَرُ السَّابِعُ: نُزُولُ دَمِ الْحَيْضِ أَوْ النَّفَاسِ، فَإِنَّهُ يُفْطَرُ، وَلَوْ
قَبْلَ الْغُرُوبِ بِلَحَظَاتٍ.

تِلْكَكُمْ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَصُولُ الْمُفْطَرَاتِ، فَصُوتُوا - عِبَادَ اللَّهِ -
صَوْمَكُمْ عَنِ النُّقْصَانِ وَالْبُطْلَانِ، ثُمَّ اَعْلَمُوا - يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ - أَنَّكُمْ
تَسْتَقْبِلُونَ الْعَشْرَ الْأَوَاسِطَ مِنْ رَمَضَانَ - عَشْرَ الْمَغْفِرَةِ - فَخُذُوا
بِأَسْبَابِ الْغُفْرَانِ، مِنْ حُسْنِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَمُلَازِمَةِ التَّوْبَةِ، وَالْإِلْحَاحِ بِالدُّعَاءِ، فَإِنَّ
اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ.

تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ الصِّيَامَ وَالْقِيَامَ، وَأَدَامَ عَلَيْنَا الْخَيْرَاتِ فِي
مُسْتَقْبَلِ الْأَيَّامِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ. أَلَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى
الْهَادِي الْأَمِينِ: نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) في المسند (٣٦٤ / ٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٦٧)، والنسائي في «الكبرى» (٢ / ٢١٦)، وابن ماجه (١٦٨٠)

من حديث ثوبان رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي (٧٧٤) من حديث خديج بن رافع رضي الله عنه.

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَتَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، جَعَلَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ لِلنَّاسِ أَمْنًا وَمَثَابَةً، وَزَادَهُ تَعْظِيمًا وَتَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَعْظَمُ بِهِ فِي الرَّسَالَةِ الْمُسْتَطَابَةِ^(١)، وَالِدَعْوَةَ الْمُسْتَجَابَةَ! وَأَكْرَمُ بِهِ فِي الْعِبُودِيَّةِ وَالْإِنَابَةِ! صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أُولِي الطُّهْرِ وَالْفَضْلِ وَالْإِصَابَةِ، وَأَصْحَابِهِ ذَوِي الثَّقَى وَالنَّخْوَةِ وَالنَّجَابَةِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، مَا شَدَّ حَاجٌّ إِلَى الْبَيْتِ رِكَابَهُ، وَمَا بَزَغَ نَجْمٌ وَهَطَلَتْ سَحَابَةٌ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فِيَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، وَيَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، أُوصِيكُمْ

(١) مُسْتَطَابَةٌ: أَي مُتَقَبَّلَةٌ؛ لِحَسَنِهَا وَطُهْرِهَا، فَأَكْثَرُ مَا يَرِدُ الطَّيِّبُ بِمَعْنَى: الطَّاهِرِ. يُنْظَرُ:

«اللسان» (طيب).

وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَالشُّكْرِ لَهُ - جَلَّ وَعَلَا - عَلَى جَزِيلِ
النِّعْمَاءِ وَتَرَادُفِ الْأَلَاءِ، وَعَلَى وَجْهِ أَحْصَ، وَأَنْتُمْ تَعِيشُونَ هَذِهِ الْأَيَّامَ
شَرَفَ الزَّمَانِ، وَشَرَفَ الْمَكَانِ، وَشَرَفَ الْمُنَاسِبَةِ.

مَعَاشِرَ الْإِخْوَةِ فِي اللَّهِ - حُبَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ - إِجْهَاءَاتِ الْمُنَاسِبَةِ
تَقْتَضِي إِضَاءَاتِ حَوْلِ مَحَاوِرِ الشَّرَفِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَالِقَةِ: شَرَفِ الْمَكَانِ،
وَشَرَفِ الزَّمَانِ، وَالْمُنَاسِبَةِ، وَيَأْتِي فِي طَلِيعَةِ هَذِهِ الْمَحَاوِرِ وَصَدَارَتِهَا مَا
يَتَعَلَّقُ بِمَحْوَرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِي تَجْتَمِعُ حَوْلَهُ هَذِهِ الْأَيَّامَ، ذَلِكَمُ هُوَ الْبَيْتُ
الْحَرَامُ، حَيْثُ يَلْتَمِسُ شَمْلَ الْحَجِيجِ، وَيَتَنظَّمُ عِقْدُهُمْ فِي رِحَابِهِ.

يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ
مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ
كَانَ آمِنًا ﴿﴾ [آل عمران]، وَيَقُولُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ
الْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ ﴿﴾ [المائدة: ٩٧]، لَقَدْ ظَلَّ الْبَيْتُ الْحَرَامُ عِبْرَ التَّأْرِيخِ،
وَعَلَى مَرِّ الْقُرُونِ طَوْدًا شَاخِحًا، وَصَرْحًا بَادِخًا^(١) لَا يَرِيمُ^(٢)، تَبِيدُ الدُّوَلُ
وَتَنْدَرِسُ الْحَضَارَاتُ، وَتُحْفَظُ مَكَّةُ بِحِفْظِ اللَّهِ رَمْزًا لِلْإِيمَانِ، وَمَوْثَلًا

(١) بَادِخًا: عَالِيًا. يُنْظَرُ: «اللسان» (بدخ).

(٢) يَرِيمُ: يَبْرَحُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (ريم).

لِلْعَقِيدَةِ، وَمَصْدَرًا لِلدَّعْوَةِ، وَمَرْكَزًا لِلأُخُوَّةِ، وَمُنْطَلَقًا لِأَعْظَمِ حَضَارَةِ
إِسْلَامِيَّةٍ انْبَثَقَتْ مِنْ تِلْكَ الرُّبَى وَالْبِطَاحِ، حَتَّى بَدَلَتْ وَجْهَ التَّارِيخِ،
وَخَلَخَتْ صُرُوحَ الوَثْنِيَّةِ، وَحَطَّمَتْ عُرُوشَ الجَاهِلِيَّةِ.

اللَّهُ أَكْبَرُ! بِمَكَّةَ عَبَقُ^(١) الذُّكْرِيَّاتِ الحَالِدَةِ، وَشَذَى^(٢) البُطُولَاتِ
المَاجِدَةِ، مَكَّةَ المُكْرَمَةِ: جَمَالُ الدُّنْيَا، وَزِينَةُ الأَرْضِ، وَمَنَارَةُ الدَّعْوَةِ
وَالْتَّقَى، وَوَاسِطَةُ العِقْدِ المِتَلَالِيِّ الوَضَاءِ فِي هَامَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ.

فَوَاجِبُ المُسْلِمِينَ جَمِيعًا - لَاسِيَا مِنَ الحُجَّاجِ وَالمُعْتَمِرِينَ - أَنْ يَرَعُوا
لَهَا قُدْسِيَّتَهَا، وَأَنْ يَحْفَظُوا لَهَا أَمْنَهَا وَنِظَامَهَا، وَيَحْذَرُوا الإِلْحَادَ فِيهَا، فَقَدْ
قَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالإِحْكَامِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ

﴿ ٢٥ ﴾ [الحج].

حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الحَرَامِ: أَمَّا المُنَاسِبَةُ فَيَا لَهَا مِنْ مُنَاسِبَةٍ! مَا
أَعْظَمَهَا! وَفَرِيضَةٍ، مَا أَسْمَاهَا وَأَكْرَمَهَا! وَفُرْصَةٍ، مَا أَزْكَاهَا وَأَشْرَفَهَا!
فَالْحُجُّ مَوْسِمٌ عَظِيمٌ تَتَجَلَّى فِيهِ أَعْظَمُ المَقَاصِدِ، وَتَتَحَقَّقُ فِيهِ أَكْبَرُ

(١) تقدم بيان معناها (ص ٢٣٨).

(٢) الشَّذَى: المِسْكُ، والشَّذَى: كَسْرُ العُودِ الَّذِي يُطَيَّبُ بِهِ. يُنْظَرُ: «تاج العروس»
(شذو).

الْمَنَافِعِ، وَقَدْ قَالَ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي سِيَاقِ آيَاتِ الْحَجِّ: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨]، فَفِي الْحَجِّ مِنَ الْمَنَافِعِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ مَا يَشْحَدُ^(١) هَمَّ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَيَسْتَنْهَضُ عَزَائِمَهُمْ، حَيْثُ لَمْ يَرْضَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لِمَنْ أَتَى بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ ثَوَابًا إِلَّا الْجَنَّةَ. رَوَى الْبُخَارِيُّ^(٢) وَمُسْلِمٌ^(٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»، وَفِيهَا^(٤) عَنْهُ ﷺ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَزِفْهُ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

أَلَا مَا أَعْظَمَهَا مِنْ مَكْرُمَاتٍ! وَمَا أَسْعَدَهَا مِنْ لِحَظَاتٍ! تَعِيشُهَا
 الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ، وَيَا لَهَا مِنْ مَوَاقِفَ إِيْمَانِيَّةٍ مَا أَرْوَعَهَا!
 وَمِنْ مَشَاعِرَ فَيَاضَةٍ مَا أَبْدَعَهَا! وَلِيَهْنَأَ لَكُمْ يَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ مَا
 أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ لِحَظَاتٍ مُبَارَكَاتٍ، حَيْثُ تُسْكَبُ الْعِبْرَاتُ، وَتُنَزَّلُ

(١) يَشْحَدُ: يَقْوِي. انظر: «اللسان» (شحد).

(٢) برقم (١٧٧٣).

(٣) برقم (١٣٤٩).

(٤) أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠).

الرَّحْمَاتُ، وَيَا بُشْرَى لَكُمْ - يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ - حُصُولُ الْمَأْمُولِ بِأَدَاءِ
خَامِسِ الْأُصُولِ !!

يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِنَّ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ - وَهِيَ تَعِيشُ هَذَا
الْمَوْسِمَ الْعَظِيمَ - أَنْ تَسْعَى وَتَدَأَبَ بِجِدِّ وَإِخْلَاصٍ لِلخُرُوجِ مِنَ الْمِحْنِ
وَالْمَصَائِبِ الَّتِي ابْتَلَيْتَ بِهَا، فَطَالَمَا بَكَى الْبَاكُونَ، وَتَحَدَّثَ الْغَيُورُونَ عَنِ
الْأَحْوَالِ الْمُرِيَّةِ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا أُمَّتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ، أَمَا أَنْ لَنَا مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ
أَنْ نَأْخُذَ مِنْ هَذَا التَّجْمَعِ الْإِسْلَامِيِّ الْعَظِيمِ، الدُّرُوسَ وَالْعِبَرَ فِي
الْوَحْدَةِ وَالتَّضَامِنِ، وَالبُعْدِ عَنِ الْفُرْقَةِ وَالتَّشَاحُنِ؟ وَهُوَ يَجْمَعُ الْمُسْلِمِينَ
وَإِنْ بَعُدَتْ دِيَارُهُمْ، وَنَأَتْ أَفْطَارُهُمْ، وَتَبَايَنْتْ أَلْسِنَتُهُمْ وَلُغَاتُهُمْ،
وَاخْتَلَفَتْ أَلْوَانُهُمْ وَجِهَاتُهُمْ، يَجْمَعُهُمْ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ، وَمَنْهَجٍ وَاحِدٍ، فِي
مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَزَمَانٍ وَاحِدٍ، وَهَدَفٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّهُمْ لِيُمَثِّلُونَ أَصْدَقَ
وَأَنْبَلِ صُورَةٍ لِإِذَابَةِ الْفَوَارِقِ، فِي دُعَائِهِمْ وَتَضَرُّعِهِمْ، وَخُشُوعِهِمْ،
وَدُمُوعِهِمْ.

وَلِيَكُنْ فِي هَذَا الْجَمْعِ الْحَاشِدِ الْمَهِيْبِ، الْإِنْطِلَاقُ الْكُبْرَى لِحَلِّ
مُشْكِلاتِ الْأُمَّةِ الْمُتَارِئَةِ ضَعْفًا وَمَهَانَةً، وَاخْتِلَافًا وَفُرْقَةً، مِنْ هَذَا الْمَكَانِ
الْمُبَارَكِ: مَهَبِطِ الْوَحْيِ، وَمَنْبَعِ الرِّسَالَةِ، الَّذِي انْطَلَقَتْ مِنْهُ عَقِيدَةُ
التَّوْحِيدِ، وَدَعْوَةُ الْإِسْلَامِ، وَرِسَالَةُ الْخَيْرِ وَالسَّلَامِ؛ لِتَعْمَ جَمِيعِ الْأَصْقَاعِ

وَالْأَنَامَ، وَبِذَلِكَ تَتَحَقَّقُ أَكْبَرُ مَنَافِعِ الْحَجِّ - بِإِذْنِ اللَّهِ - لِمَا تُوَكِّدُهُ هَذِهِ
 الْفَرِيضَةُ مِنْ مَعَانِي الْعَالَمِيَّةِ الْحَقَّةِ، الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَبْرَزَ لِلتَّأَكِيدِ عَلَى هُوِيَّةِ
 هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَتَعْمِيقِ فَهْمِهَا بِثَوَابِتِهَا، وَالنُّهُوضِ بِدَوْرِهَا فِي عَالَمِ الْيَوْمِ
 الَّذِي يَمُوجُ فِي ظِلِّ عَوْلَمَةٍ مَفْضُوحَةٍ قَلِيلَةَ الْأَثْرِ، ضَعِيفَةَ الْفَاعِلِيَّةِ،
 بِالنَّظَرِ لِمَا تَتَمَيَّزُ بِهِ هَذِهِ الْفَرِيضَةُ مِنْ عُمُقِ الْمَقَاصِدِ، وَقُوَّةِ التَّأَثِيرِ، بِمَا
 يَنْتَلِبُ الْعَمَلَ بِجِدٍّ وَإِخْلَاصٍ؛ لِتَحْقِيقِ آمَالِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَطُمُوحَاتِهَا،
 وَالْقَضَاءِ عَلَى هُمُومِهَا وَمُشْكَلاتِهَا.

وَإِيَّاهَا - وَاللَّهِ - لِرِسَالَةِ عَظِيمَةٍ، وَأَمَانَةِ جَسِيمَةٍ فِي عُنُقِ كُلِّ
 حَاجٍّ، يُمَثِّلُ لِبَنَةِ فِي هَذَا الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ الْكَبِيرِ، فَيُنَاصِفُهُ
 آمَالَهُ وَآمَانَهُ، وَيُشَارِكُهُ أَفْرَاحَهُ وَأَتْرَاحَهُ^(١).

أَلَا مَا أَمَسَّ حَاجَةَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْيَوْمَ، وَهِيَ تَوَاجُهُ أَعْتَى
 التَّحَدِّيَاتِ، وَأَبْشَعَ الْمُوَازِمَاتِ، مَا أَحْوَجَهَا، وَهِيَ تَجْتَمِعُ هَذِهِ الْأَيَّامَ فِي
 رِحَابِ الْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَتَلْتَفُ حَوْلَ رَايَةِ وَاحِدَةٍ، وَقِبْلَةِ وَاحِدَةٍ، تَتَلَاشَى
 فِي ظِلِّهَا فَوَارِقُ اللُّغَةِ وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ وَالْبُلْدَانِ، فِي وَحْدَةٍ مُتَكَامِلَةٍ
 تَجْمَعُ الشَّعَائِرَ وَالْمَشَاعِرَ، وَمَنْظُومَةَ مُتَأَلِّقَةٍ تُرَبِّي الْقُلُوبَ وَالْقَوَالِبَ، مَا

(١) أَتْرَاحَةٌ: أَحْزَانُهُ، التَّرْحُ: ضِدُّ الْفَرْحِ، وَهُوَ الْحَزْنُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (ترج).

أَحْوَجَهَا أَنْ تَسْتَلْهُمَ الدَّرُوسَ وَالْعِبَرَ، وَتَسْتَحْلِيَ الْحِكْمَ وَالْآثَارَ مِنْ هَذِهِ
الْفَرِيضَةِ الْعَظِيمَةِ، وَتَسْتَيْقِنَ يَقِينًا لَا يَغْتَرِيهِ شَكٌّ، بِأَنَّهُ لَا يُلْمُ وَيَجْمَعُ
شَتَاتِنَا، وَيُوَحِّدُ صُفُوفَنَا إِلَّا الْاجْتِمَاعُ عَلَى رَايَةٍ وَاحِدَةٍ لَا ثَانِي لَهَا، هِيَ:
رَايَةُ الْإِسْلَامِ عَلَى ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بِفَهْمِ سَلَفِ الْأُمَّةِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ: إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ إِعْدَادِ الْعُدَدِ، وَتَنْسِيقِ الْخُطَطِ،
وَتَوْحِيدِ الْمَنَاهِجِ، وَالْعَمَلِ لِكُلِّ مَا فِيهِ صَلَاحُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ؛
تَحْقِيقًا لِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَتَوْحِيدِ الْكَلِمَةِ عَلَيْهَا. وَإِنَّ وَاجِبَ الْقَادَةِ
- وَالْعُلَمَاءِ، وَالِدُّعَاةِ، وَالزُّعْمَاءِ، وَالْمَعْنِيِّينَ بِقَضَايَا التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ: مِنْ
حَمَلَةِ الْأَقْلَامِ، وَرِجَالِ الْإِعْلَامِ، وَالْمُهْتَمِّينَ بِالْفِكْرِ وَالرَّأْيِ وَالِإِصْلَاحِ فِي
ذَلِكَ - عَظِيمٌ، كَمَا أَنَّ وَاجِبَ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ - فِي مَجَالِ تَوْعِيَةِ
حُجَّاجِهَا، وَاضْطِلَاعِهَا بِتَوْجِيهِهِمْ شَرْعِيًّا وَسُلُوكِيًّا وَأُمْنِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا،
وَتَحْذِيرِهِمْ مِنْ كُلِّ مَا يَعْكُرُ صَفْوَةَ الْحَجِّ وَأَمْنِ الْحَجِيجِ - كَبِيرٌ وَكَبِيرٌ.

فِيَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، يَا مَنْ مَجَّسَّمْتُمْ الصَّعَابَ، وَرَكِبْتُمْ
الْمَشَاقَّ، تُرِيدُونَ مَا عِنْدَ اللَّهِ: اعْقِدُوا الْعِزْمَ عَلَى الْأَخْذِ بِمَنَافِعِ هَذِهِ
الْفَرِيضَةِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي تَعْجُزُ مُؤْتَمَّرَاتُ الدُّنْيَا وَاجْتِمَاعَاتُهَا وَلِقَاءُ أَهْلِهَا أَنْ
تُحَقَّقَ، وَلَوْ شَيْئًا يَسِيرًا مِنْ مَنَافِعِهَا، أَوْ تُقَارِبُهَا فِي أَهْمِيَّتِهَا وَمَكَانَتِهَا زَمَانًا
وَمَكَانًا، فَوَائِدَ وَأَثَارًا، فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنْ اسْتِغْلَالِهَا لِتَرْوِيجِ شِعَارَاتِ، أَوْ

تَوْزِيعِ مَنْشُورَاتٍ مُخَالَفِ شَرْعِ اللَّهِ، أَوْ إِفْحَامِهَا فِي مُهَاتَرَاتٍ سِيَاسِيَّةٍ،
أَوْ شِعَارَاتٍ جَاهِلِيَّةٍ.

حَقِّقُوا الْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ - يَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ - وَأَخْلِصُوا

التَّوْحِيدَ لِلَّهِ، فَهُوَ الْقَائِلُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ

الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا﴾ [الحج: ٢٦]، وَيَقُولُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه

فِي سِيَاقِ حَجَّةِ الْمُصْطَفَى صلى الله عليه وسلم: «أَهْلَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالتَّوْحِيدِ»^(١). وَهِيَ

هِيَ التَّلْبِيَةُ الْمُجَلِّجَةُ تَنْطَلِقُ عَبْرَ حَنَاجِرِكُمْ النَّدِيَّةِ، لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ..

تُدْوِي بِهَا جِبَالُ مَكَّةَ وَشِعَابُهَا، وَتُجَلِّجُ بِهَا بِطَاحُهَا وَفِجَاجُهَا.

فَاخْذِرْ - أَخِي الْحَاجَّ الْكَرِيمَ - مِنَ الشُّرُكِيَّاتِ وَالْبِدَعِ وَالْخُرَافَاتِ،

وَالشُّعَارَاتِ الْمُخَالَفَةِ لِلْإِسْلَامِ، فَمَاذَا يُغْنِي التَّمَسُّحُ بِالْأَمَاكِنِ جُدْرَانًا

وَسُتُورًا؟ وَمَاذَا يُجِدِّي التَّعَلُّقُ بِالْمَوَاضِعِ تُرَابًا وَصُخُورًا؟ جَدِّدُوا التَّوْبَةَ

إِلَى اللَّهِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، تَذَكَّرُوا - عِبَادَ اللَّهِ - وَأَنْتُمْ تَعِيشُونَ فِي طُمَأْنِينَةٍ

الْحَرَمِينَ الشَّرِيفَيْنِ - حَرَسَهُمَا اللَّهُ - أَنْ هُمَا أَخَاثِلًا يُسْتَصْرَحُكُمْ بَعْدَ مَا

طَالَ أَسْرُهُ فِي أَيْدِي شَرِذِمَةٍ صُهْيُونِيَّةٍ، وَحَفْنَةٍ يَهُودِيَّةٍ، مِنْ شُدَّادِ الْآفَاقِ

وَحُثَالَةِ الْعَالَمِ، ذَلِكَمُ هُوَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى الْمُبَارَكُ: أَوْلَى الْقِبْلَتَيْنِ،

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

وَمَسْرَى سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ - أَقْرَ اللَّهُ الْأَعْيُنَ بِفِكَ أَسْرِهِ، وَأَثْلَجَ الصُّدُورَ
بِقُرْبِ تَحْرِيرِهِ - وَإِنَّا - بِاسْمِ جُمُوعِ حُجَّاجِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ - نُنَاشِدُ صُنَّاعَ
الْقَرَارِ، وَقَادَةَ الْعَالَمِ، بِوَقْفِ نَزِيفِ الدَّمِ الْمُسْلِمِ الْمُهْرَاقِ عَلَى ثَرَى
فِلِسْطِينَ.

تَذَكَّرُوا - يَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ - وَأَنْتُمْ تَنْعَمُونَ بِالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ
وَالرَّاحَةِ وَالْإِطْمِئْنَانِ - مَا سَيَّ إِخْوَانِكُمُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَقِيدَةِ فِي بَقَاعِ شَتَّى
مِنَ الْعَالَمِ، حَيْثُ يَعِيشُونَ حَيَاةَ الْقَتْلِ وَالتَّشْرِيدِ، وَالْخَوْفِ وَالتَّنْكِيدِ. مَا
هِيَ أَحْوَالُ إِخْوَانِكُمْ فِي الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ فِلِسْطِينَ؟ مَا هِيَ أَخْبَارُهُمْ فِي
كَشْمِيرَ وَالشِّيشَانَ؟ فَلَا تَنْسُوهُمْ مِنْ دَعَوَاتِكُمْ وَمَا تَجُودُ بِهِ أَنْفُسُكُمْ.

أَيَّتْهَا الضُّيُوفُ الْمَجِيدَةُ، وَالْوُفُودُ الْعَتِيدَةُ: أَخْلِصُوا أَعْمَالَكُمْ
لِلَّهِ وَحْدَهُ، حَقِّقُوا الْمَتَابَعَةَ لِرَسُولِكُمْ ﷺ الْقَائِلِ: «خُذُوا عَنِّي
مَنَاسِكُكُمْ»^(١)، وَالْقَائِلِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ
عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، خَرَجَهُ مُسْلِمٌ^(٢) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا - تَأَدَّبُوا بِآدَابِ الْإِسْلَامِ أَثْنَاءَ قِيَامِكُمْ بِالْمَنَاسِكِ، تَخَلَّقُوا مَعَ

(١) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر رضي الله عنه، وفيه: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكُكُمْ».

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٥٠).

إِخْوَانِكُمْ الْحُجَّاجِ بِالْأَخْلَاقِ الْعَالِيَةِ، وَالْآدَابِ السَّامِيَةِ، بِالْكَلِمَاتِ
الطَّيِّبَةِ النَّدِيَّةِ، وَالْأَفْعَالِ الْحَمِيدَةِ الزَّكِيَّةِ، احذَرُوا إِذْءَاءَ إِخْوَانِكُمْ
بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَمُزَاحَمَتِهِمْ فِي الْحَرَمِ، وَفِي الْمَطَافِ، وَعِنْدَ الْأَبْوَابِ،
وَفِي الْمَشَاعِرِ وَالطَّرُقَاتِ.

تَذَكَّرُوا بِاجْتِمَاعِكُمْ هَذَا، يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ،
وَتَفَقَّهُوا فِي أَحْكَامِ الْمَنَاسِكِ، وَاسْأَلُوا أَهْلَ الْعِلْمِ عَمَّا يُشْكَلُ عَلَيْكُمْ،
وَصُوبُوا حَجَّكُمْ عَنِ النَّوَاقِصِ وَالنَّوَاقِصِ، وَإِيَّاكُمْ وَالرَّفْثَ وَالنَّفْسُوقَ
وَالْمَعَاصِيَ وَالْجِدَالَ بِالْبَاطِلِ، وَاعْمَلُوا جُهْدَكُمْ عَلَى بَرِّ حَجَّكُمْ: بِبَدْلِ
السَّلَامِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَكَثْرَةِ الطَّاعَاتِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ.
التَّرْمُوا الْهُدُوءَ وَالنِّظَامَ، تَفَرَّغُوا لِأَدَاءِ مَنَاسِكِكُمْ فَلَقَدْ وُفِّرَتْ
لَكُمْ - بِحَمْدِ اللَّهِ - أَفْضَلُ الْإِمْكَانَاتِ، وَهَيَّتْ لَكُمْ سَائِرَ الْخِدْمَاتِ -
وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ - كُلُّ ذَلِكَ بِفَضْلِ اللَّهِ، ثُمَّ مَا يَبْدُلُهُ وُلاةُ الْأَمْرِ فِي بِلَادِ
الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ مِمَّنْ هُمْ - بِحَمْدِ اللَّهِ - قَدِمَ صِدْقٍ فِي رِعَايَتِهِمَا، عِنَايَةً
وَتَطْهِيرًا، وَاهْتِمَامًا وَتَطْوِيرًا - وَفَقَّهَهُمُ اللَّهُ وَأَخْلَصَ أَعْمَالَهُمْ لِرُؤُوفِهِ
الْكَرِيمِ، وَجَعَلَ مَا يَقْدُمُونَهُ لِلْحُجَّاجِ فِي مَوَازِينِ أَعْمَالِهِمْ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ -
فَمَا عَلَيْكُمْ إِلَّا الْإِنْقِطَاعُ التَّامُّ لِحَجَّكُمْ، وَالْعَمَلُ عَلَى إِكْمَالِ مَنَاسِكِكُمْ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ

فَرَضَ فِيهِتِ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا
مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ ﴿١١٧﴾ [البقرة].

تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ، وَجَعَلَ حَجَّكُمْ مَبْرُورًا، وَسَعَيْكُمْ مَشْكُورًا،
وَذَنْبَكُمْ مَغْفُورًا، وَيَسَّرَ لَكُمْ أُمُورَكُمْ، وَأَعَانَكُمْ عَلَىٰ إِمْتَامِ مَنَاسِكِكُمْ
وَأَعَادَكُمْ إِلَىٰ بِلَادِكُمْ سَالِمِينَ غَانِمِينَ، مَا جُورِينَ غَيْرَ مَا زُورِينَ، إِنَّهُ وَلِيٌّ
ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ
ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِكُلِّ أُمَّةٍ مُنْسَكًا، وَجَعَلَ لَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ طَرِيقًا
وَمَسْلَكًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ،
وَمَنْ سَارَ عَلَى تَهْجِهِ وَاقْتَفَى.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - اتَّقُوا اللَّهَ - يَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ -
وَاجْتَهِدُوا فِي الطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ، فَأَنْتُمْ فِي أَفْضَلِ مَكَانٍ تَضَاعَفُ فِيهِ
الْحَسَنَاتُ، فَاعْرِفُوا هَذَا الْمَكَانَ حُرْمَتَهُ، وَهَذَا الْحَرَمَ قَدَاسَتَهُ، لَا تُدْنِسُوهُ
بِالْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ، وَعَظَّمُوا شَعَائِرَ رَبِّكُمْ وَحُرْمَاتِهِ ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ
يُعْظِمَ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ [الحج: ٣٠]. ﴿ ذَلِكَ
وَمَنْ يُعْظِمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ: يُتَوَجَّحُ شَرَفَ الْمُنَاسَبَةِ وَالْمَكَانِ، شَرَفُ
الزَّمَانِ، فَأَنْتُمْ تَعِيشُونَ أَشْرَفَ الْأَزْمِنَةِ: الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ، وَأَشْهُرَ الْحَجِّ إِلَى
بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، فَإِيَّاكُمْ وَظَلَمَ النَّفْسِ فِيهَا بِالْمَعَاصِي وَالْمَحْرَمَاتِ. كَمَا
تَنْعَمُونَ بِأَيَّامِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، الَّتِي يَكُونُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبَّ إِلَى

اللَّهُ مِنَ الْعَمَلِ فِي غَيْرِهَا، بَلْ وَلَا يَعْدِلُهُ عَمَلٌ فِي سِوَاهَا إِلَّا مَنْ خَرَجَ
 لِلْجِهَادِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ، كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ الْخَبْرُ
 عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - . خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ^(١) مِنْ حَدِيثِ
 ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - . اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ!! فَانْتَهَرُوا - رَحِمَكُمُ
 اللَّهُ - . هَذِهِ الْأَيَّامُ الْمُبَارَكَةُ فِي الْقُرْبَاتِ وَالطَّاعَاتِ: مِنَ الذِّكْرِ وَالتَّكْبِيرِ
 وَالدُّعَاءِ وَنَحْوِهِ، يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الْحُجَّاجُ وَالْمُقِيمُونَ.

فَإِذَا جَاءَ يَوْمُ الثَّامِنِ اسْتَحَبَّ لِلْحُجَّاجِ أَنْ يَتَوَجَّهُوا إِلَى مَنَى،
 وَيَبِيتُوا بِهَا لَيْلَةَ عَرَفَةَ، كَمَا يُسْتَحَبُّ صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ لِغَيْرِ الْحُجَّاجِ، وَقَدْ
 وَرَدَ فِيهِ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ، حَيْثُ وَرَدَ أَنَّهُ يُكْفَرُ ذُنُوبَ سَنَتَيْنِ - سَنَةِ مَاضِيَةٍ
 وَسَنَةِ بَاقِيَةٍ - . كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «صِيَامُ
 يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي
 بَعْدَهُ»^(٢)، كَمَا يُسْتَحَبُّ التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِذَبْحِ الْأَضَاحِيِّ اتِّبَاعًا لِسُنَّةِ
 الْمُصْطَفَى صلى الله عليه وسلم^(٣).

(١) برقم (٩٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٢).

(٣) كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا ضَحَّى
 اشْتَرَى كَبْشَيْنِ سَمِينَيْنِ أَفْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ، فَإِذَا صَلَّى وَخَطَبَ أَتَى بِأَحَدِهِمَا وَهُوَ =

اللَّهُ أَكْبَرُ! يَا لَهُ مِنْ فَضْلِ عَظِيمٍ، مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ، وَمَوْلَى كَرِيمٍ،
 فَحَذَارٍ مِنَ التَّفْرِيطِ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - فِي هَذِهِ الْفُرْصِ الْعَظِيمَةِ مَكَانًا
 وَرَمَانًا وَمُنَاسَبَةً، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمَارَةٌ الْحِرْمَانِ. وَمَعَ مَا تُمَثِّلُهُ هَذِهِ الْمَحَاوِرُ مِنْ
 تَشْرِيفٍ، فَإِنَّهَا تَحْمِلُ فِي طَيَّابَتِهَا مَعَانِي الْمَسْئُورِيَّةِ وَالتَّكْلِيفِ، نَسَأَلُ اللَّهَ
 أَلَّا يَجْرِمَنَا وَإِيَّاكُمْ فَضْلَهُ وَثَوَابَهُ، وَأَنْ يُجِنِّبَنَا وَإِيَّاكُمْ سَخَطَهُ وَعِقَابَهُ، إِنَّهُ
 جَوَادٌ كَرِيمٌ.

أَلَّا وَعَلِمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنْ مِنْ خَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ
 مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ: كَثْرَةَ صَلَاتِكُمْ وَسَلَامِكُمْ عَلَى الرَّحْمَةِ
 الْمُهْدَاةِ، وَالنُّعْمَةِ الْمُسْدَاةِ، خَيْرٍ مِنْ حَجٍّ وَاعْتَمَرٍ، كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ
 رَبُّكُمْ - جَلَّ وَعَلَا - فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْأَعْرَ، فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ
 اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
 تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥١﴾ [الأحزاب].

= قَائِمٌ فِي مُصَلَّاهُ، فَدَبَّحَهُ بِنَفْسِهِ بِالْمُدِّيَّةِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا عَنْ أُمَّتِي جَمِيعًا
 مِمَّنْ شَهِدَ لَكَ بِالتَّوْحِيدِ، وَشَهِدَ لِي بِالْبَلَاغِ»، ثُمَّ يُؤْتِي بِالْآخِرِ فَيَدْبَحُهُ بِنَفْسِهِ،
 فيقول: «هذا عن مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»، فَيُطْعِمُهَا جَمِيعًا الْمَسَاكِينَ، وَيَأْكُلُ هُوَ وَأَهْلُهُ
 مِنْهَا. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٦/٣٩١)، وَالبَزَارُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٩/٣١٨)،
 وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الكَبِيرِ» (٩٢٠)، وَالبِيهَقِيُّ فِي «الكَبْرَى» (٩/٢٥٩).

الحج والعمرة: منهما حج وبهما حج

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنُتُوبُ إِلَيْهِ، وَنُشْنِي عَلَيْهِ الْخَيْرَ كُلَّهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَرَعَ الْمَنَاسِكَ لِعِبَادِهِ رَحْمَةً بِهِمْ وَإِسْعَادًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ، وَلَا ذَبِمَوْلَاهِ خُضُوعًا لَهُ وَانْقِيَادًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَطْهَرَ الْوَرَى سِيرًا، وَأَزْكَاهُمْ مَحْتَدًا، وَأَثْبَتَهُمْ فُؤَادًا، وَصَحْبِهِ الْخَيْرَةَ: أَشَدَّ الْأُمَّةِ تَأَلَّفًا وَوِدَادًا، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ يَرْجُو فَلَاحًا وَرَشَادًا، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا يَزِدَادُ أَرْذِيَادًا.

أما بعد:

فَأَوْصِيكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - وَأَوْصِيكُمْ - حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ - بِتَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَإِنَّ التَّقْوَى خَيْرُ الزَّادِ، وَبِهَا صَلَاحُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَهِيَ الطَّرِيقُ الْمُبْلَغُ لِرِضَى رَبِّ الْعِبَادِ. أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: هَا قَدْ دَارَ فَلَكَ الزَّمَانِ دَوْرَتُهُ، وَحَلَّتْ بِالْأُمَّةِ

الإِسْلَامِيَّةُ مُنَاسِبَةٌ عَظِيمَةٌ، وَأَظْلَمَتْهَا مَوَاسِمُ بِالْخَيْرَاتِ عَمِيمَةٌ. تَبَدَّى لَنَا هَلَالُ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ الْحَرَامِ، لَيْسَكُبَ فِي قُلُوبِنَا نُورًا مِنْ أَنْوَارِهِ، وَلِيُتْرَعُ^(١) أَرْوَاحَنَا بِفَيْضٍ مِنْ حِكْمِهِ وَأَسْرَارِهِ، أَيَّامٌ قَلَائِلُ، وَأُمَّتَنَا الإِسْلَامِيَّةُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، مِنْ أَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، الرُّكْنِ الْحَامِسِ مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ، فَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُسِّرَ حُجَّاجَ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، وَيُعِينَهُمْ عَلَى أَدَاءِ مَنَاسِكِهِمْ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

أَيُّهَا الْحُجَّاجُ الْمَيَامِينُ: قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، طَبْتُمْ وَطَابَ مُمْشَاكُمْ، وَحَقَّقَ الْبَارِي سُؤْلَكُمْ وَمَنَّاكُمْ، تَشْرَفُ بِكُمْ بِبِلَادِ الْحَرَمَيْنِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - فَخِدْمَتُكُمْ تَأْجُ فَخَارٍ يَتَلَأَلُ عَلَى صُدُورِ أَهْلِهَا، وَوِسَامُ شَرَفٍ يَتَأَلَّقُ فِي عِقْدٍ جِيدٍ أَبْنَائِهَا، وَإِنَّ الشَّوْقَ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، وَالْإِنْعِطَافَ إِلَى هَذِهِ الْعَرَصَاتِ الْمُقَدَّسَةِ، وَالنُّزُوعَ^(٢) إِلَى هَذِهِ الْمَشَاهِدِ الْمَنِيْفَةِ^(٣)، وَالْبِقَاعِ الشَّرِيفَةِ، إِذَا عَايَنَهَا الْمُحِبُّ الْمُعْنَى تَبَدَّدَتْ لَدَيْهِ كُلُّ

(١) يُتْرَعُ: يَمْلَأُ، يُقَالُ: حَوْضٌ تَرَعٌ وَمُتْرَعٌ، أَي: مَمْلُوءٌ. يُنْظَرُ: «اللسان» (ترع).

(٢) النُّزُوعُ: الْحَنِينُ وَالْإِشْتِيَاقُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (نزع).

(٣) مَنِيْفٌ: عَالٍ مُشْرِفٌ، نَافِ الشَّيْءِ نَوْفًا: ارْتَفَعَ وَأَشْرَفَ. يُنْظَرُ: «اللسان» (نوف).

المشاقِّ وَاللَّأْوَاءِ^(١):

فَحَيَّهَلَّا إِنْ كُنْتَ ذَاهِمَةً

حَدَا بِكَ حَادِي الشُّوقِ فَاطُوِ الْمَرَا حِلَا

وَقُلْ لِمُنَادِي حُبِّهِمْ وَرِضَاهُمْ

إِذَا مَا دَعَا: لَيْتَكَ أَلْفَا كَوَامِلًا^(٢)

وَلَقَدْ خَالَطَكُمْ ذَلِكَ النَّفْحُ الإِيمَانِيُّ وَزَايَلْتُمُوهُ، كَيْفَ لَا؟ وَالْمَسْجِدُ
الْحَرَامُ نُصِبَ الْأَعْيُنِ قُرَّةً، وَمِلءَ الْقُلُوبِ إِجْلَالًا وَمَسْرَّةً، فَحَقَّ عَلَى كُلِّ
قَاصِدٍ لَهُ، شُكْرُ الْبَارِي عَلَى مَا أَسَدَاهُ، وَحَمْدُهُ عَلَى مَا خَصَّهُ بِهِ وَأَوْلَاهُ،
وَمِنْ شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ، أَدَاءُ هَذِهِ الْفَرِيضَةِ، وَإِتْمَامُهَا كَمَا شَرَعَ اللَّهُ:

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ: هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءِ - بِحَمْدِ اللَّهِ - فِي رِحَابِ
الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، تَعِيشُونَ أَجْوَاءَ مُفْعَمَةٍ^(٣) بِالرُّوحَانِيَّةِ فِي أَجَلٍ
مُنَاسِبَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ عَالِمِيَّةٍ، فَلِلَّهِ دَرُكُكُمْ! مِنْ إِخْوَةِ مُتَوَادِّينَ مُتَرَاحِمِينَ، وَأَحِبَّةِ

(١) اللَّأْوَاءُ: الشَّدَّةُ وَضَيْقُ الْمَعِيشَةِ. يُنْظَرُ: «تاج العروس» (لأبي).

(٢) يُنْظَرُ: «زاد المعاد» (٣/ ٧٥)، و«مدارج السالكين» (٣/ ٧).

(٣) مُفْعَمَةٌ: مَمْلُوءَةٌ. يُنْظَرُ: «اللسان» (فعم).

عَلَى رِضْوَانِ اللَّهِ مُتَالِفِينَ مُتَعَاوِنِينَ، وَصَفْوَةَ لِنَسَائِمِ الْإِيمَانِ مُتَعَرِّضِينَ،
 ذَوْتُ (١) فِي جَلِيلٍ مَقْصِدِكُمْ زِينَةُ الْأَثْوَابِ، وَعِزَّةُ الْأَنْسَابِ، وَرَخَارِفُ
 الْأَلْقَابِ وَالْأَحْسَابِ، قَالَ - تَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهُ وَعَمَّتْ نِعْمَاؤُهُ :- ﴿ وَأَذِنَ
 فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ
 فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿١٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج].

وَتَأَمَّلُوا - يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ - الْأَسْلُوبَ التَّنْكِيرِي فِي سِيَاقِ الْإِمْتِنَانِ،
 وَهِيَ صِيغَةٌ مِنْ صِيغِ الْعُمُومِ؛ لِتَعَمَّ مَنَافِعَ الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَالْآخِرَةَ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: وَفِي هَذِهِ الْمَوَاقِبِ الْحَبِيبَةِ، وَالْحُسُودِ الْمُبَارَكَةِ
 الْمُنِيَّةِ، الَّتِي اتَّحَدَتْ زَمَانًا وَمَكَانًا، شَعَائِرَ وَمَشَاعِرَ، يَعْقِدُ الْإِسْلَامُ - وَفِي
 أَحْكَمِ مَا يَكُونُ الْعَقْدُ - بِإِحْدَى مَنَافِعِ الْحَجِّ الْجَلِيلِ، مَنَاطَ الْوَحْدَةِ
 الْجَمَاعِيَّةِ، وَالرُّوحِيَّةِ الصَّلْبَةِ، الَّتِي تَنْحَسِرُ دُونَهَا كُلِّ الْمَحَنِ وَالْمَآسِي الَّتِي
 ارْتَكَسَتْ فِيهَا أُمَّتُنَا، قَالَ - سُبْحَانَهُ :- ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً

وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ ﴿١٢﴾ [الأنبياء]، وَلَئِنْ تَبَصَّرَ الْمُسْلِمُونَ
 أَحْوَاهُمْ فِي هَذَا الْمُنْعَطَفِ الْخَطِرِ مِنْ تَارِيخِ أُمَّتِهِمْ، لَا يَقْنُوا بِأَنَّ مَا لِحَقَّهُمْ

(١) ذَوْتُ: ذَبَلْتُ وَيَسْتُ. يُنْظَرُ: «تاج العروس» (ذوى).

مِنْ ذُلِّ وَهَوَانٍ، وَمَا لَقَّهْمُ مِنْ لُغُوبٍ وَضَنْى، فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ،
إِنَّمَا يَعُودُ إِلَى تَمَرِّقِ رَوَابِطِهِمْ، وَتَقَوُّضِ قَوَاعِدِهِمْ وَضَوَابِطِهِمْ.

وَمَا شَعِيرَةُ الْحَجِّ - أَيُّهَا الْحَجَّاجُ الْأَمَّاجِدُ - فِي جَمْعِهَا الْعَيْدِ،
وَجَوْهَرِهَا وَمَظْهَرِهَا الْفَرِيدِ، إِلَّا دَعْوَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ إِلَى وُجُوبِ الْوَحْدَةِ
وَالِاتِّحَادِ، وَثَنِي هُمْ عَمَّا مُنُوا بِهِ فِي هَذِهِ الْحِقْبَةِ الْمُعَاصِرَةِ مِنْ تَنَافُرٍ وَتَنَاقُرٍ.
لَقَدْ آنَ الْأَوَانُ أَنْ تَجْعَلَ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ مِنْ هَذَا الْمَوْسِمِ الْإِسْلَامِيِّ فُرْصَةً
لِاجْتِمَاعِهَا، وَمُنَاسِبَةً لِاتِّحَادِهَا، بَعْدَمَا فَرَّقَتْهَا الْفِتْنُ وَالْأَهْوَاءُ، وَشَتَّتْهَا
الْمِحْنُ وَالْأَدْوَاءُ، وَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾
[الحجرات: ١٠]، وَيَقُولُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ - ضِيُوفَ الرَّحْمَنِ -: وَكُبْرَى الْقَضَايَا الَّتِي ازْتَكَزَ
عَلَيْهَا رُكْنُ الْحَجِّ الرُّكَيْنِ، وَقَامَتْ عَلَيْهَا جَمِيعُ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ، هِيَ
تَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ، الَّذِي هُوَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعَيْدِ، وَإِفْرَادُهُ - سُبْحَانَهُ -
بِالْعِبَادَةِ دُونَ سِوَاهُ، وَنَبْذُ الشُّرْكِ وَمَا ضَاهَاهُ.

فَلِوَاحِدٍ كُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ أَغْنِي طَرِيقَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانَ^(١)
فَصَلَاحُ الْعَقِيدَةِ سَبَبٌ لِكُلِّ صِلَاحٍ، يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ
- رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَمَنْ تَدَبَّرَ أَحْوَالَ الْعَالَمِ وَجَدَ كُلَّ صِلَاحٍ فِي الْأَرْضِ
سَبَبُهُ تَوْحِيدُ اللَّهِ وَعِبَادَتُهُ، وَطَاعَةُ رَسُولِهِ ﷺ، وَكُلُّ شَرٍّ فِي الْعَالَمِ وَفِتْنَةٍ
وَبَلَاءٍ وَتَسْلِيْطِ عَدُوٍّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَسَبَبُهُ مُخَالَفَةُ الرَّسُولِ ﷺ، وَالِدَعْوَةُ
إِلَى غَيْرِ اللَّهِ»^(٢)، وَأَعْظَمُ مَقَاصِدِ الْحَجِّ تَوْحِيدُ اللَّهِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ،
وَالِإِدْعَاؤُ لَهُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ، وَالتَّقَرُّبُ لَهُ بِالْعَجِّ وَالتَّحُّجِّ^(٣).
وَمَا كَلِمَاتُ التَّلْيِيَةِ الْمُشْرِقَةُ الْعِدَابُ، الَّتِي تَصْطَفِقُ^(٤) هَا أَصْدَاءَ
الرَّحَابِ الطَّاهِرَةِ، إِلَّا رَمَزَ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانَ، وَعُنْوَانَ الْخُصُوعِ

(١) يُنْظَرُ: «النونية» بشرح ابن عيسى (٢٥٨/٢).

(٢) يُنْظَرُ: «مجموع الفتاوى» (٢٥/١٥).

(٣) كما في حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ؟ قَالَ:
«الْعَجُّ وَالتَّحُّجُّ». أخرج الترمذي (٨٢٧)، وابن ماجه (٢٩٢٤)، والدارمي في
«سننه» (٤٩/٢). والعجُّ: رَفْعُ الصَّوْتِ بِالتَّلْيِيَةِ، وَالتَّحُّجُّ: سَيْلَانُ دَمِ الْهَدْيِ
وَالْأَضَاحِيِّ. يُنْظَرُ: «غريب الحديث» لابن سلام (٢٧٩/١).

(٤) تَصْطَفِقُ: تَضَطَّرِبُ، يُقَالُ: اضْطَفَّقَ الْمَجْلِسَ بِالْقَوْمِ: إِذَا ضَاقَ بِهِمْ وَاضْطَرَبَ.

يُنْظَرُ: «تاج العروس» (صفق).

وَالْإِذْعَانَ، وَقَدْ وَصَفَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - إِهْلَالَ
النَّبِيِّ ﷺ قَائِلًا: «فَأَهْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالتَّوْحِيدِ: لَيْتَكَ اللَّهُمَّ لَيْتَكَ،
لَيْتَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَيْتَكَ»^(١). وَلَا جِلَّ التَّوْحِيدِ رُفِعَتْ قَوَاعِدُ هَذَا الْبَيْتِ
المُعْظَمِ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا
تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ [الحج: ٢٦]، وَمَعَ تَقَرُّرِ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَكَوْنِ الْحُجِّ
يَنْهَى عَنِ الشَّرِكِيَّاتِ وَلَوْثَاتِهَا، وَوُضُوحِهِ وَوُضُوحِ الشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ
النَّهَارِ، إِلَّا أَنَّ الْبَعْضَ لَا يَفْتَأُ يَشُوبُ هَذَا التَّوْحِيدَ بِمَا يُكَدِّرُ صَفَاءَهُ،
وَيُجَدِّشُ بَهَاءَهُ، فَهَلْ تُجَدِّي شَيْئًا الْإِسْتِغَاثَةَ بِالْمُبُورِ، وَسُؤَالَهُ قَضَاءَ
الْحَاجَاتِ وَدَفْعَ الشُّرُورِ؟ لَعَمْرُ اللَّهِ! إِنَّ ذَلِكَ لِمَنْ أَبْطَلَ الْبَوَاطِلَ، قَالَ
- سُبْحَانَهُ - تَبَكُّيتًا لَهُوَلَاءَ: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا

يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء].

وَإِنَّ الْوَاجِبَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ عُمُومًا، وَقَاصِدِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
خُصُوصًا، أَنْ يَكُونُوا مِثْلًا عَالِيًا فِي إِسْلَامِ الْوَجْهِ لِلَّهِ، وَإِفْرَادِهِ بِخَالِصِ
التَّوْحِيدِ، وَصِدْقِ الْعُبُودِيَّةِ، مَعَ التَّمَسُّكِ الْوَثِيقِ بِالسَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالتَّزَامِ

(١) تقدم تحريجه (ص ٢٥٣).

مَنْهَجِ الْإِسْلَامِ الْحَقِّ فِي الْإِعْتِدَالِ وَالْوَسْطِيَّةِ، كَمَا قَالَ - سُبْحَانَهُ -:
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وَالتَّحَلِّيَ بِجَمِيلِ
الْأَخْلَاقِ وَالْمَزَايَا، وَكَرِيمِ الشَّمَائِلِ وَالسَّجَايَا.

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ: الْحُجُّ مَشْهُدٌ جَلِيلٌ مَهِيبٌ مِنْ مَشَاهِدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ،
يَجْتَمِعُ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَإِنَّ النَّاطِرَ فِي
أَحْوَالِ الْحَجِّجِ يَقِفُ عَلَى صُورَةٍ جَلِيَّةٍ، تَحْكِي وَاقِعَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
بِحُلُوهِ وَمُرِّهِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ مِنَ الْمُنْطَلِقَاتِ الْمِهْمَةِ أَنْ تَسْتَمِرَّ الْأُمَّةُ هَذِهِ
الْمُنَاسِبَةَ الْعَظِيمَةَ لِإِصْلَاحِ وَقَعِهَا فِي جَمِيعِ جَوَانِبِهِ، فَإِنَّ الْمُسْتَقْرَى
لِأَحْوَالِهَا يَرْجِعُ بِالْأَسَى لِمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ أَوْضَاعِهَا، حَيْثُ
أَنْدَرَسَتْ جُمْلَةٌ مِنْ مَعَالِمِ الشَّرِيعَةِ حِينَئِذَا كَدَّرَتْهَا شَوَائِبُ الضَّلَالَةِ
وَالهَوَى، فَانْفَرَطَ عِقْدُ وَحْدَتِهَا، وَتَفَرَّقَتْ بِهَا السُّبُلُ وَالْأَرَاءُ، وَتَجَارَتْ بِهَا
الْمَحَنُ وَالْأَهْوَاءُ، وَذَرَّ قَرْنُ الْفِتْنَةِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مُجْتَمَعَاتِهَا، وَتَكَلَّمَتْ
الرُّوَيْبِضَةُ، وَتَنَامَى فِكْرُ الْغُلُوِّ وَالْإِزْهَابِ، وَلَمْ تَسْلَمْ الْبِلَادُ الْأَمْنَةَ مِنْ
غَوَائِلِ الْعُنْفِ وَالْإِزْعَابِ.

وَفِي مُقَابِلِ ذَلِكَ - وَمِمَّا يَزِيدُ الْفِتْنَ فِتْنًا - افْتِتَانٌ كَثِيرٌ مِنْ أَبْنَائِهَا
بِالْعَوْلَمَةِ الْمُعَاصِرَةِ، الَّتِي لَمْ تَكْتَفِ بِتَرْوِيجِ ثَقَافَاتٍ وَأَنْمَاطٍ سُلُوكِيَّةِ
مُجَرَّدَةٍ، بَلْ تَجَاوَزَتْ ذَلِكَ إِلَى اخْتِرَاقِ الْعُقُولِ وَالْأَفْكَارِ، بِالْمَبَادِي الْمَادِّيَّةِ،

الَّتِي تُعْرِضُ عَنْ هِدَايَاتِ الْوَحْيِ الرَّبَّانِيَّةِ، مِمَّا يَكْشِفُ بِجَلَاءٍ عَنْ مَدَى
التَّقْلِيدِ وَالتَّبَعِيَّةِ، الَّتِي تَنْخُرُ فِي جَسَدِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَتَحْوِطُهَا
بِالضَّعْفِ وَالْحَوْرِ وَالْإِنْهَزَامِيَّةِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْحَجَّ فُرْصَةٌ لِلتَّذْكِيرِ بِأَنَّ
مَدَارَ صَلَاحِ الْأُمَّةِ، وَسَعَادَتِهَا، وَعِزَّتِهَا، وَرِيَادَتِهَا، عَلَى قُوَّةِ تَمَسُّكِهَا
بِعَقِيدَتِهَا وَثَوَابِتِهَا.

أَلَا مَا أَرَوَعَ شَأْنَ الْحَجِّجِ حِينَمَا يُعْبَرُونَ عَنْ عِبُودِيَّتِهِمْ لِرَبِّهِمْ
بِالتَّزَامِهِمْ بِأَمْرِهِ! وَمَا أَحْسَنَ حَاهِمٌ وَهُمْ يَهْتَفُونَ بِحُبِّهِمْ لِرَسُولِهِ ﷺ
بِمُتَابَعَةِ سُنَّتِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي الْمُنَاسِكِ وَغَيْرِهَا! وَمَا أَجَلَ
تَعْبِيرَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ، بِتَكْبُدِ الْمَشَاقِّ؛ لِيُؤَدُّوا الْمُنَاسِكِ عَلَى وَجْهِهَا
الشَّرْعِيِّ! وَمَا أَجْمَلَ شِعَارَهُمْ حِينَ يُلَبُّونَ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ!

أَمَّا وَالَّذِي حَجَّ الْمُحِبُّونَ بَيْتَهُ وَلَبُّوْا لَهُ عِنْدَ الْمَهَلِّ وَأَحْرَمُوا
دَعَاهُمْ فَلَبَّوْهُ رِضًا وَحُبَّةً فَلَمَّا دَعَوْهُ كَانَ أَقْرَبَ مِنْهُمْ^(١)
وَنَحَسَبُ أَنَّ نَفُوسَ إِخْوَانِنَا الْحُجَّاجِ مُقْبِلَةً عَلَى الطَّاعَةِ، مُتَقَرَّبَةً إِلَى
اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، مُتَخَلِّيةً عَنْ كُلِّ الشُّعَارَاتِ، مُبْتَعِدَةً عَنِ الْمَزَايِدَاتِ
وَالْمَهَاتَرَاتِ، مُحَازِرَةً كُلَّ اللَّوْثَاتِ وَالْمُخَالَفَاتِ، مُلْتَزِمَةً بِكَافَّةِ التَّوْحِيهِاتِ

(١) يُنظَرُ: «القصيدة الميمية» للعلامة ابن قيم الجوزية - شرح عراقى (ص ١٥٧).

والتعلّيمات؛ لذلك كان هذا المقام من أعظم المقامات التي يتأكّد فيها
التنادي بالصّلاح والإصلاح، على منهج النّجاح والفلاح، المتمثّل في
الكتاب والسّنة، بفهم سلف الأُمَّة - رَحِمَهُمُ اللهُ.

فِي إِخْوَةِ الْإِسْلَامِ، وَيَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، يَا جُمُوعَ
الطَّائِفِينَ بِكَعْبَةِ اللَّهِ، الْقَائِمِينَ حَوْلَ بَيْتِ اللَّهِ، الرَّائِعِينَ السَّاجِدِينَ فِي
حَرَمِ اللَّهِ، يَا مَنْ أَتَيْتُمْ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، وَاجْتَمَعْتُمْ فِي أَرْجَاءِ هَذَا
الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، هَذِهِ قِبْلَتُكُمْ قَبْلَةً وَاحِدَةً، وَهَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، فَبِأَيِّ
مَسْوَغٍ شَرْعِيٍّ تَخْتَلِفُونَ؟ وَبِأَيِّ مُقْتَضَى عِلْمِيٍّ تَتَفَرَّقُونَ؟ وَبِأَيِّ مُوجِبٍ
مَنْطِقِيٍّ تَنَارَعُونَ؟ وَأَنْتُمْ أَمَامَ قِبْلَتِكُمْ تَجْتَمِعُونَ، وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ إِلَيْهَا
تَتَوَجَّهُونَ، وَشَطْرَهَا تُيَمِّمُونَ، أَمَا تَعْلَمُونَ وَتُوقِنُونَ أَنَّ فِي مُخَالَفَتِكُمْ مَا
أَمَرْتُمْ بِهِ - مِنَ الْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا - ذَهَابَ رِيحِكُمْ، وَضَيَاعَ
هَيْبَتِكُمْ، وَتَسْلِيْطَ عِدْوِكُمْ عَلَيْكُمْ!!

أَيُّهَا الْمَائِلُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، الْمُيَمِّمُونَ وَجُوهَكُمْ شَطْرَ حَرَمِ
اللَّهِ! أَلَمْ يَأْنِ الْأَوَانَ أَنْ تَتَوَحَّدُوا فَلَا تَتَنَافَرُوا؟! وَتَهْبُوا إِلَى قَضَايَاكُمْ فَلَا
تَتَخَاذَلُوا؟! وَلَيْسَ لِعَيْرِ ذَلِكَ مِنْ جَدْوَى تَسْتَقْدِكُمْ مِمَّا أَلَمَ بِكُمْ.

أَيُّهَا الْمُعْظَمُونَ لِحُرْمَاتِ اللَّهِ! أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ حُرْمَةَ هَذَا الْبَيْتِ

عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمَةً، وَأَنَّ حُرْمَةَ دَمِ الْمُسْلِمِ أَعْظَمَ حُرْمَةً مِنْهُ عِنْدَ اللَّهِ! إِنَّ
 الْمُعْظَمِينَ هَذَا الْبَيْتِ حَقًّا، هُمْ مَنْ يُعْظَمُونَ حُرْمَةَ دِمَائِ الْمُسْلِمِينَ،
 وَيَصُونُونَ حُرْمَاتِهِمْ، وَيَذُودُونَ عَنْهَا بِكُلِّ مَا يَسْتَطِيعُونَ، يَتَرَسَّوْنَ
 بِقُلُوبِهِمْ، وَيَتَحَصَّنُونَ بِأَرْوَاحِهِمْ، وَيَفْتَدُونَهُمْ بِفَلَدَاتِ أَكْبَادِهِمْ،
 أَوْ يَهْلِكُونَ دُونَ أَنْ يُخْلَصَ إِلَيْهَا بِمَكْرٍ أَوْ كَيْدٍ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مِنْهُمْ مَنْ
 يَسْتَيْحِهَا أَوْ يُعِينُ عَلَيْهَا، أَوْ يَسْكُتُ وَيَتَعَاضَى عَنْ مُرْتَكِبِيهَا! أَلَمْ يَقُلِ
 النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ،
 كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»^(١)؟ أَلَمْ يَقُلِ
 - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفْرًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ
 رِقَابَ بَعْضٍ»^(٢)؟ فَضْرَبَ بَعْضُنَا رِقَابَ بَعْضٍ، وَأَعْمَلَ فِي إِخْوَانِهِ
 خُرُوجًا وَتَكْفِيرًا، وَفِي مُجْتَمَعِهِ إِفْسَادًا وَتَفْجِيرًا، وَفِي وَطَنِهِ تَحْرِيبًا
 وَتَدْمِيرًا، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ
 الْوَكِيلُ!!!

يَا أَيُّهَا الْمُحْرِمُونَ الْمُحْرَمُونَ لِأَكْنَافِ هَذَا الْحَرَمِ الطَّاهِرِ، أَلَسْتُمْ

(١) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥) من حديث جرير رضي الله عنه.

تَسْأَلُونَ عَنْ أَكْنَافٍ ^(١) شَقِيقِهِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الْمُبَارَكِ؟ أَوْلَيْسَتْ أَكْنَفُهُ
هُنَاكَ تُسْتَبَاحُ!؟ أَوْلَيْسَ يَعِيشُ سَلِيْبًا مَهِيْضٌ ^(٢) الْجَنَاحِ؟ وَلَكِنْ مَعَ كُلِّ
ذَلِكَ فَالْتَفَاوُلُ عَظِيْمٌ بِإِنْبِلَاجٍ ^(٣) نُورِ الصَّبَاحِ! فَهَلْ مِنْ تَحْرُكٍ جَادٍّ لِإِزَالَةِ
دَنْسِ الْغَاصِيْنَ، وَرِجْسِ الْمُعْتَدِيْنَ الْمُحْتَلِّيْنَ؟ يَا أُمَّةَ الشَّهَادَةِ وَالْحَزِيْرَةِ
عَلَى الْعَالَمِيْنَ.

فَإِذَا كَانَتْ تَنْهَمِرُ مِنْكُمْ هُنَا الدُّمُوعُ بِالْبَكَاءِ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هُنَاكَ
تَنْهَمِرُ مِنْ أَجْسَادِهِمْ سَلَالَاتُ الدَّمَاءِ، وَشَتَانَ بَيْنَ دُمُوعٍ مُنْهَمِرَةٍ،
وَذَوَاتٍ فِي الدَّمَاءِ مُنْغَمِرَةٍ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ!!

فِيَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، إِنَّا نُنَاشِدُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَكُونُوا فِي
طَلِيْعَةِ الْأُمَّةِ إِلَى إِصْلَاحِ أَحْوَالِهَا، وَفِي الصَّدَارَةِ إِلَى اسْتِقَامَةِ أَوْضَاعِهَا،
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]،
وَلتَسْتَقْبِلُوا أَيَّامَكُمْ بِصَفْحَةٍ نَاصِعَةٍ، مُفْعَمَةٍ بِجَلَالِ الْأَعْمَالِ. وَاعْلَمُوا
أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ صِلَاحِ الْحَالِ، وَرَفْعِ الْبَلَاءِ، الْإِلْحَاحُ عَلَى اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ،

(١) أَكْنَفُ: جمع كَفَفٍ، وهو الجانب والظل والناحية. يُنظر: «اللسان» (كنف).

(٢) مَهِيْضٌ: مكسور. انظر: «اللسان» (هيض).

(٣) تقدم بيان معناها (ص ٨٦).

فَادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَخُصُّوا إِخْوَانَكُمْ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي
الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ فِلِسْطِينَ، وَفِي بِلَادِ الرَّافِدِينَ وَغَيْرِهَا، بِمَزِيدٍ مِنْ
الدَّعَوَاتِ الصَّالِحَاتِ، فَلَعَلَّ وَعَسَى:
عَسَى وَعَسَى مِنْ قَبْلِ وَفَتِ التَّفَرُّقِ

إِلَى كُلِّ مَا تَرْجُو مِنْ الْخَيْرِ تَرْقِي

فَيَجِبُ مَكْسُورٌ وَيُقْبَلُ تَائِبٌ

وَيُعْتَقُ خَطَاءً وَيَسْعَدُ مَنْ شَقِي^(١)

وَمَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ - فَضْلًا مِنْهُ - بِأَنْ يُعِيدَهُ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيْومَ وَلَدَتْهُ
أُمُّهُ، كَيْفَ يُسَوِّدُ صَفْحَاتِهِ فِي مُسْتَقْبَلِ أَيَّامِهِ، وَيَسْتَقْبِلُ حَيَاتِهِ بِمَسَاخِطِ
اللَّهِ، وَالْجُرْأَةِ عَلَى حُدُودِهِ؟

أَلَا فَلَنُقْلِعَ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ مُحَرَّمٍ، وَلَنَتَحَلَّ بِكُلِّ خَيْرٍ وَفَضِيلَةٍ، وَلَنُحَذَرَ
مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَرَذِيلَةٍ، فَإِنَّهُ بِمَجْمُوعِ مُحَالَفَاتِ الْأَفْرَادِ، وَبِمُجْمَلِ تَهَاوُنِ
الْمُجْتَمَعَاتِ، نَزَلَ بِالْأُمَّةِ مَا نَزَلَ، وَلَكِنْ لَا يَأْسَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ،
وَلَا قُنُوطَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَإِنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ،
وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا.

(١) يُنظَرُ: «لِطَائِفِ الْمَعَارِفِ» (ص ٣٨٨).

تلك - أيها المؤمنون - قبسات من سراج الحج الوهاج، وإضاءة للحجيج وذكرى ومنهاج. وإنه لخلق بالأمّة الإسلاميّة، وهي تعيش مرحلة من أخطر مراحلها التاريخيّة، أن تستلهم من هذه الفريضة دروس الوحدة والعزّة والإباء، ومعاني الألفة والإخاء، والمودّة والصفاء، والمحبة والنقاء، وإن شطت بهم الديار، واختلفت بينهم اللغات ونأت الأمصار؛ إذ الحج - وما اشتمل عليه من منافع وعبر، وحكم أعلى من الدرر - دواء لعلل الأمّة وأدوائها، ومقاومة لتيارات النزاعات والشقاق فيها، كما أنه خير منهل تصدُر عنه الأمّة؛ لترسيخ مقوماتها وأصول عزّتها، التي تُشرق بها شمسها من جديد.

فَاللّٰهُ اللّٰهُ حُجَّاجَ بَيْتِ اللّٰهِ! فِي تَعْظِيمِ هَذِهِ الشَّعِيرَةِ، كَمَا

شَرَعَ اللّٰهُ: ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْبَةَ اللّٰهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (٣٢) [الحج]، وَأَدَائِهَا كَمَا سَنَّ الْمُصْطَفَى رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ، الْقَائِلُ فِيمَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكُكُمْ»^(١)، وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ! مِنْ تَعْرِيفِهَا لِلنَّوَاقِصِ وَالنَّوَاقِصِ فِي أَرْكَانِهَا وَوَجِبَاتِهَا، وَأَدَائِهَا وَمُسْتَحَبَّاتِهَا، وَسَائِرِ أَحْكَامِهَا. وَاللّٰهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ وَهُوَ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، أَعُوذُ

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٥٤).

بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ

الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْوَحْيَيْنِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ سَيِّدِ
الثَّقَلَيْنِ، أَقُولُ مَا سَلَفَ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي وَلَكُمْ فِي رَحْمَتِهِ عَوْضًا
عَنْ كُلِّ خَلْفٍ، وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ،
وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَصَّ مَوْسِمَ الْحَجِّ بِمَزِيدٍ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
وَكَامِلُ الصِّفَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ
بِالْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، وَأَحْكَامِ الْحَجِّ النَّيِّرَاتِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ الْهُدَاةِ الثَّقَاةِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ يَرْجُو الْفَوْزَ بِأَعْلَى
الْجَنَّاتِ، وَالنَّجَاةِ مِنْ مَهَاوِي الدَّرَكَاتِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَأَطِيعُوهُ، وَازْدَلِفُوا إِلَيْهِ بِالشُّكْرِ
وَلَا تَعْصُوهُ، لَا سِيَّيَا فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَالْأَمَكِنَةِ الْمُقَدَّسَةِ.
أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ: وَمَنْ فَضَلَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - وَجَزَيْلِ
نِعْمَائِهِ، مَا نَعِيشُهُ مِنْ عَبَقِ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْغُرِّ الْفَاضِلَةِ، الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ
ذِي الْحِجَّةِ، الَّتِي عَظَّمَ اللَّهُ شَأْنَهَا، وَرَفَعَ قَدْرَهَا، وَأَقْسَمَ بِهَا
فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْمُبِينِ، فَقَالَ - جَلَّ جَلَالُهُ -: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١﴾ وَلِيَالِ عَشْرِ ﴿٢﴾
[الفجر]، قَالَ الْحَافِظُ أَبُو كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «الْمُرَادُ بِهَا: عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ
كَمَا قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَمُجَاهِدٌ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ

وَالْخَلْفِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - «^(١) وَقَالَ - تَعَالَى - ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي

أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ [الحج: ٢٨].

وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ».

اللَّهُ أَكْبَرُ! يَا لَهُ مِنْ فَضْلِ عَظِيمٍ، وَمَوْسِمٍ بِالْخَيْرَاتِ عَمِيمٍ، فَيُسْتَحَبُّ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ الْمُبَارَكَةِ الْإِكْتِسَارُ مِنْ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَخَاصَّةً التَّكْبِيرِ، فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ^(٣) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ». قَالَ الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - يَخْرُجَانِ لِلسُّوقِ وَيُكَبِّرَانِ، فَيُكَبِّرُ النَّاسُ

(١) يُنظَرُ: «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (٤/٥٠٦).

(٢) بِرَقْمِ (٩٦٩).

(٣) فِي «الْمُسْنَدِ» (٢/١٣١).

بِتَكْبِيرِهِمَا»^(١)، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ،
اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

فَبَادِرُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ انْتِهَازِ هَذِهِ الْفُرْصِ الثَّمِينَةِ، فَإِنَّهَا هِيَ أَيَّامٌ
قَلِيلٌ، لَكِنَّمَا الْأَعْمَالُ وَالْأَجُورُ فِيهَا جَلِيلٌ.

حُجَّاجِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ: أَفْضُوا هَذِهِ الْأَيَّامَ الْمُبَارَكَةَ مُسْتَعْلِينَ
بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَإِذَا جَاءَ يَوْمُ الثَّامِنِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ اسْتُحِبَّ
لِلْحُجَّاجِ أَنْ يُخْرَجُوا إِلَىٰ مَنَىٰ، فَيُصَلُّوا بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ
وَالْعِشَاءَ، وَيَبْتَئُوا بِهَا لَيْلَةَ التَّاسِعِ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ التَّاسِعِ
تَوَجَّهُوا إِلَىٰ عَرَفَاتٍ، فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ وَقَفُوا بِهَا الْمَوْقِفَ الْعَظِيمَ،
مُسْتَعْلِينَ بِالذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ، فَمَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبِيدًا
مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، يَقُولُ ﷺ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ
مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ
الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٢).

(١) يُنظر: «صحيح البخاري» (٢٠ / ٢): كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام
التشريق.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٨٥) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

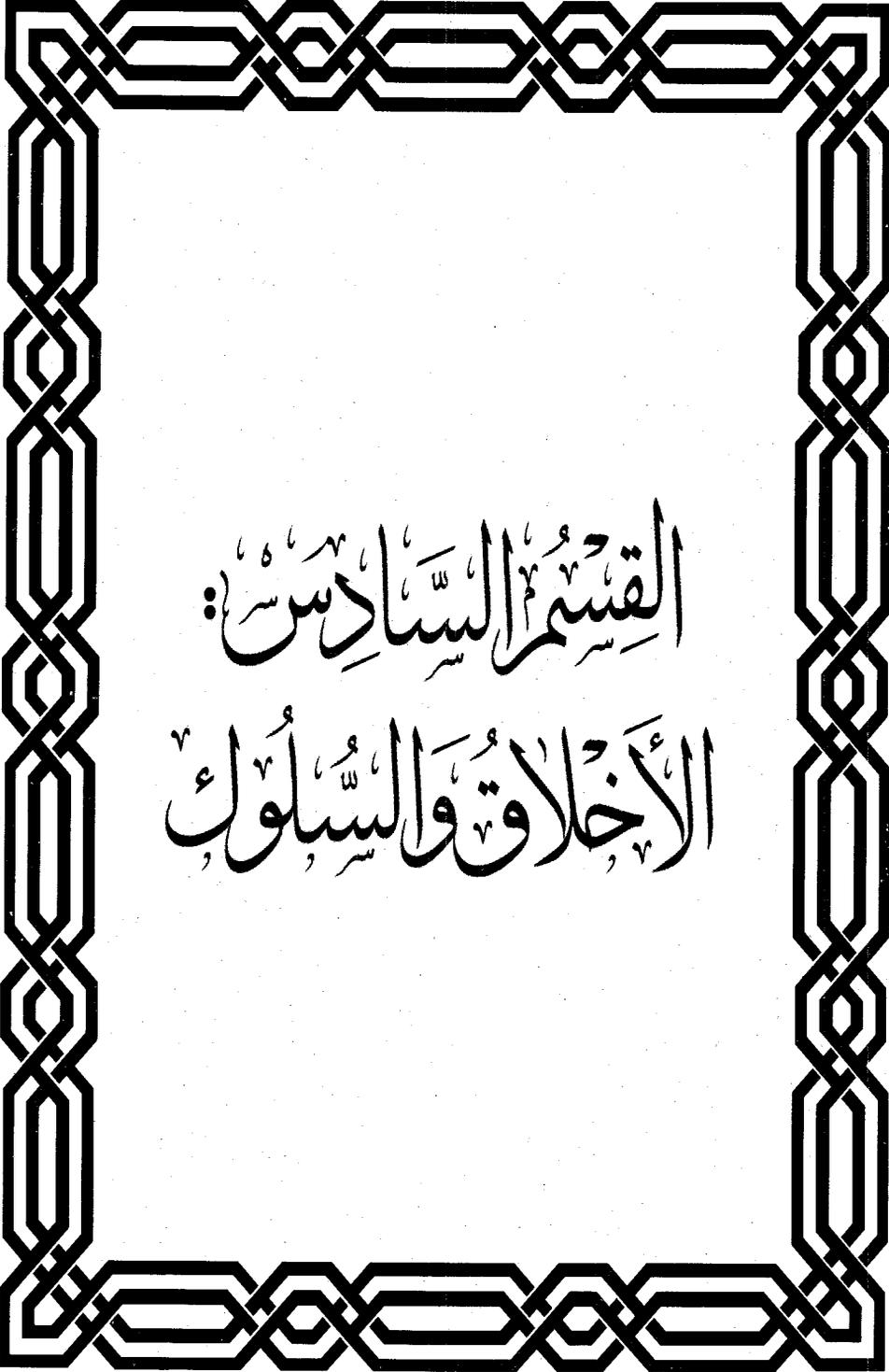
فَإِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، اذْدَلُّوا إِلَى الْمَازِلِ فَهِيَ، وَبَاتُوا بِهَا لَيْلَةَ الْعِيدِ، وَفِي
صَبِيحَةِ يَوْمِ الْعِيدِ يَرْمِي الْحُجَّاجُ جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ، ثُمَّ
يُكْمِلُونَ بَقِيَّةَ الْمَنَاسِكِ مِنَ الذَّبْحِ وَالْحَلْقِ أَوْ التَّقْصِيرِ وَالطَّوَافِ،
قَالَ - تَعَالَى -: ﴿ ثُمَّ لَيَقْبُضُوا نَفْسَهُمْ وَلَيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلَيَطَّوَفُوا

بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٤١﴾ [الحج]، وَيُنْبَغِي عَلَى الْحُجَّاجِ أَنْ يَتَفَقَّهُوا فِي
أَحْكَامِ الْمَنَاسِكِ، وَيَسْأَلُوا أَهْلَ الْعِلْمِ عَمَّا يُشْكَلُ عَلَيْهِمْ، قَالَ - تَعَالَى -:

﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ [النحل]، تَقَبَّلَ اللَّهُ
مِنَ الْحُجَّاجِ حَجَّهُمْ، وَجَعَلَهُ حَجًّا مَبْرُورًا، وَسَعِيًّا مَشْكُورًا، وَذَنْبًا
مَغْفُورًا، وَأَعَادَهُمْ إِلَى أَوْطَانِهِمْ بِأَعْظَمِ الْأَجُورِ، وَأَهْنَى السُّرُورِ، إِنَّهُ خَيْرُ
مَسْئُولٍ وَأَكْرَمِ مَأْمُولٍ.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
وَالرَّسُولِ الْمُجْتَبَى، خَيْرٌ مِنْ أَدَى الْمَنَاسِكِ وَأَوْضَحَهَا لِكُلِّ نَاسِكٍ، فَقَدْ
أَمَرَكَ بِذَلِكَ الْمَوْلَى - جَلَّ وَعَلَا - فِي مُحْكَمِ قَلْبِهِ، وَأَصْدَقِ تَنْزِيلِهِ، فَقَالَ -
تَعَالَى - قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].



القِسْمُ السَّادِسُ
الأخلاق والسلوك

الْحِطْبَةُ الْأُولَى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ، تَفَرَّدَ بِكُلِّ كَمَالٍ، وَتَفَضَّلَ عَلَى عِبَادِهِ
بِجَزِيلِ النَّوَالِ، وَتَنَزَّهَ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَمْثَالِ، أَحْمَدُهُ - تَعَالَى - حَمْدًا
يَسْتَدْعِي مَزِيدَ الْأَفْضَالِ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَلَهُ
الْحَمْدُ فِي كُلِّ آنٍ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَشْكُرُهُ - سُبْحَانَهُ - شُكْرًا يَتَجَدَّدُ
بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ، فَكَمْ مَنَحَ مِنْ نِعْمَاءَ، وَدَفَعَ مِنْ بَأْسَاءَ،
فَنَسَأَلُهُ - سُبْحَانَهُ - أَنْ يُوزِعَنَا^(١) شُكْرَ نِعْمِهِ، وَأَنْ يُثَقِّلَ مَوَازِينَنَا بِصَالِحِ
الْأَعْمَالِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ذُو الْعِظَمَةِ
وَالْجَلَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الْمَنْعُوتُ بِكَرِيمِ
السَّجَايَا، وَشَرِيفِ الْخِصَالِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ خَيْرِ صَحْبٍ وَآلٍ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْمَالِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - فَإِنَّ مَنِ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ

(١) يُوزِعُنَا: يلهمنا، أوزعه الشيء: ألهمه إياه، يُنظر: «اللسان» (وزع).

عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ لَادَ بِهِ حَفِظَهُ وَحَمَاهُ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ رِسَالَةٌ خَيْرٌ وَبِرٌّ وَسَلَامٌ،
وَمَبَادِئُهُ مَبَادِيءُ عَدْلٍ وَحُبٍّ وَوِثَامٍ، فَمَا عَرَفْتَ الْبَشَرِيَّةَ دِينًا خَيْرًا مِنْهُ،
وَلَا جَرَّبْتَ الْإِنْسَانِيَّةَ نِظَامًا أَحْسَنَ مِنْهُ وَأَكْمَلَ، وَأَفْضَلَ مِنْهُ وَأَشْمَلَ،
لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ! مَبَادِئُهُ تَيْسِيرٌ لَا تَعْسِيرٌ، وَتَبْشِيرٌ
لَا تَنْفِيرٌ، خَيْرٌ كُلُّهُ، وَعَدْلٌ كُلُّهُ، وَرَحْمَةٌ كُلُّهُ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ [الأنبياء].

مِنْ قَوَاعِيدِهِ: رَفَعُ الْحَرْجِ، وَمِنْ مَنَهَجِهِ: إِصْلَاحُ الْعِوَجِ، وَمِنْ
مَقَاصِدِهِ: إِصْلَاحُ أَحْوَالِ الْعِبَادِ فِي أُمُورِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَالْحَثُّ عَلَى
الْإِصْلَاحِ، وَحِمَايَةُ النَّاسِ مِنْ طُرُقِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ. مُعَامَلَتُهُ: حِلْمٌ
وَحِكْمَةٌ، رِفْقٌ وَصَبْرٌ، أَنَاةٌ وَتَثَبُّتٌ، نِظَامٌ وَأَنْضِبَاطٌ. يَدْرَأُ الْمَفَاسِدَ،
وَيَجْلِبُ الْمَصَالِحَ، وَيَقْلِلُ الْخِلَافَ، وَيَحْتُّ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَالْإِئْتِلَافِ،
وَيَمْنَعُ شُيُوعَ الْقَوَاصِي، وَيَحْرِصُ عَلَى اسْتِيبَابِ الْأَمْنِ، وَيَسُدُّ بَابَ
الْفِتَنِ، وَيُوصِدُ طَرِيقَ الْإِحْنِ^(١) وَالْمِحْنِ.

يَزْجُرُ أَبْنَاءَهُ عَنِ الْعُنْفِ وَالْقَسْوَةِ، وَالْجَفَاءِ وَالْغِلْظَةِ، وَالشَّدَّةِ

(١) الْإِحْنُ: جَمْعُ إِحْنَةٍ، وَهِيَ: الْحَقْدُ وَالضَّغْنُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (أحن).

وَالْفَظَاظَةَ^(١). رَبِّيَ الْإِسْلَامَ أَتْبَاعَهُ عَلَى التَّوَادُدِ وَالتَّرَاحُمِ، وَالتَّعَاوُنِ
وَالتَّفَاهُمِ، وَالتَّرَابُطِ وَالتَّلَاحُمِ: فِي تَعَامُلِ رَفِيقِي، وَتَرَابُطِ وَثِيقِي، وَتَفَاعُلِ
رَفِيقِي، وَنِظَامِ دَقِيقِي.

وَهَذَا، كَانَ الْمُجْتَمَعُ الْإِسْلَامِيُّ: مُجْتَمَعٌ مَحَبَّةٍ وَصَفَاءٍ، وَمَوَدَّةٍ
وَإِحَاءٍ، وَطَهْرٍ وَنَقَاءٍ، وَسَلَامَةٍ وَهَنَاءٍ، لَا يَعْرِفُ الْحِقْدَ وَالبَغْضَاءَ،
وَالْعُنْفَ وَالشَّحْنََاءَ، يَسُودُ أَبْنَاءُهُ رِفْقٌ وَلَطَافَةٌ، خُلِقَ وَبَشَاشَةٌ، فِي كَفِّ
لِلْأَدَى، وَبَذْلِ لِلنَّدَى، كَلِمَةٌ حَادِيَةٌ، وَابْتِسَامَةٌ حَانِيَةٌ تَفْتَحُ الْقُلُوبَ،
وَتَهْسُ لَهَا النُّفُوسُ، وَتَأْسِرُ الْمَشَاعِرَ، وَتَسْلُبُ الضَّمَائِرَ، فَتَتَطَلَّعُ الْأُمَّةُ إِلَى
مُجْتَمَعِ أَفْضَلِ، وَتَجَاوِبِ أَمْثَلِ، وَإِصْلَاحِ أَشْمَلِ، وَتَنْشُدُ مَنْزِلَةَ أَيْهَى،
وَحَالًا أَزْهَى، يُحَقِّقُ مَصَالِحَ الْأُمَّةِ: رُعَاةً وَرَعِيَّةً، حُكَاَمًا وَمُحْكُومِينَ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: وَإِذَا كَانَ السَّعْيُ لِإِصْلَاحِ مَا تَفَاقَمَ مِنْ أَحْوَالِ
الْأُمَّةِ، وَمَا تَصَدَّعَ مِنْ بُنْيَانِ الْمُجْتَمَعَاتِ، مَطْلَبَ كُلِّ غَيْرٍ عَلَى دِينِهِ، فَإِنَّ
هُنَاكَ مَبْدَأَ عَظِيمٍ، وَمَنْهَجَ قَوِيمٍ، يُعْتَبَرُ بِلِسْمَا شَافِيَا، وَحَلَا كَافِيَا، وَأَمْرًا
وَإِفِيَا، وَدَوَاءً نَاجِعًا، وَعِلَاجًا نَافِعًا، لَا يَتَأْتِي الْوُصُولُ إِلَى الْمَأْمُولِ،

(١) الْفَظَاظَةُ: مَصْدَرُ فَظٌّ، أَي: قَسَا وَأَسَاءَ، فَهُوَ: فَظٌّ. وَالْفَظُّ: الْجَافِي الْمَسِيءَ. يُنْظَرُ:

«اللسان» (فظظ).

إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِ، وَإِذَا أَهْمِلَ وَتَرِكَ؛ جَرَّ الْمُجْتَمَعَ إِلَى بَلَاءٍ خَطِيرٍ، وَشَرٍّ مُسْتَطِيرٍ، وَيَتَمَثَّلُ ذَلِكَ الْمَبْدَأُ فِي مَسَلِكِ رَشِيدٍ، وَمَنْهَجِ سَدِيدٍ، ذَلِكَ هُوَ: مَبْدَأُ الرَّفْقِ فِي الْأُمُورِ، فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، فِي السُّلُوكِ وَالْمَعَامَلَاتِ، فِي الْأَخْلَاقِ وَالتَّصَرُّفَاتِ، فِي الدَّعْوَةِ وَالْحِسْبَةِ، فِي الإِصْلَاحِ وَالتَّرْبِيَةِ، فِي الْبَيْتِ وَالْأُسْرَةِ، فِي السُّوقِ وَالْمَدْرَسَةِ، فِي الْحُكْمِ عَلَى النَّاسِ جَمَاعَاتٍ وَأَفْرَادًا، بَلْ فِي حَالَتِي السَّلْمِ وَالْحَرْبِ. يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الرَّاعِي مَعَ الرَّعِيَّةِ، وَالرَّعِيَّةُ مَعَ الرَّعَاةِ، وَالْمُرَبِّيُّ مَعَ مُرَبِّيهِ، وَالِدَاعِيَّةُ مَعَ مَدْعُوِّيهِ، وَالْقَاضِي وَالْمَوْظَّفُ مَعَ مُرَاجِعِيهِ، وَالْعَالِمُ مَعَ تَلَامِيذِهِ، وَالْمُدْرِّسُ مَعَ طُلَّابِهِ، وَالْأَبُ مَعَ أَبْنَائِهِ، وَالزَّوْجُ مَعَ زَوْجِهِ.

وَهَكَذَا كُلُّ مُسْلِمٍ مَعَ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَقْرَبِينَ وَالْأَبْعَدِينَ، بَلْ حَتَّى مَعَ الْبَهَائِمِ الْعَجْمَاوَاتِ، فَمَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ الْخَبْرُ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كَمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»^(١) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فَالرَّفْقُ وَالْحِلْمُ، وَالْإِنَاءَةُ وَالْحِكْمَةُ، خِلَالُ حَثِّ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ، لِمَا

(١) برقم (٢٥٩٤).

لَهَا مِنْ آثَارٍ عَظِيمَةٍ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ وَالْأُمَّةِ، فَالرَّفْقُ يُحِبُّ فِيكَ
الرَّفِيقَ، وَيُذْنِي مِنْكَ الصَّدِيقَ.

إِذَا نَزَلَ الرَّفَاقُ وَأَنْتَ مِمَّنْ بِلا رِفْقٍ بِقِيَّتِ بِلا رِفْقٍ
وَالْعُنْفُ يُبْعِدُكَ عَنِ الصَّوَابِ، وَيَجْرُّ عَلَيْكَ اللَّوْمَ وَالْعِتَابَ،
وَيُفْقِدُكَ الصَّحَابَ وَالْأَحْبَابَ. وَمَاذَا تَجْنِي مِنْ وَجْهِ عَبُوسٍ، وَقَلْبِ
يُبُوسٍ؟! تُرْغِي^(١) وَتُزِيدُ^(٢)، وَتَقْرُبُ وَتُبْعِدُ، وَلَا تَحْرِقُ إِلَّا قَلْبَكَ.
تَصْرَفُ أَحْمَقُ، وَقَوْلُ أَحْرَقُ، وَتَعَامَلُ فَظًّا!! مَاذَا يَجْنِي الْإِنْسَانُ مِنْ ذَلِكَ
إِلَّا النَّدَامَةَ وَالْمَلَامَةَ، وَحِرْمَانَ الْخَيْرِ وَالِاسْتِقَامَةَ؟! وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، رَوَى
مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»^(٣) عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ: «مَنْ مَجَرَمِ الرَّفْقِ مَجَرَمِ الْخَيْرِ كُلُّهُ».

فَالرَّفْقُ جِمَاعُ الْخَيْرِ، وَطَرِيقُ مَحَبَّةِ الْخَلْقِ، وَالْوُضُوعُ إِلَى الْحَقِّ وَرِضَى
الرَّبِّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ
النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا

(١) تُرْغِي: أي: تكثر الكلام برفع الصوت، دون فائدة. يُنظر: «اللسان» (رغا).

(٢) تُزِيدُ: تَغْضَبُ، يُقال: تَزِيدُ الْإِنْسَانَ: إِذَا غَضِبَ وَظَهَرَ عَلَى صَاغِيهِ زَبَدَتَانِ. يُنظر:
«اللسان» (زيد).

(٣) برقم (٢٥٩٢).

لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»^(١)، وَمَا أَظَلَّتِ السَّمَاءُ
وَأَقَلَّتِ الْغُبْرَاءُ، أَكْثَرَ رِفْقًا، وَأَعْظَمَ حِلْمًا، مِنَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَالْحَبِيبِ
الْمُجْتَبَى - بَأَبِي هُوَ وَأُمِّي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كَمْ لَاقَى فِي سَبِيلِ
الدَّعْوَةِ وَتَبْلِيغِ رِسَالَةِ اللَّهِ؟ وَلَكِنَّهُ صَاحِبُ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ، الْمَوْصُوفِ
فِي كِتَابِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَكَ
فِطْرًا غَلِيظًا الْقَلْبَ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ...﴾

[آل عمران: ١٥٩]. الآية، فَمَعَ شِدَّةِ أَدَى قَوْمِهِ لَهُ، وَرَدَّهُمْ عَلَيْهِ،
وَتَكْذِيبِهِمْ بِرِسَالَتِهِ، بَلْ تَعَدَّى الْأَمْرُ إِلَى رَشْقِهِ بِالْحِجَارَةِ، وَإِدْمَاءِ عَقْبِيهِ،
وَكَسْرِ رَبَاعِيَّتِهِ، وَإِغْرَاءِ السُّفْهَاءِ بِهِ، وَوَضْعِ سَلَى الْجُزُورِ عَلَى جَسَدِهِ
الطَّاهِرِ وَهُوَ سَاجِدٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَمُحَاوَلَةِ قَتْلِهِ؛ فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ
يَقُولَ فِي أَشَدِّ الْكُرْبَاتِ - وَهُوَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ بِأُمَّتِهِ -: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٢).

اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهُ الْمَنْهَجُ عَبْرَ الْقُرُونِ، وَمُرُورِ الْأَعْوَامِ وَالسِّنِينَ،
وَاخْتِلَافِ الْأَعْصَارِ وَالْأَمْصَارِ، وَاخْتِلَافِ الْأَزْمَنَةِ وَالْأَمَكِنَةِ، لَيْسَ عَنْهُ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢٤، ٦٩٢٧) مختصرًا، ومسلم (٢٥٩٣) واللفظ له.

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٣١).

خَلَاصٌ وَلَا مِنْهُ مَنَاصُ. وَيَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ، ظَنَّ أَعْدَاؤُهُ أَنَّهُ سَيُقْتَلُ وَيَنْتَقِمُ، وَيَأْتِي بِأَمْرِ غَيْسِمٍ، فَقَالَ: «مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟!»، قَالُوا: خَيْرًا؛ أَخُ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخِ كَرِيمٍ، قَالَ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ!»^(١)، «لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ

اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف]»^(٢)

وَفَتَحَتْ مَكَّةَ وَالْقُلُوبَ بِحِكْمَةٍ يَخُونُهَا السَّيْفُ الصَّاقِلُ^(٣) وَيَخْفَدُ^(٤)
وَأَتَاكَ قَوْمُكَ خَائِفِينَ وَكُلَّهُمْ يَخْشَوْنَ بَطْشَكَ حُرَّهُمْ وَالْأَعْبُدُ
فَصَفَحَتْ عَنْهُمْ وَالسَّامِحَةُ وَالنَّدَى وَالْجُودُ وَالْإِحْسَانُ عِنْدَكَ سَرْمَدُ^(٥)
عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ، هَذِهِ سِمَاتُ أَهْلِ الْقُلُوبِ الشَّفِيقَةِ،
وَالْعُقُولِ الرَّاجِحَةِ، وَالْأَفْكَارِ النَّيِّرَةِ، وَهِيَ فِي الرِّجَالِ تُدْرَجُ فِي سُلْمِ
الْكَمَالِ عَقْلًا وَرِزَانَةً، بَعِيدًا عَنِ الْمَسَالِكِ الطَّائِشَةِ، وَالتَّصَرُّفَاتِ الْحُمَقَاءِ،

(١) تقدم تحريجه (ص ١٣١).

(٢) تقدم تحريجه (ص ١٣٢).

(٣) صَقَلَ الشَّيْءَ يَصْقِلُهُ صَقْلًا فَهُوَ مَصْقُولٌ وَصَقِيلٌ: جَلَّاهُ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (صقل).

(٤) يَخْفَدُ: يُسْرِعُ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (حفد).

(٥) سَرْمَدٌ: دَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (سرمد).

فَكَمْ سَبَبَ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَارِكِ الَّتِي تَبَدَّلَ فِيهَا الْأَعْرَاضُ، وَتَعَدُّو فِيهَا
 الشَّتَائِمَ عَلَى الْحُرْمَاتِ الْمَصُونَةِ، وَلَا مُسَوِّغٌ لَذَلِكَ إِلَّا التَّعَجُّلُ
 وَالْإِنْدِفَاعُ. وَمَلَكَ النَّجَاةِ: تَغْلِيْبُ الْحِلْمِ عَلَى الْغَضَبِ، وَالرَّفْقِ عَلَى
 الْعُنْفِ، وَالْأَنَاةِ عَلَى التَّعْجِيلِ، وَمَتَى اجْتَمَعَ فِي فَرْدٍ عُنْفٌ وَعَجَلَةٌ؛ ضَرَّ
 نَفْسَهُ وَأَوْكَسَهَا، وَجَنَى عَلَى مُجْتَمَعِهِ، وَأُمَّتَهُ أَرْكَسَهَا.

إِنَّ الْعُنْفَ فِي الْإِنْسَانِ دَلِيلٌ نَقْصٍ وَنَزَقٍ (١)، وَفِي الْأُمَّةِ طَرِيقٌ لِفَسَادٍ
 كَبِيرٍ، وَشَرٌّ مُسْتَطِيرٌ. الْعُنْفُ يُوَعِّرُ الصُّدُورَ، وَلَا يَحُلُّ الْمَشْكَلَ مِنْ
 الْأُمُورِ، وَهُوَ فِي مَجَالِ الْإِصْلَاحِ وَالِدَّعْوَةِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالْحَسْبَةِ، أَشَدُّ
 وَأَعْظَمُ.

أَرْسَلَ اللَّهُ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ: مُدَّعِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَالْمُتَعَدِّي
 عَلَى مَقَامِ الْأَلُوْهِيَّةِ، فَرَسَمَ - جَلَّ فِي عُلَاهِ - مِنْهَجًا يُلتَزَمُ إِلَى قِيَامِ
 السَّاعَةِ ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (٤٣) فَقُولَا لَهُ: قَوْلًا لِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ
 أَوْ يَخْشَى ﴿[طه].

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ
 وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلِيًّا بِمَا يَأْمُرُ بِهِ، عَلِيًّا بِمَا يَنْهَى

(١) سبق بيان معناها (ص ٤٩).

عَنْهُ، رَفِيقًا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ، رَفِيقًا فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ، حَلِيًّا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ، حَلِيًّا فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ، فَالْفِقَهُ قَبْلَ الْأَمْرِ، وَالرَّفْقُ عِنْدَ الْأَمْرِ، وَالْحِلْمُ بَعْدَ الْأَمْرِ»^(١)، كَمَا يَنْبَغِي لِلدَّاعِيَةِ وَالْمُحْتَسِبِ، أَنْ يَعْرِفَ قَوَاعِدَ الشَّرِيعَةِ، وَمَقَاصِدَ الْإِسْلَامِ، بَادِئًا بِالْأَهَمِّ فَلِأَهَمِّ، آخِذًا بِالْأَصْلِحِ فَلِأَصْلِحِ، فَإِذَا كَانَ أَمَامَهُ مَضْلِحَتَانِ؛ قَدَّمَ أَعْلَاهُمَا، وَإِذَا رَأَى مَضْلِحَةً عَامَّةً، وَأُخْرَى خَاصَّةً، قَدَّمَ الْعَامَّةَ، وَإِذَا دَارَ الْأَمْرُ بَيْنَ الْمَضْلِحَةِ وَالْمُفْسَدَةِ، وَتَكَافَأَتَا، قَدَّمَ دَرَّةَ الْمَفَاسِدِ - وَفِيهِ الْمَضْلِحَةُ - عَلَى جَلْبِ الْمَصَالِحِ، وَإِذَا تَعَارَضَتْ مَفْسَدَتَانِ، أَخَذَ بِأَذْنَاهُمَا؛ يَتَغَيَّبُ فِي مُوَازَنَتِهِ الرَّفْقُ وَالسَّمَاحَةُ. أَمَّا إِقْلَاءُ الْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ عَلَى عَوَاهِنِهِ^(٢) دُونَ نَظَرٍ فِي الْعَوَاقِبِ، فَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي شَيْءٍ، وَلَا مِنَ الرَّفْقِ فِي قَبِيلٍ.

فِيهَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَصْحِيحِ الْمَنَاهِجِ، وَضَبْطِ الْمَوَاقِفِ، وَتَعْدِيلِ الْمَسَارَاتِ، وَضَبْطِ الْعَوَاطِفِ وَالْإِنْفِعَالَاتِ، وَتَهْدِيدِ الْحِمَاسَةِ، وَالتَّحَلِّيِ بِالصَّبْرِ، يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَمَنْ تَأَمَّلَ عَلَى مَا جَرَى لِلْإِسْلَامِ مِنَ الْفِتَنِ صِغَارِهَا وَكِبَارِهَا، رَأَاهَا مِنْ إِضَاعَةِ هَذَا الْأَصْلِ،

(١) يُنْظَرُ: «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (١٥/١٦٧).

(٢) أَلْفَى الْكَلَامَ عَلَى عَوَاهِنِهِ: أَي: لَمْ يَتَدَبَّرْهُ، وَقِيلَ: إِذَا لَمْ يُبَيَّنْ أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، وَقِيلَ: إِذَا تَهَاوَنَ بِهِ، وَقِيلَ: إِذَا قَالَهُ مِنْ قَبِيحِهِ وَحَسَنِهِ. يُنْظَرُ: «اللسان» (عهن).

وَعَدَمِ الصَّبْرِ عَلَى الْمُنْكَرِ، فَطُلِبَ إِزَالَتُهُ، فَتَوَلَّدَ مِنْهُ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ» (١).

وَلِهَذَا، لَا عَجَبَ . أَيُّهَا الْإِخْوَةُ . أَنْ تَرَى أَنْاسًا دَاخَلَهُمُ الْيَأْسُ؛
فَانْفَتَلُوا قَبْلَ مُتَّصِفِ الطَّرِيقِ، وَفَهَّمُوا ذُرُوبَ الْإِصْلَاحِ، عَلَى أُمَّهَا
مُوَاجَهَةً وَمُنَاطِحَةً، فَحَصَلَ بِذَلِكَ مِنَ الْفِتَنِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ .

إِنَّ مَصْلَحَةَ الْأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَالتَّلَاحِمَ بَيْنَ الشُّعُوبِ وَالْقِيَادَاتِ،
مَصْلَحَةٌ رَاجِحَةٌ، وَإِنْ سُلُوكَ مَسَالِكِ الْإِثَارَةِ، وَشُيُوعِ النَّقْدِ بَيْنَ الصَّغِيرِ
وَالكَبِيرِ، يُحْرِقُ سِيَاحَ الْوَحْدَةِ، وَيَبْذُرُ بُذُورَ الْفُرْقَةِ وَالْفِتْنَةِ، وَيَجْرِي
الْأَغْرَارَ عَلَى افْتِحَامِ هَيْبَةِ الْوَلَايَةِ وَمَكَانَةِ الْإِمَامَةِ .

وَلَقَدْ ضَلَّ أَقْوَامٌ أَخَذُوا طَرِيقَ الْعُنْفِ مِنْهَا جَا لِلدَّعْوَةِ وَالْإِصْلَاحِ،
وَأَيُّ إِصْلَاحٍ حَصَلَ جَرَّاءَهُ عِبْرَ التَّأْرِيخِ؟ أَمَا سَطَّرَ فِي تَأْرِيخِ الْأُمَّةِ، مَنْ
جَرَّبَ هَذِهِ الْمَسَالِكِ؟ فَهَلْ جَنَّتْ مِنْهَا الْأُمَّةُ إِلَّا شُيُوعَ الْقَتْلِ، وَسَفْكَ
الدِّمَاءِ، وَإِثَارَةَ الْحُوفِ وَالرُّعْبِ، وَفَتْحَ السُّجُونِ وَالْمُعْتَقَلَاتِ؟! أَفَلَا
يَعْتَبِرُ آخِرُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ بِأَوْلِهِمْ، وَيُرَاجِعُوا أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَسِينُوا طُرُقَ
الْإِصْلَاحِ مِنْ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ ذَوِي النَّظَرِ السَّيِّدِ، وَالْمَنْهَجِ الرَّشِيدِ،
وَالتَّجْرِبَةِ الْمُتَبَدِّدَةِ الطَّوِيلَةِ؟

(١) يُنظر: «إعلام الموقعين» (٤/٣).

لَقَدْ صَحَّ وَاسْتَقَامَ لَدَى الْعُقَلَاءِ، أَنَّ الْعُنْفَ لَا يُوَلَّدُ إِلَّا عُنْفًا مِثْلَهُ،
وَأَشَدُّ مِنْهُ . وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ، فَحَلُّ الْأُمُورِ بِالرَّفْقِ وَالتُّوَدَةِ وَالْحِكْمَةِ
مَطْلَبٌ مُلِحٌّ؛ لِتَحْقِيقِ مَصَالِحِ الْأُمَّةِ مِنَ الرَّعَاةِ وَالرَّعِيَّةِ، وَلَا يُنَافِي الْحَزْمَ
وَضَبْطَ الْأُمُورِ، وَالْحَكِيمُ مَنْ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا.

وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا

مُضَرٌّ كَوَضَعَ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى^(١)

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَإِذَا كُنَّا نَعِيشُ فِي زَمَنِ رَفَعَ الْعُنْفُ فِيهِ عَقِيرَتَهُ^(٢)،
وَتَوَارَى الرَّفْقُ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، فَإِنَّ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ أَوَّلُ مُسَعِّرِ هَاتِيكَ
النَّيْرَانِ؛ إِذْ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا لُغَةَ الْعُنْفِ بِجَمِيعِ أَصْنَافِهِ، لَا تَسْمَعُ إِلَّا قِتْلًا
وَتَشْرِيدًا، وَتَعْذِيبًا وَاعْتِيَالًا، أَسْلِحَةَ فَتَاكَةً، وَحُرُوبًا مُدْمِرَةً. تَابِعُوا مَا
يَجْرِي فِي الْبُوسَنَةِ وَالْهَرَسِكِ، وَمَا يَدُورُ فِي مَوَاضِعَ شَتَّى.

وَأَهْلُ الْإِسْلَامِ عَبْرَتَا رِيحِ الطَّوِيلِ، أَرْفَقَ الْخَلْقَ بِالْخَلْقِ، وَأَوْثَقَ
الْبَرِيَّةَ بِالرَّحْمَةِ وَالرَّفْقِ، لَمْ يَغْدُرُوا فِي حَرْبٍ، وَلَمْ يَخْدَعُوا فِي عَهْدٍ؛ لَمْ
يَمَثُلُوا، وَلَمْ يَقْتُلُوا شَيْخًا وَلَا وَلِيدًا وَلَا امْرَأَةً، بِشَهَادَةِ الْأَعْدَاءِ قَبْلَ

(١) مِنْ شِعْرِ أَبِي الطَّيْبِ الْمُتَنَبِّي، يُنْظَرُ: «الْعَرْفُ الطَّيِّبُ فِي شَرْحِ دِيْوَانِ أَبِي الطَّيِّبِ»
(١٨٣/٢).

(٢) سَبَقَ بَيَانُ مَعْنَاهَا (ص ٩٩).

الأُضْدِقَاءِ. وَأَمَّا مَوْجَاتُ الإِزْهَابِ الَّتِي يُلْصِقُهَا أَعْدَاءُ الإِسْلَامِ
بِالإِسْلَامِ، فَالإِسْلَامُ مِنْهَا بَرَاءٌ، لَكِنْ عَلَى أَهْلِ الإِسْلَامِ أَنْ لَا يَكُونُوا
سَبَبًا فِي اسْتِفْزَازَاتِ الأَعْدَاءِ. وَمَهْمَا التَّمَسَّ النَّاسُ عُدْرًا، فَإِنَّ الحَقَّ
أَبْلَجٌ، إِذْ عَلَى المُسْلِمِينَ أَنْ لَا يَسْلُكُوا مَسَالِكَ العُنْفِ، لَا فِي مُوَاجَهَةِ
الحُكُومَاتِ وَلَا غَيْرِهَا، وَكَمْ يَلْتَفُّ حَوْلَ النَّبْتَةِ الطَّيِّبَةِ طُفَيْلِيَّاتٌ ضَارَّةٌ
تَذْهَبُ بِنَضَارَتِهَا، وَقَدْ تُودِي بِهَا، وَتُورِدُهَا مَوَارِدَ العَطْبِ.

فَاتَّقُوا اللّهَ - أَيُّهَا المُسْلِمُونَ - وَتَحَلُّوا بِالنَّوَابِتِ، وَاحذَرُوا
جَدِيدَ النَّوَابِتِ، رِفْقًا رِفْقًا - أَيُّهَا المُسْلِمُونَ - فِي كُلِّ أُمُورِكُمْ!! مُحَقِّقُوا
المَصَالِحَ لِأَنْفُسِكُمْ، وَاجْتَمِعِكُمْ، وَأَمْتِكُمْ.

أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الحَسَنَةُ وَلَا
السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ
حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ
عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴿ [فصلت]. نَفَعَنِي اللّهُ وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ كِتَابِهِ، وَبِسُنَّةِ نَبِيِّهِ
ﷺ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ،
فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ العَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَعَادَ وَأَبَدَى، وَأَنْعَمَ وَأَسَدَى،
أَحْمَدُهُ - تَعَالَى - وَأَشْكُرُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا نُحْصِي لَهَا عَدًّا، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِزْغَامًا لِمَنْ كَفَرَ بِهِ عِنَادًا وَجَحْدًا،
شَهَادَةً أَدْخَرَهَا لِيَوْمِ الْمَعَادِ عَهْدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ
وَرَسُولُهُ، أَكْرَمَ بِهِ رَسُولًا وَأَنْعَمَ بِهِ عَبْدًا! صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَكْسَبَهُمْ شَرَفًا وَمَجْدًا، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَهْجِهِمْ بِأَقْوَمِ
سَبِيلٍ وَأَهْدَى.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - اتَّقُوهُ فِي كُلِّ أُمُورِكُمْ، وَالزُّمُوا الرَّفْقَ
فِي كُلِّ أَحْوَالِكُمْ، فَهُوَ مِنَ الثَّوَابِ الْأَزَلِيَّةِ الَّتِي لَا يَصِحُّ التَّفْرِيطُ فِيهَا فِي
أَيِّ وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَلَا يَطْنَنَّ ظَانَ أَنَّ الرَّفْقَ مَعْنَاهُ تَرْكُ الْأُمُورِ فِي
أَعْيَتِهَا، دُونَ سَعْيٍ لِلِإِضْلَاحِ، كَلَّا! كَمَا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي التَّجَاوُزَ
وَالْتَعَادِي.

وَلَا تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ وَاقْتَصِدْ كِلَا طَرَفِي قَصْدِ الْأُمُورِ دَمِيمٌ^(١)
 بَلْ يَكُونُ الرَّفْقُ أَحْيَانًا عَيْنَ الْحُزْمِ، فَقَتْلُ الْقَاتِلِ رِفْقٌ بِالْمُجْتَمَعِ:
 فَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ رَاحِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ^(٢)
 لَكِنَّ الْخُطُورَةَ كُلَّ الْخُطُورَةِ، أَنْ يَصْدُرَ الْعُنْفُ عَنْ مَنْهَجِيَّةٍ مَتَبَّنَاةٍ،
 وَطَرِيقَةٍ مُتَّبَعَةٍ.

أَلَا وَإِنَّ مِنَ الرَّفْقِ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - الرَّفْقَ فِي الْحُكْمِ عَلَى مُعْتَقَدَاتِ
 النَّاسِ وَمَقَاصِدِهِمْ، وَكَمْ يَسُوؤُكَ مِنْ مُحْتَرِفِي تِجَارَةِ التَّقْدِ، مِمَّنْ يَقْعُونَ فِي
 النِّيَّاتِ، وَيَحْكُمُونَ عَلَى الْمَقَاصِدِ بِحِجْرَةِ قَلَمٍ، أَوْ كَلِمَةٍ عَامَّةٍ، فَيُصَنَّفُونَ
 فُلَانًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَفُلَانًا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فِي أَيِّ حُظَّةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ،
 وَلَا يَتَوَرَّعُونَ عَنِ الْحُكْمِ بِالتَّضْلِيلِ وَالتَّجْهِيلِ عَلَى مَقَامَاتِ الرِّجَالِ،
 لَا سِيَّمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ.

أَلَا وَإِنَّ مِنَ الرَّفْقِ: الرَّفْقَ فِي الْأُمُورِ الْأَسْرِيَّةِ وَالتَّرْبِيَةِ الْبَيْتِيَّةِ، فَمَا
 كَثُرَتِ الْمَشْكِلاتُ، وَمَا عَمَّ الشُّقَاقُ وَالتَّلَاقُ وَالفِرَاقُ، إِلَّا بِسَبَبِ
 الْعُنْفِ، وَمُجَانَبَةِ الرَّفْقِ فِي الْأُمُورِ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِالرَّفْقِ: وُلَاةُ أَمْرِ

(١) البيت لأبي سليمان الخطابي، يُنظر: كتابه «العزلة» (ص ٩٨).

(٢) البيت لأبي تمام الشاعر المشهور، يُنظر: «ديوانه» (ص ٢٠٧).

المُسْلِمِينَ، فِي مَعْرِفَةِ قَدْرِهِمْ وَمَكَانَتِهِمْ، وَمَعْرِفَةِ جَمِيلِهِمْ وَالِدُّعَاءِ لَهُمْ،
وَعَدَمِ الْخَوْصِ فِي أَعْرَاضِهِمْ. وَالرَّفْقُ بِالْعُلَمَاءِ: فِي الْأَعْتِزَالِ بِهِمْ
وَالْإِعْتِدَارِ لَهُمْ، وَمَعْرِفَةِ سَبَقِهِمْ وَفَضْلِهِمْ، وَأَهْلِ الْحِسْبَةِ فِي عَدَمِ
تَضَخِيمِ أخطاءِهِمْ، وَمَعْرِفَةِ جُهُودِهِمْ، فَهُمْ - بِإِذْنِ اللَّهِ - الْجُنَّةُ الْوَاقِيَةُ،
وَالدُّعَامَةُ الرَّاسِخَةُ الْبَاقِيَةُ. وَالْأَقْرَبُ فِي صَلَاتِهِمْ، وَالْأَيْتَامُ فِي الْإِحْسَانِ
إِلَيْهِمْ، وَهَكَذَا الْعُمَّالُ وَالْحَدَمُ، فِي عَدَمِ ظُلْمِهِمْ وَبَخْسِهِمْ حُقُوقَهُمْ،
فَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ أَصْحَابُ الْمُؤَسَّسَاتِ وَالشَّرِكَاتِ، الَّذِينَ يَظْلِمُونَ الْعُمَّالَ
وَلَا يُؤَدُّونَ لَهُمْ حُقُوقَهُمْ. وَإِذَا كَانَ الرَّفْقُ بِالْحَيَوَانِ، قَدْ بَلَغَ الْإِنْسَانَ
مَنْزِلَةَ التَّنْعُمِ بِالْحَيَوَانِ، فَمَا بِالْكُفْمِ بِالرَّحْمَةِ وَالرَّفْقِ بِنَبِيِّ الْإِنْسَانِ؟!

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَازْدَانُوا بِالرَّفْقِ فِي كُلِّ أُمُورِكُمْ،
وَلَا سِيَّامَا التَّرْبَوِيُّونَ وَالِدُّعَاءُ وَالْمُصْلِحُونَ، وَالْأَبَاءُ وَالْمُحْتَسِبُونَ. كَانَ
اللَّهُ فِي عَوْنِ الْجَمِيعِ، وَرَزَقَهُمْ صَلَاحَ الْحَالِ وَالْمَالِ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، كَمَا
أَمَرَكُم بِذَلِكَ رَبُّكُمْ - جَلَّ فِي عُلَاهُ - فَقَالَ - عَزَّ مِنْ قَائِلٍ -: ﴿إِنَّ
اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].

كَلَامًا نَقَوِيَّ إِلَّا بِالتَّقْوَى

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَتَبَ الرَّحْمَةَ لِعِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ، أَحْمَدُهُ - تَعَالَى -
وَأَشْكُرُهُ، وَأَسْتَعِينُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، أَلَزَمَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ كَلِمَةَ التَّقْوَى، فَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا
وَأَهْلَهَا، وَأَشْهَدُ أَنْ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الَّذِي أَصْلَحَ بِالتَّقْوَى
قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ، فَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ،
الَّذِينَ حَقَّقُوا التَّقْوَى، فَصَارُوا الْفَرِيقَ الْأَسْعَدَ الْأَعَزَّ الْأَقْوَى، وَالتَّابِعِينَ
وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ يُخْشَرُ الْمُتَّقُونَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدَا، فَيَتَبَوَّؤُونَ
مِنَ الْجَنَّةِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى، طَابَتْ مَقَامًا وَوَرَدًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فَإِنَّ تَقْوَاهُ سُبْحَانَهُ
هِيَ الرُّكْنُ الْأَقْوَى، وَالذُّخْرُ الْأَبْقَى، وَبِهَا نَسْمُو فِي مَدَارِجِ الْإِيمَانِ
وَالْعِلْيَاءِ وَنَرْقَى.

عِبَادَ اللَّهِ: التَّقْوَى تِلْكَمُ الْكَلِمَةُ الْعَظِيمَةُ، وَالْعِبَارَةُ الْقَوِيمَةُ،

وَالْكَلِمَةُ الْجَامِعَةُ، وَالْوَصِيَّةُ النَّافِعَةُ، إِنَّهَا كَلِمَةٌ وَجِيزَةٌ الْمُبْنَى، لَكِنَّهَا عَظِيمَةُ الْمَعْنَى، مَفْهُومُهَا نَبِيٌّ وَاسِعٌ، وَمَدْلُوهَا مُبَارَكٌ شَاسِعٌ. وَقَدْ زَخَرَ بِذِكْرِهَا، وَالْأَمْرُ بِهَا وَالْحَثُّ عَلَيْهَا، وَذَكَرَ صِفَاتِ أَهْلِهَا وَثَمَرَاتِهَا وَنَتَائِجِهَا فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ، كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ.

هَذِهِ الْكَلِمَةُ طَالَمَا تَكَرَّرَ ذِكْرُهَا عَلَى اللِّسَانِ، وَقَرَعَ صَدَاهَا الْأَذَانَ، أَوْصَى بِهَا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَرَسُولُهُ ﷺ، وَهِيَ الَّتِي أَرَقَّتِ الْعِبَادَ، وَأَسْهَدَتِ الزُّهَادَ، وَكَثِيرًا مَا يُوصِي بِهَا الْعُلَمَاءُ وَالْخُطَبَاءُ وَالْمُصْلِحُونَ، وَلَكِنْ - وَيَا لِلْأَسْفِ - صَمَّتْ آذَانُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ عَنْ قَبُولِهَا وَتَحْقِيقِهَا عِلْمًا وَعَمَلًا، حَتَّى أَصْبَحَ الْأَخْذُ بِهَا فِي دُنْيَا الْوَاقِعِ عَزِيزَ الْمَنَالِ، وَتَطْبِيقُهَا ضَيْقَ الْمَجَالِ.

لَوْ عَقَلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ أَبْعَادَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَسَبَرُوا^(١) أَعْوَارَهَا، وَعَلِمُوا عُمُقَ مَعْنَاهَا، وَعَمِلُوا بِمُقْتَضَاهَا؛ لَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُهُمْ، وَصَلَحَتْ أَوْضَاعُهُمْ، وَزَكَتْ نُفُوسُهُمْ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَسِيرَةِ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - وَمَا التَّأْرِيخُ الْإِسْلَامِيُّ عِبْرَ الْقُرُونِ، إِلَّا شَاهِدُ صِدْقِ عَلِيٍّ ذَلِكَ.

(١) سَبَرُوا: نظروا مقداره وأبعاده. يُنظر: «اللسان» (سبر).

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: وَلَا هَمِّيَّةَ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ - وَارْتِبَاطَهَا الْوَثِيقَ
 بِسُلُوكِ الْمُسْلِمِ، وَعِلَاقَتِهِ بِرَبِّهِ، وَتَقْصِيرِ النَّاسِ فِيهَا - أَثَرْتُ أَنْ نَعِيشَ فِي
 ظِلَالِ التَّقْوَى: مَعَانِيهَا وَنُصُوصِهَا، وَصِفَاتِ أَهْلِهَا وَإِحْيَاءِهَا، أَثَارَهَا
 وَثَمَرَاتِهَا، نَشْمُ عَبِيرَهَا، وَنَمْتَصُّ رَحِيقَهَا، وَنَرْتَوِي مِنْ نَمِيرِهَا^(١)؛ لَعَلَّ
 فِي ذَلِكَ دَفْعًا لِسُلُوكِ سَبِيلِ التَّقْوَى، وَاللَّحَاقِ بِرُكْبِ الْمُتَّقِينَ.

أُمَّةَ الدِّينِ وَالتَّقَى: التَّقْوَى فِي الْإِشْتِقَاقِ اللَّغَوِيِّ تَعْنِي: الْحَذَرَ
 وَالصِّيَانَةَ، وَالْحِفْظَ وَالْحِمَايَةَ، وَفِي الْمَدْلُولِ الشَّرْعِيِّ: عِبَارَةٌ عَنْ: كَمَالِ
 تَوْقِي الْإِنْسَانِ عَمَّا يَضُرُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَذَابِ اللَّهِ
 وَقَايَةً، وَذَلِكَ بِفِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ الَّتِي تَسْتَوْجِبُ رِضَى اللَّهِ وَثَوَابَهُ،
 وَاجْتِنَابِ الْمَنْهِيَّاتِ الَّتِي تَجْلِبُ غَضَبَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ.

وَلِلْسَلَفِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ فِي بَيَانِ مَدْلُولِهَا، يَقُولُ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «تَقْوَى اللَّهِ: أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيُذَكَّرَ فَلَا
 يُنْسَى، وَيُشْكَرُ فَلَا يُكْفَرُ»^(٢).

(١) سبق بيان معناها (١٥٠).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤/٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/٧٢٢)،

وإبن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/١٠٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/٢٣٨).

وَقَالَ عِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «التَّقْوَى هِيَ: الْخَوْفُ مِنَ الْجَلِيلِ،
وَالْعَمَلُ بِالتَّنْزِيلِ، وَالْقَنَاعَةُ بِالْقَلِيلِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِيَوْمِ الرَّحِيلِ».
وَقَدْ سَأَلَ عُمَرُ رضي الله عنه أَبِي بَنَ كَعْبٍ رضي الله عنه عَنِ التَّقْوَى، فَقَالَ لَهُ: «أَمَّا
طَرَفَتَ طَرِيقًا ذَا شَوْكٍ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ؟ قَالَ: اجْتَهَدْتُ
وَسَمَّرْتُ، قَالَ: فَذَلِكَ التَّقْوَى»^(١).

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «تَمَامُ التَّقْوَى: أَنْ يَتَّقِيَ الْعَبْدُ رَبَّهُ حَتَّى يَتَّقِيَهُ
مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ، وَحَتَّى يَتْرُكَ بَعْضَ مَا يَرَاهُ حَلَالًا خَشِيَةً أَنْ يَكُونَ
حَرَامًا»^(٢).

وَقَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ: «التَّقْوَى: أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنْ
اللَّهِ، تَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ، وَأَنْ تَتْرُكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، تَخَافُ
عِقَابَ اللَّهِ»^(٣).

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «لَيْسَ تَقْوَى اللَّهِ بِصِيَامِ
النَّهَارِ، وَلَا بِقِيَامِ اللَّيْلِ، وَالتَّخْلِيطِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ تَقْوَى اللَّهِ:

(١) يُنْظَرُ: «التَّذَكُّرَةُ» لِابْنِ الْجَوْزِيِّ (ص ١٢٣)، و«تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (١/ ٤١).

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزُّهْدِ» (٢/ ١٩)، وَفِي «الرَّقَائِقِ» (ص ١٩).

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصَنَّفِهِ» (٦/ ١٦٤)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ»

(١/ ٩٨)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٣/ ٦٤).

تَرَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَأَدَاءَ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ»^(١).

وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ^(٢):

حَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ذَلِكَ التَّقْوَى

وَأَضَنَّ كَمَا شِ فَوْقَ أَرْضِ الشُّوكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى

لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

وَجَمَاعُ الْقَوْلِ: أَنْ تَقْوَى اللَّهَ - سُبْحَانَهُ -: الْقِيَامُ بِالْأَوْامِرِ، وَاجْتِنَابُ

الزَّوْجِرِ، فِعْلُ الطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ، وَالْبُعْدُ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْخَطِيئَاتِ،

إِتْيَانُ الْفَرَائِضِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ، وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ، «وَلَنْ يَبْلُغَ

عَبْدٌ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ، حَذَرَ مَا بِهِ بَأْسٌ»^(٣).

تِلْكَمُ هِيَ التَّقْوَى - يَا عِبَادَ اللَّهِ - صَلَاحٌ فِي الْقَلْبِ، حَسَاسِيَّةٌ فِي

الضَّمِيرِ، شَفَافِيَّةٌ فِي الشُّعُورِ، خَشْيَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ، وَخَوْفٌ دَائِمٌ، وَحَذَرٌ

(١) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (ص ٣٥١)، وابن عساكر في «تاريخه»

(٢٣٠/٤٥).

(٢) هو: عبد الله بن جعفر بن المعتز الشاعر والخليفة العباسي. يُنظر: «ديوانه»

(ص ٤٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٥١)، وابن ماجه (٤٢١٥)، والحاكم في «المستدرک»

(٣١٩/٤)، والبيهقي في «الكبرى» (٣٣٥/٥) من حديث عطية السعدي رضي الله عنه.



دَائِبٌ، وَتَوَقُّ لَأَشْوَاكِ طَرِيقَ الْحَيَاةِ الَّذِي تَتَجَادَبُهُ أَشْوَاكِ الرَّغْبَاتِ
وَالرَّهَبَاتِ، وَالشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ، وَالْمَطَامِعِ وَالْمَطَامِحِ، وَالْمَخَاوِفِ
وَالْوَسَاوِسِ، وَغَيْرِهَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ زَحَرَ كِتَابُ اللَّهِ بِذِكْرِ التَّقْوَى، حَتَّى وَرَدَتْ
هَذِهِ الْكَلِمَةُ بِتَصَارِيفِهَا الْمُخْتَلِفَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي نَحْوِ
سِتِّينَ وَمِائَتِي مَرَّةً، بَلْ لَا يَكَادُ الْمُسْلِمُ يَقْرَأُ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، إِلَّا وَيَجِدُ
فِيهِ الْأَمْرَ بِالتَّقْوَى، بَلْ لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - التَّقْوَى وَصِيَّةً لِحَلْقِهِ
كُلِّهِمْ، أَوْلِيهِمْ وَآخِرِهِمْ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١]، كَمَا كَانَتْ
وَصِيَّةُ رُسُلِ اللَّهِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِأَقْوَامِهِمْ، فَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ
عَنْ كُلِّ مِنْهُمْ قَوْلُهُ لِقَوْمِهِ: ﴿ أَلَا نُنَقِّنُ ﴾ (١٠٦) ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾
[الشعراء].

وَفِي مَشْكَاتِ السُّنَنِ الْعَطْرَةِ قَالَ ﷺ - حِينَ سُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ
النَّاسَ الْجَنَّةَ - قَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (١)،

(١) برقم (٢٠٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَفِي وَصِيَّتِهِ لِأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ»، أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ^(١).

وَقَدْ جَاءَتْ سُنَّةُ الْمُتَّقِينَ بِالْحُضِّ عَلَيْهَا، وَحَثَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّحَلِّيِ بِهَا، وَكَثِيرًا مَا يَسْتَفْتِحُ صلى الله عليه وسلم خُطْبَهُ وَوَصَايَاهُ لِبُعُوثِهِ وَسَرَايَاهُ، بِالرَّغِيبِ فِي تَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالتَّحَلُّقِ بِهَا، وَيَا نِعْمَتِ الْوَصِيَّةِ تِلْكَ!!

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ - أُمَّةُ التَّقْوَى -: لَيْسَتْ التَّقْوَى بِالتَّسْمِيِ أَوْ التَّمْنِيِ، وَلَكِنْ هُنَاكَ صِفَاتٌ وَعَلَامَاتٌ جَاءَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم لِأَهْلِ التَّقْوَى؛ فَمِنْهَا: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْقِيَامُ بِأَرْكَانِهِ، وَتَطْبِيقُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَالتَّحَلِّيِ بِآدَابِهِ: مِنَ الْبَذْلِ وَالْإِنْفَاقِ، وَكُظْمِ الْغَيْظِ وَالْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ، وَذِكْرِ اللَّهِ، وَالِاسْتِغْفَارِ، وَعَدَمِ الْإِضْرَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَالصَّبْرِ وَالْعَدْلِ وَالصِّدْقِ، وَتَعْظِيمِ شَعَائِرِ اللَّهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم.

فَشَأْنُ التَّقْوَى، شَأْنُ الْمُصْبِحِ الْمُنِيرِ، الَّذِي يُضِيءُ أَقْطَارَ نَفْسِ الْمُسْلِمِ فِي الْعِبَادَةِ الْخَاشِعَةِ، وَالْمُعَامَلَةِ الصَّادِقَةِ الْوَادِعَةِ، وَالشُّمُولِ الْوَاعِي فِي حَيَاةِ الْمُؤْمِنِ.

(١) فِي «الْمُسْنَدِ» (٣/٨٢).

تلك نماذج من صفات المتقين وخصائصهم الحميدة، التي تمسك بها المسلمون في العصور المباركة؛ فحقق الله على أيديهم صلاح البلاد والعباد. وحينما يطالع المسلم هذه الحقائق والصفات، يظن نفسه يسرح في عالم الخيال، أو يخلق في أفق من المثالية البعيدة المنال، لاسيما إذا ما التفت بالمقابل إلى واقع المسلمين اليوم، واقعهم المرير في تحقيق هذه المعاني السامية، والصفات العالية، والمناقب الغالية التي أوشكت بهذا المفهوم - أن تكون مفقودة في حياة الناس اليوم، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وَاتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهُ مَا جَاوَرَتْ قَلْبَ امْرِئٍ إِلَّا وَصَلَ
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرُقًا بَطَلًا إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ الْبَطْلُ^(١)

يَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: يَا مَنْ يُرِيدُونَ سُلوكَ سَبِيلِ التَّقْوَى، إِنَّهُ لَا طَرِيقَ لِلتَّقْوَى، إِلَّا بِسُلوِكَ سُنَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالسَّيْرِ عَلَى مَا سَارَ عَلَيْهِ سَلَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ. إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - تَقْتَضِي تَحْقِيقَ التَّوْحِيدِ وَتَضْحِيحَ الْعَقِيدَةِ، فَلَا شِرْكَ وَلَا وَثْنَةَ وَلَا بَدْعَةَ، لَا قَتْلَ وَلَا زِنَا، لَا سَرِقَةَ وَلَا رَبَا، لَا هَوَاً وَلَا خَنَا، لَا مَعَاصِيَّ وَلَا رَدَى، فَأَيْنَ حَقِيقَةُ

(١) يُنظر: «لامية ابن الوردي» بشرح مسعود القناوي (ص ٣٥، ٣٦).

التَّقْوَى مِمَّنْ أَعْرَضُوا عَنِ الطَّاعَاتِ، وَازْتَكَبُوا الْمُحَرَّمَاتِ، وَبَارَزُوا اللَّهَ
بِالْمَعَاصِي وَالْحَطِيبَاتِ؟

فَلتَتَّقِ اللَّهَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - فِي سُؤُونَ دُنْيَانَا وَأُخْرَانَا، فَلتَتَّقِ اللَّهَ
كُلَّ مَنَّا فِي نَفْسِهِ وَمَنْ تَحْتَ يَدِهِ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَفِي أَسْرِكُمْ
وَأَهْلِيكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ. إِنَّهُ لَا صَلاَحَ لِأَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا
بِتَحْقِيقِ تَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - إِنَّ مُشْكَلاتِ الأُمَّةِ الَّتِي اسْتَعْصَى
عِلاجُها، وَتَأَزَّم أمرُها، سَتَجِدُ الحَلَّ النَّاجِعَ، وَالشِّفاءَ العَاجِلَ، إِذا حَقَّقَ
أهلُها وَأَبناؤُها تَقْوَى اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَتِلْكَ هِيَ العَاقِبَةُ المَحْمُودَةُ المُشْرِقةُ، الَّتِي قَرَرَتِها الأَياتُ القُرْآنِيَّةُ:

﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه]، ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف].

إِنَّ ما أَصابَ الأُمَّمَ المُعاصِرَةَ، وَالدُّوُلَ المُجاوِرَةَ مِنْ بَلاءٍ وَشَرٍّ،
وَحُرُوبٍ وَفِتَنِ، وَمَجاعَاتٍ وَأَمراضٍ، إِنَّما هُوَ جِزاءٌ مِنْ أَعْرَضَ عَنْ
تَقْوَى اللَّهِ، وَوَقَعَ فِيها حَرَمَ اللَّهِ، وَقَد قالَ أَصْدَقُ القائِلِينَ: ﴿ وَلَوْ

أَنَّ أَهْلَ القُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقُوا لَفَنَحْنُ عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ

وَلَكِنْ كَذَبُوا فَأَخَذَتْهُم بِما كانوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف].

فَهَلْ مِنْ رَجْعَةٍ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - إِلى تَحْقِيقِ التَّقْوَى؟ هَلْ مِنْ يَقْظَةٍ

- يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - تُبَيِّنُ أَنَّ أَمْرًا عَصَرْنَا مِنْ وَقَعِ نُفُوسِنَا، وَإِغْفَالِ قُلُوبِنَا مِنْ تَقْوَى اللَّهِ؟ يَا أَيُّهَا الشَّبَابُ الْمُعْرِضُ عَنْ صَلَاحِ قَلْبِهِ وَتَقْوَى رَبِّهِ، هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ؟ هَلْ مِنْ عَوْدَةٍ يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى تَحْقِيقِ تَقْوَى اللَّهِ بِالتَّزَامِ شَرَعَ اللَّهُ فِي الْعَفَافِ وَالسِّتْرِ وَالْحِجَابِ؟ وَعَدَمِ الْإِنْسِيَاقِ وَرَاءَ الدَّعَوَاتِ الْأَفَاكَةِ، الَّتِي تُرْدِي بِكُنَّ فِي التَّبَابِ (١). إِنَّهُ لِيَجْدُرُ بِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ أَلَّا تَتَرَدَّدَ قَيْدَ مَيْلٍ فِي الْأَخْذِ بِهَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، وَالْخَيْرِ الْعَمِيمِ، فَتَتَوَارَدَ عَلَى قُلُوبِ عَامِرَةٍ بِالْيَقِينِ، عَامِرَةٍ بِالتَّقْوَى، وَإِنَّهَا لِفَاعِلَةٌ ذَلِكَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ.

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيلَ التَّقْوَى، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُتَّقِينَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى، اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، فَهُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ.

(١) سبق بيان معناها (ص ١٦).

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، الْفَرْدِ الصَّمَدِ، أَحْمَدُهُ حَمْدًا لَا يُحَدُّ،
وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا لَا يُعَدُّ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلتَّقْوَى ثَمَرَاتٍ مُبَارَكَةً،
وَأَثَارًا عَظِيمَةً، تَعُودُ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ وَالْأُمَّةِ بِخَيْرِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ، فَمِنْ ثَمَرَاتِهَا: الْعِزَّةُ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَيَعْلَمِكُمْ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وَالْفَلَاحُ: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وَمَحَبَّتُهُ - تَعَالَى - وَمَعِيَّتُهُ وَوِلَايَتُهُ: ﴿ فَإِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ٧٦]، ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ
﴾ [البقرة: ١٩٤]، ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الجمانية: ١٩]، وَالْفَرْقَانُ بَيْنَ
الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٩]، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ [٢] وَيَرْزُقْهُ

مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿ [الطلاق]، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا

﴿ ٤ ﴾ [الطلاق].

وَجَمَاعُ الْقَوْلِ: أَنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَضْمَنُ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ ﴿ [القمر]، لَهُمْ فِيهَا: «مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»^(١).

أَفَلَا يَكُونُ ذَلِكَ حَافِزًا لِأَصْحَابِ الْهَمَمِ الْقَعَسَاءِ^(٢)، وَمَهْوَى لِأَهْلِ الذُّنُوبِ وَالْأَسْوَاءِ: أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ. جَلَّ فِي عُلَاهُ. فَيَسِيرُوا عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، وَبَصِيرَةٍ مِنْ هُدَاهُ، وَكَفَى بِتَقْوَاهُ فِي الْخَيْرِ وَالْبِرِّ مَرْقَاةً، وَلِلْإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ عِصْمَةً وَمَنْجَاةً.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقُدُورَةِ الْمُتَّقِينَ، كَمَا أَمَرَكُمُ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ، فِي الْقَوْلِ الْمُبِينِ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].

(١) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢) سبق بيان معناها (ص ٢١٥).

﴿ أَفْرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَلْزَمَنَا سَبِيلَ الْحَقِّ وَاهْتَدَى، وَجَنَّبَنَا أَسْبَابَ الشَّرِّ
وَالرَّدَى، أَمَّهْدُهُ - تَعَالَى - وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، حَذَرْنَا مِنْ اتِّبَاعِ الْهَوَى، وَهَوَى
بِصَاحِبِ الْهَوَى حَتَّى غَوَى، فُسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ عَظِيمٍ، وَمَوْلَى كَرِيمٍ،
وَرَبِّ رَحِيمٍ، عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى!! وَأَشْهَدُ أَنْ نَبِيْنَا وَحَبِيبْنَا مُحَمَّدًا
عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، النَّبِيُّ الْمُجْتَبَى، وَالرَّسُولُ الْمُصْطَفَى، بَلَّغَ رِسَالَةَ اللَّهِ
فَمَا ضَلَّ وَمَا غَوَى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۚ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾
[النجم]. صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الشُّرَفَاءِ، وَأَصْحَابِهِ
النُّجَبَاءِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَافْتَنَى.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَى اللَّهِ، فَتَقْوَى اللَّهِ سَبَبٌ لِلْهُدَى،
وَأَمَانٌ مِنَ الرَّدَى، مَنْ اتَّقَى اللَّهَ حَقَّ التَّقْوَى؛ جَعَلَهُ رَقِيبَهُ فِي السَّرِّ
وَالنَّجْوَى، وَفِيمَا يَأْتِي وَيَذُرُّ، وَيَلْفِظُ وَيَهْوَى.

عِبَادَ اللَّهِ: دَاءٌ لَا كَالْأَذْوَاءِ، وَمَرَضٌ شَدِيدُ الْفَتْكِ وَالْبَلَاءِ،
 مَرَضٌ خَطِيرٌ، وَدَاءٌ كَبِيرٌ، وَشَرٌّ مُسْتَطِيرٌ، مَا تَحَكَّمَ فِي فَرْدٍ إِلَّا أَشَقَاهُ
 وَأَضَلَّهُ، وَلَا فِي مُجْتَمَعٍ إِلَّا شَتَّتَهُ وَأَزَلَّهُ، كَمَّ صَدَّ عَنِ الْحَقِّ، وَكَمَّ أَضَلَّ
 مِنَ الْخَلْقِ، وَكَمَّ أَفَاتَ مِنْ فَضِيلَةٍ، وَأَوْقَعَ فِي رَذِيلَةٍ!! مَتَى وَقَعَ فِي
 الْقَلْبِ؛ وَرَثَتُهُ الظُّلْمَةُ وَالْقَسْوَةُ وَالثَّلْبُ^(١)، بَلْ إِنَّ صَاحِبَهُ مُشَبَّهُ فِي مُحْكَمِ
 الْكِتَابِ بِالْكَلْبِ: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَكَلَّمَهُ
 كَمَا كَلَّمَ الْكَلْبَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

ذَلِكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - هُوَ: دَاءُ الْهُوَى.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ: الْهُوَى فِي أَصْلِهِ: مَيْلُ الطَّبَعِ إِلَى مَا
 يُلَائِمُهُ، وَأَنْسِيَاقُ النَّفْسِ إِلَى مَا تَشْتَهِي حِسًّا وَمَعْنَى، وَالْإِنْسَانُ بِطَبْعِهِ
 يَهْوَى وَلَا يَبُدُّ، لَكِنَّهُ مُطَالِبٌ أَنْ يَكُونَ هَوَاهُ عَلَى وَفْقِ شَرَعِ اللَّهِ، وَعَلَى
 مُقْتَضَى حُدُودِ اللَّهِ، فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ
 - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ
 هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»^(٢).

(١) الثَّلْبُ: شِدَّةُ اللَّوْمِ. يُنْظَرُ: «اللسان» (ثلب).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٢/١)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن» =

وَلَمَّا كَانَ الْهُوَىٰ - فِي الْغَالِبِ - يَجْنَحُ بِصَاحِبِهِ، وَيُودِي بِهِ إِلَى الْهُوَىٰ؛
 جَاءَتِ النَّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ بِذَمِّهِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ، وَبَيَانَ سُوءِ عَاقِبَتِهِ فِي
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنَّ الْعَاقِبَةَ الْحَمِيدَةَ لِمَنْ كَبَحَ جِهَاحَ هَوَاهُ، وَأَمْسَكَ
 بِلِجَامِ مِيلِهِ وَمُسْتَهَاهُ، وَضَبَطَهُ بِضَوَابِطِ النُّقْلِ الصَّحِيحِ، وَالْعَقْلِ السَّلِيمِ
 الصَّرِيحِ ﴿٤٠﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهُوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ
 هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤٠﴾ [النازعات].

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: الْهُوَىٰ مَا خَالَطَ أَمْرًا إِلَّا أَفْسَدَهُ، وَلَا قَارَنَ سَيِّئًا
 إِلَّا أَكْسَدَهُ، كَمَ أَفْسَدَ مِنْ عَقِيدَةٍ، وَكَمَ أَبْطَلَ مِنْ عِبَادَةٍ، وَكَمَ أَغْشَىٰ
 بَصْرًا وَأَظْلَمَ فِكْرًا، وَكَمَ أَوْرَثَ ذَمًّا وَأَجْلَبَ عَمًّا، وَأَعْقَبَ ذَلِكَ ذُلًّا
 وَأَلْزَمَ عَارًا، وَسَبَّبَ دَمَارًا وَأَتْبَعَ شَنَاْرًا^(١)، وَأَصْلَىٰ نَارًا!! قَالَ عَبْدُ اللَّهِ
 ابْنُ الْمُبَارَكِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

= الكبرى» (١/١٨٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/٣٦٨)، وصححه
 النووي في «الأربعين النووية»، وتعقبه الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم
 والحكم» (ص ٣٨٧، ٣٨٨)، وقال: «الحديث لا يصح». وقال الشيخ محمد بن
 صالح العثيمين - رحمه الله - في «شرح الأربعين النووية» (٤٢٦): «لكن معنى
 الحديث - بغض النظر عن إسناده - صحيح».

(١) الشَنَاْرُ: أقبح العيب والعار. يُنظر: «السان» (شتر).

وَمِنَ الْبَلَاءِ وَاللِّبَاءِ عِلْمَةٌ أَلَّا يُرَىٰ لَكَ عَنْ هَوَاكَ نُزُوعُ
 الْعَبْدِ عَبْدَ النَّفْسِ فِي شَهَوَاتِهَا وَالْحُرِّ يَشْبَعُ تَارَةً وَيَجُوعُ^(١)
 أَيْهَا الْأَحِبَّةُ: إِنَّ صَاحِبَ الْهَوَىٰ يُلْقِي نَفْسَهُ فِي الْمَهَالِكِ، وَيَرْمِي
 بِهَا فِي أَسْوَى الْمَدَارِكِ، وَلَوْ زَالَ عَنْهُ رَيْنٌ^(٢) الْهَوَىٰ؛ لَعَلِمَ أَنَّهُ شَقِيٌّ مِنْ
 حَيْثُ قَدَّرَ السَّعَادَةَ، وَاعْتَمَّ مِنْ حَيْثُ ظَنَّ الْفَرَحَ، وَتَأَلَّمَ مِنْ حَيْثُ أَرَادَ
 اللَّذَّةَ، فَهُوَ كَالطَّائِرِ الْمَخْدُوعِ بِحَبَّةِ الْقَمَحِ فِي الْفَخِّ، لَا هُوَ نَالَ الْحَبَّةَ،
 وَلَا هُوَ تَخَلَّصَ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ، وَقَدْ قِيلَ: «الْهَوَىٰ كَمِينٌ لَا يُؤْمَنُ»^(٣)، وَقَالَ
 الشَّعْبِيُّ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْهَوَىٰ؛ لِأَنَّهُ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ»^(٤)، وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ:
 «الْهَوَىٰ يَسْرِي بِصَاحِبِهِ فِي فُنُونٍ، وَيُخْرِجُهُ مِنْ دَائِرَةِ الْعَقْلِ إِلَى دَائِرَةِ
 الْجُنُونِ»^(٥).

-
- (١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٦٨/٣٢)، وأبو طاهر الأصفهاني في
 «معجم السفر» (ص ٢٢٨).
 (٢) الرَيْنُ: الغطاء، وكُلُّ ما غَطَّى شيئاً فقد ران عليه. يُنظر: «اللسان» (رين).
 (٣) يُنظر: «روضة المحبين» (ص ٤٦٩).
 (٤) أخرجه الدارمي في «سننه» (١/١٢٠).
 (٥) يُنظر: «ذم الهوى» (ص ١٦).

إِنَّ الْهَوَانَ هُوَ الْهَوَىٰ قَلْبَ اسْمُهُ فَإِذَا هَوَيْتَ فَقَدْ لَقَيْتَ هَوَانًا^(١)
 وَصَاحِبُ الْعَقْلِ السَّيِّدِ، وَالرَّأْيِ الرَّشِيدِ، يَأْتِفُ لِنَفْسِهِ مِنْ ذُلِّ
 طَاعَةِ الْهَوَىٰ، وَيَسْعَىٰ إِلَى التَّخْلِصِ مِنْ سُلْطَانِهِ، وَالتَّحَرُّرِ مِنْ رِبْقَةٍ^(٢)
 شَيْطَانِيَّةٍ . وَأَسْفَهُ النَّاسِ رَأْيَا، وَأَنْقَضُهُمْ عَقْلًا، وَأَقْلَهُمْ مُرُوءَةً؛ مَنْ
 أَسْلَسَ قِيَادَهُ هَوَاهُ، فَعَدَا بِهِ يَقُولُ، وَبِهِ يَصُورُ وَيَجُولُ، وَعَلَىٰ ضَوْئِهِ يَثْبُتُ
 أَوْ يَجُولُ، مَنْ أَجْلِهَ يُوَالِي، وَمَنْ أَجْلِهَ يُعَادِي، وَعَلَىٰ إِيْعَارِهِ يُحِبُّ
 وَيُبْغِضُ. يَزِنُ النَّاسَ، وَيَحْكُمُ عَلَى الرَّجَالِ، وَيَقْيِسُ أَقْدَارَ الْفَضْلَاءِ مِنْ
 خِلَالِ هَوَاهُ النَّزِقِ، وَرَأْيِهِ الْمَدْخُولِ، وَفِكْرِهِ الضَّيِّقِ.

وَأَفَةُ الْعَقْلِ الْهَوَىٰ فَمَنْ عَلَا عَلَىٰ هَوَاهُ عَقْلُهُ فَقَدْ نَجَا^(٣)
 يَقُولُ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه: «المرءة: ترك اللذة، وعصيان الهوى»^(٤).

(١) يُنظر: «ذم الهوى» (ص ٣٣).

(٢) الرِّبْقُ: حبل فيه عدة عُرى، تُشد به البُهم، والواحدة من العرى: رِبْقَةٌ. يُنظر:
 «مختار الصحاح» (ربق).

(٣) البيت لمحمد بن الحسين بن دريد. يُنظر: «مفاتيح المقصورة» (ص ١٢٦)، و«العقد
 الفريد» (٢/١٠٥).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العقل وفضله» (ص ٧٠)، وابن عساكر في «تاريخ
 دمشق» (٥٩/٢٠١)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص ٢٢).

أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْهُوَى! فَكَمْ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ فِي الْأَثَامِ، وَيُوقِعُهُ فِي
 الْحَرَامِ وَالْإِجْرَامِ!! مَا أخطرُهُ مِنْ آفَةٍ، وَمَا أَشنعُهُ مِنْ دَاءٍ، وَمَا أَعظمُهُ
 مِنْ بَلَاءٍ!! يَقْلِبُ الْخَيْرَ شَرًّا، وَالْحَقَّ بَاطِلًا، وَالشَّرَّكَ تَوْحِيدًا، وَالسُّنَّةَ
 بَدْعَةً، وَالْبِدْعَةَ سُنَّةً، وَالْعَدْلَ جَوْرًا. وَيُرِيكَ السَّلِيمَ وَهُوَ سَقِيمٌ، وَفِي
 الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ» ^(١).

وَأَجَلٌ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ
 هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾ ^(٤٣) [الفرقان]، ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ
 إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ
 عِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ^(٢٣) [الجاثية].

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «هُوَ الْمُنَافِقُ لَا يَهْوَى شَيْئًا إِلَّا رَكِبَهُ» ^(٢)، وَقَالَ
 رَجُلٌ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟
 قَالَ: «جِهَادُكَ هَوَاكَ» ^(٣).

(١) أخرجه أبو داود (٥١٣٠)، وأحمد في «المسند» (١٩٤/٥).

(٢) أخرجه الفريابي في «صفة المنافق» (ص ٦٠)، وابن الجوزي في «ذم الهوى»
 (ص ١٧).

(٣) أخرجه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص ٢٣).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «جِهَادُ النَّفْسِ وَالْهَوَىٰ
أَصْلُ جِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ جِهَادِهِمْ حَتَّىٰ يُجَاهِدَ
نَفْسَهُ وَهَوَاهُ، حَتَّىٰ يُخْرِجَ إِلَيْهِمْ»^(١).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «اتَّبَاعُ الْهَوَىٰ يُغْلِقُ عَنِ الْعَبْدِ أَبْوَابَ
التَّوْفِيقِ، وَيَفْتَحُ عَلَيْهِ أَبْوَابَ الْخُذْلَانِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ»^(٢)، وَقَالَ أَيْضًا:
«إِنَّ أَصْلَ الْعِدَاوَةِ وَالشَّرِّ وَالْحَسَدِ بَيْنَ النَّاسِ، مِنْ اتِّبَاعِ الْهَوَىٰ، فَمَنْ
خَالَفَ هَوَاهُ أَرَاخَ قَلْبُهُ وَبَدَنَهُ وَجَوَارِحَهُ، فَأَرَاخَ وَاسْتَرَاخَ»^(٣).

وَقَدْ أَخْرَجَ الْبَزَّازُ^(٤) وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ»^(٥) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: «ثَلَاثُ
مُهْلِكَاتٍ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوَىٰ مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابٌ كُلُّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ».
وَقَدْ كَانَ الْهَوَىٰ شِعَارَ الْكُفَّارِ، وَدَثَارَ الظُّلْمَةِ الْفُجَّارِ، يَقُولُ

- سُبْحَانَهُ - عَنْهُمْ: ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد]، وَيَقُولُ - جَلَّ وَعَلَا -:

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الروم: ٢٩]، وَقَالَ - سُبْحَانَهُ -:

(١) عزاه له ابن القيم في «روضة المحبين» (ص ٤٧٨).

(٢) يُنظر: «روضة المحبين» (ص ٤٧٩).

(٣) يُنظر: «روضة المحبين» (ص ٤٨٢).

(٤) في «مسنده» (٨/ ٢٩٥).

(٥) (٢/ ١٦٠).

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا إِنَّا بِنِعْمَتِ رَبِّنَا عَلَيْنَا لَآتَيْنَاهُمُ الْغُرُوبَ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيًا يُبْغِي عَنْ أُمَّةٍ قَدِ افْتَرَيْنَاهَا لَكُنَّ أَهْلًا لَهَا فَسُحَّتْ لَهَا بِالْإِسْلَامِ غُرُوبًا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ [القصص: ٥٠]، ﴿ وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [٢٨] [الكهف]، ﴿ وَإِنْ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١١٩].

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه: «مَا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ إِلَهٌ يُعْبَدُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ هَوَى مُتَّبَعٍ»^(١)، وَقَدْ خَافَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله عَلَى أُمَّتِهِ، لِمَا فِيهِ مِنَ الشَّرِّ الْمَكِينِ عَلَى دِينِهَا وَدُنْيَاهَا، يَقُولُ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «إِذَا أَصْبَحَ الرَّجُلُ اجْتَمَعَ هَوَاهُ وَعَمَلُهُ، فَإِنْ كَانَ عَمَلُهُ تَبَعًا لِهَوَاهُ؛ فَيَوْمُهُ يَوْمٌ سَوْءٍ، وَإِنْ كَانَ هَوَاهُ تَبَعًا لِعَمَلِهِ؛ فَيَوْمُهُ يَوْمٌ خَيْرٍ، وَبِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ هَمَّهُ وَهَوَاهُ»^(٢)، وَقِيلَ لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ: بِمَ نَلْتَ مَا نَلْتَ؟ قَالَ: «بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَعِصْيَانِ الْهَوَى»^(٣).

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: لَا يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى الْوُقُوعِ فِي الْمَعَاصِي إِلَّا الْهَوَى،

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٥٠٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١١٨/٦).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص ٢٢).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العقل وفضله» (ص ٧٠).

وَأَخْطَرُ الْهُوَىٰ مَا كَانَ فِي قَضَايَا الْإِعْتِقَادِ، وَأَبْوَابِ أُصُولِ الدِّينِ؛
فَالْكَفْرُ وَالْإِلْحَادُ وَالشُّرْكُ، وَالْخُرَافَةُ وَالْبِدْعُ وَالْمُحَدَّثَاتُ، وَالْتَعْطِيلُ
وَالْتَأْوِيلُ، وَالْخُرُوجُ عَلَى الْوَلَاةِ، كُلُّ ذَلِكَ سَبَبُهُ الْهُوَى؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ
الْمُبْتَدِعَةُ: أَهْلَ الْأَهْوَاءِ.

وَالَّذِينَ يُعْطِلُونَ الْحُكْمَ بِالشَّرِيعَةِ، وَيَحْكُمُونَ بِالْجَوْرِ وَالظُّلْمِ، إِنَّمَا
دَفَعَهُمْ إِلَى ذَلِكَ الْهُوَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ
الْأَمْرِ فَاتَّبَعَهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية]،
﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٨]،
وَأَوْلَى النَّاسِ بِمُجَانِبَةِ الْهُوَى: الْوَلَاةُ وَالْحُكَامُ؛ عَدْلًا فِي الرَّعِيَّةِ، وَحُكْمًا
بِالسُّوِيَّةِ، يَقُولُ - تَعَالَى -: ﴿يَنذُرُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم
بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهُوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن
سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ [ص].

وَالْعُلَمَاءُ وَالْمُفْتُونَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يُحَازِرُوا الْهُوَى، فَلَا يُحِلُّوا حَرَامًا
وَلَا يُحَرِّمُوا حَلَالًا، وَالْقَضَاةُ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ فِي دِمَاءِ النَّاسِ وَأَمْوَالِهِمْ
وَأَعْرَاضِهِمْ، يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ، فَلَا يَحْمِلُهُمُ الْهُوَى عَلَى
الْجَوْرِ فِي الْأَحْكَامِ، وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ فِي الْقَضَايَا. وَالْمُوظَّفُونَ

وَالْمَسْئُولُونَ عَنْ قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ فِي أُمُورِهِمُ الْمَالِيَّةِ وَالْإِدَارِيَّةِ، يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ، وَيُنْصِفُوا النَّاسَ، فَلَا يُقَدِّمُوا غِنَا لِنَفْسِهِ، وَلَا وَجِيهًا لِجَاهِهِ، وَيَحْرِمُوا الضُّعَفَاءَ، فَيَقْدَمُوا مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّأْخِيرَ، وَيُؤَخِّرُوا مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّقْدِيمَ، وَيَحْلُلُوا مِقْيَاسَ الْهَوَىٰ مَحَلَّ الْكِفَاءَةِ وَالْأَمَانَةِ وَالذِّيَانَةِ.

وَالْهَوَىٰ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - هُوَ الَّذِي آلَ بِالْأُمَّةِ إِلَى الْأَوْضَاعِ الْمَأْسُورِيَّةِ، وَالْخِلَافَاتِ الْجَانِبِيَّةِ، وَآلَ بِالْعَالَمِ إِلَى سِيَاسَاتٍ ثَعْلَبِيَّةٍ: تُضَيِّعُ الْحُقُوقَ، وَتَعْبَثُ بِالْمُضْطَلَّحَاتِ، وَتُسَيِّرُ الشُّعُوبَ عَلَى أَهْوَاءِ أَعْدَاءِ الْأُمَّةِ، وَتَجْعَلُ مِنْ عَدُوِّ الْأَمْسِ صَدِيقَ الْيَوْمِ.

وَالْمُسْتَقْرَى لِلتَّارِيخِ، يَجِدُ أَنَّهُ مَا حَلَّ بِالْأُمَّةِ - بَعْدَ الْقُرُونِ الْمُفْضَلَةِ - وَمَا أَصَابَهَا مِنْ فِتْنٍ وَمِحْنٍ إِلَّا وَالْهَوَىٰ سَبَبُهَا، فَتَفَرَّقَتِ الْأُمَّةُ شَيْعًا وَأَحْزَابًا، يُضَلُّ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيَقْتُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَالْيَوْمَ تَعِيشُ الْأُمَّةُ فِي زَمَانٍ قَدْ ضَرَبَ الْهَوَىٰ فِيهِ أَطْنَابَهُ^(١)، وَدَكَ مَنِيْعَ التَّجَرُّدِ وَأَصَابَهُ، فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا نَرَىٰ وَنُشَاهِدُ، مِنْ اتِّبَاعِ لِلْأَهْوَاءِ، وَإِعْجَابِ بِالْأَرَءَاءِ! مِنْ أَجْلِهَا يَكُونُ الْوَلَاءُ وَالْبِرَاءُ، وَالْحُبُّ وَالْعِدَاءُ،

(١) الْأَطْنَابُ: جَمْعُ طَنْبٍ: وَهُوَ حَبْلٌ طَوِيلٌ. يُنْظَرُ: «اللسان» (طنب).

وَالْمَنْعُ وَالْعَطَاءُ. وَكَمْ يَقْبُحُ ذَلِكَ حِينَمَا يَكُونُ فِي صُفُوفِ طَلَبَةِ الْعِلْمِ،
وَالْمُتَسَبِّبِينَ إِلَى الْخَيْرِ وَالِدَعْوَةَ وَالْإِصْلَاحَ!! فَيَقْيَسُ بَعْضُهُمْ بِمِقْيَاسِ
جَائِرٍ، وَيَزِنُ بِمِيزَانِ طَائِشٍ، يَتَّهَمُ النَّوَايَا، وَيُسِيءُ تَأْوِيلَ الْمَقَاصِدِ،
وَيَحْكُمُ بِالْفَهْمِ الْمَجْرَدِ عَلَى مَا يَقْرَأُ وَيَسْمَعُ، وَيَحْمَلُ الْأَلْفَاظَ مَا لَا
تَحْتَمِلُ.

إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ الْعِلْمُ خَيْرًا فَخَيْرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهَلْتَا
وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهْمُكَ فِي مَهَاوٍ فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهَمْتَا^(١)
حَتَّى شُوِّهَتْ صُورَةٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْخَيْرِ فِي الْأُمَّةِ، وَنُظِرَ
إِلَيْهِمْ بِمِنْظَارِ الْهُوَى؛ تَضَخِيمًا لِلْهَنَاتِ^(٢)، وَتَبَعًا لِلْعَثَرَاتِ، وَجَحْدًا
لِلْحَسَنَاتِ، وَغِيبَةً وَحَزَازَاتٍ، وَفُرْقَةً وَخِلَافَاتٍ، وَمَا تِلْكَ إِلَّا بِضَاعَةٌ
الْعَاطِلِينَ الْفَارِغِينَ، وَإِلَّا فَأَهْلُ الْخَيْرِ وَالْحِصَافَةِ^(٣) وَالْمُرُوءَةِ، وَالْعَقْلِ
وَالْكِيَاسَةِ، لَا يَسْلُكُونَ هَذِهِ الْمَسَالِكَ، بَلْ يَلْتَمِسُونَ الْمَعَاذِيرَ، وَيَحْمِلُونَ

(١) الأبيات لأبي إسحاق الإلبيري. يُنظر: «ديوانه» (ص ٢٧).

(٢) الهنات: الخصلة السيئة، وقيل: ما يُسبِّحُ ذِكْرُهُ وَقِيلَ: الشُّرُورُ وَالْفَسَادُ، وَفِي
حَدِيثِ عَرَفْجَةَ رضي الله عنه: «ستكون هناة وهناة»، أي: شذائد وأمور عظام. يُنظر: «تاج
العروس» (هنو).

(٣) الحِصَافَةُ: رَجَاحَةُ الْعَقْلِ وَحِكْمَتُهُ. يُنظر: «اللسان» (حصف).

أَهْلَ الْخَيْرِ عَلَى أَحْسَنِ الْمَحَامِلِ، وَيَذَرُونَ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ، فَلَا يُوْغِرُونَ
 الصُّدُورَ، وَلَا يَبْثُونَ الْفُرْقَةَ وَالْفِتْنَةَ وَالشُّرُورَ، وَلَا يَتَحَزَّبُونَ لِمَذْهَبٍ،
 وَلَا يَتَعَصَّبُونَ لِمَشْرَبٍ. أَيْنَ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ؟! وَأَيْنَ الْعِلْمُ
 وَتَحْقِيقُ الْمَتَابَعَةِ وَالْبَصِيرَةُ؟! وَأَيْنَ الْفِقْهُ فِي مَسَائِلِ الْاجْتِهَادِ؟!
 وَأَيْنَ الرَّحَابَةُ فِي قَبُولِ وَجْهَةِ النَّظَرِ الْأُخْرَى؟! بَلْ أَيْنَ الْعَدْلُ
 وَالْإِنْصَافُ؟ ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْتُمْ أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ
 اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٥]، ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ
 قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [المائدة: ٨].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: إِنَّهُ لَا مُخْلَصَ مِنْ دَاءِ الْهَوَىٰ، إِلَّا دَوَاءُ الْعِلْمِ
 وَالْإِيمَانِ وَالْهُدَىٰ، وَالرُّجُوعِ إِلَىٰ أَهْلِ الْعِلْمِ النَّبَلَاءِ، وَذَوِي التَّمَرُّسِ
 الْمَسْئُولِ وَالْبَصِيرَةِ، وَتَأْلِيفِ الْقُلُوبِ عَلَىٰ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُلَمَاءِ
 الرَّبَّانِيِّينَ الْمُتَجَرِّدِينَ، وَالْحَذَرَ مِنْ مَصَايِدِ الشَّيَاطِينِ، يَتْلُو ذَلِكَ: الْعَزِيمَةُ
 وَالصَّبْرُ، وَقُوَّةُ النَّفْسِ، وَمَعْرِفَةُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَسَلَامَةُ الصُّدُورِ لِأَهْلِ
 الْإِسْلَامِ كُلِّهِمْ، فِي مَنْأَىٰ عَنِ الْحَزْبِيَّةِ الضَّيِّقَةِ الْبَغِيضَةِ، وَالْعَصْبِيَّةِ
 الْمَحْدُودَةِ لِرَأْيٍ وَجَمَاعَةٍ، وَالْوَلَاءِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ
 وَعَامَّتِهِمْ، وَلَا عَمَّا قَائِمًا عَلَىٰ الْحُبِّ وَالْإِنْصَافِ، وَالْبُعْدِ عَنِ التَّعَصُّبِ

الْمَقِيَّتِ، وَالتَّحَرُّبِ الْمُتَلَاَفِ.

وَتَعَرَّ مِنْ ثَوْبَيْنِ مَنْ يَلْبَسُهُمَا يَلْقَ الرَّدَى بِمَذْمَةٍ وَهَوَانٍ
ثَوْبٌ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرْكَبِ فَوْقَهُ ثَوْبُ التَّعَصُّبِ بِئْسَ ذَا الثَّوْبَانِ
وَمَحَلٌّ بِالْإِنْصَافِ أَفْخَرَ حُلَّةٍ زِينَتٌ بِهِ الْأَعْطَافُ وَالْكِتْفَانِ^(١)
وَالْعَاقِلُ مِنَ الرَّجَالِ، مَنْ يَقَابِلُ الْإِسَاءَةَ بِالْإِحْسَانِ، وَالْجَهْلُ
وَالْأَذَى، بِالصَّنْحِ وَالْحِلْمِ وَالْغُفْرَانِ، وَلَا يُقَابِلُ مَنْ عَصَى اللَّهَ فِيهِ،
بِأَكْثَرِ مَنْ أَنْ يُطِيعَهُ فِيهِ، وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ!
نَسَأَلُ اللَّهَ - تَعَالَى - بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَى، أَنْ يَسَلِّكَ بِنَا
سَبِيلَ الْهُدَى، وَيُعِيدَنَا مِنْ شَرِّ الْهُوَى، وَمِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ
وَالْأَخْلَاقِ، وَالْأَهْوَاءِ وَالْأَدْوَاءِ، وَأَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَنَا مِنَ الْغِلِّ وَالْحِقْدِ
وَالْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ، وَأَنْ يَجْمَعَهَا عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ،
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) يُنظَرُ: «الْقَصِيدَةُ النُّونِيَّةُ» بِشْرَحِ ابْنِ عَيْسَى (١/١٢٤).

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، لَهُ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَهُ الْخَلْقُ كُلُّهُ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ،
عَلَانِيَتُهُ وَسِرُّهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ
أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، مَشَاعِلِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَمَنْ يَدْعُوْتِهِمْ دَعَا،
وَبِطَرِيقَتِهِمْ اهْتَدَى، وَلِمَنْ هَجِهِمْ اقْتَفَى.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى

اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: إِنَّ مَا تُعَايِنُهُ الْأُمَّةُ مِنْ مُشْكَلَاتٍ، وَمَا
يُقَرِّحُهَا مِنْ أَزْمَاتٍ وَمُعْضَلَاتٍ، فَإِنَّمَا مَرَدُّهُ الْهُوَى، خُذُوا - عَلَى سَبِيلِ
الْمَثَالِ - الْجَانِبَ الْمُتَعَلِّقَ بِالْأُسْرَةِ: فَإِذَا دَخَلَ الْهُوَى فِي أُمُورِ الْأُسْرَةِ، صَدَعَ
بُنْيَانَهَا، وَهَدَمَ أَرْكَانَهَا، فَكَمْ كَانَ الْهُوَى دَاءً دَوِيًّا فِي تَشْتِيتِ الْأَسْرِ
وَتَشْرِيدِ الْأَبْنَاءِ، يَأْتِي الزَّوْجُ وَقَدْ اسْتَبَدَّ بِهِ الْهُوَى فَيَظْلِمُ الزَّوْجَةَ،
وَيَمْنَعُهَا حُقُوقَهَا، وَيُسِيءُ عِشْرَتَهَا، بَلْ لَرُبَّمَا اتَّهَمَهَا فِي عِرْضِهَا وَشَرَفِهَا،

وَسَمِعَ فِيهَا أَقْوَالَ الْمُغْرِضِينَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - غَيْرَ مُكْتَرِثٍ إِلَّا يَعْدِلَ بَيْنَ زَوْجَاتِهِ وَأَوْلَادِهِ، وَتَأْتِي الزَّوْجَةَ صَاحِبَةَ الْهُوَى فُتْسِيءُ عِشْرَةَ زَوْجِهَا، وَتَسْتَهِينُ بِحُقُوقِهِ، وَلَا تَقُومُ بِوَاجِبَاتِهَا تَجَاهَهُ، فَتَتَحَوَّلُ الْأُسْرَةُ إِلَى جَحِيمٍ لَا يُطَاقُ، وَلَوْ أَنَّ كُلًّا تَخَلَّى عَنِ الْهُوَى وَسَلَكَ سُبُلَ الْهُدَى؛ لَسَادَتِ الْمَحَبَّةُ وَالْوِثَامُ أَرْجَاءَ الْأُسْرَةِ، وَرَفَرَفَتْ رَايَاتُ الْخَيْرِ وَالسَّلَامِ عَلَى رُبُوعِهَا، وَسَلِمَتْ مِنْ عَوَاصِفِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ وَالشَّقَاقِ، وَالْخِلَافِ وَالْفِرَاقِ وَالطَّلَاقِ.

وَالْمَرْأَةُ الَّتِي تُجَاهِرُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَتَنْبِذُ الْحِجَابَ وَالْعَفَافَ وَالْحِشْمَةَ، وَتَفْتِنُ عِبَادَ اللَّهِ، مُتَّبِعَةٌ هَوَاهَا، وَمُخَالَفَةٌ هُدَاهَا.

وَالْمُتَعَاطُونَ لِلْمُسْكِرَاتِ، وَالْمُدْمِنُونَ لِلْمُخَدَّرَاتِ، وَالْمُهَدِّدُونَ لِأَمْنِ الْمُجْتَمَعِ، بِإِخْدَاتِ الْجَرَائِمِ وَالسَّرِقَاتِ، هُمْ صَرَعى لِأَهْوَائِهِمْ. الْمُضَيِّعُونَ لِلْجَمْعِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَالْمُتَّبِعُونَ لِلشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ، وَالْمُتْسَاهِلُونَ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْقِيَامِ بِوَاجِبِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ: عَيْدٌ لِلْهُوَى وَأَسْرَى.

الْمُسْتَسْلِمُونَ لِلشَّائِعَاتِ، وَالْمُصَدِّقُونَ لِلْكَاذِبِ وَالْمَنْشُورَاتِ، وَالْمُنْخَدِعُونَ بِدُعَاةِ الْفِتْنَةِ مِنْ أَهْلِ الْهُوَى، الطَّاعِنِينَ فِي الْعُلَمَاءِ وَالْوُلَاةِ: إِنَّمَا يُشْبِعُونَ هَوَى فِي نَفْسِهِمْ.

الْمُتَحَدِّثُونَ بِالْحُقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ: إِنَّمَا يَقُومُونَ بِذَلِكَ؛
لِتَحْقِيقِ هَوَى فِي نَفْسِهِمْ، فَكَمْ حَكَمُوا عَلَى النَّاصِحِ الْحَكِيمِ، بِالْمُدَاهَنَةِ
وَالتَّرْلَفِ وَالتَّفَاقِ!

وَقُلْ لِلْعُيُونِ الرُّمْدِ لِلشَّمْسِ أَعْيُنٌ سِوَاكَ تَرَاهَا فِي مَغِيبٍ وَمَطْلَعٍ
وَسَامِعٌ عُيُونًا أَطْفَأَ اللَّهُ نُورَهَا بِأَهْوَانِهَا لَا تَسْتَفِيقُ وَلَا تَعِي^(١)
أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: النَّاسُ فَرِيقَانِ: أَهْلُ هُدًى، وَأَهْلُ هَوًى، فَأَهْلُ
الْهُدًى: مِيزَانُهُمُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَمِنْهَا جُهِمَ مِنْهَا جِ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ.
وَأَهْلُ الْهَوًى: يَجْبُطُونَ خَبْطَ عَشْوَاءَ، وَيَضِلُّونَ فِي أَوْدِيَةِ الْأَهْوَاءِ
وَالْأَرَاءِ.

يَجِبُ أَنْ تَتَرَبَّى الْأُمَّةُ عَلَى أَخْذِ الْحَقِّ مِنْ يَنْبُوعِهِ الشَّرَارِ^(٢): كِتَابِ اللَّهِ
وَسُنَّةِ رَسُولِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يُوَضِّحُهُ عُلَمَاءُ رَبَّانِيُونَ، وَجَهَابِدَةٌ
رَاسِخُونَ، فَلَا تَغْلُو فِي أَشْخَاصٍ، وَلَا تَتَعَصَّبُ لِأَفْرَادٍ أَوْ جَمَاعَاتٍ،

(١) يُنظَرُ: «الصَّوَاعِقُ الْمُرْسَلَةُ» (٣/ ١٢٠٠).

(٢) التَّرَارُ: الْوَاسِعُ الْغَزِيرُ. يُنظَرُ: «اللِّسَانُ» (ثُر).

وَلَا يُجِدُّهَا^(١) هَوَى مُطْبِقٌ!!

وَأَحَادِثُ الْأُمَّةِ دُرُوسٌ وَعِبْرٌ، وَلَكِنْ لَا حِيلَةَ فِي مَنْ مَنَعَهُ هَوَاهُ أَنْ
يَعْتَبِرَ، وَمَنْ أَصَرَ عَلَى الْهُوَى بَعْدَ التَّحْذِيرِ مِنَ الْهُوَى، فَلَا حِيلَةَ فِيهِ وَإِنْ
طَارَ فِي الْهُوَا، بَلْ لَرَبِّهَا حَكَمَ الْهُوَى، فِيمَا يَسْمَعُ وَيَرَى.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: إِنَّهُ لَا أَقْطَعُ لِلْهُوَى، مِنَ التَّجَرُّدِ، وَإِحْسَانِ
الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِينَ، وَسَلَامَةِ الصُّدُورِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ عَامَّةً، فَضْلًا عَنْ
عُلَمَائِهِمْ وَدُعَاتِهِمْ وَرِعَاتِهِمْ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا جُلُوسًا
عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «يَطَّلِعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»،
فَطَّلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو فَتَبِعَهُ، وَبَاتَ عِنْدَهُ
ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، وَلَمْ يَرَهُ كَثِيرَ صَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ،
قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ
فِي نَفْسِي غِشًّا وَلَا غِلًّا وَلَا حِقْدًا عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَحْسِدُ
أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ».

(١) الجَدُّلُ: الصَّرْعُ. وَالجَدَالَةُ: الْأَرْضُ، وَجَدَّلَهُ: صَرَعَهُ عَلَى الجَدَالَةِ، أَي: عَلَى

الْأَرْضِ. يُنْظَرُ: «اللسان» (جَدَل).

خَرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ^(١) وَغَيْرُهُ^(٢).

وَإِنِّي لَعَلِّي ثِقَةٌ وَأَمَلٍ، أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ دَاعِيًا إِلَى الْمَحَاسَبَةِ،
وَالْمُرَاجَعَةِ، وَالِاجْتِمَاعِ عَلَى الْحَقِّ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَبِذَلِكَ يَتَشَخَّصُ الدَّاءُ،
وَنَتَبِّئُ الدَّوَاءَ، وَتَجْتَمِعُ الْأُمَّةُ عَلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ، وَتُطْرَحُ الْأَرَاءُ وَالْأَهْوَاءُ،
مِيزَانُهَا كِتَابُ اللَّهِ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَهُوَ حَسْبُنَا
وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ!!

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى الْهَادِي الْبَشِيرِ، وَالسَّرَاجِ
الْمُنِيرِ، كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، فَقَالَ - عَزَّ مِنْ قَائِلٍ -: ﴿إِنَّ
اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].

(١) في «المسند» (١٦٦/٣). قال الحافظ العراقي في «المغني عن حمل الأسفار»

(٢/٨٦٢): «رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين».

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٢١٥/٦)، وعبد الرزاق في «مصنفه»

(٢٨٧/١١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٦٤/٥).

إِحْصَاءُ الشَّائِعَاتِ وَأَثَرُهَا فِي تَقْوِيَةِ الْحَضَارَاتِ

الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ - جَلَّ مِنْ رَبِّ وَتَعَالَى مِنْ إِلَهٍ - هُوَ - سُبْحَانَهُ - رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ وَمَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، وَمِنْكَ الْفَرْجُ، وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، عَالِمُ السَّرِّ وَالنَّجْوَى، وَالْمُؤَمَّلُ لِكَشْفِ كُلِّ بَلْوَى، وَرَفَعَ كُلَّ لَأْوَا - سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ - لَيْسَ فِي الْكَوْنِ رَبٌّ سِوَاهُ فَيَدْعَى، وَلَيْسَ فِي الْوُجُودِ إِلَهٌ غَيْرُهُ فَيَرْجَى، وَلَيْسَ فِي الْمَلَأِ حَكَمٌ غَيْرُهُ فَيُتْرَفَعُ إِلَيْهِ الشَّكْوَى. وَأَشْهَدُ أَنْ نَبِيَّنَا وَقُدُوتَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ: النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى، وَالرَّسُولُ الْمُجْتَبَى، وَالْحَبِيبُ الْمُرْتَضَى، بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ فَمَا ضَلَّ وَمَا غَوَى، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَنْوَارِ الْهُدَى، وَصَحْبِهِ مَصَابِيحِ الدُّجَى، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَسَارَ عَلَى مَنَهِجِهِمْ وَاقْتَفَى، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ: خَيْرُ الْوَصَايَا، وَصِيَّةُ رَبِّ الْبَرَايَا ﴿١﴾ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴿ [النساء: ١٣١] ،
فَاتَّقُوا اللَّهَ . رَحِمَكُمُ اللَّهُ . فَبِالتَّقْوَى الْعِصْمَةُ مِنَ الْفِتَنِ ، وَالسَّلَامَةُ
مِنَ الْمِحَنِ . يَقُولُ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ :: « اتَّقُوا الْفِتْنَ بِالتَّقْوَى » ،
فَقِيلَ لَهُ : أَجْمَلُ لَنَا التَّقْوَى ، فَقَالَ : « أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ
تَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ ، وَأَنْ تَتْرَكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ ، تَخْشَى
عَذَابَ اللَّهِ » (١) .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : مُنْذُ أَنْ خَلَقَ اللَّهُ الْخَلِيقَةَ ، وَجَدَ الصَّرَاعَ بَيْنَ
الْقُوَى ، صِرَاعٌ يَسْتَهْدَفُ أَعْمَاقَ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَيُؤَثِّرُ فِي كِيَانِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَإِذَا
كَانَتْ الْحُرُوبُ وَالْأَزْمَاتُ ، وَالْكَوَارِثُ وَالنَّكَبَاتُ ، تَسْتَهْدَفُ بِأَسْلِحَتِهَا
الْفِتَاكَةَ الْإِنْسَانَ ، مِنْ حَيْثُ جَسَدُهُ وَبِنَاؤُهُ ، فَإِنَّ هُنَاكَ حَرْبًا سَافِرَةً
مُسْتَرْتَةً تَتَوَالَدُ عَلَى ضِفَافِ الْحَوَادِثِ وَالْمَلِمَاتِ ، وَتَتَكَاثَرُ فِي زَمَنِ
التَّقَلُّبَاتِ وَالْمُتَغَيِّرَاتِ ، وَهِيَ أَشَدُّ ضَرَاوَةً وَأَقْوَى فِتْنًا ؛ لِأَنَّهَا تَسْتَهْدَفُ
الْإِنْسَانَ ، مِنْ حَيْثُ مُثْلُهُ وَعَطَاؤُهُ وَقِيَمُهُ وَنِهَاؤُهُ .

أَتَذَرُونَ . يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ . مَا هِيَ هَذِهِ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ ؟ إِنَّهَا
حَرْبُ الشَّائِعَاتِ ، الَّتِي تُعَدُّ مِنْ أخطرِ الحُرُوبِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْأَوْبِيَّةِ

(١) تقدم تخرجه (ص ٢٩٩) .

النَّفْسِيَّةِ، بَلْ مِنْ أَشَدِّ الْأَسْلِحَةِ تَدْمِيرًا وَأَعْظَمِهَا وَقَعًا وَتَأْثِيرًا، وَلَيْسَ
 مِنَ الْمُبَالِغَةِ فِي شَيْءٍ، إِذَا عُدَّتْ ظَاهِرَةً اجْتِمَاعِيَّةً عَالَمِيَّةً، لَهَا خُطُورُهَا
 الْمُبَالِغَةُ، عَلَى الْمُجْتَمَعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، وَأَنَّهَا جَدِيدَةٌ بِالتَّشْخِيصِ وَالْعِلَاجِ،
 وَحَرِيَّةٌ بِالتَّصَدِّي وَالِاهْتِمَامِ؛ لِاسْتِصْالِهَا وَالتَّحْذِيرِ مِنْهَا، وَالتَّكَاتُفِ
 لِلْقَضَاءِ عَلَى أَسْبَابِهَا وَبَوَاعِثِهَا؛ حَتَّى لَا تَقْضِيَ عَلَى الرُّوحِ الْمَعْنَوِيَّةِ فِي
 الْأُمَّةِ، الَّتِي هِيَ عِمَادُ نَجَاحِ الْأَفْرَادِ، وَأَسَاسُ أَمْنِ وَاسْتِقْرَارِ
 الْمُجْتَمَعَاتِ، وَرَكِيزَةُ بِنَاءِ أَعْمَادِ الشُّعُوبِ وَالْحَضَارَاتِ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: الْمُسْتَقْرَى لِلتَّأْرِيخِ الْإِنْسَانِي يَجِدُ أَنَّ الشَّائِعَاتِ
 وَوَجَدَتْ حَيْثُ وَجَدَ الْإِنْسَانُ، بَلْ إِنَّهَا عَاشَتْ وَتَكَاثَرَتْ فِي أَحْضَانِ كُلِّ
 الْحَضَارَاتِ، وَمُنْذُ فَجَرِ التَّأْرِيخِ، وَالشَّائِعَةُ تُمَثِّلُ مَصْدَرَ قَلْقٍ فِي الْبِنَاءِ
 الْاجْتِمَاعِيِّ، وَالْإِنْتِمَاءِ الْحَضَارِيِّ، لِكُلِّ الشُّعُوبِ وَالْبِيئَاتِ، وَلَمَّا جَاءَ
 الْإِسْلَامُ اتَّخَذَ الْمَوْقِفَ الْحَازِمَ مِنَ الشَّائِعَاتِ، وَأَصْحَابِهَا؛ لِمَا تَنْشُرُ وَتَبِّثُ
 بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ مِنْ آثَارِ سَلْبِيَّةٍ عَلَى تَمَاسُكِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَتَلَاحُمِ
 أَبْنَائِهِ، وَسَلَامَةِ لِحْمَتِهِ، وَالْحِفَازِ عَلَى بِيضَتِهِ^(١)، بَلْ لَقَدْ عَدَّ الْإِسْلَامُ ذَلِكَ

(١) بَيْضَةُ الشَّيْءِ: أَصْلُهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ
 بَيْضَتَهُمْ»، يَرِيدُ جَمَاعَتَهُمْ وَأَصْلَهُمْ. يُنْظَرُ: «النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ»،
 وَ«اللسان» (بيض).

سُلُوكًا مَرْدُودًا وَلَا مُنَافِيًا لِلْأَخْلَاقِ النَّبِيلَةِ، وَالسَّجَايَا الْكَرِيمَةِ، وَالْمَثَلِ الْعُلْيَا
الَّتِي جَاءَتْ بِهَا وَحَثَّتْ عَلَيْهَا الشَّرِيعَةُ الْغَرَاءُ مِنْ: الإِجْتِمَاعِ، وَالْمَحَبَّةِ
وَالْمَوَدَّةِ، وَالْإِحَاءِ، وَالتَّعَاوُنِ وَالتَّرَاحُمِ وَالتَّعَاطُفِ وَالصَّفَاءِ، وَهَلِ
الشَّائِعَةُ إِلَّا نَسْفٌ لِنَتِكَ الْقِيمِ، وَمِعْوَلٌ هَدَمَ هَذِهِ الْمَثَلِ؟

كَمَا حَدَّرَ الْإِسْلَامُ مِنَ الْغَيْبَةِ وَالْوَقِيعَةِ، فِي الْأَعْرَاضِ وَالْكَذِبِ
وَالْبُهْتَانِ وَ«النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»^(١)، وَهَلِ الشَّائِعَةُ إِلَّا كَذَلِكَ؟ وَأَمَرَ
بِحِفْظِ اللِّسَانِ، وَأَبَانَ خُطُورَةَ الْكَلِمَةِ، وَحَرَّمَ الْقَذْفَ، وَالْإِفْكَ، وَتَوَعَّدَ
مُرُوجِي الْفَحْشَاءِ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ
تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

وَحَثَّ عَلَى التَّثَبُّتِ وَالتَّبَيُّنِ فِي نَقْلِ الْأَخْبَارِ، يَقُولُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصْحَبُوا
عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٢) [الحجرات]، قَرَأَ حَمْزَةً وَالْكَسَائِي: (فَتَبَيَّنُوا)^(٢)،
وَأَخْبَرَ - سُبْحَانَهُ - أَنَّ الْإِنْسَانَ مَسْئُولٌ أَمَامَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَمُحَاسَبٌ
عَنْ كُلِّ جَلِيلٍ وَصَغِيرٍ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٣) [ق]،

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) يُنظر: «السبعة في القراءات» (ص ٢٣٦)، و«حجة القراءات» (٢٠٩).

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ
عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وَالشَّائِعَاتُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى سُوءِ الظَّنِّ بِالمُسْلِمِينَ، وَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -

يَقُولُ: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُونَا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾
[الحجرات: ١٢]، وَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»^(١).

كَمَا نَهَى الْإِسْلَامُ أَتْبَاعَهُ أَنْ يُطْلِقُوا الْكَلَامَ عَلَى عَوَاهِينِهِ، وَيُلْغُوا
عُقُوبَهُمْ عِنْدَ كُلِّ شَائِعَةٍ، وَتَفْكِيرَهُمْ عِنْدَ كُلِّ زَائِفَةٍ، أَوْ يَنْسَاقُوا وَرَاءَ كُلِّ
نَاعِقٍ، وَيُصَدِّقُوا قَوْلَ كُلِّ دَعِيٍّ مَارِقٍ، أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي
«صَحِيحِهِ»^(٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ
بِكُلِّ مَا سَمِعَ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا»^(٣).

وَسَدًّا لِلْبَابِ أَمَامَ الوُشَاةِ الْمُغْرِضِينَ، وَنَقْلَةَ الشَّائِعَاتِ الْمُتْرَبِّصِينَ،
وَمَنْعًا لِرَوَاجِ الشَّائِعَةِ وَالبَلَاغَاتِ الكِيدِيَّةِ الْمُغْرِضَةِ، وَالأَخْبَارِ المُلْفَقَةِ

(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في مقدمة «صحيحه» برقم (٥) من حديث حفص بن عاصم رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٩٩٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

المَكْذُوبَةِ، عَلَى الْبُرِّءَاءِ الْغَافِلِينَ، يَقُولُ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ»^(١) عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ أَرْكُمُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبُرِّءَاءِ الْعَنْتَ».

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: إِذَا كَانَ فِي دُنْيَا النَّبَاتِ طُفَيْلِيَّاتٌ تَلْتَفُّ حَوْلَ النَّبْتِ الصَّالِحَةِ لِتُمْسِدَ نُمُوَهَا، فَإِنَّ الشَّائِعَاتِ وَمُرَوِّجِيهَا أَشَدُّ وَأَنْكَى؛ لِمَا يَقُومُونَ بِهِ مِنْ خَلْخَلَةِ الْبُنَى التَّحْتِيَّةِ لِلْمُجْتَمَعِ وَتَصْدِيعِ بُنْيَانِهِ، فَكَمْ تَجَنُّوا عَلَى أَبْرِيَاءِ، وَأَشْعَلُوا نَارَ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْأَصْفِيَاءِ، وَكَمْ نَالُوا مِنْ عُلَمَاءِ وَعُظَمَاءِ، وَكَمْ هَدَمَتِ الشَّائِعَةُ مِنْ وَشَائِحِ^(٢)، وَتَسَبَّيْتُ فِي جَرَائِمِ، وَفَكَكْتُ مِنْ أَوَاصِرَ وَعَلَاقَاتِ، وَحَطَّمْتُ مِنْ أَعْجَادِ وَحَضَارَاتِ، وَكَمْ دَمَّرْتُ مِنْ أَسْرِ وَبُيُوتَاتِ، وَأَهْلَكْتُ حَوَاصِرَ وَجُمُوعَاتِ!!! بَلْ لَرُبِّ شَائِعَةٍ أَثَارَتْ فِتْنًا وَبَلَايَا، وَحُرُوبًا وَرَزَايَا، وَأَذَكْتُ نَارَ حُرُوبِ عَالَمِيَّةٍ، وَأَجَّجْتُ أَوَارَ^(٣) مَعَارِكِ دَوْلِيَّةٍ، وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوْهَهَا كَلَامٌ، وَرُبَّ كَلِمَةٍ

(١) (ص ١١٩).

(٢) الْوَشَائِحُ: جَمْعُ وَشِيحَةٍ، وَهِيَ مَا يُرْبَطُ وَيُشَدُّ بِهِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، يُقَالُ: رَجِمَ وَشِيحَةً: أَيِ مُشْتَبِكَةٍ مُتَّصِلَةٍ. يُنْظَرُ: «اللسان» (وشح).

(٣) الْأَوَارُ: شِدَّةُ لَفْحِ النَّارِ وَوَهْجِهَا، يُقَالُ: يَوْمَ ذُو أَوَارٍ: أَيِ ذُو سُمُومٍ وَحَرٍّ شَدِيدٍ.=

مَاتَتْ فِي مَهْدِهَا، وَرُبَّ مَقَالَةٍ شَرٌّ أَشْعَلَتْ فِتْنًا؛ لِأَنَّ حَاقِدًا ضَخَمَهَا
وَنَفَخَ فِيهَا.

عِبَادَ اللَّهِ: مُرَوِّجُ الشَّائِعَةِ لِيئِمَّ الطَّبَعُ، دَنِيءُ الْهِمَّةِ، مَرِيضُ
النَّفْسِ، مُنْحَرِفُ التَّفْكِيرِ، صَفِيقُ الْوَجْهِ، عَدِيمُ الْمُرُوءَةِ، ضَعِيفُ
الدِّيَانَةِ، يَتَقَاطَرُ حِسَّةٌ وَدَنَاءَةٌ، قَدْ تَرَسَّبَ الْعِلُّ فِي أَحْشَائِهِ، فَلَا يَسْتَرِيحُ
فَتَانَ فِتَاكَ سَاعٍ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ، يُجْرُ الْفِتْنِ لِلْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، حَتَّى
يُزِيدَ^(١) وَيُرْغِي^(٢)، وَيُفْسِدَ وَيُؤْذِي.

إِنَّهُ عَضُوٌّ مَسْمُومٌ، ذُو نَجَاسٍ مَذْمُومٍ، وَبَدَاءٍ^(٣) مَحْمُومٍ، يَسْرِي
سَرِيانَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ، يَتَلَوَّنُ كَالْحَرْبَاءِ، وَيَنْفُثُ سُومَهُ كَالْحِيَّةِ
الرَّقْطَاءِ^(٤)، دَيْدَنُهُ الْإِفْسَادُ وَالْهَمْزُ، وَسُلُوكُهُ الشَّرُّ وَاللَّمْزُ، وَعَادَتُهُ الْخُبْثُ
وَالْغَمَزُ، لَا يَفْتَأُ إِثَارَةً وَتَشْوِيشًا، وَلَا يَنْفَكُ كَذِبًا وَتَحْرِيشًا،
وَلَا يَبْرُحُ تَقْوَلًا وَتَهْوِيشًا، فَكَمْ وَكَمْ حَصَلَتْ مِنْ جِنَايَةٍ عَلَى الْمُؤَهِّلِينَ

= يُنْظَرُ: «اللسان» (أور).

(١) يُزِيدُ: سبق شرحها (ص ٢٨٥).

(٢) يُرْغِي: سبق شرحها (ص ٢٨٥).

(٣) الْبَدَاءُ: الْفُحْشُ، وَالْبِدْيَةُ: الْفَاحِشُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (بدا).

(٤) الرَّقْطَاءُ: دَوِيَّةٌ خَبِيثَةٌ، إِذَا دَبَّتْ عَلَى طَعَامِ سَمْتِهِ. يُنْظَرُ: «اللسان» (رقط).



الْأَكْفِيَاءِ، بِسَبَبِ شَائِعَةٍ دَعِيٍّ مَأْفُونٍ^(١) ذِي لِسَانٍ شَرِيرٍ، أَوْ قَلَمٍ أَجِيرٍ، فِي سُوءِ النِّيَّةِ وَحُبْثِ الطَّوِيَّةِ^(٢)، وَأَوْلَيْكَ سِرًّا لِلتَّزْيِيفِ الدَّائِمِ فِي أَجْسَادِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَمُنْذُ فَجَّرِ التَّارِيخَ وَالشَّائِعَاتُ تُنْشَبُ مَخَالِبَهَا فِي جَسَدِ الْعَالَمِ كُلِّهِ، لَا سِيَّمَا فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ، يُرَوِّجُهَا ضِعَافُ النَّفُوسِ، وَالْمُغْرِضُونَ مِنْ أَعْدَاءِ الدِّيَانَةِ، وَيَتَوَلَّى أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ عَبْرَ التَّارِيخِ - لَا سِيَّمَا الْيَهُودُ: قَتَلَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَنَقَضَةُ الْعُهُودِ - كَبْرَ الشَّائِعَاتِ، بُعِيَّةً هَدَمَ صَرَحَ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالنَّيْلِ مِنْ أَصْحَابِهَا، وَالتَّشْكِيكِ فِيهَا، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْ شَائِعَتِهِمْ حَتَّى الْأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ - فَقَدْ تَعَرَّضُوا لِحُمْلَةٍ مِنَ الْإِفْتِرَاءَاتِ وَالْأَرَاجِيفِ ضِدَّ رِسَالَتِهِمْ، تَظَهَّرَ جِهَارًا وَتَحْتَ جُنْحِ الظَّلَامِ، وَخَلْفَ السُّتُورِ أَحْيَانًا ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (٨٧) [البقرة].

فَهَذَا ابْنُ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - تُشَكِّكُ الشَّائِعَاتُ الْمَغْرِضَةُ فِيهِ، وَفِي أُمِّهِ الصِّدِّيقَةِ: ﴿يَتَأَخَتَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ

(١) سبق شرحها (ص ١٠٠).

(٢) الطَّوِيَّةُ: الضمير. يُنظر: «اللسان» (طوى).

بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ [مریم]، وَالكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ، يُوسُفُ - عَلَيْهِ
السَّلَامُ - ابْنُ يَعْقُوبَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ، نُمُودَجٌّ مِنْ نَمَازِجِ الطُّهْرِ وَالنَّقَاءِ ضِدُّ
الشَّائِعَاتِ الْمُغْرِضَةِ الَّتِي تَمَسُّ الْعِرْضَ وَالشَّرْفَ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ

عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ [يوسف].

وَالسَّيْرَةَ الْعَطْرَةَ لِرَسُولِ الْهُدَى ﷺ أَنْمُودَجٌّ يَحْمَلُ فِي طَيَّاتِهِ نَمَازِجَ
حَيَّةٍ لِتَأْرِخِ الشَّائِعَةِ، وَالْمَوْقِفِ السَّلِيمِ مِنْهَا، فَقَدْ رُمِيَتْ دَعْوَتُهُ الْمُبَارَكَةُ
بِالشَّائِعَاتِ مُنْذُ بُرُوعِهَا، فَرُمِيَ بِالسَّحْرِ وَالْجُنُونِ، وَالْكَذِبِ وَالْكَهَانَةِ.
وَنَفَسْنَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ مَرَدُّو١) عَلَى النِّفَاقِ، فِي صُنْعِ
الْأَرَاخِيفِ الْكَاذِبَةِ، وَالِاتِّهَامَاتِ الْبَاطِلَةِ، ضِدَّ دَعْوَتِهِ ﷺ، وَلَعَلَّ مِنْ
أَشْهَرِهَا قِصَّةَ الْإِفْكِ، تِلْكَ الْحَادِثَةُ الَّتِي كَشَفَتْ عَنْ شَنَاةِ الشَّائِعَاتِ،
وَهِيَ تَتَنَاوَلُ بَيْتَ النُّبُوَّةِ الطَّاهِرِ، وَتَتَعَرَّضُ لِعِرْضِ أَكْرَمِ الْخَلْقِ
عَلَى اللَّهِ، وَعِرْضِ الصِّدِّيقِ ﷺ، وَعِرْضِ الصِّدِّيقَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -
وَعِرْضِ صَفْوَانَ بْنِ الْمُعَطَّلِ ﷺ، وَتَشْغَلُ هَذِهِ الشَّائِعَةُ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَدِينَةِ
شَهْرًا كَامِلًا، وَالْمُجْتَمَعُ الْإِسْلَامِيُّ يَصْطَلِي بِنَارِ تِلْكَ الْفِرْيَةِ، وَيَتَعَذَّبُ

(١) مَرَدُّو١: مَرُّو١ وَاسْتَمَرُّو١. يُنْظَرُ: «اللسان»، و«تاج العروس» (مرد).

ضَمِيرُهُ، وَتَعَصْرُهُ الشَّائِعَةُ الْهُجَاءُ، وَلَوْلَا عِنَايَةُ اللَّهِ، لَعَصَفَتْ
بِالْأَخْضَرِ وَالْيَابِسِ.

حَتَّى فَصَلَ الْوَحْيُ الْمُبَارَكُ فِي تِلْكَ الْمَآسَاةِ الْفَظِيْعَةِ، وَرَسَمَ الْمَنْهَجَ
الْوَضَاءَ لِلْمُسْلِمِينَ عَبْرَ الْعُصُورِ، لِلْمَوْقِفِ الْوَاجِبِ اتِّخَاذُهُ عِنْدَ حُلُولِ
الشَّائِعَاتِ الْمَغْرِضَةِ ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ
خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا
بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿ [النور]، إِلَى قَوْلِهِ - سُبْحَانَهُ :-
﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ
عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ [النور].
تَقُولُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :- «فَمَكَثْتُ شَهْرًا لَا يَرِقْ أَلِي دَمْعٌ
وَلَا أَكْتَجِلُ بِنَوْمٍ»^(١)، حَتَّى بَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا.

وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِغْلَالُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ لِحَادِثِ مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ حِينَ أَخَذُوا يَسْتُونَ الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةَ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ عَنِ طَرِيقِ

(١) أخرجَه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

الشائعات المغرضة، زاعمين أن الإسلام قد انتهى ولكن تقوم له قائمة، حتى أثر ذلك على بعض الصحابة - رضي الله عنهم - وظل الناس في اضطراب حتى هيا الله الصديق أبا بكر رضي الله عنه فحسم الموقف بتذكير الأمة بقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنِ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران].

أمة الإسلام: وتتطور الشائعات بتطور العصور، ويمثل عصرنا الحاضر عصرًا ذهبيًا لرواج الشائعات المغرضة، وما ذاك إلا لتطور التقانات، وكثرة الوسائل الإعلامية المحمومة، في صورة من صور الإزهاب النفسي، والتحطيم المعنوي، له دوافعه المشينة، وأغراضه المشبوهة، ضد عقيدة الأمة، ومثلها وثوابتها وقيمها.

إنها الغام معنوية، وقنابل نفسية، ورصاصات طائشة، تُصيب أصحابها في مقتل، وتفعل في غرضها ما لا يفعله العدو بـ (مخبراته) و(طابوره) الخامس، مركزة على شائعات الخوف، وإثارة القلق والرعب، وزرع بذور الفتنة، وإثارة البلبلة، لاسيما في أوقات الأزمات، يوافق ذلك فراغ عند المتلقي وفُضول، وبطالة

وَحُمُولٌ، فَتَسْرِي الشَّائِعَةُ فِي النَّاسِ مَسْرَى الْهَوَاءِ، وَتَهْبِجُ فِيهِمْ هَيْجَانُ
الْبَحْرِ الْمُتَلَاطِمِ.

وَتَكْمُنُ خُطُورُهَا أَنَّهَا سِلَاحٌ جُنُودُهُ مُغْفَلُونَ أَغْرَارُ، سَحَرَتْهُمْ
الشَّائِعَاتُ بِرِيقِهَا الْخَادِعِ، فَأَصْبَحُوا يُرَدُّونَهَا كَالْبَبَاغَاوَاتِ، دُونَ أَنْ
يَذَرُوكَوا أَنَّهُمْ أَدَوَاتٌ يُسْتَعْدَمُونَ لِمَصَالِحِ أَعْدَائِهِمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

وَكَمْ كَانَ لِلشَّائِعَاتِ آثَارُهَا السَّلْبِيَّةِ عَلَى الرَّأْيِ الْعَامِّ، وَصُنَاعِ
الْقَرَارِ فِي الْعَالَمِ، وَكَمْ كَانَتْ سَبَبًا فِي أَنْ يَصْرِفَ الْأَعْدَاءُ جِبْهَةَ الْأُمَّةِ
الدَّاخِلِيَّةِ عَنِ مُشْكَلاتِهَا الْحَقِيقِيَّةِ، لِإِغْرَاقِهَا فِي مُشْكَلاتِ مُفْتَعَلَةٍ، عِلَاوَةً
عَلَى تَمْرِيْقِ الْوَحْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالْعَمَلِ عَلَى تَفْتِيْتِ الْجِبْهَةِ الدَّاخِلِيَّةِ.

يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ: الشَّائِعَاتُ جَرِيْمَةٌ ضِدَّ أَمْنِ الْمُجْتَمَعِ،
وَصَاحِبُهَا مُجْرِمٌ فِي حَقِّ دِينِهِ وَجُمْتَمَعِهِ وَأُمَّتِهِ، مُشِيرٌ لِلْفَوْضَى
وَالْإِضْطِرَابِ فِي الْأُمَّةِ، وَقَدْ يَكُونُ شَرًّا مِنْ مُرُوجِ الْمُخَدَّرَاتِ، فَكِلَاهُمَا
يَسْتَهْدِفُ الْإِنْسَانَ، لَكِنَّ الْإِسْتِهْدَافَ الْمَعْنَوِيَّ أخطرُ وَأَعْتَى، وَإِنَّكَ
لَتَأْسَفَ أَشَدَّ الْأَسْفِ، مِمَّنْ يَتَلَقَّى الشَّائِعَاتِ الْمُغْرِضَةَ، وَكَأَنَّهَا حَقَائِقُ
مُسَلَّمَةٌ.

يَجْلِسُ أَحَدُهُمُ السَّاعَاتِ الطَّوَالَ أَمَامَ أَجْهَرَةِ الشَّبَكَاتِ الْمَعْلُومَاتِيَّةِ
بِوَجْهَةِ الْكَالِحِ، وَمَا يُعْرِفُ بِشَبَكَةِ (الْإِنْتَرْنِت) عَبْرَ مَوَاقِعِهَا الْمَشْبُوْهَةِ،

فَيَلْطَخُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ مِنَ الشَّائِعَاتِ الْبَاطِلَةِ، وَتَلْفِيحِ التُّهَمِ الصَّفِيْقَةِ^(١)،
مِمَّا تَجْفُلُ^(٢) الْقُلُوبُ مِنْ مَجْرَدِ سَمَاعِهِ، وَتَتَحَرَّجُ النُّفُوسُ الْمُؤْمِنَةَ مِنْ
مُطَالَعَتِهِ، فَضَلًّا عَنِ الْبُوحِ بِهِ، وَحَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ!

وَمَا دَرَى هُوَ لِأَيِّ الْجُبْنَاءِ، خَفَافِشِ الظَّلَامِ، أَتَهُمْ أَدَوَاتٌ فِي أَيْدِي مَا
يُعْرِفُ بِ(اللُّبِيِّ) الصُّهَيْوِيِّ الْعَالِمِيِّ ضِدًّا أَمِنْ الْأُمَّةِ، وَجُمْتَمَعَاتِهَا
الْإِسْلَامِيَّةِ، وَأَنَّهُ يُحْشَى مِنْ أَدْمَنِ النَّظَرِ فِيهَا أَنْ يُخْسِرَ دِينَهُ، وَدُنْيَاهُ،
وَآخِرَتَهُ، وَأَنْ يَلْتَبَسَ عَلَيْهِ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، فَيَنْحَرِفَ عَنْ جَادَةِ الصَّوَابِ
- وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَهَلْ يُجُوزُ لَنَا، وَيَلِيْقُ بِنَا نَحْنُ أَهْلَ الْإِسْلَامِ أَنْ نَتَخَلَّى
عَنْ شَيْءٍ مِنْ ثَوَابِتِنَا، أَوْ أَنْ نَنْظُرَ غَيْرَ الْحَيْرِ بِأَحَدٍ مِنْ عُلَمَائِنَا وَفُضَلَائِنَا،
بِمَجْرَدِ وَشَايَةِ كَاذِبَةٍ أَوْ شَائِعَةٍ مُغْرِضَةٍ؟ أَيْنَ عُقُولُنَا وَتَفْكِيرُنَا؟ بَلْ أَيْنَ
دِينُنَا وَإِيمَانُنَا أَنْ نَتَلَقَّفَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ شِعَارِ: قَالُوا، وَزَعَمُوا؟! فَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ! وَمَنْ هُنَا تَدْرِكُونَ - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - خُطُورَةَ هَذِهِ الْحَرْبِ ضِدِّ
دِينِ الْأُمَّةِ وَأَمْنِهَا وَجُمْتَمَعِهَا، مِمَّا يَتَطَلَّبُ ضُرُورَةَ التَّصَدِّيِّ لَهَا وَأَهْمِيَّةِ
مُكَافَحَتِهَا، وَالتَّخْطِيطِ لِإِسْتِصْالِ جُرْثُومَتِهَا، حَتَّى لَا تَقْضِيَ عَلَى الْبَقِيَّةِ

(١) الصَّفِيْقَةُ: الغليظة المتينة. يُنظر: «اللسان» (صفق).

(٢) تَجْفُلُ: تنزعج، والجافل: المنزعج. يُنظر: «اللسان» (جفل).

الْبَاقِيَةِ مِنْ تَمَاسُكِ الْمُجْتَمَعِ، وَتَلَاحُمِ أَفْرَادِهِ.

وَوَاجِبُ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ وَدُعَاتِهَا، وَطُلَّابِ الْعِلْمِ مِنْهَا وَشَبَابِهَا كَبِيرٌ وَعَظِيمٌ، فَإِنَّهُمْ مُسْتَهْدَفُونَ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُدْرِكُوا أَبْعَادَ الْمُؤَامَرَةِ، وَالْأَيُّمُونَ مِيدَانًا خَصْبًا لِرَوَاجِهَا وَانْتِشَارِهَا بَيْنَهُمْ، وَأَنْ يَجْرِصُوا عَلَى السَّبْتِ وَالتَّبَيُّنِ، وَأَنْ يَحْذَرُوا مَسَالِكَ التَّوِيلِ وَالهُوَى، وَاتَّبَاعِ الْمُتَشَابِهِ. وَأَنْ يَقْفُوا فِي الْأَحْدَاثِ بِعِلْمٍ، وَحُسْنِ ظَنٍّ، وَبَصِيرَةٍ، وَنَظَرٍ ثَاقِبٍ، بَعِيدًا عَنِ إِغَارِ الصُّدُورِ، وَبَثِّ الشُّرُورِ، مُعْتَصِمِينَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى مَنْهَجِ سَلَفِ الْأُمَّةِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وَالْأُمَّةُ مُطَالِبَةٌ - كُلُّ فِي مَجَالِهِ - لِلْقَضَاءِ عَلَى هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي لَهَا آثَارُهَا الْمُدْمِرَةُ ضِدَّ أَمْنِ الْأُمَّةِ، وَاسْتِقْرَارِ الْمُجْتَمَعِ. كَمَا أَنَّ عَلَى الْبَيْتِ وَالْمَسْجِدِ، وَالْأُسْرَةِ وَالْمَدْرَسَةِ، وَوَسَائِلِ الْإِعْلَامِ، دَوْرًا كَبِيرًا فِي الْحِفَاطِ عَلَى سَلَامَةِ الْمُجْتَمَعِ مِنْ سُعَارِهَا وَأَخْطَارِهَا، بَدَأًا بِالْوَعْيِ وَتَقْوِيَةِ الْوِزَاعِ الْإِيمَانِيِّ، وَتَبَيُّنِ الْحَقَائِقِ وَنَشْرِهَا، وَعَدَمِ التَّسَاهُلِ فِي نَقْلِ الْكَلَامِ، وَبَثِّ الْأَنْبَاءِ، لَأَسِيْمًا فِي أَوْقَاتِ الْأَزْمَاتِ، وَعَدَمِ التَّهْوِيلِ وَالْإِنَارَةِ وَالْمُبَالَغَةِ فِي التَّعْلِيْقَاتِ وَالتَّحْلِيلَاتِ الْمَشْبُوهَةِ، وَإِيجَادِ صِيغَةٍ وَآلِيَةٍ عَمَلِيَّةٍ لِلْحَوَارِ الْحَضَارِيِّ وَالْمَوْقِفِ السَّلِيمِ فِي الْأَحْدَاثِ وَالتَّغْيِرَاتِ، وَاخْتِلَافِ الظُّرُوفِ وَالْمُسْتَجِدَّاتِ، بِإِخْلَاصٍ وَصِدْقٍ وَشَفَافِيَّةٍ، دُونَ تَزْيِيفِ

وَالْتَوَاءِ؛ دَفْعًا لِلرُّوحِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَبُعْدًا عَنِ الْخَوَرِ وَالْعُنْفِ وَالْإِنْهَزَامِيَّةِ،
 كَمَا قَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ
 فَآخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا
 بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ
 عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ [آل عمران].

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، أَقُولُ
 قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ
 كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفَّارًا.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُبْدِعِ الْكَائِنَاتِ وَبَارِي النَّسَمَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، جَزِيلِ الْعَطَايَا وَالْهَبَاتِ، وَوَاهِبِ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ، أَمْرًا بِالصَّدْقِ، وَحَرَمَ الْكُذْبِ وَالشَّائِعَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، أَفْضَلَ الْبَرِيَّاتِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِي الْفَضْلِ وَالْمَكْرَمَاتِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَعَلِّمُوا أَنْ دِينَكُمْ الْإِسْلَامِيَّ الْحَنِيفَ، رَسَمَ الْمَنْهَجَ الصَّحِيحَ لِمُوجَهَةِ أخطارِ الشَّائِعَاتِ، قاصِدًا مِنْ ذَلِكَ بِنَاءَ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ الْمُتَماسِكِ، فَأَقَامَ الضَّمَانَاتِ الْوَأَقِيَّةَ، وَالْحُصَانَاتِ الْكَافِيَّةَ، الَّتِي تَحُولُ دُونَ مَعَاوِلِ الْهَدْمِ وَالتَّخْرِيْبِ، وَمُسْتَنْفَعَاتِ التَّرْوِيجِ وَالتَّأْلِيْبِ، أَنْ تَسَلَّلَ إِلَيْهِ أَوْ تُؤَثِّرَ عَلَيْهِ فِي غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِ الْوَعْيِ وَالصَّلَاحِ، فَتَأْتِرَ حَبَاتُ عِقْدِهِ النَّاصِعِ، وَتَشْتَتِ لِبْنَاتُ بِنَائِهِ الْمُحْكَمِ، فَلَا يَقْوَى عَلَى التَّصَدِّي لِعَايَاتِ الْعَوَاصِفِ وَالْفِتَنِ، وَتَلَاطَمَاتِ أَمْوَاجِ الْمِحَنِ، فَيُوشِكُ أَنْ تَغْرُقَ السَّفِينَةُ أَوْ يَتَغَيَّرَ مَسَارُهَا الصَّحِيحُ، أَوْ تُحْدِثَ فِيهَا الشُّرُوحُ

وَالْحُرُوقُ، فَتَطْوَحَ بِهَا بَعِيدًا عَنْ شَاطِئِ السَّلَامَةِ، وَسَاحِلِ النَّجَاةِ.
وَأَنَّ مِنْ أَوْلَى الْخَطُوءَاتِ فِي مُوَاجَهَةِ حَرْبِ الشَّائِعَاتِ: تَرْبِيَةُ
النُّفُوسِ عَلَى الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ وَالتَّسَبُّتِ فِي الْأُمُورِ، فَاَلْمُسْلِمُ لَا يَنْبَغِي أَنْ
يَكُونَ آدَانًا لِكُلِّ نَاعِقٍ، بَلْ عَلَيْهِ التَّحَقُّقُ وَالتَّبَيُّنُ، وَطَلَبُ الْبَرَاهِينِ
الْوَاقِعِيَّةِ، وَالْأَدِلَّةِ الْمَوْضُوعِيَّةِ، وَالشُّوَاهِدِ الْعِلْمِيَّةِ، وَبِذَلِكَ يَسُدُّ الطَّرِيقَ
أَمَامَ الْأَدْعِيَاءِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ خَلْفَ السُّتُورِ، وَيَلُوكُونَ بِالسِّتِّهِمُ التُّهَمَ
الْبَاطِلَةَ ضِدَّ كُلِّ مُصْلِحٍ وَمُحْتَسِبٍ وَغَيْرٍ.

أَلَا وَإِنَّ مِنَ الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ، اسْتِنكَارَ تِلْكَ الْحَمَلَاتِ الْإِعْلَامِيَّةِ
الْمُغْرَضَةِ، وَالشَّائِعَاتِ وَالْأَرَاجِيفِ الْبَاطِلَةِ، الَّتِي يَتَأَثَّرُ بِهَا الَّذِينَ حُرِّمُوا
مِنَاعَةً تَدْفَعُ عُدْوَانَ الْمَرَضِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَصَالَةُ الْفِكْرِ، وَقُوَّةُ الْإِيمَانِ
الَّذِي يَكْشِفُ زَيْفَ كُلِّ بَاطِلٍ دَخِيلٍ، ضِدَّ عَقِيدَتِنَا وَشَرِيعَتِنَا، وَضِدَّ
بِلَادِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ يَشْرَفُونَ بِالْإِنْتِسَابِ إِلَى هَذَا الدِّينِ
الْقَوِيمِ. وَإِنَّ الطَّعْنَ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَعُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ لَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ
أَشْخَاصَهُمْ وَأَعْيَانَهُمْ، وَإِنَّمَا مَا يَحْمِلُونَهُ مِنْ عَقِيدَةٍ وَمَنْهَجٍ. وَإِنَّ
الْحَمَلَاتِ الْمَسْعُورَةَ ضِدَّ بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ - أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهَا وَحَفِظَ لَهَا
أَمْنَهَا وَإِيمَانَهَا - لَنْ تَهْزَمَ مِنْ ثَوَابِتِهَا، وَلَنْ تَكُونَ تِلْكَ الدَّسَائِسُ سَبِيًّا
- بِإِذْنِ اللَّهِ - فِي التَّنَازُلِ عَنْ شَيْءٍ مِنْ عَقِيدَتِهَا وَمَوَاقِفِهَا، فَلَا مُسَاوَمَةَ

عَلَى شَيْءٍ مِنْ مِثْلِنَا وَقِيمِنَا.

وَإِنَّ السُّؤَالَ الْمَلِحَّ: مَاذَا يُرِيدُ هَؤُلَاءِ؟ وَمَنْ يَقِفُ وَرَاءَهُمْ؟
وَلِمَصْلَحَةٍ مَنْ يَدُوكُونَ بِهَا لَا يَعْرِفُونَ، وَيَهْرَفُونَ^(١) بِهَا لَا يُجِيدُونَ؟

وَلَنْ يَضُرَّ الْبَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا أَنْ رَمَى فِيهِ غُلَامٌ بِحَجَرٍ^(٢)
أَلَا فَلْتَنَقِّ اللَّهَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - وَلْنَقُمْ بِوَاجِبِنَا نُجَاهَ دِينِ اللَّهِ تَعَلَّمَا
وَتَعَلَّمَا وَدَعْوَةً وَإِضْلَاحًا، فَمَا أَحْوَجَ الْعَالَمَ إِلَى فَهْمِ الصُّورَةِ الصَّحِيحَةِ
عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ! وَلَنَكُنْ صَفًّا وَاحِدًا أَمَامَ أَعْدَائِنَا، وَلَنَسِرْ عَلَى
مَنْهَجِيَّةٍ صَحِيحَةٍ تُحَقِّقُ الْمَصَالِحَ وَتُدْرَأُ الْمَفَاسِدَ - بِإِذْنِ اللَّهِ - عَنْ أُمَّتِنَا
وَمُجْتَمَعَاتِنَا. وَمَا أُخْرَى أَنْ تُسَاهِمَ وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ الْمَعَاصِرَةِ فِي تَحْقِيقِ
ذَلِكَ لِلْمُسْلِمِينَ! وَلْتَتْلَحَمْ مَعَ وُلَاةِ أَمْرِنَا وَعُلَمَائِنَا أَمَامَ طُوفَانِ الْفِتَنِ،
وَلَا نَقْبَلْ فِيهِمْ قَوْلَ الْوَشَاةِ الْمَغْرِضِينَ.

وَمَا أَشَدَّ حَاجَةَ الْأُمَّةِ - وَقَدْ ذَرَّتِ^(٣) الْفِتْنَ بَقَرْنَهَا وَاسْتَشْرَفَتْ

(١) هَرَفَ الرَّجُلُ: هَدَى، وَهَرَفَ بِفُلَانٍ: جَاوَزَ الْقَدْرَ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ إِلَى شِبْهِ الْهَدْيَانِ.

فَالْهَرَفُ: الْإِطْنَابُ فِي الْمَدْحِ، وَمِنْ أَمْثَلَةِ الْعَرَبِ: «لَا تَهْرَفْ بِهَا لَا تَعْرِفْ». يُنْظَرُ:

«مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ» (٢/٢١٩).

(٢) يُنْظَرُ: «دِيْوَانُ الْأَخْطَلِ» (ص ١٣٦).

(٣) ذَرَّتِ الْفِتْنَ: ظَهَرَتْ كَمَا ذَرَّتِ الشَّمْسُ ذُرُورًا، أَي: ظَهَرَتْ أَوَّلَ شُرُوقِهَا، وَذَرَّتْ =

بِزِمَامِهَا - إِلَىٰ أَدَلَّةٍ مَّهْرَةً يُقْرَدُونَ سَفِينَتَهَا إِلَىٰ شَاطِئِ السَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ!
فَإِنَّهُ إِذَا كَثُرَ الْمَلَّاحُونَ أَغْرَقَتِ السَّفِينَةُ ﴿١١﴾ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ [يوسف].

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى النَّبِيِّ الْأَوَّابِ، كَمَا أَمَرَكُمُ
بِذَلِكَ الْمَوْلَى الْعَزِيزُ الْوَهَّابُ فَقَالَ - تَعَالَى - قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿١٢﴾ إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].

= الأرض النبات: أطلعته. يُنظر: «اللسان»، والقاموس المحيط» (ذرر).

القِسْمُ السَّابِعُ

القَضَايَا الْإِجْتِمَاعِيَّةُ

المخدرات: نذيرُ إفناء المجتمعات

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنُثْنِي عَلَيْهِ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَنَسْتَلِهُمُ الرُّشْدَ وَالتَّوْفِيقَ لِحَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَمُصْطَفَاهُ وَخَلِيلُهُ: سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ، وَبَدْرُ التَّمَامِ، حَطَمَ اللَّهُ بِهِ الْأَصْنَامَ، وَأَظْهَرَ بِهِ الشَّرِيعَةَ، وَأَبَانَ الْأَحْكَامَ، وَحَرَّمَ الْخَبَائِثَ وَالْآثَامَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ السَّادَةِ الْأَعْلَامِ، وَأَصْحَابِهِ الْبُرَرَةِ الْكِرَامِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فَإِنَّ تَقْوَاهُ - سُبْحَانَهُ - الْعُرْوَةُ الَّتِي لَيْسَ لَهَا انْفِصَامٌ، وَالْجَذْوَةُ الَّتِي تَسْتَضِيءُ بِهَا الْقُلُوبُ وَالْأَفْهَامُ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ، وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ

عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ [الحديد].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: إِنَّهُ مُنْذُ أَنْ بَزَغَ فَجْرُ الْإِسْلَامِ الْمُشْرِقِ، وَانْبَثَقَ نُورُ
الْإِيمَانِ الْمُتَلَالِيِ الْوَضَاءِ، وَهُوَ يَلْقَى مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ صُنُوفًا مِنْ
التَّحَدِّيَاتِ، وَالْأَوَانَا مِنَ الْهَجَمَاتِ، تُمَثِّلُ الصَّرَاعَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ،
فِي مَعْرَكَةٍ دَائِمَةٍ، مُتَنَوِّعَةِ الصُّورِ وَالْأَسَالِيبِ، تَرْمِي إِلَى الظُّهُورِ حِينًا،
وَالِى الْخَفَاءِ أحيانًا أُخْرَى، وَتَتَنَوَّعُ سَاحِنَةٌ تَارَةً وَبَارِدَةٌ أُخْرَى، عَسْكَرِيَّةٌ
مَرَّةً، وَفِكْرِيَّةٌ وَخُلُقِيَّةٌ مَرَّاتٍ شَتَّى، بِمَكْرٍ وَتَأْمُرٍ، وَحَقْدٍ وَعِدَاءٍ سَاحِنِ.
يُرِيدُونَ الْقَضَاءَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَتَمْزِيقَ وَحَدَثِهِمْ، وَاسْتِثْصَالَ
شَأْفَتِهِمْ، وَتَدْمِيرَ قُوَّتِهِمْ، وَإِدَالَةَ دَوْلَتِهِمْ، وَالْغَاءَ هُوِيَّتِهِمْ، وَالْإِسْتِيْلَاءَ
عَلَى مُقَدَّرَاتِهِمْ. وَلَنْ يَهْدَأَ هُمْ بَالًا، وَلَنْ يَقَرَّ هُمْ قَرَارًا، وَلَنْ تَلِينَ لَهُمْ قَنَاءً،
مَا دَامَ لِلْإِسْلَامِ كِيَانٌ، وَلِلْمُسْلِمِينَ صَوْلَةٌ وَجَوْلَةٌ؛ حَتَّى يُطْفِئُوا هَذَا
النُّورَ، وَيَقْضُوا عَلَى أَهْلِهِ، وَكُلُّ مَا يَمُتُّ لَهُ بِصِلَةٍ، قَضَاءٌ مُبْرَمًا.

يَقُولُ الْحَقُّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ

دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا

النَّصْرَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ

بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢].

إِحْوَةَ الْعَقِيدَةِ: لَقَدْ مَلِيَ الْإِسْلَامُ. عَبَّرَ تَأْرِيجِهِ الْمَدِيدِ. بِمَا لَا يُعَدُّ
وَلَا يُحْصَى مِنَ الدَّسَائِسِ وَالْمُؤَامِرَاتِ، عَلَى اخْتِلَافِ الطَّرِيقِ
وَالشُّعَارَاتِ، وَتَبَايُنِ الْأَقْطَارِ وَالنَّزَعَاتِ. وَفِي هَذَا الْعَصْرِ، نَرَى وَنَسْمَعُ
ضُرُوبًا مِنَ الْغَزْوِ الْعَسْكَرِيِّ وَالْفِكْرِيِّ وَالْأَخْلَاقِيِّ، وَصُنُوفًا مِنَ
الْحُرُوبِ النَّفْسِيَّةِ وَالْعُدْوَانِ الْمَادِيِّ؛ فَأَلْعَدَاءُ لَمْ يَكْفُوا وَلَكِنْ يَكْفُوا،
وَلَا يَزَالُونَ مَاضِينَ إِلَى أَهْدَافِهِمُ الْخَبِيثَةَ، بِوَسَائِلِ جَدِيدَةٍ، وَأَنْوَاعٍ مِنَ
التَّحْدِيَّاتِ، وَضُرُوبٍ مِنْ نَشْرِ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ، وَالْأَوَانِ مِنَ
الْمُفْتَرِيَّاتِ النَّبِيِّ تَوَاكِبُ تَطَوَّرَ الْعَصْرِ السَّرِيعِ. وَلَمْ يَكْتَفُوا بِالْكَلامِ، بَلْ
انْتَقَلُوا إِلَى التَّحْدِي السَّافِرِ، وَالهُجُومِ الشَّرْسِ، وَالتَّدْخُلِ الْقَدْرِ.

وَكَانَ أَنْ تَسْرَبُوا عَبْرَ الْحُصُونِ، وَتَسَلَّلُوا إِلَى عَدَدٍ مِنَ الثُّغُورِ، وَلَمْ
يَكْتَفُوا بِالْعَمَلِ خَلْفَ الشُّتُورِ، فِي حَبْكٍ لِلْمُؤَامِرَاتِ، وَإِحْكَامِ
لِلتَّحْدِيَّاتِ، وَتَخْطِيطِ رَهَيْبٍ، وَتَنْسِيقِ عَجِيبٍ، وَلَكِنْ يَا بِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ
يُتِمَّ نُورَهُ ﴿ وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ [الأنفال]،
وَلَيْسَ مَا قَامَتْ وَتَقَوْمُ بِهِ الصُّهْبُونِيَّةُ الْعَالِمِيَّةُ الْمَاكِرَةُ، وَالصَّلِيبِيَّةُ
الْحَاقِدَةُ، بِخَافٍ عَلَى كُلِّ ذِي لُبٍّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ

فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة].

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَلَمَّا فَشِلَ الْأَعْدَاءُ فِي السَّيْطَرَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ عَلَى
بِلَادِ الْإِسْلَامِ، عَمِلُوا جَاهِدِينَ عِبْرَ الْحُرُوبِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، وَشَنَّهَا عَلَى
بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِنْ أخطرِ وَسَائِلِهِمْ، وَأَشْرَسِ تَحْدِيَاتِهِمْ: قِيَامُهُمْ
بِشَنْ حَرْبِ الْمُسْكَرَاتِ وَالْمُخَدَّرَاتِ، وَتَصْدِيرِهَا لِبِلَادِ الْمُسْلِمِينَ،
وَتَدْمِيرِ شَبَابِهِمْ، وَقَتْلِ رُجُولَتِهِمْ، وَاغْتِيَالِ طُمُوحَاتِهِمْ، حَتَّى تَتَمَّ
السَّيْطَرَةُ عَلَيْهِمْ دُونَ هَوَادَةٍ. فَكَانَ لِأَبَدٍ مِنَ التَّصَدِّي هَذَا الْخَطَرِ
الْعَظِيمِ، وَالشَّرِّ الْفَادِحِ الْجَسِيمِ، بِالتَّذْكِيرِ وَالتَّوْجِيهِ؛ حَتَّى تَسْلَمَ الْأُمَّةُ
مِنْ سُورِ هَذِهِ الْأَفَاتِ الْخَبِيثَةِ، وَالْأَدْوَاءِ الْخَطِرَةِ الْمُرُوعَةِ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: لَمَّا كَانَتِ الْمُسْكَرَاتُ وَالْمُخَدَّرَاتُ، تَقْضِي
عَلَى الْمَدَارِكِ، بَلْ تَقْضِي عَلَى الْفَرْدِ فِي أَعَزِّ مَا يَمْلِكُ وَهُوَ عَقْلُهُ، وَبِالتَّالِي
تَقْضِي عَلَى دِينِهِ، وَصِحِّحِهِ وَسُلُوكِهِ، وَتَقْضِي عَلَى الْمُجْتَمَعَاتِ بِالْإِخْلَالِ
بِأَمْنِهَا، وَجَلْبِ الْفَسَادِ وَالْفَوْضِي إِلَيْهَا، وَتَدَهُورِ اقْتِصَادِهَا، وَإِعَاقَةِ
تَنْمِيَّتِهَا، وَتَفْكَكِ أَسْرِهَا، وَتَفَاقُمِ الْجَرَائِمِ فِيهَا، وَانْتِشَارِ الْعُنْفِ
وَالْإِرْهَابِ بَيْنَ أَبْنَائِهَا؛ فَهُمْ بَيْنَ سَكِّيرِ عَرَبِيٍّ^(١)، وَثَمَلٍ مُجْرِمٍ عَنيفٍ

(١) عَرَبِيٌّ: صِفَةٌ لِلسَّكِّيرِ وَهُوَ يَتَمَّيَلُ يَمِينًا وَشِمَالًا وَيُؤْذِي النَّاسَ فِي سُكْرِهِ. يُقَالُ:
عَرَبِيٌّ فِي سُلُوكِهِ، أَي: سَيِّءُ السُّلُوكِ وَالْأَخْلَاقِ. يَنْظُرُ: «اللِّسَانُ» (عَرَبِيٌّ).

عَيْنِهِ، لَا يَعْرِفُ لِلَّهِ حَقًّا، وَلَا لِمُجْتَمَعِهِ وَزَنَا، وَلَا لِلْفَضَائِلِ وَالْقِيَمِ
طَرِيقًا؛ لِذَلِكَ كُلُّهُ؛ وَلِمَا لِلْمُسْكِرَاتِ وَالْمُخَدَّرَاتِ مِنْ عَوَاقِبَ وَخِيَمَةٍ،
وَأَضْرَارِ خَطِيرَةٍ، وَشُرُورِ مُسْتَطِيرَةٍ عَلَى الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، عَلَى
الدِّينِ وَالصَّحَّةِ وَالْعَقْلِ وَالْمَالِ وَالسُّلُوكِ، جَاءَ تَحْرِيمُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ
وَفِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ

وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ [المائدة].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ^(١) وَأَبُو دَاوُدَ^(٢) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا - قَالَتْ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفْتَرٍّ».

فَهِيَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - أُمُّ الْحَبَائِثِ^(٣)، وَرَأْسُ الشُّرُورِ، وَكَبِيرَةٌ مِنْ
كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، مُتَعَاطِيهَا مُعَرِّضٌ نَفْسَهُ لَوَعِيدِ اللَّهِ، وَلَعْنَتِهِ وَغَضَبِهِ^(٤).

(١) في المسند (٦/٣٠٩).

(٢) برقم (٣٦٨٦).

(٣) كما في حديث عثمان بن عفان ؓ الذي أخرجه النسائي في «الكبرى» (٣/٢٢٨)،
وابن حبان (١٢/١٦٩)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/٢٨٧).

(٤) كما في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا
وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُتَبَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمُحْمُولَةَ إِلَيْهِ». أخرجه أبو
داود (٣٦٧٤).

المُدمِنُ مُفْسِدٌ لِدِينِهِ وَبَدَنِهِ، جَانٍ عَلَى نَفْسِهِ وَأُسْرَتِهِ وَمُجْتَمَعِهِ،
عَابِثٌ بِكَرَامَتِهِ، وَجَوْهَرٍ إِنْسَانِيَّتِهِ، سَاعٍ إِلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، صَائِلٌ
مُتَمَرِّدٌ عَلَى الْأَخْلَاقِ وَالْقِيمِ، وَهُوَ عُضْوٌ مَسْمُومٌ فِي الْمُجْتَمَعِ، إِذَا
اسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ، وَتَطَايَرَ شَرُّهُ؛ أَصَابَهُ بِالْخَرَابِ وَالِدَّمَارِ، وَمَتَى غَابَ
عَقْلُ الْمُدْمِنِ نَسِيَ رَبَّهُ: فَتَرَكَ الصَّلَاةَ، وَقَدْ يَقْتُلُ، وَقَدْ يَزْنِي وَيَقَعُ عَلَى
مَحَارِمِهِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - بَلْ قَدْ يَسُبُّ الدِّينَ.

وَكَمْ أَحَدَّتِ الْخَمْرُ مِنْ بَغْضَاءٍ، وَكَمْ زَرَعَتْ مِنْ عَدَاوَةٍ، وَكَمْ
فَرَّقَتْ مِنْ اجْتِمَاعٍ، وَكَمْ ضَيَّعَتْ مِنْ أُمَّةٍ، وَكَمْ أَهَاجَتْ مِنْ حُرُوبٍ،
وَكَمْ شَتَّتَتْ مِنْ أُسْرٍ، وَكَمْ فَرَّقَتْ بَيْنَ رَجُلٍ وَزَوْجَتِهِ، وَأَبٍ وَوَلَدِهِ،
وَمُحِبٍّ وَمُحِبِّهِ.

وَصَفْوَةُ الْقَوْلِ: الْمُسْكِرَاتُ وَالْمُخَدَّرَاتُ: دَاءُ
الْمُجْتَمَعَاتِ وَسَرَطَانُ الْأُمَّمِ.

فَأَمْرٌ هَذِهِ آثَارُهُ الْخَطِيرَةُ، وَهَذَا جَزَاءُ مُتَعَاطِيهِ عِنْدَ اللَّهِ، وَتِلْكَ
حَالُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَيْفَ تَطِيبُ نَفْسُ عَاقِلٍ - فَضْلاً عَنْ مُسْلِمٍ -
بِتَنَاوُلِهِ، بَلْ بِوُجُودِهِ فِي مُجْتَمَعَاتِ الْمُسْلِمِينَ؟ إِنَّهُ لَعَجِيبٌ حَالٌ مَنْ
يَسْمَعُ هَذِهِ الْأَفَاتِ، وَيَعْلَمُ أَحْوَالَ مَنْ يَتَعَاطَى الْمُسْكِرَاتِ
وَالْمُخَدَّرَاتِ، وَمَا يَقَعُونَ فِيهِ مِنَ الْقَبَائِحِ الَّتِي هِيَ مَسْخٌ لِلدِّينِ وَالْعَقْلِ

وَالصَّحَّةِ، وَمَا صَارَ إِلَيْهِ أَهْلُهُ مِنْ أَحْسَسِ حَالَةٍ، وَأَقْدَرِ صِفَةٍ، وَأَفْظَعِ مُصَابٍ.

لَا يَتَأَهَّلُونَ لِخِطَابٍ، وَلَا يَمِيلُونَ إِلَى صَوَابٍ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَّا إِلَى خَوَارِمِ الْمُرُوءَاتِ، وَهَوَادِمِ الْكَمَالَاتِ، وَفَوَاحِشِ الْخَطِيئَاتِ وَالضَّلَالَاتِ، ثُمَّ مَعَ هَذِهِ الْعِظَائِمِ، وَتِلْكَ الْقَوَاصِمِ، يُصِرُّ بَعْضُ الْجَهْلَةِ عَلَى أَنْ يَنْدَرِجَ فِي زُمْرَتِهِمُ الْخَاسِرَةَ، وَفِرْقَتِهِمُ الْحَايِرَةَ، مُتَعَامِلًا عَمَّا يُصِيبُ وَجُوهَهُمْ مِنَ الْعِبْرَةِ، وَمَا يَعْتَرِيهَا مِنَ الْقِتْرَةِ، مُتَغَافِلًا عَمَّا حَلَّ بِهِمْ - بَعْدَ النَّصَارَةِ - مِنَ النُّحُولِ، وَمَا تَمَكَّنَ مِنْهُمْ مِنَ الذُّبُولِ. وَلَكِنْ يَا سُبْحَانَ اللَّهِ! كَيْفَ يَسْعَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلَ؟! نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ زَيْغِ الْقُلُوبِ!

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ: وَلَمْ يَقِفِ الْأَمْرُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، فَنَحْنُ فِي هَذَا الْعَضْرِ أَمَامَ مُؤَامِرَاتِ خَطِيرَةٍ، وَشَبَكَاتِ وَعَصَابَاتِ إِجْرَامِيَّةٍ، وَهَجَمَاتِ شَرِسَةٍ، وَمُحْطَّطَاتِ عُدْوَانِيَّةٍ حَاقِدَةٍ، يَشُنُّهَا أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ عَلَى أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَبِلَادِهِمْ، فَلَجَّؤُوا بِشَتَّى الْوَسَائِلِ إِلَى مُحَارَبَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ اسْتَخْدَمُوا طُرُقًا مَآكِرَةً، وَأَسْلِحَةً فَتَاكَةً خَفِيَّةً، هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ أخطرُ مِنَ الْمَدَافِعِ وَالصَّوَارِيخِ؛ لِأَنَّهَا تَقْضِي عَلَى الْأُمَّةِ، فِي أَعَزِّ مَا تَمْلِكُ؛ تَقْضِي عَلَى الْعُقُولِ، وَتَلَوِّثُ الْأَفْكَارِ، وَتَغْزُو الْمَبَادِيءَ،

وَتَهْدِيهِمُ الْمَعْنَوِيَّاتِ، إِنَّهَا مِعْوَلٌ هُدِمَ أَخْلَاقِ عُدَّةِ الْأُمَّةِ، وَقَلْبِهَا النَّابِضِ،
وَشُرْيَانِهَا الْمُتَدَفِّقِ مِنْ شَبَابِهَا: سَوَاعِدِ بِنَائِهَا، وَعُدَّةِ مُسْتَقْبَلِهَا، وَرِجَالِ
غَدِهَا، وَبُنَاةِ حَضَارَتِهَا.

فَالْوَعْيِ الْوَعْيِ! - يَا شَبَابَ الْمُسْلِمِينَ - أَمَامَ مَا يُحَاكُ ضِدَّكُمْ
مِنْ مُؤَامِرَاتٍ، وَمَا يُجْلِبُ إِلَيْكُمْ مِنْ مَحَدِّيَّاتٍ، لَقَدْ أَجْلَبَ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ
وَأَشْيَاعُهُمْ مِنْ ضِعَافِ النَّفُوسِ، وَعَدِيمِي الْمُرُوءَةِ، وَمُشِيعِي الْفَسَادِ
فِي الْأَرْضِ، الْمُحَارِبِينَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، الْمُؤَذِينَ لِعِبَادِهِ وَأَوْلِيَائِهِ،
بِالتَّرْوِيجِ لِأَفَةِ الْمُخَدَّرَاتِ الْمُدْمِرَةِ، تِلْكَ الْجَرِيمَةُ الْخَطِيرَةُ الَّتِي
تُمَثِّلُ مُشْكِلَةَ الْعَصْرِ الْحَاضِرِ وَكَفَى؛ لِأَنَّ مِنْ وَرَائِهَا دُعَاةَ الْجَرِيمَةِ
وَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، الَّذِينَ أَشَاعُوا هَذَا السُّمَّ الزُّعَافَ، وَالْوَبَاءَ
الْفَتَّاكَ، وَسَقَوَهُ أَبْنَاءُ الْمُسْلِمِينَ كَأَسَا مُتْرَعَةً^(١).

لَقَدْ فَشَتْ هَذِهِ الْجَرِيمَةُ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ فَشَوْاً رَهِيْباً،
وَبَلَغَتْ مَبْلَغاً عَظِيْباً، وَحَطَمَتْ الْأَرْقَامَ الْقِيَاسِيَّةَ، وَالْإِحْصَاءَاتِ
الْمُذْهِلَةَ مِنَ الْمُدْمِنِينَ، وَتَطَالَعْنَا الْإِحْصَاءَاتِ أَنَّ نِصْفَ شَبَابِ
الْمُجْتَمَعِ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ يَتَعَاطُونَ الْخُمُورَ وَالْمُخَدَّرَاتِ، وَقَدْ دَعَتْ

(١) يُقَالُ: تَرَعُ الشَّيْءَ إِذَا امْتَلَأَ، وَكَأَسَّ مُتْرَعَةً، أَي: مَمْتَلئة. يَنْظُرُ: «اللسان» (ترع).

هَذِهِ الْإِحْصَاءَاتُ الْمُنْذِهْلَةُ دُوَلَ الْعَالَمِ بِأَسْرِهَا لِـمَنْعِ التَّعَامُلِ
بِالْمُخَدَّرَاتِ تَعَاطِيًا وَبَيْعًا، تَنَاوُلًا وَتَرْوِيحًا، زِرَاعَةً وَإِنْتِاجًا، وَوَضَعَتْ
لِذَلِكَ، الْعُقُوبَاتِ الصَّارِمَةَ؛ لِحِمَايَةِ مُجْتَمَعَاتِهَا مِنْ هَذَا الْوَبَاءِ الْفَتَّاكِ،
وَهَذَا الْبَلَاءِ الْمُدْمِرِ.

وَقَدْ تَفَنَّنَ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ بِتَضْدِيرِ هَذَا الْوَبَاءِ إِلَى مُجْتَمَعَاتِ
الْمُسْلِمِينَ، فَالْبِسُوهُ شَتَى الْأَلْبِسَةِ، وَسَمَّوْهُ بِالْأَسْمَاءِ الْبِرَّاقَةِ، وَنَوَّعُوهُ
أَنْوَاعًا مُخْتَلِفَةً جَذَابَةً، وَمَهْمَا يَكُنِ الْأَمْرُ فَالطَّرِيقُ وَالْهَدَفُ وَاحِدٌ، الْكُلُّ
لَهُ آثَارُهُ وَعَوَاقِبُهُ السَّيِّئَةُ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ.

وَكَمْ كَانَتْ الْمُسْكِرَاتُ وَالْمُخَدَّرَاتُ سَبَبًا لِأَمْرَاضِ الْقَلْبِ،
وَتَصَلَّبِ الشَّرَائِينِ، وَاعْتِلَالِ الْجِهَازِ الْهَضْمِيِّ وَالتَّنَفُّسِيِّ وَالتَّنَاسُلِيِّ،
وَإِتْلَافِ خَلَائِجِ الْمُخِّ، وَتَدْمِيرِ الْمَرَائِزِ الْعَصَبِيَّةِ لَدَى الْإِنْسَانِ، فَيُصْبِحُ
شَخْصًا مُعْتَلًّا، شَبَحًا مُجِيفًا، مُشَوَّشَ التَّفْكِيرِ، قَلْقًا غَيْرَ مُتَوَازِنٍ، وَتَقَلُّ
قُوَاهُ الْعَقْلِيَّةُ، فَيَهْذِي بِهَا لَا يَدْرِي، وَيَهْرِفُ^(١) بِهَا لَا يَعْرِفُ، وَيُصَابُ
بِالْهَلُوسَةِ وَالْهَسْتِيرِيَا، فَتَسْوَأُ عِلَاقَتُهُ مَعَ أُسْرَتِهِ وَاجْتَمَعِهِ.

وَلَقَدْ أُثْبِتَتِ الدَّرَاسَاتُ، أَنَّهُ كَلَّمَا زَادَتْ ظَاهِرَةُ اسْتِعْمَالِ

(١) سبق بيان معناها (ص ٣٤٣).

الْمُخَدَّرَاتِ فِي مُجْتَمَعٍ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ، اِرْتَفَعَتْ مُعَدَّلَاتُ أخطَرِ
الْجَرَائِمِ الْأُمْنِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ، كَمَا ثَبَتَ أَنَّ نِسْبَةَ أَكْثَرِ مَنْ حَمْسِينَ بِالسَّائِقَةِ،
مِنْ حَوَادِثِ السَّيَّارَاتِ، الَّتِي يَمُوتُ بِسَبَبِهَا الْأَبْرِيَاءُ، وَتُخَلَّفُ وَرَاءَهَا
العَدِيدَ مِنَ الْمَآسِي، يَرْجِعُ السَّبَبُ فِي وَقُوعِهَا إِلَى اسْتِعْمَالِ السَّائِقِينَ
لِلْمُخَدَّرَاتِ وَالْمُسْكِرَاتِ؛ حَيْثُ تُسَبَّبُ هُمْ الرُّعُونَةُ وَالتَّهَوُّرُ.

وَعَلَى الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ ضَرْبٌ مِنَ الْمُبَالَغَةِ، عَلَيْهِمْ أَنْ
يَتَعَرَّفُوا عَلَى مَنْ فِي السُّجُونِ، وَمَا يُعْرَضُ فِي الْمَحَاكِمِ، وَمَنْ يُعَالَجُ فِي
الْمُسْتَشْفِيَّاتِ النَّفْسِيَّةِ، وَيَقْرَأُوا الْإِحْصَاءَاتِ، الَّتِي تُهَدِّدُ الْبَشَرِيَّةَ، فَكَمْ
مِنْ مَلَائِينَ الْحُبُوبِ وَالْمُخَدَّرَاتِ تُجَلَّبُ يَوْمِيًّا لِلْفَتْكِ بِأَجْيَالِ
الْمُسْلِمِينَ.

الأمرُ خطيرٌ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - وَلَا يَسَعُ مُسْلِمًا التَّغَاضِي عَنْهُ
وَالسُّكُوتُ عَلَيْهِ، وَكَيْفَ يَسْكُتُ الْمُسْلِمُونَ، وَهُمْ يَقَادُونَ عَنْ طَرِيقِ
هَذَا الْوَبَاءِ إِلَى هُوَّةِ سَحِيقَةٍ، لَا يَعْلَمُ مَدَاهَا إِلَّا اللَّهُ!؟

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ: وَحِينًا نَبْحُ عَنْ أَسْبَابِ تَفْشِي هَذِهِ الْجَرِيمَةِ،
وَلَأَسِيًّا فِي مُحِيطِ الشَّبَابِ، نَجِدُ أَنَّ:

أولها: ضَعْفُ الْوَاظِعِ الدِّينِيِّ، وَتَدَنِّي مُسْتَوَى التَّرْبِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

لَدَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَجْيَالِ.

وَمِنْهَا: الْخَوَاءُ وَالْفِرَاقُ الْكَبِيرُ، وَالتَّقْلِيدُ الْأَعْمَى، وَجُلْسَاءُ
السُّوءِ، وَعَبِيرُ ذَلِكَ كَثِيرٌ، مِمَّا يُجَسِّدُ الْمُسْؤُولِيَّةَ - أَوَّلًا، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ -
عَلَى الْأُسْرَةِ، وَعَلَى وِلِيِّ الْأَمْرِ فِيهَا؛ لِذَلِكَ فَإِنِّي أَذَكِّرُ الْأَبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ
بِضُرُورَةِ رِعَايَةِ الْأَبْنَاءِ، وَحُسْنِ تَرْبِيَّتِهِمْ وَمُتَابَعَتِهِمْ، وَمُرَاقَبَةِ تَحْرِكَاتِهِمْ،
وإِبْعَادِهِمْ عَنِ قُرْنَاءِ السُّوءِ، وَشُغْلِ أَوْقَاتِ فِرَاعِهِمْ بِمَا يَنْفَعُهُمْ فِي أَمْرِ
دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَأَحْذَرُهُمْ مِنْ مَغْبَةِ إِهْمَالِ ذَلِكَ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
فُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ
شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم].

وَإِنِّي أَنَاشِدُ كُلَّ مُسْؤُولٍ أَنْ يَتَحَمَّلَ مَسْؤُولِيَّتَهُ مُجَاهَ دِينِهِ، وَجُمْتَمِعِهِ
وَبِلَادِهِ، وَأَنْ يَكُونَ عَيْنًا سَاهِرَةً عَلَى جَلْبِ الْمَصَالِحِ لِمُجْتَمَعِهِ، وَدَرْءِ
الْمَفَاسِدِ عَنِ بِلَادِهِ، وَأَنْ يَسُودَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ - أَفْرَادٍ وَهَيْئَاتٍ، شُعُوبٍ
وَحُكُومَاتٍ - التَّعَاوُنُ؛ لِلْقَضَاءِ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ الْعُضَالِ؛ وَالتَّبْلِيغِ عَنِ
أَهْلِهِ، وَأَخْصُ بِالذِّكْرِ: الْأَعْيَانَ وَالْوُجُهَاءَ، وَالِدُّعَاةَ وَالْعُلَمَاءَ، وَحَمَلَةَ
الْقَلَمِ، وَالْمَعْنِيِّينَ بِشُؤُونِ تَوْجِيهِ الشَّبَابِ، وَتَرْبِيَّتِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ؛
لِيَسْخَرُوا كُلَّ طَاقَاتِهِمْ، وَيَبْذُلُوا كَافَّةَ إِمْكَانَاتِهِمْ، لِمُحَاصِرَةِ هَذَا الشَّبَحِ

الْمُخِيفِ، وَالْأَخْطُوطِ الْمُرْعَبِ.

كَمَا أَنَّ عَلَى وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ - مَرِيئَهَا وَمَسْمُوعِهَا وَمَقْرُوءِهَا -
النَّصِيبَ الْأَكْبَرَ مِنْ تَبْصِيرِ الْأَجْيَالِ بِمُخَطَّطَاتِ الْأَعْدَاءِ؛ لِلْمَكْرِ بِهِمْ
وَاعْتِيَالِ أَخْلَاقِهِمْ، عَنْ طَرِيقِ هَذَا الْوَبَاءِ وَغَيْرِهِ.

أَمَّا الَّذِينَ تَوَرَّطُوا، وَسَارُوا فِي طَرِيقِ الْإِنْتِحَارِ الْبَطِيءِ، فَإِنَّا
نُنَادِيهِمْ نِدَاءَ الْمَوَدَّةِ وَالْإِشْفَاقِ، أَنْ يَكْفُوا عَنْ هَذَا الْبَلَاءِ،
فَكَفَاهُمْ شُرُورًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَجُتَمَعَاتِهِمْ، وَأُسْرِهِمْ،
وَأَوْلَادِهِمْ، وَبِلَادِهِمْ، وَمَنْ تَابَ؛ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

أَلَا وَإِنَّ أَهَمَّ طُرُقِ الْوِقَايَةِ وَالْعِلَاجِ مِنْ دَاءِ الْمُخَدَّرَاتِ: تَثْبِيتُ
الْعَقِيدَةِ، وَتَقْوِيَةُ الْإِيمَانِ بِالْقُلُوبِ؛ حَتَّى تَشْعُرَ بِالطَّمَأْنِينَةِ وَالْأَمَانِ،
وَتَحْصِنُ الشَّبَابَ بِالتَّرْبِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْقَوِيَّةِ، فِي الْأُسْرَةِ وَالْمَدْرَسَةِ
وَالْمُجْتَمَعِ، وَالْعِنَايَةَ بِالتَّوَعِيَةِ الْمُكثَّفَةِ، وَالتَّعَاوُنَ الْبِنَاءِ بَيْنَ أَفْرَادِ
الْمُجْتَمَعِ وَهَيْئَاتِهِ.

كَذَلِكَ لَا بُدَّ مِنْ إِحْلَالِ الْعُقُوبَاتِ الرَّادِعَةِ بِمَنْ يَسْعُونَ فَسَادًا فِي
مُجْتَمَعَاتِ الْمُسْلِمِينَ، مِنَ الْمُهَرِّينَ وَالْمُرُوجِينَ، بِالتَّشْهِيرِ بِهِمْ،
وَإِظْهَارِ سُوءِ صَنِيعِهِمْ، وَإِقَامَةِ حُكْمِ اللَّهِ فِيهِمْ.

وَإِنَّا لَنَحْمَدُ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ وَفَّقَ هَذِهِ الْبِلَادَ الْمُبَارَكَةَ، بِاتِّخَاذِ
الْجَزَاءِ الرَّادِعِ، وَعَمَلِ الدَّوَاءِ النَّاجِعِ، الْمُسْتَمَدِّ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ
رَسُولِهِ ﷺ؛ لِلْقَضَاءِ عَلَى هَذَا الشَّرِّ، وَمُعَاقِبَةِ أَهْلِهِ.

وَإِنَّا لَنَدْعُو كُلَّ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ - بَلْ كُلَّ الْعَالَمِ - أَنْ تَحْذُوا حَدَّوَهَا
فِي مُحَارَبَةِ هَذَا الْوَبَاءِ، فَلَقَدْ أَخَذَتْ بِالْبَلْسَمِ^(١) الشَّافِي، وَالْحَلِّ
الْحَاسِمِ، وَجَنْتُ ثِمَارَهُ، وَتَذَوَّقْتُ آثَارَهُ الطَّيِّبَةَ، أَمْنَا وَأَمَانًا - بِحَمْدِ اللَّهِ
وَتَوْفِيقِهِ.

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَانْفَعْنَا بِهَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ
الْحَكِيمِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) بَلْسَمٌ: جِنْسُ شَجَرِ الْقَرْنِيَّاتِ يَسِيلُ مِنْ فُرُوعِهَا عُصَارَةٌ بَلْسَمِيَّةٌ، صَمْعِيَّةٌ،
تُسْتَعْمَدُ فِي الطَّبِّ وَتُضَمَّدُ بِهَا الْجِرَاحُ. يَنْظُرُ: «اللسان».

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْمَلَ لَنَا الدِّينَ، وَشَرَّفَنَا بِاتِّبَاعِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِئْسَ الْأُمَّةَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الصَّادِقُ الْوَعْدِ الْأَمِينُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم
وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَصَحَابَتِهِ الْعُرَّ الْمَيَامِينِ،
وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَعَلِّمُوا أَنْ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ
كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ
بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَدَّ شَدًّا
فِي النَّارِ.

عِبَادَ اللَّهِ: صَفْحَةٌ أُخْرَى مِنْ صَفْحَاتِ الْكَيْدِ لِلْإِسْلَامِ، تَتَمَثَّلُ
فِي تَشْكِيكِ الْمُسْلِمِينَ فِي ثَوَابَتِهِمْ، وَثَلْبِهِمْ فِي عَقِيدَتِهِمْ، وَقَدْ بَعُدَ كَثِيرٌ
مِنْهُمْ عَنِ مَشْكَاتِ النُّبُوَّةِ، وَمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - وَمِنْ
ذَلِكَ: مَا يَعْتَقِدُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَنَّ لِبَعْضِ الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ خُصُوصِيَّةً

عَلَى غَيْرِهَا، مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ.

وَمِنْ هَذَا: مَا يَعْتَقِدُهُ بَعْضُ النَّاسِ فِي شَهْرِ رَجَبٍ، مِنْ أَنَّ لَهُ خَاصِّيَّةً عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ، فَيَأْتُونَ فِيهِ أُمُورًا مُحَدَّثَةً، وَيَعْتَقِدُونَ فِيهِ اعْتِقَادَاتٍ خَاطِئَةً، وَيُخَصِّصُونَهُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعِبَادَةِ لَيْسَ عَلَيْهَا دَلِيلٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَلَا هَدْيِ السَّلَفِ الصَّالِحِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وَتُخَصِّصُ شَهْرَ رَجَبٍ - أَوْ بَعْضَ أَيَّامِهِ وَلَيَالِيهِ - بِصِيَامٍ أَوْ قِيَامٍ أَوْ نَحْوِهِمَا، أَمْرٌ مُحَدَّثٌ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ، قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «لَمْ يَرِدْ فِي فَضْلِ شَهْرِ رَجَبٍ، وَلَا صِيَامِهِ، وَلَا فِي صِيَامِ شَيْءٍ مِنْهُ مَعَيَّنٍ، وَلَا فِي قِيَامٍ لَيْلَةٍ مُخْصُوصَةٍ حَدِيثٌ صَحِيحٌ يَصْلُحُ لِلْحُجَّةِ»^(١)، وَلَهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - رِسَالَةٌ قِيَمَةٌ فِي ذَلِكَ، وَنَحْوَ قَوْلِهِ هَذَا، قَالَ عَلَمَاءُ الْإِسْلَامِ الْمُحَقِّقُونَ، كَشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَالْعَلَّامَةِ ابْنِ الْقَيِّمِ، وَالْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ، وَالْإِمَامِ النَّوَوِيِّ، وَالشَّوْكَانِيِّ، وَغَيْرِهِمْ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا. فَبِأَيِّ دَلِيلٍ - بَعْدَ ذَلِكَ - يَحْتَجُّ مَنْ يَفْعَلُ هَذِهِ الْمُحَدَّثَاتِ؟

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَتَمَسَّكُوا بِدِينِكُمْ، وَاتَّبِعُوا

(١) يُنظَرُ: «تبيين العجب بما ورد في فضل رجب» (ص ٢).

هَدَىٰ بَيْتِكُمْ ﷺ، وَأَحْذَرُوا الْوُقُوعَ فِي كُلِّ مَا يُخَالِفُ السُّنَّةَ.

فَخَيْرُ الْأُمُورِ السَّالِفَاتُ عَلَى الْهَدَىٰ

وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُحَدَّثَاتُ الْبَدَائِعُ^(١)

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: أَلَا وَإِنَّ مِمَّا يَنْبَغِي التَّحَدُّثُ بِهِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ - عَزَّ
وَجَلَّ -: مَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مِنْ نُزُولِ الْغَيْثِ، وَتِلْكَ
نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوزِعَنَا شُكْرَهَا قَوْلًا وَعَمَلًا، وَاعْتِقَادًا
بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْوَلِيُّ - جَلَّ وَعَلَا - بِإِنزَالِ الْغَيْثِ.

وَأَمَّا مَا يَعْتَقِدُهُ بَعْضُ الْعَامَّةِ مِنْ أَنَّ لِلْأَنْوَاءِ وَالْكَوَاكِبِ تَأْثِيرًا فِي
ذَلِكَ، فَهَذَا مِمَّا يُخَدِّشُ الْعَقِيدَةَ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ اللَّهَ
- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَقُولُ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ
قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكَوَكَبِ، وَأَمَّا
مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكَوَكَبِ»^(٢).

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاشْكُرُوا عَلَىٰ عُمُومِ نِعَمِهِ وَالْآيَةِ،
وَاسْتَعِينُوا بِهَا عَلَىٰ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، لَا عَلَىٰ مَا يُسْخِطُهُ وَيَأْبَاهُ.

(١) يُنظر: «ولاية الله والطريق إليها» للشوكاني (ص ٣٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٣٨)، ومسلم (٧١) من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ، وَالنِّعْمَةِ
الْمُسَدَّاةِ، نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، كَمَا أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ - جَلَّ فِي عُلَاهُ -
فَقَالَ - عَزَّ مِنْ قَائِلٍ -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب].

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، مُكَوِّرِ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ،
وَمُكَوِّرِ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
خَلَقَ الْأَمْصَارَ، وَعَمَرَ الْأَرْضَ بِالْدِّيَارِ، وَبَاعَدَ بَيْنَ الْأَقْطَارِ، وَكَتَبَ عَلَى
النَّاسِ الْأَسْفَارَ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ، خَيْرُ
مَنْ حَلَّ وَارْتَحَلَ، وَمَكَثَ وَانْتَقَلَ، وَسَارَ وَنَزَلَ، وَأَقَامَ وَسَافَرَ، وَسَكَنَ
وَهَاجَرَ، أَقَامَ فَكَانَ الْخَيْرُ فِي إِقَامَتِهِ، وَرَحَلَ فَكَانَ الظَّفَرُ فِي رِحْلَتِهِ،
دَلَّنَا عَلَى الْخَيْرِ فِي سَفَرِنَا وَحَضَرْنَا، وَإِقَامَتِنَا وَظَعَنَنَا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ، وَصَحْبِهِ الْأَبْرَارِ، وَمَنْ اهْتَدَى بِهَدْيِهِ وَسَارَ عَلَى
أَثَرِهِ، وَاقْتَدَى بِهِ فِي حَضْرِهِ وَسَفَرِهِ، مَا تَعَاقَبَ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأُوصِيكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي كُلِّ مَا
نَأْتِي وَنَنْدُرُ، وَالِاسْتِجَابَةَ لَهُ - سُبْحَانَهُ - فِي كُلِّ مَا نَهَى وَأَمَرَ، وَلِزُومِ تَقْوَاهُ
فِي الْحَضْرِ وَالسَّفَرِ.

فَالْمُوفَّقُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ حَيْثُ مَا كَانَ وَحَلَّ، وَأَيْنَمَا وَجِدَ وَارْتَحَلَ،
فَإِنَّهُ يَضَعُ التَّقْوَى شِعَارَهُ، وَطَاعَةَ اللَّهِ دِتَارَهُ، لَا يَجُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مَكَانٌ
دُونَ مَكَانٍ، وَلَا زَمَانٌ دُونَ زَمَانٍ، وَإِنَّمَا شِعَارُهُ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا
كُنْتَ»^(١).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مَتَى مَا اسْتَمْسَكْتَ الْأُمَّةَ بِعَقِيدَتِهَا وَمَبَادِيئِهَا؛
صَلَحَتْ أَحْوَالُهَا، وَاسْتَبَّتْ أَوْضَاعُهَا، وَتَلَاشَتْ عَنْ مُجْتَمَعَاتِهَا الظَّوَاهِرُ
الْمُخَالَفَةُ لِدِينِهَا، وَمَتَى فَرَطْتَ فِي إِسْلَامِهَا - وَأَرْخَتِ الزَّمَامَ لِأَبْنَائِهَا،
يَجْطُطُونَ حَبْطَ عَشْوَاءٍ فِي أَفْكَارٍ دَخِيلَةٍ، وَمَنَاهَجٍ هَزِيلَةٍ، وَثَقَافَاتٍ
مُسْتَوْرَدَةٍ وَهَجِينَةٍ غَيْرِ أَصِيلَةٍ، وَانْفَتَاحِ عَلَى الْعَالَمِ دُونَ ضَوَابِطِ شَرِيعَتِهِ،
وَأَدَابِ مَرْعِيَّةٍ - تَفَشَّتْ بَيْنَهَا الظَّوَاهِرُ الْمُخَالَفَةُ لِلشَّرِيعَةِ، الَّتِي تَتْرُكُ
أَنَارًا سَلْبِيَّةً عَلَى أَفْرَادِهَا وَمُجْتَمَعِهَا، وَتَحْتَاجُ إِلَى التَّصَدِّي وَالْعِلَاجِ مِنْ
قِبَلِ الْغَيْرِ عَلَيْهَا، وَالْمُهْتَمِّينَ بِشُؤْنِهَا وَأَوْضَاعِهَا.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: قَضِيَّةٌ مُهِمَّةٌ وَخَطِيرَةٌ، وَظَاهِرَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ
مُورِّقَةٌ وَكَبِيرَةٌ، جَدِيرَةٌ بِرَسْمِ الْخِطَطِ وَالْمَنَاهَجِ، وَإِعْدَادِ الْعُدَدِ

(١) جزء من حديث أبي ذر رضي الله عنه، الذي أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد في «المسند»
(١٥٣/٥)، والدارمي في «سننه» (٤١٥/٢)، والبيهقي في «الشعب» (٢٤٥/٦).

وَالْبَرَامِجِ، لِتَأْصِيلِهَا وَالْعِنَايَةِ بِهَا، وَبِذَلِكَ مَزِيدٍ مِنَ الْجُهْدِ حِيَالِهَا
 وَالِإِهْتِمَامِ بِهَا: تِلْكَمُ هِيَ مَا يَحْضُلُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ مِنْ كُلِّ عَامٍ؛ حِينَ
 تَشْتَدُّ حَرَارَةُ الصَّيْفِ، وَيُلْقِي بِسَمُومِهِ اللَّافِحِ، عَلَى بَعْضِ أَقْطَارِ
 الْمَعْمُورَةِ، مِمَّا يَحْمِلُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَلَى الْهُرُوبِ إِلَى الْمَصَايِفِ
 وَالْمُتَزَهَاتِ، وَالْفِرَارِ إِلَى الشَّوْاطِئِ وَالْمُتَجَعَّاتِ، وَالْعَزْمِ عَلَى السَّفَرِ
 وَالسِّيَاحَةِ، وَشَدِّ الْأَحْزِمَةِ لِلتَّنْقِلِ وَالرَّحَلَاتِ.

تَذْهَبُ إِلَى الْمَطَارَاتِ فَتَجِدُ أَرْتَالًا مِنَ الْبَشَرِ، وَفِتَاءً مِنَ النَّاسِ
 يُسَابِقُونَ الرِّيحَ، وَيُنَافِسُونَ الْأَلَاتِ فِي السَّرْعَةِ وَالتَّشْغِيلِ، قَدْ حَمَلُوا
 حَقَائِبَهُمْ، وَنَقَلُوا أَغْرَاضَهُمْ، وَأَعَدُّوا عُدَّتَهُمْ لِأَسْفَارِ كَثِيرَةٍ، وَرَحَلَاتِ
 طَوِيلَةٍ، اشْرَأَبَتْ أَعْنَاقَهُمْ، وَتَطَلَّعَتْ أَنْفُسُهُمْ إِلَى سِيَاحَةِ أَثِيرَةٍ^(١)،
 وَتَنْقَلَاتِ مُثِيرَةٍ، مَعَ تَبَايُنٍ فِي حَقِيقَةِ أَسْفَارِهِمْ، وَاخْتِلَافٍ فِي آرَائِهِمْ
 وَأَفْكَارِهِمْ.

وَيَتَمَلَّكَ الْعَجَبُ! وَأَنْتَ تَقْرَأُ عَنِ السَّفَرِ وَالْمُسَافِرِينَ
 الْإِحْصَاءَاتِ الْمُذْهِلَّةِ، وَالْأَرْقَامِ الْهَائِلَةِ، وَلَا يَنْتَهِي عَجَبُكَ وَأَنْتَ
 تَرَى تِلْكَ الْوُفُودَ، وَقَدْ أُقْفِلَتِ الْحُجُوزَاتُ، وَتَرَاخَمَتِ عَلَى الْبَوَابَاتِ،

(١) أَثِيرَةٌ: مُفَضَّلَةٌ، يُقَالُ: آثَرَهُ عَلَيْهِ، أَي: فَضَّلَهُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (أثر).

وَسَارَعَتْ لِمِطْطَاءِ الْمَرْكَبَاتِ! وَكُلُّ مَا يَسْتَهْوِيهِمْ هُوَ: تَحْقِيقُ الرَّغَبَاتِ،
بَلْ لَعَلَّ بَعْضَهُمْ يَنْسَى فِي سَبِيلِ ذَلِكَ عَقِيدَتَهُ وَأَخْلَاقَهُ، فَيَجْعَلُهَا فِي
عِدَادِ الْمُخْلَفِينَ، وَلَا يَمْنَحُهَا تَأْشِيرَةَ السَّفَرِ مَعَهُ، فَيَنْزِعُ رِذَاءَ التَّقْوَى
وَجَلْبَابَ الْحَيَاءِ قَبْلَ أَنْ يُطَاوَلَ الْفَضَاءَ.

وَفِي خِضَمِّ هَذِهِ الْمَشَاهِدِ، وَدَوَامَةِ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ وَالْأَحْوَالِ،
وَحَيْثُ إِنَّ الْإِجَازَةَ الصَّيْفِيَّةَ هِيَ الْوَقْتُ الَّذِي يَحْلُو فِيهِ السَّفَرُ، وَتَعَذُّبُ
فِيهِ الرَّحَلَاتُ، وَتُرْفَعُ فِيهِ عَصَا الْحِلِّ وَالتَّرْحَالِ، وَالتَّحْرُكُ وَالِانْتِقَالِ،
تَعَالَوْا - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - لِنَضْعِ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ عَلَى الْمِيزَانِ الشَّرْعِيِّ،
وَنَعْرِضَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، مَعَ الْإِمَاحَةِ إِلَى وَاقِعِ بَعْضِ
النَّاسِ فِيهَا، وَبَيَانِ الْأَثَارِ السَّلْبِيَّةِ، عِنْدَ غِيَابِ الضَّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ، فِي
هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْوَاقِعِيَّةِ، وَلِنَذَكِّرْ أَنْفُسَنَا وَإِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ بِبَعْضِ
الْوَصَايَا النَّافِعَةِ، وَالْمَلَامِحِ الْمَاتِعَةِ، الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَذَكَّرَهَا
الْمُسَافِرُونَ فِي أَسْفَارِهِمْ، وَالْمُرْتَحِلُونَ فِي تَقْلَاتِهِمْ.

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: إِنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَحْجُرُ عَلَى أَتْبَاعِهِ أَنْ يَرَوْحُوا عَنْ
أَنْفُسِهِمْ، أَوْ يُدْخِلُوا السُّرُورَ عَلَى أَهْلِيهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ، وَأَنْ يَتَحَرَّوْا
الْوَسَائِلَ الْمُبَاحَةَ فِي ذَلِكَ شَرْعًا، فَالتَّرْفِيهِ الْبَرِيِّءُ، وَالتَّرْوِيحُ الْمُبَاحُ،

لَا غَضَاظَةَ عَلَى الْإِنْسَانِ فِيهِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ مَطْلُوبًا أَحْيَانًا؛ لِأَغْرَاضٍ
شَرِّعِيَّةٍ، وَأَهْدَافٍ عَلِيَّةٍ، لَكِنْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ تَرْفِيهِ وَتَرْوِيحٍ فِي
حُدُودِ مَا هُوَ مُبَاحٌ شَرْعًا، أَمَا أَنْ يُسْتَعْلَلَ ذَلِكَ فِي اللُّهُوِّ وَالْعَبَثِ فِيمَا
يُضْعِفُ الْإِيْمَانَ، وَيَهْزُ الْعَقِيْدَةَ، وَيُخْدِشُ الْفَضِيْلَةَ، وَيُوْقَعُ فِي الرَّذِيْلَةَ،
وَيَقْضِي عَلَى الْأَخْلَاقِ وَالْقِيَمِ وَالْمَثَلِ، فَلَا وَكَلَّا!

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ السَّفَرَ مُبَاحٌ بِأَصْلِ الشَّرْعِ، بَلْ قَدْ
يَكُونُ مَطْلُوبًا لِأَغْرَاضٍ شَرِّعِيَّةٍ، قَالَ الثَّعَالِبِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -: «مِنْ
فَضَائِلِ السَّفَرِ: أَنْ صَاحِبَهُ يَرَى مِنْ عَجَائِبِ الْأَمْصَارِ، وَبَدَائِعِ الْأَقْطَارِ،
وَمَحَاسِنِ الْأَثَارِ: مَا يَزِيدُهُ عِلْمًا بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَدْعُوهُ شُكْرًا عَلَى
نِعْمَتِهِ»^(١)، وَقَدْ قِيلَ:

لَا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِذَا كَانَتْ مُدْبِرَةً

إِلَّا التَّقَلُّ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

سَافِرٌ تَجِدُ عَوْضًا عَمَّنْ تُفَارِقُهُ

وَأَنْصَبُ فَإِنَّ لِدَيْدِ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ

(١) ينظر: «الغرر السافر» للزرکشي (ص ٢٩١) (ضمن مجلة الحكمة - العدد العاشر).

إِنِّي رَأَيْتُ وَقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ

إِنْ سَالَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطْبِ

وَالْأَسَدُ لَوْلَا فِرَاقُ الْأَرْضِ مَا افْتَرَسَتْ

وَالسَّهْمُ لَوْلَا فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يُصَبِّ

وَالشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ فِي الْفُلْكِ دَائِمَةً

لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عَجْمٍ وَمِنْ عَرَبٍ^(١)

لَكِنَّ السَّفَرَ فِي الْإِسْلَامِ لَهُ حُدُودٌ مَرَعِيَّةٌ، وَضَوَابِطُ شَرَعِيَّةٌ:

مِنْهَا: أَنْ يَكُونَ السَّفَرُ فِي حُدُودِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ الْمُحَافِظَةِ، أَمَا أَنْ

يَكُونَ إِلَى بَقَاعٍ مَوْبُوءَةٍ، وَمُسْتَنْقَعَاتٍ مَحْمُومَةٍ، وَأَمَا كُنْ مَشْبُوهَةٍ: فَلَا، مَا

لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ ضَرُورَةٍ، مَعَ الْمُحَافِظَةِ عَلَى شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، وَهَلْ يُلْقَى

بِالْحَمْلِ الْوَدِيعِ، فِي غَابَاتِ الْوُحُوشِ الْكَاسِرَةِ، وَالسَّبَاعِ الضَّارِيَةِ!؟

وَقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ شُرُوطًا ثَلَاثَةً لِحَوَازِ السَّفَرِ إِلَى بِلَادٍ غَيْرِ

الْمُسْلِمِينَ:

أَوَّلُهَا: أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الْإِنْسَانِ دِينَ يُدْفَعُ بِهِ الشَّهَوَاتِ.

ثَانِيهَا: أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ عِلْمٌ يَدْفَعُ بِهِ الشُّبُهَاتِ.

(١) من ديوان الإمام الشافعي - رحمه الله - (ص ١٨).

ثَالِثُهَا: الضَّرُورَةُ الشَّرْعِيَّةُ، كَعِلَاجٍ وَنَحْوِهِ.

فَيَا أَيُّهَا الْمُسَافِرُونَ: هَلَّا سَأَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ، إِلَى أَيْنَ تُسَافِرُونَ؟! وَلِمَاذَا تُسَافِرُونَ؟! أَيْ طَاعَةَ اللَّهِ أَسْفَارُكُمْ، أَمْ إِلَى مَعْصِيَتِهِ ارْتِحَالُكُمْ؟ فَإِذَا كَانَ سَفَرُكُمْ طَاعَةً لِلَّهِ، فِي مَنْأَى عَمَّا يُسْخِطُ اللَّهَ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَامْضُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ سَفَرُكُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَفِي غَيْرِ طَاعَتِهِ وَرِضَاهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ! فَإِنَّهُ يَرَاكُمْ، وَمُطَّلِعٌ

عَلَيْكُمْ، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ﴿١﴾ [النساء].

أَيُّهَا الْمُسَافِرُونَ: اجْعَلُوا سَفَرَكُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَنْوُونَ فِي أَسْفَارِكُمُ الْمَعْصِيَةَ، فَنُعِيدُكُمْ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ مَدْعُوُونَ إِلَى الرَّجُوعِ عَنْهَا أَوْ تُغَيِّرُوا هَذِهِ النِّيَّةَ السَّيِّئَةَ، مَدْعُوُونَ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْأُوبَةِ؛ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

أَخِي الْمُسَافِرَ: إِنَّ الْمُسْلِمَ الْحَقَّ هُوَ مَنْ أَعْمَلَ فِكْرَهُ، وَأَخَذَ مِنْ أَحْدَاثِ النَّاسِ الْعِبْرَةَ، فَكَمْ مِنْ أَنَاسٍ سَافَرُوا طَلَبًا لِإِقْتِرَافِ الْحَرَامِ! وَبَحْثًا عَنِ الْمَعَاصِي وَقَبِيحِ الْأَثَامِ؛ فَكَانَ جَزَاؤُهُمُ الْخَبِيَّةَ وَالْخُسْرَانَ! وَالنَّقْمَةَ مِنَ الْمَلِكِ الدِّيَانِ، أَصَابَتْهُمْ الْأَمْرَاضُ الْمُسْتَعْصِيَّةُ، وَانْتَقَلَتْ إِلَيْهِمُ الْجَرَائِمُ الْمُعْجِدِيَّةُ، بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيَهُمْ،

وَبِمَا اقْتَرَفُوا مِنْ مَعْصِيَةِ بَارِيهِمْ .

أَتَفَرَّحُ بِالذُّنُوبِ وَبِالْمَعَاصِي وَتَنْسَى يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي^(١)
إِخْوَتِي الْمُسَافِرُونَ: تَحَلَّوْا بِآدَابِ السَّفَرِ قَبْلَ سَفَرِكُمْ، وَفِي
أَثْنَائِهِ وَعِنْدَ رُجُوعِكُمْ، قَدِّمُوا الْإِسْتِخَارَةَ وَالْإِسْتِشَارَةَ عَلَى السَّفَرِ،
وَلَا تَنْسُوا أَذْكَارَ وَسُنَنِ السَّفَرِ، وَحُسْنَ اخْتِيَارِ الرَّفِيقِ، وَتَفَقُّدَ الْمَرْكَبَةِ،
وَالْأَخْذَ بِوَسَائِلِ السَّلَامَةِ وَالْأَمَانِ، وَعَدَمَ تَجَاوُزِ السَّرْعَةِ النَّظَامِيَّةِ، فَإِنَّ
فِي الْحَوَادِثِ لَعِبْرًا، وَلَا تُغْفَلُوا حَقَّ الطَّرِيقِ، وَالْمُحَافَظَةَ عَلَى الْبَيْئَةِ،
وَاجْعَلُوا سَفَرَكُمْ دِرَاسَةً فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ، وَقِرَاءَةً وَتَدَبُّرًا فِي دَفْتَرِ الْكَوْنِ،
وَتَفَكُّرًا فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ، وَعَظِيمِ خَلْقِهِ، وَبَدِيعِ صُنْعِهِ.

تِلْكَ الطَّبِيعَةُ قِفْ بِنَا يَا سَارِي حَتَّى أُرِيكَ بَدِيعَ صُنْعِ الْبَارِي
فَالْأَرْضُ حَوْلَكَ وَالسَّمَاءُ اهْتَزَّتَا لِرَوَائِعِ الْآيَاتِ وَالْأَنْوَارِ^(٢)

(١) يُنظَرُ: «الزهر الفائح في ذِكْرِ مَنْ تَنَزَّهَ عَنِ الذُّنُوبِ وَالْقَبَائِحِ» لابن الجزري (ص ٩٦)، قال مالك بن دينار - رحمه الله -: «رأيت عتبة الغلام في يوم شديد البرد، وهو يرشح عرقًا، فقلت له: ما الذي أوقفك في هذا الموضع؟ فقال: يا سيدي هذا موضع عصيت الله فيه»، وأنشد يقول:

أَتَفَرَّحُ بِالذُّنُوبِ وَبِالْمَعَاصِي وَتَنْسَى يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي
وَتَأْتِي الذُّنُوبَ عَمْدًا لَا تُبَالِي وَرَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْكَ حَاصِي

(٢) الْآيَاتِ لِأَحْمَدَ شَوْقِي، يُنظَرُ: «ديوانه» (١/ ١٨٢).

أَيُّهَا الْمَسَافِرُونَ: وَلَمَّا كَانَ السَّفَرُ قِطْعَةً مِنَ الْعَذَابِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ
 الْمُصْطَفَى الْأَوَّابُ، فِيمَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا^(١)، جَعَلَ اللَّهُ
 لَهُ رُخْصًا يُسِّرُهُ؛ مِنْهُ مِنْهُ وَرَحْمَةً، فَأَحْرِصُوا عَلَى الْأَخْذِ بِرُخْصِ السَّفَرِ
 «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصُهُ»^(٢)، وَافْتَقُوا هَدْيَ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي السَّفَرِ.
 وَقَدْ كَانَ مِنْ هَدْيِهِ قَصْرُ الرُّبَاعِيَّةِ رَكَعَتَيْنِ، وَإِذَا اشْتَدَّ السَّفَرُ جَمَعَ بَيْنَ
 الظُّهْرَيْنِ وَالْعِشَاءَيْنِ، وَكَانَ يَقْتَصِرُ عَلَى صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ وَلَمْ يَكُنْ يُصَلِّي
 الرَّاتِبَةَ إِلَّا الْوِثْرَ وَسُنَّةَ الْفَجْرِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَدَعُهُمَا حَضْرًا وَلَا سَفَرًا^(٣)،
 وَرَخَّصَ لِلْمَسَافِرِ أَنْ يَمْسَحَ عَلَى الْخَفَيْنِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا^(٤)، وَتَمَّى

(١) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ». أَخْرَجَهُ
 البخاري (١٨٠٤)، ومسلم (١٩٢٧).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (١٠٨/٢)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (١٩١/٦)، وَالسِّيْهَقِيُّ فِي
 «الْكَبْرِ» (١٤٠/٣) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ (٣٤٢/١) عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «أَمَّا مَا
 لَمْ يَدْعُ صَاحِبًا وَلَا مَرِيضًا فِي سَفَرٍ وَلَا حَضْرًا غَائِبًا وَلَا شَاهِدًا - تَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ -
 فَرَكَعَتَانِ قَبْلَ الْفَجْرِ». وَأَخْرَجَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ نَحْوَهُ فِي «تَارِيخِهِ» (٢٨٤/٦).

(٤) كما في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخَفَيْنِ، فَقَالَ: «جَعَلَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمَسَافِرِ، وَيَوْمًا وَكَلِيَّةً لِلْمُقِيمِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ
 (٢٧٦).

الْمَرْأَةُ أَنْ تُسَافِرَ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، خَرَجَهُ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا^(١).
أَخِي الْمُسَافِرَ: تَجَنَّبِ الْمَحَازِيرَ الشَّرْعِيَّةَ، وَالْمَنَاهِيَ الدِّينِيَّةَ،
الَّتِي نَهَانَا عَنْهَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَحَذَرْنَا مِنْهَا
رَسُولُهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ.

تَجَنَّبِ الشَّرْكَ بِاللَّهِ، فَلَا تَخَفْ إِلَّا اللَّهَ، وَلَا تَرْجُ إِلَّا اللَّهَ،
لَا تُسَافِرْ إِلَى الْأَرْضِ حَةَ أَوْ الْقُبُورِ، وَلَا تَدْعُ أَحَدًا مِنْ دُونِ اللَّهِ.
إِيَّاكَ وَالرِّيَاءَ، اجْتَنِبِ الرَّبَا وَالْمُرَابِينَ، وَلَا تَقْرَبِ الزَّانِيَ، إِنَّهُ مِنْ أَفْبَحِ
الْأُمُورِ، وَأَعْظَمِ الْأَثَامِ وَالشُّرُورِ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا
الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [٣٢] [الإسراء]، الزَّانِيَ يُورِثُ
الْفَقْرَ وَالْمَرَضَ، وَيُؤْذِنُ بِالْغَضَبِ وَالسَّخَطِ، يُعَرِّضُ صَاحِبَهُ لِلْهَلَاكِ
وَالشُّبُورِ، وَالْوَيْلِ وَالشُّرُورِ!

حَذَارِ مِنَ الْخُمُورِ وَالْمُسْكِرَاتِ، فَإِنَّهَا خَرَابٌ لِلدِّينِ، وَدَمَارٌ لِلْعَقْلِ،
إِتْلَافٌ لِلصَّحَّةِ، بَغِيضَةٌ إِلَى الرَّحْمَنِ، رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، ضَعْفٌ
فِي الدِّينِ وَالْإِيمَانِ.

(١) كما في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ». أخرجه البخاري - واللفظ له (١٠٨٦)، ومسلم (١٣٣٨).

أَخِي الْحَيِّبَ: لَا تَتَعَامَلْ بِالْحُرَامِ، وَلَا تَتَاَجَّرْ فِيهَا يُسْخِطُ الْمَلِكَ
 الْعَلَامَ، لَا يَكُنْ كَسَبُكَ إِلَّا الْحَلَالَ مِنَ الْأَمْوَالِ، ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
 «الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبَّ يَا رَبَّ،
 وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى
 يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ!!». رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (١).

أَخِي الْمُسَافِرِ: تَنَحَّ عَنِ الَّذِينَ أُتْرِعَتْ قُلُوبُهُمْ بِحُبِّ الشَّهَوَاتِ،
 وَلَا تُرَافِقِ الَّذِينَ خَلَّتْ أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ مُرَاقَبَةِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ،
 ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ
 تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ (٢٧) [النساء].

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ: مِنَ النَّاسِ مَنْ يُطَلِّقُ لِنَفْسِهِ وَأُسْرَتِهِ
 الْعِنَانَ فِي السَّفَرِ إِلَى بِلَادٍ مَوْبُوءَةٍ؛ لِيَفْتِنَ نَفْسَهُ بِالشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَاتِ،
 وَالْأَفْعَالِ الْأَثْمَةِ، وَالْمَظَاهِرِ الْمُخْزِيَةِ، وَالْأَعْمَالِ الْمُرْدِيَةِ، فِي مَوَاحِرِ
 الْفُجُورِ وَالزَّنَى، وَحَانَاتِ الْغِيِّ وَالْخَنَى، فِي دَهَالِيزِ الْمَيْسِرِ وَالْقَمَارِ،
 وَفِي مُسْتَنْقَعَاتِ الْعَارِ وَالسَّنَارِ (٢)، بَعِيدًا عَنِ أَنْظَارِ الْخَيْرِيِّينَ، وَأَهْلِ

(١) برقم (١٠١٥).

(٢) سبق بيان معناها (ص ٣١٠).

الْفَضْلِ الْمُصْلِحِينَ، فَاحْذَرِ مَوَاقِعَ الزَّلَلِ، وَأَمَاكِنَ الْخَطَأِ وَالْخَطَلِ^(١).
 فَيَا مَنْ أَحْفَيْتَ نَوَايَاكَ فِي سَفَرِكَ عَنِ الْبَشْرِ، يَا مَنْ قَصَدْتَ
 مَكَانًا لَا تَقَعُ فِيهِ تَحْتَ عَيْنٍ أَوْ نَظَرٍ، أَلَا تَخْشَى سَطْوَةَ رَبِّ الْبَشْرِ؟ وَأَنْتَ
 تُبَارِزُهُ بِالْقَبَائِحِ، وَتُعَامِلُهُ بِالْفَضَائِحِ، تَذَكَّرْ مَا كَانَ يَتَمَثَّلُ بِهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ
 ابْنُ حَنْبَلٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - حَيْثُ يَقُولُ:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ: خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ: عَلِيٌّ رَقِيبٌ
 وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ سَاعَةً وَلَا أَنْ مَا تُخْفِي عَلَيْهِ يَغِيبُ^(٢)

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: إِنَّ سَفَرَ الْمُسْلِمِ لِدِيَارِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ - لِغَيْرِ غَرَضٍ
 شَرْعِيٍّ، وَأَمْرٍ دِينِيٍّ، تَرَجَّحَتْ مَصْلَحَتُهُ، وَظَهَرَتْ فَائِدَتُهُ - هُوَ ضَرَرٌ
 مُحْضٌ عَلَى الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالْعِرْضِ؛ فَإِنَّهُ - مَعَ مَا يُظَنُّ مِنْ مُعَاقَرَةِ
 لِأَنْوَاعِ الْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ، وَتَضْيِيعِ لِلْفَرَائِضِ وَالْوَاجِبَاتِ - مَخَاطَرَةٌ
 بِالنَّفْسِ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ، بِتَعْرِضِهَا لِمَوَاطِنِ الرَّيْبِ وَالشُّبُهَاتِ، وَأَمَاكِنِ
 الْهَلَكَاتِ، وَبُورِ الدَّرَكَاتِ، هَذَا فَضْلًا عَمَّا يُحِيطُ بِالْمَرءِ مِنْ أَخْطَارِ
 لُصُوصِ الْقُلُوبِ، وَسَارِقِي الْجُيُوبِ، وَالْغَفْلَةِ عَنْ رِقَابَةِ عِلَامِ الْغُيُوبِ.

(١) الحِطْلُ: الحمق والعجلة. يُنظر: «اللسان» (خطل).

(٢) يُنظر: «حلية الأولياء» (٩/ ٢٢٠)، و«تاريخ بغداد» (٥/ ٢٠٥).

أَلَا فَلَيْتَ ذَكَرَ هَوْلَاءِ وَأَوْلِيكَ، الْمَوْتَ وَالْفَنَاءَ، وَلَيْشَعُرُوا
بِمَآسِي إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ الْبُرَاءِ، فِي فَلَسْطِينَ وَكَشْمِيرِ وَالشَّيْشَانَ
وَكُوسُوفَا!!

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: وَإِنَّ مِمَّا يَتَذَرَعُ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ لِلسَّفَرِ
وَالرَّحَلَاتِ، دَعْوَاهُمْ الْإِضْطِيفَ وَالسِّيَاحَةَ، وَمَا أَذْرَاكُمْ مَا السِّيَاحَةُ؟!
لَفُظَةٌ بَرَّاقَةٌ، وَعِبَارَةٌ أَخَاذَةٌ، هَذَا دَلَالَتُهَا الشَّرْعِيَّةُ، فَكَمْ كَانَ أَسْلَافُنَا
يُجُوبُونَ الْأَرْضَ شَرْقًا وَعَرْبًا، جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدَعْوَةً إِلَى
دِينِ اللَّهِ، بِأَفْوَالِهِمْ، وَأَفْعَالِهِمْ، وَسُلُوكِهِمْ، وَحُسْنِ تَعَامُلِهِمْ؛ نَعَمْ،
لِاسْتِثْمَارِ السِّيَاحَةِ فِي هَذَا الْمَقْصِدِ الشَّرْعِيِّ! إِنَّا جَمِيعًا مَعَ السِّيَاحَةِ
بِمَفْهُومِهَا النَّقِيِّ، الْمُنْضَبِطِ بِالضُّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالْآدَابِ الْمَرْضِيَّةِ.

غَيْرَ أَنَّهُ مِمَّا يَبْعَثُ عَلَى الْأَسَى: أَنَّ فِي الْأُمَّةِ مُنْهَزِمِينَ كَثِيرًا، عَبُّوا
مِنْ ثِقَافَةِ الْغَيْرِ عَبًّا، وَاتَّخَذُوا الْحَيَاةَ هَوًّا وَلَعِبًا، وَظَنُّوا - وَبِئْسَ مَا
ظَنُّوا - أَنَّ السَّفَرَ وَالسِّيَاحَةَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَتَحَقَّقَ إِلَّا بِأَيَّامِ سَوْدَاءَ،
وَلِيَالِ حُمْرَاءَ، وَجُنَابَةِ لِلْحَيَاءِ؛ إِنَّ الْوُلُوعَ فِي هَذِهِ الْمِيَاهِ الْعَكِرَةِ،
وَالْإِنْسِيَاقِ وَرَاءَ أَمْرَاضِ الْأُمَّمِ الْمُعَاصِرَةِ، وَأَدْوَاءِ الْمُجْتَمَعَاتِ
الْمُنْحَرِفَةِ، وَإِفْرَازَاتِهَا الْمُتْتِنَةِ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقْبَلَهُ ذُوو النُّفُوسِ

الْمُطْمَئِنَّةِ، وَالْمُجْتَمَعَاتِ الْمُحَافِظَةِ.

نَعَمْ! لِسِيَاحَةِ التَّأثيرِ لَا التَّأثيرِ، وَالاعْتِرَازِ لَا الإِبْتِزَازِ، وَالْفَضِيلَةَ
لَا الرَّذِيلَةَ، وَالثَّبَاتِ لَا الأنْفِلَاتِ؛ كَيْفَ؟ وَقَدْ ثَبَتَ - بِمَا لَا يَدْعُ مَجَالاً
لِلشَّكِّ - أَنَّ أعدَاءَ الإسلامِ يَسْتَهْدِفُونَ أبنَاءَ المُسْلِمِينَ السَّائِحِينَ،
لِلوَقِيعَةِ بِهِمْ، وَالنَّيْلِ مِنْ أخْلَاقِهِمْ، وَعَقِيدَتِهِمْ؛ عَن طَرِيقِ العَزْوِ
الفِكْرِيِّ، وَالفسَادِ الأخْلَاقِيِّ، وَيَسْتَعْلُونَ كَثِيرًا مِنَ السَّائِحِينَ اقْتِصَادِيًّا
وَخُلُقِيًّا، وَيَجْرُؤُونَ رُويدًا رُويدًا، إِلَى حَيْثُ الخَنَا^(١) وَالْفُجُورِ،
والمُخَدَّرَاتِ وَالخُمُورِ، بَلْ قَدْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ مُنْكَرًا لِدِينِهِ وَمُجْتَمَعِهِ،
وَبِلَادِهِ وَأُمَّتِهِ!! أَيْنَ العُقُولُ الحَصِيفَةُ^(٢)، عَنِ الإِحْصَاءَاتِ
المُذْهِلَةِ مِنْ مَرَضِي (الهِرْبِزِ)^(٣) وَ(الإِيدِزِ)^(٤)، وَمِنْ عِصَابَاتِ

(١) الحَنَا: الفحش. يُنظر: «اللسان» (خنا).

(٢) الحَصِيفُ: المحكم العقل والجيد الرأي. ينظر: «الصحاح» (حصف).

(٣) الهربز: من أخطر الأمراض الجنسية؛ نظراً لسرعة العدوى به، فهو ينتقل عن طريق التلامس والاحتكاك المباشر بالمرضى، أو استعمال أدواته الخاصة. يُنظر: «ويكيبيديا - الموسوعة الحرة» (هربس).

(٤) الإيدز: هو: مرض فَقْدِ المناعة المكتسبة، وهو الوباء الآتي من فساد الأخلاق، حيث يعد نتاجاً للممارسات الجنسية المحرمة، كما أنه ينتقل بعد ذلك من المصاب إلى غيره عن طريق الدم. يُنظر: «ويكيبيديا - الموسوعة الحرة» (إيدز).

وَسَبَكَاتِ التَّرْوِيحِ لِلْمُسْكِرَاتِ وَالْمُخَدَّرَاتِ؟!

إِنَّا نُنَاشِدُ الْمُسَافِرِينَ وَالسَّائِحِينَ: أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِهِمْ،
وَفِي أَسْرِهِمْ، وَجُمْتَعِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ، وَنَذَكِّرْكُمْ قَبْلَ أَنْ تَرْفَعُوا أَقْدَامَكُمْ:
فَكِّرُوا أَيْنَ تَضَعُونَهَا؟! فَمَنْ مَشَى غِرَّةً فِي مَوْضِعٍ زَلَقًا.

نَعَمْ! سَافِرُوا لِلْخَيْرِ وَالْفَضِيلَةِ، وَالِدَّعْوَةَ وَالِإِصْلَاحَ؛ فَلَا غَضَاضَةَ
عَلَيْكُمْ، وَكُونُوا مُمَثِّلِينَ لِبِلَادِكُمُ الْإِسْلَامِيَّةِ، مُظْهِرِينَ لِدِينِكُمْ دَاعِينَ إِلَى
مَبَادِيهِ السَّمْحَةِ السَّوِيَّةِ، حَيْثُ يَتَخَبَّطُ الْعَالَمُ بَحْثًا عَنِ دِينٍ يَكْفُلُ لَهُ
الْحُرِّيَّةَ وَالسَّلَامَةَ، وَلَنْ يَجِدَهُ إِلَّا فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ!

فَكُونُوا - أَيُّهَا الْمَسَافِرُونَ - خَيْرَ سُفْرَاءٍ لِدِينِكُمْ وَبِلَادِكُمْ، مَثَلُوا
الْإِسْلَامَ أَحْسَنَ تَمَثِيلٍ، حَذَارِ أَنْ يَفْهَمَ الْعَالَمُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَشَبَابِهِمْ:
أَنَّهُمْ أَرْبَابُ شَهَوَاتٍ، وَصَرَاعِي مَلذَّاتٍ، بَلْ تَرَجَّمُوا لَهُمْ بِسُلُوكِكُمْ،
وَعَبَّرُوا بِأَخْلَاقِكُمْ: أَنَّكُمْ حَمَلَةُ رِسَالَةٍ، وَأَرْبَابُ أَعْلَى هَدَفٍ
وَأَشْرَفِ غَايَةٍ، وَأَصْحَابُ شَخْصِيَّةٍ فِدَّةٍ، وَشَرِيعَةٍ خَالِدَةٍ، وَدِينٍ
يَرَعَى الْعَقِيدَةَ وَالْقِيَمَ، وَيُعَانِقُ الْحَيَاةَ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ،
وَالسَّاحَةِ وَالسَّلَامِ، وَيَبْحَثُ عَمَّا يَكْفُلُ لِلْعَالَمِ الرُّقْبَى
وَالتَّقْدَمَ وَالْحَضَارَةَ.

وَمَا يَنْبَغِي التَّحْذِيرُ مِنْهُ - بَرَاءَةٌ لِلذِّمَّةِ وَنُصْحًا لِلأُمَّةِ - مَا تَعَمَدُ إِلَيْهِ
بَعْضُ الشَّرَكَاتِ، وَالْمُؤَسَّسَاتِ السِّيَاحِيَّةِ، مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى السَّفَرِ إِلَى
بِلَادِ مَوْبُوءَةٍ، وَإِظْهَارِهَا بِدَعَايَاتِ مُزْرَكَشَةِ، وَإِعْلَانَاتِ مُزْخَرْفَةِ،
ظَاهِرُهَا الرَّحْمَةُ، وَبَاطِنُهَا الْعَذَابُ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: إِنَّ الْمُسْلِمَ مُرْتَبِطٌ بِإِسْلَامِهِ، وَإِيمَانِهِ، وَأُخُوَّةِ
الْإِسْلَامِ، يَكُونُ شُعُورُهُ مَعَ شُعُورِ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ؛ يَتَذَكَّرُ أَحْوَالَهُمْ
وَمَا سَيَهُمُ، لِأَسِيَابِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ حَيَاةَ الْقَتْلِ وَالتَّشْرِيدِ وَالِاضْطِهَادِ؛
فَهَلْ مِنَ الْإِحْسَاسِ بِشُعُورِهِمْ إِهْمَالٌ قَضَايَاهُمْ؟! أَيْنَ الْأَحَاسِيسُ
الْمُرْهَقَةُ، وَالْمَشَاعِرُ الْفَيَّاضَةُ؟! فَأَنَاسٌ يُفَكِّرُونَ بِأَحْوَالِ إِخْوَانِهِمْ فِي
العَقِيدَةِ: يَهْتَمُونَ بِمُقَدَّسَاتِ الأُمَّةِ، وَمَا يُمْرُ بِهِ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى
الْمُبَارَكُ، وَمَا تَضِجُ بِهِ فِلِسْطِينَ الْمُسْلِمَةَ، وَالشَّيْشَانَ الصَّامِدَةَ،
وَكَشْمِيرَ الْمُجَاهِدَةِ، وَآخَرُونَ كَثِيرُونَ يُفَكِّرُونَ فِي قَضَاءِ إِجَارَاتِهِمْ فِي
مُنْتَجَعَاتِ مَا؛ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ! فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿١٨١﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمَ
تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٨١﴾

[البقرة].

اللَّهُمَّ أَنْفَعْنَا وَارْفَعْنَا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي سُنَّةِ سَيِّدِ
الْمُرْسَلِينَ، وَثَبِّتْنَا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَجِرْنَا مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ،

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ
ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَاظَمَ مَلَكُوتُهُ فَاقْتَدَرَ، وَعَزَّ سُلْطَانُهُ فَقَهَرَ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَمَرْنَا بِتَقْوَاهُ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ،
وَأَشْهَدُ أَنْ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الشَّافِعُ الْمُشْفَعُ فِي الْمَحْشَرِ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ السَّادَةِ الْغُرَرِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ
بِإِحْسَانٍ مَا اتَّصَلَتْ عَيْنٌ بِنَظَرٍ، وَأُذُنٌ بِخَبْرٍ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ
كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ
بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، «وَأِنَّمَا يَأْكُلُ
الذُّبُّ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ»^(١).

أَلَا وَإِنَّ مِنَ التَّحَدُّثِ بِنِعْمِ اللَّهِ، وَشُكْرِ آيَاتِهِ - سُبْحَانَهُ - مَا
حَبَا اللَّهُ بِهِ بِلَادَنَا الطَّيِّبَةَ الْمُبَارَكَةَ - حَرَسَهَا اللَّهُ - مِنْ مَقُومَاتِ شُرْعِيَّةٍ،
وَتَارِيخِيَّةٍ، وَحَضَارِيَّةٍ؛ تَجْعَلُهَا مُؤَهَّلَةً لِتَكُونَ بَلَدَ السِّيَاحَةِ النَّظِيفَةِ النَّقِيَّةِ؛

(١) أخرجه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي في «الكبرى» (٢٩٦/١)، وأحمد في «المسند»

(٦/٤٤٦)، وابن حبان (٤٥٨/٥) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

فَهِيَ - بِإِذْنِ اللَّهِ - قَادِرَةٌ عَلَىٰ إعْطَاءِ مَفْهُومٍ صَحِيحٍ، وَوَجْهِ مُشْرِقٍ
لِلسِّيَاحَةِ، الَّتِي خِيَلَ لِبَعْضِ الْمُفْتُونِينَ، أَنَّهَا: صِنَاعَةُ الْفُجُورِ
وَالْإِنْحِلَالِ، وَالْفِسْقِ وَالضَّلَالِ.

أَوْلَيْسَ اللَّهُ قَدْ مَنَّ عَلَىٰ بِلَادِنَا بِالْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، مَهْوَىٰ أَفْئِدَةِ
الْمُسْلِمِينَ، وَمَحَطُّ أَنْظَارِهِمْ فِي الْعَالَمِينَ؟! شَعَائِرُ الْإِسْلَامِ فِيهَا ظَاهِرَةٌ،
وَأَنْوَارُ التَّوْحِيدِ فِي سَمَائِهَا بَاهِرَةٌ؛ أَوْ لَيْسَتْ بِلَادُنَا تَنْعَمُ - بِحَمْدِ اللَّهِ -
بِالْأَجْوَاءِ الْمُتَمَتِّعَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ، وَالْأَمَاكِنِ الْخَلَابَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ،
الَّتِي تُشَكِّلُ مَنْظُومَةً مُتَالِقَةً، وَمَجْمُوعَةً مُتَكَامِلَةً، يَقِلُّ نَظِيرُهَا فِي
الْعَالَمِ؛ فَمِنَ الْبِقَاعِ الْمُقَدَّسَةِ، إِلَى الشَّوَاطِئِ الْجَمِيلَةِ، وَالْبَيْئَةِ
النَّظِيفَةِ، السَّلِيمَةِ مِنْ أَمْرَاضِ الْحَضَارَةِ الْمَادِّيَّةِ، وَإِفْرَازَاتِهَا
الْحَسِيَّةِ، إِلَى الْجِبَالِ الشُّمِّ الشَّاهِقَةِ، ذَاتِ الْمَنْظَرِ الْجَمِيلِ، وَالْهَوَاءِ
الْعَلِيلِ، وَالْأَوْدِيَةِ الْخَلَابَةِ، وَالْأَمَاكِنِ الْجَذَابَةِ؛ فَمُرُورًا بِالْمَصَافِ
الْجَمِيلَةِ، وَالصَّحَارِيِّ الْمُتَمَدِّدَةِ ذَاتِ الرَّمَالِ الذَّهَبِيَّةِ الْعَجِيبَةِ، يَتَنَقَّلُ
الْمَرْءُ فِي رَوَائِبِهَا، وَيَتَنَزَّهُ فِي نَوَاحِيهَا، يَسْعَدُ فِي أَجْوَائِهَا، وَيُسَافِرُ إِلَى
أَنْحَائِهَا.

وَلَا بَأْسَ بِإِدْخَالِ الْفَرَحِ عَلَى الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ، فِي سَفَرِ مَبَاحٍ

فِي مُحِيطِهَا الْمُبَارَكِ، أَوْ اضْطِحَابِهِمْ فِي عُمْرَةِ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ،
أَوْ زِيَارَةِ إِلَى مَسْجِدِ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي سِيَاحَةِ
مَشْرُوعَةٍ بَرِيئَةٍ، تُوصَلُ فِيهَا الْأَرْحَامُ، وَتَحْصُلُ فِيهَا الرَّاحَةُ وَالسِّيَاحَةُ
وَالِاسْتِجَامُ، مَعَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْخَيْرِ وَالْفَضِيلَةِ، وَالْبُعْدِ عَنِ أَسْبَابِ
الشَّرِّ وَالرَّذِيلَةِ.

وَأَهَمُّ مِنْ هَذِهِ الْمُقَوِّمَاتِ الْمَادِّيَّةِ وَالْحِسِّيَّةِ: الْمُقَوِّمَاتُ الْمَعْنَوِيَّةُ،
وَالْمُمَيِّزَاتُ الشَّرْعِيَّةُ، وَالْخَصَائِصُ الْإِسْلَامِيَّةُ، وَالْأَدَابُ الْأَصِيلَةُ
الْعَرَبِيَّةُ، الَّتِي تَحْكِي عِبْقَ التَّأْرِيخِ، وَالْحَضَارَةَ الْمُعْطَرَّةَ بِالِإِبْيَانِ، النَّدِيَّةَ
بِالْمُرُوءَةِ وَالِإِحْسَانِ.

فِي بِلَادِنَا - بِحَمْدِ اللَّهِ - السِّيَاحَةُ الرُّوحَانِيَّةُ، وَالنُّزْهُةُ الرَّبَّانِيَّةُ،
وَالْمُتَمَعَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ؛ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ يَسْتَبْدُلُ بَعْضُ النَّاسِ، الَّذِي
هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ، فِي تَأْثِيرَاتِ عَقْدِيَّةٍ وَثَقَافِيَّةٍ، وَانْحِرَافَاتِ
أَخْلَاقِيَّةٍ وَسُلُوكِيَّةٍ، وَمَخَاطِرِ أَمْنِيَّةٍ، وَأَمْرَاضِ صِحِّيَّةٍ وَوَبَائِيَّةٍ، مِمَّا لَا يَخْفَى
أَمْرُهُ عَلَى ذَوِي الْحِجَابِ^(١)، وَلَا يَغِيبُ عَنِ أَوْلِي النَّهْيِ!!
وَبِذَلِكَ يَتَحَقَّقُ - لِمَنْ يَنْشُدُونَ الطُّهْرَ وَالْعَفَافَ، وَالْفَضِيلَةَ وَالنَّقَاءَ،

(١) الْحِجَابُ: الْعَقْلُ وَالْفِطْنَةُ. يُنْظَرُ: «تَاجُ الْعُرُوسِ» (حَجْو).

وَالْخَيْرَ وَالْحَيَاءَ - التَّمَتُّعُ بِأَجْوَاءِ سِيَاحِيَّةٍ مُبَاحَةٍ، وَيُسَدُّ الطَّرِيقُ أَمَامَ
الْأَبْوَاقِ النَّاعِقَةِ، وَالْأَقْلَامِ الْحَاقِدَةِ، الَّتِي تَسْعَى لِحَرْ هَذِهِ الْبِلَادِ
الْمُبَارَكَةِ إِلَى مَا يُفْقِدُهَا خَصَائِصَهَا وَمُمِيزَاتِهَا، وَيُخْدِشُ أَصَالَتَهَا
وَتَوَابِتَهَا؛ فَمَاذَا يُرِيدُ هَؤُلَاءِ؟ وَمَاذَا يَقْصِدُ أَوْلَئِكَ؟!

فَلنَشْكُرِ اللَّهَ عَلَى نِعَمِهِ وَالْآئِهِ، وَلنَحْفَظُ عَلَيْهَا بِطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ
أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ.

حَفِظَ اللَّهُ هَذِهِ الْبِلَادِ عَقِيدَتَهَا وَقِيَادَتَهَا، وَأَمْنَهَا وَإِيمَانَهَا، وَحَمَاهَا
مَنْ كَيْدِ الْكَائِدِينَ، وَسَائِرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

وَأَخِيرًا - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسَافِرُونَ - إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ مِهْمَتَهُ مِنْ
سَفَرِهِ، فَلْيَعُدْ إِلَى أَهْلِهِ: «أَيُّونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»^(١).

وَخِتَامًا، نَسْتَوْدِعُكُمْ اللَّهَ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ، نَسْتَوْدِعُكُمْ اللَّهَ
دِينَكُمْ وَأَمَانَتَكُمْ، وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحْفَظَنَا وَإِيَّاكُمْ فِي
الْحِلِّ وَالتَّرْحَالِ، وَأَنْ يُعِيدَكُمْ إِلَى أَهْلِكُمْ سَالِمِينَ غَانِمِينَ، إِنَّهُ خَيْرُ
مَسْئُولٍ وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ.

(١) أخرجه البخاري (١٧٩٧)، ومسلم (١٣٤٢) من حديث ابن عمر - رضي الله
عنها.

أَلَا صَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى خَيْرِ مَنْ أَقَامَ وَسَافَرَ،
وَجَاهَدَ وَهَاجَرَ، النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى، وَالرَّسُولِ الْمُجْتَبَى، إِمَامِ الْمُتَّقِينَ،
وَأَفْضَلِ الْمُقِيمِينَ وَالْمُسَافِرِينَ، كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ
تَعَالَى قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

القِسْمُ الثَّامِنُ:

مِعْالِمُ وَرَكَائِنُ فِي الْمَنَاجِ

حَجْرَتُ الْمَقَاهِمِ

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَنَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنُتُوبُ
إِلَيْكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، الْقُلُوبُ لَكَ
مُفْضِيَةٌ، وَالسِّرُّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ، الْحَلَالُ مَا أَحَلَلْتَ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمْتَ،
وَالدِّينُ مَا شَرَعْتَ، وَالْخَلْقُ خَلْقُكَ، وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ، تُطَاعُ فَتَشْكُرُ
وَتُعْصَى فَتَغْفِرُ، أَقْرَبُ شَهِيدٍ، وَأَذْنَى حَفِيزٍ، حُلَّتْ دُونَ النَّفُوسِ،
وَأَخَذَتْ بِالنَّوَاصِي، وَكَتَبَتْ الْأَثَارَ، وَنَسَخَتْ الْأَجَالَ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّطِيفُ
الْحَبِيرُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الْهَادِي الْبَشِيرُ، وَالسَّرَاجُ
الْمُنِيرُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أُولِي الْفَهْمِ الْمُسْتَنِيرِ، وَصَحْبِهِ ذَوِي الْجِدِّ
وَالتَّشْمِيرِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْمَصِيرِ، وَسَلَّم
تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَإِنَّهَا

نِعْمَتِ الْوَصِيَّةِ، وَأَهْلُهَا خَيْرُ الْبَرِيَّةِ، مَنْ حَقَّقَهَا: حَقَّقَ الْمَرَاتِبَ الْعَلِيَّةَ
وَالْمَطَالِبَ السَّنِيَّةَ، وَسَلِمَ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ، وَاسْتَوَى عِنْدَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
تَبْرُهَا^(١) وَتُرَابُهَا، وَعَذْبُهَا وَعَذَابُهَا ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْتَقُوا اللَّهَ
وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ لِّمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴿١٨﴾
[الحشر].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: تَمُرُّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، وَتَكْرُرُ الشُّهُورُ وَالْأَعْوَامُ،
وَلَا تَزَالُ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ تَتَجَرَّعُ الْمَاسِيَّ وَتَعِيشُ الْفِتْنَ، وَتَعْصِفُ بِهَا
الْإِبْتِلَاءَاتُ وَأَمْوَاجُ الْمَحْنِ، وَإِذَا كَانَتْ فِتْنُ هَذَا الزَّمَانِ قَدْ تَتَابَعَتْ،
وَمَحَنُ الْعَصْرِ قَدْ تَنَوَّعَتْ وَتَكَاثَرَتْ كَسَيْلِ سَمَاءٍ مُنْهَمِرٍ، فَإِنَّ أَشَدَّ هَذِهِ
الْفِتْنِ خَطَرًا، وَأَعْظَمَهَا أَثْرًا، وَأَكْثَرَهَا ضَرَرًا، فِتْنَةُ الْعُقُولِ وَالْفُهْمِ؛
بَصْرُفَهَا عَنْ مُرَادِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَمُرَادِ رَسُولِهِ ﷺ، وَمَنْهَجِ السَّلَفِ
الصَّالِحِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: الْمُتَأَمَّلُ فِي مَسِيرَةِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَبْرَ
تَأْرِيخِهَا الطَّوِيلِ، يَجِدُ أَنْوَاعًا مِنَ الْإِنْجِرَافَاتِ الْخَطِيرَةِ مُبَيَّتٍ بِهَا هَذِهِ
الْأُمَّةُ، غَيْرَ أَنَّ انْجِرَافَ الْمَفَاهِيمِ هُوَ الْخِلَاصَةُ الْمُرَّةُ الَّتِي آلَ إِلَيْهَا

(١) التَّبْرُ: تَقَدَّمَ مَعْنَاهَا (ص ٢١٨).

الانحراف التاريخي برُمَّته.

وَلَيْنَ ظَنَّ بَعْضَ الْغَيْرِ أَنَّ مَا أَصَابَ الْأُمَّةَ مِنْ أَرْزَاءٍ، هُوَ إِفْرَازُ
الانحرافات السلوكية المتفشية بين ظهرانيها، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ
الانحراف الأخطر، بلا مواربة^(١) الذي رُزئت به أمتنا عبر التاريخ، هو
الانحراف في الأفكار والمفاهيم، فقد يجد الداعية رجلين؛ أحدهما
منحرف السلوك، مُستقيم المفاهيم، والآخر منحرف في السلوك
والمفاهيم، فسَيَبْدُلُ جُهْدًا يَسِيرًا مَعَ الْأَوَّلِ لِصِحَّةِ مَفَاهِيمِهِ، بَيْنَمَا سَيَبْدُلُ
جُهْدًا أَكْبَرَ مَعَ الْآخِرِ؛ لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ أَوَّلًا إِلَى تَصْحِيحِ مَفَاهِيمِهِ، ثُمَّ بَعْدَ
ذَلِكَ تَصْحِيحِ سُلُوكِهِ، وَعَلَى قَدْرِ سُقْمِ الْعَقْلِ، وَبِلَادَةِ الْفَهْمِ، يَكُونُ
الْبُعْدُ عَنِ الْحَقِّ وَمَسَاقِطِهِ.

وَتِلْكَ هِيَ الْحَقِيقَةُ الْمُرَّةُ فِي حَالِ كَثِيرٍ مِنْ أَبْنَاءِ أُمَّتِنَا الْيَوْمِ، فَلَقَدْ
تَجَاوَزَ الانحرافُ مَرَحَلَةَ السُّلُوكِ، وَبَلَغَ ذِرْوَتَهُ فِي الْمَفَاهِيمِ الرَّئِيسَةِ لِهَذَا
الدِّينِ الْقَوِيمِ، لِذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ الْغَرَابَةِ أَنْ تَعِيشَ أُمَّتُنَا شِدَّةَ الْكُرْبَةِ، وَحَالَةَ
الْغُرْبَةِ، الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا الْمُصْطَفَى ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عِنْدَ

(١) المواربة: مأخوذة من الإرب وهو الدهاء، فيقال: تكلم دون مواربة، أي: دون
مخادعة، بصراحة ووضوح. ينظر: «اللسان» (ورب).

مُسْلِمٌ^(١) وَغَيْرِهِ^(٢): «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ». .
 وَأَيُّ اغْتِرَابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنَا الَّتِي لَهَا صَارَتِ الْأَعْدَاءُ فِينَا تَحَكُّمٌ^(٣)
 إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: قَضِيَّةُ الْفَهْمِ الصَّحِيحِ، قَضِيَّةٌ مِنْ أَهَمِّ الْقَضَايَا
 الَّتِي يَنْبَغِي الْعِنَايَةَ بِهَا، لِأَسَبَابٍ فِي أَوْقَاتِ الْفِتَنِ؛ إِذْ بِهَا تَتَفَاوَتُ مَرَاتِبُ
 الْخَلْقِ فِي إِصَابَةِ الْحَقِّ، وَلِذَلِكَ اخْتَصَّ اللَّهُ نَبِيَّهُ سُلَيْمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
 بِالْفَهْمِ، مَعَ ثَنَائِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى دَاوُدَ بِالْعِلْمِ وَالْحُكْمِ، قَالَ تَعَالَى:
 ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ^(٤) وَكُلًّا ءَايِنَّا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].
 وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي كِتَابِهِ
 إِلَيْهِ: «الْفَهْمَ الْفَهْمَ فِيمَا أُذْلِي إِلَيْكَ»^(٥).
 وَقَالَ عَلِيُّ^(٦): «أَوْ فَهْمًا يُؤْتِيهِ اللَّهُ عَبْدًا فِي كِتَابِهِ»^(٥).

(١) برقم (١٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والطبراني في «الأوسط»

(٣) (٧/٢٠٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) يُنظر: «القصيدة الميمية» لابن قيم الجوزية، و«مدارج السالكين» (٣/٢٠١).

(٥) أخرجه الدارقطني (٤/٢٠٦)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/١٥٠)، وابن

عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٣٢/٧١).

(٥) أخرجه البخاري (٣٠٤٧) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رضي الله عنه: «كَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه أَعْلَمَنَا بِهِ» ^(١) أَي:

بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَدَعَا النَّبِيَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنْ يُفَقِّهَهُ فِي الدِّينِ، وَيُعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ ^(٢)، وَتِلْكَ مَرْتَبَةٌ فَوْقَ مَرْتَبَةِ الْعِلْمِ الْمَجْرَدِ.

يَقُولُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «صِحَّةُ الْفَهْمِ وَحُسْنُ الْقَضْدِ، مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَى عَبْدِهِ، بَلْ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ عَطَاءً بَعْدَ الْإِسْلَامِ أَفْضَلَ وَلَا أَجَلَّ مِنْهُمَا، بَلْ هُمَا سَاقَا الْإِسْلَامِ، وَقِيَامُهُ عَلَيْهِمَا، وَبِهِمَا يَأْمَنُ الْعَبْدُ طَرِيقَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، الَّذِينَ فَسَدَ قُضْدُهُمْ، وَطَرِيقَ الضَّالِّينَ الَّذِينَ فَسَدَتْ فُهُومُهُمْ، وَيَصِيرُ مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ الَّذِينَ حَسُنَتْ أَفْهَامُهُمْ وَقُضُودُهُمْ، وَهُمْ أَهْلُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِينَ أَمَرْنَا أَنْ نَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يَهْدِينَا صِرَاطَهُمْ فِي كُلِّ صَلَاةٍ.

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦) بدون (به) و(٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٦٦/١)، وابن حبان (٥٣١/١٥)، والطبراني في

«الأوسط» (١١٣/٢)، والحاكم في «المستدرک» (٦١٥/٣)، وابن أبي شيبة في

«مصنفه» (٣٨٣/٦) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - وأخرج البخاري

(١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧) بعضه.

وَصِحَّةُ الْفَهْمِ نُورٌ يَقْدِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الصَّحِيحِ
وَالْفَاسِدِ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالغَيِّ وَالرُّشَادِ».

ثُمَّ قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَلَا يَتَمَكَّنُ الْمُفْتِيَّ وَلَا الْحَاكِمُ مِنَ الْفَتْوَى
وَالْحُكْمِ بِالْحَقِّ إِلَّا بِنُوعَيْنِ مِنَ الْفَهْمِ:
أَحَدُهُمَا: فَهْمُ الْوَاقِعِ وَالْفِقْهِ فِيهِ.

وَالثَّانِي: فَهْمُ الْوَاجِبِ فِي الْوَاقِعِ، وَهُوَ فَهْمُ حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي حَكَمَ
بِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ فِي هَذَا الْوَاقِعِ، ثُمَّ يُطَبِّقُ أَحَدَهُمَا عَلَى
الْآخِرِ»، إِلَى أَنْ قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «وَمَنْ تَأَمَّلَ الشَّرِيعَةَ وَقَضَايَا
الصَّحَابَةِ وَجَدَهَا طَافِحَةً بِهَذَا، وَمَنْ سَلَكَ غَيْرَ هَذَا، أَضَاعَ عَلَى النَّاسِ
حُقُوقَهُمْ، وَنَسَبَهُ إِلَى الشَّرِيعَةِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ بِهَا رَسُولَهُ ﷺ»^(١). انْتَهَى
كَلَامُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ .

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: الْمُسْتَقْرِيُّ لِحَوَادِثِ التَّأْرِيخِ، يَجِدُ أَنْ ارْتَكَاسَ^(٢)
الْمَفَاهِيمِ وَرَاءَ كُلِّ مِحْنَةٍ بُلِيَّتْ بِهَا هَذِهِ الْأُمَّةُ، بَلِ الْبَشَرِيَّةُ قَاطِبَةً، وَهَلْ
أُبْلِسَ إِبْلِيسُ وَقَتْلَ هَابِيلُ، وَأَفْتَرَقَ أَهْلَ الْكِتَابِ، وَأَفْتَرَقَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ،

(١) يُنظَرُ: «إِعْلَامُ الْمَوْقِعِينَ» (١/ ٨٧ - ٨٨).

(٢) الْارْتِكَاسُ مَصْدَرُ ارْتَكَسَ، أَي: الْارْتِدَادُ، وَالْارْتِكَاسُ. يُنظَرُ: «اللسان» (رَكْس).

وَأَرِقتْ دِمَاءُ الْمُسْلِمِينَ، وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ أَعْدَاؤُهُمْ إِلَّا بِسَبَبِهَا؟! وَهَلِ الَّذِينَ سَفَكُوا دَمَ عُمَانَ وَعَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَابْنِ الزُّبَيْرِ وَابْنِ جُبَيْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَادَاتِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِذَلِكَ؟! وَمَا الَّذِينَ أَرِقتْ عَلَيْهِمُ الدِّمَاءُ فِي فِتْنَةِ أَبِي مُسْلِمٍ! وَهَلِ الَّذِينَ جَرَدُوا الْإِمَامَ أَحْمَدَ بَيْنَ الْعَقَابِينَ^(١)، وَضَرَبَ بِالسَّيَاطِ، حَتَّى عَجَّتْ الْخَلِيقَةُ إِلَى رَبِّهَا، وَخَلَدُوا خَلْقًا فِي السُّجُونِ، وَسَلَّطُوا سُيُوفَ التَّارِ عَلَى دِيَارِ الْإِسْلَامِ، وَمَهَّدُوا لَطَوَائِفِ الْإِحَادِ وَالزُّنْدَقَةِ، وَالنِّفَاقِ وَالْخَوَارِجِ، وَالْفِرْقِ الضَّالَّةِ، إِلَّا بِسَبَبِ سُوءِ الْفَهْمِ؟! وَلَهُمْ نُصُوصٌ قَصَرُوا فِي فَهْمِهَا فَأَتُوا مِنَ التَّقْصِيرِ فِي الْعِرْفَانِ^(٢) أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ! فَهِيَ الصَّرَاعَاتُ الْعَالَمِيَّةُ، وَالتَّحَدِّيَاتُ الدُّوَلِيَّةُ، تَنْطَلِقُ مِنْ سُقْمِ الْمَفَاهِيمِ. وَهَلِ عَوَاصِفُ الْغَزْوِ الْفِكْرِيِّ وَالْعَقْدِيِّ وَالْأَخْلَاقِيِّ وَالْإِعْلَامِيِّ الْمَعَاصِرِ، إِلَّا حَزْبُ مَفَاهِيمٍ؟! وَهَلِ فَرَضُ أَنْطَاطِ ثَقَافِيَّةٍ وَفِكْرِيَّةٍ، وَإِمْلَاءُ اتِّجَاهَاتٍ إِصْلَاحِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ

(١) الْعَقَابَانِ: خَشْبَتَانِ يُقَامُ الرَّجْلُ بَيْنَهُمَا لِلجَلْدِ. يُنْظَرُ: «اللسان» (عقب).

(٢) يُنْظَرُ: «القصيدَةُ النونِيَّة» بِشَرَحِ ابْنِ عِيسَى (٢/٦٢).

بِاسْمِ الْعَوْلَمَةِ، وَالانْفِتَاحِ وَالْحُرِّيَّةِ، إِلَّا مَعْرَكَةٌ مَفَاهِيمٍ؟!
 وَهَلْ كَيْلُ التُّهْمِ إِلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِدَعْوَى الْإِرْهَابِ، وَعَدَمِ
 مُرَاعَاةِ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ، وَمُصَادَرَةِ الْحُرِّيَّاتِ، وَإِفْصَاءِ مَنَاهِجِ الْحَقِّ
 وَالْعَدْلِ وَالسَّلَامِ، وَالنَّيْلِ مِنَ الْقِيَمِ وَالْمَثَلِ النَّيِّلَةِ، وَالْكَيْلِ فِي الْقَضَايَا
 الْإِسْلَامِيَّةِ بِمَكْيَالَيْنِ، إِلَّا صِرَاعٌ مَفَاهِيمٍ!؟

وَأِنْ تَعْجَبُوا - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - فَعَجَبٌ تَحْوِيلِ الْمَفَاهِيمِ الْخَاطِئَةِ
 - بِفِعْلِ الْإِعْلَامِ الْمَوْجَّهِ الْمُضَادِّ - إِلَى حَقَائِقِ مُسَلِّمَةٍ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ
 الْمُتَلَقِّينَ!! فَمَفْهُومُ الْإِرْهَابِ - مَثَلًا - لَا يَكُونُ مُحَارَبًا إِلَّا إِذَا كَانَ خَطَأً
 مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، لَكِنَّ سَحَقَ الْمُقَدَّرَاتِ، وَالْعَبَثَ بِالْمُقَدَّسَاتِ،
 بِحَرْبِ الْمَجَازِرِ وَالْمَجْنَزَرَاتِ، وَالْقَنَابِلِ الدَّكِيَّاتِ، مِنَ الْعَدُوِّ الصُّهُيُونِيِّ
 الْغَاشِمِ ضِدَّ إِخْوَانِنَا فِي فَلَسْطِينَ، لَا يُعَدُّ ذَلِكَ إِرْهَابًا بِإِفْكَهِمْ، بَيْنَمَا
 الدِّفَاعُ عَنِ الْحُقُوقِ الْمَشْرُوعَةِ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِفَاظُ عَلَى السُّلُوكِ
 وَالْعِرْضِ، يُعَدُّ إِرْهَابًا بِزَعْمِهِمْ!! فَلَيْسَ بَعْدَ هَذَا تَلَاعُبٌ بِالْمَفَاهِيمِ!

وَإِذَا كَانَ هَذَا غَيْرَ مُسْتَعْرَبٍ مَعَ الْخِصْمِ، فِي عَصْرِ بَحْتٍ فِيهِ بَعْضُ
 خَنَاجِرِ الْمُنْهَزِمِينَ فِكْرِيًّا مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا، أَمَامَ مَا يُسَمَّى بِ«الْآخِرِ»، فَإِنَّ
 صُدُورَ آثَارِ الْمَفَاهِيمِ فِي الْاِخْتِلَافِ بَيْنَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَتَحْوِيلِهَا إِلَى
 صِرَاعَاتٍ دَمَوِيَّةٍ لِأَمْرٍ يَبْعَثُ عَلَى الْعَرَابَةِ!

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: وَلَعَلَّ أخطرَ حُرُوبِ الْمَفَاهِيمِ الَّتِي بُلِيَتْ بِهَا
الْأُمَّةُ، الْمَفَاهِيمُ الْعَقْدِيَّةُ فِي تَحْقِيقِ مَعْنَى الشَّهَادَتَيْنِ، وَتَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ،
وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ، وَالْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ، وَالشَّرْكَ،
وَالتَّوَسُّلِ، وَالتَّبَرُّكِ، وَالشَّفَاعَةَ، وَالْوَلَايَةَ، وَالْجَمَاعَةَ، وَالتَّكْفِيرَ، وَالغُلُوبَ،
وَالْمَحَبَّةَ، وَالْخِصَائِصَ النَّبَوِيَّةَ، وَالْمَوْقِفَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَمَا يَكُونُ فِي
الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

كَمَا أَنَّ مَفَاهِيمَ الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ، وَالْعُقُودِ وَالْقَضَاءِ، وَتَمْيِيزِ
الْأَحْكَامِ، وَالنَّظَرَةَ إِلَى الْإِنْسَانِ وَالْكَوْنِ وَالْحَيَاةِ، وَعِمَارَةِ الْأَرْضِ، إِضَافَةً
إِلَى مَفَاهِيمِ الدَّعْوَةِ وَالْحِسْبَةِ وَالْجِهَادِ، وَقَضَايَا الْفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ وَالْحُرِّيَّةِ،
وَقَضَايَا الشَّبَابِ وَالْمَرْأَةِ وَالْحِجَابِ، وَالْحِوَارِ وَالْإِصْلَاحِ، وَالنَّوَازِلِ
وَالْمُسْتَجَدَّاتِ الْمُعَاصِرَةِ، كُلُّ هَذِهِ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى تَأْصِيلِ شَرْعِيٍّ
لِلْمَفَاهِيمِ الصَّحِيحَةِ، وَفَقْهِهٍ وَاقِعِيٍّ يُعْنَى بِمَا يُسَمِّيهِ أَهْلُ الْعِلْمِ
- كَالشَّاطِبِيِّ وَغَيْرِهِ - فَفَقْهُ الْمَالَاتِ^(١)، وَكَذَا فَفَقْهُ الْأَوْلِيَّاتِ^(٢)، وَفَقْهُ

(١) يُنظَرُ: مُقَدِّمَةُ «الْمَوَاقِفَاتِ» لِلشَّاطِبِيِّ.

(٢) فَفَقْهُ الْأَوْلِيَّاتِ، أَي: وَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَرْتَبَتِهِ، فَلَا يُؤَخِّرُ مَا حَقَّقَهُ التَّقْدِيمَ،
وَلَا يُقَدِّمُ مَا حَقَّقَهُ التَّأخِيرَ. يُنظَرُ: «فَقْهُ الْأَوْلِيَّاتِ» لِمَحْمَدِ الْوَكِيلِيِّ (ص ١٥).

الْمَرْحَلَةَ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا الْأُمَّةُ مِنْ حَيْثُ الْقُوَّةُ وَالضَّعْفُ^(١)، كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي عِنَايَةِ بِالنُّصُوصِ، وَضَبْطِ لِلِاسْتِدْلَالِ، وَصِحَّةِ فِي الْاسْتِنْبَاطِ، وَحُسْنِ تَوْظِيْفِ لِمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ وَقَوَاعِدِ الْفِقْهِ فِيهَا^(٢).

إِنَّهَا دَعْوَةٌ صَادِقَةٌ لِتَصْحِيحِ الْمَفَاهِيمِ الْخَاطِئَةِ عَنْ دِينِنَا وَشَرِيعَتِنَا، تَبْدَأُ أَوَّلًا مِنْ أَنْفُسِنَا نَحْنُ - أَهْلَ الْإِسْلَامِ - وَإِخْوَانِنَا، فِي تَصْحِيحِ عَقِيدَتِنَا وَتَصَوُّرَاتِنَا وَمَفَاهِيمِنَا، ثُمَّ مَعَ غَيْرِنَا، فِي تَصْحِيحِ صُورَةِ الْإِسْلَامِ الْمَشْهُوِّةِ - مَعَ شَدِيدِ الْأَسْفِ - لَدَى كَثِيرٍ مِنْ شُعُوبِ الْعَالَمِ .
لَا بُدَّ مِنْ تَصْحِيحِ مَنْهَجِ التَّلَقِّيِّ فِي الْفَهْمِ لِهَذَا الدِّينِ الْقَوِيمِ، الَّذِي أَصَابَهُ خَلَلٌ ذَرِيعٌ عِنْدَ فِتْنَامِ مِنَ النَّاسِ، فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ اخْتَلَطَتْ عِنْدَهُمْ

(١) وهو ما يُعرف بفقهِ الموازنات، أي: الموازنة بين المصالح والمفاسد، والمفاسد والمفاسد، والمفاسد والمفاسد. يُنظر: مقدمة «الموافقات» للشاطبي.

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «ولهذا لا يجوز إنكار المنكر بما هو أنكر منه». يُنظر: «مجموع الفتاوى» (١٤ / ٤٧٢).

ويقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - : «فإن الشريعة مبناهَا وَأَسَاسُهَا عَلَى الْحِكْمِ وَمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَهِيَ عَدْلٌ كُلُّهَا، وَرَحْمَةٌ كُلُّهَا، وَمَصَالِحٌ كُلُّهَا، وَحِكْمَةٌ كُلُّهَا». يُنظر: «إعلام الموقعين» (٣ / ٣).

الأنفهام؟ وداخلها الخلط واللبس والإيهام، وعزلت عن نور الوحي،
 ومشكاة سنة سيد الأنام، وكرعت^(١) من آسن الضلالات والأوهام،
 وخيم عليها فسطاط الأباطيل والإظلام، حتى توارت المفاهيم
 الصحيحة في أنفاق مظلمة من المفاهيم الغريبة، وغرقت كثير من
 أشرعة المناهج السليمة في بحار ومستنقعات المناهج السقيمة، مما
 يتطلب من ربان سفينة هذه الأمة - من أهل العلم والعقل والدعوة
 والإصلاح - العمل بجد في إصلاح المفاهيم، وربط الأمة بمفاهيم خير
 القرون، عليهم من الله الرحمة والرضوان.

يقول الإمام الشافعي - رحمه الله - : «وآراؤهم لنا - يعني:
 الصحابة - رضي الله عنهم - أحمد، وأولى لنا، من آرائنا عندنا
 لأنفسنا»^(٢).

ويقول الإمام أحمد - رحمه الله - : «حبهم - أي: الصحابة رضي
 الله عنهم - سنة، والدعاء لهم قرينة، والافتداء بهم وسيلة، والأخذ
 بآثارهم فضيلة»^(٣).

(١) سبق بيان معناها (ص ٢٣٢).

(٢) يُنظر: «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص ١١٠).

(٣) يُنظر: «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٠)، ونقل عن ابن مسعود في «العقيدة» (١/ ٨١).

وَيَقُولُ الْإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «يَجِبُ عَلَى كُلِّ نَاطِرٍ فِي الدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ مُرَاعَاةَ مَا فَهِمَ مِنْهُ الْأَوَّلُونَ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْعَمَلِ بِهِ، فَهُوَ آخَرَى بِالصَّوَابِ، وَأَقْوَمُ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ»^(١).

وَلَيْنَ طَالَبَ كُلُّ بِتَّصْحِيحِ مَفَاهِيمِ غَيْرِهِ، فَإِنَّ الْفَيْصَلَ فِي ذَلِكَ، فَهَمُ السَّلَفِ الصَّالِحِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - وَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ : ﴿ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحَكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠].

وَيَقُولُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء].

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَتَمَسَّكُوا جَمِيعًا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَاتَّحِدُوا عَلَىٰ فَهْمِ سَلَفِ الْأُمَّةِ، تَسْعُدُوا وَتُقْلِحُوا فِي دُنْيَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ.

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ، وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا.

(١) يُنظَرُ : «الموافقات» (٣ / ٧٧).



الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْعِزَّةِ وَالْإِقْتِدَارِ، رَفَعَ شَأْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ
الْأَخْيَارِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَعَدَّ الْمُتَّقِينَ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا خَيْرَ مَنْ خِيَارِ، وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ التَّقَاةَ الْأَطْهَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ يَرْجُوا الْآخِرَةَ خَيْرَ الدَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

اتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاسْأَلُوا مِنَ الْحَقِّ كُلَّ دَرْبٍ رَشِيدٍ،
وَمَنْ مَسَالِكِ النَّهْيِ كُلَّ صِرَاطٍ سَدِيدٍ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ: وَحَتَّى لَا تَخْتَلِطَ الْمَفَاهِيمُ، يَنْبَغِي
تَشْخِصُ الدَّاءِ، وَوَصْفُ الدَّوَاءِ.

فَمِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ اخْتِلَالِ الْمَفَاهِيمِ: الْجَهْلُ، وَاتِّبَاعُ الْهَوَى،
وَالْتَعَصُّبُ، وَالتَّحَزُّبُ الْمَقِيَّتِ، وَإِثَارُ الدُّنْيَا، وَطَلَبُ مَحْمَدَةَ الْخَلْقِ،
وَضَعْفُ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، وَاللَّهُتُ وَرَاءَ حُبِّ الظُّهُورِ وَالشُّهْرَةِ.
كَمَا أَنَّ مِنْهَا تَرَكَ الْمُحْكَمَاتِ، وَاتِّبَاعُ الْمُتَشَابِهِ، وَتَصِيدُ الشَّوَاذِ مِنَ
الْمَسَائِلِ، وَتَقْفَرُ^(١) غَرِيبَ الْعِلْمِ.

(١) التَّقْفَرُ: تَقْفَرُ الْأَثَرُ، وَقَفْرُهُ: إِذَا تَبَعَهُ وَاقْتَفَاهُ. يُنْظَرُ: «الصَّحَاحُ» (قَفْرَ).

أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا^(١) عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ، فَأَحْذَرُوهُمْ» .

وَرَوَى الدَّارِمِيُّ^(٢) وَاللَّالِكَايِيُّ^(٣) وَغَيْرُهُمَا^(٤) عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّهُ سَيَأْتِي نَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ» .

وَهَاكَ - يَا رِعَاكَ اللَّهُ - سِلْسِلَتُهُمُ الذَّهَبِيَّةُ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ، وَالْأئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ، وَالْأَوْزَاعِيُّ وَاللَّيْثُ وَالسُّفْيَانِيُّ، وَأئِمَّةُ الْحَدِيثِ، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، وَإِمَامُ الدَّعْوَةِ الْإِصْلَاحِيَّةِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا.

كَمَا أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ اخْتِلَالِ الْمَفَاهِيمِ وَفَجَاجَتِهَا، عَدَمَ الرَّجُوعِ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ الْمُعْتَبَرِينَ، يَقُولُ - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

(٢) في «سننه» (٦٢/١).

(٣) أخرجه اللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» (١٢٣/١).

(٤) أخرجه الآجري في «الشریعة» (٤١٩/١).

وَ حَدَاثَةُ السَّنِّ مَظَنَّةٌ سُوءِ الْفَهْمِ فِي الْغَالِبِ، وَ حَدَّثَ وَلَا حَرَجَ عَنِ
التَّأْوِيلَاتِ الْفَاسِدَةِ .

وَالْيَوْمَ فِي عَصْرِ الْإِعْلَامِ وَالْفَضَائِيَّتِ، وَثَوْرَةِ الثَّقَافَاتِ وَالْمَعْلُومَاتِ،
تَوَلَّتْ فَضَائِيَّاتٌ تَدْعِي الْحُرِّيَّةَ وَالْإِسْتِقْلَالَ ؛ تَغْشِيَةَ الْفِطْرِ السَّلِيمَةِ،
وَالْتَشْكِيكَ فِي الْمَفَاهِيمِ الصَّحِيحَةِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَالطَّعْنَ فِي رُمُوزِهَا،
وَالْتَّلَاسُنَ الْكَلَامِيِّ، وَالتَّرَاشُقَ الْإِعْلَامِيِّ، وَالتَّنْقِصَ لِثَوَابِتِ الْأُمَّةِ
وَمُسْلَمَاتِهَا، وَالتَّعَرُّضَ بِالنَّقْدِ وَالثَّلْبِ^(١) وَالْمَحَاكِمَةَ لِفُضْلَائِهَا وَعُظَمَائِهَا -
وَلِكُلِّ قَوْمٍ وَارِثٌ - مِمَّا يُبْثِرُ الْبَلْبَلَةَ، وَيُشَكِّكُ فِي الْمُسَلَّمَاتِ، وَيَنْشُرُ الْفَوْضَى
الْفِكْرِيَّةَ، وَيَهْدِمُ الْبُنَى الصَّحِيحَةَ لِفِكْرِ الْأُمَّةِ وَمَوْرُوثِهَا الْحَضَارِيِّ.

أَمَّا الْعِلَاجُ - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - فَيَكْمُنُ فِي حُسْنِ الْقَصْدِ، وَالتَّحَرِّيِ
الْحَقِّ، وَتَقْوَى الرَّبِّ - سُبْحَانَهُ - وَالْوُقُوفِ حَيْثُ وَقَفَ الْأَسْلَافُ،
«فَاتَّهَمُوا عَلَى عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبَبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا»^(٢)، وَإِلَّا فَفِتْنُ الْمَفَاهِيمِ بَحْرٌ
سَحِيقٌ لَا سَاحِلَ لَهُ، فَكَمْ مِنْ فَاتِنٍ فِيهَا بَعْلِمٍ، وَمَفْتُونٍ عَنْهَا بِتَقْلِيدٍ،
وَكَدَّ جَمَعَ هَذَا الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ كَثِيرًا مِنْ صُورِ الْمَفَاهِيمِ الْخَاطِئَةِ، وَمَا

(١) سبق بيان معناها (ص ٣٠٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦١٢) من قول عمر بن عبد العزيز - رحمه الله.

اجْتَمَعَتْ فِي عَصْرِ كَاجْتِمَاعِهَا وَتَوَارَدَهَا فِي هَذَا الْعَصْرِ، حَتَّى قَلَّ الْفِقْهُ فِيهَا، وَعَظُمَتِ الْمَجَاهِدَةُ لَهَا.

وَمَا ذَلِكُمْ إِلَّا لِأَنَّ أَصْحَابَ الْمَفَاهِيمِ الْحَاطِئَةَ يَرَوْنَ الصَّوَابَ حِكْرًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ: ﴿أَفَمَنْ زِينَ لَهُ سَوْءُ عَمَلِهِءَ فَرَّاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨]. وَكَمْ وَصَفُوا أَهْلَ الْمَفَاهِيمِ الصَّحِيحَةَ، وَالْحُجُورِ^(١) الْحَصِيْفَةَ، بِالْأَوْصَافِ الشَّنِيعَةِ! فَرَمَوْهُمْ بِالْمُجَسِّمَةِ^(٢) وَالْحَشْوِيَّةِ^(٣) وَالْوَهَابِيَّةِ^(٤) بَأَخْرَةِ، وَكَمْ عَيَّبَتِ الْأَقْوَالُ الصَّحِيحَةَ

(١) الْحُجُورُ: جَمْعُ حِجْرٍ وَهُوَ الْعَقْلُ؛ لِأَنَّهُ يَحْجُرُ صَاحِبَهُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (حجر).

(٢) الْمُجَسِّمَةُ: الَّذِينَ يَشْبَهُونَ اللَّهَ - تَعَالَى - بِخَلْقِهِ، فَيَجْعَلُونَ لَهُ جَسْمًا. وَقَدْ أُطْلِقَ أَهْلُ التَّعْطِيلِ هَذَا الْوَصْفَ عَلَى أَهْلِ السَّنَةِ؛ لِأَنَّهُمْ أَثْبَتُوا لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الصِّفَاتِ. قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «إِنَّ لَفْظَ الْجِسْمِ وَالْعَرَضِ وَالْمُنْحَازِ وَنَحْوَ ذَلِكَ أَلْفَاظُ اصْطِلَاحِيَّةٍ، وَقَدْ قَدَّمْنَا غَيْرَ مَرَّةٍ أَنَّ السَّلْفَ وَالْأُمَّةَ لَمْ يَتَكَلَّمُوا بِذَلِكَ فِي حَقِّ اللَّهِ، لَا بِنَفْيٍ وَلَا بِإِثْبَاتٍ، بَلْ بَدَّعُوا أَهْلَ الْكَلَامِ بِذَلِكَ، وَذَمُّوهُمْ غَايَةَ الذَّمِّ». يُنْظَرُ: «بيان تلبيس الجهمية» (١/١٠٠).

(٣) الْحَشْوِيَّةُ: مِصْطَلَحٌ يَنْبِزُ بِهِ الْمَعْطَلَةُ أَهْلَ السَّنَةِ (مُثَبِّتِي الصِّفَاتِ)، وَأَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِهِ هُوَ عَمْرُو بْنُ عَيْدِ الْمُعْتَزَلِيِّ، إِذْ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، حَشْوِيٌّ. يُنْظَرُ: «بيان تلبيس الجهمية» (١/٢٤٤).

(٤) الْوَهَابِيَّةُ: نِسْبَةٌ إِلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَهُوَ مِصْطَلَحٌ رَوَّجَ =

بِالْأَفْهَامِ السَّقِيمَةِ. وَمَا عَلَى الْمَرْءِ إِلَّا نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا، وَمَا عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَفْهَمْ الْبَشْرُ!

حَتَّى خِيَلَ لِبَعْضِ الْمُنْهَزِمِينَ، أَنْ لَا امْتِطَاءَ لِصَهْوَةِ^(١) التَّقَدُّمِ وَالْحَضَارَةِ إِلَّا بِالتَّمَرُّدِ عَلَى الدِّينِ، وَالتَّيْلِ مِنْ قِيَمِهِ وَمَفَاهِيمِهِ وَالْمَسَاسِ بِثَوَابَتِهِ، وَالْمُطَالَبَةِ بِإِخْضَاعِ مُسَلَّمَاتِهِ وَمُحْكَمَاتِهِ لِلنَّظَرِ وَالْحِوَارِ، فَظَنَّ بَعْضُهُمُ الْإِفْسَادَ إِضْلَاحًا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿[البقرة]، وَقَدْ قَالَ قَائِلُهُمْ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ وَكَلِيمِهِ، مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (١٦) [غافر].

فَمَهْلًا مَهْلًا أَيُّهَا الْمُفْتُونُونَ! وَرُوَيْدَكُمْ رُوَيْدَكُمْ أَيُّهَا الْمُنْهَزِمُونَ!

= له المتربصون بالدعوة السلفية؛ يدعون أنها مذهبًا جديدًا، أو طريقة مبتدعة، يُلبسون على العوام والجهال بذلك. وما هي إلا امتداد وتجديد لما كان عليه سلف الأمة، فهي دعوة مباركة لاقتفاء أثر السلف الصالح - رضوان الله عليهم - والسَّير على منوالهم.

(١) صهوة كل شيء أعلاه. ينظر: «اللسان» (صها).

وَعَلَىٰ رِسَالِكُمْ^(١) أَيُّهَا الْخَائِضُونَ فِي أُمُورِ الشَّرِيعَةِ، فَاعْطُوا الْقَوْسَ بَارِيهَا، وَحَنَائِكُمْ^(٢) أَيُّهَا الْمُخَالِفُونَ! فَهَا قَدْ بَرِحَ الْخِفَاءُ، وَتَبَيَّنَ الْحَقُّ وَانْجَلَىٰ، وَظَهَرَ الْحَقُّ وَاعْتَلَىٰ، وَوُضِعَتِ الْمَفَاهِيمُ فِي صَحِيحِ مَجَارِيهَا، وَحَادَ السَّالِكُ عَنِ الشَّطَطِ فِي مَرَامِيهَا، وَلَمْ يَبْقَ لِمُعَانِدٍ مُسْتَمْسِكٌ، وَلَا لِمُجَادِلٍ مُسْتَعَصِمٌ.

وَلَنْ يُخْرِجَ الْأُمَّةَ - مِنْ وَهْدَتِهَا وَيُنْقِذَهَا مِنْ جَدِيدِ صِرَاعَاتِهَا - إِلَّا عَوْدَتُهَا الْجَادَّةُ لِتُصَحِّحَ مَفَاهِيمَهَا فِي أَنْفُسِهَا أَوْلاً، ثُمَّ عِنْدَ غَيْرِهَا ثَانِيًا، مُسْتَمِرَّةً وَسَائِلَ الْعَصْرِ وَتَقَاتِيهِ فِي تَحْقِيقِ ذَلِكَ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْجَلَ دَاوُهَا وَيَسْتَحِيلَ دَاوُهَا. وَلَنْ يَكُونَ - بِإِذْنِ اللَّهِ - فِي الْمُقَابِلِ إِغْرَاقٌ فِي التَّشَاؤْمِ، يُوحِي بِاسْتِحَالَةِ الْقُدْرَةِ عَلَىٰ مُوَاجَهَةِ هَذَا الْإِعْصَارِ مِنَ التَّحْدِيَّاتِ.

وَلَنَا عِبْرَةٌ أَيْ عِبْرَةٌ، تَتَّبَعُهَا لَوْعَةٌ وَعَبْرَةٌ، فِي أَسَاطِينِ^(٣) الْمَفَاهِيمِ الْمَعْلُوطَةِ عَبْرَ التَّارِيخِ، الَّذِينَ نَدِمُوا عَلَىٰ مَا قَدَّمُوا، وَاعْتَرَفُوا بِحَيْرَتِهِمْ وَاضْطِرَابِهِمْ، فَأَزْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِهِمْ، وَحَاصِلُ دُنْيَاهُمْ أَدَىٰ

(١) عَلَىٰ رِسَالِكُمْ: أَيِ اتَّذَرُوا وَلَا تَعْجَلُوا. يُنْظَرُ: «اللسان» (رسل).

(٢) حَنَائِكُمْ: أَيِ تَحَنَّنُوا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى. يُنْظَرُ: «اللسان» (حنن).

(٣) سَبَقَ بَيَانُ مَعْنَاهَا (ص ١٨).

وَوَبَّالٌ^(١)، وَآخِرُ قَدْ طَافَ الْمَعَاهِدَ كُلَّهَا، وَسَيَّرَ طَرْفَهُ بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ، فَلَمْ يَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَى ذَقِينٍ، أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمٍ^(٢).

(١) كحال صاحب التفسير محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي، المعروف بالفخر الرازي، فقد كان مع غزارة علمه في فن الكلام يقول: «من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز». وقد نظم في بيان فساد ما عليه أهل الكلام والتعطيل:

نَهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالٌ وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالِمِينَ ضَلَالٌ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَعَايَةُ ذُنْيَانَا أَدَى وَوَبَّالٌ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمُرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

يُنظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٧٣)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٨/ ٨١)، و«شرح الطحاوية» لابن أبي العز (ص ٢٧٧).

(٢) وقد نظم في ذلك شعراً، فقال:

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الْمَعَاهِدَ كُلَّهَا وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَى ذَقِينٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

وقد قيل: إن هذين البيتين لأبي بكر محمد بن باجه المعروف بابن الصانع، وقيل إنها لابن سينا. انظر: «مقدمة الملل والنحل»، و«وفيات الأعيان» (٤/ ٢٧٤)، ونسبهما ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (ص ٢٢٨) لأبي عبد الله الشهرستاني، وقد رد عليه الأمير الصنعاني قائلاً:

لَعَلَّكَ أَهْمَلْتَ الطَّوَّافَ بِمَعْهَدِ الرَّ سُورِ وَمَنْ لَاقَاهُ مِنْ كُلِّ عَالِمِ
فَمَا حَارَ مَنْ يَهْدِي بِهَيْدِي مُحَمَّدٍ وَلَسْتَ تَرَاهُ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

انظر: حاشية «درء التعارض» (١/ ١٥٩)، وحاشية «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٢٧٠).

فِيَا هَؤُلَاءِ وَيَا أَوْلِيَاءَ، وَيَحْكُمُ ! الْبِدَارَ الْبِدَارَ ! قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ،
﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ
اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
﴿ [القصص]. ٥٠

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْآخِرِينَ، وَأَشْرَفِ
الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

الْوَسْطِيَّةُ وَالْإِحْتِدَالُ

بَيْنَ

الْإِحْتِدَالِ وَالْإِمْتِنَانِ

الْحُطْبَةُ الْأُولَى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَفَرَّدَ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْأَلُوْهِيَّةِ كَمَا لَا، وَاخْتَصَّ بِالْأَسْمَاءِ
الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى جَلَالًا، أَحْمَدُهُ - تَعَالَى - وَأَشْكُرُهُ عَلَى سَوَابِغِ
نِعْمِهِ إِفْضَالًا، وَجَزِيلِ عَطَائِهِ نَوَالًا، وَأَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ دُعَاءً
وَإِبْتِهَالًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَمْرًا بِالتَّمَسُّكِ
بِالْإِسْلَامِ وَسَطِيَّةً وَاعْتِدَالًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ
الْمَبْعُوثُ بِأَوْسَطِ شَرِيْعَةٍ وَأَكْمَلَهَا خِلَالًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ، أَكْرَمَ بِهِمْ صَحْبًا وَأَنْعَمَ بِهِمْ آلًا! وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ
بِإِحْسَانٍ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا يَتَرَى غُدُوًّا وَأَصَالًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - تَحَلُّوا
بِهَا أَقْوَالًا وَأَفْعَالًا، فَكُمْ أَوْرَثَتْ خَشِيَّةً وَإِبْتِهَالًا، وَتَوَجَّتْ جَمَالًا،
وَشَرَّفَتْ خِصَالًا، وَوَقَّتْ زَيْغًا وَضَلَالًا، وَأَصْلَحَتْ حَالًا وَمَالًا!!
أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مِنَ الْحَقَائِقِ وَالْمُسْلِمَاتِ، لَدَى ذَوِي الْبَصَائِرِ

وَالْحَجَى: أَنَّهُ بِقَدْرِ تَمَسُّكِ الْأُمَّمِ بِمُمَيِّزَاتِهَا الْحَضَارِيَّةِ، وَالتَّزَامِ الشُّعُوبِ
بِثَوَابِهَا وَخَصَائِصِهَا الْقِيَمِيَّةِ، بِقَدْرِ مَا تُحَقِّقُ الْأَمْجَادَ التَّارِيخِيَّةَ،
وَالْعَطَاءَاتِ الْإِنْسَانِيَّةَ.

وَلَيْنُ بَرَزَتْ فِي عَالَمِنَا الْمُعَاصِرِ صُورٌ وَظَوَاهِرٌ مِنَ الْإِنْجِرَافَاتِ،
تُهَدِّدُ الْأَمْنَ الدَّوْلِيَّ، وَتُعَرِّضُ السَّلَامَ الْعَالَمِيَّ لِلْخَطَرِ وَعَدَمِ
الاسْتِقْرَارِ، فَإِنَّ مَرَدَّ ذَلِكَ إِلَى التَّفْرِيطِ بِالْمَبَادِي الْحَضَارِيَّةِ، وَالتَّهَاوُنِ
بِالْمَثَلِ وَالْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

وَمَنْ يُجِيلُ النَّظَرَ فِي جَوَانِبِ عَظَمَةِ هَذَا الدِّينِ - الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ
بِهِ، وَهَدَانَا إِلَيْهِ - يَجِدُ أَنَّ هُنَاكَ سِمَةً بَارِزَةً، وَمِيزَةً ظَاهِرَةً، كَانَتْ سَبَبًا
فِي تَبَوُّءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَكَانَتَهَا الْمَرْمُوقَةَ بَيْنَ الْأُمَّمِ، وَمَنْحَهَا مَوْهَلَاتِ الْقِيَادَةِ
وَالرِّيَادَةِ لِلبَشَرِيَّةِ، وَمَقَوْمَاتِ الشَّهَادَةِ عَلَى النَّاسِ كَافَّةً!!

لَعَلَّكُمْ - يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ - أَدْرَكْتُمْ مَا هَذِهِ الْمِيزَةُ الْحَضَارِيَّةُ؟ إِنَّهَا سِمَةٌ
«الاعتدالِ وَالْوَسْطِيَّةِ»، الَّتِي تُجَلِّي صُورَ سَمَاحَةِ الْإِسْلَامِ، وَتُبْرِزُ
مَحَاسِنَ هَذَا الدِّينِ، وَرِعَايَتِهِ لِلْمَثَلِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْعُلْيَا، وَالْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ
الْكُبْرَى؛ يَقُولُ الْحَقُّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وَلَمَّا كَانَ مِنَ الضَّرُورَةِ بِمَكَانٍ، تُحَدِّدُ هَذَا الْمُصْطَلَحَ وَتَفْسِيرُهُ عَلَى

ضوء المصادر الشرعية؛ منعاً للخلط في المفاهيم، واللبس في التصور،
وحتى نقف على حقيقة الوسطية ومجالاتها؛ لتظهر الصورة المشرقة
لساحة هذا الدين، في الوقت الذي اشتدت فيه الحملة على الإسلام،
ورمي أتباعه بمصطلحات موهمة، وألفاظ مغرصة؛ لتشويه صورته
والتنفير منه؛ تصيداً لأخطاء بعض المنتسبين إليه، في زمنٍ قُلبت فيه
الحقائق، ونكست فيه المقاييس، وبُلي بعض أهل الإسلام بمجانبة هذا
المنهج الوضائي؛ فعاشوا حياة الإفراط أو التفريط، وسلكوا مسلك الغلو
أو الجفاء؛ «ودين الله: وسط بين الغالي فيه والجاهل عنه»^(١). و«المنبت»^(٢)
لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»^(٣).

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: وَلَقَدْ عَنِي عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ بَيَانَ حَقِيقَةِ
الْوَسْطِيَّةِ - الْوَارِدَةِ فِي آيَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ^(٤) - وَهِيَ لَا تَخْرُجُ عَنْ مَعْنَيَيْنِ
مَشْهُورَيْنِ يُؤَدِّيانِ مَعْنَى وَاحِدًا، أوردَهُمَا الْحَافِظَانِ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ كَثِيرٍ

(١) أخرجه الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١١٤٢/٣) من قول الخطيب البغدادي.

(٢) المنبت: الذي عطب مركوبه من شدة السير. يُنظر: «اللسان» (بت).

(٣) أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٥٧/١) رقم (٧٤)، والبيهقي في

«الكبرى» (١٨/٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) آية رقم (١٤٣).

رَحِمَهَا اللَّهُ^(١):

أَوْلَهَا: ﴿ وَسَطًا ﴾ أَي : خِيَارًا عُدُولًا؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قَالَ

أَوْسَطُهُمْ أَلْرَ أَقْلَ لَكُمْ لَوْلَا تَسْبِحُونَ ﴿٢٨﴾ [القلم]، وَقَوْلُ الْقَائِلِ:

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الْأَنْامَ بِحُكْمِهِمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ^(٢)

وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفِي الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ.

وَهَذَا فِي سِيَاقِ الْاِمْتِنَانِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ .

وَالْوَسْطِيَّةُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - مِنْهُجُ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ يَقُولُ شَيْخُ

الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ

وَالْجَمَاعَةِ: يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ

وَلَا تَعْطِيلٍ، وَلَا تَكْثِيفٍ وَلَا تَمْتِيلٍ، بَلْ هُمْ وَسَطٌ فِي فِرْقِ الْأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ

الْأُمَّةُ هِيَ الْوَسَطُ فِي الْأُمَّمِ»^(٣).

وَيَقُولُ الْإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «إِنَّ الشَّرِيعَةَ جَارِيَةٌ فِي

(١) يُنْظَرُ: «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٦/٢)، وَ«تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (١/١٩١).

(٢) هَذَا الْبَيْتُ مَنْسُوبٌ لِزُهَيْرِ بْنِ أَبِي سَلْمَى. فِي: «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٦/٢)، وَ«تَفْسِيرُ

الْقُرْطُبِيِّ» (٢/١٤٨)، وَلَمْ أَفْضِ عَلَيْهِ فِي دِيْوَانِهِ!

(٣) يُنْظَرُ: «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (٣/١٦٨).

التَّكْلِيفِ بِمُقْتَضَاهَا عَلَى الطَّرِيقِ الْوَسْطِ الْعَدْلِ، الْآخِذِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ
بِقِسْطٍ لَا مَيْلَ فِيهِ؛ فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى كُلِّيَّةِ شَرْعِيَّةٍ، فَتَأَمَّلْهَا تَجِدْهَا حَامِلَةً
عَلَى التَّوَسُّطِ وَالْإِعْتِدَالِ، وَرَأَيْتَ التَّوَسُّطَ فِيهَا لِإِحْسَانٍ، وَمَسَلَكَ
الْإِعْتِدَالِ وَاضِحًا، وَهُوَ الْأَصْلُ الَّذِي يُرْجَعُ إِلَيْهِ، وَالْمَعْقِلُ الَّذِي يُلْجَأُ
إِلَيْهِ»^(١).

وَيَقُولُ الْإِمَامُ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَعَلَى الْجُمْلَةِ:
فَالْأَوْلَى بِالْمَرْءِ أَلَّا يَأْتِيَ مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ إِلَّا بِمَا فِيهِ جَلْبُ مَصْلَحَةٍ، أَوْ
دَرْءُ مَفْسَدَةٍ، مَعَ الْإِعْتِقَادِ الْمُتَوَسُّطِ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ»^(٢).

وَيَقُولُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «مَا مِنْ أَمْرٍ إِلَّا
وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَزْعَتَانِ: إِمَّا إِلَى غُلُوٍّ، وَإِمَّا إِلَى تَقْصِيرٍ، وَالْحَقُّ وَسَطٌ بَيْنَ
ذَلِكَ»^(٣).

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: وَتَجَلَّى وَسَطِيَّةُ الْإِسْلَامِ فِي مَجَالَاتِهِ كُلِّهَا:
فَفِي مَجَالِ الْإِعْتِقَادِ: جَاءَ الْإِسْلَامُ وَسَطًا بَيْنَ الْمِلَلِ؛ فَلَا إِلْهَادَ

(١) يُنظَرُ: «الموافقات» (١٦٣/٢).

(٢) يُنظَرُ: «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» (١٧٨/٢).

(٣) يُنظَرُ: «مدارج السالكين» (٤٩٦/٢).

وَلَا وَثِيَّةً، بَلْ عُبُودِيَّةٌ خَالِصَةٌ لِلَّهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ، وَكَذَا فِي
 الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: وَسَطٌ بَيْنَ أَهْلِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، وَالتَّحْرِيفِ
 وَالتَّعْطِيلِ، وَفِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ: وَسَطٌ بَيْنَ نَفَاةِ الْقَدْرِ، وَالْمُغَالَيْنِ فِيهِ
 الْقَائِلِينَ: إِنَّ الْعَبْدَ مُجْبُورٌ عَلَى فِعْلِهِ، وَفِي مَسْأَلَةِ الْإِيمَانِ: وَسَطٌ بَيْنَ مَنْ
 جَفَوْا فَأَخْرَجُوا الْأَعْمَالَ وَأَرْجَوْهَا عَنْ مُسَمَّى الْإِيمَانِ، وَبَيْنَ مَنْ غَلَوْا
 فَأَخْرَجُوا مِنْ دَائِرَةِ الْإِيمَانِ مَنْ عَمِلَ بَعْضَ الْمَعَاصِي.

وَيُلْحَقُ بِذَلِكَ: الْحُكْمُ بِالتَّكْفِيرِ، فَأَهْلُ الْحَقِّ لَا يُكْفَرُونَ
 بِالذُّنُوبِ مَا لَمْ تُسْتَحَلَّ؛ كَمَا لَمْ يَجْعَلُوا الْمَذْنِبَ كَامِلَ الْإِيمَانِ، بَلْ هُوَ مُؤْمِنٌ
 بِإِيمَانِهِ، فَاسْتَقْبَلَ بِكَبِيرَتِهِ. وَفِي بَابِ النُّبُوَّةِ وَالْوَلَايَةِ وَالصَّحَابَةِ: تَوَسَّطُ،
 فَلَا غُلُوَّ فِيهِمْ، غُلُوٌّ مِمَّنْ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَا جَفَاءً كَمَا جَفَتِ
 الْيَهُودُ: فَفَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ، وَأَهْلُ الْإِسْلَامِ الْحَقِّ يَتَوَسَّطُونَ،
 فَيُؤْمِنُونَ بِجَمِيعِ رُسُلِ اللَّهِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَكُتِبَ، وَيُحِبُّونَ
 أَوْلِيَاءَهُ، وَيَتَرَضَّوْنَ عَنْ صَحَابَتِهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَثَمَّتْ مَجَالٌ آخَرَ تَتَأَلَّقُ فِيهِ وَسَطِيَّةٌ هَذِهِ
 الْأُمَّةِ، فِي مَجَالِ الْعِبَادَةِ وَمُرَاعَاةِ مُقْتَضِيَاتِ الْفِطْرَةِ، وَالتَّنَاسُقِ الْبَدِيعِ
 بَيْنَ مُتَطَلِّبَاتِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، بِلَا غُلُوٍّ: فِي التَّجَرُّدِ الرُّوحِيِّ، وَلَا فِي

الإرتكاس المادّي، فلا رهبانيّة ولا مادّيّة، بل تناسق واعتدال على حدّ قوله - سبحانه - : ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٧٧]، وقد ردّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتّل^(١)، وأنكر على من حرّم نفسه طيبات الدنيا قائلاً: «أما إني أخشاكم لله، وأتقاكم له، لكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأزفد، وأزوّج النساء، فمن رغب عن سنتي، فليس مني»^(٢).
وعند مسلم^(٣) وغيره^(٤): «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ».

وعند البخاري^(٥): «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَنْبِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ».

(١) كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - وفيه: قال ﷺ: «يا عثمان أرغبه عن سنتي؟»، فقال: لا والله يا رسول الله، ولكن سنتك أطلب، قال: «فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان». أخرجه أحمد في «المسند» (٢٦٨/٦).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) برقم (٢٦٧٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٠٨)، وأحمد في «المسند» (٣٨٦/١) من حديث عبد الله بن

مسعود رضي الله عنه.

(٥) برقم (٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَهَكَذَا نَأَى الْإِسْلَامُ بِاتِّبَاعِهِ عَنِ الْكِبَوَاتِ وَالنَّبَوَاتِ^(١)، وَاهْزَاتِ
 وَاهْفَوَاتِ، الَّتِي تُخِلُّ بِغَايَةِ الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيَّ، وَتَضِيعُ حُقُوقَ الْإِنْسَانِ،
 وَتُقَرِّطُ فِي تَحْقِيقِ التَّوَاظُنِ بَيْنَ مُتَطَلِّبَاتِ رُوحِهِ وَجَسَدِهِ؛ حَيْثُ
 تَأْرَجَحَتْ كَثِيرٌ مِنَ النُّظُمِ الْمَادِّيَّةِ، كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ فِي الْمَدِينَةِ الْغَرْبِيَّةِ، الَّتِي
 تَنْطَلِقُ مِنْ نَظَرَاتٍ وَمُقْتَضِيَّاتٍ مَادِّيَّةٍ صِرْفَةٍ؛ حَتَّى تَنَادَى عَقْلَاؤُهُمْ
 وَمُنْصَفُوهُمْ بِالْحَاجَةِ إِلَى دِينٍ يُحَقِّقُ التَّوَاظُنَ بَيْنَ الرَّغَبَاتِ، وَالتَّنَاسُقَ
 بَيْنَ الْمُتَطَلِّبَاتِ، وَيَرْتَفِعُ بِالْبَشَرِيَّةِ إِلَى مُسْتَوَى إِنْسَانِيَّتِهَا، وَتَحْقِيقَ قِيمَتِهَا
 وَمُثْلِهَا، وَيَتَسَلَّهَا مِمَّا تُعَانِي مِنْهُ: مِنْ بُؤْسٍ وَطُغْيَانٍ وَشَقَاءٍ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَمِنَ الْمَجَالَاتِ الْمُهْمَّةِ، الَّتِي تَبْرُزُ فِيهَا وَسَطِيَّةُ هَذِهِ
 الْأُمَّةِ: مَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّشْرِيعِ وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ، وَمَنَاهِجِ النِّظَرِ
 وَالاسْتِدْلَالِ؛ فَتَوَسَّطَ الشَّرِيعَةُ فِي هَذِهِ الْمَجَالَاتِ بَيْنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ
 حُرِّمَ عَلَيْهِمْ كَثِيرٌ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَبَيْنَ قَوْمٍ اسْتَحَلُّوا حَتَّى الْمَحْرَمَاتِ، إِذِ
 الْحُكْمُ بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ، حَقُّ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾
 [الأنعام: ٥٧]، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ
 زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

(١) النَّبَوَاتُ: جَمْعُ نَبْوَةٍ، يُقَالُ: نَبَأَ الشَّيْءُ عَنْهُ، إِذَا تَجَافَى وَتَبَاعَدَ. يُنْظَرُ: «الصَّحَاحُ» (نَبَو).

وَفِي مَنَهْجِ النَّظْرِ وَالِاسْتِنْبَاطِ: وَازَنَ الْإِسْلَامُ بَيْنَ مَصَادِرِ التَّلْقِي
وَالْمَعْرِفَةِ، وَوَافَقَ بَيْنَ صَحِيحِ الْمَقُولِ وَصَرِيحِ الْمَعْقُولِ، وَعَالَمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ، وَإِعْمَالِ النُّصُوصِ وَرِعَايَةِ الْمَقَاصِدِ، وَاسْتِجْلَاءِ الْقَوَاعِدِ
وَحِكْمِ الشَّرِيعَةِ وَأَسْرَارِهَا، وَوَاظَنَ بَيْنَ تَحْقِيقِ الْمَصَالِحِ وَدَرْءِ الْمَفَاسِدِ.

مَعَاشِرَ الْإِخْوَةِ: وَفِي مَجَالِ الْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ: مَظْهَرٌ مِنْ
مَظَاهِرِ الْوَسْطِيَّةِ فِي هَذَا الدِّينِ، بَيْنَ الْجُنُوحِ إِلَى الْمِثَالِيَّةِ وَالْوَاقِعِيَّةِ، تُرَكِّي
الْمَشَاعِرِ، وَتُهْدَبُ الضَّمَائِرِ، وَتَسْمُو بِالتَّفَكِيرِ وَالشُّعُورِ، وَتُوزَنُ بَيْنَ
مُتَطَلِّبَاتِ الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ، وَإِعْمَالِ الْعَقْلِ وَالْعَاطِفَةِ، فِي تَرْبِيَّةِ مُتَوَازِنَةٍ،
وَتَنْسِيقِ مُتَّسِقِ بَدِيعٍ، عَلَى ضَوْءِ الْمَنَهْجِ النَّبَوِيِّ: «إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ
حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا؛
فَاعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»، خَرَجَهُ الْبُخَارِيُّ^(١)، وَأَحْمَدُ^(٢).

وَفِي النِّظَامِ الْاِقْتِصَادِيِّ: وَازَنَ الْإِسْلَامُ بَيْنَ حُرِّيَّةِ الْفَرْدِ
وَالْمُجْتَمَعِ؛ فَيَحْتَرِّمُ الْمِلْكِيَّةَ الْفَرْدِيَّةَ، وَيُقَرِّهَا وَيَهْدِّبُهَا؛ بِحَيْثُ لَا تُضُرُّ
بِمَصْلَحَةِ الْمُجْتَمَعِ؛ فَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَسَطًا بَيْنَ (رَأْسَمَالِيَّةِ)^(٣) تُنْخِمُ الْفَرْدَ

(١) برقم (١٩٦٨) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.

(٢) في «المسند» (٢٨٦/٦) بنحوه، من حديث عائشة - رضي الله عنها.

(٣) الرأسمالية: نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية يقوم على أساس إشباع =

عَلَى حِسَابِ الْجَمَاعَةِ، وَ(اشْتِرَاكِيَّةً)^(١) تُلْغِي حُقُوقَ الْأَفْرَادِ وَتَمْلِكُهُمْ
بِحُجَّةٍ: مَصْلَحَةِ الْجَمَاعَةِ .

وَفِي مَجَالِ الْإِنْفَاقِ: تَتَحَقَّقُ الْوَسْطِيَّةُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا
﴾ [الفرقان].

قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «هُوَ الْحَسَنَةُ بَيْنَ سَيِّئَتَيْنِ»^(٢)،
وَالْمُرَادُ: أَنَّ الْإِسْرَافَ سَيِّئَةٌ، وَالتَّقْتِيرَ سَيِّئَةٌ، وَالْحَسَنَةُ مَا بَيْنَ ذَلِكَ ؛
فَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا.

= حاجات الإنسان الضرورية والكمالية وتحكم أصحاب رؤوس الأموال في مقدرات
الشعوب. يُنظر: «ويكيديا - الموسوعة الحرة» (رأسالية).

(١) الاشتراكية: هي نظام اجتماعي تُلغى فيه الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، بحجة إزالة
الفوارق بين الطبقات، فلا فرق فيها بين مجتهد وكسول، ومبدع وبليد، مخالفة بذلك
المنهج الرباني المتمثل في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا
بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣٢]. يُنظر:
«ويكيديا - الموسوعة الحرة» (اشتراكية).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣٨/١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٧٢٧/٨)،
وأبو نعيم في «الحلية» (٢/٢٠٩).

وَلَا تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ وَاقْتَصِدْ كِلَا طَرَفِي قَصْدِ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ^(١)
 وَهَكَذَا فِي مَجَالِ الْحُرِّيَّةِ بَيْنَ الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ؛ حُرِّيَّةُ الرَّأْيِ
 وَالْفِكْرِ وَالسُّلُوكِ وَغَيْرَهَا: جَعَلَ الْإِسْلَامُ ضَوَابِطَ شَرْعِيَّةً لِهَذِهِ الْحُرِّيَّةِ؛
 بَحِيثٌ تَكُونُ ضِمْنًا دَائِرَةَ الْمَشْرُوعِ، وَمُجَانِبَةَ الْمَنْعُوعِ.

أُمَّةُ الْوَسْطِيَّةِ: وَفِي النِّظَامِ السِّيَاسِيِّ: جَاءَ الْإِسْلَامُ مِنْهَجًا
 وَسَطًا بَيْنَ النُّظْمِ، مُبَيِّنًا حُقُوقَ الرَّاعِي وَالرَّعِيَّةِ، حَاضًّا عَلَى الْعَدْلِ
 وَالْقِسْطِ، مُعْلِيًا قِيَمَ الْحَقِّ وَالْأَمْنِ وَالسَّلَامِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةَ
 بِالْمَعْرُوفِ، مُتَرَسِّمًا الْمَنْهَجَ الشُّورِيَّ الْمُتَكَامِلَ، سَابِقًا شِعَارَاتِ
 (الدِّيمُقْرَاطِيَّاتِ)^(٢) الْمَعَاصِرَةِ، إِلَى تَحْقِيقِ مَنَافِعِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، فِي بُعْدِ
 عَنِ الْاضْطِرَابِ وَالْفَوْضَى، مُحَازِرًا (الدِّكْتَاتُورِيَّةَ)^(٣) فِي الْحُكْمِ،
 وَالاسْتِبْدَادَ فِي الرَّأْيِ، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾
 [آل عمران: ١٥٩].

(١) البيت لأبي سليمان الخطابي، يُنظر: كتابه «العزلة» (ص ٩٨).

(٢) سَبَقَ مَعْنَاهَا (ص ٨١).

(٣) الدِّكْتَاتُورِيَّةُ: نِظَامُ الْحُكْمِ الَّذِي يُبَيِّنُ عَلَيْهِ الدِّكْتَاتُورُ، فَيَتَّبِعُ فِيهِ سِيَاسَةَ التَّسَلُّطِ
 وَالتَّحْكُمِ بِالْدَوْلَةِ وَبِالْأَفْرَادِ. يُنظر: «معجم المصطلحات الفقهية والقانونية»
 (ص ١٦٧).

وَمَا يَجَلِي وَسَطِيَّةَ الْإِسْلَامِ: سُؤْلُهُ وَجَمْعُهُ بَيْنَ الْأَصَالَةِ
وَالْمَعَاصِرَةِ، وَتَمَيُّزُهُ بِالثَّبَاتِ وَالْمُرُونَةِ، وَحُسْنِ التَّعَامُلِ مَعَ الْمُتَغَيِّرَاتِ،
وَوَضْعِ الصَّوَابِطِ لِلْإِجْتِهَادِ فِي النَّوَازِلِ، وَاسْتِيعَابِ الْمُسْتَجِدَّاتِ؛ فَهُوَ
بِثَوَابِتِهِ وَأَصُولِهِ يَسْتَعَصِي عَلَى التَّمَيُّعِ وَالذُّوْبَانِ، وَيَمُرُّونَتَهُ يُوَاكِبُ
التَّطَوُّرَ بِلَا جُمُودٍ وَلَا تَحْجُرٍ، بَلْ يَبْنِي الْحَيَاةَ عَلَى الْقَوَاعِدِ الشَّرْعِيَّةِ،
وَالنَّوَامِيسِ الْمُرْعِيَّةِ، الَّتِي تَسْتَجِيبُ لِحَاجَاتِ الْأُمَّةِ فِي مُخْتَلَفِ الظُّرُوفِ
وَالْأَحْوَالِ: ﴿أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ

يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ [المائدة].

وَبَعْدُ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - فَقْصَارِي الْقَوْلِ: أَنَّ وَسَطِيَّةَ الْإِسْلَامِ
شَامِلَةٌ جَامِعَةٌ لِكُلِّ أُمُورِ الدِّينِ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بَلْ إِنَّهَا وَجْهٌ مِنْ
وُجُوهِ الْإِعْجَازِ فِيهِ وَصَلَاحِيَّتِهِ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَبِهَذِهِ الْوَسَطِيَّةِ
تَعْظُمُ مَسْئُولِيَّةُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَدَوْرُهَا الْعَالَمِيِّ، فَهِيَ أُمَّةُ الْوَسَطِيَّةِ
وَالشَّهَادَةِ: ﴿لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، شَهَادَةٌ
تُصَانُ فِيهَا الْحُقُوقُ، وَتَحَقَّقُ الْعَدَالَةُ، وَتُحْفَظُ الْكِرَامَةُ، وَتُبْنَى
الْحَضَارَةُ الْمَعَاصِرَةُ، بَعْدَ أَنْ شَقِيَ الْعَالَمُ بِاللَّوَانِ مِنَ الصَّرَاعَاتِ، وَأُنْهَكَتِ
الْبَشَرِيَّةُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الصَّدَامَاتِ، وَتَقَادَفَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ أَمْوَاجَ مِنَ الْأَنْظِمَةِ

وَالْأَهْوَاءِ، وَمُرَّقَتْ كِيَانَاتِهَا فِي رِحْلَةٍ مُنْهَكَةٍ مِنَ الضِّيَاعِ، وَهُوَّةٍ سَحِيقَةٍ
 مِنَ الْفَنَاءِ، وَبُؤْرَةٍ عَمِيقَةٍ مِنَ التِّيهِ وَالْعَدَمِ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ أَلْوَانٍ مِنَ
 الصَّلَفِ وَالتَّطَرُّفِ، وَالأَحَادِيَةِ فِي الرَّأْيِ، وَالشُّطْطِ فِي الرُّؤْيِ وَالْمَوَاقِفِ.
 وَلَيْزَنْ أَلْ حَالِ الْعَالَمِ إِلَى مَا نَرَاهُ الْيَوْمَ مِنْ تَسَلُّطِ وَصِرَاعِ حَضَارِيٍّ
 مُرْعَبٍ: فَإِنَّ الأَمَلَ - بَعْدَ اللّهِ - فِي أُمَّةِ الوَسْطِيَّةِ وَالأَعْتِدَالِ، أَنْ تَنْهَضَ
 مِنْ عَثْرَتِهَا، وَتُفِيقَ مِنْ غَفْلَتِهَا، وَتَجْمَعَ مِنْ شَتَاتِهَا، بَعْدَ أَنْ التَّاعَتَ^(١)
 طَوِيلًا، جَرَاءَ جُنُوحِ بَعْضِ أبنَائِهَا وَالمَحْسُوبِينَ عَلَيْهَا عَنْ مَنْهَجِ
 الوَسْطِيَّةِ فِي مَجَالَاتِ عَقْدِيَّةٍ وَفِكْرِيَّةٍ، وَسُلُوكِيَّةٍ وَثَقَافِيَّةٍ وَإِعْلَامِيَّةٍ،
 وَأَصْبَحَ بَعْضُ أبنَائِهَا يَقْتَاتُ مِنْ فِتْنَاتِ مَوَائِدِ الغَرْبِ، فِي لَوْنٍ مِنَ أَلْوَانِ
 التَّطَرُّفِ الفِكْرِيِّ، يُقَابِلُهُ رُدُودُ أفعالٍ مُخَالَفَةٍ فِي الرَّأْيِ، مُعَاكِسَةٍ فِي
 الإِتِّجَاهِ، فَلَرَبَّمَا سَلَكَتْ مَسَلَكَ التَّجَاوُزِ وَالشُّطْطِ، مَعَ تَضَخِيمِ إِعْلَامِيٍّ
 مَفْضُوحٍ، حَتَّى وَصِمَ الإِسْلَامُ بِأَخْطَاءِ هَذَا، وَتَقْصِيرِ ذَاكَ.
 وَمِنْ المَقَرَّرِ لَدَى النِّصْفَةِ: أَنَّ خَطَأَ الفَرْدِ فِي تَطْبِيقِ نِظَامِ مَا، لَيْسَ
 عَيْبًا فِي النِّظَامِ نَفْسِهِ، فَأَيْنَ المِصْدَاقِيَّةُ وَالمَوْضُوعِيَّةُ وَالمَوَاقِعِيَّةُ؟

(١) التَّاعَتَ: احترقت، يُقال: قَلْبٌ مُلتَاعٌ، أَي: مُحْتَرَقٌ مِنْ شَوْقٍ أَوْ هَمٍّ. يُنظر:
 «اللسان» (لوع).

فَيَا مَنْ تَصِمُونَ الْإِسْلَامَ بِالتَّطَرُّفِ وَالْإِزْهَابِ! هَذَا هُوَ
 الْإِسْلَامُ فِي وَسْطِيَّتِهِ وَسَمَاحَتِهِ، وَيُسْرِهِ وَاعْتِدَالِهِ، وَجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ .
 فَأَيْنَ هَذَا مِنَ الْحَمَلَاتِ الْمَسْعُورَةِ عَبْرَ وَسَائِلِ إِعْلَامِيَّةٍ مَأْجُورَةٍ، مِنْ
 التَّطَرُّفِ الصُّهْيُونِيِّ الْعَالَمِيِّ، الَّذِي يَبْرُزُ مِنْ خِلَالِ شَلَالَاتِ الدِّمِّ
 الْمُسْلِمِ الْمُتَدَفِّقِ عَلَى ثَرَى فِلَسْطِينَ الْمَجَاهِدَةِ؟!
 وَأَيْنَ هَذَا مِنَ التَّطَرُّفِ الْهُدُوسِيِّ الْوَثْنِيِّ عَلَى رَبِّي كَشْمِيرِ
 الصَّامِدَةِ؟!

وَأَيْنَ هُوَ مِنَ التَّطَرُّفِ الْإِلْحَادِيِّ عَلَى أَرْضِ كُوسُوفَا وَالشَّيْشَانِ
 الْمُسْلِمَةِ؟!

وَأَيْنَ هَذَا مِنَ الْمُتْلَاعِبِينَ بِالْمُصْطَلِحَاتِ، الَّذِينَ أَصْبَحَ عِنْدَهُمْ
 التَّطَرُّفُ - فِي قَتْلِ الْمُسْلِمِينَ وَظُلْمِهِمْ وَإِزْهَابِهِمْ -: رَجُلٌ أَمِنَ وَسَلَامٌ،
 وَالْمُظْلَمُونَ الْمُطَالِبُونَ بِحُقُوقِهِمْ الشَّرْعِيَّةِ، الْمُقَاوِمُونَ لِلاِحتِلالِ ضِدَّ
 عَقِيدَتِهِمْ وَبِلَادِهِمْ: إِزْهَابِيِّينَ مُتَطَرِّفِينَ، فِي شَنْشِنَةِ^(١) مَعْرُوفَةٍ مِنْ
 أَخْزَمِ^(٢)؟! فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ!

(١) سبق بيان معناها (ص ١٠٠).

(٢) سبق بيان معناها (ص ١٠٠).

أَلَا مَا أَحْوَجَ الْأُمَّةَ إِلَى سُلُوكِ مَنْهَجِ الْوَسْطِيَّةِ، فِي عِلاجِ كَثِيرٍ مِنَ
 الْإِنْحِرَافَاتِ فِي شَتَّى الْمَجَالَاتِ، وَهَذَا كُلُّهُ يُلقِي عَلَى كَوَاهِلِ عُلَمَاءِ
 الشَّرِيعَةِ، وَدُعَاةِ الْإِصْلَاحِ فِي الْأُمَّةِ، الْمَسْئُولِيَّةَ الْكُبْرَى أَمَامَ اللَّهِ، ثُمَّ أَمَامَ
 الْأُمَّةِ وَالْأَجْيَالِ الَّتِي تُشَدُّ سَبِيلَ الْخَلَاصِ مِنْ إِفْرَازَاتِ تُجَاوِزُ مَنْهَجَ
 الْوَسْطِيَّةِ الْمُتَأَلَّقِ. وَكَانَ اللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَامِلِينَ الْمُخْلِصِينَ لِدِينِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ
 وَمُجْتَمَعَاتِهِمْ!!

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
 فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ
 بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام].

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، أَقُولُ
 مَا سَلَفَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ كَافَّةً مِنْ
 كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَنْ عَلَيْنَا فَجَعَلْنَا أُمَّةً وَسَطًا، أَحْمَدُهُ - سُبْحَانَهُ - جَلَّ أَنْ يَقُولَ سَقَطًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، تَقَدَّسَ أَنْ يَقْضِيَ لَغَطًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الْمُنْزَلُ عَلَيْهِ قَوْلُ رَبِّهِ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [٢٨] ﴿ [الكهف]، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَلَكَوا مَنَهْجًا وَسَطًا، فَلَا تَجَاوَزُ وَلَا شَطَطًا، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَحَثَّ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ فَحَطًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَتَحَلَّوْا بِالْمَنَهْجِ الْوَسْطِيِّ كَمَا شَرَعَ اللَّهُ، وَاسْتَقِيمُوا عَلَى الْوَسْطِيَّةِ كَمَا سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَسَارَ عَلَى ذَلِكَ سَلْفُكُمْ الصَّالِحِ عَلَيْهِمْ رِضْوَانُ اللَّهِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: وَلَمْ تَقِفْ وَسْطِيَّةَ الْإِسْلَامِ عَلَى أُمُورِ الْعِبَادَاتِ: مِنْ طَهَارَةٍ وَصَلَاةٍ، وَنَحْوِهَا فَحَسْبُ، بَلْ تَعَدَّتْهَا إِلَى الْعَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ، وَاللَّبَاسِ وَالطَّعَامِ وَالنَّوْمِ وَغَيْرِهَا، فِي تَنْظِيمِ شَامِلٍ لِشَتَّى مَنَاحِي الْحَيَاةِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ: وَثَمَّتَ مَجَالٌ آخَرٌ بَرَزَتْ فِيهِ
وَسَطِيَّةٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي جَانِبٍ مِنْ أَهَمِّ جَوَانِبِهَا، أَلَا وَهُوَ الْجَانِبُ الْمُتَعَلِّقُ
بِالْمَرْأَةِ، فَجَاءَتْ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ الْغَرَاءُ وَالْمَرْأَةُ مَظْلُومَةٌ بَيْنَ جَاهِلِيَّتَيْنِ،
فَكَرَّمَتْهَا، وَحَفِظَتْ حُقُوقَهَا، وَسَمَتْ بِهَا أَنْ تَكُونَ أَجِيرَةً، وَصَانَتْهَا مِنْ
الْوُقُوعِ فِي مُسْتَنْقَعَاتِ الرِّذِيلَةِ، وَكَفَلَتْ لَهَا حُرِّيَّتَهَا الشَّرْعِيَّةَ، وَنَأَتْ بِهَا
عَنْ مَسَالِكِ التَّحَرُّرِ مِنَ الْقَيْمِ، وَالهُبُوطِ إِلَى بَرَاثِنِ الْإِبَاحِيَّةِ وَالْإِنْحِلَالِ،
وَالْإِنْسِلَاحِ مِنَ الْفَضَائِلِ، وَسُلُوكِ مَسَالِكِ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ
وَالْإِخْتِلَاطِ.

غَيْرَ أَنْ ثَمَّتَ مَلْحَظًا آخِرًا مُهِمًّا، وَهُوَ أَنَّ الْوَسَطِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ
لَا تَخْضَعُ لِلْأَهْوَاءِ وَالرَّغَبَاتِ، فَلَيْسَتْ تَتَّصِلُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْمَقُومَاتِ،
وَلَا تَمُرُّدًا عَلَى الْمَبَادِي وَالْغَايَاتِ، وَإِنَّمَا تُضَبِّطُ بِضَوَابِطِ الشَّرِيعَةِ.

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَحْمِلُ عَلَى كُلِّ مُلْتَزِمٍ بَدِينِهِ، لَا سِيَّمَا مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ
وَالْحُسْبَةِ وَالْإِصْلَاحِ، وَيَصِفُهُمْ بِالتَّزَمْتِ وَالْعُلُوءِ، فَمَنْ يَلْتَزِمُ بِالسُّنَّةِ
- بَاطِنًا وَظَاهِرًا - فَهُوَ عِنْدَهُمْ مُتَحَجِّرٌ مُتَشَدِّدٌ، وَمَنْ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ
غَالٍ مُتَنَطِّعٌ، وَالغَيْرُ عَلَيْهِ: رَجَعِيُونَ مُتَأَخَّرُونَ.

أَمَّا الْمُنْهَزِمُونَ الْمُتَفَلِّتُونَ مِنَ الْمُثَلِّ - الْمُفْرَطُونَ بِالْقَيْمِ، الْمُتَلَاعِبُونَ
بِالثَّوَابِ وَالْمَبَادِي - فَهُؤُلَاءِ عِنْدَهُمْ مُتَمَتِّعُونَ بِسَعَةِ الْأَفْقِ، مُتَحَرِّرُونَ

مُتَوَرِّونَ، مُنْفَتِحُونَ عَلَى الْآفَاقِ الْمَعَاصِرَةِ، وَاقِعِيُونَ فِي النَّظَرِ
وَالسُّلُوكِ!!

وَلَعَمْرُ الْحَقِّ! إِنَّ هَذَا نَوْعٌ مِنَ التَّطَرُّفِ الْمَحْمُومِ، وَالْفِكْرِ الْمَسْمُومِ،
فِي مُقَابِلِ التَّطَرُّفِ الْمَذْمُومِ!! مِمَّا يَحْمِلُ طُلَّابَ الْوَسْطِيَّةِ عَلَى الْاِعْتِدَالِ
بَيْنَ ذَيْنِكَ الطَّرْفَيْنِ.

وَالدَّعْوَةُ مُوجَّهَةٌ مِنْ بِلَادِ الْوَسْطِيَّةِ حِسًّا وَمَعْنَى، مَكَانًا وَزَمَانًا،
وَعَقِيدَةً وَمَنْهَاجًا - زَادَهَا اللَّهُ خَيْرًا وَهُدًى وَتَوْفِيقًا - إِلَى أَنْ يَفِيءَ
الْعَالَمُ إِلَى ظِلَالِ هَذِهِ الْوَسْطِيَّةِ الْمُتَأَلِّقَةِ؛ لِيُحَقِّقَ لِنَفْسِهِ وَلِمَنْ حَوْلَهُ
الْخَيْرَ وَالسَّلَامَ، لِيَعِيشَ النَّاسُ فِي أَمْنٍ وَأَمَانٍ، وَإِحْيَاءٍ وَوِثَامٍ، وَلِتَنْبَشِقَ
إِشْرَاقَةُ الْحُبِّ وَالتَّرَاحُمِ، وَالْأُلْفَةِ وَالتَّلَاحُمِ بَيْنَ الْعِبَادِ: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ

عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف].

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى إِمَامِ الْحَنِيفِيَّةِ، الْمَبْعُوثِ
بِالْاِعْتِدَالِ وَالْوَسْطِيَّةِ؛ كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ رَبُّكُمْ رَبُّ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ تَعَالَى فِي
مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ وَأَصْدَقِ قِيلِهِ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب].

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَقْصُرُ دُونَ مَدْحَتِهِ صُنُوفُ النَّعُوتِ ثَنَاءً وَأَوْصَافًا،
 نَحْمَدُهُ - تَعَالَى - وَنَشْكُرُهُ أَنْ جَعَلَنَا أُمَّةً وَاحِدَةً، وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا مِنْ وَافِرِ
 آيَاتِهِ عَطَاءً وَالطَّافًا، وَأَوْجَبَ عَلَيْنَا التَّأَخِي اعْتِصَامًا وَاتِّلَافًا، وَحَرَّمَ
 الْفُرْقَةَ بَيْنَنَا تَنَازُعًا وَاخْتِلَافًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ
 لَهُ، تَوَعَّدَ بِالْحَسَارِ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ زَيْغًا وَإِرْجَافًا، وَبَسَطَ يَدَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ لِمَنْ
 أَنَابَ إِلَيْهِ افْتِقَارًا وَاعْتِرَافًا، وَأَشْهَدُ أَنْ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ،
 أَفْضَلُ الْخَلِيقَةِ مُحْتَدًا^(١) وَأَعْرَاقًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 خِيَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَلْفًا وَأَسْلَافًا، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ يَرْجُو
 مِنَ اللَّهِ قُرْبًا وَازْدِلَافًا، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَإِنَّ
 التَّقْوَى هِيَ الْحَبْلُ الْأَقْوَى لِلْفَوْزِ بِجَنَّةِ الْمَأْوَى، تَرِبْتُ عَلَى الْقُلُوبِ سَاعَةً

(١) سبق بيان معناها (ص ١٢٩).

المِحْنِ، وَتُنِيرُ الدُّرُوبَ أَوْقَاتِ الأَزْمَاتِ وَالفِتَنِ، مَنْ عَمَرَتِ التَّقْوَى قَلْبَهُ، سَلِمَتْ طَوِيلَتُهُ مِنَ الضَّغَنِ، وَهُدِيَ إِلَى خَيْرِ سَبِيلٍ وَأَقْوَمِ سَنَنِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَا يَجِدُ النَّاطِرُ فِي تَأْرِخِ أُمَّتِنَا عَنَاءً فِي الوُقُوفِ عَلَى تَمَيُّزِ حَضَارَتِهَا، وَتَحَقُّقِ قِيَادَتِهَا وَسَيَادَتِهَا، وَرِيَادَتِهَا عَلَى الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ، أَحْقَابًا مِنَ الزَّمَانِ، وَرَدْحًا مِنَ الدَّهْرِ، وَمَرَدُّ تِلْكَ الغَلْبَةِ وَذِيَاكَ العُلُوِّ إِلَى الإِعْتِصَامِ بِالوَحْيَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَلُزُومِ قَاعِدَةِ الوَحْدَةِ وَالإِئْتِلافِ، وَنَبْذِ الفُرْقَةِ وَالإِخْتِلَافِ تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء].

كَمَا لَا يَلْقَى المُتَأَمِّلُ فِي وَضْعِهَا الرَّاهِنِ عَنَاءً فِي القَوْلِ: إِنَّ أُمَّتَنَا أَظَلَّهَا زَمَانٌ حَالِكٌ بِالغَوَائِلِ ^(١) وَالمُدْهَمَاتِ! مِنْ سَيْرٍ فِي حَرَّةٍ كَأَدَاءِ ^(٢)، تَتَنَاوَشُهَا نِصَالٌ أَعْدَاءِ الأَدَاءِ، وَتَرْمُقُهَا مَقْلٌ حَاسِدَةٌ، وَأَحْدَاقٌ حَاقِدَةٌ، أَضْمَرَتِ الكَيْدَ وَالعَدَاءَ، مَعَ مَا تُعَانِيهِ مِنْ شَتَاتِ ذَاتِي، وَنُفُورِ دَاخِلِيٍّ، وَصِرَاعِ بَيْنِيٍّ، وَفَهْمِ آحَادِيٍّ لِكَثِيرٍ مِنَ القَضَايَا، وَطُفُوِّ أَفْكَارٍ مُنْحَرِفَةٍ هَدَامَةٍ، وَظُهُورِ فِتْنَامٍ مَرَقَتْ عَنْ صَفِّ المِلَّةِ وَالجَمَاعَةِ، فَلَمْ يَزِدْ ذَلِكَ فِي

(١) سبق بيان معناها (ص ٢٢٧).

(٢) كَأَدَاءٌ: شاقّة صعبة. يُنظر: «اللسان» (كأد).

جَسَدِ الْأُمَّةِ إِلَّا أَوْصَابًا^(١) وَتَفْرِيقًا وَجُرُوحًا وَتَمْرِيقًا، وَلِلَّهِ - سُبْحَانَهُ - فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ! كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿ وَنَبَلُّوكم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وَكَمْ لِلْمَحْنِ وَالْأَزْمَاتِ مِنْ شَأْنِ عَرِيضٍ فِي صَقْلِ الْأُمَمِ وَرُقِيئِهَا! وَلَكِنْ كُلُّ يَوْمٍ يَمْضِي مِنْ حَيَاةِ الْأُمَّةِ لَا تُشَخَّصُ فِيهِ عِلَلُهَا، وَلَا تَأْخُذُ فِيهِ بِأَسْبَابِ النَّهْوِضِ مِنْ كَبَوْتِهَا، لِيُؤَخَّرَهَا أَمَدًا بَعِيدًا، وَيَزِيدُ مِنْ تَمَكُّنِ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ لَدَى كَثِيرٍ مِنَ الشَّرَائِحِ وَالْأَوْسَاطِ فِي جَدْوَى تَمَاطُلِهَا لِلشُّفَاءِ، وَاسْتِثْنَاءِ تَسْنُمِهَا^(٢) لِذُرَى الْعَلْيَاءِ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَهَذِهِ وَقْفَةٌ تَذَكِيرٌ لِتَشْبِيهِتِ أَهَمِّ الْمَعَالِمِ عَلَى جَنَبَاتِ طَرِيقِ النَّهْضَةِ الْوَاعِيَةِ، الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَنْتَهَجَهَا أَهْلُ الْحَقِّ، تَكُونُ بَيَانًا لِلْأَسِيِّ، وَتَذَكِيرًا لِلنَّاسِيِّ، وَتَعْلِيمًا لِلجَاهِلِ، وَتَنْبِيهًا لِلذَّاهِلِ، وَإِسْهَامًا فِي لَمِّ السُّتَاتِ، وَذَمِّ الْفُرْقَةِ وَالْإِنْتِبَاتِ^(٣)، وَالنَّأْيِ بِالْأَجِبَةِ عَنِ وَحَرٍ^(٤) الصُّدُورِ، وَدَرَنِ الْمَقَاصِدِ وَبَوَاعِثِ الشُّرُورِ .

(١) سبق بيان معناها (ص ١٤٢).

(٢) تَسْنُمُهَا: اعتلائها. يُنظر: «اللسان» (سنم).

(٣) الْإِنْتِبَاتُ: الانقطاع. يُنظر: «اللسان» (بت).

(٤) الْوَحْرُ: - بسكون وفتح - الغيظ والحقد. يُنظر: «اللسان» (وحر).

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: إِنَّ شَرِيعَتَنَا الْغَرَاءُ قَصَدَتْ إِلَى الْأُلْفَةِ وَالْوِفَاقِ،
وَنَأَتْ عَنِ مَسَالِكِ التَّنَازُعِ وَالْإِفْتِرَاقِ، وَنَادَتْ بِالْمَحَبَّةِ وَالْإِخَاءِ،
وَحَضَّتْ عَلَى التَّسَامُحِ وَالتَّرَاحُمِ، وَالتَّنَاصُرِ وَالتَّلَاحُمِ، سِيَّمَا بَيْنَ أَهْلِ
الْحَقِّ: أَهْلِ الْمَشْرَبِ الْوَاحِدِ، وَالْمَنْهَجِ الْوَاحِدِ .

وَالكِتَابُ وَالسُّنَّةُ زَاخِرَانِ بِالْبِرَاهِينِ الْمُشْرِقَةِ عَلَى تِلْكَ الصِّفَاتِ
الْمُتَوَهِّجَةِ، بِكُلِّ مَعَانِي الْغَايَاتِ السَّامِيَةِ، يَقُولُ - تَعَالَى - ﴿ وَأَعْتَصِمُوا
بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً
فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وَفِي ذَلِكَ امْتِنَانٌ بِتَغْيِيرِ الْحَالِ الْمُسْتَتِ السَّنِيعِ، إِلَى الْحَالِ الْمُنْتَظَمِ
الْبَدِيعِ، وَمِنْ مَشْكَاتِ النُّبُوَّةِ وَإِشْرَاقَاتِهَا قَوْلُهُ ﷺ ﴿فِيمَا صَحَّ عِنْدَ
أَحْمَدَ^(١) وَالتِّرْمِذِيِّ^(٢): «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوْطَّؤُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ
وَيُؤْلَفُونَ»^(٣).

(١) في «المسند» (١٩٣/٤) من حديث أبي ثعلبة الخشني ﷺ.

(٢) برقم (٢٠١٨) بنحوه من حديث جابر ﷺ.

(٣) وأصله عند البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٢١) من حديث ابن عمر
- رضي الله عنهما - وفيه: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا».

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ: مَنْ كَتَمَ دَاءَهُ أَشْهَدَهُ وَأَضْنَاهُ، وَأَضَجْرَهُ
وَعَنَاهُ، وَإِنَّ مِنَ الْأَدْوَاءِ - الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُشَخَّصَ فِي عُنْفُونِ الْأَسَى
وَاللُّوْعَةِ - مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ وَحْشَةٍ وَتَنَافُرٍ، وَجَفَاءٍ وَتَغَايُرٍ، بَلَغَ حَدَّ
التَّجْرِيحِ وَالتَّحْذِيرِ، وَالتَّسْفِيهِ وَالتَّشْهِيرِ، مِنْ قِبَلِ أَهْلِ الْمِلَّةِ بَعْضِهِمْ
بَعْضًا، مِمَّنْ سَلَكَ سَبِيلَ الْحَقِّ عَقِيدَةً وَعِبَادَةً وَسَلُوكًا، وَمِمَّنْ يَتَسَبَّبُونَ
إِلَى الْخَيْرِ وَالْغَيْرَةِ عَلَى الْحُرْمَاتِ، الْحَرِيصِينَ عَلَى سَلَامَةِ الْأُمَّةِ مِنَ التَّعَثُّرِ
وَالْإِنْزِلَاقِ، الْوَجِلِينَ عَلَى وَحْدَةِ الصَّفِّ مِنَ التَّصَدُّعِ وَالْإِنْشِقَاقِ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَإِنَّ مِنَ الْمَصَائِبِ الْفَادِحَةِ الَّتِي جَازَتْ سَدِيدَ
الْحِكْمَةِ، وَأَنْتَهَكْتَ مِنَ الْأَمَاجِدِ الْحُرْمَةَ، أَنْ يَتَطَاوَلَ بَعْضُ أَهْلِ الْمِلَّةِ
الْوَاحِدَةِ عَلَى مَقَامَاتِ إِخْوَانِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَجْلَاءِ، وَالِدُّعَاةِ النُّبَلَاءِ؛
حَطًّا مِنْ أَقْدَارِهِمْ، وَوَقِيعَةً فِي أَعْرَاضِهِمْ، وَإِضَاعًا خِلَالَهُمْ، وَنَزْعًا
لِلثِّقَةِ وَالْمَرْجِعِيَّةِ مِنْهُمْ.

وَإِنَّ الرِّزِيَّةَ لَتَعْظُمُ حِينَ يَكُونُ ذَلِكَ عَلَى قَصْدِ الْإِزْدِرَاءِ وَالتَّشْهِيرِ،
وَالثَّلْبِ وَالتَّعْيِيرِ، عَبْرَ قَنَوَاتِ سَيَّارَةِ: مِنْ صُحُفٍ وَمَجَلَّاتٍ،
وَفَضَائِيَّاتٍ وَشَبَكَاتٍ، بِكُلِّ تَخَلُّ عَنِ التَّوَرُّعِ وَالتَّائِبِ، قَالَ ﷺ
- مُحَدِّرًا وَمُتَوَعِّدًا - : « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ
قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مِنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ

يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهَ عَوْرَتَهُ يُفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ»،
أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ^(١) وَأَبُو دَاوُدَ^(٢) وَالتِّرْمِذِيُّ^(٣).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ، وَلَا سِيَّمَا
أَكَابِرِهِمْ، مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ»^(٤).

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: «كَفَى بِالْمَرْءِ شَرًّا أَنْ لَا يَكُونَ صَالِحًا، وَهُوَ
يَقَعُ فِي الصَّالِحِينَ»^(٥).

فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ الْوَاحِدَةِ - هَدَاهُمُ اللَّهُ - مَنْ تَكُونُ غَايَةَ
دُنْيَاهُ، وَأَكْبَرُ هَمِّهِ وَمُنَاهُ، تَتَّبِعُ الْعَثْرَاتِ، وَتَصِيدُ الزَّلَّاتِ، وَالنَّفْخَ فِي
الْهَنَاتِ، وَالتَّشْهِيرَ بِهَا عَبْرَ الْمَجَالِسِ وَالْمُتَدَيَاتِ، لَا يَفْتَوُونَ هَمَزًا،
وَلَا يَنْفَكُونَ لَمَزًا، وَلَا يَبْرَحُونَ غَمَزًا، دَيْدَهُمُ التَّشْوِيشُ، وَمَطِيَّتُهُمُ
التَّحْرِيشُ، وَسَجِيَّتُهُمُ الْإِثَارَةُ وَالتَّهْوِيشُ، قَامُوا سُهُمُ سُوءِ الظَّنِّ،
وَمَفَاهِيمُهُمُ الْأَذَى وَالْمَنْ، يُبَادِرُونَ بِالِاتِّهَامِ، وَيَسْتَعْجِلُونَ بِالْجَفَاءِ

(١) في «المسند» (٤/٤٢٠) من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

(٢) برقم (٤٨٨٠) من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

(٣) برقم (٢٠٣٢) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما.

(٤) يُنظر: «الرد الوافر» (ص ١٩٧).

(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٥٦/٤٣٠).

وَالِاضْطِلَامِ^(١)، يُكْثِرُونَ الْوَقِيعَةَ وَالْعِتَابَ، وَلَا يَتَوَرَّعُونَ عَنِ الشَّتَائِمِ
وَالسَّبَابِ، وَيَطْعَنُونَ فِي الْخَوَاصِرِ، وَيُصَوِّبُونَ سِهَامَهُمْ تَلْقَاءَ الْقَفَا.

إِذَا رَأَوْكَ فِي نِعْمَةٍ حَسَدُوكَ، وَإِنْ تَوَارَيْتَ عَنْهُمْ اغْتَابُوكَ، إِنْ
يَسْمَعُوا هَفْوَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا، وَمَا عَلِمُوا مِنْ صَالِحٍ كَتَمُوا. يَعْمَلُونَ
لَيْلَ نَهَارٍ عَلَى الْحَطِّ مِنَ الْأَقْدَارِ، وَالنَّيْلِ مِنَ الْكَفَاءَاتِ، وَتَشْوِيهِ صُورَةِ
الْبُرَاءِ الْأَخْيَارِ النَّزْهَاءِ. يَتَحَرَّكُونَ كَالْحَفَافِيشِ فِي الظَّلَامِ، وَيَعْمَلُونَ
خَلْفَ الْكَوَالِيسِ، تَنَكَّرَتْ مِنْهُمْ الْوُجُوهُ، وَتَغَيَّرَتِ الْقَسَمَاتُ، وَاصْفَرَّتِ
السَّمَاتُ. فِي الرَّخَاءِ أَحَبَّةٌ أَخْلَاءُ، وَفِي الشَّدَّةِ أَعْدَاءُ أَلْدَاءُ، يَسْتَوِي فِي
ذَلِكَ الْأَقْرِبَاءُ وَالْأَصْفِيَاءُ، لَا يَلْتَمِسُونَ الْمَعَاذِيرَ، وَيَسْعُونَ لِإِسْقَاطِ أَهْلِ
الْفَضْلِ وَالْمَشَاهِيرِ، يُثُّونَ عَنْهُمْ الشَّائِعَاتِ، وَيَحْتَلِقُونَ ضِدَّهُمْ
الْوَشَايَاتِ، فَسُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ!

أَلَا يَخَافُونَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ؟! إِلَى اللَّهِ الْمُشْتَكَى، وَلَا حَوْلَ
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!! وَيَتَحَرَّرُونَ لِذَلِكَ بَعْضَ الْمَوَاقِعِ الْعَنْكَبُوتِيَّةِ، بَلْ
سَمَّهَا الثُّعْبَانِيَّةَ الْفَتَاكَةَ، زَاعِمِينَ بَيَانَ الْحَقِّ وَالْإِصْلَاحِ، وَالْوَاقِعُ أَنَّهُمْ
مِثْلُ الدُّبَابِ يُرَاعِي مَوْضِعَ الْعَلَلِ، وَلَا يُبَالُونَ أَنْ يَكُونَ جَمْعُهُمْ مِنْ

(١) الْإِضْطِلَامُ: الْقَطْعُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (صلم).

قَالَ السُّوءَ وَالْمَجَاهِيلِ، أَوْ مِنْ ثَنَائَا مُؤَلَّفَاتٍ لَمْ يَطَّأَهَا قَلَمُ التَّنْقِيحِ،
وَلَمْ يَخْطُهَا يِرَاعٌ^(١) النَّسْخِ وَالتَّوْضِيحِ.

وَعَلَى إِثْرِ تِلْكَ الْأَوْهَامِ وَالْمَهْفَوَاتِ، الَّتِي تَقْبَلُ التَّأْوِيلَ وَالِاغْتِفَارَ فِي
غَزِيرِ حَسَنَاتِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ، يَكُونُ الْوَلَاءُ وَالْبِرَاءُ، وَالْهَجْرُ وَالْجَفَاءُ،
وَالْوُدُّ وَالْعِدَاءُ، عِبْرَ التَّصْنِيفِ وَالتَّعْصِبِ، وَالتَّحْيِزِ وَالتَّحْزِبِ، وَيُسْغَلُ
بِذَلِكَ طَلَبَةُ الْعِلْمِ وَالنَّاشِئُونَ فِيهِ، وَالْمُتَّقِفُونَ وَالْمُصْلِحُونَ، وَيَتَلَقَّفُهَا فِي
كُلِّ الْأَصْقَاعِ الشَّائِنُونَ وَالْمُعْرِضُونَ. وَتَهْدِرُ مَلَكَاتٌ وَأَوْقَاتٌ، بَيْنَ رَادٍّ
وَمَرْدُودٍ عَلَيْهِ، بِكَلِمَاتٍ جَارِحَةٍ، وَعِبَارَاتٍ قَاسِيَةٍ مُسِفَّةٍ، وَقَذَائِفَ كَأَنَّهَا
شَوَاطِئُ مِنْ نَارٍ، تَشِي بِسُوءِ الدَّخَلَةِ^(٢) وَالْمَأْرَبِ، ضَارِبَةً بِعِفَّةِ اللِّسَانِ
وَنَزَاهَةِ النَّفْسِ كُلِّ مَضْرَبٍ، كَانَ الْأَوْلَى صَرْفَهَا سَطْرَ الْفِرْقِ الْمُتَحْرِفَةِ،
الْمُنَاوِئَةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، السَّاعِيَةِ فِي تَقْوِيضِ أَمْنِهِمْ، وَخَلْخَلَةِ صَفِّهِمْ.

وَإِنِّي أُعِيدُ الْأَصْفِيَاءَ وَطُلَّابَ الْخَيْرِ وَشُدَاتَهُ، أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِصَفَةِ فِرْقَةٍ
ضَالَّةٍ، حَدَرْنَا مِنْهَا الْمَعْصُومُ ﷺ فِيمَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ^(٣): «قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ

(١) سبق بيان معناها (ص ١٨).

(٢) سبق بيان معناها (ص ١٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، ومسلم (١٠٦٣) من

حديث جابر رضي الله عنه.

الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ».

وَمِنَ الْوَمَضَاتِ اللَّطِيفَةِ لِلْقَاضِي إِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، الَّذِي سَارَ مَثَلًا فِي الْفِطْنَةِ وَالذِّكَاةِ، مَا أُوْرِدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنْ سُفْيَانَ ابْنِ حُسَيْنٍ قَالَ: «ذَكَرْتُ رَجُلًا بِسُوءٍ عِنْدَ إِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَنَظَرَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ: أَغَزَوْتَ الرُّومَ؟ قُلْتُ: لَا! قَالَ: السِّنْدُ وَالْهِنْدُ وَالتُّرْكُ؟ قُلْتُ: لَا! قَالَ: أَفَسَلِمَ مِنْكَ الرُّومُ وَالسِّنْدُ وَالْهِنْدُ وَالتُّرْكُ، وَلَمْ يَسَلِّمْ مِنْكَ أَخُوكَ الْمُسْلِمُ؟! قَالَ: فَلَمْ أَعُدْ بَعْدَهَا أَبَدًا»^(١).

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «ظَلَمْتُ لِأَخِيكَ، أَنْ تَذْكَرَ مِنْهُ أَسْوَأَ مَا تَعْلَمُ، وَتَكْتُمَ خَيْرَهُ»^(٢).

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: «الْمُؤْمِنُ يَلْتَمِسُ الْمَعَادِيرَ، وَالْمُنَافِقُ يَتَّبِعُ الزَّلَاتِ»^(٣).

وَقَالَ آخَرُ: «الْمُسْلِمُ يَسْتُرُ وَيَنْصَحُ، وَالْمُنَافِقُ يَهْتِكُ وَيَفْضَحُ»^(٤).

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣١٤ / ٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨ / ١٠).

(٢) ينظر: «التمهيد» لابن عبد البر (٢٣ / ٢٢)، و«صفة الصفوة» (٣ / ٢٤٥).

(٣) ينظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (١٧٧ / ٢).

(٤) ينظر: «جامع العلوم والحكم» (ص ٨٢)، والقائل هو: الفضيل بن عياض - رحمه الله.

وَهَذَا فِي حَقِّ أَحَادِ الْمُسْلِمِينَ وَعَوَامِّهِمْ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ
الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ، وَالْخَيْرِ وَالِدَعْوَةِ، وَقَضَى سَحَابَةَ عُمُرِهِ عَالِمًا مُحَقِّقًا،
أَوْ دَاعِيًا مُتَأَلِّفًا، أَوْ كَانَ مِنْ ذَوِي الْهَيْئَاتِ وَالْمُرُوءَاتِ؟! فَإِنَّ إِمْسَاكَ
اللِّسَانَ عَنْهُمْ، وَصَوْنَهُمْ عَنِ الرَّشْقِ وَالتَّوْهِينِ، آكَدُ وَأَوْجَبُ.

أَنْصَارَ السُّنَّةِ وَدُعَاتِهَا: وَفِي سِتْرِ الزَّلَّةِ، وَسَدِّ الْبَادِرَةِ وَالْحَلَّةِ،
مَا وَرَدَ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَظَنَّ بِكَلِمَةٍ صَدَرَتْ مِنْ أَحِيكَ سُوءٌ
وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا»^(١).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: «لَيْسَ مِنْ عَالِمٍ
وَلَا شَرِيفٍ، وَلَا ذِي فَضْلٍ، إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ، وَلَكِنْ مَنْ كَانَ فَضْلُهُ أَكْثَرَ
مِنْ نَقْصِهِ، ذَهَبَ نَقْصُهُ لِفَضْلِهِ»^(٢).

وَمِنَ الْكَلَامِ الذَّهَبِيِّ لِلْإِمَامِ الذَّهَبِيِّ فِي تَرْجَمَةِ الْحَافِظِ مُحَمَّدِ بْنِ
نَضْرٍ، قَوْلُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَلَوْ أَنَا كُلَّمَا أَخْطَأَ إِمَامٌ فِي اجْتِهَادِهِ فِي أَحَادِ
الْمَسَائِلِ، خَطَأً مَغْفُورًا لَهُ، فُئِمْنَا عَلَيْهِ، وَبَدَّعْنَا، وَهَجَرْنَا، لَمَا سَلِمَ مَعَنَا

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (ص ٥٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان»

(٢/٣٢٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/٣٦٠).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (١١/١٧٠)، والخطيب البغدادي في «الكفاية

في علم الرواية» (ص ٧٩).

ابن نَصْرٍ وَلَا ابْنَ مَنْدَهَ، وَلَا مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُمَا، وَاللَّهُ هُوَ هَادِي الْخَلْقِ
إِلَى الْحَقِّ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْهَوَىٰ وَالْفِطَاظَةِ»^(١).
وَهُنَا صَرَحَ تَحذِيرًا، وَتَنْبِيهًا وَتَنْذِيرًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، أَنْ كَفَانَا
جَفَاءً وَاخْتِلَافًا، وَحَيْهَلَا اغْتِصَامًا وَتَجَرُّدًا وَائْتِلَافًا: مَاذَا دَهَانَا،
وَعَجِيبُ أَمْرُنَا ذَا الزَّمَانَا!!؟

وَمُرَادُ النَّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ نَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى^(٢)
وَلَوْ سَائِلِ الْإِعْلَامِ الْمُؤْتَمَةِ عَلَى الْأَفْكَارِ وَالْأَقْلَامِ: أَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ فِي
صِدْقِ الْكَلِمَةِ، وَانْتِقَاءِ النَّشْرِ، وَعُمُقِ الطَّرْحِ، فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ خَطَّ سَوَادًا
فِي بِيَاضٍ، نُشِرَ لَهُ، فَوَضَعَ وَخَبَّ فِي أَعْرَاضِ الْفُضَّلَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالنُّبَلَاءِ،
وَلَيْسَ هُوَ مِنْ طَرَاذِهِمْ وَلَا مِنْ عِلْمِهِمْ، فِي قَبِيلٍ أَوْ دَبِيرٍ؛ حَتَّىٰ غَدَا
الثَّلْبُ وَالسَّلْبُ مَرْكَبًا وَطَيْئًا، وَسَابِلَةً^(٣) لِمَنْ تَعْرِفُ وَتُنْكِرُ!! فَكَلَّا نَمَّ
كَلًّا لِلتَّعْقِبَاتِ وَالرُّدُودِ الرَّعْنَاءِ، الَّتِي تُثِيرُ كَوَامِنَ النَّفُوسِ وَالشَّخْنَاءِ،
وَتُورِي زِنَادَ الْكَوَامِنِ وَالْبَغْضَاءِ.

(١) يُنظر: «سير أعلام النبلاء» (٤٠ / ١٤).

(٢) يُنظر: «شرح ديوان المتنبي» جمع عبدالرحمن البرقوقي (ص ٣٧٢).

(٣) سَابِلَةٌ: مسلوكة. يُنظر: «اللسان» (سبل).

وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً عَرَفَ قَدْرَ الْعُلَمَاءِ وَقَدَّرَ نَفْسِهِ، وَتَابَ بِمَا خَطَّتْهُ يَدُهُ
 فِي طَرْسِهِ^(١)، وَلِيَكِلْ شَأْنَ النَّقْدِ وَالتَّقْوِيمِ، إِلَى مَنْ رَسَخَتْ فِي الْعِلْمِ
 أَقْدَامُهُمْ، وَاتَّقَنُوا ضَوَابِطَ النَّقْدِ وَالْحَوَارِ، وَقَامُوا عَلَى آدَابِ الْخِلَافِ
 وَقَوَاعِدِهِ خَيْرَ قِيَامٍ، وَهَلْ يَمْلِكُ مِيزَانَ الْاِعْتِدَالِ فِي نَقْدِ الْمَنْهَجِ
 وَالرَّجَالِ، إِلَّا الْعُلَمَاءُ الْأَفْذَاذُ، الَّذِينَ تُنَاحُ بِعِلْمِهِمُ الرَّحَالُ،
 وَتُحْدَى^(٢) بِمَنَاقِبِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ الْمَطَايَا وَالْأَمَالُ!
 يَقُولُ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ: «الْكَلَامُ فِي الْعُلَمَاءِ مُفْتَقِرٌ إِلَى الْعَدْلِ
 وَالْوَرَعِ»^(٣).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ السَّاحَةَ الْعِلْمِيَّةَ، وَالْحَلَائِبَ الدَّعْوِيَّةَ،
 وَالْمُنْتَدِيَاتِ الْمَعْرِفِيَّةَ وَالْحَوَارِيَّةَ، وَوَحْدَةَ الْأُمَّةِ الْمَفْكَكَةِ، فِي ظَمَائِهِ هَائِلٍ
 لَتَرْسِيخِ حَقَائِقِ التَّأَخِي الْوَرِيفِ، وَالتَّنَاصُحِ الشَّفِيفِ، الْمُرْتَكِزِينَ عَلَى
 الصِّدْقِ وَالْإِنصَافِ وَالتَّوَاضُّعِ، وَالْحِرْصِ عَلَى إِظْهَارِ الْحَقِّ دُونَ زُخْرُفِ
 فِي الْقَوْلِ مُمَوِّهِ، أَوْ بَاطِنِ بِالْحَسَدِ مُشَوِّهِ.

(١) الطَّرْسُ: الْكِتَابُ. يُنظَرُ: «اللِّسَانُ» (طرس).

(٢) تُحْدَى: تُسَاقُ. يُنظَرُ: «اللِّسَانُ» (حدا).

(٣) يُنظَرُ: «سِيرُ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ» (٨/٤٤٨).

وَمِنَ الرَّوَاعِ الزَّائِرَةِ فِي أَدَبِ أُسْلَافِنَا عِنْدَ الْاِخْتِلَافِ، وَحِفَاطِهِمْ
 عَلَى الْمَوَدَّةِ وَالصَّفَاءِ، وَالِإِذْعَانَ لِلْحَقِّ حَيْثُ اسْتَبَانَ وَكَانَ، دُونَ تَمَعُّرٍ
 أَوْ تَنْقِصٍ أَوْ اسْتِعْلَاءٍ، مَا أوردَهُ الذَّهَبِيُّ فِي (سِيرِهِ) عَنِ الْحَافِظِ أَبِي
 مُوسَى الصَّدِّيقِ، أَنَّهُ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَعْقَلَ مِنَ الشَّافِعِيِّ! نَاطَرْتُهُ يَوْمًا فِي
 مَسْأَلَةٍ ثُمَّ افْتَرَقْنَا، وَلَقَيْتَنِي فَأَخَذَ بِيَدِي - تَأَمَّلُوا يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ أَلَا مَا
 أَرْكَاهُ مِنْ أَدَبٍ!! - ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُوسَى! أَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ نَكُونَ إِخْوَانًا
 وَإِنْ لَمْ تَنْفِقْ فِي مَسْأَلَةٍ؟!»^(١).

عَلَّقَ الذَّهَبِيُّ قَائِلًا: «هَذَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ عَقْلِ هَذَا الْإِمَامِ، وَفِقِهِ
 نَفْسِهِ، فَمَا زَالَ النُّظْرَاءُ يَخْتَلِفُونَ»^(٢). انْتَهَى كَلَامُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ.

أَلَا مَا أَحْوَجَنَا إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَفْهَامِ وَالْعُقُولِ، وَذَلِكَ السَّمْتِ
 وَالْهُدْيِ، وَتِلْكَ الْمُنْهَجِيَّةِ وَالْإِصَابَةِ، لَا كَثْرَةَ الْهَذَرِ^(٣) وَالِاسْتِرْسَالِ فِي
 الطُّعُونِ، وَلَيْسَ الْعَهْدُ بَبَعِيدٍ عَنِ سِيرَةِ أَيْمَتِنَا وَعُلَمَائِنَا، رَحِمَ اللَّهُ
 أَمْوَاتَهُمْ وَوَفَّقَ أَحْيَاءَهُمْ.

(١) يُنظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/١٦).

(٢) يُنظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/١٧).

(٣) الهذَرُ: الهذيان. يُنظر: «اللسان» (هذر).

فِيَا أَهْلَ السُّنَّةِ الْمَيَامِينَ، حَنَانِيكُمْ بِبَعْضِكُمْ حَنَانِيكُمْ! وَلُطْفًا
لُطْفًا بِإِخْوَانِكُمْ، وَرِفْقًا رِفْقًا بِالْعُلَمَاءِ وَالِدُّعَاةِ، وَأَهْلِ الْخَيْرِ
وَالصَّلَاحِ وَالِإِصْلَاحِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلُّغُوا، «فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ
لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى»^(١).

وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَنْصَفَ مِنْ نَفْسِهِ فَبَادَرَ بِاتِّهَامِهَا، وَأَنْصَفَ إِخْوَانَهُ
فَحَفِظَ وُدَّهُمْ، وَأَحَبَّ الْخَيْرَ وَالِإِصَابَةَ لَهُمْ، وَلَمْ يُعِنِ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِمْ.
إِنَّ مِنَ النَّبْلِ وَالشَّجَاعَةِ مُوَاجَهَةَ إِخْوَانِكَ بِأَخْطَائِهِمْ - إِنْ حَصَلَتْ -
وَإِنَّ مِنَ الدَّنَاءَةِ وَاللُّؤْمِ وَالْحَسَةِ، الطُّعُونَ الْخَلْفِيَّةَ، وَبَثَّ الْكُؤَامِنِ
النَّفْسِيَّةَ، وَتَغْلِيْبَ النَّظَرَاتِ الْحِزْبِيَّةِ، وَالِاِحْتِكَامِ إِلَيْهَا فِي تَقْوِيمِ أَهْلِ
الْفَضْلِ، فَلَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ لِأَهْلِ الْفَضْلِ إِلَّا ذُووَهُ.

وَلْيَكُنْ مِلءَ دَوَاخِلِكُمْ، وَشُغْلَ جَوَارِحِكُمْ، قَوْلُ الْحَقِّ - سُبْحَانَهُ:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾

[الفتح: ٢٩]. وَحَيْهَلَا بِالنَّقْدِ الْعِلْمِيِّ الْبِنَاءِ، وَالِجَوَارِ الْمُؤَصَّلِ
النَّزِيهِ، وَلَكِنْ مِنْ الْمُؤَهِّلِينَ وَالْأَكْفَاءِ، حِوَارًا هَادِفًا، وَنُصْحًا

(١) سبق تخريجه (ص ٤١١).

بِنَاءً، تَحْفُهُ مَشَاعِرُ الْوُدِّ، وَتَرْفُهُ نَسَائِمُ الْإِنْصَافِ، قَدْ خَلَا مِنْ
الْهَوَى وَالْعَصَبِيَّةِ، وَعَرِيَّ عَنِ التَّصْنِيفِ وَالْحَزْبِيَّةِ، وَسَاعَةَ إِذِ
سَتَكْتَالُ لَكُمْ أُمَّتُكُمْ جَزِيلَ الدُّعَاءِ وَالشَّنَاءِ، وَاللَّهُ وَحْدَهُ
الْمُسْتَعَانُ، وَسُبْحَانَهُ الْقَائِلُ: ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ

النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ [الرعد].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِمَا مِنْ
الآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي
وَلَكُمْ، وَلِوَالِدَيَّ وَوَالِدِيكُمْ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، مِنْ جَمِيعِ
الذُّنُوبِ وَالْخَطِيئَاتِ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْخَالِقِ، أَمَرْنَا بِالتَّائِبِ وَالْوَفَاقِ، وَمَهَانَا عَنْ
سُبُلِ التَّفَرُّقِ وَالشَّقَاقِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
شَهَادَةً تَمَلَأُ النَّفْسَ مِنَ الْحُسْنِيَّةِ وَالْإِسْفَاقِ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ صَلَاةً وَسَلَامًا تَامَيْنِ كَامِلَيْنِ، مَا تَعَاقَبَ أَفْوَلُ وَإِشْرَاقُ، وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَئِمَّةِ الْهُدَى بِاتِّفَاقِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ التَّلَاقِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَلِيَكُنْ مِنْكُمْ بِحُسْبَانٍ لَا يَرِيْمُ^(١)، أَنَّ
أُمَّتَكُمْ الْإِسْلَامِيَّةَ فِي أَشَدِّ مَا تَكُونُ حَاجَةً إِلَى التَّوَاصِي بِالْحَقِّ، وَالتَّجَرُّدِ مِنَ
الهُوَى، وَالتَّوَافُرِ عَلَى الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، الْبَانِيَةِ الْهَادِيَّةِ، الَّتِي تَشَعُّ مِنْهَا الْحُسْنِيَّةُ
وَالتَّقْوَى، وَإِحْسَانِ الظَّنِّ بِالْبِرَاءِ الْأَتْقِيَاءِ، وَالْإِتِّفَاقِ حَوْلَ الْوَلَاةِ وَالْعُلَمَاءِ،
بِوَثِيقِ الْعُرَى فِي عَمِيقِ مِصْدَاقِيَّتِهِمْ، وَمَكِينِ مَرْجِعِيَّتِهِمْ، مَعَ التَّرَاصُّ صَفَاً
وَاحِداً كَالْبُيَّانِ الْمَرْصُوصِ، ضِدَّ التِّيَّارَاتِ الْجَارِفَةِ، وَالْأَفْكَارِ الْمَسْمُومَةِ
الْقَاتِلَةِ، الَّتِي لَا تَزَالُ عَقَابِيلُهَا^(٢) تُورِّقُ النُّفُوسَ، وَتُرْزَعُ أَمْنُ الْمُجْتَمَعِ.

(١) سبق بيان معناها (ص ٢٤٧).

(٢) العَقَابِيلُ: بقايا العلة والعداوة. يُنظر: «اللسان» (عقبل).

وَإِنَّ الصُّدُوفَ عَنْ هَذَا الْمَهْيَعِ^(١) الْوَارِفِ^(٢)، وَفِي هَذِهِ الْأَوْنَةِ تَحْدِيدًا،
وَادْعَاءَ الْاِخْتِلَافِ فِيمَا يَسُوعُ فِيهِ الْخِلَافُ، وَالْاِنْشِغَالَ بِالْعُيُوبِ وَالْمَثَالِبِ،
وَبِنِّيَّاتِ الطَّرِيقِ، وَأَخْطَرُ مِنْ ذَلِكَ: الْمَسَاسُ بِالثَّوَابِ، وَالتَّعَدِّي عَلَى
الْأُصُولِ؛ لِيَعُدَّ عُقُوقًا لِلأُمَّةِ، وَتَخَاذُلًا عَنْ نُصْرَتِهَا، وَعِلَاجِ قَضَايَاهَا
المُهَمَّةِ وَالْمَلْحَةِ. وَإِنَّ مِنَ الْعَارِ وَالْحَمَاقَةِ أَنْ يَنْشَغِلَ الْأَخُ بِأَخِيهِ، وَالْعَدُوُّ
يَتَفَرَّجُ مِنْ حَوْلِهِمْ! وَلَيْسَ هَذَا الطَّرْحُ وَالتَّوَاصِي - وَأَيْمُ اللَّهِ - لِلخَطَا إِفْرَارًا
أَوْ عَلَى بَاطِلٍ إِصْرَارًا، وَلَكِنَّهُ عَيْنُ الْحِكْمَةِ، وَتَحْقِيقُ الْمَصَالِحِ لِلأُمَّةِ، وَدَرْءُ
المَفَاسِدِ عَنْهَا.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ: وَلَكِي نَحْمَدَ السَّرِي^(٣)، وَنَسْعَدَ
بِتَبَاشِيرِ انبِلَاجِ الصَّبَاحِ، وَبِقَطْعِ دَابِرِ التَّنَافُرِ وَالتَّنَاقُرِ، وَبِتَرِ دَاءِ التَّشَهِّيِ بِلَمَزِ
وَهَمَزِ وَعَمَزِ الْأَمَاجِدِ، وَدَحْرِ كَيْدِ الْمُفْسِدِينَ الَّذِينَ يُرْتَقُونَ^(٤) سَلْسَالَ
وَخَدَتِنَا وَشُمُوخِنَا، عَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نَتَنَادَى - نَحْنُ الدُّعَاةُ وَالْعُلَمَاءُ، وَأَهْلُ
الْحِسْبَةِ وَالْأَدْبَاءِ، وَأَرْبَابَ الْفِكْرِ وَالْأَقْلَامِ، وَالثَّقَافَةِ وَالْإِعْلَامِ - إِلَى الشُّعُورِ

(١) الْمَهْيَعُ: الطَّرِيقُ الْوَاضِعُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (هبع).

(٢) سَبَقَ بَيَانُ مَعْنَاهَا (ص ٢٤).

(٣) السَّرِي: السَّيْرُ لِيَلًا. يُنْظَرُ: «اللسان» (سير).

(٤) يُرْتَقُونَ: يُكَدَّرُونَ. يُنْظَرُ: «اللسان» (رتق).

بُرُوحِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، الَّذِي «إِنْ اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ
بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى»^(١)؛ حِمَايَةَ لِلسَّفِينَةِ مِنَ الْإِغْرَاقِ بِأَيْدِي أَقْوَامٍ سَفَهَتْ
أَحْلَامُهُمْ، وَارْتَكَسَتْ - فِي حِمَاةِ التَّبْدِيعِ وَالتَّفْسِيقِ وَالتَّكْفِيرِ - أَقْدَامُهُمْ، بَلْ
تَعَدَّى الْأَمْرُ إِلَى حَمْلِ السَّلَاحِ وَالتَّفْجِيرِ، وَسَفْكَ الدِّمَاءِ وَالتَّدْمِيرِ!
فَسَفِينَةُ الْأُمَّةِ كُلُّهَا لَا تَرْسُو إِلَّا عَلَى جُودِي^(٢) الْأَمْنِ وَالْإِيَانِ، فِي مَنْأَى
عَنْ مِطْرَقَةِ الْجَهْلِ وَسِنْدَانِ الْهَوَى :

فِيَا سَاهِيًّا فِي غَمْرَةِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى

صَرِيحَ الْأَمَانِيِّ عَنْ قَرِيبٍ سَتَنْدُمُ

أَفْقَى قَدْ دَنَا الْيَوْمَ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ

سِوَى جَنَّةٍ أَوْ حَرِّ نَارٍ تَضَرَّمُ^(٣)

وَهَيْهَاتَ أَنْ تَجْنِيَ بَعْضَ الْأَقْلَامِ نَمْرًا يَانِعًا، فِي عَلَقِمِ النَّيْلِ مِنْ ثَوَابِتِ
الْأُمَّةِ، أَوْ التَّمَرُّغِ فِي أَوْحَالِ الْوَقِيعَةِ بِرُمُوزِهَا، تَحْتَ أَيِّ دَعْوَى عَرِيضَةٍ.

عِبَادَ اللَّهِ: وَالدَّعْوَةُ مُوجَّهَةٌ مِنْ مَنْبَرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ - حِفَاطًا عَلَى

الْأُمَّةِ، وَأَمْنِ الْمُجْتَمَعِ - إِلَى الْفَارَّيْنِ مِنْ وَجْهِ الْعَدَالَةِ، وَالْمَطْلُوبِينَ أَمْنِيًّا، أَنْ

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) جُودِي: جبل. يُنظر: «اللسان» (جود).

(٣) من «القصيد الميمية» لابن القيم، يُنظر: «طريق الهجرتين» (ص ٩٥).



يَبَادِرُوا إِلَى تَسْلِيمِ أَنْفُسِهِمْ؛ لِيَحْكَمَ فِيهِمْ شَرُّ اللَّهِ الْمُطَهَّرُ، وَحُكْمُهُ
 الْعَادِلُ، وَفِي ذَلِكَ تَحْقِيقُ الْخَيْرِ لَهُمْ، وَلَا سُرَّهَمَ وَجُمْتَمِعِهِمْ فِي الْعَاجِلِ
 وَالْآجِلِ. وَأَيُّهَا مُسْلِمٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ، تَلَقَّى مَا أُبْطِ بِه مِنْ أَمَانَةٍ وَمَسْئُولِيَّةٍ
 بِعَزْمٍ صَادِقٍ، وَبَصِيرَةٍ نَافِذَةٍ، فَلَنْ تُعْجِزُهُ الْأَوْهَامُ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى
 الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ، وَلَنْ يُثْنِيَهُ الدَّيْجُورُ^(١) عَنْ مُوَاصَلَةِ طَرِيقِ التَّقَدُّمِ
 وَالْعُبُورِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ، وَهُوَ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ!
 هَذَا، وَأَسْأَلُ اللَّهَ - جَلَّتْ حِكْمَتُهُ، وَعَمَّتْ نِعْمَتُهُ - أَنْ يُدِيمَ عَلَيْنَا نِعْمَةَ
 الْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، فَضْلًا وَجُودًا وَمَنًّا، لَا يَكْتَسَابُ مِنَّا، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.
 أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ، عَلَى حَبِيبِ الْحَقِّ، وَشَفِيعِ الْخَلْقِ،
 الْهَادِي الْبَشِيرِ، وَالسَّرَاحِ الْمُنِيرِ، كَمَا أَمَرَكُمُ بِذَلِكَ الْمَوْلَى اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ
 فَقَالَ - تَعَالَى - قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

(١) سبق بيان معناها (ص ٣٨).

القِسْمُ التَّاسِعُ

بَصَائِرُ فِي الْأَحَادِيثِ وَالنُّوَابِغِ

صِرْخَةُ نَكَيرٍ فِي التَّحْدِيثِ مِنَ فَاقرَةِ التَّكْفِينِ

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ، الْمُتَفَرِّدِ بِالْمُلْكِ وَالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، أَحْمَدُهُ
تَعَالَى حَمْدًا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، وَأَشْكُرُهُ شُكْرَ مُعْتَرِفٍ
بِالْعَجْزِ عَنِ شُكْرِ نِعَمَائِهِ وَالتَّقْصِيرِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، تَعَالَى عَنِ
الشَّرِيكِ وَالشَّيْبَةِ وَالنَّظِيرِ، سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ! لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ نَبِيْنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الْهَادِي الْبَشِيرُ، وَالسَّرَاجُ
الْمُنِيرُ، أَبَانَ لِأُمَّتِهِ خُطُورَةَ الْكَلِمَةِ، وَحَذَّرَهَا مِنْ الْمَجَازَفَةِ فِي التَّكْفِيرِ،
صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِ بَيْتِهِ الْمُخْصُوصِينَ بِالتَّطْهِيرِ،
وَصَحَابَتِهِ النَّجَادِجِ الْعُلْيَا فِي الْجِدِّ وَالْإِخْلَاصِ وَالتَّشْمِيرِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ
تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْمَرْجِعِ وَالْمَصِيرِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ: عَيْشُ الدَّعَةِ الْغَزِيرِ، وَالْخَيْرُ الْوَفِيرُ، وَالرِّزْقُ
الْكَثِيرُ، ثَمَرَةٌ تَقْوَى الْمَوْلَى اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ -:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ
 وَيَجْعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ [الحديد].
 أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَا يَرْتَابُ الْغَيُورُونَ عَلَى أحوالِ الْأُمَّةِ، أَنَّهُا
 تَعِيشُ زَمَنَ طُوفَانِ الْفِتَنِ، وَأَنَّ وَاقِعَهَا الْمَرِيرَ يَعُجُّ بِفِتَنِ عَمِيَاءَ، وَدَوَاهِ
 دَهِيَاءَ، قَدْ انْعَقَدَ عَمَائُهَا، وَادْهَمَ^(١) ظَلَامُهَا، غَيْرَ أَنَّ هُنَاكَ فِتْنَةٌ فَاقِرَةٌ^(٢)،
 وَبَلِيَّةٌ ظَاهِرَةٌ، فِتْنَةٌ امْتَحَنَ الْمُسْلِمُونَ بِهَا عِبْرَ التَّأْرِيخِ، فِتْنَةٌ عَانَتْ مِنْهَا
 الْأُمَّةُ طَوِيلًا، وَذَاقَتْ مِنْ مَرَارَتِهَا كَأَسَا وَبِيَلًا^(٣)، وَتَجَرَّعَتْ غُصَصَهَا
 رَدْحًا^(٤) مِنَ الزَّمَنِ، فِتْنَةٌ طَالَ لَيْلُهَا وَأَرْحَى سُدُولَهُ بِشَتَّى هُمُومِهَا،
 وَتَبَدَّتْ بِكُلِّكَلِهَا^(٥) وَغُمُومِهَا.

كَمْ نَجَمَ عَنْهَا مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ! وَتَنَاقُرِ الْأَشْلَاءِ، وَحَلِّ جَرَاءِهَا مِنْ
 نَكَبَاتٍ وَأَرْزَاءِ، وَبِالْجُمْلَةِ فَهِيَ مُحِيطٌ مَلْغُومٌ، وَمَرَكَبٌ مَثْلُومٌ^(٦)،

(١) ادْهَمَّ: كَثَفَ سِوَادَهُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (دلهم).

(٢) الْفَاقِرَةُ: الدَاهِيَةُ الْكَاسِرَةُ لِلْفِقَارِ. يُنْظَرُ: «اللسان» (فقر).

(٣) وَبِيَلًا: شَدِيدًا. يُنْظَرُ: «مفردات ألفاظ القرآن» (وبل).

(٤) سبق بيان معناها (ص ٧٤).

(٥) الْكُلُّ: الصِّدْرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. يُنْظَرُ: «اللسان» (كلل).

(٦) سبق بيان معناها (ص ٤٠).

وَمُسْتَتَعٌ مَحْمُومٌ، وَخَطَرٌ مَحْتَمٌ، زَلَّتْ فِيهَا أقدامٌ، وَضَلَّتْ فِيهَا أَفْهَامٌ،
وَبِالتَّلِي فِيهِ جَدِيرَةٌ بِالتَّذْكِيرِ، حَفِيَّةٌ بِالتَّفْكِيرِ، قَمِينَةٌ^(١) بِالتَّبْصِيرِ، بَلْ
بَصْرُ حَ نَذِيرٍ، وَصِيحَةٌ مَحْذِيرٍ، حَتَّى لَا تَتَجَدَّدَ فَوَاجِعُ الأُمَّةِ فِي العُنْفِ
وَالتَّدْمِيرِ، وَالإِرْهَابِ وَالتَّفْجِيرِ.

أَجْرِمُ - يَا رَعَاكُمُ اللّهُ - أَنَّهُ لَمْ يَعْذُ يَخْفَى عَلَى شَرِيفِ عِلْمِكُمْ أَنَّهَا
الظَاهِرَةُ الجَدِيرَةُ بِالتَّنْذِيرِ وَالنَّكِيرِ، وَالإِسْتِصَالِ وَالتَّغْيِيرِ، إِنَّهَا فِتْنَةٌ
التَّكْفِيرِ!! وَنَاهِيكَ بِهَا مِنْ فِتْنَةٍ! تُولِّدُ فِتْنًا.

هِيَ مِحْنَةٌ لَا بَلْ سَتَعْدُو مِنْحَةً فَضَلَ الكَرِيمِ القَادِرِ المَنَّانِ
إِخْوَةَ الإِسْلَامِ: المُجَازِفَةُ بِالتَّكْفِيرِ شَرٌّ عَظِيمٌ، وَخَطَرٌ جَسِيمٌ،
كَمْ أذَاقَ الأُمَّةُ مِنَ الوَيْلَاتِ، وَوَيْلِ العَوَاقِبِ وَالنَّهَائَاتِ، لَا يُسَارِعُ فِيهِ
مَنْ عِنْدَهُ أَدْنَى مُسْكَةٍ مِنْ وَرَعٍ وَدِيَانَةٍ، أَوْ شَذْرَةٍ^(٢) مِنْ عِلْمٍ، أَوْ ذَرَّةٍ مِنْ
رَزَانَةٍ^(٣)، تَتَصَدَّعُ لَهُ القُلُوبُ، وَتَفْزَعُ مِنْهُ النُّفُوسُ، وَتَرْتَعِدُ مِنْ خَطَرِهِ
الفَرَائِصُ.

(١) قَمِينَةٌ: جديرة وخليقة. يُنظر: «اللسان» (قمن).

(٢) الشَّذْرَةُ: القطعة الصغيرة من الذهب. يُنظر: «تاج العروس» (شذر).

(٣) الرَّرَّانَةُ: الوقار. يُنظر: «اللسان» (رزن).

يَقُولُ الْإِمَامُ الشُّوْكَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَهَا هُنَا تُسَكَّبُ الْعَبْرَاتُ،
وَيُنَاحُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ بِمَا جَنَاهُ التَّعَصُّبُ فِي الدِّينِ، عَلَى غَالِبِ
الْمُسْلِمِينَ، مِنَ التَّرَامِي بِالْكَفْرِ، لَا لِسُنَّةٍ، وَلَا لِقُرْآنٍ، وَلَا لِبَيَانٍ مِنَ اللَّهِ،
وَلَا لِزُهْرَانٍ، بَلْ لِمَا عَلَتْ بِهِ مَرَاجِلُ الْعَصَبِيَّةِ فِي الدِّينِ، وَتَمَكَّنَ الشَّيْطَانُ
الرَّجِيمُ مِنْ تَفْرِيقِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ لَقَنَهُمُ الزَّامَاتِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ بِمَا
هُوَ شَبِيهُهُ الْهَبَاءِ فِي الْهَوَاءِ، وَالسَّرَابِ بِقِيَعَةٍ، فَيَا لِلَّهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذِهِ
الْفَاقِرَةِ، الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ فَوَاقِرِ الدِّينِ، وَالرِّزْيَةِ الَّتِي مَا رُزِيَ بِمِثْلِهَا
سَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ!!

إِلَى أَنْ قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: وَالْأَدَلَّةُ - الدَّالَّةُ عَلَى وُجُوبِ صِيَانَةِ عَرْضِ
الْمُسْلِمِ وَاحْتِرَامِهِ - تَدُلُّ بِفَحْوَى الْخِطَابِ عَلَى تَجَنُّبِ الْقَدْحِ فِي دِينِهِ بِأَيِّ
قَادِحٍ، فَكَيْفَ إِخْرَاجُهُ عَنِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى الْمِلَّةِ الْكُفْرِيَّةِ؟! فَإِنَّ هَذِهِ
جِنَايَةٌ، لَا تَعْدُهَا جِنَايَةٌ، وَجُرْأَةٌ لَا تُمَاتِلُهَا جُرْأَةٌ! وَأَيْنَ هَذَا الْمُجْتَرِئِ عَلَى
تَكْفِيرِ أَخِيهِ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ
وَلَا يُسْلِمُهُ»^(١)، وَقَوْلِهِ ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(٢)، وَقَوْلِهِ

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ﷺ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ»؟! (١). انتهى كلامه
رَحْمَةُ اللَّهِ (٢).

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَهَوِيَ هَذِهِ الْقَاصِمَةِ، جَاءَتِ النَّصُوصُ
الزَّاجِرَةُ عَنْ هَذَا الْمَرْعِ الْوَحِيمِ، وَالْمَسْلُوكِ الْمَشِينِ، يَقُولُ - سَبْحَانَهُ -:
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَّمَ لَسْتُمْ مَوْمِنَا تَبْتَغُونَ
عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النساء: ٩٤]، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ
ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ
لِأَخِيهِ: يَا كَافِرٌ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ
عَلَيْهِ» (٣).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ يَقُولُ: «مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللَّهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ،
إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ».

(١) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) يُنظَرُ: «السَّبِيلُ الْجَرَّارُ» (٤/٥٨٤، ٥٨٥).

(٣) أخرجه البخاري مختصراً (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) واللفظ له.

(٤) برقم (٦١).

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ^(١) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ».

وَعَلَى هَذَا الْمَنَهَجِ النَّاصِعِ الْوَضِيءِ سَارَ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، خَرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ^(٢)، وَالطَّبْرَانِيُّ^(٣)، وَغَيْرُهُمَا^(٤) عَنْ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ: «سَأَلْتُ جَابِرًا - وَهُوَ مُجَاوِرٌ بِمَكَّةَ -: هَلْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ مُشْرِكًا؟ فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ! وَفَزِعَ لِذَلِكَ، فَقَالَ رَجُلٌ: هَلْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَحَدًا مِنْهُمْ كَافِرًا؟ قَالَ: لَا!».

وَعَلَى هَذَا الْمَسْلَكِ الْمَشْرِقِ الْأَلَاءِ، سَارَ السَّلَفُ الصَّالِحُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - فَوَضَعُوا هَذَا الْحُكْمَ أَصُولًا وَشُرُوطًا وَضَوَابِطَ، وَرَسَمُوا لَهُ حَالَاتٍ وَمَوَانِعَ، لِأَبَدٍ مِنْ مُرَاعَاتِهَا وَالتَّسْبِطِ فِيهَا؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِخَطُورَتِهَا وَدِقَّتِهَا، وَأَهْمُهَا: أَنَّ التَّكْفِيرَ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ وَمَحْضٌ حَقُّ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - وَرَسُولِهِ ﷺ.

(١) برقم (٦٠٤٧، ٦١٠٥) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

(٢) في «المسند» (٣/٣٨٩) عن أبي الزبير بنحوه.

(٣) في «الأوسط» (٧/٢٣٠).

(٤) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٤/٢٠٧)، وابن أبي زمنين في «رياض الجنة»

(ص ٢٢٠).

يَقُولُ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ :-

الْكُفْرُ حَقُّ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ بِالنَّصِّ يَثْبُتُ لَا يَقُولُ فَلَانَ
مَنْ كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ قَدْ كَفَّرَاهُ فَذَلِكَ ذُو الْكُفْرَانِ^(١)
يَقُولُ الْإِمَامُ الطَّحَاوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ :- «وَلَا نُكْفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ

الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ»^(٢).

قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ :- «إِنَّ بَابَ التَّكْفِيرِ وَعَدَمِ التَّكْفِيرِ بَابٌ
عَظُمَتِ الْفِتْنَةُ وَالْمِحْنَةُ فِيهِ، وَكَثُرَ فِيهِ الْإِفْتِرَاقُ، وَتَشَتَّتَتْ فِيهِ الْأَهْوَاءُ
وَالْأَرَءَاءُ، وَتَعَارَضَتْ فِيهِ دَلَائِلُهُمْ، فَالنَّاسُ فِيهِ عَلَى طَرَفَيْنِ وَوَسْطٍ - ثُمَّ
قَالَ :- وَإِنَّهُ لَمِنْ أَعْظَمِ الْبَغْيِ أَنْ يُشْهَدَ عَلَى مُعَيَّنٍ، أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لَهُ،
وَلَا يَرْحَمُهُ، بَلْ يُجَلِّدُهُ فِي النَّارِ»^(٣).

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ^(٤) : «وَالَّذِي يَنْبَغِي : الْإِحْتِرَازُ عَنِ التَّكْفِيرِ، مَا وَجَدَ إِلَيْهِ
سَبِيلًا، فَإِنَّ اسْتِبَاحَةَ الدَّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ مِنَ الْمَصْلِينَ إِلَى الْقِبْلَةِ، الْمَصْرَحِينَ
بِقَوْلٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، خَطَأً، وَالْخَطَأُ فِي تَرْكِ أَلْفِ

(١) يُنظَرُ : «الْقَصِيدَةُ النُّونِيَّةُ» بِشْرَحِ ابْنِ عَيْسَى (٢/٤١٢).

(٢) يُنظَرُ : «الْعَقِيدَةُ الطَّحَاوِيَّةُ» (ص ٤٠).

(٣) يُنظَرُ : «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ» (ص ٣٥٥ - ٣٥٧).

(٤) فِي كِتَابِهِ «التَّفَرُّقَةُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالزُّنْدَقَةِ»، كَمَا فِي «فَتْحِ الْبَارِي» (١٢/٣٠٠).

كَافِرٍ فِي الْحَيَاةِ أَهْوَنُ مِنَ الْخَطَا فِي سَفْكِ دَمٍ مُسْلِمٍ».

وَقَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «اعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ:

أَنَّهُ لَا يُكْفَرُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، وَلَا يُكْفَرُ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ
وغيرهم»^(١).

وَيَقُولُ الْقَرَائِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «كَوْنُ أَمْرٍ مَا كُفِّرًا، أَيْ أَمْرٍ كَانَ، لَيْسَ

مِنَ الْأُمُورِ الْعَقْلِيَّةِ، بَلْ هُوَ مِنَ الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ، فَإِذَا قَالَ الشَّارِعُ فِي أَمْرٍ
مَا: هُوَ كُفْرٌ، فَهُوَ كُفْرٌ»^(٢).

وَيَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «فَلِهَذَا كَانَ أَهْلُ

الْعِلْمِ وَالسُّنَّةِ لَا يُكْفَرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْمُخَالَفُ يُكْفَرُهُمْ؛
إِذِ الْكُفْرُ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ، فَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُعَاقِبَ بِمِثْلِهِ، كَمَنْ كَذَبَ

عَلَيْكَ، وَزَنَى بِأَهْلِكَ، لَيْسَ لَكَ أَنْ تُكَذِّبَ عَلَيْهِ، وَتَزْنِيَ بِأَهْلِهِ؛ لِأَنَّ
الْكَذِبَ وَالزَّنَى حَرَامٌ لِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَذَلِكَ التَّكْفِيرُ حَقُّ اللَّهِ،

فَلَا يُكْفَرُ إِلَّا مَنْ كَفَرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^(٣).

وَقَالَ الشَّيْخُ الْمُجَدِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَبِالْجُمْلَةِ

(١) يُنظَرُ: «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١/١٥٠).

(٢) يُنظَرُ: «الْفُرُوقُ» (٤/٢٩٨).

(٣) يُنظَرُ: «الرَّدُّ عَلَى الْبَكْرِيِّ» (ص ٣٨١).

فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ أَلَّا يَتَكَلَّمَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا بِعِلْمٍ
وَبُرْهَانٍ مِنَ اللَّهِ، وَلِيَحْذَرَ مِنْ إِخْرَاجِ رَجُلٍ مِنَ الْإِسْلَامِ بِمُجَرَّدِ فَهْمِهِ
وَاسْتِحْسَانِ عَقْلِهِ، فَإِنَّ إِخْرَاجَ رَجُلٍ مِنَ الْإِسْلَامِ، أَوْ إِدْخَالَهُ، مِنْ أَعْظَمِ
أُمُورِ الدِّينِ، وَقَدْ اسْتَزَلَّ الشَّيْطَانُ أَكْثَرَ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

اللَّهُ أَكْبَرُ! ذَلِكَمُ هُوَ وَرَعُ السَّلَفِ فِي هَذَا الْبَابِ، فَكَيْفَ يَسُوغُ
بَعْدَ هَذِهِ النُّقُولِ كُلِّهَا، لِمَنْ لَمْ يَبْلُغْ فِي مِقْدَارِ عِلْمِهِمْ وَفَضْلِهِمْ
نَقِيرًا^(١) وَلَا قِطْمِيرًا^(٢)، وَكَانَ هُمُ التَّدْلِيْسُ وَالتَّلْبِيْسُ، أَنْ يَتَجَاسَرَ
بِإِطْلَاقِ الْحُكْمِ بِالْكَفْرِ الصَّرَاحِ فِي حَقِّ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، جُمْلَةً
وَتَفْصِيلاً. عِيَاذًا بِاللَّهِ عِيَاذًا!

أَوْ مَا عِلْمَ هَؤُلَاءِ؟ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى التَّسْرِعِ فِي التَّكْفِيرِ مِنْ أُمُورٍ
خَاطِرَةٍ، مِنْ اسْتِحْلَالِ الدِّمِّ وَالْمَالِ، وَمَنْعِ التَّوَارِثِ، وَفَسْخِ النِّكَاحِ،
وَتَحْرِيمِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَعَدَمِ دَفْنِهِ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، مَعَ مَا يَسْتَوْجِبُهُ

(١) النَّقِيرُ: نَكْتَةٌ فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ مِنْهَا تَنْبِتُ النَّخْلَةَ. يُنْظَرُ: «مَفْرَدَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ»،
و«اللسان» (نقر).

(٢) الْقِطْمِيرُ: الْقَشْرَةُ الدَّقِيقَةُ الَّتِي عَلَى النَّوَاةِ بَيْنَ النَّوَاةِ وَالتَّمْرِ. يُنْظَرُ: «مَفْرَدَاتُ أَلْفَاظِ
الْقُرْآنِ»، و«اللسان» (قطمر). وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ عِلْمَهُمْ لَيْسَ بِشَيْءٍ نَسْبَةً إِلَى عِلْمِ
السَّلَفِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

مِنَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ! - إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَرْبُورٌ^(١) فِي مَظَانِّهِ.

فَلَا جَرَمَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ، أَنْ يَقِفَ الشَّرْعُ مِنْهُ مُوقِفًا صَارِمًا يَسُدُّ الطَّرِيقَ عَلَى أَحْفَادِ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ: وَحَرْفُوصِ بْنِ زُهَيْرٍ^(٢)، وَمَنْ خَرَجَ مِنْ ضَيْضِيهِ مِمَّنْ يُكْفِّرُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، بَلْ يُوَزَّعُونَ صُكُوكَ جَهَنَّمَ عَلَى الْخَلِيقَةِ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ! أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَمِنَ الصَّوَابِطِ الْمُهَمَّةِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْخَطِيرَةِ، أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يُكْفِّرُ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ اعْتِقَادٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تُقَامَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَتُزَالَ عَنْهُ الشُّبْهَةُ.

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَكْفُرَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ أَخْطَأَ وَعَلَطَ، حَتَّى تُقَامَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَتُبَيَّنَ لَهُ الْمَحَجَّةُ، وَمَنْ ثَبَتَ إِسْلَامُهُ بِتَعْيِينٍ لَمْ يَزُلْ عَنْهُ ذَلِكَ بِالشَّكِّ، بَلْ لَا يَزُولُ إِلَّا بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ وَإِزَالَةِ الشُّبْهَةِ»^(٣).

(١) مَرْبُورٌ: مَكْتُوبٌ، وَالزَّبْرُ: الْكِتَابَةُ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (زبير).

(٢) أَحَدُ رُؤُوسِ الْخَوَارِجِ، مِنْ بَنِي تَيْمِمْ. تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ فِي: «الْإِصَابَةُ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ» (٤٩/٢).

(٣) يُنْظَرُ: «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (٤٦٦/١٢).

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ، وَالْإِطْلَاقِ وَالتَّعْيِينِ،
وَتَنْزِيلِ النُّصُوصِ عَلَى الْوَقَائِعِ وَالْأَشْخَاصِ.

جَاءَ فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى»^(١) مَا نَصَّهُ: «فَإِنَّ نُّصُوصَ الْوَعِيدِ الَّتِي فِي
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنُّصُوصَ الْأَيْمَةِ بِالتَّكْفِيرِ وَالتَّفْسِيقِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ،
لَا يَسْتَلْزِمُ بُبُوتَ مُوجِبِهَا فِي حَقِّ الْمُعَيَّنِ، إِلَّا إِذَا وُجِدَتِ الشُّرُوطُ،
وَأَنْتَفَتِ الْمَوَانِعُ، لَا فَرَقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ».

وَمِنْهَا: أَنَّ الْكُفْرَ نَوْعَانِ: أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ، اعْتِقَادِيٌّ وَعَمَلِيٌّ، وَهَذَا مِمَّا
التَّبَسَّ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ يَتَرَأَّشَقُونَ بِالتَّكْفِيرِ، فَعَقَلُوا عَنِ الْجَمْعِ بَيْنَ
النُّصُوصِ، وَالْمَنْهَجِ الصَّحِيحِ، فِيمَا ظَاهَرَهُ التَّعَارُضُ.

وَهَذَا، ذَهَبَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ - سَلَفًا وَخَلْفًا - إِلَى التَّفْصِيلِ فِي قَضِيَّةِ
الْحَاكِمِيَّةِ، وَهُوَ مَذْهَبُ حَبْرِ الْأُمَّةِ، وَتُرْجِمَانِ الْقُرْآنِ، عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - حَيْثُ يَقُولُ: «لَيْسَ بِالْكُفْرِ الَّذِي يَذْهَبُونَ،
وَأِتْمَا هُوَ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ»^(٢). وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الطَّبْرِيُّ وَابْنُ كَثِيرٍ وَالْقُرْطُبِيُّ،
وَعِكْرِمَةُ وَمُجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ وَطَاوُوسٌ، وَالزَّجَّاجُ وَالْأَجْرِيُّ، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ

(١) (١٠/٣٧٢).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢/٣١٣)، والبيهقي في «الکبری» (٨/٢٠).

وَالسَّمْعَانِيُّ وَالْجِصَّاصُ، وَأَبُو يَعْلَى وَأَبُو حَيَّانَ، وَابْنُ بَطَّةَ، وَابْنُ عَطِيَّةَ،
وَابْنُ الْجُوزِيِّ، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ وَتَلْمِيذُهُ ابْنُ الْقَيْمِ، وَأَيُّمَةُ الدَّعْوَةِ،
وَالْمُحَقِّقُونَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا - رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وَعَدَّ أَهْلُ الْعِلْمِ أَرْبَعَ حَالَاتٍ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَلَى تَفْصِيلِ نَفِيسٍ،
يُحَقِّقُ الْجَمْعَ بَيْنَ النُّصُوصِ، مِمَّا يُؤَكِّدُ الْإِجْمَاعَ عَلَى بَرَاءَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ
تَكْفِيرِ عَصَاةِ الْأُمَّةِ، مَعَ أَنَّ وُجُوبَ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَا يَتِمَّارَى فِيهِ
مُسْلِمَانِ، بَيِّنَاتٌ أَنَّ هَذَا الْجُزْمَ الْمُسْتَبِينِ، لَا يَنْبَغِي أَنْ يُجْرَجَنَا لِحِمَاسَةِ
مَشْبُوهَةٍ، وَعَاطِفَةٍ جَيَّاشَةٍ، عَنِ قَوَاعِدِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَأُصُولِ
أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ، وَمَنْهَجِ السَّلَفِ فِي النَّظَرِ وَالْإِسْتِدْلَالِ، فَمَاذَا بَعْدَ
الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ!؟

وَمِنَ الصَّوَابِطِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، أَنَّهُ لَا يُكْفَرُ بِاللَّوْازِمِ مِنَ الْأَقْوَالِ،
وَلَا يُعْتَبَرُ بِمَا تَوَوَّلَ إِلَيْهِ مِنْ أَعْمَالٍ.

قَالَ الْإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «مَذْهَبُ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ
الْأُصُولِ، أَنَّ الْكُفْرَ بِالْمَالِ لَيْسَ بِكُفْرٍ فِي الْحَالِ»^(١).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ: «إِنَّ الَّذِي يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ، مَنْ كَانَ

(١) يُنظَرُ: «الفروق» مع هوامشه (٤/٢٩٦، ٣٠١).

الْكُفْرُ صَرِيحَ قَوْلِهِ، وَكَذَا مَنْ كَانَ لَازِمَ قَوْلِهِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ فَالْتَزَمَهُ، أَمَّا مَنْ لَمْ يَلْتَزِمَهُ، وَنَاضَلَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ كَافِرًا، وَلَوْ كَانَ الْإِلَازِمُ كُفْرًا»^(١).

وَأَخِيرًا، فَإِنَّهُ لَا يُكْفَرُ إِلَّا مَنْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ عَلَى تَكْفِيرِهِ، أَوْ قَامَ عَلَى تَكْفِيرِهِ دَلِيلٌ لَا مُعَارِضَ لَهُ، حَكَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، وَابْنُ بَطَّالٍ، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، وَالْإِمَامُ الْمَجْدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِذْ يَقُولُ: «وَلَا نُكْفَرُ إِلَّا مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ كُلُّهُمْ»^(٢). مَعَ أَنَّ مَنْ مُسَلِّمَاتٍ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ، الْعِلْمُ بِأَنَّ هَذَا الْعَمَلَ كُفْرٌ، فَالْجَاهِلُ لَا يُكْفَرُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ.

يَقُولُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْجُهْمِيَّةِ: «لَوْ قُلْتُ قَوْلَكُمْ لَكَفَرْتُمْ، وَلَكِنِّي لَا أَكْفَرُكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ عِنْدِي جُهَّالٌ»^(٣).

وَيَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «وَهَذَا الْمَتَأَوَّلُ يَنْبَغِي إِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ أَوَّلًا،

(١) يُنظَرُ: «فَتْحُ الْمَغِيثِ» لِلْسَخَاوِيِّ (١/٣٣٤).

(٢) يُنظَرُ: «الْدَّرَرُ السَّنِيَّةُ» (١/٦٥).

(٣) ذَكَرَ نَحْوَ هَذَا الْأَثَرِ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: الذَّهَبِيُّ فِي «سِيرِ الْأَعْلَامِ» (١١/٢٥٩)،

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ نَحْوَهُ فِي «الرَّدِّ عَلَى الْبَكْرِيِّ» (ص ٣٨٣، ٣٨٤).

وَإِظْهَارُ خَطِيئِهِ، وَإِعْلَامُهُ بِالْحَقِّ»^(١)، كَمَا يَنْبَغِي أَنْ تُعْلَمَ الْمَوَانِعُ الْمَانِعَةُ
 مِنَ التَّكْفِيرِ، وَمِنْهَا: الْجَهْلُ وَالْخَطَأُ وَالْإِكْرَاهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَفَرَ
 بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ أَكْرَهٍ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾
 [النحل: ١٠٦]، وَمِنْهَا: التَّأْوِيلُ السَّائِغُ، وَلِذَلِكَ اتَّفَقَ الصَّحَابَةُ عَلَى عَدَمِ
 تَكْفِيرِ مَنْ اسْتَحَلَّوا الْخَمْرَ؛ لِوُجُودِ الشُّبْهَةِ لَدَيْهِمْ، وَهِيَ تَأْوِيلُهُمْ قَوْلَ
 اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ
 فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ
 اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة].

وَبَعْدَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: فَإِنَّ الْغَيْرَ حِينَمَا يَبِينُونَ خُطُورَةَ الْمَجَازَفَةِ
 بِالتَّكْفِيرِ، وَبَيَانَ شُرُوطِهِ وَضَوَابِطِهِ، فَإِنَّهُمْ يُعْلِنُونَ لِلْعَالَمِ بِأَسْرِهِ، أَنَّ
 الْإِسْلَامَ بَرِيءٌ مِنْ هَذَا الْمُعْتَقَدِ الْخَطَاطِيِّ، وَأَنَّ مَا جَرَى فِي بِلَادِنَا
 الْمَحْرُوسَةِ، وَيَجْرِي فِي بَعْضِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ
 الْمَعْصُومَةِ، وَإِزْهَاقِ الْأَنْفُسِ الْبَرِيئَةِ، وَأَعْمَالِ التَّفْجِيرِ وَالتَّذْمِيرِ،
 وَالتَّخْرِيبِ وَالْإِفْسَادِ وَالْإِرْهَابِ، هُوَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْإِجْرَامِيَّةِ الْمَحْرَمَةِ،

(١) يُنظَر: نَحْوَ ذَلِكَ فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى» (٧/ ٦١٠).

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُحْمَلَ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ الْمُعْتَدِلُونَ جَرِيرَةَ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ،
الَّتِي هِيَ إِفْرَازُ فِكْرٍ تَكْفِيرِيٍّ مُنْحَرِفٍ، مِمَّا تَأْبَاهُ الشَّرِيعَةُ السَّمْحَةُ،
وَالْفِطْرَةُ السَّلِيمَةُ، وَالْعُقُولُ الْمُسْتَقِيمَةُ.

وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُصْلِحَ حَالَ الْأُمَّةِ، وَيَكْشِفَ عَنْهَا كُلَّ غُمَّةٍ، وَأَنْ
يُوفِّقَ الْجَمِيعَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَيَهْدِيكُمْ لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ،
إِنَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِآيِ الْكِتَابِ، وَبِسُنَّةِ النَّبِيِّ الْأَوَّابِ، أَقُولُ هَذَا
الْقَوْلَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ
ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، هُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الْمَبْعُوثُ بِكُلِّ خَلْقٍ جَمِيلٍ، وَفِعْلٍ نَبِيلٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْمُتَنَبِّئِينَ عَلَيْهِمْ بِمُحْكَمِ التَّنْزِيلِ، وَصَحْبِهِ ذَوِي الْمَكَانَةِ وَالْتَفْضِيلِ، وَسَلِّمْ يَا رَبِّ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۗ

ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ [البقرة]، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَدَّ شَدَّ فِي النَّارِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: حِينَمَا يَهِيحُ الْهَوَىٰ فِي النُّفُوسِ، وَتُعْرِضُ عَنْ نُورِ الْوَحْيِ وَالنُّصُوصِ، تُصَابُ بِسُكْرِ يُرْدِيهَا أَشَدَّ الْبُؤُوسِ، وَإِنَّ ظَاهِرَةَ الْغُلُوبِ فِي التَّكْفِيرِ وَالْإِعْتِسَافِ، لَهَا مِنْ أخطرِ مَا بُلِيَتْ بِهِ الْأُمَّةُ، فَحَوَّلَهَا إِلَى إِسْرَافٍ فِي أَطْرَافٍ. لَقَدْ بَدَأَتْ هَذِهِ الْفِتْنَةُ بِحَرْبِ كَلَامٍ، وَانْتَهَتْ إِلَى اسْتِحْلَالِ الدَّمِ الْحَرَامِ، وَزَادَ شَطَطُهَا حِينَمَا حَمَلَ السَّلَاحَ

فِي وَجْهِ الْأُمَّةِ، وَأَذَكَّى أَوَارَهَا^(١) حِينَمَا بَرَزَتْ فِي صُورَةِ فِتَاوَى تَكْفِيرِيَّةٍ
تَحْرِيطِيَّةٍ، تَلَقَّفَهَا حُدْنَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفْهَاءُ الْأَحْلَامِ، فَسَلَكُوا مَسَالِكَ
أَهْلِ الْبَغْيِ وَالْإِجْرَامِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا يَسَعُ السُّكُوتُ، أَهْلَ الْإِسْلَامِ؟
لَقَدْ كَانَ الْغِيُورُ عَلَى أَبْنَاءِ أُمَّتِهِ يَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ^(٢) وَمِيضَ نَارٍ، وَأَنَّ
الْحَرْبَ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فِتْيَةً، وَالْيَوْمَ تَرَى الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا، فَمَا زَالَ الْفِكْرُ
التَّكْفِيرِيُّ يَسْرِي بِقُوَّةٍ فِي صُفُوفِ شَبَابِ الْأُمَّةِ، الَّذِينَ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى
الْمُجْتَمَعَاتِ نَظْرَةَ سُودَاوِيَّةٍ قَائِمَةٍ، وَأَنَّهُ لَا مَخْرَجَ مِنَ الْمِحْنِ وَالْبَلَايَا الَّتِي
رُزِئَتْ بِهَا الْأُمَّةُ، إِلَّا بِالتَّكْفِيرِ فَالتَّفْجِيرِ وَالتَّدْمِيرِ.

وَمَا يَزِيدُ فِي الْأَسَى، مَا يَرَى مِنْ تَسْرُبِ هَذِهِ اللَّوْثَةِ الْخَطِيرَةِ إِلَى
بَعْضِ شَبَابِ الْأُمَّةِ الْغَضِّ. وَيَعْظُمُ الْأَمْرُ حِينَمَا يَكُونُ الْحُكْمُ بِالتَّكْفِيرِ
جُزْأًا عَلَى وِلَاةِ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ بَايَعَهُمْ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ
الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، فَرَمُوا بِالْعَمَالَةِ وَالْمُدَاهَنَةِ، بَلْ لَقَدْ سَرَى الْخَطَرُ إِلَى عَوَامِّ
الْمُسْلِمِينَ وَنَاشَتَهُمْ.

وَمَا مَدَّ فِي أَجْلِ هَذَا الْفِكْرِ الْمُتَهَابَةِ، وَبَسَطَ سُوقَ رَوَاجِهِ، هُوَ

(١) سبق بيان معناها (ص ٣٣١).

(٢) خَلَلَ الرَّمَادِ: بين الرماد. يُنظر: «اللسان» (خلل).

التَّقْصِيرُ فِي التَّصَدِّي لَهُ، وَذَكَرَ أَسْبَابِهِ، وَالَّتِي مِنْ أَهْمِّهَا ضَحَالَةُ الْعِلْمِ،
 وَقَلَّةُ الْفَهْمِ، وَالْإِقْتِدَاءُ بِالنَّكِرَاتِ، وَالْحَطَأُ فِي مَنْهَجِيَّةِ الطَّلَبِ
 وَالتَّحْصِيلِ، فَلَمْ يُؤْخِذِ الْعِلْمُ مِنْ أَهْلِهِ الْمَعْرُوفِينَ، بَلْ زَهَدُوا فِيهِمْ،
 وَأَفْقَدُوا الثِّقَةَ بِهِمْ، مَعَ عَدَمِ الدَّرَايَةِ بِمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ، وَقَوَاعِدِ الْفِقْهِ،
 وَرِعَايَةِ الْمَصَالِحِ الْعُلْيَا فِي الْأُمَّةِ، وَالتَّعَلُّقِ بِشُبُهَيْهِ وَمُتَشَابِهَاتِ، وَغَرَائِبِ
 وَشُدُودَاتِ، مَعَ تَرْكِ لِلنُّصُوصِ الْمُحْكَمَاتِ الْوَاضِحَاتِ، إِضَافَةً إِلَى مَا
 يَعْجُبُ بِهِ وَقَعُ الْأُمَّةُ مِنْ صُورٍ مِنَ الظُّلْمِ وَالْإِضْطِهَادِ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ
 بِمُبْرَّرٍ وَلَا مُسَوِّغٍ لِلْخَطَأِ، فَالْعُنْفُ لَا يُعَالَجُ بِالْعُنْفِ، يَقُولُ الرَّسُولُ
 ﷺ: «وَلَا تَحْنُ مِنْ خَانَكَ»^(١).

وَإِذَا كَانَ الْمُصْلِحُونَ يَرُونَ الْأُمَّةَ مُزَقَّةً، وَالْمُتَمَلِّكَاتِ مُغْتَصَبَةً،
 وَالْمُقَدَّسَاتِ مُسْتَلَبَةً، فَهَلِ الْمَخْرَجُ مِنْ هَذِهِ الرِّزَايَا بِتَكْفِيرِ الْوُلَاةِ،
 وَالخُرُوجِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَحَمْلِ السَّلَاحِ فِي وَجْهِ الْأُمَّةِ؟!
 أَلَا يَفِيقُ هَؤُلَاءِ؟ أَلَا يَعْتَبِرُونَ بِمَنْ حَوْلَهُمْ؟ أَلَمْ يَقْرَأُوا التَّارِيخَ
 لِيُذْرِكُوا كَمْ أَضَرَّ هَذَا الْفِكْرُ بِالْأُمَّةِ، وَصَدَّهَا عَنِ دِينِهَا، وَخَوَّفَ شَبَابَهَا

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)، والحاكم في «المستدرک»

(٤٦/٢)، والبيهقي في «الکبری» (٢٧١/١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مِنَ التَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ وَالتَّزَامِ الشَّرِيعَةِ!! مَاذَا قَدَّمَ هَذَا الْفِكْرُ الْمَارِقُ
لِلْأُمَّةِ؟ وَمَاذَا أَثْمَرَ فِي مَسِيرَةِ الدَّعْوَةِ، وَالْعَمَلِ الْخَيْرِيِّ وَالْإِخْلَاصِ؟!
فَاللَّهُمَّ غَفْرًا غَفْرًا!

أَفَلَا يَسَعُ هَؤُلَاءِ مَا وَسِعَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ وَرُسُلُهُ، وَالصَّحَابَةَ الْكِرَامَ،
وَالسَّلَفَ الصَّالِحَ؟ فَشَغَلُوا أَنْفُسَهُمْ تَعَلُّمًا وَتَعْلِيمًا، وَدَعْوَةً وَإِصْلَاحًا.
أَمَّا الْعِلَاجُ، فَبِالْعِلْمِ وَالْفَهْمِ وَالْحُورَارِ، حَتَّى لَا تَخْرَبَ الدِّيَارُ، وَيَحِلَّ
الدَّمَارُ، وَيَلْحَقَ بِالْأُمَّةِ الْعَارُ وَالسَّنَارُ^(١)، وَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ! فَلَقَدْ
كَفَرَ أَسْلَافٌ هَؤُلَاءِ، خِيَارَ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، وَجَازَى مَنْ كَفَرَهُمْ وَعَادَاهُمْ بِمَا
يَسْتَحِقُّونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَهُنَا لِأَبَدٍ مِنَ التَّأَكِيدِ عَلَى أَنَّ النَّاسَ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ طَرَفَانِ
وَوَسْطُ، فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَسَطٌ بَيْنَ الْخَوَارِجِ وَالْمُرْجِيَّةِ، وَكَمَا عَانَتْ
الْأُمَّةُ مِنْ فِكْرِ التَّكْفِيرِ، عَانَتْ مِنَ الْإِرْجَاءِ وَالتَّأخِيرِ، وَهَذَا بَوَّبَ أَهْلُ
الْعِلْمِ: بَابَ الرُّدَّةِ وَنَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ، غَيْرَ أَنَّهُ لِأَبَدٍ مِنْ أَنْ يَتَّصِدَى
لِذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْبَصِيرَةِ.

(١) سبق بيان معناها (ص ٣١٠).

وَطَالَ بَعْضُ الْمُنْهَزِمِينَ فِكْرِيًّا بِتَمْسِيحِ الدِّينِ وَذَوْبَانِ الشَّرِيعَةِ
بِدَعَاوَى فَجَّةٍ، وَنَسَبُوا إِلَى مَنَاهِجِ التَّعْلِيمِ الشَّرْعِيَّةِ، النِّقْصَ وَالثَّلْبَ،
لَا بَلَّغَهُمُ اللَّهُ مَا يَرُومُونَ.

وَالدَّعْوَةُ مُوجَّهَةٌ بِحَرَارَةٍ إِلَى شَبَابِ الْأُمَّةِ بِالْيَقِظَةِ وَالْإِنْتِبَاهِ، وَأَخَذَ
الْحَذَرَ مِنْ كُلِّ انْحِرَافٍ فِكْرِيٍّ يُجَانِبُ مَنَهَجَ الْوَسْطِيَّةِ وَالْإِعْتِدَالِ.
وَالنِّدَاءُ مُوجَّهٌ إِلَى شَبَابِ بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ، الَّذِينَ نَشَأُوا عَلَى
صِحَّةِ الْعَقِيدَةِ وَالسُّنَّةِ، وَمَنَهَجِ أُمَّةِ الدَّعْوَةِ الْإِصْلَاحِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ،
أَنْ يَحْذَرُوا اللَّوْثَاتِ الْفِكْرِيَّةَ الْمُنْحَرِفَةَ، وَأَنْ يَثْبُتُوا عَلَى مَنَهَجِهِمْ
الصَّحِيحِ، رُغْمَ التَّحَدِّيَّاتِ وَالْمُتَغَيَّرَاتِ، وَأَنْ يَلْتَحِمُوا بِوُلَائِهِمْ
وَعُلَمَائِهِمْ، وَأَنْ يَحْذَرُوا مِنْ أَنْ يُسْتَغْلَوْا أَوْ يُسْتَفْزُوا بِأَفْكَارٍ
دَخِيلَةٍ، أَوْ مَنَاهِجٍ وَخِيمَةٍ.

وَالِى الْمُضْطَّادِينَ بِالنِّهَاءِ الْأَجَاجِ، الْمُسْتَغْلِينَ كُلَّ هَفْوَةٍ مِنْ بَعْضِ
الْأَخْيَارِ وَالصَّالِحِينَ، أَنْ كُفُّوا عَنْ تَعْمِيمِ الْأَحْكَامِ، وَعَلَى رِسَالِكُمْ عَنِ
الْوَقِيعَةِ فِي شَبَابِ الْإِسْلَامِ، فَوَاللَّهِ لَنْ تَصْلُحَ حَالُ الْأُمَّةِ إِلَّا بِالْقِيَامِ بِأَمْرِ
الدِّينِ، وَنُصْرَةِ حَمَلَتِهِ، وَالذَّبِّ عَنْ أَعْرَاضِ الصَّالِحِينَ الْمُضْطَّادِينَ،
وَالدُّعَاةِ الصَّادِقِينَ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ ذَلِكَ عَيْنُ النُّصْحِ لِلْأُمَّةِ، وَالسَّعْيِ

فِي بَرَاءَةِ الذِّمَّةِ، وَإِنْ شَرِقَ (١) بِذَلِكَ أَنَاسٌ.

فَلَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ قَدْحٍ وَمَدْحٍ، وَإِنْ كَانَ أَقْوَمَ مِنْ قَدْحٍ، لَكِنَّ
الْعَزَاءَ، الْإِنْتِصَارُ لِلْحَقِّ بِدَلِيلِهِ، وَإِنْ سَخِطَ النَّاسُ كُلَّ النَّاسِ، وَحَسْبِي
أَنَّهُ مَحْضُ النَّصِيحَةِ، الْمُوَافَقَةُ لِلنُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ، وَالنُّقُولِ الصَّرِيحَةِ،
﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ
أُنِيبُ﴾ [هود].

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ: نَبِيِّ الْمَرْحَمَةِ
وَالْمَلَّاحِمِ، وَرَسُولِ الْخَيْرِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَكَارِمِ، كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ رَبُّكُمْ
- جَلَّ وَعَلَا - فَقَالَ - تَعَالَى - قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ
عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

(١) الشَّرِقُ: الشَّجَا وَالْعُصَّةُ، وَهُوَ دُخُولُ الطَّعَامِ أَوْ الْمَاءِ الْحَلِيقِ حَتَّى يَغْصُ، يُقَالُ:
أَخَذْتَهُ شَرِقَةً فَكَادَ يَمُوتُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (شرق).

النَّوَارِكُ وَالْإِسْرَائِيلِيَّةُ فَقْرًا وَتَعَامُلًا، وَنَظْرَاتٍ

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَكِيمِ الْخَلَّاقِ، أَحْمَدُهُ - تَعَالَى - وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا يَتَجَدَّدُ
بِالْعَيْشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ، وَأَسْتَلْهِمُهُ - سُبْحَانَهُ - الرِّضَى بِالْقَضَاءِ، وَالصَّبْرَ عَلَى
مُرِّ الْبَلَاءِ وَإِنْ ضَاقَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ذَلِكَ
لِعَظَمَتِهِ الْأَفْنَدَةِ، وَهَوَتْ لِحَبْرُوتِهِ الْأَعْنَاقُ، وَأَسْأَلُهُ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - دَفْعَ
الْكَرْبِ، وَكَشْفَ الْخَطْبِ، وَرَفَعَ أَعْمَالِ السَّلْبِ وَالنَّهْبِ، وَحَقَّنَ الدَّمَ
المُسْلِمِ المَهْرَاقِ، عَلَى ثَرَى فِلِسْطِينَ وَالْعِرَاقِ، فَالْقُلُوبُ مِنَ الْأُمَّةِ مُلْتَاعَةٌ،
وَالدَّمَعُ سَاخِنٌ دَفَاقٌ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَزْكَى الْبَرِيَّةِ فِي السَّمَائِلِ،
وَأَشْرَفُهُمْ فِي الْمَحْتَدِ^(١) وَالْأَعْرَاقِ، خَصَّهُ الْبَارِئُ - سُبْحَانَهُ - بِشَرِيعَةٍ
تَلَاوَلَتْ بِالْكَمَالِ وَالْجَمَالِ وَالْجَلَالِ، وَفَاضَتْ بِالرَّحْمَةِ وَالْإِشْفَاقِ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، الَّذِينَ اقْتَفَوْا أَثْرَهُ بِأَسْمَى الْمَنَاقِبِ
وَأَطْهَرَ الْأَخْلَاقِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا ارْتَقَى إِلَى الْعُلِيَاءِ

(١) سبق بيان معناها (ص ١٢٩).

رَاقٍ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ: أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْمَلِكِ الرَّزَّاقِ، فِي تَقْوَاهُ - سُبْحَانَهُ - أَوْفِرُ الْخَلَاقِ، وَبِهَا النَّجَاةُ يَوْمَ التَّلَاقِ، فَكُونُوا فِي تَحْقِيقِهَا فِي تَنَافُسٍ وَاسْتِيقَاقٍ، وَاحْذَرُوا التَّفْرِيطَ فِيهَا، فَعَاقِبَةُ أَهْلِهَا الْمَثَلَاتُ الَّتِي لَا تُطَاقُ، وَمَاهَمٌ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاكِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: فِي ظِلِّ النَّوَازِلِ وَالْأَزْمَاتِ، وَفِي خِصْمِ تَدَايِعَاتِ الْأَحْدَاثِ وَالنَّكَبَاتِ، تَتَعَاطَمُ حَاجَةُ الْأُمَّةِ إِلَى الْفِقْهِ الْعَمِيقِ، وَالنَّظَرِ الدَّقِيقِ، وَالْمَنْهَجِ الْوَثِيقِ، الْمَتَمَثِّلِ فِي فِقْهِ التَّعَامُلِ مَعَ الْأَزْمَاتِ وَالنَّوَازِلِ، حَتَّى لَا تَخْتَلِطَ الْأُورَاقُ، وَتَنْقَلِبَ الْمَوَازِينُ، وَتَنْعَكِسَ الْمَعَايِرُ، وَلِكَيْلَا تَزَلَّ الْأَقْدَامُ، وَتَضِلَّ الْأَفْهَامُ، وَتَكِلَّ الْأَقْلَامُ، وَيَخْتَلَّ الْإِعْلَامُ.

فِي النَّوَازِلِ وَالْأَزْمَاتِ يَتَعَاطَمُ الْخَطَرُ عَلَى الْهُوِيَّةِ وَالثَّوَابِتِ، وَتَحْتَاجُ سَفِينَةُ الْأُمَّةِ إِلَى رَبَّابِينَ مَهْرَةَ يُحْسِنُونَ قِيَادَةَ دَفْنِهَا إِلَى شَاطِئِ السَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ، وَسَاحِلِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، حَتَّى تُحْفَظَ لِلْأُمَّةِ حُقُوقُهَا الْعَقْدِيَّةُ وَالْأَمْنِيَّةُ، فِي تَحْقِيقِ لِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَتَوْحِيدِ الْكَلِمَةِ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهَا لِأُمَّةٍ

الْأَمَانَ أَمَامَ الْعَوَاصِفِ الْهُوجَاءِ، الَّتِي تَمُرُّ بِهَا أُمَّتُنَا، وَتَكَادُ لِحُطُورَتِهَا
تُنْسِيهَا كُلَّ الْأَزْمَاتِ الَّتِي مَرَّتْ عَلَيْهَا فِي تَارِيخِهَا الْمَعَاصِرِ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا دَارَ اخْتِبَارٍ وَابْتِلَاءٍ،
وَمَمَرًا إِلَى الْآخِرَةِ، دَارَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، شَاءَ الْمَوْلَى - جَلَّ وَعَلَا -
بِحِكْمَتِهِ، أَنْ يَتَقَلَّبَ فِيهَا النَّاسُ بَيْنَ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ،
وَأَنْ يَكُونُوا وَجْهَةً لِلْمَصَائِبِ وَالْمِحَنِ، وَأَلَّا تَخْلُو حَيَاتُهُمْ مِنَ النَّوَائِبِ
وَالْفِتَنِ، وَلِلَّهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ!

وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - بِعِبَادِهِ أَنْ مَنَحَهُمْ شُرْعَةً غَرَاءَ تَحْكُمُهُمْ فِي
جَمِيعِ الظُّرُوفِ وَالْأَوْقَاتِ، تُنِيرُهُمُ الطَّرِيقَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَحِينَ
الْبَأْسِ وَالْأَرْزَاءِ، وَتَأْخُذُ بِأَيْدِيهِمْ أَيَّامَ الْمِحَنِ وَالشَّدَائِدِ وَالْأَزْمَاتِ.

وَهَذَا السَّنُّ الرَّبَّانِيُّ، تَنْزَهُ عَنِ الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ، وَأَقَامَ فِي الْبِرَايَا
الذُّهُولَ وَالْعَجَبَ! وَهُوَ - بِإِلَهِ شَكٍّ - مَسْبَارٌ لِلْأَفْرَادِ وَعِلَلٌ الْقُلُوبِ،
وَمِصْقَلَةٌ^(١) لِأَدْوَاءِ الْأُمَّمِ وَالشُّعُوبِ، وَمَنْ ثَبَّتَ فِي هَذَا التَّمْحِيصِ، بَلَغَ
مِنَ الظَّفَرِ وَالتَّمْكِينِ كُلَّ الدُّرَى، وَمَنْ تَسَخَّطَ وَتَفَزَّعَ وَجَزَعًا، بَاءَ

(١) مِصْقَلَةٌ: مِنَ الصَّقْلِ، وَهُوَ: الْجَلَاءُ، يُقَالُ: يَصْقِلُ الشَّيْءَ يَصْقَلُهُ صَقْلًا: إِذَا جَلَاهُ،
وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنْ يَهِيَ تَجَلَّى وَتَظْهَرَ أَدْوَاءُ الْأُمَّمِ. يُنْظَرُ: «اللسان» (صقل).

بِالْخَسَارِ - عِيَاذًا بِاللَّهِ - وَازْتَكَسَ فِي أَوْحَالِ الثَّرَى . وَلَا يَظُنُّ ظَانَ أَنْ
 الْإِبْتِلَاءَ بِالضَّرَّاءِ ، نَقْصُ كُلِّهِ ، وَشَرُّ كُلِّهِ ، وَمَنْعُ كُلِّهِ ، كَلًّا ! بَلْ
 تَضَمَّنَ مِنَ الْحِكْمِ وَالْأَسْرَارِ ، وَالْمَنَازِلِ عَلَيْهِ الْأَقْدَارِ ، مَا لَا يَخْفَى
 عَلَى ذَوِي الْبَصَائِرِ وَالْأَلْبَابِ .

فَمِنْهَا: الرَّجُوعُ وَالْإِسْتِكَانَةُ وَالتَّضَرُّعُ إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - وَالْيَقِينُ
 بِأَنَّ مَا يَحْدُثُ فِي هَذَا الْكَوْنِ فَبِتَقْدِيرِهِ وَتَدْبِيرِهِ: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا
 فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام: ١١٢] ، وَأَنَّ إِلَيْهِ الْمَلْجَأَ وَالْمَعَادَ ، وَالْمَهْرَبَ وَالْمَلَادَ ، وَقَدْ
 عَبَّ - سُبْحَانَهُ - عَلَى مَنْ لَمْ يَسْتَكِنِ إِلَيْهِ وَيَتَضَرَّعْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ: ﴿ وَلَقَدْ
 أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ ﴾ (٧٦) [المؤمنون].

وَمِنْهَا: التَّمْحِيصُ وَالْإِصْطِفَاءُ ، وَتَرْوِيضُ النُّفُوسِ عَلَى مُرِّ
 الْإِبْتِلَاءِ ، فَلَمْ يَكُنْ هَذَا هُوَ الْأَوَّلَ ، وَلَنْ يَكُونَ الْآخِرَ .

فَلَقَدْ مُنِيَتْ أُمَّتُنَا عَبْرَ التَّارِيخِ بِأَحْدَاثٍ وَبَلَايَا ، وَتَجَرَّعَتْ نَكَبَاتٍ
 وَرَزَايَا ، وَخَرَجَتْ مِنْهَا بِحَمْدِ اللَّهِ مُعَزَّزَةً مَنْصُورَةً: ﴿ إِذَا جَاءُوكُمْ
 مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ
 الْحَنَاجِرَ وَظَنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴾ (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا

زَلْزَلًا شَدِيدًا ﴿ [الأحزاب].

وَفِي الْجُمَلَةِ: لَا تَخْلُو الْمَصَائِبُ وَالْأَزْمَاتُ مِنْ عِبَرٍ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ،
فَفِيهَا تَنْبِيهُ الْعَافِلِ وَتَلْقِينُ الْجَاهِلِ، وَتَقْوِيَةُ الرَّوَاطِطِ عَلَى الْإِتِّحَادِ وَالْوَتَامِ،
وَنَبْذُ التَّنَازُعِ وَالتَّشْتُّتِ وَالْخِصَامِ: ﴿ وَلَا تَنْزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُكْفَرُوا بِكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: قَضَاءُ الْبَارِيِّ بِأَلْبَاحِ النَّفُوذِ! وَعَلَيْهِ تَتَوَكَّلُ، وَلَيْسَ
إِلَّا بِهِ نَلُودُ، وَهِيَ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ لَا تَزَالُ مَحْتَسِي الْقَلْقَ وَالضَّنَى،
وَتَقْتَاتُ الْوَيْلَاتِ وَالْعَنَا؛ جَرَاءَ الْكَرْبِ الْمُتَفَاقِمِ، وَالْحَطْبِ الْمُتَعَاظِمِ فِي
أَرْضِ الْعِرَاقِ، وَأَعْيَى هَذَا الْمَصَابِ الْجَلَلِ كُلِّ مُحِبٍّ لِلسَّلْمِ، وَلِلْأَمْنِ
تَوَاقٍ. أَرْتَأَلِ مُصَفِّحَاتٍ، وَهَيْبُ نِيرَانٍ، أَرِيزُ قَنَابِلٍ، وَسُحْبُ دُخَانٍ،
دَوِيٌّ قَدَائِفٍ، وَأَيْنُ حِرْمَانٍ، تَدْمِيرٌ لِلْمَبَانِي، وَقَصْفٌ لِلْعُمَرَانِ، حَرْبٌ
جَعَلَتْ مِنَ الْجَدَاوِلِ الرَّقْرَاقَةَ^(١) خَنَادِقَ، وَمِنَ الْأَغْصَانِ الزَّاهِيَةِ بِنَادِقَ،
دَخَلَتْ الْبُيُوتَ مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا، وَجَرَّعَتِ الْمَدِينِينَ الْعَزْلَ مُذَابَ عَذَابِهَا،
فَرُحْمَاكَ رَبَّنَا رُحْمَاكَ، وَاللَّهِمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ!!!

(١) الرَّقْرَاقُ: المتلألئ. يُنظر: «اللسان» (رقق).

كَمْ فِي الْعِرَاقِ وَكَمْ فِي الْقُدْسِ ذُو شَجَنِ
 شَكَا فَرَدَدَتِ الْأَصْدَاءُ شَكْوَاهُ
 بَنِي الْعَقِيدَةِ إِنَّ الْقَرْحَ مَسَّكُمْ
 وَمَسَّنَا نَحْنُ فِي الْأَلَامِ أَشْبَاهُ
 شَعْبٌ يُقْتَلُ وَالذُّنْيَا تُشَاهِدُهُمْ
 كَأَنَّهُمْ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ مَا كَانُوا
 فِيهِمْ مِنَ الْبُؤْسِ وَالتَّشْرِيدِ مَلْحَمَةٌ
 خَوْفٌ وَجُوعٌ وَتَقْتِيلٌ وَحِرْمَانٌ
 صَوْتُ اسْتِغَاثَتِهِمْ يَكْوِي الْفُؤَادَ وَمَا
 مِنْ مُنْقِذٍ أَوْ مَا لِلنَّاسِ آدَانُ؟

أَجَلْ! لَا بُدَّ أَنْ يُرْفَعَ عَنِ الْأُمَّةِ هَذَا الْكَابُوسُ، وَأَنْ تُهْتَمَّ^(١) أَنْيَابُ
 هَذِهِ الْحَرْبِ الضَّرُوسِ - الَّتِي مَا زَالَ مُشْتَعِلًا ضِرَامُهَا، حَامِيًا وَطِيْسُهَا -
 بِالْحُلُولِ السَّرِيعَةِ السَّلْمِيَّةِ الْمُتَبَدِّةِ، الْقَائِمَةِ عَلَى الْحِكْمَةِ وَالْعَقْلِ وَالنَّظْرِ فِي
 الْعَوَاقِبِ، تَحْتَ مِظَلَّةِ الشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ، وَالذِّسَاتِيرِ الْعَالَمِيَّةِ، وَالْأَنْظَمَةِ

(١) اهْتَمُّ: هَتَمَ الشَّيْءَ: كَسَرَهُ، وَهَتَمَ فَاهُ: نَزَعَ مُقَدِّمَ أَسْنَانِهِ. يُنْظَرُ: «الصَّحَاحُ» (هَتَمَ).

الدُّوْلِيَّةِ لِحُقُوقِ الْإِنْسَانِ، وَالْأَعْرَافِ وَالْمَوَاطِقِ الْمُحْتَرَمَةِ لِسِيَادَةِ
الْأَوْطَانِ.

إِنَّا - بِاسْمِ الشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ - نُوجِّهُ النِّدَاءَ
الْحَارًّا، إِلَى الرَّأْيِ الْعَامِّ الْعَالَمِيِّ، وَصُنَّاعِ الْقَرَارِ؛ لِلْوَقْفِ الْفُورِيِّ
هَذِهِ الْحُرْبِ الطَّاحِنَةِ، وَأَعْمَالِ الْعُنْفِ وَالْفَوْضَى، الَّتِي تَقُودُ
الْمَنْطِقَةَ إِلَى أَنْفَاقٍ مُظْلِمَةٍ، وَسَرَادِيبٍ مُعْدَمَةٍ مَجْهُولَةِ النِّهَايَةِ.

وَكَمْ تَجَرَّعَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ مِنْ وَيَالَاتِ الْعُنْفِ وَالْحُرُوبِ، وَأَحْدَثَتْ
مِنْ مَشَاعِرِ الْبَغْضَاءِ وَالْكَرَاهِيَةِ بَيْنَ الشُّعُوبِ، وَالْوَانَ الصِّرَاعِ وَالصِّدَامِ
بَيْنَ الْحَضَارَاتِ. فَالْحُرُوبُ طَوِيلٌ ذَيْلُهَا، قَلِيلٌ نَيْلُهَا، كَثِيرٌ وَيْلُهَا، لِذَا،
لَزِمَ وَتَحْتَمَّ إِطْفَاءُ فَتِيلِهَا حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَيُكْفَى الْمُسْلِمُونَ
شَرَّهَا وَأَوَارَهَا^(١)؛ حِمَايَةً لِلْمَدَنِيِّينَ الْأَبْرِيَاءِ، وَتَفَادِيًا لِلْخَسَائِرِ فِي الْأَرْوَاحِ
وَالْمُمْتَلَكَاتِ، وَحِفَاطًا عَلَى أَمْنِ الْمُجْتَمَعَاتِ وَالشُّعُوبِ. وَإِبْقَاءً عَلَى
الْمَعَالِمِ الْحَضَارِيَّةِ وَالتَّأْرِخِيَّةِ لِلْعَوَاصِمِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْحَوَاضِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ،
وَسَدًّا لِلطَّرِيقِ أَمَامَ الْقُوَى الصُّهُيُونِيَّةِ الْعَاشِمَةِ، الَّتِي اسْتَعَلَّتْ انْشِعَالَ
الْعَالَمِ بِهَذِهِ الْحَوَادِثِ وَالْمُسْتَجِدَّاتِ، فَعَمِلَتْ عَلَى تَوْسِيعِ نُفُوذِهَا فِي

(١) سبق بيان معناها (ص ٣٣٢).

أَرْضِ الرِّسَالَاتِ وَمَهْدِ البُطُولَاتِ، عَلَى ثَرَى فِلِسْطِينَ المَجَاهِدَةِ.
 أَرْبَابَ السَّلَامِ! حِمَاةَ الشَّرْعِيَّةِ! دُعَاةَ الإِنْسَانِيَّةِ وَالْحُرِّيَّةِ! يَا
 شُرَفَاءَ العَالَمِ فِي كُلِّ مَكَانٍ! هُبُّوا سِرَاعًا إِلَى الحِلِّ النَّاجِزِ،
 وَالتَّحْرُكِ الإِيْجَابِيِّ؛ لِإِنهَاءِ هَذِهِ القَضِيَّةِ المَأْسَاوِيَّةِ، وَالكَارِثَةِ
 الإِنْسَانِيَّةِ، قَبْلَ أَنْ تُسَلَبَ أَرْسَانُ^(١) الثَّقَّةِ وَالمِصْدَاقِيَّةِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ
 الهَيْئَاتِ الدُّوْلِيَّةِ، وَالمُنظَّمَاتِ العَالَمِيَّةِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا ضَاقَ شَيْءٌ إِلَّا اتَّسَعَ بِالمَسَاعِي الحَيِّثِيَّةِ الجَادِّ خَطْوُهُ،
 وَمَا ظَهَرَ فَتَقَّ إِلَّا أَمَكْنَ - بِالعُهُودِ وَالمَوَائِيْقِ - رَفُوهُ^(٢)، وَاللَّهُ المُسْتَعَانُ!
 ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ
 فليتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٥١) [التوبة]، ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ
 يُسْرًا ﴾ (٧) [الطلاق]، وَإِنَّ فِي طَيِّبَاتِ المِحْنِ لَمِنْحًا، وَفِي ثَنَائِيَا النِّقْمِ
 لِنِعْمًا، «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرْجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ
 العُسْرِ يُسْرًا»^(٣).

(١) أَرْسَانٌ: جمع رَسْنٌ، وهو الحبل. يُنظر: «اللسان» (رسن).

(٢) رَفُوهُ: إصلاحه. يُنظر: «اللسان» (رفو).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٠٧/١)، والطبراني في «الكبير» (١١٢٤٣)، والحاكم

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءِ تَلْقَاءِ مَحْنٍ نَجَمَتْ، وَخُطُوبٍ مُرِيعَةٍ هَجَمَتْ، فَبَصَّرُوا فِي هَذِهِ الْحَوَادِثِ وَالسَّيْرِ، وَانْتَزَعُوا مِنْهَا الدُّرُوسَ وَالْعِبَرَ، لَا سِيَّمَا فِي التَّوْحِيدِ وَالْوَحْدَةِ وَالْإِتِّحَادِ ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَفِي غَمْرَةِ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ الْمَتَسَارِعَةِ الدَّامِيَةِ، وَالْأَوْقَاتِ الْمُسْتَعْرَةِ الْحَامِيَةِ، تَلْجَأُ بَعْضُ النُّفُوسِ الضَّعِيفَةِ، الَّتِي خَلَتْ مِنَ الْمُرُوءَةِ، وَتَعَرَّتْ مِنَ الْوَفَاءِ وَالنَّبْلِ، لِتَشْرَحَ تَلَاخِمَ الْأُمَّةِ وَوَحْدَتِهَا، وَلِتَلْبَسَ عَلَى الزُّهَاءِ الْبُرَاءَ حَقَائِقَ وَمُسَلَّمَاتٍ، بِشَائِعَاتٍ بَاطِلَةٍ، وَأَكَاذِيبَ مُلَفَّفَةٍ، هِيَ جَرَائِمُ قَاتِلَةٌ، وَ(فَيْرُوسَاتٌ) مُهْلِكَةٌ، وَجَرَاحَاتٌ مُدْمِرَةٌ، وَحَرْبٌ نَفْسِيَّةٌ خَطِرَةٌ، وَتَحْطِيبٌ لِلْمَعْنَوِيَّاتِ، وَوَأْدٌ لِلطُّمُوحَاتِ، وَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ: ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ

فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات]، وَيَقُولُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ

في «المستدرک» (٣/٥٤٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/٢٧) من حديث ابن

عباس رضي الله عنهما.

وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعِيرٍ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَنَا وَإِنَّمَا مَثِينَا ﴿٥٨﴾
[الأحزاب].

وَيَقُولُ ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»، خَرَجَهُ
الْبُخَارِيُّ^(١) وَمُسْلِمٌ^(٢)، وَكُلَّمَا اتَّسَعَتْ رُقْعَةُ الشَّائِعَاتِ الْبَاطِلَاتِ
وَالْأَرَاجِيْفِ الدَّائِعَاتِ، الَّتِي يَرُوجُهَا ذُو قِحَّةٍ^(٣) وَغِلَالَةٍ^(٤) صَفِيْقَةٍ، كَانَ
إِثْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمَ.

فَعَلَى الْمُسْلِمِ الْعَفْ، أَمَامَ هَذِهِ الْإِفْرَازَاتِ النَّفْسِيَّةِ الدَّاكِنَةِ، أَنْ يَتَمَثَّلَ
قَوْلَ الْحَقِّ - جَلَّ جَلَالُهُ -: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ

تَتَكَلَّمُ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور].

وَأُورِدَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا^(٥) عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: «بَلَّغَنِي أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ
وَاسِعٍ كَانَ فِي مَجْلِسٍ، فَتَكَلَّمَ رَجُلٌ فَأَكْثَرَ الْكَلَامَ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ: مَا عَلَيَّ

(١) برقم (١٠) من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنها.

(٢) برقم (٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنها.

(٣) ذُو قِحَّةٍ: قَلِيلُ الْحَيَاءِ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (وَقِح).

(٤) الْغِلَالَةُ: ثَوْبٌ رَفِيقٌ يُلْبَسُ تَحْتَ الدَّئَارِ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (غَلَل).

(٥) فِي «الصَّمْتِ وَأَدَابِ اللِّسَانِ» (ص ٦١).

أَحَدِكُمْ لَوْ سَكَتَ، فَتَنَّقَىٰ وَتَوَقَّىٰ!». .

نَعَمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - مَنْ كَانَ كَلَامُهُ رَسَلًا رَسَلًا، فَلْيَتَذَكَّرْ

قَوْلَ الْبَارِي - سُبْحَانَهُ :: ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [١٨] [ق]،
وَمَنْ سَرَىٰ فِي خَلْدِهِ أَنَّهُ نَائِلٌ بِالسَّفَاسِفِ وَالثَّرَهَاتِ مِنْ تَرَابُطِنَا الذَّهَبِيِّ
الْبَدِيعِ، وَتَأَلَّفْنَا الْمُتَأَلَّقِ الْمَنِيْعِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ!! فَالطَّوْدُ أَشْمٌ،
وَالْوِفَاقُ - بِحَمْدِ اللَّهِ - أَتَمُّ.

فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ - عِبَادَ اللَّهِ - مِنْ تَنَاوُلٍ وَتَدَاوُلِ الشَّائِعَاتِ؛

حَيْثُ غَدَّتْ السَّخَافَاتُ الْمُغْرِضَةُ سِلَاحًا فَتَاكًا، وَمَعْوَلًا هَدَامًا، يُقَوِّضُ
وَحْدَةَ الصَّفِّ، وَيُفْسِدُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الرُّعَاةِ وَالرَّعِيَّةِ، وَالْعُلَمَاءِ وَالْعَامَّةِ،
وَالشَّبَابِ وَالشُّيُوخِ، وَيَزْرَعُ الشَّكَّ وَسُوءَ الظَّنِّ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْمُجْتَمَعِ،
وَالْيَأْسَ بَيْنَ النَّاسِ، وَبِخَاصَّةٍ مَعَ انْتِشَارِ وَسَائِلِ الْإِتِّصَالِ الْحَدِيثَةِ، الَّتِي
أَضْحَىٰ بَعْضُهَا مَرَّاحِيضَ الْكُتُوبِ نِيَّةً تُرْكِمُ الْأَنْوْفَ بِعَفَنِهَا وَنَتْنَهَا.

وَالْمُقْتَرَضُ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ - الَّذِي يَنْشُدُ الْكِمَالَ وَالسُّمُوَّ فِي جَمِيعِ

حَيَاتِهِ - أَنْ يَكُونَ حِصْنًا حَصِينًا ضِدَّ الشَّائِعَاتِ، فَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ:
«كَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»، خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ فِي

«صَحِيحِهِ»^(١)، فَلْيَعْرِضِ الْمُسْلِمُ عَنِ الشَّائِعَاتِ، وَيَرَبِّأْ بِنَفْسِهِ عَنِ سَمَاعِهَا وَتَرَوِيحِهَا، فَالرُّكُونُ إِلَيْهَا وَتَنَاقُلُهَا يُؤَدِّي إِلَى مَفَاسِدَ خَطِيرَةٍ، تُهَدِّدُ بُيَانِ الْمُجْتَمَعِ، وَتَقْوِضُ بِنَاءَ الْأُمَّةِ.

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ: إِنَّ مِنَ الْفِقْهِ عِنْدَ الْأَزْمَاتِ، أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهَا بِرُؤْيَا شَرْعِيَّةٍ، تَحْلِيلًا وَتَطْبِيقًا، فَالْإِسْلَامُ يُحْرِمُ الظُّلْمَ وَالْعُدْوَانَ، وَيُوجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ التَّنَاصُرَ وَالتَّأَزَّرَ، حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ الظُّرُوفُ وَالْأَحْوَالُ، وَكَو بِالِدُعَاءِ وَالْمَالِ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]، وَفِي الْأَزْمَاتِ - حَيْثُ خِيفَ تَسَاقُطِ الْقِيَمِ - يَتَعَيَّنُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْأَخْذُ بِأَسْبَابِ الثَّبَاتِ عَلَى صَحِيحِ الْمُعْتَقَدِ، وَسَلَامَةِ الْمَنْهَجِ، عِنْدَ غِيَابِ صَحِيحِ الْمَنْهَجِ، وَالتَّقْيِيدُ بِالضَّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ، مِنْ لُزُومِ الرَّفْقِ وَالسَّكِينَةِ، وَالتَّثَبُّتِ وَالْأَنَانَةِ، وَعَدَمِ الْعَجَلَةِ، وَحِفْظِ اللِّسَانِ، وَالتَّبَصُّرِ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَالقُرْبِ مِنْ نُصَحَاءِ الْأُمَّةِ، وَصُلْحَاءِ الْمُجْتَمَعِ، وَعَدَمِ الاسْتِشْرَافِ لِلْفِتَنِ، فَمَنْ يَسْتَشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٢)، وَأَلَّا يَتَكَلَّفَ فِي لِيٍّ أَعْنَاقِ النُّصُوصِ؛

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦) بلفظ: «سَتَكُونُ فِتْنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا =

لِتَنْزِيلِهَا عَلَى وَقَائِعِ الْعَصْرِ، بِلَا أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ.

كَمَا يَنْبَغِي تَغْلِيْبُ الْعَقْلِ عَلَى الْعَاطِفَةِ، وَالرَّوِيَّةِ وَالْمَنْطِقِ عَلَى
الْإِنْفَعَالَاتِ، وَتَقْدِيمُ الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ عَلَى مَا يُظَنُّ مِنَ الشَّجَاعَةِ
وَالْإِقْدَامِ، وَالْبُعْدُ عَنِ الْغَوْغَائِيَّةِ وَالْغُنَائِيَّةِ، الَّتِي لَا تُصِيبُ صَيِّدًا،
وَلَا تَنْكَأُ^(١) عَدُوًّا، وَالْحَذَرُ مِنَ الْإِنْسِيَاقِ وَرَاءَ مَا يُدْعَى مِنْ جِهَادٍ مَوْهُومٍ
لَمْ تَتَبَيَّنْ لَهُ رَايَةٌ، وَلَمْ تَظْهَرْ لَهُ غَايَةٌ، وَلَمْ تَتَحَقَّقْ فِيهِ الشُّرُوطُ الشَّرْعِيَّةُ
وَالْمَقَاصِدُ الْمَرْعِيَّةُ.

وَمَنْهَا: الْمَحَافِظَةُ التَّامَّةُ عَلَى حُكْمَتِنَا الْإِجْتِمَاعِيَّةِ، وَجَبْهَتِنَا الدَّاخِلِيَّةِ،
وَقِيَادَتِنَا الشَّرْعِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ، مِنْ أَوْلِي الْأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ،
وَحُسْنُ الظَّنِّ بِهِمْ، وَعَدَمُ تَصْدِيقِ الدُّخَلَاءِ وَالْمُرْجِفِينَ، الَّذِينَ يَظْهَرُونَ
فِي الْأَزْمَاتِ خَفَافِيْشَ ظُلُمَاتٍ، وَطُفَيْلِيَّاتِ زَرْعٍ وَنَبَاتٍ، يَقْتَنِصُونَ بِالْمِيَاهِ
الرَّاكِدَةِ، وَيَنْفُذُونَ فِي الطَّرِيقِ الْوَعِرَةِ: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ
أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ

= خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي،
وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشِرْ فِيهِ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ».

(١) سبق بيان معناها (ص ٢٩).

لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ [النساء].

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: وَمَهْمَا اِرْبَدَّتْ (١) الْأَفَاقُ فِي مَرَأَى الْعَيْنِ، فَإِنَّ
دِينَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - دِينُ الثَّبُوتِ وَالْبَقَاءِ، وَمَحَالٌ أَنْ يَعْتَرِيَهُ الزَّوَالُ
وَالْفَنَاءُ، رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٢)، وَالْحَاكِمُ (٣)، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، مِنْ حَدِيثِ
تَمِيمِ الدَّارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ صلى الله عليه وسلم: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ
وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ،
بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ
الْكُفْرَ». وَقَدْ أَعْطَى الْمَوْلَى حَبِيبُهُ وَمُصْطَفَاهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم «أَلَا يَهْلِكُ أُمَّتَهُ
بِسِنَةِ عَامَّةٍ، وَأَلَّا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ
بِيَضَّتِهِمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بَأَقْطَارِهَا»، خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ فِي
«صَحِيحِهِ» (٤) مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ رضي الله عنه.

(١) اِرْبَدَّتْ: اسْوَدَّتْ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (رَبِد).

(٢) فِي «الْمُسْنَدِ» (١٠٣/٤).

(٣) فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٤٣٠/٤).

(٤) بَرَقْم (٢٨٨٩).

وَإِنَّمَا لَفُرْصَةٌ جَلِيٌّ مِنْ خِلَالِ اسْتِعْرَاضِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ، أَنْ تَدْرُسَ
 أُمَّتَنَا أَسْبَابَ النَّصْرِ وَالْهَزَائِمِ، بِمَنْظُورٍ جَدِيدٍ، وَرَأْيٍ سَدِيدٍ، وَمَوْقِفٍ
 رَشِيدٍ، وَمَنْهَجٍ حَمِيدٍ، وَتُدَقِّقَ فِي الْمَقَاصِدِ وَالْغَايَاتِ وَالتَّائِيحِ؛ لِاعْتِلَاءِ
 شَرَفِنَا السَّامِقِ، وَمَجْدَنَا الشَّامِخِ - بِإِذْنِ اللَّهِ - وَحَذَارِ مِنَ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ
 وَالْإِحْبَاطِ، وَإِلَى مَزِيدٍ مِنَ التَّفَاؤُلِ وَالْإِسْتِيْشَارِ، فَالنَّصْرُ لِلْإِسْلَامِ
 وَأَهْلِهِ، وَالْقُوَّةُ لِلَّهِ جَمِيعًا: ﴿ وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ [المنافقون].

حَفِظَ اللَّهُ أُمَّتَنَا مِنْ كَيْدِ الْكَائِدِينَ، وَحَقْدِ الْحَاقِدِينَ، وَعُدْوَانِ
 الْمُعْتَدِينَ، وَأَصْلَحَ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَكَشَفَ الْغُمَّةَ عَنْ
 هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ. نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِآيِ الْكِتَابِ، وَهَدَيْ
 الْمُصْطَفَى الْأَوَّابِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْغُفُورَ الْوَهَّابَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ
 الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، وَتُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّهُ كَانَ
 تَوَّابًا.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْبَغَ عَلَيْنَا الْمِنَّةَ، وَأَكْرَمَنَا بِأَقْوَمِ كِتَابٍ وَأَهْدَى سَنَنِ، نَسْتَغْفِرُهُ - سُبْحَانَهُ - مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، وَأَسْأَلُهُ - بِقُوَّتِهِ وَعِزَّتِهِ - دَفْعَ الْكُرُوبِ وَالْمِحَنِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا الْمَبْعُوثَ بِالرَّحْمَةِ وَأَزْكَى السَّنَنِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ، شُمُوسِ الضُّحَى وَبُدُورِ الدُّجَى، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَلْتَكُنِ التَّقْوَى دِينَكُمْ وَمِيسَمَكُمْ^(١)؛

تَفُوزُوا فِي الدَّارَيْنِ وَتَسْعُدُوا فِي الْحَيَاتَيْنِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: إِنَّ عَلَى شَبَابِ الْأُمَّةِ - الْفُطْنِ الرَّشِيدِ، بَلْ

وَالْمُسْلِمِينَ عَامَّةً، فِي هَذِهِ الْأَحْدَاثِ قَصِيرَةَ الْعُمُرِ - أَنْ يَتَدَرَّعُوا بِدِرْعَيْنِ

وَاقِيَيْنِ - بِإِذْنِ اللَّهِ :-

دِرْعِ الْأُوبَةِ إِلَى اللَّهِ، وَصِدْقِ الْإِلْتِجَاءِ إِلَيْهِ، وَالْإِلْحَاحِ فِي الدُّعَاءِ،

(١) سبق بيان معناها (ص ١٦).

المَشْفُوعِ بِالصُّدُقِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْإِنَابَةِ، وَإِنَّهُ لَسِهَامُ اللَّيْلِ الَّتِي
لَا تُحْطَى، وَالسَّلَاحُ الْحَقِيُّ الَّذِي لَا يَحِيبُ.

وَدِرْعِ الْإِلْتِفِ حَوْلَ الْقِيَادَةِ الْحَادِبَةِ^(١)، وَكَوَكَبَةِ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ،
اسْتِرْشَادًا بِتَوْجِيهَاتِهِمْ، وَاسْتِنَارَةً بِإِرْشَادَاتِهِمْ، كَيْفَ لَا؟ وَهُمْ مِسَاكُ
الدِّينِ وَمَلَائِكُهُ، وَأَنْصَارُهُ وَهُدَاتُهُ، وَبِهِمْ يُحْفَظُ الدِّينُ، وَهُمْ الْمُوقِعُونَ عَنِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَنْ صَدَرَ أَوْ وَرَدَ عَنْ غَيْرِ رَأْيِهِمْ وَبَصِيرَتِهِمْ، فَيُخْشَى
عَلَيْهِ الْمَزَلَّةُ وَالْعَطْبُ.

وَإِنَّ عُلَمَاءَ الشَّرِيعَةِ - وَفَقَّهُمُ اللَّهُ - لَمُدْرِكُونَ مَدَى الْأَمَانَةِ الْمُنَاطَةِ
بِأَعْنَاقِهِمْ، لَا سِيَّمَا فِي الْأَزْمَاتِ وَالشَّدَائِدِ، وَإِنَّ الْمُنْصِفَ لَوَاجِدُهُمْ أَشَدَّ
النَّاسِ حِرْصًا عَلَى تَوْجِيهِ الْأُمَّةِ، وَبَيَانِ الْحَقِّ بِالْهُدْيِ النَّبَوِيِّ، الْمُتَضَمِّنِ
لِلْحِكْمَةِ وَالْكِيَاسَةِ، وَالْأَنَاءَةِ وَالْحِصَافَةِ، مُصْطَحِبِينَ الْمَقَاصِدَ الشَّرْعِيَّةَ،
وَالْقَوَاعِدَ الْمُرْعِيَّةَ: مِنْ دَفْعِ الشُّرُورِ وَالْمَفَاسِدِ، وَجَلْبِ الْخِيُورِ
وَالْمَصَالِحِ، عَمَلًا بِالقَاعِدَةِ الذَّهَبِيَّةِ: التَّصَرُّفُ عَلَى الرَّعِيَّةِ مَنْوُوطٌ
بِالمُصْلِحَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَخُصُوصًا إِذَا انْقَدَتِ الْعَوَاطِفُ، وَالتَّهَبَّتْ

(١) الحَادِبَةُ: العاطفة المُشْفِقَةُ، وفي حديث علي يصف أبا بكر - رضي الله عنهما -:

«وأحدهم على المسلمين»، أي: أعطفهم وأشفقهم. يُنظر: «اللسان» (حدب).

المشاعرُ، ووقتيذ فالأمةُ أحوجُ ما تكونُ إلى الدليلِ المخلصِ، والرَبانِ
المَاهِرِ، والهاديِ الرَّشيدِ، بالرأيِ الحَصيفِ، والقولِ السَّديدِ، وإذا كثرُ
المَلأحونَ غرقتِ السَّفينةُ، فلا بُدَّ من تجاوزِ الخلافاتِ والمعاركِ الوهميَّةِ،
والحواراتِ العقيمةِ الهامشيَّةِ، وتفعيلِ الدورِ التَّربويِّ للوسائلِ
الإعلاميَّةِ، وعدمِ التَّضخيمِ والإثارةِ والتَّهويلِ.

والحذرِ من الإجهاداتِ الفرديَّةِ، والتَّصرُّفاتِ الأحاديَّةِ، وبثِّ
الفتاوى الطَّائرةِ، وإصدارِ الأحكامِ الجُزأفِ الجائِرةِ، التي تدعُ العقولَ
حائرةً، وتجرُّ البلادَ والعبادَ إلى فتنٍ عمياءَ لا يعلمُ عواقبها إلا اللهُ
سُبْحانَهُ!

وللأمةِ في تأريخها نماذجٌ باهرةٌ في الحزمِ والحكمةِ، فهذا أبو بكرٍ
رضي الله عنه يومَ الرِّدةِ، وهذا الإمامُ أحمدُ يومَ المحنةِ، وهذا شيخُ الإسلامِ ابنُ
تيميَّةَ - رحمه اللهُ - وغيرُهُم كثيرٌ.

إننا بهذا لا نلغي المشاعرَ والعواطفَ المتدفقةَ لدى شبابِ الأمةِ؛
غيرةً على الدينِ والمِلَّةِ، بل نحمدُها لهم، ونستبشرُ بها الخيرَ - إن شاء
اللهُ - لكننا ندعو إلى حُسنِ توظيفِها، والاستبصارِ بعواقبِها، والتَّخليقِ
بجناحي العاطفةِ والعقلِ؛ إذ الاستقلالُ بأحدهما مفسدةٌ، وسَطَطٌ عن
سواءِ الحقِّ، وفي التَّواؤمِ بينهما تحقيقُ للوسطيةِ والاعتدالِ، ونزوعٌ إلى

الطَّرِيقِ السَّوِيِّ - بِإِذْنِ اللَّهِ - وَيَعْلَمُ اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنَّ هَذَا مُحَضُّ الْحُبِّ
وَالنُّضْحِ لَهُمْ، وَالْمُودَّةِ وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ.

أَلَا وَإِنَّ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَمَنِّهِ عَلَىٰ بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، نَسِيجَهَا
الْمُتَمِّيزَ، وَمَنْطُومَتَهَا الْفَرِيدَةَ الْمُتَأَلِّقَةَ، لَأَسِيًّا فِي الْأَزْمَاتِ، فَرَعَاتُهَا دَابُّوا
بِكُلِّ الثَّقَلِ - وَلَا يَزَالُونَ - لِإِخْمَادِ هَذِهِ الْفِتْنَةِ الْهُوجَاءِ، يُغَالِبُونَ تَيَّارَهَا،
وَيُرَوِّضُونَ بِالْعَزِيمَةِ وَالْحِنْكَةِ زَخَّارَهَا^(١)، وَعُلَمَاؤُهَا وَدُعَاتُهَا وَرَعِيَّتُهَا
يَسْعُونَ بِالْإِيمَانِ وَالثَّبَاتِ وَالِدُّعَاءِ؛ لِإِطْفَاءِ هَيْبِ نَارِهَا وَأَوَارِهَا.

كَلَّلَ اللَّهُ الْمَسَاعِيَ بِالنَّجَاحِ وَالتَّوْفِيقِ، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ.

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴿ [يوسف].

هَذَا وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ مِنْ خَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَرْفَعِهَا
فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، كَثْرَةُ صَلَاتِكُمْ وَسَلَامِكُمْ عَلَىٰ
الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ، وَالنُّعْمَةِ الْمُسْدَاةِ، نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، كَمَا أَمَرَكُمُ
رَبُّكُمْ - جَلَّ فِي عُلَاهُ - فَقَالَ - تَعَالَى - قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ

يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴿

[الأحزاب].

(١) زَخَّارَهَا: مَدَّهَا المرتفع. يُنْظَرُ: «اللسان» (زخر).

الإبراهيميات

عَلَى ضَوْءِ السُّنَنِ وَالْكِتَابِ

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنُثْنِي عَلَيْهِ
الْحَيْرَ كُلَّهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ
اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ذُو الْعِزِّ وَالْعِظَمَةِ وَالْجَلَالِ! الْمُتَفَرِّدِ بِالْأَسْمَاءِ
الْحُسْنَى وَصِفَاتِ الْكَمَالِ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ كَرِيمٍ، وَرَبِّ رَحِيمٍ، لَهُ
الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَهُ الشُّكْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، عَلَانِيَتُهُ وَسِرُّهُ، وَهُوَ
الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى!

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، كَرِيمُ السَّجَايَا، وَشَرِيفُ
الْخِصَالِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ خَيْرِ صَحْبٍ وَآلٍ،
والتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْمَالِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ: أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -
فَتَقْوَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - حِصْنٌ فِي الْأَزْمَاتِ، وَذَخِيرَةٌ فِي الشَّدَائِدِ
وَالْمُلَمَّاتِ، هِيَ نِبْرَاسٌ وَضَاءٌ، وَسِلَاحٌ مَضَاءٌ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَنَةِ

وَالْأَوْقَاتِ، فَكَمْ تَطْرُدُهُمَا، وَتَكْشِفُ عَمَّا، وَتَجْلِبُ رِزْقًا، وَتُسِّرُ أَمْرًا فِي
 الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۗ ﴾ ذَلِكَ
 أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ الْيَكْرُمُ وَالْيَكْرُمُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ، وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا ﴿ ٥ ﴾
 [الطلاق].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: قِيَمَةُ الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ، تَكْمُنُ فِي دِينٍ يَضْبِطُ
 النَّفْسَ، وَإِيمَانٍ فِي شَغَافٍ ^(١) الْقُلُوبِ مَعْرُوسٍ، وَعَمَلٍ صَالِحٍ يُعْلِي
 النَّفْسَ، وَيَرْفَعُ الرَّؤُوسَ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ
 وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ ٩٧ ﴾ [النحل].

الدِّينُ الْحَقُّ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - يَكْبَحُ جِمَاحَ الشَّهَوَاتِ، وَيَهْدِبُ
 الْغَرَائِزَ وَالنَّزَوَاتِ، وَيَدُلُّ عَلَى طَرِيقِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ وَالْهُدَايَةِ وَالْفَضِيلَةِ،
 يَنَآئِي بِأَهْلِهِ عَنِ سُبُلِ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالَةِ وَالرَّذِيلَةِ، إِنَّهُ دِينٌ يُفِيضُ رَحْمَةً
 وَعَدْلًا وَأَمَانًا، وَيَنْضَحُ خَيْرًا وَسَلَامًا وَحَنَانًا. وَالْإِنْسَانِيَّةُ بِلَا عَقِيدَةٍ
 صَحِيحَةٍ، وَالْبَشَرِيَّةُ بِدُونِ شَرِيعَةٍ قَوِيمَةٍ، تَتَحَوَّلُ إِلَى زُرَائِبٍ مِنَ الْأَنْعَامِ

(١) الشَّغَافُ: غلاف القلب. يُنْظَرُ: «اللسان» (شغف).

السَّائِيَةِ الْهَمَلِ^(١)، بَلْ إِلَىٰ أَسْرَابٍ مِّنَ الذَّنَابِ الْمَسْعُورَةِ، وَالْوُحُوشِ الْكَاسِرَةِ، يَتَسَلَّطُ الْقَوِيُّ مِنْهَا عَلَى الضَّعِيفِ، فِي حَيَاةٍ مَلُؤَهَا الْإِضْطِرَابُ وَالْفَوْضَىٰ، وَالْإِسْتِبْدَادُ وَالْإِسْتِعْبَادُ، وَهَكَذَا كَانَتْ حَيَاةُ النَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَهَكَذَا يَكُونُونَ عِنْدَ غِيَابِ الْمَبَادِيِ وَالْمَثَلِ وَالْقِيَمِ، وَغَلْبَةِ سُلْطَانِ الْهَوَىٰ، وَالظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: لَقَدْ جَاءَ هَذَا الدِّينُ نِظَامًا شَامِلًا وَدِينًا

كَامِلًا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وَاشْتَمَلَ عَلَىٰ كُلِّ مَا يُحَقِّقُ لِلنَّاسِ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ، وَالنَّجَاةَ فِي الْحَيَاتَيْنِ، حَوَىٰ مِنَ الْعَقَائِدِ أَصْفَاهَا وَأَنْقَاهَا، وَمِنَ الْعِبَادَاتِ أَعْلَاهَا وَأَسْفَاهَا، وَمِنَ الْأَخْلَاقِ أَفْضَلَهَا وَأَزْكَاهَا، وَمِنَ النُّظُمِ أَعْدَهَا وَأَقْوَاهَا، سَعَىٰ إِلَىٰ كُلِّ مَا يُحَقِّقُ مَصَالِحَ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ فِي أُمُورِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، مِنْ مَقَاصِدِهِ الْعُظْمَىٰ: حِفْظُ الدِّينِ، وَالْأَنْفُسِ، وَالْعُقُولِ، وَالْأَمْوَالِ، وَالْأَنْسَابِ.

يَقُولُ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - أَرْسَلَ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ؛ لِيُقِيمَ النَّاسَ بِالْقِسْطِ، وَمَنْ عَلَيْهِمْ بِهِذِهِ

(١) الهمل: السدى المتروك. يُنظر: «اللسان» (همل).

الشريعة التي هي خير كلها، وعدل كلها، ورحمة كلها،
ومصالح كلها»^(١).

إخوة الإيمان: إن الإسلام هو الدين الخالد، على مر القرون إلى
أن يرث الله الأرض ومن عليها، كتب الله بقاءه، وضمن حفظه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الحجر]، وجعله صالحًا
لكل الأزمنة وعموم الأمكنة.

إنه دين الحق والعدل، والمحبة والوئام، ودين اليسر والرفق،
والسماحة والسلام، لا خير للبشرية إلا في ظل تعاليمه، ولا عز
للإنسانية إلا بتطبيقه وتحكيمه.

إنه دين المحاسن، والفضائل والمكارم، يبني كيان الأمة ولا يهدم،
ويجمع أبناءها ولا يفرق، يسعى إلى التشييد والإعمار، لا إلى الخراب
والدمار، جاء بقطع دابر الجريمة، واجتثاث أصول الشر والفساد.

من قواعد الكبرى: جلب المصالح، ودرء المفاسد، وإزالة الضرر،
وسد الذرائع، ورفع الحرج.

مصادره ربانية، وصبغته عالمية، ومنهجها الاعتدال والوسطية،

(١) يُنظر: «شفاء العليل» (ص ٢٧٠).

يَهْدِفُ إِلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَتَرْكِيَةِ النُّفُوسِ، وَتَهْدِيَةِ الصَّمَائِرِ،
وَتَرْبِيَةِ أَجْيَالٍ بِوَاسِلِ أَبْطَالٍ، تَسْعَى هِمْمُهُمْ وَذِمْمُهُمْ إِلَى الصَّلَاحِ
وَالِإِصْلَاحِ، وَتَنْشِئَةَ أَقْوَامٍ نَافِعِينَ لِأُمَّتِهِمْ وَجُمُوعَاتِهِمْ، إِعْمَارًا وَبِنَاءً
وَإِتْقَانًا وَإِنْمَاءً.

كَمَا كَفَلَ هَذَا الدِّينُ حُقُوقَ الْإِنْسَانِ بِجِدَارَةٍ، فَكَّرَمَهُ وَأَعْلَى قَدْرَهُ،
وَفَضَّلَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْخَلَائِقِ تَفْضِيلًا، رَفَعَ مَكَانَتَهُ حِينَ تَسَفَّلَتْ
بِمُسْتَوَاهِ الْمَادِّيَّاتِ، وَزَكَّى رُوحَهُ وَنَفْسَهُ حِينَمَا سَحَقَتْهَا السَّفَاهَاتُ،
وَاسْتَخَفَّتْ بِهِ إِلَى حَضِيضِ الْبِهِيمِيَّاتِ.

وَوَازَنَ بَيْنَ مُتَطَلِّبَاتِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ فِي تَنَاسُقِ بَدِيعٍ، وَتَكَامُلِ
فَرِيدٍ، يَرْبِطُ الْإِنْسَانَ بِغَايَةِ وُجُودِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَهِيَ تَحْقِيقِ الْعُبُودِيَّةِ
التَّامَّةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

كَمَا وَازَنَ بَيْنَ حُقُوقِ الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ، وَضَمِنَ الْحُرِّيَّةَ الشَّخْصِيَّةَ فِي
حُدُودِ الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ، وَنَظَّمَ عِلَاقَةَ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ، وَرَعَى عِلَاقَتَهُ مَعَ
الْآخَرِينَ. وَجَمَعَ بَيْنَ الثَّبَاتِ عَلَى الْأُصُولِ وَالْأَهْدَافِ وَالْكُلِّيَّاتِ،
وَالْمُرُونَةِ فِي الْوَسَائِلِ وَالْفُرُوعِ وَالْجُزْئِيَّاتِ، وَوَاكَبَ التَّطَوُّرَاتِ
وَالْمُتَغَيَّرَاتِ وَالْمُسْتَجِدَّاتِ، وَلَمْ يَقِفْ عَاجِزًا يَوْمًا مَآ، عَنْ إِيجَادِ الْحُلُولِ
لِكُلِّ الْقَضَايَا وَالْمَشْكَالَاتِ، ذَلِكَ لِأَنَّهُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿أَلَا يَعْلَمُ

مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك].

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: وَحِينَمَا سَارَتِ الْأُمَّةُ - يَارِعَاكُمْ اللَّهُ - عَلَى هَدْيِ
الْوَحِيِّ، دَانَتْ لَهَا - بِتَوْفِيقِ اللَّهِ - مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا، وَصَنَعَتْ
- بِعَوْنِ اللَّهِ - أَعْظَمَ حَضَارَةٍ عَرَفَهَا التَّارِيخُ، وَلِلَّهِ دُرُّ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ
رَبِيعِي بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، حِينَمَا قَالَ بِعِزَّةِ الْمُسْلِمِ: «اللَّهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ
شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، وَمَنْ ضَيَّقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا،
وَمَنْ جَوَّرِ الْأَدْيَانَ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ»^(١).

اللَّهُ أَكْبَرُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - وَلَكِنْ كَيْفَ هِيَ الْحَالُ الْآنَ؟ لَقَدْ
أُصِيبَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِالْوَهْنِ فِي دِينِهَا، وَالْحَلَاقِ فِي عِزَّتِهَا، وَالضَّعْفِ فِي
عَقِيدَتِهَا، وَالتَّخْرُقِ فِي وَحْدَتِهَا، وَالنَّقْصِ فِي ثَوَابِتِهَا. وَابْتَلَيْتِ الْأُمَّةُ
بِاحْتِلَالِ مُقَدَّسَاتِهَا، وَالتَّحَكُّمِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مُقَدَّرَاتِهَا! نَاهِيكُمْ عَنِ الْغَزْوِ
السَّافِرِ بِشَتَى صُورِهِ، عَقْدِيًّا وَفِكْرِيًّا وَسُلُوكِيًّا وَعَسْكَرِيًّا وَإِعْلَامِيًّا، ضِدَّ
مَثَلِ الْأُمَّةِ وَقِيمِهَا وَمَبَادِيئِهَا.

وَخَلَفَتْ خُلُوفٌ تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ، هُمْ فِي عَالَمِ السِّيَاسَةِ

(١) أخرج الطبري في «تاريخه» (٢/٤٠١)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية»

وَالْإِقْتِصَادِ وَالْاجْتِمَاعِ مَذَاهِبُ، وَفِي عَالَمِ الْفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ وَالتَّرْبِيَةِ
 مَشَارِبُ، وَشَوْهُ الْإِسْلَامُ مِنْ طَرَفِي الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، وَمَسْلَكِي الْعُلُوِّ
 وَالْجَفَاءِ، وَمِنْ فِتْنَيْنِ خَطِيرَتَيْنِ فِي الْأُمَّةِ: فِتْنَةُ عِلْمَانِيَّةِ إِبَاحِيَّةٍ، مُنْحَرِفَةٍ فِي
 فِكْرِهَا وَثِقَافَتِهَا وَإِعْلَامِهَا، وَفِتْنَةُ غَالِيَةِ حَقَّاءِ، لَا تُؤْمِنُ إِلَّا بِالْعُنْفِ
 مَسْلَكًا، وَالتَّكْفِيرِ مَنْهَجًا، وَسَفْكَ الدِّمَاءِ لِالتَّغْيِيرِ وَالْإِصْلَاحِ طَرِيقًا.
 وَيَأْبَى اللَّهُ! ثُمَّ يَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَسْلَكُ الْمَشِينُ فِي تَرْوِيعِ
 الْأَمِينِ، وَزَعْرَعَةِ حَيَاةِ الْمُطْمَئِنِّينَ، وَالْإِضْرَارِ بِالْمُسْلِمِينَ، وَسُلُوكِ
 مَسَالِكِ الْعُنْفِ وَالْإِعْتِدَاءِ، وَأَعْمَالِ التَّخْرِيبِ وَالتَّفْجِيرَاتِ، طَرِيقًا
 إِلَى جَلْبِ الْخَيْرِ وَالْإِصْلَاحِ لِلْمُجْتَمَعَاتِ.

وَهَذَا، فَإِنَّ الْعَالَمَ الْيَوْمَ، يَضُجُّ مِنْ ظَاهِرَةِ عَالِمِيَّةِ خَطِيرَةٍ، تُقْضَى
 الْمَضَاجِعَ، وَتَجْعَلُ الدِّيَارَ بِلَاقِعٍ^(١)! هِيَ مَأْسَاءُ الْعَصْرِ، وَحَسْبُكَ مِنْ شَرِّ
 سَمَاعِهِ! إِنَّهَا ظَاهِرَةُ الْإِزْهَابِ، إِنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ لَمْ تَعُدْ مَحْدُودَةً أَوْ فَرْدِيَّةً،
 بَلْ تَجَاوَزَتْ ذَلِكَ إِلَى التَّنْظِيمِ الْإِجْرَامِيِّ الْمَسْلُوحِ، وَالْعُدْوَانِ الْجَمَاعِيِّ
 الصَّارِخِ، وَتَجَرَّدَتْ خَلَايَاهُ الْمَمْقُوتَةُ، وَشَبَكَاتُهُ الْمَأْفُونَةُ، مِنْ أَقْلٍ مَعَانِي
 الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالْقِيمِ الدِّينِيَّةِ، وَالْمَثَلِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ.

(١) الْبِلَاقِعُ: الْأَرْضُ الَّتِي لَا شَيْءَ فِيهَا. يُنْظَرُ: «اللسان» (بلقع).

وَأَشْنَعُ مِنْ ذَلِكَ، حِينَئِذَا يَكُونُ أَرْبَابُهُ مُرْتَدِينَ لِيَأْسِ الدِّينِ،
وَمُتَسَتِّرِينَ بِزِيِّ الْمُسْلِمِينَ، وَيُلْصِقُونَ أَعْمَاهُمْ الْإِرْهَابِيَّةَ بِاسْمِ الْإِسْلَامِ،
وَالْإِسْلَامُ الْحَقُّ بِرِيءٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَنُصُوصُهُ الشَّرْعِيَّةُ، وَمَقَاصِدُهُ
الْمَرْعِيَّةُ، جَاءَتْ بِتَحْرِيمِ قَتْلِ الْأَنْفُسِ الْمَعْصُومَةِ، وَإِزْهَاقِ الْأَرْوَاحِ،
وَتَدْمِيرِ الْمُمْتَلَكَاتِ، وَالْإِعْتِدَاءِ عَلَى الْأَمْوَالِ وَالْحُقُوقِ، وَالسَّعْيِ فِي
الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ
الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وَنَهَى عَنِ سُلُوكِ
مَسَالِكِ الْعُنْفِ وَالْفِظَاطَةِ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾ [آل
عمران: ١٥٩].

وَفِي الصَّحِيحِ عِنْدَ مُسْلِمٍ ^(١) وَغَيْرِهِ ^(٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ
يُحْرِمِ الرَّفْقَ يُحْرِمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ»، وَفِيهِ أَيْضًا: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ
إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ» ^(٣).

(١) برقم (٢٥٩٢) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٠٩)، وابن ماجه (٣٦٨٧)، وأحمد في «المسند» (٤/٣٦٢).

من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة - رضي الله عنها.

وَلَقَدْ بَلَيْتَ هَذِهِ الْأُمَّةَ فِي أَعْقَابِ الزَّمَنِ بِكَثْرَةِ الْهَرْجِ - وَهُوَ الْقَتْلُ -
فَكَمْ نَسَمِعُ مِنْ صُورِ التَّرْوِيعِ وَالْإِرْهَابِ، وَأَخْبَارِ الْفَوْضَى وَالِدَّمَارِ
وَالْإِضْطِرَابِ: تَحْرِيْبٌ وَتَفْجِيرَاتٌ، اخْتِطَافٌ وَاعْتِيَالَاتٌ، نَسْفٌ لِعَامِرِ
الْبِنَايَاتِ، وَتَدْمِيرٌ لِعَامِرِ الْمُمْتَلِكَاتِ، فَكَمْ أَهْلَكْتَ مِنْ نُفُوسٍ، وَأَلْحَقْتَ
مِنْ أَضْرَارٍ، وَدَمَّرْتَ مِنْ عَمَارٍ، وَأَحْدَثْتَ قَتْلًا وَجَرَحِيًّا وَمُشَوِّهِيْنَ،
وَتَكْلِيًّا وَيَتَامِيًّا، وَمُصَابِيْنَ وَمُعَاقِيْنَ. يَعْمَدُ لِذَلِكَ أَقْوَامٌ ذُووْ نُفُوسٍ
مَرِيضَةٍ، وَضَمَائِرَ مَيْتَةٍ، وَذَمَمٍ ضَعِيفَةٍ، مِمَّنْ تَأَصَّلَ الْجَهْلُ وَالْعُنْفُ فِي
نُفُوسِهِمْ، حَتَّى طَفَحَ كَيْدُهُمْ، وَتَطَاوَلَ شَرُّهُمْ، فَرُحِمَاكَ رَبَّنَا رُحْمَاكَ!
وَعَفْوِكَ يَا مَوْلَانَا وَعَافِيَتِكَ يَا اللَّهُ!!

فَمَاذَا يُرِيدُ أَوْلِيَاكَ الْقَوْمُ؟ وَمَا أَهْدَأْفُهُمْ؟ وَمَنْ يَقِفُ وَرَاءَهُمْ؟
وَلِمَصْلَحَةٍ مَنْ يَتَحَرَّكُونَ؟ وَأَيْنَ عُقْلَاءُ الْأُمَّةِ عَنْ تَطَايُرِ شَرِّهِمْ؟ فَإِنْ
لَمْ يَتَدَارَكُوها يَكُنْ ضِرَامُهَا جُثًّا وَهَامًا، وَيَحْصُلُ مَا لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ. أَيُّ
دِينٍ وَعَقْلٍ وَعُرْفٍ يُقَرُّ هَذِهِ الْأَعْمَالُ الشَّيْعِيَّةُ؟ بَلْ أَيْنَ الْمُرُوءَةُ وَالرَّحْمَةُ
الْإِنْسَانِيَّةُ؟ أَيُّ قَلْبٍ هَذَا، الَّذِي يَسْتَهِينُ بِالْأَنْفُسِ وَالْمُتَلَكَّاتِ؟
وَأَيُّ عَقْلٍ هَذَا الَّذِي يُقَدِّمُ عَلَى الْإِضْرَارِ بِالْأَمْنِيْنَ، سِوَاءِ أَكَانَ
فِعْلًا أَمْ قَوْلًا؟ بَلْ أَيُّ نَفْسٍ تَلِكُ الَّتِي تَلْدُ لِسْفِكَ الدِّمَاءِ وَتَتَأَثَّرُ

الأشلاء؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٨١﴾ [يونس]، مَنْ أَجَجَ ذَلِكَ؟ وَمَا حَقِيقَتُهُ وَأَسْبَابُهُ، وَمَظَاهِرُهُ وَأَشْكَالُهُ، وَأَخْطَارُهُ وَأَثَارُهُ؟ ثُمَّ مَا طَرِيقَةُ عِلاجِهِ؟

وَإِذَا كَانَ الْحُكْمُ عَلَى الشَّيْءِ فَرَعًا عَنْ تَصَوُّرِهِ، فَإِنَّ حَقِيقَتَهُ تَكْمُنُ فِي كُلِّ عَمَلٍ يَجْلِبُ الرَّهْبَةَ وَالْإِخَافَةَ لِلْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، مِنْ غَيْرِ مُسَوِّغٍ شَرْعِيٍّ صَحِيحٍ.

وَأَسْبَابُهُ كَثِيرَةٌ، أَهْمُهَا: ضَعْفُ الْوَاظِعِ، وَقَلَّةُ الرَّادِعِ، وَالْجَهْلُ وَالْحُمُقُ وَالْكَيدُ، وَإِفْرَازَاتُ تَرْبِيَّةٍ عَلَى مَنَاهِجِ مَشْبُوهِةٍ، وَالنَّظَرَةُ الضَّيِّقَةُ الْعَجَلَى لِلْآخِرِينَ، مَعَ مَا يُوجَدُ فِي الْأُمَّةِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ التَّنَافُضَاتِ وَالْإِزْدِوَاجِيَّةِ فِي بَعْضِ الْمَجَالَاتِ.

إِنَّ الْإِزْهَابَ بِكُلِّ صُورِهِ وَأَشْكَالِهِ مَمْقُوتٌ، بَعِيدٌ كُلُّ الْبُعْدِ عَنْ جَوْهَرِ الْإِسْلَامِ، وَتُبِّلَ مَقَاصِدِهِ، وَسُمُوُّ تَشْرِيعَاتِهِ، وَعَدُوُّ لِأَخْلَاقِيَّاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَحُسْنِ سُلُوكِهِمْ. إِنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ تَجْفِيفِ يَنَابِيعِ الْإِزْهَابِ بِشَتَّى صُورِهَا، بِمَا فِي ذَلِكَ الْإِزْهَابِ الْفِكْرِيُّ وَالْأَخْلَاقِيُّ، الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ الْقَنَوَاتُ الْفَضَائِيَّةُ، وَتَقْضِي عَلَى الْعِفَّةِ وَالْحَيَاءِ وَالغَيْرَةِ.

كَمَا لَا بَدَّ مِنَ الْبَحْثِ بِجِدِّيَّةٍ عَنْ أَسْبَابِهِ وَعَوَامِلِ وُجُودِهِ، وَاتِّخَاذِ آيَةٍ
 سَلِيمَةٍ لِيُوقَفَ امْتِدَادِهِ، وَمَنْهَجِيَّةٍ صَاحِحَةٍ تَقُومُ عَلَى الْفَهْمِ وَالْبَيَانِ،
 وَالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، وَتَسْتَنْيرُ بِنُورِ التَّعْقُلِ فِي الْأُمُورِ، وَاتِّخَاذِ الْحِكْمَةِ فِي
 الْمَوَاقِفِ، وَضَبْطِ النُّفُوسِ بِأَعْنَةِ^(١) النَّظَرِ الْعَمِيقِ، وَإِيثارِ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ.
 كَمَا يَجِبُ أَنْ تَرْتَبِطَ الْأَجْيَالُ النَّاشِئَةُ بِعُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ الْمُوثِقِينَ، وَمُعَالَجَةِ
 التَّنَاقُضِ وَالشُّنَائِيَّةِ الَّتِي تَعِيشُهَا الْأُمَّةُ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَجَالَاتِهَا.

وَمِنَ الْمُسْلِمَاتِ لَدَى أَهْلِ الْإِخْتِصَاصِ، أَنَّ الْإِرْهَابَ لَا عَقِيدَةَ لَهُ،
 وَلَا وَطْنَ لَهُ، كَمَا أَنَّ الْعُنْفَ لَا يُعَالَجُ بِمِثْلِهِ، وَلَا يُجُوزُ أَبَدًا أَنْ يُجْمَلَ
 الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ مَطِيَّةَ الْإِرْهَابِ، وَيَتَصَوَّرُ أَنَّهُمْ سَبَبُ التَّصَادُمِ
 الْحَضَارِيِّ، وَفِي نِهَايَةِ الْمَطَافِ، قَوْلُ اللَّهِ هُوَ الْفَضْلُ: ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ
 فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، وَاللَّهُ
 الْمُسْتَعَانُ!

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَإِذَا كُنَّا - نُصْحًا وَتَسَدِيدًا - نُعَالِجُ الْإِرْهَابَ عِنْدَ
 الْبَعْضِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ أَلَّا نُغْمِضَ الْعَيْنَ أَبَدًا، عَنْ إِرْهَابِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ،

(١) أَعْنَةٌ: جَمْعُ عَنَّانٍ، يُقَالُ: عَنَّانُ السَّمَاءِ، أَي: صَفَائِحُهَا وَمَا اعْتَرَضَ مِنْ أَقْطَارِهَا.

يُنْظَرُ: «الصَّحَاحُ» (عَنَّان).

الَّذِي بَلَغَ حَدًّا لَا يُطَاقُ، بِتَأْمُرٍ مِنْ بَعْضِ الْقُوَى الدَّوْلِيَّةِ فِي الْعَالَمِ،
وَلَنُكْتَفِ بِمِثَالَيْنِ اثْنَيْنِ عَلَى ذَلِكَ:

أَوَّلُهُمَا: مَا يَجْرِي عَلَى ثَرَى فِلِسْطِينَ الْمَجَاهِدَةِ، وَالْقُدْسِ الْمُسْلِمَةِ
السَّلْبِيَّةِ، لَأَسِيْمًا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَعِيشُ فِيهَا أُمَّتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ ذِكْرِي
مُؤَلَّةً عَلَى النُّفُوسِ الْمُسْلِمَةِ، هِيَ ذِكْرِي إِحْرَاقِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الْمُبَارَكِ،
أَوْلَى الْقِبْلَتَيْنِ، وَمَسْرَى سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِمَا يُؤَكِّدُ
لِبَعْضِ الْمَخْدُوعِينَ مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ نَقْضَةُ لِلْعُهُودِ
وَالْمَوَاطِئِ، نَكْثَةُ لِلْوُعُودِ وَالْقَرَارَاتِ، وَأَنَّ عِدَاءَهُمْ لَنَا عِدَاءٌ عَقِيدَةٌ عَبْرَ
التَّأْرِيخِ، وَمَا فَعَلُوهُ مِنَ الْجَرَائِمِ الشَّنْعَاءِ، فِي قُدْسِنَا وَفِلِسْطِينِنَا،
وَيَفْعَلُونَهُ فِي هَذِهِ الْأَوْنَةِ، مِنْ مُحَاوَلَةِ تَهْدِيدِ الْمُقَدَّسَاتِ، وَالتَّوَسُّعِ فِي بِنَاءِ
المُسْتَوْطِنَاتِ، وَتَغْيِيرِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ، مَا هُوَ إِلَّا نَهَاجٌ مِنْ خِيَانَاتِهِمْ
المَكْشُوفَةِ، وَدَنَاءَتِهِمْ الْمَفْضُوحَةِ، فَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ! وَلَكِنْ يَا لَيْتَ
قَوْمَنَا يَعْلَمُونَ.

وَالْمِثَالُ الثَّانِي: هُوَ إِزْهَابُ الصَّرْبِ الطَّالِمِينَ - هَذِهِ الْأَيَّامِ - ضِدًّا
إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ فِي إِقْلِيمِ كُوسُوفَا الْمُسْلِمَةِ، تِلْكَ الْقَضِيَّةُ الْمَنْسِيَّةُ
المَخْدُولَةُ، وَيُحْشَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ تَبَلُّدِ أَحَاسِيْسِ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ؛
لِكَثْرَةِ مَا يَسْمَعُونَ مِنَ الْمَاسِي. فَعَجِيبٌ ذَلِكَ الصَّمْتُ الرَّهِيْبُ،



وَالسُّكُوتُ الْمُرِيبُ، عَلَى مَا يَجْرِي هَذَا الشَّعْبِ الْمُسْلِمِ الْجَرِيحِ! لَقَدْ
 اقْتَرَفَ الصَّرْبَ الْمُعْتَدُونَ - تَبَّتْ أَيْدِيهِمْ - أَلْوَانًا مِنْ صُورِ الْوَحْشِيَّةِ
 الدَّمَوِيَّةِ، ضِدَّ الْأَبْرِيَاءِ فِي كُوسُوفَا، أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ مَلَائِينَ مُسْلِمٍ
 مُهَدَّدُونَ بِالْقُصْفِ الْجَوِيِّ وَالْمَدْفَعِيِّ، وَالْإِعْتِدَاءِ وَالتَّقْتِيلِ، وَالتَّهْجِيرِ
 وَالتَّدْمِيرِ، حَتَّى بَلَغَ عَدْدُ مَنْ هَاجَرَ مِنْهُمْ - خِلَالَ الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ الْمَاضِيَةِ -
 مَا يُقَارِبُ السَّبْعِينَ أَلْفًا.

إِنَّهَا مَشَاهِدُ مَأْسُوِيَّةٌ مُجَدِّدٌ فِي الْأَذْهَانِ مَأْسَاةٌ إِخْوَانَنَا فِي الْبُوسَنَةِ
 وَالهَرَسِكِ، الَّتِي سَجَّلَهَا التَّأْرِيخُ بِمِدَادِ قَاتِمٍ لِلصَّرْبِ الْمُعْتَدِينَ. أَلْفُ
 الْقَتْلَى، وَعَشْرَاتِ الْأَلْفِ مِنَ الْجُرْحَى، رِجَالًا وَنِسَاءً وَشُيُوخًا
 وَأَطْفَالًا، فِإِلَى مَتَى وَالْعَالَمُ يُتَفَرَّجُ؟ هَلْ بَعْدَ هَذَا الْإِرْهَابِ مِنْ
 إِرْهَابٍ؟ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا هُوَ الْإِرْهَابُ فَمَا هُوَ الْإِرْهَابُ إِذَا؟ إِلَى
 اللَّهِ الْمُشْتَكَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!!

وَمَا يُؤْمِلُ كُلَّ غَيُورٍ، أَنَّ أَصْوَاتَ الْمُسْلِمِينَ لَا تَزَالُ خَافِتَةً، حَتَّى
 بِالتَّنْذِيرِ وَالشَّجْبِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْمَشِينَةِ، أَمَا التَّحَرُّكُ الْجَادُّ فَيُخَشَى أَنْ
 يُصَابَ الْغَيُورُونَ بِالْإِحْبَاطِ، وَهُمْ يَرُونَ رِجَالَ أُمَّتِهِمْ مَكْتُوفِي الْأَيْدِي،
 لَا تُوقِظُهُمُ الْأَحْدَاثُ، وَلَا تُحَرِّكُهُمُ الْمَاسِي، فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ!

وَلَكِنْ لَعَلَّ فِي طَيِّبَاتِ الْمَحَنِ مِنْحًا، وَفِي ثَنَائِهَا الْآلَامِ آمَالًا، وَفِي
خِصَمِّ الرَّزَايَا وَالْبَلَايَا عَطَايَا، وَالْبُرِّ لَا يَبُلُّ، وَالذَّنْبُ لَا يُنْسَى، وَالذِّيَانُ
لَا يَمُوتُ، وَالتَّأْرِخُ شَاهِدُ صِدْقٍ لَا يَغِيبُ، وَرَقِيبٌ عَدْلٍ لَا يَخِيبُ،
وَسُنَنُ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ وَخَلْقِهِ لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ، وَمَا أَكْثَرَ الْعِبْرَةَ، وَمَا أَقْلَ
الْإِعْتِبَارَ! وَالنَّصْرُ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَذَلِكَ وَعَدُّ اللَّهِ الَّذِي لَا يُخْلَفُ
الْمِيعَادَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ أَنْ يُضْلِحَ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَنْ
يُهَيِّجَ هُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ رَشَدًا، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، أَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ، وَأَسْتَغْفِرُ
اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ،
إِنَّهُ عَفُوفٌ غَفُورٌ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا كَمَا أَمَرَ، وَأَشْكُرُهُ، وَقَدْ تَأَذَّنَ بِالزِّيَادَةِ لِمَنْ
شَكَرَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِرْغَامًا لِمَنْ جَحَدَ بِهِ وَكَفَرَ، وَأَشْهَدُ
أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الشَّافِعُ الْمُسْتَفْعُ فِي الْمَحْشَرِ، صَلَّى اللَّهُ
وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ السَّادَةِ الْغُرَرِ^(١)، وَمَنْ تَبِعَهُمْ
بِإِحْسَانٍ، مَا اتَّصَلَتْ أُذُنٌ بِخَيْرٍ، وَعَيْنٌ بِنَظَرٍ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾
[البقرة: ٢٨١] ، وَاَعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ
مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ،
فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْعَالَمَ الْيَوْمَ يَنْشُدُ الصُّورَةَ الصَّحِيحَةَ لِلْإِسْلَامِ، بَعْدَ
أَنْ أَفْلَسَتْ الشُّعَارَاتُ، وَظَهَرَ عَوَارُ كَثِيرٍ مِنَ النُّظْمِ وَالنَّظَرِيَّاتِ، كَمَا أَنَّهُ

(١) الْغُرَرُ: الشُّرَفَاءُ: وَالْأَعْرُ: الشَّرِيفُ، وَقَدْ عَرَّ الرَّجُلُ يَعْزُّ: شَرُفَ. يُنْظَرُ: «تاج
العروس» (غرر).

يَتَطَلَّعُ إِلَى مُسْتَقْبَلٍ أَفْضَلَ يَتَقَيَّأُ مِنْ خِلَالِهِ ظِلَالَ هَذَا الدِّينِ الْقَوِيمِ، مِمَّا
يَتَطَلَّبُ الْجِدَّ فِي تَطْيِيقِ الْإِسْلَامِ الْحَقِّ، وَالْعَمَلَ بِمَحَاسِنِهِ الْفَرِيدَةِ،
وَمَزَايَاهِ الْحَمِيدَةِ، وَالنُّهُوضَ بِمُسْتَوَى الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَتَنَسِيقَ الْجُهُودِ
بَيْنَ الْجِهَاتِ الْقَائِمَةِ بِذَلِكَ، وَتَسْخِيرَ آيَاتِ الْعَصْرِ وَتَقَاتِيهِ الْحَدِيثَةِ،
لَأَسِيَّاءِ الْوَسَائِلِ الْإِعْلَامِيَّةِ، وَالْقَنَوَاتِ الْفَضَائِيَّةِ لِخِدْمَةِ هَذَا الْغَرَضِ
النَّبِيلِ، وَمُتَابَعَةَ قَضَايَا أُمَّتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ، وَأَحْوَالِ إِخْوَانِنَا فِي الْعَقِيدَةِ فِي
كُلِّ مَكَانٍ مِنَ الْعَالَمِ، وَإِظْهَارِ مَنْهَجِ الْإِسْلَامِ الْوَسَطِ بَيْنَ الْغَالِي فِيهِ
وَالجَانِبِ عَنْهُ، وَمُعَاجَلَةِ ظَوَاهِرِ الْمُخَالَفَةِ هَذَا الْمَنْهَجِ بِالِدَّوَاءِ النَّاجِعِ^(١)،
حَتَّى تَنْصَرِفَ الْأُمَّةُ لِلْبِنَاءِ الْحَضَارِيِّ فِي كُلِّ الْمَجَالَاتِ، وَيَتَحَقَّقُ عِزُّهَا
وَمَجْدُهَا، وَتَعُودَ لَهَا مَكَانَتُهَا الْمَرْمُوقَةُ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ.

وَإِنَّهُ لَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، مَا حَبَّأَهَا مِنْ
خَصَائِصٍ وَمَزَايَا، أَصْبَحَتْ مِنْ خِلَالِهَا مَحَطَّ أَنْظَارِ الْعَالَمِ - بِحَمْدِ اللَّهِ -
وَمَا وَفَّقَهَا إِلَيْهِ مِنْ دَعْمٍ لِقَضَايَا الْمُسْلِمِينَ، وَتَمَسَّكَ بِالثَّوَابِتِ وَالْأُصُولِ،
وَسَعَى دُؤُوبٍ فِي كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ إِعْزَازَ دِينِ اللَّهِ، وَتَفْقُودِ احْتِيَاجَاتِ
الْمُسْلِمِينَ، وَإِقَامَةَ الْمَرَاكِزِ وَالْمَسَاجِدِ فِي كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ الْعَالَمِ، وَرِعَايَةَ

(١) سبق بيان معناها (ص ١٧٣).

الأقليات الإسلامية فيها، وتلك جهودٌ مذكورةٌ مشكورةٌ، وعند
النصفِ غيرِ منكورةٍ ولا مطمورةٍ، جعلها الله خالصةً لوجهه الكريم،
وزادها من الخير والتوفيق، بمنه وكرمه.

وَإِذَا كُنَّا نَعِيشُ هَذِهِ الْأَيَّامَ مُرُورَ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ عَلَى تَوْحِيدِهَا،
فَإِنَّا نَسْأَلُ اللَّهَ أَلَّا يَزِيدَهَا مُرُورَ الْأَيَّامِ إِلَّا ثَبَاتًا عَلَى الْحَقِّ، وَمَزِيدًا مِنَ
الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي خِدْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَنُضْرَةَ قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ، إِنَّهُ جَوَادٌ
كَرِيمٌ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ، وَالنَّعْمَةِ
الْمُسَدَاةِ، نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، كَمَا أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ - جَلَّ فِي عُلَاه - فَقَالَ
- عَزَّ مِنْ قَائِلٍ -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].

فَلْتَتَّقِ اللَّهَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - وَلْيُقِمِ كُلُّ مِنَّا بِوَجْهِهِ تَجَاهَ دِينِ اللَّهِ،
وَلْنُكُنْ أَعْيُنًا سَاهِرَةً فِي خِدْمَةِ دِينِنَا، وَالْحِفَاطِ عَلَى بِلَادِنَا وَمَجْتَمَعَاتِنَا مِنَ
الْعَابِثِينَ وَكَيْدِ الْكَائِدِينَ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.
كَمَا يَنْبَغِي الْعِنَايَةَ بِالْمَحَاسِبَةِ وَالتَّقْوِيمِ - بِأَنْفُسِنَا - لِيُوتَاتِنَا وَأُسْرِنَا،
فَإِنَّهَا نَوَآءُ صَلَاحِ أُمَّتِنَا وَمَجْتَمَعَاتِنَا، وَلَعَلَّ مَا يَعِيشُهُ بَعْضُ النَّاسِ، لَأَسِيًّا

مِنَ الطُّلَّابِ وَالطَّالِبَاتِ، وَأَوْلِيَاءِ أُمُورِهِمْ مِنْ قُرْبِ نِهَائِيَةِ الْإِجَازَةِ
الصَّيْفِيَّةِ مَدْعَاةً لِلْمُحَاسَبَةِ الدَّقِيقَةِ، وَالْإِنَابَةِ الْمُخْلِصَةِ، حَتَّى يُنْطَلِقَ
الْجَمِيعُ بِخُطَى رَاسِخَةٍ، عِلْمًا وَعَمَلًا وَدَعْوَةً، وَإِضْلَاحًا لِكُلِّ مَا فِيهِ
سَعَادَةُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، وَاللَّهُ خَيْرُ مُعِينٍ وَنَصِيرٍ، لِلْعَامِلِينَ لِخِدْمَةِ دِينِهِمْ
وَأُمَّتِهِمْ وَمُجْتَمَعَاتِهِمْ.

الْأَخْلَاقُ الْعَالَمِيَّةُ:

رُؤْيَا شَرِيعَتِنَا، وَرُؤْيَا إِصْلَاحِيَّتِنَا

الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُكَ رَبِّي، وَنَسْتَعِينُكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ
إِلَيْكَ، وَتُؤْمِنُ بِكَ وَتَتَوَكَّلُ عَلَيْكَ، وَتُثْنِي عَلَيْكَ الْحَيْرَ كُلَّهُ، وَنَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَالْوَاحِدُ لَا يَدَّلُكَ، كُلُّ شَيْءٍ
هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَكَ، سُبْحَانَكَ رَبَّنَا مَا أَعْظَمَكَ! سُبْحَانَكَ إِلَهَنَا مَا
أَكْرَمَكَ! سُبْحَانَكَ مَوْلَانَا مَا أَحْلَمَكَ! سُبْحَانَكَ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ،
وَأَحَقُّ مَنْ عُبِدَ، وَأَنْصَرُ مِنَ ابْتِغَايَ، وَأَرَأْفُ مِنْ مَلَكٍ، وَأَجْوَدُ مَنْ سُئِلَ،
وَأَوْسَعُ مَنْ أُعْطِيَ!

لَنْ تُطَاعَ إِلَّا بِإِذْنِكَ، وَلَنْ تُعْصَى إِلَّا بِعِلْمِكَ، تُطَاعُ فَتَشْكُرُ، وَتُعْصَى
فَتَغْفِرُ، الْقُلُوبُ لَكَ مُفْضِيَةٌ، وَالسَّرُّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ، الْحَلَالُ مَا أَحَلَلْتَ،
وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمْتَ، وَالِدِّينُ مَا شَرَعْتَ، وَالْخَلْقُ خَلْقُكَ، وَالْعَبْدُ عَبْدُكَ،
وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ، أَقْرَبُ شَهِيدٍ، وَأَدْنَى حَفِيظٍ، حُلَّتْ دُونَ النُّفُوسِ،
وَأَخَذَتْ بِالنَّوَاصِي، وَكَتَبَتْ الْأَثَارَ، وَنَسَخَتْ الْأَجَالَ، وَأَنْتَ اللَّهُ
الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِي.

وَنَشْهَدُ أَنْ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَمُصْطَفَاكَ وَخَلِيلُكَ،

كَرِيمُ السَّجَايَا، عَظِيمُ الشَّائِلِ، شَرِيفُ الْخِصَالِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ خَيْرِ صُحْبَةٍ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْمَالِ،
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ: أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَشْكُرُهُ
عَلَى جَزِيلِ النِّعْمَاءِ، وَسَوَابِغِ الْأَلَاءِ، وَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ
وَجَلَّ - فَهِيَ النَّبْرَاسُ الْوَضَاءُ، وَالسَّلَاحُ الْمَضَاءُ، وَهِيَ الْحِصْنُ الْحَصِينُ
فِي السَّرَّاءِ وَاللَّوَاءِ^(١)، وَالذَّخِيرَةُ النَّافِعَةُ فِي الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، هِيَ الْعُدَّةُ
فِي الْأَزْمَاتِ، وَطَوْقُ النَّجَاةِ فِي الْمَلَمَّاتِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: سَجِّلُ التَّأْرِيخِ الْحَافِلِ شَاهِدُ صِدْقٍ لَا يَغِيبُ،
وَمِرَاةُ الزَّمَانِ الصَّافِيَةِ، رَقِيبُ عَدْلِ لَا يَخِيبُ، وَسُنَنُ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ
وَخَلْقِهِ نَوَامِيسُ حَقٌّ لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَغِيبُ، وَالْمُسْتَقْرِيُّ لِمُكْتَسَبَاتِ الْأُمَّمِ
الْحَضَارِيَّةِ، وَأَعْجَادِ الشُّعُوبِ التَّأْرِيخِيَّةِ، يَجِدُ أَنَّ مَرَدَّهَا يَكْمُنُ فِي الْحِفَاطِ
عَلَى الْمَقَوِّمَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَالْمَبَادِيِ وَالْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، وَيُحْطَى مَنْ يُحِيلُ
ذَلِكَ إِلَى أَسْبَابٍ مَادِّيَّةٍ أَوْ تِقَانَاتٍ دُنْيَوِيَّةٍ، وَنَحْنُ - أُمَّةُ الْإِسْلَامِ - نَسْتَيْقِنُ

(١) سبق بيان معناها (ص ٢٦٢).

يَقِينًا لَا يَعْتَرِيهِ شُكٌّ وَلَا مِرَاءٌ، أَنْ قِيَمَةَ الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ تَكْمُنُ فِي عَقِيدَةِ
تَضْبِطِ النُّفُوسِ، وَإِيْمَانِ فِي شِعَافِ^(١) الْقُلُوبِ مَغْرُوسٍ، وَعَمَلِ صَالِحٍ
يُعْلِي شَرِيفَ الْمَرَاتِبِ، وَيَرْفَعُ الرَّؤُوسَ، وَأَنَّ عَقِيدَتَنَا الْإِسْلَامِيَّةَ هِيَ
مَصْدَرُ عِزَّتِنَا، وَرَمْزُ قُوَّتِنَا، وَأَسَاسُ حَضَارَتِنَا؛ ذَلِكَ لِأَنَّهَا تَنْزِيلٌ مِنْ

حَكِيمٍ حَمِيدٍ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٤﴾ [الملك]،
وَالْإِنْسَانِيَّةَ بِلَا مُعْتَقَدٍ صَحِيحٍ، وَالْبَشَرِيَّةَ بِدُونِ شَرْعِ قَوِيمٍ، تَتَحَوَّلُ إِلَى
أَسْرَابٍ مِنَ السَّبَاعِ الضَّارِيَةِ، وَالْوُحُوشِ الْكَاسِرَةِ، يَتَسَلَّطُ قُوِّيَهَا عَلَى
ضَعِيفِهَا، فِي حَيَاةٍ مَلُؤَهَا الْأَضْطِرَابُ وَالْفَوْضَى.

وَهَكَذَا كَانَتْ حَيَاةُ النَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَهَكَذَا يُضْبِحُونَ عِنْدَ
غِيَابِ الْمَبَادِي السَّامِيَّةِ، وَالْقِيَمِ الرَّفِيعَةِ، وَالْمَثَلِ الْعُلْيَا، وَتَعَلَّبِ سُلْطَانِ
الْهُوَى عَلَى نُورِ الْهُدَى، وَنَفْسِي مَسَالِكِ الْغَدْرِ وَالْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ، وَالظُّلْمِ
وَالتَّسَلُّطِ وَالْعُدْوَانِ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

إِنَّ الدِّينَ الْحَقَّ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - يَكْبَحُ جِمَاحَ الشَّهَوَاتِ، وَيُهْدُبُ
الْغَرَائِزَ وَالنَّزَوَاتِ، وَيَسْلُكُ بِأَتْبَاعِهِ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَالْمَكْرَمَاتِ،
وَيَدُلُّ عَلَى الْهُدَايَةِ وَالْفَضِيلَةِ، وَيُنَاقِ بِأَهْلِهِ عَنِ سُبُلِ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالَةِ

(١) تقدم شرحها (ص ٤٩٠).

وَالرَّذِيْلَةِ، إِنَّهُ دِيْنٌ يَفِيْضُ رَحْمَةً وَعَدْلًا وَأَمَانًا، وَيَنْضَحُ خَيْرًا وَسَلَامًا
وَحَنَانًا، مِنْ مَقَاصِدِهِ الْعُظْمَى: حِفْظُ الدِّيْنِ وَالْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ
وَالْعُقُولِ وَالْأَعْرَاضِ.

يَقُوْلُ الْإِمَامُ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ - رَحِمَهُ اللّهُ -: «إِنَّ اللّٰهَ أَرْسَلَ
الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ؛ لِإِقَامَةِ مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَدَفْعِ
مَفَاسِدِهَا»^(١).

وَيَقُوْلُ الْإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ - رَحِمَهُ اللّهُ -: «الْمُعْتَمَدُ إِنَّمَا هُوَ أَنَا اسْتَقْرَأْنَا
مِنَ الشَّرِيْعَةِ أُمَّهَا وَضَعْتَ لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ، اسْتِقْرَاءً لَا يُنَازَعُ فِيهِ
أَحَدٌ»^(٢).

وَيَقُوْلُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللّهُ -: «إِنَّ اللّٰهَ - سُبْحَانَهُ -
أَرْسَلَ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ؛ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ، وَمَنْ عَلَيْهِمْ بِهِذِهِ
الشَّرِيْعَةِ الَّتِي مَبْنَاهَا عَلَى الْحِكْمِ وَمَصَالِحِ الْعِبَادِ، فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ،
وَهِيَ عَدْلٌ كُلُّهَا، وَرَحْمَةٌ كُلُّهَا، وَحِكْمَةٌ كُلُّهَا، فَكُلُّ مَسْأَلَةٍ خَرَجَتْ عَنِ
الْعَدْلِ إِلَى الْجَوْرِ، وَعَنِ الرَّحْمَةِ إِلَى ضِدِّهَا، وَعَنِ الْمَصْلَحَةِ إِلَى الْمَفْسَدَةِ،

(١) يُنظَرُ: «الفوائد في اختصار المقاصد» (ص ٣٢).

(٢) يُنظَرُ: «الموافقات» (٦/٢).



وَعَنِ الْحِكْمَةِ إِلَى الْعَبَثِ، فَلَيْسَتْ مِنَ الشَّرِيعَةِ»^(١).

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الدِّينُ الْخَالِدُ عَلَى مَرِّ
الْقُرُونِ، وَهُوَ عُنْصُرُ الْحَيَاةِ وَنَبَاؤُهَا، كَتَبَ اللَّهُ بَقَاءَهُ، وَضَمَّنَ حِفْظَهُ،
وَجَعَلَهُ صَالِحًا لِكُلِّ الْأَعْصَارِ وَالْأُمُصَارِ.

إِنَّهُ دِينُ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالسَّلَامِ، وَدِينُ الْمَحَبَّةِ وَالسَّمَاحَةِ وَالْوِثَامِ،
لَا خَيْرَ لِلْبَشَرِيَّةِ إِلَّا فِي ظِلِّ تَعَالِيمِهِ، وَلَا عِزَّ لِلْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا بِتَطْبِيقِهِ
وَتَحْكِيمِهِ.

إِنَّهُ دِينُ الْمَحَاسِنِ وَالْمَكَارِمِ وَالْفَضَائِلِ، يَبْنِي كَيَانَ الْأُمَّةِ وَلَا يَهْدِمُ،
وَيَجْمَعُ أَبْنَاءَهَا وَلَا يُفَرِّقُ، يَسْعَى إِلَى التَّشْيِيدِ وَالْإِعْمَارِ، لَا إِلَى الْخَرَابِ
وَالْفَسَادِ وَالذَّمَارِ، جَاءَ بِقَطْعِ دَابِرِ الْجُرِيمَةِ، وَاجْتِنَاثِ أَسْبَابِ الشَّرِّ
وَالْفَسَادِ، وَاسْتِئْصَالِ شَأْفَةِ^(٢) الْعُنْفِ وَالْإِرْهَابِ.

مِنْ قَوَاعِدِهِ الْكُبْرَى: جَلْبُ الْمَصَالِحِ وَدَرْءُ الْمَفَاسِدِ، وَإِزَالَةُ الضَّرَرِ،
وَرَفْعُ الْحَرْجِ، وَسَدُّ الدَّرَائِعِ.

رِسَالَتُهُ عَالَمِيَّةٌ، وَمَنْهَجُهُ الْإِعْتِدَالُ وَالْوَسْطِيَّةُ، وَأَهْدَافُهُ إِقَامَةُ الْحَقِّ
وَالْعَدْلِ، وَإِرْسَاءُ دَعَائِمِ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ، وَتَرْكِيَّةُ النُّفُوسِ، وَتَهْدِيدُ

(١) يُنظر: «إعلام الموقعين» (٣/٣).

(٢) سبق بيان معناها (ص ٩٠).



الضَّمَائِرِ، وَتَرْبِيَّةِ أَجْيَالٍ تَسْعَى إِلَى الصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ؛ لِإِسْعَادِ الْأَفْرَادِ
وَالْمُجْتَمَعَاتِ: إِعْمَارًا وَبِنَاءً، وَنَفْعًا وَإِنْتِهَاءً.

كَمَا كَفَلَ هَذَا الدِّينُ حُقُوقَ الْإِنْسَانِ بِجِدَارَةٍ، فَكَرَّمَهُ وَرَفَعَ مَكَانَتَهُ،
وَأَعْلَى قَدْرَهُ وَفَضَّلَهُ، حِينَ تَسَفَّلَتْ بِمُسْتَوَاهِ الْمَادِّيَّاتِ، وَزَكَّى نَفْسَهُ حِينَهَا
أَسْنَتْ^(١) بِهِ الشُّعَارَاتِ، وَاسْتَخَفَّتْ بِهِ إِلَى حَضِيضِ الْبَهِيمِيَّاتِ، وَوَازَنَ
بَيْنَ مُتَطَلِّبَاتِ رُوحِهِ وَجَسَدِهِ فِي تَنَاسُتٍ بَدِيعٍ وَتَكَامُلٍ فَرِيدٍ.

كَمَا رَعَى عِلَاقَةَ الْفَرْدِ بِمُجْتَمَعِهِ وَعِلَاقَاتِهِ مَعَ الْآخِرِينَ، وَأَقَامَ
جُسُورَ التَّوَاصُلِ بَيْنَ الْحَضَارَاتِ حِوَارًا بِنَاءً، وَعِزَّةً قَعَسَاءً، وَدَعْوَةً إِلَى
اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ، وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ، وَمُجَادَلَةً بِالْحُسْنَى، وَلَمْ يَقِفِ الْإِسْلَامُ
عَاجِزًا يَوْمًا مَا، أَمَامَ التَّطَوُّرَاتِ، بَلْ وَاكْبَهَا مَعَ التَّمَسُّكِ بِالْأُصُولِ
وَالثَّوَابِتِ وَالْكُلِّيَّاتِ، مِمَّا ضَمِنَ الْخُلُولَ النَّاجِعَةَ لِكُلِّ الْقَضَايَا
وَالْمُشْكَلَاتِ، وَتَحْقِيقَ السَّعَادَةِ الْمَرْجُوءَةِ لِلْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: تُؤَكِّدُ هَذِهِ الْمَقَاصِدُ الْكُبْرَى فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُتَابَعُ
فِيهِ الْمَرَاقِبُونَ بِقَلْقٍ بَالِغٍ تَدَاعِيَّاتِ الْأَحْدَاثِ الدَّوْلِيَّةِ، وَجُجْرِيَّاتِ
الْمُسْتَجِدَّاتِ الْعَالَمِيَّةِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَضْحُجُّ فِيهِ الْعَالَمُ مِنْ ظَاهِرَةٍ

(١) سبق بيان معناها (ص ١٧٢).

عَالَمِيَّةٍ خَطِيرَةٍ، ظَاهِرَةٌ تَقْضِي الْمَضَاجِعَ، وَتَدْعُ الدِّيَارَ بِلَاقِعٍ^(١)! لِمَا
تَحْمِلُهُ مِنْ كَوَارِثٍ وَفَوَاجِعَ، وَلِمَا يَكْتَنِفُهَا مِنْ أَهْوَالٍ وَفَطَائِعَ، مَهْمَا
كَانَتْ الْبَوَاعِثُ وَالذَّوَافِعُ، إِنَّهَا مَأْسَاءُ الْعَصْرِ، وَحَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعَةٍ!
إِنَّهَا مَا يُسَمَّى فِي عَالَمِ الْيَوْمِ بِظَاهِرَةِ الْإِرْهَابِ.

لَقَدْ تَحَطَّتْ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ حُدُودَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَالْهُويَّةِ، وَلَمْ
تَعُدْ مَحْدُودَةً أَوْ ضَيِّقَةً أَوْ فَرْدِيَّةً، بَلْ تَجَاوَزَتْ ذَلِكَ إِلَى التَّنْظِيمِ
الْإِجْرَامِيِّ الْمُسَلَّحِ، وَالْعُدُوانِ الْجَمَاعِيِّ الصَّارِخِ، وَزَرَعَتْ أَلْغَامَهُ
الْمَوْقُوتَةَ، وَقَتَابِلَهُ الْمَخْبُوءَةَ فِي الدُّنْيَا بِرُمَّتِهَا، وَتَجَرَّدَتْ خَلَائِهُ
الْمَمْقُوتَةَ، وَشَبَكَتُهُ الْمَافُونَةَ، مِنْ أَقَلِّ مَعَايِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالْقِيمِ الدِّينِيَّةِ،
وَالْمَثَلِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ، وَخَالَفَتْ جَمِيعَ الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ،
وَالْأَعْرَافِ وَالْمَوَاقِيقِ الدُّوَلِيَّةِ، وَكَارِثَةُ الْكَوَارِثِ حَيْثَمَا يَكُونُ أَرْبَابُهُ
مُرْتَدِينَ لِبَاسِ الدِّينِ، وَمُتَزَيِّينَ زِيَّ الْمُسْلِمِينَ!!

وَالْإِسْلَامُ الْحَقُّ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - بَرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَنُصُوصُهُ
الشَّرْعِيَّةُ، وَمَقَاصِدُهُ وَأَدَابُهُ الْمُرْعِيَّةُ، جَاءَتْ بِتَحْرِيمِ قَتْلِ الْأَنْفُسِ
الْمَعْصُومَةِ، وَإِزْهَاقِ الْأَرْوَاحِ، وَتَدْمِيرِ الْمُتَمَلِّكَاتِ، وَالْإِعْتِدَاءِ

(١) سبق بيان معناها (ص ٤٩٥).

عَلَى الْأَمْوَالِ وَالْحُقُوقِ، وَالسَّعْيِ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ۝٢٥٥﴾ [البقرة]، وَقَدْ حَرَّمَ الْإِسْلَامُ الظُّلْمَ وَالتَّظْلُمَ، وَأَمَرَ بِالْقِسْطِ وَالْعَدْلِ، حَتَّى مَعَ الْعَدُوِّ: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ﴾ [المائدة: ٨]، وَمَهَىٰ عَنْ سُلُوكِ مَسَالِكِ الْعُنْفِ وَالْفِظَاطَةِ: ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَّو كُنْتَ فِظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوهُ مِنْ حَوْلِكَ ۗ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وَفِي الصَّحِيحِ عِنْدَ مُسْلِمٍ ^(١) وَغَيْرِهِ ^(٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ يُجْرِمِ الرَّفْقَ يُجْرِمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ»، وَفِيهِ أَيْضًا: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ» ^(٣).

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَلَقَدْ بَلَيْتَ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِي أَعْقَابِ الزَّمَنِ

(١) برقم (٢٥٩٢) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٠٩)، وابن ماجه (٣٦٨٧)، وأحمد في «المسند» (٣٦٢/٤)

من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة - رضي الله عنها.

بِعَوَاصِفِ أَعْمَالِ الْعُنْفِ وَالتَّخْرِيبِ، وَحَوَادِثِ الشَّعْبِ وَالْإِرْهَابِ،
وَالْأَوْضَاعِ الرَّاهِنَةُ تُرْجِمُ ذَلِكَ بِجَلَاءٍ، مِمَّا هَزَّ الْعَالَمَ، وَأَصَابَهُ بِكَارِثَةِ
إِنْسَانِيَّةٍ، وَمُصَابِ جَلِيلٍ، وَخَطْبِ جَسِيمٍ.

فَكَمْ رَأَى الْمُتَابِعُ وَسَمِعَ مِنْ صُورِ التَّرْوِيعِ وَالْإِرْهَابِ، وَأَخْبَارِ
الدَّمَارِ وَالْإِضْطِرَابِ: تَخْرِيبٌ وَتَفْجِيرَاتٌ، قَتْلٌ وَاعْتِيَالَاتٌ، اخْتِطَافٌ
لِمَرْكَبَاتٍ وَطَائِرَاتٍ، نَسْفٌ لِعَامِرِ الْبِنَايَاتِ، وَتَدْمِيرٌ لِعَامِرِ الْمُمْتَلِكَاتِ،
فَكَمْ أَهْلَكَتْ مِنْ نُفُوسٍ، وَأَلْحَقَتْ مِنْ أَضْرَارٍ، وَدَمَّرَتْ مِنْ عَمَارٍ،
وَسَلَّتْ مِنْ افْتِصَادٍ، وَأَخْدَتَتْ قَتْلًا وَجَرْحًا وَمَفْقُودِينَ، وَأَسْفَرَتْ عَنْ
تُكَالِي وَيَتَامَى وَمُصَابِينَ.

يَعْمَدُ لِذَلِكَ أَقْوَامٌ ذُوو نُفُوسٍ مَرِيضَةٍ، وَضَمَائِرَ دَنِيئَةٍ، وَذِمَمٍ
ضَعِيفَةٍ، مِمَّنْ تَأَصَّلَ الْإِجْرَامُ فِي نُفُوسِهِمْ، حَتَّى طَفَحَ شَرُّهُمْ، وَتَطَاوَلَ
شَرُّهُمْ، فَبَعَثُوهَا عَظِيمَةً تَقْضِي عَلَى الْأَخْضَرِ وَالْيَابِسِ، فَرُحْمَاكَ رَبَّنَا
رُحْمَاكَ! وَعَفُوكَ يَا مَوْلَانَا وَعَافِيَتِكَ يَا اللَّهُ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ!!

فَمَا أَهْدَافُ الْقَوْمِ؟ وَمَاذَا يَرُومُونَ؟ وَمَنْ نَصِيرُهُمْ؟ بَلْ مَنْ
خَاذِلُهُمْ؟ وَأَيْنَ عَقْلَاءُ الْخَلِيقَةِ، وَشُرَفَاءُ الْعَالَمِ مِنْ مَكْرِهِمْ وَبَغْيِهِمْ؟ فَإِنْ
لَمْ يَتَذَكَّرُواهَا - وَلَاتِ سَاعَةَ مَنْدَمٍ - يَكُنْ ضَرَامُهَا جُثًّا وَهَامًّا، حِينَهَا
لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ.

أَيُّ دِينٍ وَعَقْلٍ وَعُرْفٍ يُقَرُّ هَذِهِ الْأَعْمَالُ الشَّنِيعَةَ؟ بَلْ أَيْنَ الْمُرُوءَةُ
وَالرَّحْمَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ؟ أَيُّ قَلْبٍ هَذَا الَّذِي يَسْتَهِنُ بِالْأَنْفُسِ وَالْمُمْتَلَكَاتِ؟
وَأَيُّ عَقْلٍ هَذَا الَّذِي يُقَدِّمُ عَلَى الْإِضْرَارِ بِالْآمِنِينَ، وَإِزْهَاقِ أَنْفُسِ
الْمَعْصُومِينَ؟ بَلْ أَيُّ نَفْسٍ تِلْكَ الَّتِي تَلْدُ لِسْفِكِ الدِّمَاءِ وَتَمْرِيعِ الْأَشْلَاءِ؟

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [٨١] ﴿ [يونس]، ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿ وَلَا نُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦]، ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢].

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: يَا بِيَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ! ثُمَّ يَا بِيَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ الْحَقِّ،
أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمَسَالِكُ الْمَرْذُولَةُ - فِي تَرْوِيعِ الْآمِنِينَ، وَزَعْرَعَةِ حَيَاةِ
الْمُطْمَئِنِّينَ، وَسُلُوكِ مَسَالِكِ الْعُنْفِ وَالْإِعْتِدَاءَاتِ، وَأَعْمَالِ التَّخْرِيبِ
وَالتَّفْجِيرَاتِ - طَرِيقًا إِلَى جَلْبِ الْحَيْرِ وَالْأَمْنِ لِلْبَشَرِيَّةِ، وَالْإِسْعَادِ
وَالْإِصْلَاحِ لِلْإِنْسَانِيَّةِ.

اسْتَمِعُوا - يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ - لِلْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى، الَّذِي أَرْسَلَهُ
اللَّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ - بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي - وَهُوَ يُؤْصِلُ مِنْهَجَ الْإِصْلَاحِ

لِلْأُمَّةِ، فَيَقُولُ فِي حَالَةِ الْحَرْبِ - فَمَا بِالْكُفْرِ بِحَالَةِ السَّلَامِ؟ :- «اغزوا باسمِ
اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغزُوا وَلَا تَغْلُوا،
وَلَا تَعْدُوا، وَلَا تُمْتَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا»، حَرَّجَهُ مُسْلِمٌ^(١). وَفِي لَفْظٍ:
«وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًّا، وَلَا طِفْلًا، وَلَا صَغِيرًا، وَلَا امْرَأَةً»^(٢).

أَيْنَ هَذِهِ التَّعَالِيمُ وَالصَّفْوَةُ مِنَ الْمَفَاهِيمِ؟ مِنْ أَقْوَامٍ أَيَّا كَانُوا
لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِالْعُنْفِ مَسْلُكًا وَالتَّخْرِيبِ مِنْهَجًا، وَسَفْكَ الدَّمَاءِ لِلتَّغْيِيرِ
وَالِإِصْلَاحِ طَرِيقًا، زَعَمُوا!! ثُمَّ لَا تَسْأَلُ عَنْ أخطَارِهَا الْبَالِغَةِ، وَأثارِهَا
وَأَبْعَادِهَا الدَّامِغَةِ، عَلَى مُسْتَقْبَلِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، لِأَسِيْمَا
الْجَالِيَّاتِ وَالْأَقْلِيَّاتِ الْمُسْلِمَةِ فِي أَنْحَاءِ الْعَالَمِ، وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَنْظُنَّ
أَوْ نَزْمِي بِإِثْمِ مُسْلِمًا بَرِيئًا.

يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِنَّ لَكُمْ فِي الْحَوَادِثِ لَعِبْرًا، وَفِي الْوَقَائِعِ
مُزْدَجْرًا وَمُدَّكْرًا، لَا بَدَّ مِنَ اللَّجَأِ إِلَى اللَّهِ، وَالْفَزَعِ إِلَيْهِ، فَلَا يَكْشِفُ
السُّوءَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ، فَلَا مَلْجَأَ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَخْضَلُ فِي هَذَا
الْكُونِ فَلَهُ فِيهِ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَالْقُدْرَةُ النَّافِذَةُ، وَهَذَا الْوَقْعُ لَوْ
لَمْ يُقَدَّرْ أَرَأَيْتَ لِمَا وَقَعَ ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

(١) برقم (١٧٣١) من حديث بريدة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦١٤)، والبيهقي في «الكبرى» (٩٠/٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مِنْ مَنَبِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، مِنْبِرِ الْحَقِّ
وَالْعَدْلِ وَالسَّلَامِ، نَخَاطِبُ الرَّأْيَ الْعَامَّ الْعَالَمِيَّ وَالِدَّوْلِيَّ،
وَنُنَادِي وَاضِعِي الْقَرَارِ فِي الْعَالَمِ، بِاتِّخَاذِ الْحِكْمَةِ فِي الْأَحْدَاثِ،
وَالتَّعَقُّلِ فِي الْمَوَاقِفِ، وَضَبْطِ النُّفُوسِ وَإِعْمَالِ النَّظَرِ الْعَمِيقِ،
وَإِيثَارِ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ، وَتَجَنُّبِ الْإِنْسَانِيَّةِ شُرُورِ الْكَوَارِثِ،
وَأَخْطَارِ الْحُرُوبِ وَالْحَوَادِثِ، وَإِحْلَالِ السَّلَامِ الْعَالَمِيِّ الْعَادِلِ،
وَدَعْمِ الْأَمْنِ الدَّوْلِيِّ الْمَشْهُودِ.

وَعَلَىٰ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ: أَنْ يَبِينُوا الْحَقَّ فِي هَذِهِ الْأَحْدَاثِ وَيُؤَصِّلُوهَا
بِالرُّؤْيَةِ الشَّرْعِيَّةِ الصَّائِبَةِ، وَالْمَنْظُورِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُتَمَرِّنِ، حَتَّىٰ تَتَجَلَّى
الصُّورَةُ الْمَشْرِقَةُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَأَنَّ مَا يُسَمَّى بِالْإِرْهَابِ
مَرْفُوضٌ بِأَبْشَعِ صُورِهِ، مَذْحُورٌ بِأَشْنَعِ أَشْكَالِهِ، بَعِيدٌ كُلُّ الْبُعْدِ عَنِ
جَوْهَرِ الْإِسْلَامِ وَنُبْلِ مَقَاصِدِهِ، وَسُمُومِ تَشْرِيعَاتِهِ، وَلَا يُمَثِّلُ أَخْلَاقِيَّاتِ
الْمُسْلِمِينَ، وَحُسْنِ سُلُوكِهِمْ فِي نَقِيرِ أَوْ قِطْمِيرِ.

كَمَا أَنَّهُ يُنْبَغِي - وَقَدْ زَلَّتْ فِي أَحْدَاثِ أَفْدَامٍ، وَضَلَّتْ أَفْهَامٌ - أَنْ
تُضَبَّطَ الْأَلْفَاظُ وَالْمُصْطَلِحَاتُ وَتُجَلَّى الْحُدُودُ وَالتَّعْرِيفَاتُ، حَتَّىٰ
لَا تَخْتَلِطَ الْمَفَاهِيمُ بَيْنَ الْجِهَادِ الشَّرْعِيِّ بِصَوَابِطِهِ وَأَخْلَاقِيَّاتِهِ، وَبَيْنَ

الإِزْهَابِ الْوَاقِعِيِّ بِأَتْمَاتِهِ وَضُرُوبِهِ، وَلَيْكُنْ بِحُسْبَانٍ، أَنْ كُلَّ عِلَاجٍ
لِأَدْوَاءِ الْبَشَرِيَّةِ، وَعَلَلِ الْإِنْسَانِيَّةِ، يَتِمُّ فِي غَيْبَةِ الدِّينِ، وَتَهْمِيشِ أَهْلِهِ،
لَنْ يَخْطَى إِلَّا بِالْفَسْلِ الدَّرِيعِ، وَلَنْ يَجْلِبَ لِلْبَشَرِيَّةِ إِلَّا مَزِيدًا مِنَ الْفِتَنِ،
فَلَا بَدَّ مِنْ إِضْحَاحِ الْحَقَائِقِ، وَتَجْلِيَةِ الرُّؤْيِ حَتَّى لَا يُحْمَلَ الْإِسْلَامُ
وَأَهْلُهُ جَرِيرَةً مَا حَدَثَ، وَيُتَّهَمَ الْأَبْرِيَاءُ بِالْإِزْهَابِ، وَهُمْ مِنْهُ بُرَاءٌ،
﴿وَلَا نُزِرْ وَإِزْرَةٌ وَزَرٌ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وَلَيْسَ كُلُّ مَا أبيضَ شَحْمًا،
وَلَا كُلُّ مَا اسْوَدَّ فَحْمًا.

وَمَا يَجِبُ تَقْرِيرُهُ وَتَحْرِيرُهُ: أَلَا يُصَوِّرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّهُمْ
سَبَبُ التَّصَادُمِ الْحَضَارِيِّ، وَالتَّخْلُفِ الْإِنْسَانِيِّ. لَأَبَدًا مِنْ صِيَاغَةِ
الْجِيلِ الْمُتَعَقِّلِ الْوَاعِي، الَّذِي يُدْرِكُ أَنَّ الرَّأْيَ وَالْحِصَافَةَ وَبَعْدَ النَّظَرِ،
قَبْلَ مَا يُظَنُّ مِنَ الشَّجَاعَةِ، وَأَنَّ الْعَدْلَ فَوْقَ الْخُصُومَةِ، وَأَنَّ الْحِفَافَ
عَلَى الْبِيئَاتِ وَالْمُكْتَسَبَاتِ حَقٌّ مَكْفُولٌ لَا يَجُوزُ الْإِعْتِدَاءُ عَلَيْهِ بِوَجْهِ
مِنَ الْوُجُوهِ ﴿وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُفْتِنُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١١٠﴾ [البقرة].

وَالدَّعْوَةُ مُوجَّهَةٌ لِمُوسَائِلِ الْإِعْلَامِ - لَا سِيَّمَا الْغَرْبِيَّةِ، وَمَلَائِكِ
الْقَنَوَاتِ الْعَالَمِيَّةِ - إِلَى التَّحَلِّيِّ بِالْإِنْصَافِ وَالْمَوْضُوعِيَّةِ، وَالصِّدْقِ

وَالْوَاقِعِيَّةِ، مَعَ عَدَمِ إِطْلَاقِ التُّهَمِ وَكَيْلِ التَّكْهُنَاتِ، وَقَذْفِ
التَّخْرُصَاتِ. وَالنَّأْيِ بِالْأُمَّةِ عَنِ كُلِّ الْأَوْهَامِ وَالشَّائِعَاتِ، وَالْمَكَائِيلِ
الْمُزْدَوِجَةِ، بَعِيدًا عَنِ الضَّبَائِيَّةِ فِي الطَّرْحِ، وَالرَّمَادِيَّةِ فِي التَّحْلِيلِ،
وَالِازْدِوَجِيَّةِ فِي الْمَوَاقِفِ، وَالْإِعْرَاقِ فِي الْعَوَاطِفِ، وَالتَّشْنُجِ فِي
الْحَوَارِ، فِي وَقْتِ كَادَتِ الْمِصْدَاقِيَّةُ تَتَّحِبُ، وَالْمَوْضُوعِيَّةُ تَحْتَضِرُ.

إِنَّهُ لَا بَدَّ مِنَ الْإِدْرَاكِ الْعَمِيقِ، بِأَنَّ الْمُسْكَلَاتِ وَالظُّوَاهِرَ السَّلْبِيَّةَ
فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، لَا يُمَكِّنُ حَلُّهَا بِاللُّجُوءِ إِلَى الْعُنْفِ ابْتِدَاءً
وَلَا جَزَاءً، بَلْ بِالتَّحَاوُرِ وَالتَّفَاوُضِ وَالْعَوْدَةَ إِلَى عُيُوبِ الذَّاتِ،
وَمُرَاجَعَةِ الْمَوَاقِفِ وَالْحِسَابَاتِ، وَإِصْلَاحِ النُّظُمِ وَالسِّيَاسَاتِ،
وَالْعَمَلِ عَلَى نَشْرِ الْعَدْلِ وَالْمُسَاوَاةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَبَبْدِ الْأَحْقَادِ
وَالْعُنْصُرِيَّاتِ، وَالْإِعْتِرَافِ بِحُقُوقِ الشُّعُوبِ الْمُسْلِمَةِ الْمُضْطَهَدَةِ.

وَيَأْتِي فِي مُقَدِّمَتِهَا قَضِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ الْكُبْرَى، فِي فِلِسْطِينَ الْمُسْلِمَةِ
الْمُجَاهِدَةِ، وَالْقُدْسِ الشَّرِيفِ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الْمُبَارَكِ، وَحَقُّ
الشَّعْبِ الْمُسْلِمِ فِي الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ فِي الْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَسَلَامٍ، بَعِيدًا
عَنِ الْإِرْهَابِ الصُّهْيُونِيِّ الْأَرْعَنِ، ضِدَّ مُقَدَّرَاتِ الْأُمَّةِ وَمُقَدَّسَاتِهَا.

كَمَا أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنَ الْعَمَلِ عَلَى تَكْثِيفِ الْجُهُودِ، وَتَنْسِيقِ الْأَعْمَالِ
لِإِبْرَازِ الْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالْحَضَارِيَّةِ الَّتِي يَزْخُرُ بِهَا دِينُنَا الْإِسْلَامِيُّ

الْحَنِيفُ، مَعَ الْجِدِّ فِي مُعَالَجَةِ صُورِ التَّنَاقُضِ وَالْإِزْدِوَاجِيَّةِ، الَّتِي
تَعِيشُهَا الْأُمَّةُ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَجَالَاتِهَا السِّيَاسِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ، وَالْإِعْلَامِيَّةِ
وغيرها. وَالْعَمَلُ عَلَى تَجْنِيفِ مَنَابِعِ الشَّرِّ فِي الْأُمَّةِ، فِي ظِلِّ تَدَاعِيَاتِ
الْعَوْلَمَةِ الْعَارِمَةِ الَّتِي يُوشِكُ أَنْ تَأْتِيَ عَلَى بُنْيَانِ ثَوَابِتِ أُمَّتِنَا مِنَ الْقَوَاعِدِ.

لَقَدْ تَبَيَّنَ الصُّبْحُ لِدِي عَيْنَيْنِ، وَأَنَّ الْأَوَانَ - يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - أَنْ
تُوضَعَ الْأُمُورُ فِي نِصَابِهَا الشَّرْعِيِّ، وَأَنْ تُتَّخَذَ الْخُطُواتُ الْعَمَلِيَّةُ
وَالْمُبَادَرَاتُ الْفِعْلِيَّةُ، إِلَى تَفْعِيلِ دَوْرِ الْفَرْدِ الْمُسْلِمِ وَذَاتِيَّتِهِ الْمَسْئُولَةِ،
لِيَنْطَلِقَ بِمَهَامِهِ فِي الْبِنَاءِ وَالْإِعْمَارِ، وَتَحْقِيقِ الْمَصَالِحِ الْكُبْرَى عَلَى مَنْهَجِ
التَّوَسُّطِ وَالْإِعْتِدَالِ، تَحْقِيقًا لِمَقَاصِدِ الْإِسْلَامِ الْعُظْمَى.

وَالْحَاجَةُ مُلِحَّةٌ لِمَشْرُوعِ مُنَظَّمَةِ إِسْلَامِيَّةٍ عَالَمِيَّةٍ
مُتَخَصِّصَةٍ، لِعِلَاجِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الْخَطِيرَةِ إِقْلِيمِيًّا وَدَوْلِيًّا،
وَلِوَضْعِ دَرَأَاتٍ عِلْمِيَّةٍ وَآلِيَّاتٍ عَمَلِيَّةٍ لِلْبَحْثِ بِجَدِيَّةٍ، عَنْ
أَسْبَابِهَا وَعَوَامِلِ انْتِشَارِهَا، وَاتِّخَاذِ آيَةٍ سَلِيمَةٍ لِاسْتِثْصَالِهَا،
وَوَقْفِ امْتِدَادِهَا حَالَ وُجُودِهَا، بِمَنْهَجِيَّةٍ مَدْرُوسَةٍ مُوَصَّلَةٍ بِالْعِلْمِ
وَالْبَيَانِ، وَالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، وَمُتَّصِفَةٍ بِالْوُضُوحِ وَالشَّفَافِيَّةِ، وَوَضْعِ
صِيغَةٍ مُوَحَّدَةٍ لِمُوَاجَهَتِهَا تَشْخِصًا لِلدَّاءِ، وَوَضْفًا لِلدَّوَاءِ، حَتَّى تَسْعَدَ

الْبَشَرِيَّةُ، وَتَأْمَنَ الْإِنْسَانِيَّةُ، وَيَسْلَمَ الْعَالَمُ مِنْ غُلُوِّهَا وَشُرُورِهَا، مَعَ
 الْعَمَلِ الْمُنَسَّقِ عَلَى اسْتِصْصَالِ جُرْثُومَتِهَا مِنَ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ خَاصَّةً،
 وَمِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ الدَّوْلِيَّةِ عَامَّةً ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
 النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ [يوسف]، ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا
 أُمِرْتَ وَلَا تَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ
 لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ لَا حُجَّةَ
 بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ [الشورى]، أَعُوذُ
 بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَأَمَنُوا أَدْخُلُوا فِي
 السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
 مُبِينٌ ﴿٢٨﴾ فَإِن زَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ
 اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾ [البقرة].

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَيَهْدِي سَبِيلَ الْمُرْسَلِينَ، أَقُولُ
 قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ، وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ
 مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ
 هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ [يوسف]، ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ
 الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢١﴾ [النور].

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْوَهَّابِ، أَمَرَ بِالْعَدْلِ وَحَرَّمَ الظُّلْمَ وَالْإِزْهَابَ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْهِ
مَتَابٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الْمُصْطَفَى الْأَوَّابُ،
خَيْرُ نَبِيِّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ خَيْرُ كِتَابٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِي
النُّهْيِ وَالْأَلْبَابِ، وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْمَأْبِ،
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ

تُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿ [البقرة]، وَاعْلَمُوا
أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ
مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ.

عِبَادَ اللَّهِ: فِي ظِلِّ تَغْيِيبِ الْإِنْصَافِ وَالتَّبَاسِ الْحَقَائِقِ، فَإِنَّ الْعَالَمَ
يَنْشُدُ الْحَقِيقَةَ، وَأَنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - أَهْلُ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ،
فَاللَّهُ اللَّهُ فِي تَجْلِيَةِ الصُّورَةِ الْمُشْرِقَةِ عَنِ الْإِسْلَامِ، بَعْدَ أَنْ سَقَطَتْ
الْأَفْقَعَةُ، وَأَفْلَسَتْ الشُّعَارَاتُ، وَظَهَرَ عَوَارُ كَثِيرٍ مِنَ النُّظْمِ وَالنَّظَرِيَّاتِ،

وَبَعْدَ أَنْ شُوِّهَ الْإِسْلَامُ مِنْ طَرَفِي الْإِفْرَاطِ وَالْتَفْرِيطِ؛ فَإِنَّ الْعَالَمَ يَتَطَلَّعُ
إِلَى مُسْتَقْبَلِ أَفْضَلِ تَقْيِيماً مِنْ خِلَالِهِ ظِلَالِ هَذَا الدِّينِ الْقَوِيمِ، فِي وَاحِدَةٍ
مِنَ الْأَمْنِ الْوَارِفِ الَّذِي لَا تُنْغِصُهُ الْجَرَائِمُ وَالْمَخَافُفُ، مِمَّا يَتَطَلَّبُ
الْجِدِّ فِي تَطْبِيقِ الْإِسْلَامِ الْحَقِّ، وَإِظْهَارِ مَحَاسِنِهِ الْفَرِيدَةِ، وَمَزَايَاهُ
الْحَمِيدَةِ، وَالنُّهُوضِ بِمُسْتَوَى الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَتَنْسِيقِ الْجُهُودِ
وَالْمَوَاقِفِ فِي ذَلِكَ، وَتَسْخِيرِ آيَاتِ الْعَصْرِ وَتَقَاتِيهِ لِخِدْمَةِ هَذَا
الْغَرَضِ النَّبِيلِ، وَمُتَابَعَةِ قَضَايَا أُمَّتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ، وَرِعَايَةِ أَحْوَالِ
الْجَالِيَّاتِ، وَالْأَقْلِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْعَالَمِ.

وَأَنْ تَفْرَعَ الْأُمَّةُ أَفْرَادًا وَمُجْتَمَعَاتٍ لِلْبِنَاءِ الْحَضَارِيِّ فِي شَتَّى
الْمَجَالَاتِ، حَتَّى يَتَحَقَّقَ لِأُمَّتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ عِزُّهَا وَمَجْدُهَا الْمُؤَثَّلُ،
وَمَكَانَتُهَا الْمَرْمُوقَةُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ.

وَلَيْسَ لِلْأُمَّةِ - وَقَدْ تَشَعَّبَتْ بِهَا السُّبُلُ، وَطَفَحَ فِيهَا طُوفَانُ الْفِتَنِ -
بِغَيْرِ الدِّينِ مُسْتَعْصَمٌ، وَلَا بِغَيْرِ الشَّرِيعَةِ مُسْتَمْسِكٌ. وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ
عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَنْ يُهَيِّئَ لَهَا فِي كُلِّ خَلْفٍ مَنْ يُعِيدُ أَمْجَادَ السَّلَفِ، وَمَنْ
يَقُومُ بِأَمْرِ دِينِهَا، وَيُجَدِّدُ مَا انْدَرَسَ مِنْ مَعَالِمِ شَرِيعَتِهَا.

وَمَا دَعْوَةُ التَّوْحِيدِ وَالْإِضْلَاحِ، الَّتِي انْبَثَقَتْ مِنْ هَذِهِ الرُّبَا
وَالْبِطَاحِ، فِي أَرْضِ الْحَرَمَيْنِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - حِينَمَا تَعَانَقَ سُلْطَانُ الْعِلْمِ

مَعَ سُلْطَانِ الْحُكْمِ، فِي مَلْحَمَةٍ فَرِيدَةٍ وَمَنْظُومَةٍ مُتَأَلِّفَةٍ، وَنَسِيحٍ مُتَمَيِّزٍ،
 إِلَّا مِنْهُ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - لَا عَلَى أَهْلِ الْجَزِيرَةِ فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا عَلَى أَهْلِ
 الْبَسِيطَةِ عَامَّةً، مِمَّا أُنْمِرَ أَكْلًا مَاتِيًّا، وَبَسَاطًا أَمِينًا، وَتَلَاحُمًا قِيَادِيًّا وَشَعْبِيًّا،
 وَجَهْدًا إِسْلَامِيًّا، وَعَمَلًا إِنْسَانِيًّا، وَصَرْحًا حَضَارِيًّا، وَمَرْكَزًا عَالَمِيًّا،
 وَوَزْنًا وَثَقْلًا دَوْلِيًّا، وَمَوْقِفًا تَارِيخِيًّا، وَمِنْ دَحْرِ الْإِرْهَابِ حَازِمًا قَوِيًّا،
 جَعَلَهُ اللَّهُ خَالِصًا مَرْضِيًّا، وَزَادَهَا تَوْفِيقًا دُنْيَوِيًّا وَأُخْرَوِيًّا.

أَلَا فَتَعَلَّمُوا - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - أَنَّ أَوَّلَ لَبِنَةٍ فِي الْإِصْلَاحِ: الْعَوْدَةُ
 إِلَى النُّفُوسِ وَتَقْوِيمِهَا، وَالْحَذَرُ مِنْ انْفِصَامِ عُرَى الْإِتِّبَاعِ وَالتَّاسِّي،
 وَالْوُقُوعُ فِيمَا يُجَدِّثُهُ النَّاسُ مِنْ اعْتِقَادَاتٍ وَأَعْمَالٍ لَيْسَ لَهَا مُسْتَنَدٌ
 صَحِيحٌ، أَوْ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ صَرِيحٍ، كَمَا يَعْتَقِدُهُ بَعْضُ الْعَامَّةِ فِي شَهْرِ
 رَجَبٍ، وَتَخْصِيصِهِ بِعِبَادَاتٍ لَمْ تَكُنْ مَأْثُورَةً عَنْ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ
 رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

يَقُولُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «لَمْ يَرِدْ فِي فَضْلِ شَهْرِ
 رَجَبٍ وَلَا صِيَامِهِ وَلَا فِي صِيَامِ شَيْءٍ مِنْهُ، مُعَيَّنٍ وَلَا فِي قِيَامِ لَيْلَةٍ
 مَخْصُوصَةٍ حَدِيثٌ صَحِيحٌ يَصْلُحُ لِلْحُجَّةِ»^(١).

(١) يُنظر: «تبيين العجب بما ورد في فضل رجب» (ص ٢).

أَلَا فَلَنْتَقِيَ اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَلَيُقِمَنَّ كُلٌّ مِّنَّا بِوَجْهِهِ تُجَاهَ دِينِ اللَّهِ،
وَلَنَكُنَّ أَعْيُنًا سَاهِرَةً فِي الْحِفَاطِ عَلَى عَقِيدَتِنَا وَأَمْنِ بِلَادِنَا وَسَلَامَةِ
مُجْتَمَعَاتِنَا، مِنْ عَبَثِ الْبُغَاةِ، وَكَيْدِ الْعُدَاةِ، وَلَعَلَّ فِي تَضَاعِيفِ الْمَحَنِ
مِنَحًا، وَفِي خِصْمِ الْأَلَامِ آمَالًا، مِمَّا يَدْعُو إِلَى إِنْابَةِ مُخْلِصَةٍ، وَمُحَاسَبَةٍ
دَقِيقَةٍ، وَمُرَاجَعَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ، وَتَفَاوُلٍ دَائِمٍ، وَاسْتِشْرَافٍ لِأَفَاقِ الْمُسْتَقْبَلِ؛
حَتَّى يَنْطَلِقَ الْجَمِيعُ بِخُطَى رَاسِخَةٍ عَلِيمًا وَعَمَلًا، وَدَعْوَةً وَإِضْلَاحًا،
لِكُلِّ مَا فِيهِ سَعَادَةُ الْبِلَادِ، وَصَلَاحُ الْعِبَادِ، وَكَانَ اللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَامِلِينَ
الْمُخْلِصِينَ لِخِدْمَةِ دِينِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ وَمُجْتَمَعَاتِهِمْ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
وَالرَّسُولِ الْمُجْتَبَى، وَالْحَبِيبِ الْمُرْتَضَى، كَمَا أَمَرَ كُمْ رَبُّكُمْ - جَلَّ
وَعَلَا - فَقَالَ - تَعَالَى - فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ وَأَصْدَقِ الْقِيلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

القِسْمُ الْعَاشِرُ:

مِنْ قِصَايَا الْمُسْلِمِينَ

قَصِيَّةُ الْأَقْصَى

بَيْنَ الْحَقِّ وَالْمَغْتَصِبِ، وَالْوَلِجِ الْمُنْتَهَبِ

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَنْصِرُهُ، وَنَعُوذُ
بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،
وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَنَسْأَلُهُ تَعَالَى كَمَا يَنْصُرُنَا عَلَى أَعْدَائِنَا أَنْ يُعِينَنَا
عَلَى أَنْفُسِنَا وَيُبْصِرَنَا بِعُيُوبِنَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ، بَارَكَ حَوْلَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَخَذَلَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ دِينِهِ وَأَقْصَى.
وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، حَتَّى أُمَّتُهُ عَلَى التَّمَسُّكِ
بِسُنَّتِهِ وَأَوْصَى، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، الَّذِينَ كَانُوا كُلُّ مِنْهُمْ
مِثَالًا عَلَى نُصْرَةِ الْحَقِّ فَمَا تَوَانَى وَلَا اسْتَعْصَى، وَمَنْ سَارَ عَلَى تَهْجِهِمْ
وَاقْتَفَى أَثَرَهُمْ وَاسْتَوْصَى، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ
الدِّينِ، وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ: أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - فَإِنَّهَا أَجَلٌ
الْوَصَايَا، وَبِهَا السَّلَامَةُ مِنَ الْفِتَنِ وَالْبَلَايَا، وَالنَّجَاةُ مِنَ الْمِحَنِ وَالرَّزَايَا.
أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: فِي ظِلِّ الْأَحْدَاثِ الْمُتَهَبَةِ، وَفِي خِضَمِّ

الأوضاعِ السَّاخِنَةِ، بَلِ الْمُنْعَطَفَاتِ الْخَطِيرَةِ الْمُتَعَجَّرَةِ، الَّتِي تَعِيشُهَا
 الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ هَذِهِ الْأَيَّامَ، يَحْتَاجُ الْمُسْلِمُ الْغِيُورُ، بَلْ يَحْتَاجُ الْأُمَّةُ
 بِأَسْرِهَا إِلَى وَفْقَةِ حَازِمَةٍ، تَسْتَقْرِي فِيهَا التَّارِيخَ وَالْمُتَغَيِّرَاتِ، وَتَتَأَمَّلُ
 سُنْنَ اللَّهِ فِي الْأُمَّمِ وَالْحَضَارَاتِ؛ لِتَقُومَ مِنْ خِلَالِهَا مَسِيرَتَهَا، وَتَقِفَ
 بِجِدِّ، لِلْمُحَاسَبَةِ، وَالْمُرَاجَعَةِ الدَّقِيقَةِ، ثُمَّ تَأْخُذَ بِزِمَامِ الْعَمَلِ
 وَالْمُبَادَرَةِ، الَّذِي تُبْتَلَى فِيهِ أُمَّتُنَا بِأَحْدَاثٍ وَقَضَايَا يُنْسِي طَرِيفُهَا^(١)
 تَلِيدَهَا^(٢)، فَأَصْبَحَتْ إِذَا أَصَابَتْنَا سِهَامٌ، تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: وَلَمْ يُبْرِزِ التَّارِيخُ قَضِيَّةً تَجَلَّتْ فِيهَا الثَّوَابِتُ
 السَّرْعِيَّةُ، وَالْحُقُوقُ التَّارِيخِيَّةُ، وَالْأَعْمَادُ الْحَضَارِيَّةُ، كَمَا بَرَزَ لَهَا
 الْأَحْقَادُ الْعَالَمِيَّةُ، وَتَجَلَّتْ فِيهَا الْمُتَنَاقِضَاتُ الدَّوْلِيَّةُ، وَأُنْكَشَفَتْ فِيهَا
 حَرْبُ الْمُصْطَلِحَاتِ، وَتَعَرَّى فِيهَا بَرِيقُ الشُّعَارَاتِ، وَتَجَلَّى فِيهَا
 التَّلَاعِبُ بِالْوَثَائِقِ وَالْقَرَارَاتِ، كَقَضِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ الْأُولَى؛ قَضِيَّةِ
 فِلَسْطِينَ الْمُسْلِمَةِ الْمُجَاهِدَةِ، وَالْقُدْسِ الصَّامِدَةِ، وَمَأْسَاةِ الْمَقْدِسِ
 وَالْأَقْصَى الْمُبَارَكِ. حَيْثُ تَشَابَكَتْ حَلَقَاتُ الْكَيْدِ فِي سَلَاسِلِ

(١) الطَّرِيفُ: الْحَدِيثُ، يُقَالُ: اسْتَطَرَفْتُ الشَّيْءَ: اسْتَحْدَثْتَهُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (طرف).

(٢) سبق بيان معناها (ص ٧٣).

المؤامرة؛ لتمثل منظومة شمطاء من العداء المعلن، والمكر
المبطن، في تأمر رهيب من قوى الغرب والشرق، كان من أبرز
إفرازاته الخطيرة؛ انخداع كثير من بني جلدتنا بخط القوم.

ويتجلى ذلك في محاولة زحزحة قضية فلسطين والقدس والأقصى
من صيغتها الشرعية، ومنظومتها الإسلامية، إلى متاهات من
الشعارات القومية والإقليمية، ومستنقعات من النعرات الحزبية،
والعلمانية، والجاهلية، وذلك - لعمر الحق! - بترها عن قوتها
المحرّكة، وطاقتها الدافعة المؤثرة؛ حتى حُجبت القضية في دهاليز
الشعارات، والنواء المسارات، وظلام المفاوزات، ودياجير
المساومات، وأنفاق المراوغات. في معايير متكسفة، ومقاييس
منعكسة، تُسوِّي بين أصحاب الحقوق المشروعة، والادعاءات
الممنوعة، وتتلاعب بموازين الحق والعدل والسلام.

إخوة الإيمان: لقد خيل لمن توالت عليهم مطارق الانهزامية،
أن القضية غامضة ملتوية، وشائكة مستعصية، والحقيقة أنها أوضح
من ذكاء^(١)، فماذا جنت أمتنا من غياب التأصيل العقدي والشرعي

(١) ذكاء: اسم علم للشمس غير منصرف للعلمية والتأنيث، يُقال: ابن ذكاء، أي: =

هَذِهِ الْقَضِيَّةُ؟ أَوَلَسْنَا أُمَّةً لَهَا مَصَادِرُهَا الشَّرْعِيَّةُ، وَثَوَابَتُهَا الْعَقْدِيَّةُ،
 وَحُقُوقُهَا التَّأْرِيخِيَّةُ؟ مَاذَا يُؤَكِّدُ قُرْآنَنَا وَسُنَّةَ نَبِيِّنَا ﷺ؟ مَاذَا تُقَرِّرُ
 عَقِيدَتُنَا؟ وَمَاذَا يُسَجِّلُ تَأْرِيخَنَا عَنِ الْقَضِيَّةِ وَأَطْرَافِهَا؟ مِمَّا يُؤَكِّدُ بِجَلَاءِ
 أَنَّ الصَّرَاعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْيَهُودِ، لَيْسَ صِرَاعَ حَدَثٍ وَأَرْضٍ
 وَحُدُودٍ، بَلْ صِرَاعَ عَقِيدَةٍ وَهُويَّةٍ وَوُجُودٍ.

أَلَمْ نَقْرَأْ قَوْلَ الْحَقِّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً
 لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢]، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ:

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]؟
 اِقْرَأُوا التَّأْرِيخَ لِتَدْرِكُوا أَنَّ يَهُودَ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ، سَلَفٌ سَيِّئٌ،
 وَخَلَفٌ أَسْوَأُ.

هَؤُلَاءِ هُمُ الْيَهُودُ، سِلْسِلَةٌ مُتَّصِلَةٌ مِنَ الْبَغْيِ، وَالْعِنَادِ،
 وَالْفَسَادِ، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٦٤)
 [المائدة]، شَبَكَاتٌ وَخَلَايَا مِنَ الْغَدْرِ وَالْكِيدِ، وَالْخِسَّةِ وَالذَّنَاءَةِ.
 وَالْيَوْمِ، تُوَاجِهُ الْأُمَّةُ الصَّرَاعَ عَلَى أَشَدِّهِ، مَعَ أَعْدَاءِ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ

= الصُّبْحُ، وَأَشْرَقَتْ ذُكَاءً، أَي: طَلَعَتِ الشَّمْسُ. يُنظَرُ: «المحيط» (ذكو).

وَالْغَدِ، مَعَ أَحْفَادِ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَبَنِي النَّضِيرِ، وَبَنِي قَيْنُقَاعَ، عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ
اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ!! فَهَلْ يَعْجِي بَنُو قَوْمِنَا حَقِيقَةَ أُمَّةِ الْغَضَبِ
وَالضَّلَالِ، بَعْدَ أَنْ تَفَاقَمَ شَرُّهُمْ، وَتَطَايَرَ شَرُّهُمْ.

فَالصَّرَاعُ فِي الْمَنْطِقَةِ أَحَدٌ يَتَفَجَّرُ وَيَتَعَازَمُ، وَالِاسْتِغْلَالُ وَالْأَطْمَاعُ
بَدَأَتْ تَزْدَادُ وَتَتَفَاقَمُ، وَالتَّمَادِي فِي الْإِسْتِخْفَافِ بِالْعَرَبِ، وَالْمُسْلِمِينَ
وَمُقَدَّسَاتِهِمْ، بَلَغَ أَوْجَ خُطُورَتِهِ، مِمَّنْ ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَادَتَهُ ﴾

وَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ [التوبة]

أَلَا فَلَيْتَذَكَّرَ ذَلِكَ، مَنْ جَالَتْ بِمَشَاعِرِهِمْ أَحْلَامُ السَّلَامِ الْوَرْدِيَّةُ،
حَيْثُ الْحُقُوقُ الْمُهْدَرَّةُ، وَالْحِمَى الْمُسْتَبَاحُ، وَالتَّسَلُّطُ، وَالْغَلْبَةُ،
وَالْمُرَاوَعَةُ، وَالْوَعُودُ الْعُرْقُوبِيَّةُ^(١) الْمَفْضُوحَةُ، أَوْ كُلَّمَا عَاهَدُوا
تَسَاءَلْنَا: أَيْنَ الْعُهُودُ الَّتِي سَرَى بِهَا إِلَيْنَا مَبْعُوثِكُمْ وَالْمَحَافِلُ؟ مَعَ جَهَةِ
لَا يُرْضِيهَا إِلَّا قَتْلُ صَاحِبِ الْحَقِّ، وَاسْتِلابُ أَرْضِهِ، وَتَشْرِيدُ أَهْلِهِ،
وَالْعَبْثُ بِاِقْتِصَادِهِ، وَإِلْغَاءُ كَرَامَتِهِ، وَانْتِقَاضُ سِيَادَتِهِ، وَتَقْطِيعُ أَوْصَالِهِ،
وَتَنَاقُزُ أَشْلَائِهِ.

(١) عُرْقُوبِيَّةٌ: ملتوية، العرقوب من الوادي: موضع فيه انحناء والتواء شديد، ومن
الأمثال في خُلْفِ الوعد: مواعيد عرقوب. يُنظر: «اللسان» (عرقب).

ذَلِكَ عَهْدُهُمْ وَمِيثَاقُهُمْ، مَبْنِيٌّ عَلَىٰ أَعْجَازِ نَخْلٍ مُنْتَقِعٍ، مِنَ الْغِشِّ
وَالْغُشَاءِ، تَتَهَاوَىٰ مَعَ آذُنِي تَيَّارٍ مِنَ الْهَوَاءِ: ﴿كِرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ
الظَّمْثَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ، لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩].

يا قومنا! إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ تَأْرِيحُهُمْ مَفْضُوحٌ، وَسَجِلُهُمْ
بِالسَّوَادِ مَكْلُوحٌ^(١)، وَلَنْ يَرْضَوْا لَكُمْ إِلَّا بِتَحْقِيقِ أَهْدَافِهِمُ الثَّلَاثَةَ
- لَا بَلَّغَهُمُ اللَّهُ مُرَادَهُمْ!! -: يُرِيدُونَ إِقَامَةَ دَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ الْكُبْرَى، وَأَنْ
تَكُونَ الْقُدْسُ عَاصِمَةً لَهَا، وَهَدْمَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الْمُبَارَكِ - وَقَدْ
بَدَأَتْ فِعْلًا عَمَلِيَّاتُ الْحَفْرِ وَالتَّخْرِيْبِ - وَبِنَاءَ هَيْكَلِهِمُ الْمَرْعُومِ عَلَى
أَسَاسِهِ، وَتِلْكَ - وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ - خُرَافَةٌ لَا يُسْنِدُهَا
نَصٌّ، وَلَا يُقَرُّهَا عَقْلٌ، وَلَا يُؤَيِّدُهَا وَاقِعٌ وَلَا تَأْرِيحٌ. يُرِيدُونَ إِبَادَةَ دَوْلَةِ
الْقُرْآنِ وَالتَّوْحِيدِ، وَإِسَادَةَ دَوْلَةِ التَّوْرَةِ وَالتَّلْمُودِ عَلَىٰ أَنْقَاضِهَا.
أَلَا سَاهَتِ الْوُجُوهُ - عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ مَا يَسْتَحِقُّونَ!! - إِيَّاهُمْ قَوْمٌ
هَذَا دَيْدَنُهُمْ عِبْرَ التَّأْرِيحِ، وَتِلْكَ أَطْمَاعُهُمْ وَمُؤَامِرَاتُهُمْ، لَكِنْ يَا لَيْتَ
قَوْمَنَا يَعْلَمُونَ!!

(١) مَكْلُوحٌ: مجذب، يُقال: سنة كُلاح إذا كانت مجدبة. يُنظر: «اللسان» (كلج).

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَلَعَلَّ مَا شَهِدَتْهُ السَّاحَةُ الْفِلِسْطِينِيَّةُ عَلَى مَدَارِ
الْأَسَابِيحِ الْأَرْبَعَةِ الْمَاضِيَةِ، عَلَى التَّوَالِي، مِنْ مَشَاهِدِ مُرْعَبَةٍ، وَمَآسٍ
مُرْوَعَةٍ، مِنْ أَوْضَحِ الدَّلَائِلِ فِي شُبُوبِ^(١)، عَلَى سَجِيَّةِ الْقَوْمِ، وَمَا يُكِنُّونَهُ
لِأُمَّتِنَا وَمُقَدَّسَاتِنَا؛ إِنَّهُ لَأَمْرٌ تَبْكِي لَهُ الْعُيُونُ دَمًّا؛ فَقَتْلُ الْأَبْرِيَاءِ الْعَزَلِ
عَلَى أَيِّدِي سَفَاحِي الصَّهَابِيَّةِ - شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى، وَمَشَى عَلَى
الثَّرَى - فَأَيُّ حَقٍّ هُمْ فِي فِلِسْطِينَ! الْأَرْضِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى قِيَامِ
السَّاعَةِ؛ الَّتِي بَبَّوَاتٍ مُنْذُ فَجْرِ التَّأْرِيخِ مَكَانَتَهَا الْمَرْمُوقَةَ لَدَى
الْمُسْلِمِينَ، وَلَنْ يُقَرِّطُوا بِشِيرٍ مِنْ أَرْضِهَا - بِإِذْنِ اللَّهِ - مَا دَامَ فِيهِمْ عِرْقٌ
يَنْبِضُ. فَلَا مُسَاوَمَةَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ مُقَدَّسَاتِنَا، وَلَا تَنَازُلَ عَنْ شَيْءٍ
مِنْ ثَوَابِتِنَا. لَقَدْ مَضَى نِصْفُ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ عَلَى قَضِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ
الْكُبْرَى - الَّتِي شَبَّتْ عَلَى خِزْيِ التَّفْرِيطِ فِيهَا، الْأَجْيَالُ - وَالْمَأْسَاءُ
تَتَجَدَّدُ فِي شُبُوبٍ يَوْمًا بَعْدَ آخَرَ، فَأَيْنَ الْمُسْلِمُونَ؟ أَلْفُ مِليُونِ مُسْلِمٍ
لَوْ نَفَخْنَا كُلَّنَا لَمْ يَدُمْ بِنَاءٌ!!

خَمْسُونَ عَامًا أُتْخِمَتْ سَنَوَاتُهَا ذُلًّا، أَوْ مَا لَنَا سَعْدٌ وَلَا مِقْدَادٌ؟

(١) شُبُوبٌ: وَضُوحٌ وَحُسْنٌ، يُقَالُ: هَذَا شُبُوبٌ لِهَذَا: أَي يَزِيدُ فِيهِ وَيُحَسِّنُهُ. يُنظَرُ:

«اللسان» (شيب).

لَقَدْ نَكَاتِ الْأَوْضَاعُ الْمُسْتَجِدَّةُ الْجِرَاحُ؛ فَأَيْنَ مِنَّا خَالِدٌ
وَصَلَاحٌ؟! يَا وَيْحَنَا! مَاذَا أَصَابَ أُمَّتَنَا؛ أَيَطِيبُ لَنَا عَيْشٌ، وَيَهْدَأُ لَنَا
بَالٌ، وَيَرْفَأُ لَنَا دَمْعٌ، وَمُقَدَّسَاتُنَا تَيْئُنٌ، وَقُدْسُنَا تُنَادِي، وَفِلَسْطِينُنَا
تَسْتَنْجِدُ، وَالْأَقْصَى يَسْتَضِرُّ؟!!

أَيْدَاسُ حِمَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الْمُبَارَكِ، وَنَحْنُ لَنَا أَعْيُنُ تَرَى،
وَأَذَانُ تَسْمَعُ، وَقُلُوبُ تَعِي، وَلَا نُحَرِّكُ سَاكِنًا سَوَى الشَّجَبِ وَالتَّنْذِيدِ
وَإِلْسْتِنْكَارِ لَيْسَ إِلَّا؟!!

كُلُّ ذَلِكَ يَحْدُثُ بِمَرَأَى وَمَسْمَعِ الْعَالَمِ، وَكَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَا بَوَاكِي
لَهُمْ، أَيْنَ الْعَالَمُ بِهَيْئَاتِهِ وَمُنْظَمَاتِهِ؟! أَيْنَ مَجْلِسُ أَمْنِهِمْ، وَهَيْئَةُ أُمَمِهِمْ
الْمُتَّحِدَةِ عَلَيْنَا؟! أَيْنَ هُمْ مِنْ بُكَاءِ الشَّكَاكِيِّ، وَعَوِيلِ الْيَامِيِّ، وَصُرَاخِ
الْيَتَامِيِّ، وَأَيْنِ الْأَرَامِلِ، وَاعْتِصَابِ الْأَرْضِ وَالْعَرْضِ، وَسَيْلِ الدِّمَاءِ،
وَقَتْلِ الْأَبْرِيَاءِ، وَتَرْمِيلِ النِّسَاءِ، وَتَشْرِيدِ الْأَبْنَاءِ، وَتَنَاطُرِ الْأَشْلَاءِ؟! أَيْنَ
شِعَارَاتُ وَمُنْظَمَاتُ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ الزَّائِفَةِ؟! مَاذَا يَرُدُّ الضَّمِيرُ
الْعَالَمِيِّ؟! وَأَيْنَ هِيَ الْمُقَاتَعَاتُ السِّيَاسِيَّةُ وَالْإِقْتِصَادِيَّةُ عَلَى مُجْرَمِي
الْحَرْبِ الصَّهَابِيَّةِ، الْمُسْتَهْتَرِينَ بِالْأَعْرَافِ الدُّوَلِيَّةِ، وَالْقَرَارَاتِ
الْعَالَمِيَّةِ؟!!

يَا قَادَةَ الْعَالَمِ، يَا صُنَّاعَ الْقَرَارِ، يَا أَصْحَابَ الرَّأْيِ، يَا مَنْ

مُحَارِبُونَ الْإِرْهَابَ وَتَتَعَبُونَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَتَبْدُلُونَ لِدَلِكِ نَفَائِسَ
التَّيْرِ، مَاذَا تُسَمُّونَ فِعْلَ الْمُجْرِمِينَ بِالْمُسْلِمِينَ فِي فِلِسْطِينَ؟!
سَيَنْقَلِبُ إِلَيْكَ - أَيُّهَا الْمَعْنَى - الطَّرْفُ حَاسِنًا وَهُوَ حَاسِرٌ، حِينَمَا
يَتَبَجَّحُونَ: «ذَلِكَ أَمْنٌ وَقَائِي»، أَوْ «فَضٌّ لِلْأَضْطِرَابَاتِ»، أَوْ «تَصَدُّ
لِلْإِرْهَابِ وَالرَّجْعِيَّةِ»، فَهَلْ تَطَّلَعَاتُ أَكْثَرَ مِنْ مِليَارٍ وَنِصْفٍ مِنْ
الْمُسْلِمِينَ، لِلْحِفَاطِ عَلَى مُقَدَّسَاتِهِمْ تُعَدُّ إِرْهَابًا وَتَطْرَفًا وَرَجْعِيَّةً؟!
﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور]، لَكِنْ فَوْقَ كُلِّ الرَّايَاتِ
رَايَةُ رَبِّي، وَيَدُ اللَّهِ فَوْقَ كُلِّ الْأَيْدِي.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُرَابِطُونَ عَلَى أَرْضِ فِلِسْطِينَ الْمُجَاهِدَةَ الصَّامِدَةَ،
أَرْضِ الْعِزِّ وَالشُّمُوحِ وَالْفِدَاءِ، وَالتَّضْحِيَّةِ وَالْجِهَادِ وَالْإِبَاءِ، لَكُمْ
نُخَاطِبُكُمْ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يُمَثِّلُ حَلَقَةَ الْوَصْلِ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ
إِنَّهُ لَيُرِمُّنَا، وَيَقْضُ مَضَاجِعَنَا أَنْ أَقْصَانَا أَسِيرٌ بِأَيْدِي الْبُغَاةِ الطُّغَاةِ
الْعُنَاةِ!! فَمَا نَذَكُرُ الْأَقْصَى - أَقَرَّ اللَّهُ الْأَعْيُنَ بِفَكَ أَسْرِهِ، وَقُرْبِ تَحْرِيرِهِ -
إِلَّا وَتُعْتَصِرُ قُلُوبُنَا حَسْرَةً وَأَسَى؛ عَلَى مَا جَرَى لَهُ وَيَجْرِي مِنْ هَؤُلَاءِ
الْأَقْرَامِ الْأَنْدَالِ، فَقَضَيْتُكُمْ قَضَيْتَنَا، وَهَزَّةُ انْتِفَاضَتِكُمْ، هَزَّةُ قُلُوبِنَا،
وَمُصَابِكُمْ، مُصَابِنَا.

وَكَانَ مِنْ سِهَامِهِمُ الْأَخِيرَةَ - الَّتِي تُمَثَّلُ طَعْنَةً فِي الْخَوَاصِرِ - مَا
 أَقْدَمَ عَلَيْهِ عِلْجٌ^(١) مِنْ عُلُوجِهِمْ بِيَدِهِ الْقَدْرَةَ، مِنْ تَدْنِيسِ أَرْضِ الْأَقْصَى:
 أَوْلَى الْقِبْلَتَيْنِ، وَمَسْرَى سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ، وَثَالِثِ الْمَسْجِدَيْنِ، مِمَّا فَطَرَ
 الْأَكْبَادَ الْمُسْلِمَةَ، وَأَدْمَى الْقُلُوبَ الْمُؤْمِنَةَ!!

فَصَبْرًا صَبْرًا أَيُّهَا الْمُرَابِطُونَ! لَقَدْ سَطَرْتَ انْتِفَاضَتِكُمْ
 الْمُبَارَكَةَ - بِأَحْرِفِ الْعِزِّ وَالنَّصْرِ وَالشَّرَفِ - أَرْوَاعَ التَّمَاذِجِ فِي التَّأْرِخِ
 الْمُعَاصِرِ، فَبُورِكْتُمْ مِنْ رِجَالٍ! وَلِلَّهِ دَرُّكُمْ مِنْ أَبْطَالٍ! لَقَدْ أَعَدْتُمْ
 فِي الْأُمَّةِ الْأَمَالَ، وَصَدَّقْتُمْ الْأَقْوَالَ بِالْأَفْعَالِ، وَثَقُّوا بِنَصْرِ اللَّهِ لَكُمْ
 مَتَى مَا نَصَرْتُمْ دِينَهُ، وَهَنَيْتُمْ لَكُمْ بَذُلَ الْأَرْوَاحِ رَخِيسَةً فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ!! وَدَعَاؤُنَا مِنْ سُوَيْدَاءِ^(٢) الْقُلُوبِ: أَنْ يَتَقَبَّلَ اللَّهُ قَتْلَكُمْ شُهَدَاءَ،
 وَأَنْ يَكْتُبَ لِمَرْضَاكُمْ وَجْرَ حَاكِمٍ عَاجِلِ الشِّفَاءِ، وَلَا تَيَأَسُوا مِنْ رَوْحِ
 اللَّهِ؛ فَالْنَّصْرُ قَادِمٌ - بِإِذْنِ اللَّهِ - ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ

الْأَعْلُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ [آل عمران].

(١) العِلْجُ: الرجل من كفار العجم. يُنظر: «اللسان» (علج).

(٢) السُّوَيْدَاءُ: تصغير سَوْدَاء. يُقال: سُوَيْدَاءُ الْقَلْبِ، أَي: حَبِيَّة. يُنظر: «اللسان» (سود).

أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ^(١) فِي «صَحِيحَيْهِمَا»؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِمَامَ
 الْمَجَاهِدِينَ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ،
 فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِيَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ،
 فَيَقُولَ الْحَجْرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ! يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي،
 فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ». سُبْحَانَ اللَّهِ! - عِبَادَ اللَّهِ - (مُخَابَرَاتٌ) إِسْلَامِيَّةٌ بِقُدْرَةِ
 إِلَهِيَّةٍ تَتَحَدَّى (مُوسَادَهُمْ وَطَابُورَهُمْ) الْخَامِسَ.

اللَّهُ أَكْبَرُ!! هَذِهِ بَوَارِقُ النَّصْرِ تَلُوحُ، وَرَائِحَتُهُ تَفُوحُ،
 لَا يُتَوَجَّهَهَا دُرَّةٌ وَاحِدَةٌ، بَلْ دُرٌّ مِنْ كَوْكَبَةِ غُرُرٍ، يَتَلَأَلُ بِسَالَةٍ
 وَاسْتِشْهَادًا؛ نُضْرَةٌ لِدِينِ اللَّهِ، وَإِعْلَاءٌ لِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَمَا أَكْثَرَ الدَّرَرَ
 - لِلَّهِ دَرُّهُمْ - فِي أُمَّتِنَا الْمِعْطَاءِ، الَّتِي أَنْجَبَتْ عَبْرَ التَّأْرِيخِ
 الْأَبْطَالَ وَالشُّهَدَاءَ.

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: وَلَيْنَ كَانَ سِيَاقُ الْعَاطِفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَغْلِبُ فِي
 طَرَحِ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ، فَأَيُّ عَاطِفَةٍ يَجْمَلُ بِهَا أَنْ تَجْمَدَ وَتَتَبَلَّدَ فِي ظِلِّ
 أَوْضَاعٍ مُلْتَهَبَةٍ، وَأَحْدَاثٍ مُتَفَجِّرَةٍ، اصْطَلَى بِهَا إِخْوَانُنَا فِي الْعَقِيدَةِ؟

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٩٢٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٩٢٢) وَاللَّفْظُ لَهُ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَوْتِ الْمَشَاعِرِ، وَتَبَلُّدِ الْأَحَاسِيْسِ، وَجُمُودِ الضَّمَائِرِ،
 غَيْرَ أَنَّ نِدَاءَ الْعَقْلِ يَدْعُو إِلَى أَنْ نُكْفِكَفَ الدُّمُوعَ، وَأَنْ يَتَوَلَّى
 الْمُتَخَصِّصُونَ هَذِهِ الْأَحْدَاثَ مِنْ رُؤَى إِسْلَامِيَّةٍ شَرِيعَةٍ؛ لِاسْتِجْلَاءِ
 الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ، وَالْجِدِّ فِي مَسَالِكِ الْإِصْلَاحِ، وَالِاسْتِيقَاطِ مِنَ
 الْغَفْلَةِ، وَبَثِّ الْوَعْيِ الْعَمِيقِ، وَالتَّحْصِينِ الْوَثِيقِ، بِخُطَى مُؤَصَّلَةٍ
 وَمَنْهَجِيَّةٍ مَدْرُوسَةٍ.

يَجِبُ أَلَّا نَكُونَ أَصْحَابَ رُدُودِ أَفْعَالٍ مُؤَقَّتَةٍ فَحَسْبُ؛ بَلْ يَجِبُ أَنْ
 نَضَعَ اسْتِرَاطِيَجِيَّاتٍ وَآلِيَّاتٍ تَنْفِيذِيَّةً دَائِمَةً؛ لِحُلِّ قَضَايَانَا، وَمُرَاجَعَةِ
 حِسَابَاتِنَا مَعَ أَنْفُسِنَا وَمَعَ غَيْرِنَا.

أَلَا إِنَّهُ مِمَّا يَبْعَثُ عَلَى التَّفَاوُلِ وَالْبَشَائِرِ، هَذَا التَّفَاعُلُ الْإِسْلَامِيُّ:
 الشَّعْبِيُّ وَالرَّسْمِيُّ، لِأُمَّتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الْمُحِيطِ إِلَى الْخَلِيجِ، مَعَ
 إِخْوَانِهِمُ الْمُجَاهِدِينَ الصَّامِدِينَ هُنَاكَ. وَلَقَدْ تَابَعَ أَهْلُ الْغَيْرَةِ
 الْمُنْصِفُونَ - مَطَّلَعَ هَذَا الْأُسْبُوعِ بِكُلِّ هَفِ وَأَشْتِيَاقٍ، ثُمَّ بِكُلِّ تَقْدِيرٍ
 وَإِعْجَابٍ - مَا أَسْفَرَ عَنْهُ مُؤْتَمَرُ قِمَّةِ وَقَادَةِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمَا نَتَجَّ عَنْهُ
 مِنْ قَرَارَاتٍ، نَرْجُو أَنْ تَكُونَ مَحَلَّ التَّطْبِيقِ الْعَاجِلِ وَالتَّنْفِيذِ السَّرِيعِ، مَعَ
 مَا يُؤَمِّلُ مِنْ بَذْلِ الْمَزِيدِ فِي نُصْرَةِ الْحَقِّ، وَرَدِّعِ الْبَاطِلِ.

وَهَيِّنِيئًا لِبِلَادِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - مُبَادِرَاتِهَا الْإِيجَابِيَّةُ

الْقَوِيَّةُ، وَاقْتِرَاحَاتِهَا الْبِنَاءُ، فِي إِنْشَاءِ صُنْدُوقٍ لِلْأَقْصَى، وَصُنْدُوقٍ
لِدَعْمِ الْإِنْتِفَاضَةِ، وَفَتْحِ مَصَحَّاتِهَا لِاسْتِقْبَالِ جَرْحِي الْإِنْتِفَاضَةِ،
وَلَا عَجَبَ!! فَهِيَ أَرْضُ الْحَرَمَيْنِ، وَمَهْبِطُ الْوَحْيِ، وَمَبْعَثُ الرَّسَالَةِ،
فَلَهَا الْقِدْحُ الْمُعَلَّى، وَالثَّقْلُ الْمُدَلَّى، وَالِدَوْرُ الْمُجَلَّى فِي نُصْرَةِ
الْمُسْلِمِينَ - جَعَلَهُ اللَّهُ فِي مَوَازِينِهَا، وَزَادَهَا مِنْ الْخَيْرِ وَالْهُدَى
وَالْتَوْفِيقِ.

وَالدَّعْوَةُ مُوجَّهَةٌ إِلَى الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا، لِدَعْمِ وَنُصْرَةِ هَذِهِ
الْمُشْرُوعَاتِ الْخَيْرِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ؛ لِنُكُونِ يَدًا وَاحِدَةً فِي إِعْلَاءِ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ، وَالِدِّفَاعِ عَنِ مُقَدَّسَاتِنَا، وَعَدَمِ التَّفْرِيطِ بِأَيِّ شَيْءٍ مِنْ
ثَوَابِتِنَا، مَا حِينَا وَمَهْمَا كَلَّفْنَا ذَلِكَ، وَالْعِزَّةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ،
وَالذَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، مِنَ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ، وَسَائِرِ أَعْدَاءِ الدِّينِ: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١١) ﴿يوسف﴾، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ
يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤٠) ﴿الحج﴾.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ
قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ

مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ [الأنفال].

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، أَقُولُ
قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ،
فَأَسْتَغْفِرُوهُ وَتَوُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْقَوِيِّ الْوَدُودِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ، حَدَرْنَا مِنْ كَيْدِ الْيَهُودِ، وَكُلِّ كَافِرٍ جَحُودِ، وَأَشْهَدُ أَنْ نَبِيَّنَا
مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، صَاحِبُ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَالْحَوْضِ
الْمَمْرُودِ، وَاللَّوَاءِ الْمَعْقُودِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ الرَّكْعِ السُّجُودِ، الْمُؤَفِّينَ بِالْعُهُودِ، وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ
بِإِحْسَانٍ إِلَى الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ

تُؤَفَّفُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة]، وَاَعْلَمُوا
أَنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَعَلَّ الْخُطُوءَةَ الْأُولَى فِي مُوَاجَهَةِ هَذَا الصَّرَاعِ
مَعَ الْعَدُوِّ الصُّهْيُونِيِّ الْغَشُومِ: هِيَ الْعَوْدَةُ إِلَى الذَّاتِ؛ لِإِصْلَاحِ بِنَاءِ
الْأُمَّةِ مِنَ الدَّاخِلِ، وَاعْتِصَامِهَا بِحَبْلِ اللَّهِ، وَتَمَسُّكِهَا بِكِتَابِ اللَّهِ،
وَسُنَّةِ نَبِيِّهَا ﷺ، وَالْوُقُوفُ صَفًا وَاحِدًا أَمَامَ الْعَدُوِّ الْمُتْرَبِّصِ، وَالتَّقَطُّنُ

لِلْعَدُوِّ مِنَ الصَّادِقِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي تُوَاجَهُ فِيهِ الْأُمَّةُ الْوَأَا مِنْ
التَّحْدِيَّاتِ، يَتَوَلَّى كِبَرَهَا وَالتَّخْطِيطَ لَهَا: حُكَّامُ صُهْيُونَ، وَأَذْنَا بِهِمْ
وَأَفْرَاحُهُمْ، فِي حُرُوبٍ مُعْلَنَةٍ وَخَفِيَّةٍ، حَتَّى بَلَّغُوا فِي ذَلِكَ مَبْلَغًا خَطِيرًا،
بَدَّرَتْ هَذِهِ الْمُحْطَطَاتُ نَوَابِتَ وَطُفَيْلِيَّاتٍ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ تَرْفُضُ
الدِّينَ، وَتَعْبَثُ بِالْأَخْلَاقِ وَالْقِيمِ، وَتَعِيشُ حَيَاةَ اللَّهْوِ وَالشَّهْوَاتِ، مِمَّا
أَفْرَزَ الْوَهَاءَ وَالغُثَاءَ. وَقَدْ سُحِّرَتْ لِتِلْكَ الْحُقُودِ السَّوْدَاءِ أَقْلَامٌ، وَأَفْلَامٌ،
وَقَنَوَاتٌ، وَتَقَانَاتٌ، وَشَبَكَاتٌ، وَإِعْلَامٌ؛ لِخِدْمَةِ هَذِهِ الْمُحْطَطَاتِ
الْأَثِمَةِ.

وَفِي الْأُمَّةِ مِنْ لَا يَزَالُ مَحْدُوعًا بِالتَّطْبِيعِ وَالِاسْتِسْلَامِ، وَيَسْتَنْكِرُ
الْجِهَادَ وَالِانْتِفَاضَةَ، وَيَتَّهَمُهَا بِالْغَوْعَائِيَّةِ وَالْفَوْضُويَّةِ، وَلَا تُمَثَّلُ
مُقَدَّسَاتِ الْأُمَّةِ عِنْدَهُ إِلَّا كَالْهَبَاءِ فِي الْهَوَاءِ، وَلَا تُثِيرُ فِيهِ حِسًّا
وَلَا مَعْنَى، وَيَرَى الْأَقْصَى كَأَيِّ مَبْنَى آخَرَ، فِي وَجْهِ عِلْمَانِي كَالْحِجِّ - وَتِلْكَ
مَأْسَاةٌ أُخْرَى، لَهَا غُصَصُهَا وَحُرْقُهَا - فَهَلْ يَعِي خُطَابُ الْوَهْمِ،
وَاللَّاهُثُونَ وَرَاءَ السَّرَابِ، حَقِيقَةَ الصَّرَاعِ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ؟!

وَآخَرُونَ فِي الْأُمَّةِ، أَشْتَاتُ مُتَنَافِرَةٌ، وَأَحْزَابُ مُتَنَافِرَةٌ، لَعِبَتْ بِهِمُ
الْأَهْوَاءُ وَالشَّعَارَاتُ، وَأَشْغَلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِالْبِدَعِ وَالْمُحَدَّثَاتِ، وَكُرْبِيًّا
خَصَّصَ بَعْضُهُمْ هَذِهِ الْأَيَّامَ لِتَجْمُعَاتٍ وَاحْتِفَالَاتٍ بِذِكْرِ الْإِسْرَاءِ

وَالْمِعْرَاجِ - زَعَمُوا - فَهَلْ يُحْتَفَلُ أَمَامَ الْمَجَازِرِ وَالْمَآسِي، وَالْأَحْدَاثِ
وَالْفَوَاجِعِ!؟ تَنَاقُضُ عَجِيبٌ لَا يُسْنِدُهُ نَقْلٌ صَحِيحٌ وَلَا عَقْلٌ صَرِيحٌ.

إِنهَا دَعْوَةٌ مُخْلِصَةٌ لِلْأُمَّةِ جَمِيعًا - رُعَاةٌ وَرَعِيَّةٌ - أَنْ تَعِيَ بِعُمُقِ أَنَّهُ
لَا يُسْتَرَدُّ الْمَجْدُ، وَلَا يُطْلَبُ النَّصْرُ إِلَّا بِالسَّيْرِ عَلَى خُطَى السَّلَفِ
الصَّالِحِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - فَلَنْ يَصْلَحَ أَمْرٌ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ
أَوَّلُهَا، اللَّهُمَّ قَدْ بَلَغْتَ اللَّهُمَّ فَاشْهَد!

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى؛ كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ الْمَوْلَى اللَّطِيفُ
الْخَبِيرُ، وَوَصَّى، فَقَالَ - تَعَالَى - قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦)

[الأحزاب].

فَلْيَسِّطِينَ:

بَيْنَ لَوْعَاتِ الْمَرْءِ، وَاجْرَامِ الْمَرْءِ

الْحُطْبَةُ الْأُولَى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ
يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ فَيُّومُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ،
وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ،
وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، هُوَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى
مَا نَرَى وَنُشَاهِدُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَقَدْ عَظَّمَ الْمَطْلُوبُ،
وَقَلَّ الْمُسَاعِدُ، وَحَسَبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ! وَأَشْهَدُ أَنْ نَبِينَا مُحَمَّدًا
عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ دَاعٍ وَأَكْرَمُ مُجَاهِدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
الْأَمَّاجِدِ، وَصَحْبِهِ أَوْلِي الْفَضْلِ وَالْمَحَامِدِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ
بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَمَنْ

حَقَّقَ التَّقْوَى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا سَعِدَ وَعَلَا، وَنَالَ فِي الْآخِرَةِ الدَّرَجَاتِ
الْعُلَى، فَاتَّقُوا اللَّهَ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - فِي كُلِّ حَالٍ، مُحَقِّقُوا - بِتَوْفِيقِ الْكَرِيمِ
الْمُتَعَالِ - صَلاَحَ الْحَالِ وَالْمَالِ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ حَالِ أَهْلِ الضَّلَالِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَا يَخْتَاجُ الْمَرْءُ إِلَى كَبِيرِ عَنَاءٍ؛ لِيُذْرِكَ أَنَّ
الْوَاقِعَ الْمُعَاصِرَ لِأُمَّتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ هُوَ مِنْ أَمْرٍ مَا مَرَّ بِهَا عَبْرَ تَارِيخِهَا
الطَّوِيلِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ أَمْرًا عَلَى الْإِطْلَاقِ. فَأَزْمَتُهَا الْحَاضِرَةُ لَيْسَتْ
كَسَلْفِ الْأَزْمَاتِ، وَنَكْبَتُهَا وَنَكْسَتُهَا الْمُعَاصِرَةُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَجَالَاتِ
تَكَادُ تَكُونُ غَيْرَ مَسْبُوقَةٍ فِي النِّكَبَاتِ وَالنِّكْسَاتِ؛ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِخُطُورَةِ
التَّحَدِّيَّاتِ، وَشِدَّةِ الصَّرَاعَاتِ، وَضَرَاوَةِ الْمُؤَامَرَاتِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي
تَدَاعِي الْأُمَّمِ عَلَيْهَا مِنْ خَارِجِهَا، وَالْغَثَائِيَّةِ الْمَهِينَةِ مِنْ دَاخِلِهَا.

خَرَجَ أَبُو دَاوُدَ^(١) وَغَيْرُهُ^(٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُوشِكُ الْأُمَّمُ
أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قِضْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قَلَّةِ
نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ،
وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي

(١) برقم (٤٢٩٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٢٧٨ / ٥) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

قُلُوبِكُمْ الْوَهْنُ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ
الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: وَهَذَا قَدْ تَحَقَّقَتِ النَّذَارَةُ، فَهِيَ الْأُمَّمُ
الْمُتَدَاعِيَةُ تَعِيشُ الْقِمَّةَ وَالصِّدَارَةَ، بَيْنَمَا تَعِيشُ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ حَيَاةَ
الِاسْتِجْدَاءِ وَالزَّرَايَةِ. وَلَكِنَّ اعْتِرَافَ الْغُيُورُونَ بِالْحَقِّ الْمُرِّي فِي ذَلِكَ
الْوَاقِعِ الْمُؤَلِّمِ، فَإِنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى مَرْمَى بَعِيدٍ يَرُومُونَ تَحْصِيلَهُ، وَهُوَ أَنَّ
الِاعْتِرَافَ بِالْخَطَأِ وَالتَّقْصِيرِ، أَوَّلَ الْخَطَوَاتِ عَلَى طَرِيقِ الْإِصْلَاحِ
وَالتَّغْيِيرِ، وَأَنَّ أَوَّلَ مَرَاجِلِ الْبِنَاءِ هُوَ بِنَاءُ النَّفْسِ بِالْمُعْتَقَدِ الصَّحِيحِ،
وَالِإِيْمَانِ الْقَوِيِّ، وَالْعِبَادَةِ الزَّكِيَّةِ، وَالْفِكْرِ النُّبِيِّ، وَالْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ.

إِنَّ أَشَدَّ أَنْوَاعِ الْخَلَلِ فَتْكَهَا بِالْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ: دُخُولُ
التَّقْصِيرِ عَلَى الْأُمَّةِ فِي دِينِهَا وَعَقِيدَتِهَا، وَالِإِزْرَاءُ بِفِكْرِهَا وَثِقَافَتِهَا وَإِرْثِهَا
الْحَضَارِيِّ، وَالِإِنْسِيَاقُ وَرَاءَ قَرَاصِنِ الْفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ، وَسَمَاسِرَةِ
الْأَخْلَاقِ، الَّذِينَ يَجْرُونَ الْأُمَّةَ إِلَى مُسْتَنْقَعَاتٍ عَمِيقَةٍ مِنَ الرَّذِيلَةِ، وَهُوَ
سَحِيْقَةٌ مِنَ الْإِنْحِلَالِ وَالِإِبَاحِيَّةِ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ هَزَائِمِ الْأُمَّمِ،
وَإِنْتِكَاسَاتِ الشُّعُوبِ، وَهَذَا الْمَجَادِ، وَتَقْوِيضِ الْحَضَارَاتِ. وَكَمْ
عَانَتْ مِنْهَا أُمَّتُنَا، فَأَوْصَلَتْهَا إِلَى حَضِيضِ الْغُبْرَاءِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فِي
ذُرَى الْعُلِيَاءِ، فَإِلَى جَانِبِ التَّخَلُّفِ الْمُرِّي. مَعَ الْأَسْفِ الْأَهْبِ. الَّذِي

تَعِيشُهُ الْأُمَّةُ فِي جَوَانِبِ شَتَىٰ مِنْ حَيَاتِهَا، أُصِيبَتْ بِالْوَهْنِ وَالضَّعْفِ،
لَا أَمَامَ الْقُوَى الْعَالَمِيَّةِ فَحَسْبُ، بَلْ أَمَامَ قُوَّةِ ضَيْلَةٍ فِي دُوَيْلَةٍ صَغِيرَةٍ،
ضَعِيفَةٍ فِي ذَاتِهَا، مُتَخَلِّفَةٍ فِي كِيَانِهَا، وَلَكِنَّهَا اسْتَنْسَرَتْ عَلَى الْأُمَّةِ
وَاسْتَأْسَدَتْ عَلَىٰ أَبْنَائِهَا. فَتَقِيمُ لَهُمُ الْمَجَازِرَ بَيْنَ الْفَيْئَةِ وَالْأُخْرَىٰ،
وَتَجْوِسُ خِلَالَ دِيَارِهِمْ فَتَنْهَبُ خَيْرَاتِهَا، وَتَسْتَنْزِفُ طَاقَاتِهَا، وَتَعْبَثُ
بِمُقَدَّرَاتِهَا، وَتَجْتَاحُ أَرَاضِيهَا، وَتَنْتَهِكُ حُرْمَاتِهَا، وَكَأَنَّهَا حَمَىٰ مُسْتَبَاحٌ
لِكُلِّ مُعْتَدٍ مَأْفُونٍ^(١). يُصَاحِبُ ذَلِكَ ضِيَاعٌ فِكْرِيٌّ، وَسُقُوطٌ أَخْلَاقِيٌّ،
وَتَسْطِيحٌ تَرْبَوِيٌّ، وَانْتِكَاسَةٌ ثَقَافِيَّةٌ وَإِعْلَامِيَّةٌ، تَنْظُرُ إِلَى الدِّينِ عَلَى أَنَّهُ
تَخْلَفُ وَرَجْعِيَّةٌ.

وَلَمْ يَقِفِ الْأَمْرُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، بَلْ تَعَدَّاهُ إِلَى مَا هُوَ أَشَدُّ وَأَنْكَىٰ، إِلَى
تَنْشِئَةِ أَجْيَالٍ مُسَخَّتٍ هُوِيَّتِهَا، وَانْتِزَعَتْ شَخْصِيَّتِهَا، وَسُمِّمَتْ أَفْكَارُهَا،
تُنْفِقُ بَدَعَاتٍ غَرِيبَةً عَنْ مَثَلِهَا وَمُجْتَمَعَاتِهَا، وَتُسْتَعْلُ الْأَحْدَاثُ، وَتُفْتَعَلُ
الْأَزْمَاتُ؛ لِتَحْقِيقِ الْأَهْدَافِ وَتَصْفِيَةِ الْحِسَابَاتِ، وَتَكَلَّمَتِ الرُّوَيْضَةُ
فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ، وَخَاضَتْ كَثِيرٌ مِنَ الْأَقْلَامِ فِي أُمُورِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ،
وَأَصْبَحَ الْخَوْضُ فِي أُمُورِ الشَّرِيعَةِ تَخْصُّصَ مَنْ لَا تَخْصُّصَ لَهُ، وَعَمَدٌ

(١) سبق بيان معناها (ص ١٠٠).

أَقْوَامٌ إِلَى ثِقَافَةِ الْبَطْشِ؛ تَخَلُّصًا مِنْ هَذَا الْوَاقِعِ الْمُزْرِي.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَالْكَارِثَةُ الْأَخْطَرُ فِي الْمَنْطِقَةِ الَّتِي لَا تَزَالُ الْأُمَّةُ
تَعِيشُ عَقَابِيلَهَا^(١) حَتَّى هَذِهِ اللَّحْظَةِ، هِيَ تِلْكَ الْهَجْمَةُ الصُّهُيُونِيَّةُ
هَذِهِ الْأَيَّامِ، وَالْإِمْعَانُ فِي الْكَيْدِ لِلْأُمَّةِ وَدِينِهَا وَمُقَدَّسَاتِهَا وَرُمُوزِهَا،
وَلَقَدْ كَانَ آخِرُ مُسَلْسَلِ الْجَرَائِمِ الْبَشْعَةِ، الَّتِي أَقْدَمَ عَلَيْهَا هَذَا
الْكَيْانُ الْجُعْظَرِيُّ^(٢) هُوَ مَا رُزِنَتْ بِهِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَامَّةً،
وَالْقَضِيَّةُ الْفِلِسْطِينِيَّةُ خَاصَّةً، مِنْ جَرِيْمَةِ اغْتِيَالِ الشَّيْخِ الْمُجَاهِدِ
أَحْمَدَ يَاسِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَكَتَبَهُ فِي عِدَادِ الشُّهَدَاءِ
الْأَبْرَارِ وَالصِّدِّيقِينَ، وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَأَعْلَى مَنَازِلَهُ فِي
عَلِيِّينَ، وَخَلَفَهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، فَعَلَى مِثْلِهِ فَلْتَبْكِ الْبَوَاكِي -
وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَلَقَدْ تَوَلَّى كِبَرَ هَذِهِ الْجَرِيْمَةِ النَّكْرَاءِ، وَالْحَادِثَةِ الشَّنْعَاءِ، مِنْ شَيْنِ
الشُّرُورِ، وَرَاءِ الْإِرْهَابِ، وَوَاوِ الْقَسْوَةِ، وَتُونِ الْعُنْصُرِيَّةِ وَالْعُدْوَانِ

(١) سبق بيان معناها (ص ٤٤٢).

(٢) الْجُعْظَرِيُّ: الْفِظُ الْغَلِيظُ الْمَتَكَبِّرُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (جعظري).



وَالطُّغْيَانِ فِي اسْمِهِ:

وَقَلَّ أَنْ أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ ذَا لَقَبٍ إِلَّا وَمَعْنَاهُ إِنَّ فَكَّرْتَ فِي لَقَبِهِ^(١)
لَقَدْ هَزَّتْ هَذِهِ الْجَرِيمَةُ الْبَشِيعَةَ مَشَاعِرَ الْأُمَّةِ جَمِيعًا، بَلْ مَشَاعِرَ
كُلِّ الشُّرَفَاءِ مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِقِيَمِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْحُرِّيَّةِ، وَحُقُوقِ الْإِنْسَانِ
فِي الْعَالَمِ، كَمَا أَنَّهَا تُمَثِّلُ فِي فُصُولِهَا وَمَشَاهِدِهَا أَبْشَعَ مَعَانِي الْغَدْرِ
وَالظُّلْمِ وَالْخِيَانَةِ، وَالْخِسَّةِ وَالِدَّنَاءَةِ، الَّتِي يَتَهَجُّهَا أَبْنَاءُ صُهَيْوْنَ.
وَإِنَّ إِقْدَامَ إِسْرَائِيلَ عَلَى اغْتِيَالِ الشَّيْخِ الْمُجَاهِدِ الْمُسَيَّبِ، الْمُتَقَعِدِ
الْمَرِيضِ - عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ وَالرَّضْوَانُ - بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْمُرَوِّعَةِ، يُعْتَبَرُ
خَرْقًا لِكُلِّ الْمَبَادِيئِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالْأَعْرَافِ وَالْمَوَاطِئِ الدَّوْلِيَّةِ، وَتَجَاوُزًا
لِكُلِّ الْخَطُوطِ الْحَمْرَاءِ، وَإِمْعَانًا فِي الْحَقْدِ السَّافِرِ، وَالْكَيْدِ الْكُبَّارِ،
وَالْمَشْرُوعِ الدَّمَوِيِّ الْعَادِرِ هُوْلَاءِ، وَإِمَاطَةَ لِلثَّامِ عَنِ الْوَجْهِ الْكَالِحِ،
وَإِذْكَاءَ لِلْحَقْدِ وَالْكَرَاهِيَّةِ وَالْعُنْصُرِيَّةِ الْبَغِيضَةِ بَيْنَ الشُّعُوبِ، وَمَعَ أُمَّةِ
الْإِسْلَامِ - وَهُوَ دِينَ الرَّحْمَةِ وَالتَّسَامُحِ وَالسَّلَامِ - فَإِنَّهُ يَأْبَى كُلَّ الْإِبَاءِ
مَعَانِي التَّخَاذُلِ وَالصَّيْمِ وَالِاسْتِسْلَامِ.
أَلَمْ يَبْنِ الْأَوَانَ - يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - لَوْ قَفِ نَزِيفِ الدَّمِ الْمُسْلِمِ

(١) يُنظَرُ: «تحفة المولود» (ص ٥١)، و«زاد المعاد» (٢/٣٣٦).

الْمُتَدَفِّقِ عَلَى ثَرَىٰ فِلِسْطِينَ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ، وَلَا عَجَبَ فَتَأْرِخُ الْقَوْمِ
قَاتِمٌ بِمَدَادِ أَسْوَدَ فِي سِلْسِلَةِ قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُجَاهِدِينَ وَالصُّلَحَاءِ،
مَعَ أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ مُوسَىٰ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - رَحْمَةً كُلُّهُ، قَالَ

- تَعَالَىٰ -: ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْنَا مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ [الأحقاف: ١٢]،
فَأَيْنَ الرَّحْمَةُ مِنْ هَذِهِ الْوَحْشِيَّةِ الْمُجَرَّدَةِ عَنِ الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ
وَالْإِنْسَانِيَّةِ؟ لَكِنْ لَعَلَّهَا بَدَايَةُ النَّهَائِيَةِ لِهَؤُلَاءِ الرَّعَادِيدِ^(١).

إِنَّ عَلَىٰ الْمُجْتَمَعِ الدُّوَلِيِّ أَنْ يُيَادِرَ بِوَضْعِ حَلٍّ عَاجِلٍ، وَاتِّخَاذِ
مَوْقِفٍ حَازِمٍ؛ لِإِعْلَاجِ مَا آلَ إِلَيْهِ وَضَعُ إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ فِي فِلِسْطِينَ،
وَإِقَافِ سِيَاسَةِ الْعَبَثِ وَالْعُنْفِ الصَّهْيُونِيِّ الْمُسْتَمِرِّ، وَاسْتِخْفَافِهِ
بِأَرْوَاحِ وَدِمَائِ الشَّعْبِ الْفِلِسْطِينِيِّ الْمُسْلِمِ، وَالَّذِي لَنْ يُؤَدِّيَ إِلَّا إِلَى
اسْتِشْرَاءِ الْعُنْفِ وَالتَّدْهُورِ وَالْفَوْضَى، مِمَّا يُشَكِّلُ عَائِقًا أَمَامَ الْجُهُودِ
الرَّامِيَةِ لَوْقِفِ النَّزِيفِ الدَّمَوِيِّ، عَلَى أَرْضِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ.

فَهَلْ تَنْتَزِعُ أُمَّةَ الشُّمُوسِ وَالْإِبَاءِ، الدُّرُوسَ وَالْعِبْرَ مِنْ هَذِهِ
الْأَحْدَاثِ الَّتِي هَدَّتِ الْقَامَةَ، وَأَنْصَتِ الْهَامَةَ؟! وَهَلْ تَعْبِي أَنَّ الْقُوَّةَ

(١) الرَّعْدِيدُ: الجبان، يَرْعُدُ عِنْدَ الْقِتَالِ جَبْنًا. يُنْظَرُ: «اللسان» (رعد).

الْحَقِيقِيَّةَ إِنَّمَا هِيَ قُوَّةُ الْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ، وَأَنَّ بُلُوغَ الْقِمَّةِ، إِنَّمَا هُوَ فِي
الْقُوَّةِ وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ، وَأَنَّ وِلَاءَ الْأُمَّةِ إِنَّمَا هُوَ لِلْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ،
لَا لِلْأَشْخَاصِ وَالذَّوَاتِ. كَمَا أَنَّ مَعْرَكَةَ الْأُمَّةِ مَعَ عَدُوِّهَا - مِمَّنْ
لَا يَرْتَبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ - إِنَّمَا هِيَ
مَعْرَكَةُ عَقِيدَةٍ وَهُويَّةٍ وَمَصِيرٍ. وَأَنَّ أُمَّتَنَا تَأْتِي الْإِنْهَزَامِيَّةَ، وَتَسْتَعْصِي عَلَى
التَّلَاشِيِّ وَالذَّوْبَانِ، وَأَنَّ رُوحَ الْمُقَاوَمَةِ تَحْفِرُ خَنَادِقَ فِي الْقُلُوبِ
لِلتَّضْحِيَةِ بِالنَّفْسِ وَالنَّفِيسِ مِنْ أَجْلِ نُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ، وَالإِضْطِاعِ
بِهِمُومِ الْأُمَّةِ وَقَضَايَاهَا.

إِنَّ الْمَسِيرَ خَلْفَ الْوَهْمِ وَالسَّرَابِ وَالْوَعُودِ الْكَاذِبَةِ وَالْأَحْلَامِ
الْوَرْدِيَّةِ، ضَرْبٌ مِنْ تَحْدِيرِ الْأُمَّةِ عَنْ نُصْرَةِ قَضَايَاهَا الْعَادِلَةِ، وَأَنَّ مَا
حَصَلَ وَيَحْصُلُ لِلْمُسْلِمِينَ إِنَّمَا هُوَ تَمْحِصٌ وَابْتِلَاءٌ يَتَمَخَّصُ عَنْهُ
- بِحَوْلِ اللَّهِ - بِشَائِرٍ عَاجِلَةٍ وَأَجَلَةٍ، تَدْفَعُ لِصَحْوَةِ الْأُمَّةِ مِنْ غَفَوَاتِهَا
وَهَوَاضِهَا مِنْ كِبَوَاتِهَا، وَتَبْعُثُ هِمَّتَهَا الْحَضَارِيَّةَ، وَقُوَّتَهَا الْمَادِيَّةَ
وَالْمَعْنَوِيَّةَ حَتَّى يَتَحَقَّقَ النُّصْرُ بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَإِنَّ الدَّعْوَةَ مُوجَّهَةٌ مِنْ مَنْبَرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ - الَّذِي يُمَثِّلُ
الْإِزْتِبَاطَ الْعَقْدِيَّ وَالتَّارِيخِيَّ مَعَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الْمُبَارَكِ - لِإِخْوَانِنَا
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى أَرْضِ فِلِسْطِينَ الْمُبَارَكَةِ، أَنْ يَقِفُوا صَفًّا وَاحِدًا أَمَامَ

الْعُدُوِّ الصُّهُيُونِيِّ الْمُتَعَجِّرِ، وَأَنْ يَتَخَلَّوْا عَنْ كُلِّ عَوَامِلِ الْإِخْتِلَافِ
وَالْتَنَازُعِ وَالشُّقَاقِ، وَإِنَّا نُنَاشِدُهُمُ التَّمَسُّكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَضْيِيعِ
الْفُرْصَةِ عَلَى الْمُتَهَيِّزِينَ وَالْمُسْتَفْزِيزِينَ.

فِيَا إِخْوَانَنَا فِي أَرْضِ الرِّسَالَاتِ وَمَهْدِ البُطُولَاتِ، يَا أَبْنَاءَ
الْأَبْطَالِ الْمُجَاهِدِينَ، وَأَحْفَادَ الصَّنَادِيدِ الْفَاتِحِينَ، لَقَدْ أَحْيَيْتُمْ فِي
الْأُمَّةِ آمَالَهَا بِجِهَادِكُمُ الْمُبَارَكِ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّبْرِ وَالْمُصَابِرَةِ! حَتَّى
يَتَحَقَّقَ لَكُمْ - بِإِذْنِ اللَّهِ - إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ: النَّصْرُ أَوْ الشَّهَادَةُ، وَقُلُوبُنَا
مَعَكُمْ، وَالِدُعَاءُ مَبْدُولٌ لَكُمْ، وَلَنْ تَدَخِرَ الْأُمَّةُ مَالًا وَلَا جُهْدًا فِي
نُضْرَتِكُمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ.

وَيَا قَادَةَ الْمُسْلِمِينَ، يَا مَنْ جَلَسْتُمْ عَلَى كِرَاسِي التَّنْفِيدِ،
يَا مَنْ مَكَّنَكُمُ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ وَعِبَادِهِ: الْقُدْسُ وَالْأَقْصَى أَمَانَةٌ فِي
أَعْنَاقِ الْأُمَّةِ، وَالشُّعُوبُ الْإِسْلَامِيَّةُ تَتَطَلَّعُ إِلَى اجْتِمَاعِ قِمَّتِكُمْ فِي أَقْرَبِ
فُرْصَةٍ سَانِحَةٍ؛ لِلخُرُوجِ بِمَوَاقِفَ عَمَلِيَّةٍ مُسْتَعْلِيَّةٍ حَازِمَةٍ؛ لِنُضْرَةِ
الْمُسْتَضْعَفِينَ، خَاصَّةً فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ وَفِلِسْطِينَ، وَوَضِعَ حَدِّ صَارِمٍ
لِلتَّجَاوُزَاتِ الصُّهُيُونِيَّةِ، وَخَطَرِهَا عَلَى الْمَنْطِقَةِ وَالْعَالَمِ.

سَدَّدَ اللَّهُ الْخُطَى، وَبَارَكَ فِي الْجُهُودِ، وَصِدْقًا صِدْقًا أَيُّهَا

الْمُسْلِمُونَ، وَصَبْرًا صَبْرًا أَيُّهَا الْمُجَاهِدُونَ.

وَلَيْسَتَيْنِ الْجَمِيعُ أَنْ ثَمَّتْ حَقِيقَةُ شَرْعِيَّةٍ يَنْبَغِي أَلَّا تَعْرُبَ عَنِ
الْأَذْهَانِ مُطْلَقًا، وَهِيَ: أَنَّ عَاقِبَةَ التَّدَافِعِ بَيْنَ الْقُوَى، وَثَمَرَةَ الصَّرَاحِ بَيْنَ
الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، إِنَّمَا هِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، فَلَيْهِنَا الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ،
وَلِيَقْرَّ الْمُؤْمِنُونَ أَعْيُنًا بِهِدَا، وَلِتُشْفَ صُدُورُهُمْ، وَيَذْهَبَ غَيْظُ
قُلُوبِهِمْ، فَالِنَّصْرُ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، طَالَ الزَّمَانُ أَوْ قَصُرَ، وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا
الْإِخْلَاصُ وَالصِّدْقُ، وَالْجِدُّ وَالْعَمَلُ، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف]، ﴿ وَالَّذِينَ

جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت]، بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا
فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ.

أَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ، وَلِسَائِرِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، يَا بَشْرَى لِلتَّائِبِينَ،
وَيَا لَفُوزَ الْمُسْتَغْفِرِينَ ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾ [النور].



الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْأَرْبَابِ، وَمُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ، وَخَالِقِ النَّاسِ مِنْ
 تُرَابٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مُنْزِلِ الْكِتَابِ،
 وَجُرِّي السَّحَابِ، وَهَازِمِ الْأَحْزَابِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ
 وَرَسُولُهُ، خَيْرُ نَبِيٍّ أُنْزِلَ عَلَيْهِ خَيْرُ كِتَابٍ، بَعَثَهُ اللَّهُ لِيَتِمَّ صَالِحِ
 الْأَخْلَاقِ وَالْأَدَابِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 خَيْرِ آلٍ وَأَصْحَابٍ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْمَآبِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ط

ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿ [البقرة].

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ: وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي تُصَعَّدُ الْأُمَّةُ
 الْمَكْلُومَةُ زَفْرَاتِهَا اللَّهِيْفَةَ عَلَى مَا آلَ إِلَيْهِ حَاهُهَا، تَتَعَرَّضُ الْأُمَّةُ فِي - صَفْحَةِ
 أُخْرَى مِنْ مَآسِيهَا - لِنَكْبَةِ أَخْلَاقِيَّةٍ، وَنَكْسَةِ قِيَمِيَّةٍ خَطِيرَةٍ، تُمَثِّلُ قَاعَ
 دَرَكَاتِ الْإِنْحِطَاطِ الْأَخْلَاقِيِّ، الْمُتَمَثِّلِ فِي إِفْرَازَاتِ إِعْلَامِيَّةٍ، عَبْرَ
 قَنَوَاتِ فَضَائِيَّةٍ غَيْرِ مَسْئُولَةٍ، تَعْمَدُ لِإِفْصَاءِ الْفَضِيلَةِ، وَإِعْلَاءِ رَايَةِ
 الرَّذِيلَةِ، فِي مَشَاهِدٍ مِنَ التَّبَدُّلِ وَالْعُرْيِ الْفَاضِحِ، الَّذِي لَا يَقْرَهُ أَهْلُ

النَّفُوسِ السَّلِيمَةِ، وَالْفِطْرِ الْمُسْتَقِيمَةِ، وَالذَّوْقِ الرَّفِيعِ، فَضْلاً عَنْ أَهْلِ
 الدِّيَانَةِ وَالْعِفَّةِ وَالْحَيَاءِ وَالْحِشْمَةِ، تَحْتَ مُسَمِّيَاتِ وَسِتَارِ مِنَ الْمَهَازِلِ
 عَلَى الرِّذِيلَةِ سَوَاءٍ، وَعَلَى طَرِيقِ الْعَفْنِ مَعًا، فِي نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَرْبِ
 عَلَى قِيمِ الْأُمَّةِ وَفَضَائِلِهَا وَشَبَابِهَا وَفِتْيَاتِهَا، وَسِلَاحٍ مِنْ أَسْلِحَةِ الدَّمَارِ
 الشَّامِلِ لِكُلِّ أَنْوَاعِ الْقِيمِ وَالْعَفَافِ وَالْفَضِيلَةِ؛ مِمَّا أَسْهَمَ بِجَلَاءٍ فِي
 خَلْخَلَةِ الْمَنْظُومَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْمُحَافِظَةِ، وَالنَّسِيجِ الْأَخْلَاقِيِّ الْمُتَمَيِّزِ
 لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَيُفَرِّزُ آثَارًا اجْتِمَاعِيَّةً خَطِيرَةً، فِي التَّمَرُّدِ عَلَى الْقِيمِ،
 وَالْإِنْفِلَاتِ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالْمُثَلِّ.

كُلُّ ذَلِكَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَعِيشُ فِيهِ أُمَّتَنَا ظُرُوفًا عَصِيبَةً، تَتَطَلَّبُ
 الْعِنَايَةَ بِالْجِيلِ، وَالْحِفَاطِ عَلَى النَّشْءِ مِنْ مَوْجَاتِ الْإِنْفِتَاحِ وَالتَّغْيِيرِ،
 الَّتِي حَلَّتْ بِالْأُمَّةِ دُونَ ضَوَابِطِ شَرْعِيَّةٍ، أَوْ آدَابِ مَرْعِيَّةٍ، مِمَّا يُجَسِّدُ
 الْمَسْئُورِيَّةَ عَلَى الْأُسْرَةِ وَالْمُجْتَمَعِ بِأُسْرِهِ، فِي بَثِّ الْوَعْيِ بَيْنَ أَطْيَافِهِ،
 لِاسِيَّمَا الشَّبَابِ وَالْفِتْيَاتِ.

أَمَّا الْمَسْئُورُونَ عَنْ هَذِهِ الْقَنَوَاتِ، فَإِنَّا نُنَاشِدُهُمُ اللَّهَ، الْكَفَّ
 عَنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْبَرَامِجِ الْمُخْزِيَّةِ، الَّتِي تَعْمَلُ عَلَى إِشَاعَةِ الْفَاحِشَةِ
 فِي الْمُؤْمِنِينَ، وَالَّتِي تُعَدُّ - بِحَقِّ - خِذْلَانًا لِلْأُمَّةِ، وَقَفْرًا عَلَى
 اهْتِمَامَاتِهَا، وَخِيَانَةً لِقَضَايَاهَا، وَنَكَأً سَافِرًا لِحِرَاحِهَا الدَّامِيَّةِ.

وَمَعَ مَا قَدْ يُظَنَّ أَنَّ الْحَدِيثَ يَجْنَحُ لِلْعَاطِفَةِ، فَإِنَّ مِنَ الْعَقْلِ
وَالْحِكْمَةِ، أَنْ يَعِيشَ الْمَرْءُ وَسَطًا فِي الرَّؤْيِ، بَيْنَ مَنَابِعِ الْيَأْسِ
وَإِشْرَاقَاتِ التَّفَاوُلِ وَالْأَمَلِ، فَلَا إِغْرَاقَ فِي التَّشَاؤْمِ؛ لِمَا يَبْعَثُهُ مِنْ
كَسْرِ النَّفْسِ، وَالرُّكُونَ إِلَى الْإِحْبَاطِ وَتَرْكِ الْعَمَلِ، وَلَا إِفْرَاطَ فِي
الْحَدِيثِ عَنِ جَوَانِبِ الْقُصُورِ وَالسَّلْبِيَّةِ، فَفِي الْأُمَّةِ - بِحَمْدِ اللَّهِ -
جَوَانِبُ كَثِيرَةٌ يَنْبَغِي أَنْ تُسْتَمَرَ فِي بَثِّ رُوحِ الْأَمَلِ وَالتَّفَاوُلِ، فَالْحَقُّ
مَنْصُورٌ وَمُتَحَنُّنٌ، فَلَا تَعْجَبْ فَهَذِهِ سُنَّةُ الرَّحْمَنِ، وَكَمْ فِي طَيَّاتِ
الْمِحَنِ مِنْ مَنَحٍ! وَكَمْ فِي ثَنَائِهَا النِّقَمِ مِنْ نِعَمٍ! وَتِلْكَ سُنَّةُ اللَّهِ الْكُونِيَّةُ
وَالشَّرْعِيَّةُ.

وَسَجَلُ التَّأْرِيخِ خَيْرٌ شَاهِدٍ، مِمَّا يَبْعَثُ فِي نَفْسِ الْمُسْلِمِ، الثِّقَّةَ
بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَنُصْرَةَ دِينِهِ، مِنْ غَيْرِ يَأْسٍ مُقْعِدٍ، وَلَا إِحْبَاطٍ قَاتِلٍ،
وَمِنْ غَيْرِ تَهَوُّرٍ عَاجِلٍ، وَحَمَاسٍ وَانْدِفَاعٍ زَائِلٍ. وَالْمُؤَفَّقُ مَنْ أَفَادَتْهُ
الدَّرُوسُ، وَأَنَارَتْهُ الْمَوَاقِفُ وَالْعِبَرُ، بِإِذْرَاكِ أَوَّلِ الْأَحْدَاثِ وَآخِرِهَا،
وَفَهْمِ آثَارِهَا وَأَسْرَارِهَا وَعَوَاقِبِهَا.

وَاللَّهُ هُوَ هَادِي الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ
التُّكْلَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ، نَبِيِّ الرَّحْمَةِ

وَالْمَلَاحِمِ، وَرَسُولِ الْخَيْرِ وَالْمَكَارِمِ، كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ رَبُّكُمْ - جَلَّ
وَعَلَا - فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

القِسْمُ الحَادِي عَشْرُونَ

الرَّقَائِقُ

دُمُوعُ الْعَيْنَيْنِ فِي رِثَاءِ خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ
(الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله وطيب ثراه)

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَقَرِّدِ بِالذَّوَامِ وَالْبَقَاءِ، الْمُتَزَّهِ عَنِ الْعَدَمِ وَالْفَنَاءِ،
أَحْمَدُهُ - تَعَالَى - عَلَى قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ، وَصَفَاءِ الْأَمْرِ وَكَدْرِهِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى
حَالِ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَأَسْأَلُهُ الصَّبْرَ عَلَى مُرِّ الْقَضَاءِ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَلَا أُنْدَادَ وَلَا شُرَكَاءَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا
وَسَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، إِمَامُ الْحُنَفَاءِ، وَسَيِّدُ الْأَصْفِيَاءِ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الْأَتْقِيَاءِ الْأَنْقِيَاءِ، وَصَحْبِهِ بُدُورِ الْإِهْتِدَاءِ،
وَأَنْجُمِ الْإِقْتِدَاءِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا دَامَتِ الْأَرْضُ
وَالسَّمَاءُ، وَسَلِّمْ يَا رَبِّ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَإِنَّهَا
أَمَانٌ عِنْدَ الْبَلَايَا، وَذُخْرٌ عِنْدَ الرَّزَايَا، وَعِصْمَةٌ مِنَ الدُّنَايَا.
فَاتَّقُوا اللَّهَ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا،

وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ، ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّوَا اللَّهَ وَتَنْظُرُ

نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ [الحشر].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَا أَمْرًا يُزْدَرَى أَنْ هَذِهِ

الدَّارُ، دَارُ امْتِحَانٍ وَابْتَلَاءٍ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوَةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ

عَمَلًا﴾ [الملك: ٢٢]، وَأَنَّ حَقِيقَتَهَا ظِلٌّ زَائِلٌ وَعَرْضٌ حَائِلٌ ﴿يَقَوْمِ إِنَّمَا

هَذِهِ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٢٩﴾ [غافر].

وَمَنْ يَذُقِ الدُّنْيَا فَإِنِّي طَعَمْتُهَا وَسِيقَ إِلَيْنَا عَذَابُهَا وَعَذَابُهَا

فَلَمْ أَرَهَا إِلَّا غُرُورًا وَبَاطِلًا كَمَا لَاحَ فِي أَرْضِ الْفَلَاحِ سَرَابُهَا^(١)

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: الْحَقِيقَةُ الْحَاضِرَةُ الْغَائِبَةُ، أَنَّ الْمَوْتَ فِي

هَذِهِ الدُّنْيَا نِهَآيَةُ كُلِّ حَيٍّ، وَخِتَامُ كُلِّ شَيْءٍ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣٦﴾ وَيَبْقَى

وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن].

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا كَرِّيَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا نَازِلٌ وَقَرِيبٌ^(٢)

(١) يُنظَرُ: «ديوان الإمام الشافعي» (ص ٨).

(٢) يُنظَرُ: «التبصرة» (١/٤٣٣).

كَأْسِ الْمَوْتِ الْمُتْرَعَةِ^(١) يَتَجَرَّعُهَا كُلُّ الْبَشَرِ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِيعِ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾^(٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾^(٣٥) [الأنبياء]، تَحَسَّى مَرَارَتَهُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ، وَالْعُظَمَاءُ وَالْعُلَمَاءُ، وَالزُّعَمَاءُ وَالنُّبَلَاءُ، بَلْ كُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَغَنِيٍّ وَفَقِيرٍ، وَمَأْمُورٍ وَأَمِيرٍ:

حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الرِّيَّةِ جَارِي مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ قَرَارِ
فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا خِيَالٌ سَارِي^(٢)

حُلِقْنَا لِلْحَيَاةِ وَلِلْمَمَاتِ وَمِنْ هَذَيْنِ كُلُّ الْحَادِثَاتِ
وَمَنْ يُوَلَدَ يَعِشُ وَيَمُتُ كَ أَنْ لَمْ يَمُرَّ خِيَالُهُ بِالْكَائِنَاتِ^(٣)
قَضَاءٌ نَافِذٌ، وَحُكْمٌ شَامِلٌ، وَأَمْرٌ حَتْمٌ لَازِمٌ، لَا مَهْرَبَ مِنْهُ وَلَا مَفَرَّ: ﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾^(١٤) [القيامة] ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ

(١) سبق بيان معناها (ص ٣٥٤).

(٢) البيتان لأبي الحسن التهامي يرثي ابناً له مات صغيراً. يُنظر: «تاريخ مدينة دمشق»

(٢٢٢ / ٤٣)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٨ / ٢٠٢).

(٣) البيتان لأحمد شوقي، يُنظر: «ديوانه» (ص ٣٦٣).

أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ [الأعراف].

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَلَئِنْ كَانَتْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ بِعَامَّةٍ كَبِيرَةً،
وَفَاجِعَةً بِالْفَقْدِ عَظِيمَةً! فَإِنَّ الرَّزِيَّةَ تَكُونُ أَعْظَمَ وَقَعًا، وَأَكْبَرَ أَثْرًا، حِينَئِذٍ
تَكُونُ بِفَقْدِ وَلِيِّ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِمَامِ عَظِيمٍ مِنْ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ، وَقَائِدٍ
فَدَّ مِنْ أَبْرَزِ قَادَةِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ:

لِعَمْرُكَ مَا الرَّزِيَّةُ فَقَدْ مَالَ وَلَا شَاةٌ تَمُوتُ وَلَا بَعِيرٌ
وَلَكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَقَدْ شَهَمَ يَمُوتُ بِمَوْتِهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ^(١)

* * *

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا^(٢)

يُؤَكِّدُ ذَلِكَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - فِي الْوَقْتِ الَّذِي:

طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبْرٌ فَرِغْتُ فِيهِ بِأَمْوَالِي إِلَى الْكَذِبِ
حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعُ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا شَرِقتُ بِالْدَّمْعِ حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ بِي^(٣)

(١) البيتان لامرأة من الأعراب يُنظر: «الأمالي في لغة العرب» (١/٢٧٦).

(٢) البيت لعبيدة بن الطيب، يرثي به قيس بن عاصم بن سنان، يُنظر: «الوافي بالوفيات» (٢٤/٢١٣).

(٣) يُنظر: «ديوان المتنبي» (١/٢٥).

فِي حَدِيثٍ: هَزَّنَا خَبْرُهُ وَأَفْرَعَنَا نَبْوُهُ خَيْرٌ: عَزَّ عَلَيْنَا مَسْمَعُهُ، وَأَثَرَ فِي قُلُوبِنَا مَوْقِعُهُ خَيْرٌ: تَأَلَّمَتْ لَهُ الْمَسَامِعُ وَسُكِبَتْ مِنْ أَجْلِهِ الْمَدَامِعُ وَهِيضَتْ^(١) مِنْ هَوْلِهِ الْأَضَالِعُ نَبَأٌ: يَهْوِلُهُ الْقُلُوبُ تَتَفَجَّعُ وَالنُّفُوسُ تَتَوَجَّعُ فَقَدْ كَانَ مِنَ الْحُزْنِ أَنْ تَعْجَزَ الْأَلْسُنُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَتَتَضَاعَلَ الْكَلِمَاتُ عَنْ وَصْفِهِ، نَبَأٌ: أَشْخَصَ النَّظْرَاتِ، وَأَذْرَفَ الْعَبْرَاتِ وَأَوْرَثَ الْحَسْرَاتِ وَأَطَالَ الزَّفْرَاتِ مِنْ أَكْبَادِ حَرَاءٍ وَمَقَلِّ سَكْرَى وَأَنَاتٍ تَتْرَى: يَا لَوْعَةً لَا يَزَالُ لَا عِجْهًا يَقْدَحُ نَارَ الْأَسَى عَلَى الْأَكْبَادِ^(٢)

مَنْ لِقَلْبٍ شَفَّهُ الْحُزْنَ وَلِنَفْسٍ مَالَهَا سَكْنٌ^(٣)
إِنَّهُ الْخَطْبُ الْعَظِيمُ! وَالْمُصَابُ الْجَلَلُ! وَالْفَاجِعَةُ الْعُظْمَى!

(١) هَاضَ الشَّيْءُ هَيْضًا: كَسَرَهُ، وَهَاضَ الْعِظْمَ يَهِيضُهُ هَيْضًا فَانْهَاضَ: كَسَرَهُ بَعْدَ الْجَبُورِ، فَهُوَ مَهِيضٌ، يُنْظَرُ: «اللسان» (هَيْض).

(٢) الْبَيْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ الْأَنْدَلِسِيِّ. يُنْظَرُ: «العقد الفريد» (٣/٢١٣).

(٣) الْبَيْتُ لِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ، قُتِلَ أَبُوهَا وَأَخُوهَا وَزَوْجُهَا وَأُمُّهَا وَعَمَّتُهَا وَخَالَتُهَا، فَهَارَقَاتُ لَهَا عَيْنٌ، وَلَا رَوَيْتُ ضَاحِكَةً وَلَا مَبْتَسِمَةً، فَكَانَتْ مِنْ أَشَدِّ النِّسَاءِ كَمْدًا. يُنْظَرُ: «تاريخ خليفة ابن خياط» (ص ٣٨٠)، و«العقد الفريد» (٣/٢٢٣).

وَالدَّاهِيَةَ الدَّهْيَاءُ! فِي فَقْدِ الْأُمَّةِ إِمَامِهَا وَوَلِيِّ أَمْرِهَا! فَعَلَيْهِ فَلْتَبْكِ
 الْبَوَاكِي! رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةَ الْأَبْرَارِ وَأَلْحَقَهُ بِعِبَادِهِ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ
 وَأَسْبِغْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةَ وَالْغُفْرَانَ، وَأَمْطِرْ عَلَى قَبْرِهِ شَائِبَ^(١) الْعَفْوِ
 وَالرِّضْوَانِ وَجَعَلْ مُسْتَقَرَّهُ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى فِي الْجَنَانِ وَجَمَعْنَا وَإِيَّاهُ
 وَسَائِرَ الْمُسْلِمِينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ فِي
 الْمَهْدِيِّينَ، وَبَوَّأَهُ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْعِلِّيِّينَ وَأَخْلَفَهُ فِي عَقِبِهِ فِي
 الْغَائِبِينَ وَجَزَاهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ عَلَى مَا قَدَّمَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْقَلَ
 بِهَا لَهُ الْمَوَازِينَ اللَّهُمَّ آمِينَ اللَّهُمَّ آمِينَ!

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: وَمَعَ فِدَاحَةِ الْمُصِيبَةِ، وَعِظَمِ الْفَجِيعَةِ، فَلَا
 يَمْلِكُ الْمُسْلِمُ - حِيَالَهَا - إِلَّا الرِّضَى وَالتَّسْلِيمَ، وَالتَّدْرُعَ بِالصَّبْرِ
 وَالِإِحْتِسَابِ:

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدْ وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُحَمَّدٍ
 فَإِذَا ذَكَرْتَ مُصِيبَةً تَسْلُو بِهَا فَادْكُرْ مُصَابِكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ^(٢)

(١) الشَّائِبُ: جمع شُؤْبُوبٍ، وهو الدُّفْعَةُ مِنَ الْمَطَرِ وَغَيْرِهِ. يُنظَرُ: «اللسان»
 (شأب).

(٢) يُنظَرُ: «المجالسة وجواهر العلم» (ص ١٣٢)، و«روضة العقلاء» (ص ١٦٣).

فَلَمْ يَعْرِفِ التَّارِيخُ فَجِيعَةً أَعْظَمَ مِنْ فَقْدِ الْمُصْطَفَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ - وَقَدْ قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «مَنْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُ
فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي»^(١) .

فَلِلَّهِ مَا أُعْطِيَ وَلِلَّهِ مَا جَزَىٰ وَلَيْسَ لِأَيَّامِ الرِّزْيَةِ كَالصَّبْرِ^(٢)

هَوْنٌ عَلَيْكَ وَلَا تُولَعُ بِإِسْفَاقٍ فَإِنَّمَا مَالُنَا لِلْوَارِثِ الْبَاقِي^(٣)
كَمَا يَنْبَغِي - يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ - حُسْنُ الْعَزَاءِ وَعَدَمُ التَّسَخُّطِ وَالْجَزَعِ:
أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا^(٤)
عَزَاءٌ لَيْسَ يَلْفِظُهُ جَانِعٌ، وَرِثَاءٌ لَيْسَ يَنْطِقُهُ طَامِعٌ:
إِنِّي أَعَزِّي لَا لِأَنِّي عَلَى ثِقَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ وَلَكِنْ سُنَّةَ الدِّينِ

-
- (١) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٣٢٤ / ١٩) من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه
وأخرج نحوه: عبد الرزاق في «مصنفه» (٥٦٤ / ٣)، والطبراني في «الكبير»
(٦٧١٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٣٩ / ٧) عن سابط الجمحي رضي الله عنه.
(٢) يُنظر: «العقد الفريد» (٢١٧ / ٣).
(٣) البيت ليزيد بن خزّاق. يُنظر: «المجالسة وجواهر العلم» (ص ١٠٠).
(٤) البيت لأوس بن حجر الكندي. يُنظر: «المجالسة وجواهر العلم» (ص ٥٠)،
و«العقد الفريد» (٢٢٨ / ٣)، و«تاريخ مدينة دمشق» (٥٨ / ١٧).

لَيْسَ الْمُعْزَى بِبَاقٍ بَعْدَ مَيِّهِ وَلَا الْمُعْزَى وَإِنْ عَاشَا إِلَى حِينٍ^(١)
أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَلَيْنَ غَابَ فَيَقْدُ الْأُمَّةَ فِي شَخْصِهِ وَذَاتِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ
يَغِبْ فِي أَفْعَالِهِ وَصِفَاتِهِ:

قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَتْ مَكَارِمُهُمْ
وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْوَاتٌ^(٢)

لَعَمْرُكَ مَا وَارَى التُّرَابُ فِعَالَهُ وَلَكِنَّهُ وَارَى ثِيَابًا وَأَعْظَمًا^(٣)
فَلِلَّهِ دَرُّهُ! مَا أَجْمَلَ صَنَائِعُهُ! وَمَا أَجْمَلَ مَكَارِمَهُ! فَلَقَدْ كَانَ نَسِيحًا
وَحَدَهُ، وَطِرَازًا بِمُفْرَدِهِ:

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ عَلَيْهِ حَيَاتَهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورٌ^(٤)

(١) البيتان لبكر بن محمد بن بقية المازني. يُنظر: «معجم الأدباء» (٢/٣٤٧).

(٢) يُنظر: «مفتاح دار السعادة» (١/١٣٧).

(٣) البيت لعبدة بن الطيب، يرثي به قيس بن عاصم بن سنان. يُنظر: «الوافي
بالوفيات» (٢٤/٢١٣).

(٤) البيت لمسلم بن الوليد الأنصاري. يُنظر: «العقد الفريد» (٣/٢٥٣).

فَإِنْ يَكُ أَفْتُهُ اللَّيَالِي فَأَوْشَكَتْ فَإِنَّ لَهُ ذِكْرًا سَيُفْنِي اللَّيَالِيَا^(١)
شَاهِدُ ذَلِكَ بِجَلَاءٍ، تِلْكَ الْأَعْمَالُ الْفَرِيدَةُ: الْحَرَمَانِ الشَّرِيفَانِ
- حَرَسَهُمَا اللَّهُ - اللَّذَانِ شَهِدَا فِي عَهْدِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَكْبَرَ تَوْسِعَةٍ عَرَفَهَا
التَّأْرِخُ وَمَلَائِينُ النُّسخِ مِنَ الْمُصْحَفِ الشَّرِيفِ، طُبِعَتْ وَوُزِّعَتْ فِي
جَمِيعِ أَقْطَارِ الْمَعْمُورَةِ.

سَائِلُوا الْمَسَاجِدَ، وَالْمَدَارِسَ، وَالْجَامِعَاتِ، وَالْمَرَائِزَ
الإِسْلَامِيَّةَ وَالصُّرُوحَ الْحَضَارِيَّةَ وَمَعَاقِلَ التَّعْلِيمِ، وَقِلَاعَ التَّرْبِيَةِ،
فَسَتَنْطِقُ شَاهِدَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِ الْجَلِيلَةِ وَمَآثِرِهِ الْأَثِيلَةِ^(٢):

فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُمْرٌ ثَانٍ^(٣)
تَبْكِيهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ الْكُبْرَى فِي وَفِي مُقَدِّمَتِهَا: قَضِيَّةُ
فِلِسْطِينَ وَالْأَقْصَى، وَالْأَقْلِيَّاتِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي شَتَّى أَنْحَاءِ الْعَالَمِ فَسَجِّلْ يَا
تَأْرِخُ، وَسَطَّرِي يَا أَقْلَامُ وَاشْهَدْ أَيُّهَا الْعَالَمُ، وَاكْتُبْ يَا مِدَادُ بِأَحْرَفٍ مِنْ
نُورٍ وَفَاءٍ بِحَقِّ الْفَقِيدِ وَذِكْرِ مَحَاسِنِهِ، وَأَدَاءً لِبَعْضِ حَقِّهِ عَلَيْنَا

(١) البيت لمنصور النمري، يرثي يزيد بن يزيد. يُنظر: «العقد الفريد» (٣/٢٤٩).

(٢) الأثيل: كل شيء قديم مؤصل. يُنظر: «اللسان» (أثل).

(٣) البيت لأحمد شوقي. يُنظر: «ديوانه» (ص ٥٢٩).

رَحْمَةُ اللَّهِ رَحْمَةً وَاسِعَةً:

فَالْمَشْرِقَانِ عَلَيْهِ يَتَّجِبَانِ قَاصِيَهُمَا فِي مَحْزَنِ وَالِدَانِي
يَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ أَجْرُ مُجَاهِدٍ فِي اللَّهِ مِنْ خُلْدٍ وَمِنْ رِضْوَانِ^(١)
نَسَأَلُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَى، أَلَّا يَجْرِمَهُ ثَوَابَ مَا
قَدَّمَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنَّهُ خَيْرٌ مَسْئُولٍ وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسَأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَبْتَ، وَإِذَا
سُئِلْتَ بِهِ أَعْطَيْتَ، أَنْ تُحْسِنَ عَزَاءَ الْجَمِيعِ وَأَنْ تُخْلِفَ عَلَيْهِمُ الْخَلْفَ
الْمُبَارَكَ وَأَنْ تَجْبُرَ الْمُصَابَ، وَتَغْفِرَ لِلْفَقِيدِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى قَضَائِهِ
وَقَدْرِهِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.
لِلَّهِ مَا أَخَذَ! وَلَهُ مَا أَعْطَى! وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى!

وَإِنَّا - مِنْ مَنبَرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ - لَنَرْفَعُ - بِاسْمِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا -
أَحْرَ التَّعَازِي، وَأَصْدَقَ الْمُوَاسَاةِ إِلَى مَقَامِ وُلاةِ أَمْرِنَا - وَفَقَّهُمُ اللَّهَ -
وَالْأُسْرَةَ الْكَرِيمَةَ، وَأَبْنَاءَ هَذِهِ الْبِلَادِ خَاصَّةً، وَأَهْلِ الْإِسْلَامِ بَعَامَّةٍ
سَائِلِينَ اللَّهَ، أَنْ يُلْهِمَ الْجَمِيعَ الْإِحْتِسَابَ وَالصَّبْرَ وَأَنْ يُعْظِمَ لَهُمُ

(١) أصل البيتين لأحمد شوقي، يقول فيهما: «يَا خَادِمَ الْإِسْلَامِ أَجْرُ مُجَاهِدٍ». يُنظَرُ:

«ديوانه» (ص ٥٢٧).

الْمُتُوبَةَ وَالْأَجْرَ وَلَا يَرَى الْجَمِيعَ مَكْرُوهًا فِي عَزِيزٍ لَدَيْهِمْ.
أَلَا فَلْيَرْحَمِ اللَّهُ فَقِيدَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَيَجْزِهِ خَيْرًا؛ كِفَاءَ مَا أَبَدَى
وَلِقَاءَ مَا أَسَدَى، وَجَزَاءَ مَا قَدَّمَ وَأَعْطَى.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ وَلَنْبَلُونَكُمْ بَشِيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ
وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ
إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ
مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة]
إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! .. إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! .. إِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي آيِ الْكِتَابِ، وَسُنَّةِ النَّبِيِّ الْأَوَّابِ، أَقُولُ قَوْلِي
هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ،
فَأَسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

أُنِيبُ ﴾ [الشورى].

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، هَدَمَ بِالْمَوْتِ مَشِيدَ الْأَعْمَارِ، وَأَمَرَ بِالْتَزْوُدِ لِدَارِ الْفَرَارِ، وَأَشْهَدُ أَنْ نَبِينَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ، وَصَحْبِهِ الْأَبْرَارِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ

ثُمَّ تُوَفَّقُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿ (البقرة).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ: وَفِي خِصْمِ الْمَاسِي وَالْآلَامِ، تَبَرُّزُ فُلُوقِ الْأَمَالِ، وَفِي طَيِّبَاتِ الْمَحَنِ تَبَدُّو الْمِنْحُ، وَمِنْ مَخَاضِ الْأَتْرَاحِ تَتَوَلَّدُ الْأَفْرَاحُ، يُقَالُ ذَلِكَ مُحَدَّثًا بِنِعْمِ اللَّهِ، وَتَذْكَيرًا بِالْآلِئِهِ، فَمَعَ لَوْعَةِ الْفِرَاقِ، تَمَّ الْوِفَاقُ وَالِاتِّفَاقُ، وَمَعَ أَسَى الْوَدَاعِ، تَمَّ الْإِعْتِصَامُ وَالِاجْتِمَاعُ، فِي مَظْهَرِ فَرِيدٍ، وَنَسِيجِ مُتَمَيِّزٍ، وَمَنْظُومَةٍ مُتَأَلِّقَةٍ، مِنْ اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ، وَوَحْدَةِ الصِّفِّ، وَالتِّفَافِ الْأُمَّةِ حَوْلَ قِيَادَتِهَا، بِأَعْيُنِ دَامِعَةٍ، وَقُلُوبِ مُبَايِعَةٍ، وَمُبَادَرَةٍ لِلْبَيْعَةِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بِسَلَاسَةٍ

وَأَنْسِيَابِيَّةٍ، وَيُسْرٍ وَتَلْقَائِيَّةٍ، قَلَّ أَنْ يَشْهَدَ لَهَا التَّأْرِيخُ الْمُعَاصِرُ مِثْلًا،
 وَهَذَا - بِحَمْدِ اللَّهِ وَمَنِّهِ - يُعَدُّ مِنْ عَاجِلِ الْبُشْرَى، وَصَالِحِ الْعُقْبَى، فِي
 عَصْرِ اتِّسَمَ بِالتَّمَوُّجَاتِ وَالْإِضْطِرَابَاتِ، مِمَّا شَفَى صُدُورَ الْمُؤْمِنِينَ،
 وَخَيَّبَ ظُنُونَ الْمُرْجِفِينَ، الَّذِينَ يُسَاوِمُونَ عَلَى اسْتِقْرَارِ هَذِهِ الْبِلَادِ
 الْمُبَارَكَةِ، وَيُرَاهِنُونَ عَلَى أَمْنِهَا وَثَبَاتِهَا وَرُسُوخِهَا. مِمَّا يُؤَكِّدُ مَكَانَتَهَا،
 وَيُبْرِزُ رِيَادَتَهَا إِسْلَامِيًّا وَعَالَمِيًّا وَدَوْلِيًّا، وَأَتَمَّا لَا تَزْدَادُ مَعَ أَحْلَاكِ
 الظُّرُوفِ، وَمَعَ أَشَدِّ الْأَزْمَاتِ إِلَّا تَمَاسُكًا وَتَلَاحُظًا، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ
 وَالْمِنَّةُ!

وَبِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ، فَإِنَّا نَجِدُّ الْبَيْعَةَ الشَّرْعِيَّةَ لِوَلَاةِ أَمْرِنَا - وَفَقَّهَهُمُ
 اللَّهُ - عَلَى كِتَابِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، بَيْعَةَ مُحْلِصَةً،
 وَوَلَاءَ صَادِقًا، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ بِالْمَعْرُوفِ، فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
 وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَاسْتِنَانًا بِسُنَّةِ
 رَسُولِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ

اللَّهُ﴾ [الفتح: ١٠]، قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: وَهَذِهِ الْآيَةُ، وَإِنْ كَانَتْ نَزَلَتْ فِي
 بَيْعَةِ الرَّسُولِ ﷺ فَإِنَّ الْبَيْعَةَ لِمَنْ بَعْدَهُ مِنْ وُلَاةِ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ دَاخِلَةٌ

فِي عُمُومِهَا، وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ نَصٌّ فِي وُجُوبِ الْبَيْعَةِ، وَتَحْرِيمِ
 نَقْضِهَا وَنَكْثِهَا: ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ
 فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٠) [الفتح].

وَيَقُولُ ﷺ فِيهَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (١): «وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ
 فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» وَفِي حَدِيثِ عِبَادَةَ رضي الله عنه: «بَايَعْنَا رَسُولَ
 اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ،
 وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»، الْحَدِيثُ خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ
 فِي «صَحِيحِهِ» (٢).

فَالْبَيْعَةُ: قَرَّرْتُهَا الشَّرِيعَةُ، وَأَوْجَبَتْهَا نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ،
 وَحَكَى الْإِجْمَاعَ عَلَيْهَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَهِيَ: أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ
 الدِّيَانَةِ، وَمَعْلَمٌ مِنْ مَعَالِمِ الْمِلَّةِ، وَمَنْهَجُ السُّنَّةِ يُوجِبُ التِّزَامَهَا وَالْوَفَاءَ
 بِهَا؛ لِأَنَّهَا أَصْلُ عَقْدِيٍّ وَوَاجِبٌ شَرْعِيٌّ.

يَقُولُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَتَنْعَقِدُ الْإِمَامَةُ بِالْبَيْعَةِ» (٣).

(١) برقم (١٨٥١) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما.

(٢) برقم (١٧٠٤).

(٣) ينظر: «منهاج الطالبين» (١/١٣١).

وَيَقُولُ الْعَلَّامَةُ الْكِرْمَانِي: «الْمُبَايَعَةُ عَلَى الْإِسْلَامِ عِبَارَةٌ عَنِ
الْمُعَاقَدَةِ وَالْمُعَاهَدَةِ عَلَيْهِ»^(١).

وَلِذَلِكَ، فَإِنَّا نُوصِي الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا، بِلُزُومِ الْبَيْعَةِ لِرَبِّ الْأَمْرِ عَلَى
كِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَّةِ، وَمَنْهَجِ سَلَفِ الْأُمَّةِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ.
أَلَا وَإِنَّ مِمَّا أَبْهَجَ نُفُوسَ الْمُسْلِمِينَ، تِلْكَ الْكَلِمَاتُ النُّورَانِيَّةُ
الْمُؤَثَّرَةُ لِوِلَاةِ أَمْرِنَا - وَفَقَهُمُ اللَّهُ - وَتَأَكِيدُهُمْ عَلَى لُزُومِ الْعَقِيدَةِ،
وَتَحْكِيمِ الشَّرِيعَةِ، وَإِحْقَاقِ الْحَقِّ، وَإِرْسَاءِ الْعَدْلِ، وَاتِّخَاذِ الْقُرْآنِ
دُسْتُورًا، وَالْإِسْلَامِ مَنْهَجًا، مِمَّا يَسُدُّ الطَّرِيقَ أَمَامَ قَرَاصِنِ الْحَقِّ
وَالْإِتِّلَافِ، فِي زَحْزَحَةِ هَذِهِ الْبِلَادِ الْمُبَارَكَةِ عَنْ ثَوَابِتِهَا الشَّرْعِيَّةِ،
وَالجُنُوحِ بِهَا عَنْ أَضْوَاهَا وَمَبَادِيئِهَا الْإِسْلَامِيَّةِ:

إِذَا سَيِّدٌ مَنَا خَلَقًا مَسِيِّدٌ قُوُولٌ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُوُولٌ^(٢)
وَلَا غَرَوُ، فَهَمُّ قَدْ وَرِثُوا الْمَائِثَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، أَعَانَهُمُ اللَّهُ
وَوَفَّقَهُمُ لِمَا فِيهِ عِزُّ الْإِسْلَامِ، وَصَلَاحُ الْمُسْلِمِينَ، وَجَعَلَهُمْ خَيْرَ خَلْفٍ
لِحَيْرِ سَلَفٍ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ.

(١) يُنظَرُ: «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» (١/٢١٨).

(٢) البيت للسموأل بن عاديا. يُنظَرُ: «المثل السائر» (١/١٧٦).

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، وَهَادِي
الْبَشَرِيَّةِ، أَفْضَلِ الذَّاكِرِينَ وَسَيِّدِ الشَّاكِرِينَ، كَمَا أَمَرَكَ رَبُّ
الْعَالَمِينَ، فَقَالَ - تَعَالَى - فِي أَصْدَقِ قَبِيلِهِ وَمُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].

لَا بَأْسَ بِالْظَّالِمِينَ إِن شَاءَ اللَّهُ

رَسُولَهُ إِلَى الْبَرَاءَةِ عَلَى الْأَسْرَةِ الْبَيْضَاءِ

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنُثْنِي عَلَيْهِ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: مُعِيدُ النِّعَمِ، وَمُبِيدُ النِّقَمِ، وَبَارِئُ النَّسَمِ، وَخَالِقُ الْخَلْقِ مِنْ عَدَمٍ، وَشَافِي الْأَمْرَاضِ وَالسَّقَمِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الْمَبْعُوثُ إِلَى الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، أُولِي الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا تَعَاقَبَتِ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - اتَّقُوهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِكُمْ، وَفِي الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَفِي حَالِ السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ، وَاتَّقُوهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، تَسْعَدُوا فِي الْحَالِ وَالْمَالِ.

عِبَادَ اللَّهِ: مِعْيَارُ صِحَّةِ الْإِيمَانِ، وَمِيزَانُ صِدْقِ الْيَقِينِ، ثَلَاثَةٌ
مَعَالِمُ وَبَرَاهِينُ: الشُّكْرُ عَلَى النِّعْمَاءِ، وَالرِّضَى بِالْقَضَاءِ، وَالصَّبْرُ عَلَى
الْبَلَاءِ. فَالْمُؤْمِنُ الْحَقُّ، خُلِقَهُ: الشُّكْرُ وَالصَّبْرُ وَالرِّضَى، لَا تُبْطِرُهُ
النِّعْمُ فَيَطْغَى، وَلَا تُضْجِرُهُ الْبَلْوَى فَيَتَصَرَّفُ تَصَرَّفَ الْحَمَقَى.
لَا يَسْتَوِي عَلَيْهِ يَأْسٌ، وَلَا يُحْيِمُ عَلَيْهِ قُنُوطٌ، وَلَا يَعْرِفُ الْفَسْلُ
وَالْإِحْبَابُ إِلَى نَفْسِهِ سَبِيلًا، وَلَا يَجِدُ الْوَهْمُ وَالْفَلَقُ، وَالْإِكْتِتَابُ وَالْأَرْقُ،
إِلَى حَيَاتِهِ طَرِيقًا. لَا تُقْعِدُهُ أَحْزَانٌ وَهُمُومٌ، وَلَا تُسَيِّطِرُ عَلَيْهِ أَتْرَاحٌ
وَعُغُومٌ، حَتَّى لَا تَقْضِيَ الْعِلْلُ النَّفْسِيَّةَ، وَالْأَمْرَاضُ الْعَصَبِيَّةَ عَلَى زَهْرَةِ
حَيَاتِهِ، وَرَبِيعِ عُمُرِهِ، فَتَضَيِّعُ عَلَيْهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ.

وَهَلْ يَبْقَى مَعَ شِدَّةِ الْعِلْلِ تَلَذُّذُ بِعِبَادَةٍ؟! وَهَلْ يَسْتَطِيعُ مَنْ يَبْنُ مِنْ
شِدَّةِ الْمَرَضِ أَنْ يَقُومَ بِالْوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْأَدَابِ الْمَرْعِيَّةِ؟

إِنَّ الْمُؤْمِنَ حَقًّا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - مَنْ يَكُونُ إِيْمَانُهُ دِرْعًا وَاقِيًّا لَهُ
عِنْدَ تَعَرُّضِهِ لِلْأَزْمَاتِ، وَمَنْ تَكُونُ عَقِيدَتُهُ بِرَبِّهِ، وَقَضَائِهِ وَقَدْرِهِ، حِصْنًا
حَصِينًا عِنْدَمَا تَحِلُّ بِهِ الْإِبْتِلَاءَاتُ، يَشُقُّ طَرِيقَهُ فِي الْحَيَاةِ بِكُلِّ جِدٍّ
وَتَفَاوُلٍ، وَطُمَأْنِينَةٍ وَسَعَادَةٍ، وَرَاحَةٍ وَقَنَاعَةٍ. فَالْمُؤْمِنُ الْحَقُّ يَعْتَقِدُ
يَقِينًا، أَنَّ الْمَصَائِبَ كُلَّهَا بِإِذْنِ اللَّهِ: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا

بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿ [التغابن: ١١]، ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿ [الحديد: ٢٢]، ﴿ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «هُوَ الْمُؤْمِنُ، تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ»^(١)، فَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مَانِعَ لِعَطَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ: النَّفْعُ بِيَدِهِ، وَالشِّفَاءُ مِنْ عِنْدِهِ، فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ: ﴿ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنَّ يُرْدَكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴿ [يونس: ١٠٧].

وَلَقَدْ تَقَرَّرَ لَدَى أَرْبَابِ الْعُقُولِ وَالْحِجَا^(٢)، وَأُولِي الْأَفْهَامِ وَالنُّهَى، أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ امْتِحَانٍ وَابْتِلَاءٍ، وَدُنْيَا كَبِيدٍ^(٣) وَنَصَبٍ وَعَنَاءٍ، وَتَعَبٍ وَشَقَاءٍ، تَمُوجُ بِالْمِحَنِ، وَتَزْخَرُ بِالْفِتَنِ، تَعْمُهَا الْمِحْنُ وَالْبَلَايَا، وَتَحْفُهَا الْفِتْنُ وَالرَّزَايَا: سَرَابٌ خَادِعٌ، وَبَرِيْقٌ لَامِعٌ، لَكِنَّهَا سَيْفٌ قَاطِعٌ، وَصَارِمٌ سَاطِعٌ، كَمْ أَذَاقَتْ بُؤْسًا! وَكَمْ جَرَعَتْ غُصَصًا! وَكَمْ أَذَاقَتْ

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٢٣/٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان»

(١٩٦/٧) من قول علقمة بن قيس.

(٢) الحِجَا: الفطنة. يُنظر: «اللسان» (حجا).

(٣) الكَبِيد: الشدة. يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن» (كبد).

نَغَصًا^(١)! كَمْ أَحْزَنْتَ مِنْ فَرِحٍ! وَأَبْكَتَ مِنْ مَرِحٍ! وَكَدَّرْتَ مِنْ
صَفْوٍ! وَشَابْتَ مِنْ مَعِينٍ! وَعَكَّرْتَ مِنْ نَمِيرٍ! سُورُورَهَا: مَشُوبٌ
بِالْحُزْنِ، وَصَفْوُهَا: مَمْزُوجٌ بِالْكَدْرِ، أَحْزَانٌ وَهَمُومٌ، وَأَوْجَاعٌ
وَعُمُومٌ، كَمْ فِيهَا مِنْ جَزَعٍ، وَكَمْ عَلَيْهَا مِنْ فَرَعٍ! وَكَمْ يَبِينُ عَلَى
ظَهْرِهَا مِنْ وَجَعٍ! خَدَاعَةٌ مَكَارَةٌ، سَاحِرَةٌ غَرَّارَةٌ.

حَوَادِثُهَا كَثِيرَةٌ، وَمَتَاعِيبُهَا غَفِيرَةٌ، أَحْوَالُهَا مُتَبَدِّلَةٌ، وَشُؤُونُهَا مُتَغَيِّرَةٌ،
وَسُبْحَانَ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ! فَلَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ خَوْضَ
غَمَارِهَا^(٢)، وَلَا النَّجَاةَ مِنْ تَلَاطِمِ أَمْوَاجِهَا، إِلَّا بِالْإِيْمَانِ وَالْيَقِينِ،
وَالرَّضَى بِقَضَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: وَاهِبِ النِّعَمِ لِمَنْ يَشَاءُ، وَالْقَادِرِ عَلَى أَنْ
يَسْلُبَهَا عَمَّنْ يَشَاءُ؛ حِكْمَةٌ مِنْهُ وَعَدْلًا، وَهُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، وَمِنَّةٌ كُبْرَى، بَعْدَ نِعْمَةِ الْإِيْمَانِ
وَالْإِسْلَامِ، يَغْفُلُ عَنْهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَيُقَصِّرُ فِي شُكْرِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ،
وَجَمٌّ غَفِيرٌ، تَلَكُمُ هِيَ: نِعْمَةُ الصِّحَّةِ الَّتِي لَا يُحِسُّهَا إِلَّا مَنْ فَقَدَهَا،

(١) النَّغَصُ: كدرة العيش، يُقال: نغص عليه عيشه تنغيصًا، أي: كدّره. ينظر:
«اللسان» (نغص).

(٢) غَمَارُهَا: شدائدها. يُنظر: «اللسان» (غمر).

وَلَا يَشْعُرُ بِهَا إِلَّا مَنْ يَتَنُّ نَحْتَهَا وَطَاءَ الْأَمْرَاضِ، وَسَطْوَةَ الْعِلَلِ، وَمَنْ يَرْقُدُونَ عَلَى الْأَسِرَّةِ الْبَيْضَاءِ، وَيَتَمَلَّمُونَ وَيَتَقَلَّبُونَ عَلَى فِرَاشِ الْمَرَضِ، لَا يَعْلَمُ بِحَالِهِمْ وَجُؤَارِهِمْ^(١) إِلَّا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ.

كَانُوا بِالْأَمْسِ يَرْفُلُونَ^(٢) فِي ثَوْبِ الصَّحَّةِ وَحَلَّةِ الْعَافِيَةِ، وَالْيَوْمَ يَشْكُونَ إِلَى اللَّهِ ضَعْفَ قُوَّتِهِمْ، وَقَلَّةَ حِيلَتِهِمْ، وَفُشُوَ الْأَمْرَاضِ فِي أَبْدَانِهِمْ؛ حَتَّى أَفْقَدْتَهُمُ التَّلَذُّدَ بِطِيبِ الْمَنَامِ، وَشَهِيَّ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ! لِذَلِكَ، رَغَبَ الْإِسْلَامُ، وَحَثَّ نَبِيُّ الْإِسْلَامِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - عَلَى اسْتِثْمَارِ نِعْمَةِ الصَّحَّةِ، وَاعْتِنَائِهَا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، قَبْلَ أَنْ تَحِلَّ بِالْإِنْسَانِ الْعَوَائِقُ، وَيَقَعَ فِي الْمَازِقِ، وَتَكْتَنِفَهُ الْمَضَائِقُ، فَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ» - وَذَكَرَ مِنْهَا -: «وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سُقْمِكَ»، خَرَّجَهُ الْحَاكِمُ^(٣)، وَابِيهَقِي^(٤) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

(١) الْجُؤَارُ: رَفْعُ الصَّوْتِ مَعَ تَضَرُّعٍ وَاسْتِغَاثَةٍ. يَنْظُرُ: «اللِّسَانُ» (جَارٌ).

(٢) سَبَقَ بَيَانُ مَعْنَاهَا (ص ٢١٣).

(٣) فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٤/٣٤١).

(٤) فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٧/٢٦٣).

وقال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١): «نِعْمَتَانِ مَغْبُورٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفِرَاقُ».

فِيَا أَيُّهَا الْأَصِحَّاءُ: اِحْمَدُوا اللَّهَ - تَعَالَى - وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعْمَةِ الصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، فِي سَلَامَةٍ مِنْ مُنْغَصَاتِ الْأَلَمِ، وَمُكَدَّرَاتِ الْمَرَضِ، وَاسْتَشْمِرُوا صِحَّتَكُمْ، وَكَمْ مِنْ عَلِيلٍ يَرْغَبُ أَنْ يُصْبِحَ سَلِيمًا؛ لِيَعْمَلَ وَيَكْدَحَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، ثُمَّ هَلْ تُؤْمِنُ غَوَائِلُ^(٢) الدُّنْيَا؟ وَلَا سِيَّما فِي مِثْلِ هَذَا الْعَصْرِ، الَّذِي تَنَوَّعَتْ فِيهِ الْحَوَادِثُ، وَكَثُرَتْ فِيهِ الْكَوَارِثُ، وَجَدَّتْ أَمْرًا، وَانْتَشَرَتْ عِلَلٌ وَأَسْقَامٌ لَمْ تَكُنْ فِي الْأَسْلَافِ، عِيَادًا بِاللَّهِ.

فَالشُّكْرُ الشُّكْرُ أَيُّهَا الْأَصِحَّاءُ! وَالْبِدَارُ الْبِدَارُ! إِلَى اسْتِثْمَارِ صِحَّتِكُمْ فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ، قَبْلَ الْفَوَاتِ أَوْ الْمَمَاتِ، وَقَدِيمًا قِيلَ فِي مَأْثُورِ الْحِكْمِ: «الصَّحَّةُ تَأْجُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَصِحَّاءِ، لَا يَرَاهُ إِلَّا الْمَرْضَى».

زُورُوا الْمُسْتَشْفِيَّاتِ؛ لِتُذَرِّكُوا عِظَمَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، انظُرُوا فِي مُخْتَلَفِ الْأَقْسَامِ، وَتَأَمَّلُوا أَحْوَالَ الرَّاقِدِينَ عَلَى

(١) برقم (٦٤١٢) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما.

(٢) سبق بيان معناها (ص ٢٢٧).

الْأَسِرَّةِ الْبَيْضَاءِ: أَمْرَاضٌ مُتَنَوِّعَةٌ، وَأَسْقَامٌ مُخْتَلِفَةٌ؛ فَهَذَا مُصَابٌ بِالْمُخِّ وَيَعِيشُ فِي غَيْبُوبَةٍ، وَهَذَا فِي قِسْمِ الْبَاطِنَةِ يُعَانِي مِنْ تَلْيُفٍ فِي الْكَبِدِ، وَآخِرُ يَشْكُو الْفَسَلَ الْكُلُوبِيَّ، وَهَذَا فِي الْقَلْبِ وَالشَّرَائِينَ، وَهَذَا فِي الْمَعِدَةِ وَالْأَمْعَاءِ، وَذَلِكَ فِي الْجِهَازِ التَّنْفُوسِيِّ وَأَمْرَاضِ الصَّدْرِ وَالرِّئَةِ. وَفِي قِسْمِ الْعِظَامِ: هَذَا كَسِيرٌ، وَذَلِكَ جَبِيرٌ، هَذَا فِي الْحَوْضِ، وَذَلِكَ فِي الْأَرْجُلِ وَالرَّكْبِ، وَهَذَا فِي الْأَطْرَافِ وَالْيَدَيْنِ وَالْفَقْرَاتِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ!!

وَحَدَّثَ وَلَا حَرَجَ عَنْ حَوَادِثِ السِّيَرَاتِ، وَقِسْمِ الْحُرُوقِ، وَأَمْرَاضِ الْعَصْرِ: كَالشُّكْرِيِّ، وَالضَّغْطِ، وَالسَّرَطَانِ، وَمَا يَدُورُ فِي قِسْمِ الْعِنَايَةِ الْفَائِقَةِ، وَأَقْسَامِ الطَّوَارِي وَالْعَمَلِيَّاتِ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ!! «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا بِمَا ابْتَلَى كَثِيرًا مِنْ خَلْقِهِ، وَفَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا»^(١).

(١) أخرج الترمذي (٣٤٣١)، والبزار في «مسنده» (١/٢٣٧) عن عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي بِمَا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، إِلا عُوْفِي مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ كَانْنَا مَا كَانَ مَا عَاشَ»، وأخرجه ابن ماجه (٣٨٩٢)، والطبراني في «الأوسط» (٥/٢٨٣) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما.

عَجِيبٌ أَمْرُ ابْنِ آدَمَ! كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الضَّعْفَ وَالْعَجْزَ؛
فَالشُّوْكَةُ تُؤَلِّمُهُ، وَالزُّكَّامُ يُقْعِدُهُ، وَالصُّدَاعُ يُورِّقُهُ، وَأَصْغَرُ
الْحَشْرَاتِ تَطْرُحُهُ. وَهُوَ فِي حَالِ الصَّحَّةِ يَتَكَبَّرُ وَيَشْمَحُ بِأَنْفِهِ، وَقَدْ
يُحَادُّ اللَّهَ فِي شَرِّهِ وَأَمْرِهِ، وَيُخَالِفُهُ بِتَرْكِ الْوَاجِبَاتِ، وَالْوُقُوعِ فِي
الْمُحَرَّمَاتِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمَرْضَى: يَا مَنْ ابْتَلَيْتُمْ بِالْمَرَضِ وَمَرَارَتِهِ،
احْمَدُوا اللَّهَ وَاشْكُرُوهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَلَا حِيلَةَ لِلْإِنْسَانِ فِي دَفْعِ قَضَاءِ
اللَّهِ وَقَدْرِهِ، فَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ وَالتَّحَلِّيِ بِالرِّضَى، وَالتَّخَلِّيِ عَنِ الْجَزَعِ
وَالصَّجَرِ وَالتَّسْحِطِ. حَقِّقُوا الْإِيمَانَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ، فَإِنَّ لَهُ أَثْرًا
كَبِيرًا فِي بَثِّ الطَّمَأِينَةِ، وَالتَّوْفُرِ عَلَى السَّكِينَةِ، أَقْبِلُوا عَلَى اللَّهِ،
وَالْحُوا عَلَيْهِ بِالِدُّعَاءِ، فَهُوَ الْقَائِلُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ
يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء]، وَهُوَ الْقَائِلُ - جَلَّ شَأْنُهُ - : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ
الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلْفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ
مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ ﴾ [النمل]، بَلْ هَنِيئًا لَكُمْ أَيُّهَا
الْمَرْضَى، أَنْتُمْ مَعْبُوطُونَ إِذَا صَبَرْتُمْ وَاحْتَسَبْتُمْ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لَا يَخْلُو
مِنْ فَوَائِدَ، مِنْهَا: تَكْفِيرُ الْخَطَايَا وَالسَّيِّئَاتِ، فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ:

«لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوْ الْمُؤْمِنَةِ فِي جَسَدِهِ وَفِي مَالِهِ وَفِي وَلَدِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ»^(١)، وَفِي الصَّحِيحِ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَذَى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»^(٢).

وَمِنْهَا: مَحَبَّةُ اللَّهِ وَإِرَادَتُهُ الْخَيْرَ بَعْدِهِ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ»^(٣)، وَ«مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٤).

وَمِنْهَا: أَنَّ لِلْعَبْدِ مَنَزَلَةً عِنْدَ اللَّهِ، لَا يَبْلُغُهَا حَتَّى يَبْتَلِيَهُ بِالْمَرَضِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ عِنْدَ أَحْمَدَ، وَغَيْرِهِ^(٥).

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٩)، وأحمد في «المسند» (٢/٢٨٧)، وابن حبان

(١٧٦/٧)، والبيهقي في «الكبرى» (٣/٣٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤١، ٥٦٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١) من حديث أنس رضي الله عنه. وأخرجه

أحمد في «المسند» (٥/٤٢٧) من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه.

(٤) برقم (٥٦٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أبو داود (٣٠٩٠)، وأحمد في «المسند» (٥/٢٧٢)، والبيهقي في «الكبرى»

(٣/٣٧٤) من حديث إبراهيم بن مهدي السلمي عن أبيه عن جدّه، أن النبي صلى الله عليه وآله =

وَلْيَكُنْ لَكُمْ - أَيُّهَا الْمَرْضَى - فِي قِصَّةِ نَبِيِّ اللَّهِ أَيُّوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
 الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ، فَقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ: أَنَّهُ ظَلَّ يُعَانِي مِنَ الْمَرَضِ ثَمَانِيَةَ
 عَشَرَ عَامًا، قَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ
 الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ
 ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى
 لِلْعَابِدِينَ ﴿ [الأنبياء].

وَهَذَا رَسُولُكُمْ ﷺ يُوعَكَ كَمَا يُوعَكَ رَجُلَانِ مِنَّا، كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ
 الْخَبَرُ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ ﷺ (١).

وَقَدْ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ فِي «السِّيَرِ» (٢) عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ أُصِيبَ
 بِجُرْحٍ فِي رِجْلِهِ مِنَ الْأَكْلَةِ، أَوْ دَىٰ بِهَا إِلَى الْقَطْعِ، فَعَرَضُوا عَلَيْهِ شَرَابًا

= قال: «إِذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يُبَلِّغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتِلَاءَ اللَّهِ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي
 مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْهُ».

(١) كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ؓ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ
 يُوعَكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتُوعَكَ وَعَكًا شَدِيدًا، قَالَ: «أَجَلُ إِنِّي أُوْعَكَ كَمَا
 يُوعَكَ رَجُلَانِ مِنْكُمْ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٦٤٨)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٧١).

(٢) (٤/٤٣٠).

يَرَقْدُهُ ؛ فَأَبَاهُ، وَقَالَ: لَا أَحِبُّ أَنْ أَعْقَلَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَتَجَلَّدَ لِقَطْعِ رِجْلِهِ وَلَمْ يَتَأَوَّهْ، حَتَّى فُصِلَتْ عَنْهُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ، وَفِي الْحَالِ بَلَغَهُ مَوْتُ أَحَدِ أَبْنَائِهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ كَانَ لِي بَنُونَ سَبْعَةٌ فَأَخَذْتَ وَاحِدًا وَأَبْقَيْتَ لِي سِتَّةً، وَكَانَ لِي أَطْرَافٌ أَرْبَعَةٌ فَأَخَذْتَ طَرَفًا وَأَبْقَيْتَ ثَلَاثَةً، وَلَكِنْ ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ، وَلَكِنْ أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ». فَلِلَّهِ دَرُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ! نَعَمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، هَذَا مِنْهُجُ الصَّابِرِينَ الْمُحْتَسِبِينَ، وَطَرِيقُ الرَّاضِينَ الْمُوقِنِينَ.

أَيُّهَا الْمَرَضِيُّ: التَّوْبَةُ التَّوْبَةُ! عَلَيْكُمْ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَعَمِيقِ الرَّجَاءِ فِي فَضْلِهِ، وَعَلِّمُوا أَنَّ الْمَرَضَ مَدْرَجَةٌ إِلَى ادِّكَارِ الْمَوْتِ، وَالْفِرَارِ إِلَى اللَّهِ، تَذَكَّرُوا مَنْ هُمْ أَشَدُّ مِنْكُمْ دَاءً، وَأَعْظَمُ بَلَاءً، فَقَدْ دَفَعَ اللَّهُ عَنْكُمْ أَعْظَمَ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، وَأَيَّقِنُوا أَنَّ مُصَابَ الدُّنْيَا يَسِيرٌ أَمَامَ مُصَابِ الدِّينِ، وَأَنَّهُ لَا غِنَى لَكُمْ عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، مَهْمَا بَلَغَتْ مَهَارَةُ الطَّيِّبِ، وَعَلَّتْ فَخَامَةُ الْمُسْتَشْفَى، وَامْتَازَ بِأَحَدِثِ الْأَلَاتِ وَأَعْلَى الْكِفَاءَاتِ.

مَاتَ الْمُدَاوِي وَالْمُدَاوِي وَالَّذِي جَلَبَ الدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنْ اشْتَرَى^(١)

(١) البيت للربيع بن خيثم. يُنظر: «المستطرف من كل فن مستظرف» (٢/ ٥٦٥).

قُلْ لِلطَّيِّبِ نَحَطْفَتُهُ يَدُ الرَّدَىٰ يَا شَافِيَ الْأَمْرَاضِ مَنْ أَرْدَاكَ؟

قُلْ لِلْمَرِيضِ نَجَا وَعُوفِي بَعْدَ مَا عَجَزَتْ فُنُونُ الطَّبِّ مَنْ عَافَاكَ؟^(١)

أَيُّهَا الْأَطِبَّاءُ وَالْمُمْرِضُونَ، أَيُّهَا الطَّبِيبَاتُ وَالْمُمْرِضَاتُ:

الطَّبُّ أَمَانَةٌ، وَالتَّمْرِیضُ مَسْئُورِيَّةٌ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّقُوهُ فِي مَرْضَاكُمْ، أَخْلِصُوا لِلَّهِ فِي أَعْمَالِكُمْ، حَذَارِ مِنَ الْمَقَاصِدِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَالْعَمَلِ عَلَىٰ ابْتِزَازِ الْجُيُوبِ! وَحَدِّثْ وَلَا حَرَجَ عَنِ الْمُسْتَوْصَفَاتِ وَالْمُسْتَشْفِيَّاتِ التَّجَارِيَّةِ، وَحُحِّتْ فِي مِهْنَةِ الطَّبِّ مِنَ الدَّجَاجِلَةِ، وَحَمَلَةِ شَهَادَاتِ الزُّورِ، الَّذِينَ جَعَلُوا النَّاسَ مَحَطَّاتٍ لِتَجَارِيهِمْ!

اهْتَمُّوا أَيُّهَا الْأَطِبَّاءُ بِمَرْضَاكُمْ، أَدُّوا الْأَمَانَةَ، وَاحْذَرُوا

الْخِيَانَةَ، تَخَلَّقُوا مَعَ الْمَرْضَىٰ بِالْأَدَبِ الرَّفِيعِ، وَالْخُلُقِ الْجَمِّ، وَالْكَلَامِ اللَّيِّنِ، وَالرَّفْقِ وَالْمُلَاطَفَةِ وَالْبَشَاشَةِ، بَعِيدًا عَنِ التَّكْبُرِ وَالْعُجْبِ وَالغُرُورِ، فَالطَّبِيبُ: دَاعِيَةٌ وَمُعَلِّمٌ، وَمُرْشِدٌ وَمُحْتَسِبٌ.

تَثَبُّتُوا عِنْدَ التَّشْخِیصِ، وَتَرَفَّقُوا فِي الْمُعَامَلَةِ، وَتَحَلَّلُوا بِأَخْلَاقِ الْمِهْنَةِ،

(١) البيتان من قصيدة للشاعر السوداني إبراهيم علي بديوي - رحمه الله - يقول في مطلعها:

بِكَ أَسْتَجِيرُ وَمَنْ يُجِيرُ سِوَاكَ فَاجِرٌ ضَعِيفًا يَحْتَمِي بِحِمَاكَ

وَأَدَبٍ وَسُلُوكِيَّاتِ الْعَمَلِ، وَاضْبِطُوا الْوَصَفَاتِ، وَاعْتَزُّوا بِإِسْلَامِكُمْ،
أَدُّوا الصَّلَاةَ، وَانْهَلُوا مِنَ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِمِهْنَتِكُمْ، وَتَمَتَّعُوا
بِالْغَيْرَةِ عَلَى الْأَعْرَاضِ، فَكثرةُ الإِمْسَاسِ تُقَلِّلُ الإِحْسَاسَ.

اسْتَمِرُّوا أَوْقَاتَ الْمَرْضَى وَفَرَاغَهُمْ بِمَا يَعُودُ عَلَيْهِمْ بِالْمَنْفَعَةِ فِي
دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، ذَكِّرُوهُمْ أَوْقَاتَ الصَّلَاةِ، وَكَيْفِيَّةَ الْوُضُوءِ، وَصِفَةَ
التَّيْمَمِ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ ذَلِكَ، فَكثِيرٌ مِنَ الْمَرْضَى - شَفَاهُمُ اللَّهُ -
يَتَسَاهَلُونَ فِي ذَلِكَ، مَعَ أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَسْقُطُ عَنِ الْإِنْسَانِ أَبَدًا مَا لَمْ يَفْقُدْ
وَعِيَهُ وَإِدْرَاكَهُ، وَيُصَلِّي الْمَرِيضُ عَلَى حَسَبِ حَالِهِ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ
فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَمُضْطَجِعًا، وَيَتَطَهَّرُ بِالْمَاءِ، فَإِنْ عَجَزَ عَنِ
اسْتِعْمَالِهِ فَلْيَتَيَّمَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

أَيُّهَا الْمُسُوُّوَلُونَ عَنِ الْمُسْتَشْفِيَّاتِ: قُومُوا بِوَأَجِبِكُمْ خَيْرَ
قِيَامٍ، وَلِتَكُنْ مُسْتَشْفِيَّاتُ الْمُسْلِمِينَ حُصُونًا خَيْرًا وَصَلَاحًا، وَقِيْلَاعَ بَرٍّ
وَفَضِيلَةٍ وَفَلَاحٍ. لَا بَدَّ مِنَ الْحَدِّ مِنْ ظَوَاهِرِ التَّبْرِجِ وَالسُّفُورِ
وَالاخْتِلَاطِ، وَالْعِنَايَةِ بِالتَّخْصُّصَاتِ النَّسَائِيَّةِ لِنِسَاءٍ مِثْلِهِنَّ، وَالْفَضْلِ
بَيْنَ الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ؛ فَلِلْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ مَنْهُمْ الْمُتَمَيِّزُ عَنِ سِوَاهُمْ، بَعِيدًا
عَنِ التَّقْلِيدِ وَالتَّبَعِيَّةِ لِغَيْرِهِمْ.

يَجِبُ أَنْ يُجْرَسَ فِي الطَّبِّ وَالتَّمْرِيزِ عَلَى الْكَفَاءَاتِ الْمُسْلِمَةِ،

وَلَا يَجُوزُ اسْتِقْدَامُ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، مَا دَامَ أَنَّ فِي
الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَقُومُ بِذَلِكَ. وَتَرْجُو أَنْ يَعُودَ عَالَمُ الطَّبِّ إِلَى مَنْهَجِهِ
الْإِسْلَامِيِّ، وَذَلِكَ بِوُجُودِ الْأَكْفَاءِ فِي عَقِيدَتِهِمْ وَدِينِهِمْ وَتَخْصُّصَاتِهِمْ،
وَهُمْ كَثِيرٌ بِحَمْدِ اللَّهِ.

نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، أَنْ يَشْفِي وَيُعَافِي كُلَّ
مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، وَكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، اللَّهُمَّ عَافِنَا فِي قُلُوبِنَا وَأَرْوَاحِنَا،
وَأَبْدَانِنَا وَأَجْسَادِنَا، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، اللَّهُمَّ اشْفِ مَرْضَى الْمُسْلِمِينَ،
اللَّهُمَّ لَا تَدْعَ لَنَا مَرِيضًا إِلَّا شَفَيْتَهُ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُوْبِي الْإِنْعَامِ، وَشَافِي الْأَسْقَامِ، وَالْبَاقِي عَلَى الدَّوَامِ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ السَّلَامِ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، سَيِّدُ الْأَنَامِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم
وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَاتَّبَاعِهِ، خَيْرَ صَلَاةٍ وَأَزْكَى سَلَامٍ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ الصِّحَّةَ وَالْعَافِيَةَ أَهَمُّ مَا
رُزِقَهُ الْعَبْدُ، فَمَا أُوتِيَ أَحَدٌ - بَعْدَ الْيَقِينِ - أَفْضَلَ مِنَ الْعَافِيَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ
أَنْوَاعَ الصِّحَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْجَوْهَرِيَّةِ كَثِيرَةٌ، أَهْمُهَا: صِحَّةُ الْعَقِيدَةِ،
وَسَلَامَةُ الْفِكْرِ وَالْعَقْلِ، وَصِحَّةُ الْأَرْوَاحِ وَالْقُلُوبِ، وَأَخْطَرُ الْأَمْرَاضِ:
أَمْرَاضُ الْقُلُوبِ، وَسَبَبُهَا الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبُ، وَكَمْ مِنْ مُهْتَمٍّ بِجَسَدِهِ
وَصِحَّةِ بَدَنِهِ، فِي غَفْلَةٍ عَنِ قَلْبِهِ وَرُوحِهِ!

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِهِ أَتَطْلُبُ الرَّبْحَ فِيمَا فِيهِ خُسْرَانٌ؟
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانٌ^(١)

(١) البيتان لأبي الفتح علي البستي. يُنظر: قصيدته «عنوان الحكم» (ص ٣٦).

وَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - رَعَاكُمْ اللَّهُ - وَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْمَرْضَى - شَفَاكُمْ اللَّهُ - : أَنَّ اللَّهَ لَمَّا أَنْزَلَ الدَّاءَ ؛ كَتَبَ الدَّوَاءَ، وَأَبَاحَ التَّدَاوِي الْمَشْرُوعَ، فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ^(١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهَلَهُ مَنْ جَهَلَهُ».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ^(٢) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ؛ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ^(٣): «تَدَاوَوْا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لَمْ يُنَزِّلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً»، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ»^(٤).
 أَيُّهَا الْمَرْضَى، أَيُّهَا الْأَطْبَاءُ، أَيُّهَا الْأَصْحَاءُ، أَقْبِلُوا عَلَى الْقُرْآنِ، فَفِيهِ

(١) برقم (٥٦٧٨) مقتصرًا على شطره الأول.

وأخرجه بهذا اللفظ من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أحمد في «المسند» (١/٣٧٧)،
 والحاكم في «المستدرک» (٤/٢١٨)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/٣٤٣).

(٢) برقم (٢٢٠٤).

(٣) (٤/٢٧٨) من حديث أسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرج هذه الزيادة أبو داود (٣٨٧٤)، والطبراني في «الكبير» (٦٤٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/٥) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشِّفَاءُ بِإِذْنِ اللَّهِ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤]

﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

حَصَّنُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْأُورَادِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالْأَذْكَارِ النَّبَوِيَّةِ؛ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ وَغَيْرِهَا، أَحْرَصُوا - أَيُّهَا الْأَصْحَاءُ - عَلَى زِيَارَةِ إِخْوَانِكُمُ الْمَرْضَى، الزِّيَارَةَ الشَّرْعِيَّةَ؛ فَإِنَّ لَهَا أَثْرًا بَالِغًا بِإِذْنِ اللَّهِ، فَهِيَ حَقٌّ لَهُمْ، مَعَ الدُّعَاءِ وَعَدَمِ الْإِثْقَالِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ^(١): «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ»، يَعْنِي: فِي جَنَاهَا، وَفِي الصَّحِيحِ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخَاهُ فِي اللَّهِ نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: طِبْتَ وَطَابَ مِمَّا شَاكَ، وَتَبَوَّأَتْ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا»^(٢)، وَلِيَحْرِصَ الزَّائِرُ عَلَى حُسْنِ الْمُوَاسَاةِ وَالِدُّعَاءِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَخْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ» أَي: مَنْ زَارَ مَرِيضًا فَقَالَ عِنْدَ رَأْسِهِ: «أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ،

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٨) من حديث ثوبان مولى النبي ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٠٨)، وابن ماجه (١٤٤٣)، وأحمد في «المسند» (٣٤٤/٢)،

وابن حبان (٢٢٨/٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ»^(١).

عِبَادَ اللَّهِ: وَإِذَا كُنَّا نَعِيشُ الْيَوْمَ فِي عَصْرِ تَفَنِّي الْأَمْرَاضِ
الْمُسْتَعَصِيَةِ - الْجَسَدِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ - فَإِنَّ الْحَصَانَةَ تَكْمُنُ فِي الْقُرْآنِ
وَالذِّكْرِ؛ تَرَبَّى عَلَيْهِمَا النَّفُوسُ، وَتُعَمَّرُ بِهِمَا الْيُوتُ، وَيُحْصَنُ بِهِمَا
الْأَوْلَادُ. وَمَا انْتَشَرَ الْقَلْقُ وَالِاضْطِرَابُ وَالْأَرْقُ وَالِاِكْتِابُ، وَكَثُرَ
الْمَسُّ وَالسُّحْرُ وَالْعَيْنُ، إِلَّا لَمَّا عَفَلَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ اللَّهِ، وَأَهْمَلُوا
أَنْفُسَهُمْ عَنِ الْحَصَانَةِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَإِذَا كَانَ التَّدَاوِي مَشْرُوعًا، فَيَجِبُ الْحَذَرُ كُلُّ الْحَذَرِ مِنَ
الذَّهَابِ إِلَى الْمُشْعُودِينَ، وَالسَّحَرَةِ، وَالذَّجَالِينَ، وَالْكَهَنَةِ، وَالْعَرَّافِينَ،
الَّذِينَ كَثُرُوا فِي هَذَا الزَّمَانِ - لَا كَثُرَهُمُ اللَّهُ - طَلَّاسِمٌ وَخُرَافَاتٌ،
وَخُرُوزٌ وَخَزَعِبِيَلَاتٌ يَكْذِبُونَ بِهَا عَلَى النَّاسِ، وَيُوهِمُونَ أَنَّ فِيهَا شِفَاءً،
وَهِيَ - وَاللَّهِ - الدَّاءُ، لَا بَدَّ مِنْ إِشْهَارِ الصَّارِمِ الْبِتَّارِ، عَلَى السَّحَرَةِ
الْأَشْرَارِ، فَقَدْ آذَوْا عِبَادَ اللَّهِ؛ فَرَّقُوا بَيْنَ الْأَبِ وَابْنِهِ، وَبَيْنَ الزَّوْجِ
وَزَوْجِهِ، فَيَجِبُ التَّبْلِيغُ عَنْهُمْ، وَإِقَامَةُ حُكْمِ اللَّهِ فِيهِمْ، وَلَا يَجُوزُ

(١) أخرجه أبو داود (٣١٠٦)، والترمذي (٢٠٨٣)، والنسائي في «الكبرى»

(٢٥٨/٦) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما.

الذَّهَابُ إِلَيْهِمْ، وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَنْ أَتَى
كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ» (١).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمَرْضَى - وَاعْلَمُوا
أَنَّ فِي الشُّفَاءِ فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ غُنِيَّةً عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، وَعَلَّقُوا آمَالَكُمْ
وَالْأَمْكُم بِاللَّهِ وَخُدُّهُ؛ تَصِحُّوا وَتُوفِّقُوا، وَتَسْعُدُوا فِي دُنْيَاكُمْ
وَأُخْرَاكُمْ.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى طَيِّبِ الْقُلُوبِ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ
عَلَامُ الْغُيُوبِ، فَقَالَ - عَزَّ مِنْ قَائِلٍ -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤٢٩/٢)، والبخاري في «مسنده» (٢٥٦/٥)، وأبو يعلى
في «مسنده» (٢٨٠/٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الِاسْتِغْفَارُ لِلزُّمْرِ الْاِسْتِغْفَارُ

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، غَفَّارُ الذُّنُوبِ، وَسِتَّارُ الْعُيُوبِ. يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِقَبُولِ تَوْبَةِ الْمُسِيئِينَ، وَاسْتِغْفَارِ الْمُسْتَغْفِرِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِمَامُ الْمُتَّقِينَ، وَأَفْضَلُ التَّائِبِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ، الَّذِي حَثَّ عَلَيَّ لُزُومِ الْاِسْتِغْفَارِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ، وَصَحْبِهِ الْأَبْرَارِ، الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ سَارَ عَلَيَّ مَهْجِهِمْ وَدَعَا بِدَعْوَتِهِمْ، مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ .

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَأَطِيعُوهُ، وَرَاقِبُوهُ وَلَا تَعْصُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ.

عِبَادَ اللَّهِ: تَتَدَاغُ الْإِنْسَانَ - ذَلِكَ الْمَخْلُوقُ الضَّعِيفُ - قُوتَانِ

عَارِمَتَانِ، هُمَا: قُوَّةُ الْخَيْرِ وَقُوَّةُ الشَّرِّ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ الْكَائِنَ الْبَشْرِيَّ
يَتَكَوَّنُ مِنْ مَادَّةٍ وَرُوحٍ، وَلِكُلِّيهِمَا مُتَطَلِّبَاتٌ ضَرُورِيَّةٌ تُؤْخَذُ بِاعْتِدَالٍ
وَتَوَازُنٍ شَرْعِيٍّ، وَلَمَّا كَانَ الْخَطَأُ مِنْ طَبِيعَةِ بَنِي آدَمَ، وَالضَّعْفُ
وَالتَّقْصِيرُ مِنْ جِبَلَّتِهِمْ، حَيْثُ تُسَوَّلُ لَهُمْ نَفُوسُهُمْ أُمُورَ الْبَاطِلِ، وَتُزَيَّنُ
لَهُمُ الشَّرُّ وَالسُّوءُ، وَتَسُوْمُهُمْ فِي مَرَاتِعِ الشَّهَوَاتِ، وَتَلِجُ بِهِمْ فِي أَعْنَةِ
السُّبُهَاتِ، فَإِنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ يَبْقَى أَوَّلًا وَآخِرًا، دَوْحَةَ الْأَمَانِ،
وَوَاحَةَ الْأَمْنِ وَالْإِطْمِئْنَانِ، فِي ظِلِّهِ الْوَارِفِ، وَجِهَاهُ الْأَمِينِ، وَحِصْنِهِ
الْمَكِينِ، يَتَفَيَّأُ النَّاسُ جَرَاءَهُ، خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِذَلِكَ فَقَدْ دَعَا
الْمَوْلَى - جَلَّ وَعَلَا - النَّاسَ إِلَى التَّوْبَةِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَالْإِقْلَاعِ عَنِ
مَعَاصِيهِمْ، وَطَلَبِ الْمَغْفِرَةِ مِنْهُ - سُبْحَانَهُ - وَعِمَارَةِ الْقُلُوبِ وَالْأَلْسِنَةِ
بِالِاسْتِغْفَارِ لِلْعَلِيِّ الْغَفَّارِ - جَلَّ جَلَالُهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ نَدَبَكُمْ رَبُّكُمْ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - إِلَى لُزُومِ
الِاسْتِغْفَارِ وَاللَّهْجِ بِهِ؛ حَيْثُ جَاءَ ذَلِكَ فِي جُمْلَةٍ مِنْ آيِ كِتَابِ اللَّهِ،
يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ﴾ [غافر: ٥٥]،
وَيَقُولُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنْ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٦) ﴿
[النساء]، وَيَقُولُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿فَسِيحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾

إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٢﴾ [النصر]، وَيَقُولُ: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ
وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦]، وَمِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَى:
الْغُفُورُ، وَالْغَفَّارُ، وَغَافِرُ الذَّنْبِ، وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ.

وَأَتْنَى عَلَى عِبَادِهِ الْمُسْتَغْفِرِينَ، وَجَعَلَهُمْ أَهْلَ وِلَايَتِهِ وَحِجَلِ رِعَايَتِهِ،
قَالَ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ ﴿١٧﴾ [آل عمران]،

﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ [الذاريات]، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا
فَاجِسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ
الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ جُمْلَةٍ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، أَنَّ الْمَغْفِرَةَ رَجَاءُ هُمْ
وَأَرْجُهُمْ، وَرَحْمَتُهُ - سُبْحَانَهُ - مِنْهُمْ وَمَطْلَبُهُمْ، فَذَكَرَ عَنِ الْأَبَوَيْنِ
- عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - قَوْلَهُمَا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا

لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأعراف]، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْ نُوحٍ
وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَمُحَمَّدٍ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -
وَأَنْكَرَ - سُبْحَانَهُ - عَلَى قَوْمٍ غَفَلُوا عَنِ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، فَقَالَ - تَعَالَى -:

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٧٤﴾

[المائدة].

كُلُّ ذَلِكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - يَدُلُّ عَلَى أَهْمِيَّةِ الْإِسْتِغْفَارِ، وَعَظِيمِ فَضْلِهِ
وَحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ، لِمَا لَهُ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْآثَارِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ،
فَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ سَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، يَقُولُ - جَلَّ
وَعَلَا -: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ
غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء]، وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ يَقُولُ الْمَوْلَى
- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ
الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»^(١)، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ يَقُولُ
- سُبْحَانَهُ -: «يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي؛
غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي»^(٢).

وَلِأَبِي دَاوُدَ^(٣) وَالتِّرْمِذِيِّ^(٤) وَالْحَاكِمِ^(٥) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ:

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، والطبراني في «الأوسط» (٣١٥/٤) من حديث

أنس رضي الله عنه، وبنحوه أخرجه أحمد في «المسند» (١٥٤/٥) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) برقم (١٥١٧) من حديث زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) برقم (٣٥٧٧) من حديث زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم.

(٥) في «المستدرک» (٦٩٢/١).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ فَرًّا مِنَ الرَّحْفِ».

وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِسْتِغْفَارِ: رَفْعُ الْعَذَابِ، وَدَفْعُ الْعِقَابِ، يَقُولُ

- سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ مَعَدِبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٣٣)

[الأنفال].

وَمِنْهَا: أَنَّهُ سَبَبٌ لِحُلْبِ الرِّزْقِ، وَتَفْرِيجِ الْهَمِّ، وَالخُرُوجِ مِنَ الْمَضَائِقِ، وَإِجَابَةِ الدُّعَاءِ، أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ (١)، وَابْنُ مَاجَهَ (٢) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»، وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ، عَوِّدْ لِسَانَكَ الْإِسْتِغْفَارَ فَإِنَّ لِلَّهِ سَاعَاتٍ لَا يَرُدُّ فِيهَا سَائِلًا» (٣)، وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ: «فَإِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ: أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ وَأَهْلَكُونِي بِالْإِسْتِغْفَارِ» (٤).

(١) برقم (١٥١٨).

(٢) برقم (٣٨١٩).

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦/٢)، وذكره ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٣٩٤/١).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٩/١) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وَإِذَا كَثُرَ الْإِسْتِغْفَارُ فِي الْأُمَّةِ، وَصَدَرَ عَنْ قُلُوبٍ مُخْلِصَةٍ؛ دَفَعَ اللَّهُ عَنْهَا ضُرُوبًا مِنَ النَّقْمِ وَالشُّرُورِ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ - سُبْحَانَهُ.
 وَالْإِسْتِغْفَارُ سَبَبٌ لِنُزُولِ الْمَطَرِ، وَتَوَفُّرِ الْمِيَاهِ، وَنَبَاتِ الزَّرْعِ، وَالْإِمْدَادِ بِالْأَمْوَالِ وَالْعِيَالِ وَالْقُوَّةِ، قَالَ - تَعَالَى - عَنْ هُودٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ :- ﴿ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود: ٥٢]، وَقَالَ عَنْ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ :- ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْفَضْلِ كُلِّهِ، يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، وَيَنْشَغِلُونَ بِغَيْرِهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ، بَلْ تَضُرُّ دِينًا وَدُنْيَا وَأُخْرَى؟ فَإِلَى مَتَى الْغَفْلَةُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - مَعَ كَثْرَةِ الذُّنُوبِ، وَإِقْفَارِ الْقُلُوبِ، وَغَلْبَةِ الْخَطَايَا؟ أَهْوَزُ هُدًى فِي ثَوَابِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - أَمْ هُوَ أَنْغِمَاسٌ فِي الْعَاجِلَةِ؟ أَيْنَ النَّاسُ عَنْ حِيَازَةِ هَذِهِ الْفَضَائِلِ، وَاسْتِبَاقِهِمُ الْخَيْرَاتِ؟

أَيْنَ نَحْنُ مِنَ التَّاسِّيِّ بِأَفْضَلِ الْبَشَرِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - الَّذِي

قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ دَائِمَ
 الْإِسْتِغْفَارِ، كَثِيرَ التَّوْبَةِ، بِهَا شَعَّتْ أَقْطَارُ نَفْسِهِ، رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي
 «صَحِيحِهِ»^(١) عَنِ الْأَعْرَابِيِّ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهُ
 لَيُغَانُ»^(٢) عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ.

وَلِلْبُخَارِيِّ^(٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ
 سَبْعِينَ مَرَّةً»، بَلْ كَانَ يُعَدُّ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ - بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 مِائَةَ مَرَّةٍ، يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(٤).

(١) برقم (٢٧٠٢).

(٢) الْغَيْنُ: شَيْءٌ يَغْشَى الْقَلْبَ فَيُغْطِيهِ بَعْضُ التَّغْطِيَةِ، وَهُوَ كَالْغَيْمِ الرَّقِيقِ الَّذِي
 يَعْضُ فِي الْجَوِّ فَلَا يَجِبُ عَنِ الشَّمْسِ وَلَكِنْ يَمْنَعُ كَمَا لَضَوْئِهَا. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ
 حَجْرٍ فِي «الْفَتْحِ» (١١/١٠١): «قَالَ عِيَّاضُ: الْمُرَادُ بِالْغَيْنِ فترات عن الذكر الذي
 شأنه أن يداوم عليه، فإذا فتر عنه لأمر ما، عدَّ ذلك ذنبًا، فاستغفر عنه، وقيل: هو
 شيء يعتري القلب مما يقع من حديث النفس، وقيل: هو السكينة التي تغشى قلبه».

(٣) برقم (٦٣٠٧).

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٥١٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٤٣٤)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبْرِيِّ»
 (١١٩/٦)، وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٢١/٢)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

اللَّهُ أَكْبَرُ! هَذِهِ حَالُهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فَمَا حَالُ النَّاسِ
 الْيَوْمَ؟ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ! مَاذَا يَدُورُ فِي الْمَجَالِسِ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ تُرْجَى
 السَّاعَاتُ؟ وَبِإِذَا تُعْمَرُ الْأَوْقَاتُ؟ وَكَيْفَ يَقْضِي النَّاسُ أَيَّامَهُمْ؟
 فَحَيْهَلًا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - قَبْلَ أَنْ يَفْجَأَكُمْ الْأَجَلُ، هَا هُوَ
 مَوْلَاكُمْ - جَلَّ وَعَلَا - يُنَادِيكُمْ لِتَلْجُؤُوا إِلَى سَاحَاتِ كَرَمِهِ وَجُودِهِ،
 وَيَفْتَحَ لَكُمْ أَعْظَمَ الرَّجَاءِ فِي عَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ: ﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ
 أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
 إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر]، كَمَا أَنَّهُ - سُبْحَانَهُ - يَنْزِلُ إِلَى
 السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلِّ لَيْلَةٍ، يَقُولُ: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ
 فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟»^(١).

فَأَيْنَ نَحْنُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ -؟! الْكُلُّ مِنَّا مُقْصِرٌ فِي جَنْبِ اللَّهِ،
 مُفْرَطٌ فِي مَغْفِرَةِ اللَّهِ، مُتْسَاهِلٌ فِي حُقُوقِ عِبَادِ اللَّهِ. كَثِيرٌ مِنَّا - مَعَ
 الْأَسَى - لَا يُبَالِي بِالْأَوْامِرِ، وَلَا تَرْدَعُهُ الزَّوَاجِرُ، يَتَأَقَّلُ عَنِ الْوَاجِبَاتِ
 وَالْمَأْمُورَاتِ، وَيَكْرَهُ مِنْ آسَنِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَحْظُورَاتِ!! وَلَكِنْ

(١) أخرجه مسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مَنْ أَرَادَ مَحْوَ حُوبِهِ، وَاسْتِمْتَطَرَ وَدَقَّهِ وَصَوَّبَهُ، فَإِنَّ بَابَ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ، وَحَبْلُ الْإِسْتِغْفَارِ مَمْدُودٌ، رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»^(١) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: وَإِذَا كَانَ الْمُرَادُ بِالِاسْتِغْفَارِ طَلَبَ الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللَّهِ، فَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَمْرُ لَا يَتَجَاوَزُ اللِّسَانَ، وَلَا يَتَعَدَّى الْأَلْفَاظَ الْمُجَرَّدَةَ، لَا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَصْحَبَ ذَلِكَ إِقْلَاعٌ عَنِ الذُّنُوبِ، وَوَجْفٌ مِنَ الْمَعَاصِي، فَإِنَّ الَّذِي يَسْتَغْفِرُ بِمُجَرَّدِ لِسَانِهِ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ بِفِعْلِهِ؛ لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ.

يَقُولُ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «اسْتَغْفَارٌ بِلَا إِقْلَاعٍ: تَوْبَةٌ الْكُذَّابِينَ»^(٢)، وَبَلَغَ مِنْ وَرَعِ السَّلَفِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - أَنْ قَالَ بَعْضُهُمْ: «اسْتَغْفَارُنَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِغْفَارٍ»^(٣)، وَاسْتَغْفَرَ بَعْضُهُمْ عَنْ تَكَرُّرِ هَذِهِ

(١) برقم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكر هذا الأثر النووي في «الأذكار» (١/٣٢٣)، والغزالي في «إحياء علوم الدين» (١/٣١٣).

(٣) ذكر هذا الأثر النووي في «الأذكار» (١/٣٢٣)، والغزالي في «إحياء علوم الدين»

الكَلِمَةِ، مَعَ وُقُوعِهِ فِيهَا مَجَالِفُهَا.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَلَا زِمُوا الْإِسْتِغْفَارَ فِي كُلِّ وَقْتٍ،
وَأَكْثَرُوا مِنْهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلَا سِيَّمَا فِي الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمَكِنَةِ الْفَاضِلَةِ
الْمُبَارَكَةِ، وَعِنْدَ خِتَامِ الْأَعْمَالِ وَالْمَجَالِسِ وَالْأَعْمَارِ، وَعِنْدَ الْفِرَاقِ مِنْ
أَدَاءِ الْعِبَادَاتِ، كَالْحَجِّ وَالصَّلَاةِ، وَعِنْدَ السَّحْرِ.

وَتَحَيَّرُوا الْأَلْفَاظَ الشَّرْعِيَّةَ، وَالْأَدْعِيَةَ النَّبَوِيَّةَ، دُونَ ابْتِدَاعٍ أَوْ تَنْطَعٍ،
فَمَا أَعْظَمَ بَرَكَاتِ الْإِسْتِغْفَارِ! وَمَا أَشَدَّ أَثْرَهُ عَلَى الْأَبْدَانِ وَالْقُلُوبِ!
وَعَلَى الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ!! وَتَأَسَّوْا بِنَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ تَكُونُوا مِنْ
الْمُفْلِحِينَ.

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ،
وَجَعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنَ التَّائِبِينَ الْمُسْتَغْفِرِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ
اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا
إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(٣١٣/١)، ونسبها إلى رابعة العدوية - رحمها الله.



الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، غَافِرِ الذَّنْبِ، وَقَابِلِ التَّوْبِ، شَدِيدِ الْعِقَابِ، ذِي الطَّوْلِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْنِ الْمَصِيرُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، وَالسَّرَاحِ الْمُنِيرِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَكُلِّ تَابِعٍ لِنَهْجِهِمْ، وَبِهِدَاهُمْ مُسْتَنِيرٍ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَتُوبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا يُصِيبُ النَّاسَ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ، وَالْقَلْقِ وَالِاضْطِرَابِ النَّفْسِيِّ، إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ إِقْفَارِ الْقُلُوبِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَلَا سِيَّامَا ذِكْرُهُ وَتِلَاوَةُ كِتَابِهِ، وَمُلَازِمَةُ اسْتِغْفَارِهِ، فَذَلِكَ الطَّبُّ الشَّرْعِيُّ النَّاجِعُ^(١) - بِإِذْنِ اللَّهِ - فَإِنَّ لَهُ تَأْثِيرًا عَجِيبًا عَلَى سَلَامَةِ الْقُلُوبِ، وَتَخْلِصِهَا مِنَ الْأَدْوَاءِ وَالْأَسْقَامِ الَّتِي تَعْقُبُ الْإِعْرَاضَ وَالْعَفْلَةَ.

فَرَوْضُوا أَنْفُسَكُمْ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مُلَازِمَةِ الْإِسْتِغْفَارِ، وَعَوْدُودِهَا الْإِكْتَارَ مِنْهُ، وَلِيَكُنْ مِنْ قُلُوبِكُمْ مَحَلُّ الْأَنْيسِ وَالْجَلِيسِ؛

(١) سبق بيان معناها (ص ٧٣).

يَرْحُضُ^(١) الْأَوْزَارَ وَالْوَعَاءَ، وَيَسْحَجُ^(٢) اللَّمَمَ^(٣) وَالْعَنَاءَ، وَانظُرُوا فِي حَقِيقَةِ اسْتِغْفَارِكُمْ، وَأَكْثِرُوا مِنْ مُحَاسَبَةِ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَغْتَرُّوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ: مِنَ الْقُوَّةِ وَالصَّحَّةِ وَالْمَالِ، فَإِنَّ الْعُمَرَ قَصِيرٌ، وَالْمَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً، وَطُوبَى - حِينَ ذَاكَ - لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا!

وَعَلَيْكُمْ بِسَيِّدِ الْإِسْتِغْفَارِ، ذَاكَ الدُّعَاءُ الْعَظِيمُ، الَّذِي مَنْ قَالَهُ فِي النَّهَارِ مُوقِنًا بِهِ، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهُ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهِ فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ

(١) الرَّحَضُ: الغسل، يُقال: رَحَضَ يده والإناء والشوب، أي: غسلها. ينظر: «اللسان» (رحض).

(٢) السَّحَجُ: أن يصيب الشيء بالشيء فيقشر منه شيئاً قليلاً. ينظر: «اللسان» (سحج).

(٣) اللَّمَمُ: مقاربة الذنوب، وقيل: اللمم ما دون الكبائر من الذنوب. ينظر: «اللسان» (لم).

لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١).

أَلَا صَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى سَيِّدِ الْمُسْتَغْفِرِينَ،
وَأَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ
بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

(١) برقم (٦٣٠٦) من حديث شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه.





القِسْمُ الثَّانِي عَشْرُونَ
مَوْضُوعَاتُ عَامِيَّةٍ

جَزِيرَتُنَا السَّمَاءُ الْمَدِينَةُ فِي ظِلَالِ الْحُكْمِ بِالشَّرِيعَةِ وَالْوَلَايَةِ الْبَدِيعَةِ

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُكَ رَبِّي وَنُسْتَعِينُكَ وَنَسْتَهْدِيكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ
وَنُتُوبُ إِلَيْكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، لَكَ الْحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى، وَلَكَ
الْحَمْدُ إِذَا رَضِيتَ، وَلَكَ الْحَمْدُ بَعْدَ الرِّضَى، سُبْحَانَكَ رَبَّنَا مَا
أَعْظَمَكَ! سُبْحَانَكَ رَبَّنَا مَا أَكْرَمَكَ! سُبْحَانَكَ رَبَّنَا مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ
عِبَادَتِكَ! نَحْمَدُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِجَمِيعِ مَحَامِدِهِ، وَنُثْنِي عَلَيْهِ بِالْآلَاءِ فِي بَادِيِ
الْأَمْرِ وَعَائِدِهِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى وَافِرِ عَطَائِهِ وَرَافِدِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُعْتَرِفٍ
بِلُطْفِهِ فِي مَصَادِرِ التَّوْفِيقِ وَمَوَارِدِهِ، مُتَحَلِّ بِقَلَائِدِ التَّوْحِيدِ وَفَرَائِدِهِ،
مُتَّصِفٍ بِالتَّزَامِ قَوَاعِدِ الدِّينِ وَمَعَاقِدِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَسَيِّدَنَا مُحَمَّدًا
عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، خَيْرٌ مَنْ رَسَمَ نَهْجَ الْهُدَى لِقَاصِدِهِ، وَالْهَادِيَ إِلَى
سَبِيلِ الْحَقِّ وَمَاهِدِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، هُمَا مَعَالِمُ
الدِّينِ وَمَعَاهِدِهِ، وَرَادَةُ شَرْعِهِ السَّائِعِ لِوَارِدِهِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ
بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيَكُمْ وَنَفْسِي - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهِيَ جَمَاعُ
 الْخَيْرَاتِ، وَيَنْبُوعُ الْبَرَكَاتِ، وَمَصْدَرُ الرَّحْمَاتِ، وَنُورُ الظُّلُمَاتِ،
 وَسَبَبُ التَّرَقِّي فِي عُلُوِّ الدَّرَجَاتِ، وَالْأَمَانِ مِنَ الدَّرَكَاتِ، وَتَكْفِيرِ
 الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ -
 يُؤْتِكُمْ كَهْلِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحديد].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: سِرُّ بَقَاءِ الْأُمَّمِ، وَسَبَبُ فَخَارِ الشُّعُوبِ،
 وَآسَاسُ بِنَاءِ الْأَمْجَادِ وَإِشَادَةِ الْحَضَارَاتِ، إِنَّهَا يَرْكَزُ عَلَى قَوَاعِدِ
 الْمَبَادِيِ وَالثَّوَابِتِ، وَيَكْمُنُ فِي ظِلَالِ الْمَثَلِ وَضَفَافِ الْقِيمِ.
 وَالْمُسْتَقْرَى لِعَوَامِلِ أَزْمَاتِ الْأُمَّمِ، وَانْتِكَاسَاتِ الشُّعُوبِ، وَتَقْوِيضِ
 أَمْجَادِهَا، وَانْهِيَارِ حَضَارَاتِهَا عَبْرَ التَّارِيخِ، يُدْرِكُ أَنَّ مَرَدَّ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى
 التَّفْرِيطِ فِي الْمَبَادِيِ، وَالْمَسَاسِ بِالْأُصُولِ وَالثَّوَابِتِ.

وَإِنَّ اللَّهَ - جَلَّتْ حِكْمَتُهُ - قَدْ مَنَّ عَلَيْنَا نَحْنُ أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ ﷺ بِهَذَا
 الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَاخْتَارَ - سُبْحَانَهُ وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ - فِيمَا يَخْلُقُ وَيَخْتَارُ، هَذِهِ
 الْجَزِيرَةَ، لِتَكُونَ قَاعِدَةً انْطِلَاقَتِهِ إِلَى كُلِّ الْخَلِيقَةِ، فِي جَمِيعِ أَصْقَاعِ الْمَعْمُورَةِ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: لَقَدْ قَامَتْ فِي دُنْيَا النَّاسِ حَضَارَاتٌ شَتَّى،
وَوَاجَهَتْ أَرْمَاتٍ مُتَعَدِّدَةً، غَيْرَ أَنَّ الْقَضِيَّةَ الْمُهِمَّةَ فِي حَيَاةِ الْأَفْرَادِ
وَالْأُمَّمِ عَلَى مَدَارِ التَّارِيخِ كُلِّهِ، هِيَ قَضِيَّةُ الثَّوَابِتِ وَالْمَنْهَجِ.

وَإِنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - بِهَذِهِ الْأُمَّةِ - أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ - أَنْ وَقَاهَا
شُرُورَ الْمَحْقِقِ وَالْإِسْتِصْصَالِ، وَقَضَى بِوُجُودِ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ،
وَالْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، فَرَايَةَ التَّوْحِيدِ لَا تَسْقُطُ أَبَدًا، وَصَوْتُ
الْإِسْلَامِ لَا يَنْقَطِعُ سَرْمَدًا: ﴿الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ

الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) [التوبة].

رَوَى الْبُخَارِيُّ^(١) وَمُسْلِمٌ^(٢) فِي «صَحِيحَيْهِمَا» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ
ظَاهِرُونَ». وَلَمْ يَزَلْ - سُبْحَانَهُ - تَفْضُلًا مِنْهُ وَمِنَّةً، يُوفِّقُ لِإِقَامَةِ عَقِيدَةِ
التَّوْحِيدِ، وَيُمْكِّنُ لِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ، مَعَ أَنَّ عَوَامِلَ الضَّعْفِ مَا بَرِحَتْ
تَلُوحُ، وَالتَّحَدِّيَاتُ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مَا فَتَتَتْ تُصِيبُ الْأُمَّةَ بِالْوَهْنِ

(١) برقم (٧٣١١) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(٢) برقم (١٩٢١) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

وَالْأَدْوَاءِ، فِي عَدَدٍ مِنْ أَعْضَاءِ جَسَدِهَا الْمُشَخَّنِ بِالْجِرَاحِ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: وَالْمُتَأَمِّلُ فِي تَأْرِيخِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي أَطْوَارِهِ
الْمُخْتَلِفَةِ، يَجِدُ أَنَّ دَوْلَةَ الْإِسْلَامِ لَمْ يَغْبِرْ نَهَارُهَا، وَلَمْ تَنْطَفِئْ أَنْوَارُهَا
- بِحَمْدِ اللَّهِ - مُنْذُ أَنْ شَادَ الْمُصْطَفَى ﷺ صَرْحَ حَضَارَةِ الْإِسْلَامِ
الْأَوْلى، نَعَمْ! كَانَتْ وَلَا تَزَالُ هُنَاكَ مَحَاوِلَاتٌ مُسْتَمِرَّةٌ تَرْمِي إِلَى إِقْصَاءِ
الْإِسْلَامِ وَتَجْرِيدِ أَهْلِهِ مِنْ إِمْكَانَاتِهِ الْمَادِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، وَحِرْمَانِهِمْ مِنْ
حُقُوقِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ فِي شَتَّى الْمَجَالَاتِ، وَغَزْوِهِمْ: عَقْدِيًّا وَفِكْرِيًّا
وَتَرْبُويًّا وَإِعْلَامِيًّا، وَلَكِنْ يَا بِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: لَقَدْ شَاءَ اللَّهُ - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - هَذِهِ الْجَزِيرَةَ
اضْطِفَاءً وَاخْتِيَارًا، فَجَعَلَهَا مُنْطَلَقًا لِلرِّسَالَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْخَالِدَةِ،
وَمُنْزَلًا لِوَحْيِهِ، وَمَهْدًا لِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَقِبْلَةً لِعِبَادِهِ، وَمَهْوَى
لِأَفْئِدَتِهِمْ، وَمَحَلًّا لِأَدَاءِ مَنْاسِكِهِمْ، فَأَمْنُهَا أَمْنٌ لِجَمِيعِ الْبِلَادِ، وَنُورُ إِيْمَانِهَا
سَاطِعٌ - بِحَمْدِ اللَّهِ - فِي كُلِّ الْأَصْقَاعِ^(١) وَالْوِهَادِ^(٢)، وَهِيَ: مَاوَى كُلِّ

(١) الْأَصْقَاعُ: جَمْعُ صَقَعٍ، وَهُوَ: نَاحِيَةُ الْأَرْضِ أَوْ الْبَيْتِ. يُنْظَرُ: «اللسان» (صقع).

(٢) الْوِهَادُ: جَمْعُ وَهْدٍ، وَالْوَهْدَةُ: الْمَكَانُ الْمُنْخَفِضُ مِنَ الْأَرْضِ كَأَنَّهُ حَفْرَةٌ. يُنْظَرُ:

«اللسان» (وهد).



مُضْطَهَدٍ فِي دِينِهِ مِنْ سَائِرِ الْعِبَادِ: قَلَعَهُ مِنْ قِلَاعِ الْهُدَى، وَصَحْرَةً
 شَمَاءً تَتَهَاوَى أَمَامَهَا سِهَامُ الْعِدَى، وَتَتَلَاشَى أَمَامَ شُمُوحِهَا عَوَامِلُ
 الرَّدَى. هِيَ مَنَارَةُ الْإِسْلَامِ، وَمَأْرُزُ^(١) الْإِيمَانِ، وَمُحْضِنُ الْعَقِيدَةِ،
 وَمَرْكَزُ الْحَضَارَةِ، وَمُنْطَلَقُ الْقِيَادَةِ وَالسِّيَادَةِ وَالرِّيَادَةِ لِلْعَالَمِ
 الْإِسْلَامِيِّ، وَالْحَطُّ الْأَخِيرُ فِي غُرَّةِ الْوُجُودِ الْإِسْلَامِيِّ، وَخَاتَمَةُ سُورِ
 الدِّفَاعِ الْعَقْدِيِّ وَالْإِيمَانِيِّ.

هِيَ مَعْقَلُ^(٢) الشَّرِيعَةِ وَعَاصِمَتُهَا الْخَالِدَةُ، وَرَأْسُ مَالِ الْأُمَّةِ،
 وَأَعْلَى أَرْبَابِهَا، تُعَدُّ بِمِثَابَةِ مَرْكَزِ الْقَلْبِ فِي جِسْمِ الْإِنْسَانِيَّةِ - حِفْظُهَا
 اللَّهُ - فَلَمْ تَطَّأَهَا قَدَمُ مُسْتَعْمِرٍ، فَاللَّهُ قَدْ بَسَطَ أَمْنَهُ فِي رُبُوعِهَا، وَنَشَرَ
 أَمَانَهُ فِي كُلِّ أَرْجَائِهَا - فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَإِنَّ الْمُسْلِمَ الْحَقَّ، لَيَنْشَرِحُ صَدْرُهُ بِالتَّمَكِينِ لِقِبْلَةِ الْإِسْلَامِ
 الْأَوْلى، وَانْطِلَاقَةِ دَعْوَتِهِ الْكُبْرَى، وَيَفْرَحُ وَيَعْتَبِطُ حِينَ يَرَى صَفَاءَ
 الْعَقِيدَةِ، وَيَغْمُرُهُ السُّرُورُ، وَيَكْتَنِفُهُ الْإِسْتِبْشَارُ وَالْحُبُورُ، حِينَ يَجِدُ
 الرَّاحَةَ وَالْأَمْنَ، وَهُوَ يَحُجُّ وَيَعْتَمِرُ بِكُلِّ أَمَانٍ وَاطْمِئْنَانٍ، بَعْدَمَا كَانَتْ

(١) الْمَأْرُزُ: الْمَلْجَأُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (أرز).

(٢) الْمَعْقَلُ: الْمَلْجَأُ وَالْحِصْنُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (عقل).

رِحْلَةُ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ رِحْلَةٌ مَصِيرِيَّةٌ، تُمَثِّلُ حَيَاةً أَوْ مَوْتًا، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ
أَوَّلًا وَآخِرًا، وَبَاطِنًا وَظَاهِرًا.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: وَلَقَدْ شَهِدَتِ الْجَزِيرَةُ الْعَرَبِيَّةُ أَحْقَابًا
عِجَافًا^(١)، وَأَتَى عَلَيْهَا حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ تَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا إِلَّا بِالظُّلْمِ
وَالنَّهْبِ، وَالْجَهْلِ وَالسَّلْبِ، وَشُيُوعِ الْقَتْلِ وَالْفَوْضَى، حَيْثُ كَانَتْ
مَسْرَحًا لِلْجَرَائِمِ، وَمَثَلًا فِي انْعِدَامِ الْأَمْنِ وَكَثْرَةِ الْمَخَافِيفِ، حَتَّى:
ضَجَّ الْحَجِيجُ وَضَجَّ الْبَيْتُ وَالْحَرَمُ

وَاسْتَصْرَحَتْ رَبِّهَا فِي مَكَّةَ الْأُمَمِ^(٢)

حِينَ انْفَرَطَ عِقْدُهَا، وَذَهَبَتْ رِيحُهَا، وَتَسَلَّطَ عَلَيْهَا أَعْدَاؤُهَا، وَلَمْ
تَزَلْ فِي هَذَا الْوَضْعِ الْمُتَرَدِّي، حَتَّى قَيَّضَ اللَّهُ لَهَا أَيْمَةَ الدَّعْوَةِ
الإِصْلَاحِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ، فَعَانَقَ سُلْطَانُ الْحُكْمِ، سُلْطَانَ الْعِلْمِ، فِي زَمَنِ
كَثُرَ فِيهِ الْجَهْلُ وَالْخَوْفُ، وَعَمَّ فِيهِ التَّخَلُّفُ وَالْإِضْطِرَابُ، وَوَهَنْتْ
صِلَةُ النَّاسِ بِعَقِيدَتِهِمْ، وَأَنْعَدَمَ تَوْثُقُهُمْ بِشَرِيْعَتِهِمْ.

(١) العجف: الهزال وذهاب السمن، يُقال: بلاد عجفاء أي: غير ممطورة. يُنظر:

«معجم مقاييس اللغة» (عجف). والمراد: هزال التَّدِينِ.

(٢) البيت لأحمد شوقي، يُنظر: «ديوانه» (١/ ٢١١).

فَأَجْرَى اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ، مِنَ الْخَيْرِ لِلْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، مَا يَشْهَدُ بِهِ
 الْمُنْصِفُونَ، وَيَشْرُقُ بِهِ الْحَاقِدُونَ، فَأُعْلِيَتْ رَايَةُ التَّوْحِيدِ، وَوُئِدَتْ
 الْخُرَافَةُ، وَأُبْطِلَ التَّنْذِيدُ؛ فَتَحًا مِنَ الْمَجِيدِ، وَتَيْسِيرًا مِنَ الْعَزِيزِ
 الْحَمِيدِ، حَتَّى قَرَّتْ عُيُونُ الْمُوَحِّدِينَ بِانْتِشَارِهِ، وَرُسُوخِ أُصُولِهِ
 وَقَوَاعِيدِهِ، وَإِشْعَاعِ نُورِ الْعِلْمِ، وَكَشْفِ الشُّبُهَاتِ، وَتَبَدُّدِ سُحُبِ
 الْجَهَالَةِ، وَاضْمِحْلَالِ مَسَائِلِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَحْقِيقِ الْوَحْدَةِ وَالْأُخُوَّةِ،
 وَتَأْمِينِ السُّبُلِ، وَشُيُوعِ الْأَمْنِ وَالِاطْمِئْنَانِ. وَأُنَيْطَتْ أَمَانَةُ السَّفِينَةِ إِلَى
 مَنْ يَقُودُهَا بِمَهَارَةٍ وَسَطِّ الْأَمْوَاجِ الْهَائِجَةِ، فَيُوصِّلُهَا إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ،
 وَشَاطِئِ السَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ.

وَهَذَا مِنْ مُقْتَضِيَاتِ الْإِمَامَةِ فِي هَذَا الدِّينِ، وَلِلَّهِ دَرُّ حَسَّانٍ ﷺ:
 وَمَا الدِّينُ إِلَّا أَنْ تُقَامَ شَرَائِعُ وَتُؤْمَنَ سُبُلٌ بَيْنَنَا وَهَضَابٌ^(١)
 أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَمِنْ أَفْضَالِ اللَّهِ وَالْآيَةِ، وَتَمَامِ مَنْهُ وَنِعْمَائِهِ عَلَى
 هَذِهِ الْجَزِيرَةِ - مَعَ مَا نَعِمْتَ بِهِ مِنْ الْيَقَظَةِ الْإِصْلَاحِيَّةِ الْكُبْرَى - أَنَّهَا
 تَمَيَّزَتْ بِخَصَائِصٍ فَرِيدَةٍ، وَثَوَابَتْ عَتِيدَةً.

(١) يُنْظَرُ: «أَمِ الْقُرَى» (ص ٣٢).

أَهْمُهَا: صَفَاءُ الْمُعْتَقَدِ، فِي زَمَنِ عَشِيَّتِهِ عَاشِيَةُ سَوْدَاءُ، فَالْبَسَ
التَّوْحِيدَ الْخَالِصَ لِلَّهِ نَسْجًا مِنَ الْخُرَافَاتِ وَالْإِنْجِرَافَاتِ، وَعَبَثَتْ
بِأَهْلِهِ الْأَوْهَامَ وَالْخَيَالَاتِ، فَبَدَّلَ مُسْلِمُونَ آخِرُونَ، وَهَبَطُوا فِي هُوَّةِ
سَحِيقَةٍ مِنَ الظُّلْمِ وَالظُّلْمِ، فَعَاشَ الْعَالَمُ فِي جَوْ مُرَبِّدٍ، وَظُلْمَةٍ مُطْبَقَةٍ.
وَبَيْنَمَا الْعَالَمُ مُسْتَعْرِقٌ فِي هَجْعَتِهِ^(١)، وَمُدْلِجٌ^(٢) فِي ظُلْمَتِهِ، إِذَا
بَصَوْتِ الْإِمَامِ الْمُصْلِحِ الشَّهِيرِ، وَالْمُجَدِّدِ الْكَبِيرِ - نَوَّرَ اللَّهُ مَثْوَاهُ،
وَأَعْلَى فِي الْجَنَّةِ مَأْوَاهُ - يُدَوِّي مِنْ قِبَلِ الصَّخْرَاءِ؛ لِإِيقَاطِ الْأُمَّةِ مِنْ
سُبَاتِمَا الْعَمِيقِ، حَتَّى تَبَدَّتْ تَبَاشِيرُ فَجْرِ الْإِصْلَاحِ، وَسَطَعَتْ شَمْسُ
الْحَقِّ بَعْدَمَا كَانَتْ فِي أُنْفُولٍ، وَتَبَدَّدَتْ ظُلُمَاتُ الْجَهَالَةِ بَعْدَمَا كَانَتْ فِي
امْتِدَادٍ وَشُمُولٍ، فَحَمْدًا لَكَ اللَّهُمَّ حَمْدًا حَمْدًا، وَشُكْرًا لَكَ اللَّهُمَّ
شُكْرًا شُكْرًا، لَكَ الْحَمْدُ كُلُّ الْحَمْدِ، لَا مَبْدَأَ لَهُ وَلَا مُتَهَيُّ، وَاللَّهُ
بِالْحَمْدِ أَجْدَرُ.

كَانَتْ جَزِيرَتُنَا بِالْأَمْسِ عَارِيَةً وَالْيَوْمَ قَدْ لَبَسَتْ أَثْوَابَهَا الْقُشْبَا
لَقَدْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْهَرَجِ مَا يُبْكِي تَفَاصِيلُهُ الْعُيُونَ، كَانَتْ مُزَقَّةً

(١) هَجْعَتُهُ: غفلته. يُنظر: «اللسان» (هجع).

(٢) سبق بيان معناها (ص ٣٨).

الأطرافِ، قَائِمَةً الأَوْصَافِ، فَالْخَيْرُ مُنْعَفِرٌ^(١)، وَالْأَمْنُ مُنْدَثِرٌ، وَالرُّكْنُ مَهْدُودٌ! فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ ضَمِّ الشَّمْلِ شَاخِحَةً، حِينَ اسْتَبَّ لَهَا بَعْثٌ وَتَجْدِيدٌ، فَالِدَّارُ عَامِرَةٌ، وَالْأَرْضُ زَاهِرَةٌ، وَالسُّحْبُ مَاطِرَةٌ، وَالْأَمْنُ مُنْتَشِرٌ. فَتَمَثَّلَتِ الْجَزِيرَةُ بَعْدَ الدَّعْوَةِ الإِصْلَاحِيَّةِ نَسِيحًا وَخَدَوِيًّا يَقْلُ نَظِيرُهُ، نَجْدُهَا وَحِجَازُهَا وَجَنُوبُهَا وَالشَّمَالُ، فِي مَنْظُومَةٍ مُتَالِقَةٍ مُتَّحِدَةٍ، بَعْدَمَا أَدَى الشَّقَاقُ فِي الأُمَّةِ إِلَى ضُمُورِ مَعَانِي الوَحْدَةِ فِيهَا، فِي وَقْتٍ كَانَتْ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الكَيَانَاتِ تُعَانِي الفُرْقَةَ فِي أَقْسَى مَعَانِيهَا: فِي انْقِسَامَاتٍ عَصَبِيَّةٍ، وَمُشَاحَنَاتٍ إِقْلِيمِيَّةٍ. وَإِنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تَعَنَّقُ عَقِيدَةَ التَّوْحِيدِ، وَتَلْتَزِمُ شَرِيعَةَ اللَّهِ، لَا يَحِقُّ لَهَا أَنْ تَجْعَلَ لِأَسْبَابِ الفُرْقَةِ طَرِيقًا إِلَى وَحْدَتِهَا؛ لِكَيْ تَنْطَلِقَ إِلَى آفَاقِ البِنَاءِ، وَتَسْتَشْرِفَ آمَالَ المُسْتَقْبَلِ عَلَى خُطَى ثَابِتَةٍ تَوْحِدًا وَتَوْحِيدًا.

وَلَقَدْ كَانَتْ نَتِيجَةُ ذَلِكَ وَآثَارُهُ، أَمْنًا وَارِفَ الظَّلَالِ - بِحَمْدِ اللَّهِ - فِي عَالَمٍ ضَرَبَ الخَوْفُ فِيهِ أَطْنَابَهُ، وَلَمْ يَعُدْ آمِنًا عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ، حَمْدًا لَا كِفَاءَ لَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ وَأَسَدَى.

(١) المُنْعَفِرُ: مَنْ عَفَرَ الشَّيْءَ فِي التَّرَابِ يَعْفِرُهُ عَفْرًا، وَعَفْرَهُ تَعْفِيرًا، فَهُوَ مُنْعَفِرٌ، إِذَا مَرَّغَهُ فِي التَّرَابِ أَوْ دَسَّهُ فِيهِ، وَالْمُرَادُ: خَفَاؤُهُ وَغِيَابُهُ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (عفر).

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ . أَبْنَاءَ الْجَزِيرَةِ :- وَلَقَدْ كَانَ مِنَ الثَّوَابِتِ الْمُهِمَّةِ
 فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ: تَحْكِيمُ الشَّرِيعَةِ، وَالتَّحَاكُمُ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَلَا
 تَعُصَبَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ، وَلَا جُمُودَ عَلَى مَشْرَبٍ مِنَ الْمَشَارِبِ،
 مَعَ الْعِنَايَةِ بِالتَّرْيِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَالتَّرْكِيزِ عَلَى الْعُلُومِ
 وَالْمَنَاهِجِ وَالْمُؤَسَّسَاتِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَمِنْهَا: إِقَامَةُ الْوَحْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ الْمَتِينِ، وَدَعْمُ
 التَّضَامُنِ الْإِسْلَامِيِّ، وَإِعْزَازُ شَعِيرَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ
 الْمُنْكَرِ، وَإِعْلَاءُ شَأْنِ الْحَسْبَةِ وَتَكْرِيمُ أَهْلِهَا، وَالْعِنَايَةُ بِالْمَرْأَةِ
 الْمُسْلِمَةِ فِي التِّزَامِ بِحِجَابِهَا وَعَفَافِهَا وَحِسْمَتِهَا وَحَيَاتِهَا، وَالْبُعْدُ عَنِ
 تَبَرُّجِهَا وَسُفُورِهَا وَاخْتِلَاطِهَا، فَنَالَتْ فَتَاةُ الْجَزِيرَةِ قَصَبَ السَّبْقِ فِي
 حَصَانَتِهَا وَصِيَانَتِهَا، وَسَلِمَتْ مِنَ الدَّعَوَاتِ الْمَأْفُونَةِ فِي تَحْرُّرِهَا مِنْ
 قِيمِهَا، وَتَجَرُّدِهَا مِنْ مُثْلِهَا، بِدَعْوَى الْحُرِّيَةِ الْمَرْعُومَةِ، وَالتَّقَدُّمِيَّةِ
 الزَّائِفَةِ.

وَمِنْهَا: تَبْنِي قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ الْكُبْرَى، وَيَأْتِي فِي مُقَدِّمَتِهَا قَضِيَّةُ
 أَوْلَى الْقِبْلَتَيْنِ وَثَالِثِ الْمَسْجِدَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَمَسْرَى سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ ﷺ،
 الَّذِي يَمُرُّ الْيَوْمَ بِمَرَحَلَةٍ خَطِيرَةٍ غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ، أَفْرَأَ اللَّهُ الْأَعْيُنَ بِفِكَ
 أَسْرِهِ وَقُرْبِ تَحْرِيرِهِ.

وَمِنْهَا: دَعْمُ فَضَايَا الْأَقْلِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي شَتَّى أُنْحَاءِ الْعَالَمِ،
جَعَلَهُ اللَّهُ خَالِصًا لِرُوحِهِ الْكَرِيمِ.

يُقَالُ ذَلِكَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - تَذَكِيرًا بِالنَّعْمِ؛ لِيُشْكِرَ الْمُنْعَمُ
الْمُتَفَضِّلُ - سُبْحَانَهُ - وَتَأْكِيدًا عَلَى الثَّوَابِ الْمَتِينَةِ؛ حَتَّى يَتَذَكَّرَهَا
الْجِيلُ الْيَوْمَ، الَّذِي يُحْشَى أَنْ يَنْخَدِعَ بِبَرِيقِ الْمَدِينَةِ الْمُعَاصِرَةِ، وَإِهَابَةً
بِالْأُمَّةِ لِلتَّذَكُّرِ وَالِاتِّعَاطِ وَالِإِعْتِبَارِ، وَلَيْسَ هَذَا الْقَوْلُ لِأَحَدٍ ثَنَاءً
وَمَدْحًا، وَلَا لِغَيْرِهِ دَمًّا وَقَدْحًا، وَلَكِنَّهُ لِلْحَقِيقَةِ وَالتَّأْرِيخِ.

أَلَا فَلْيَعْلَمَنَّ ذَلِكَ أَهْلُ الْجَزِيرَةِ: قَادَةَ وَعُلَمَاءَ، شَبَابًا وَشَيْبًا،
رِجَالًا وَنِسَاءً، فَيَلْتَزِمُوا نَهْجَ السَّلَفِ لِيَكُونُوا خَيْرَ خَلْفٍ، تَمَسُّكًا
بِالْأَصَالَةِ، وَحُسْنِ تَعَامُلٍ مَعَ الْمُتَغَيِّرَاتِ الْمُعَاصِرَةِ عَلَى ضَوْءِ مَنْهَجِ
الْوَسْطِيَّةِ وَالِإِعْتِدَالِ، بَعِيدًا عَنِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، وَالِإِنْبَهَارِ
وَالِإِنْهَزَامِيَّةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ، وَالفِكْرِ وَالتَّرْبِيَّةِ، وَالتَّعْلِيمِ وَالِإِعْلَامِ،
وَفِي كُلِّ مَجَالٍ مِنَ الْمَجَالَاتِ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: وَلَقَدْ دَأَبَ الْخُصُومُ عَلَى رَفْعِ عَقِيرَتِهِمْ^(١)

(١) سبق بيان معناها (ص ٩٩).

عِنْدَ تَجَدُّدِ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَتَبَدُّدِ كُلِّ نِقْمَةٍ، وَالْفَتْلِ فِي الذَّرْوَةِ وَالْغَارِبِ^(١)، فَشَنُّوا الْحَمَلَاتِ الْمُغْرِضَةَ، وَبَثُّوا الدَّعَايَاتِ وَالْوَشَايَاتِ الْكَاذِبَةَ، ضِدًّا هَذِهِ الْجَزِيرَةَ وَدَعْوَتَهَا الْإِضْلَاحِيَّةَ، فَادَّعَوْهَا مَذْهَبًا خَامِسًا، وَخُرُوجًا عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَائِلُ، بِدَعْوَى الْوَهَابِيَّةِ أَوْ الْإِصَاقِ تُهَمَّةِ الْإِزْهَابِ بِهَا، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْأَوَّلِ:

إِنَّ بَنِي زَمْلُونِي بِالْأَدَمِ شَنْشِنَةٌ^(٢) أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ^(٣)
يُرَدِّدُهَا بَعْضُ مَنْ أَرْخَى زِمَامَ نَفْسِهِ لِحُضْمِهِ، وَأَعَارَ عَقْلَهُ لِغَيْرِهِ
جَهْلًا أَوْ إِعْرَاضًا، دُونَ رَوِيَّةٍ وَتَثْبُتٍ، وَاطَّلَاعٍ وَنَظَرٍ وَتَبَيُّنٍ.

وَشَأْنُ الْمُسْلِمِ الْحَصِيفِ^(٤) الْوَاعِي، أَنْ يَنْظُرَ بِمِيزَانِ النَّقْلِ الصَّحِيحِ، وَالْعَقْلِ الصَّرِيحِ، كَمَا أَنَّ عَلَيْنَا جَمِيعًا - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - الْحَذَرَ مِنْ كُلِّ دَعْوَةٍ تُخَالِفُ ثَوَابِتَنَا وَمَنْهَجَنَا الصَّحِيحَ، وَإِنْ تَزَيَّتْ بِبَهْرَجِ الْقَوْلِ، وَتَنْمِيقِ الْقَوْلِ وَالْأَسَالِبِ، فَاللَّهُ اللَّهُ - عِبَادَ اللَّهِ - فِي الثَّبَاتِ

(١) فتل في الذروة والغارب: من الأمثال العربية. يُنظر: «جمهرة الأمثال» (٩٨/٢)،

«مجمع الأمثال» (٦٩/٢)

(٢) سبق بيان معناها (ص ١٠٠).

(٣) راجع (ص ١٠٠).

(٤) سبق بيان معناها (ص ٣٧٨).

عَلَى عَقِيدَتِنَا وَدِينِنَا!! وَاللَّجَأَ اللَّجَأَ إِلَى التَّوَسُّطِ وَالْإِعْتِدَالِ، وَالْمُحَافَظَةَ
عَلَى مُكْتَسَبَاتِ حَضَارَتِنَا، وَإِنجَازَاتِ جَزِيرَتِنَا!! لَا إِشَادَةَ بِأَمْجَادِ الْمَاضِي
فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا اسْتِمْسَاكُ وَعَزْمَاتُ، وَعَمَلٌ وَجِدٌّ وَثَبَاتٌ؛ لِلتَّهْوِضِ
وَالشُّمُوحِ لِبِنَاءِ صَرْحٍ لَا كَالصُّرُوحِ، وَحَضَارَةٍ لَا كَالْحَضَارَاتِ، فَيَبْنِي
الْأَبْنَاءَ وَالْأَحْفَادُ، كَمَا بَنَى الْآبَاءُ وَالْأَجْدَادُ، وَيَفْعَلُونَ مِثْلَ مَا فَعَلُوا.

وَلَعَلَّ فِي هَذَا اسْتِنْهَاضًا لَهُمْ أَبْنَاءَ الْجَزِيرَةِ، أَنْ يَكُونُوا مَعَ عِظَمِ
هَذَا التَّشْرِيفِ، عَلَى مُسْتَوَى الثَّقَةِ وَالتَّكْلِيفِ، سَائِرِينَ عَلَى دَرَجَةِ جَمَاعَةِ
الْمُسْلِمِينَ، تَحْتَ رَايَةِ التَّوْحِيدِ، وَعَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، لَا تَتَوَازَعُهُمُ الْفِرْقُ
وَالْأَهْوَاءُ، وَلَا تُفَرِّقُهُمُ الْجَمَاعَاتُ وَالْأَحْزَابُ، مُحْيِينَ لِمَا انْدَرَسَ مِنْ
مَعَالِمِ هَذَا الدِّينِ، وَالتَّبَسُّسِ مِنْ مَفَاهِيمِهِ. مُحَازِرِينَ كُلَّ شَائِعَةٍ وَتَشْوِيشٍ،
مُجَانِبِينَ كُلَّ ذَائِعَةٍ وَتَهْوِيشٍ، مُبْقِينَ حَقَّ الْإِمْتِيَازِ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ عَلَى
ضَوْءِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ، دُونَ تَقْلِيدِ دَامِسٍ، لَا يَرُدُّ يَدَ لَامِسٍ. وَأَنْ يَكُونَ
دَوْرُهُمْ - مَعَ حِرَاسَةِ الْعَقِيدَةِ وَالشَّرِيعَةِ - الْإِفَادَةَ مِنْ مُنْجَزَاتِ الْحَضَارَةِ
الْمُعَاصِرَةِ فِي شَتَّى الْمَجَالَاتِ، أَصَالَةً وَتَجْدِيدًا، لَا تَبَعِيَّةً وَتَقْلِيدًا.

وَبِنَاءً عَلَيْهِ، فَلَابُدَّ مِنْ بَعْثِ رُوحِ التَّفَاوُلِ وَالْأَمَلِ، وَالْجِدِّ وَالْعَمَلِ،
لِبِنَاءِ حَيَاةٍ سَعِيدَةٍ، تَجْمَعُ بَيْنَ الْأَصَالَةِ وَالْمُعَاصِرَةِ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ،
عَلَى يَدِ أبنَائِهَا الْفُضَلَاءِ، وَرِجَالِهَا الشُّرَفَاءِ النَّبْلَاءِ، تَأْثِيرًا لَا تَأْثَرًا.

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ: وَمَعَ كُلِّ مَا حَبَا اللَّهَ مَهْدَ الْإِسْلَامِ وَمَأْرَزَ^(١) الْإِيمَانَ
 مِنَ الْمَزَايَا وَالْخَصَائِصِ، فَإِنَّ الْمُتَقَرَّرَ لَدَى النَّصْفَةِ: أَنَّ الْكَمَالَ لِلَّهِ
 وَحَدَهُ، وَأَنَّ الْعِصْمَةَ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، سِوَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ فِيمَا
 يُبْلَغُونَ مِنْ شَرْعِهِ، وَالْمَوْفُوقُ الْمُئْتَمِرُ، مَنْ سُحِّرَ فِي الْخَيْرِ مِفْتَاحًا،
 وَلِلشَّرِّ مَغْلَاقًا، فَحَرَصَ عَلَى إِبْرَازِ هَذِهِ الْمَزَايَا؛ حَمِيَّةً لِلدِّينِ لَيْسَ إِلَّا،
 وَسَعَى فِي تَحْقِيقِ الضَّمَانَاتِ؛ لِلْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا فِي عَالَمٍ يُمُوجُ بِالتَّحْدِيَّاتِ.
 رَفْعًا لِرَايَةِ الصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ، بِالْأَسَالِيبِ الشَّرْعِيَّةِ، وَسَدًّا لِهَذَا
 الزَّخْفِ الْمَهُولِ، وَالْأَمْوَاجِ الْعَاتِيَةِ؛ لِصَدِّهَا عَنْ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ
 وَأَهْلِهَا، حَتَّى لَا تَهَيَّأَ الْأَجْوَاءُ لِاسْتِقْبَالِ التِّيَّارَاتِ الْوَافِدَةِ الْمَحْمُومَةِ،
 أَوْ الْأَفْكَارِ الْمُنْحَرِفَةِ، وَالثَّقَافَاتِ الْمَسْمُومَةِ، فِي شَتَّى الْمَجَالَاتِ.
 وَكَانَ اللَّهُ لِلْمُخْلِصِينَ لِدِينِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ وَمُجْتَمَعِهِمْ، مُعِينًا وَنَصِيرًا، إِنَّهُ
 نَعَمَ الْمَوْلَى وَنَعَمَ النَّصِيرُ.

﴿ وَلِيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾
 الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا

(١) سبق بيان معناها (ص ٦١٧).

بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج].
بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ سَيِّدِ
الْمُرْسَلِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
وَالْمُسْلِمَاتِ مِنْ كُلِّ الذُّنُوبِ وَالْخَطِيئَاتِ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ
كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ شَرَحَ صُدُورَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِالْهُدَى، وَنَكَتَ فِي قُلُوبِ
أَهْلِ الْغَيِّ فَلَا تَعِي الْحِكْمَةَ أَبَدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ، إِيَّاهَا وَاحِدًا أَحَدًا، فَرْدًا صَمَدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا
وَقُدُوتَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، أَكْرَمَ بِهِ عَبْدًا وَسَيِّدًا، وَأَعْظَمَ بِهِ
أَصْلًا وَمُحْتَدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً وَسَلَامًا تَامِينَ
دَائِمِينَ، إِلَى أَنْ يُبْعَثَ النَّاسُ غَدًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - فَإِنَّهَا الْعُدَّةُ فِي
الشَّدَةِ وَالرِّخَاءِ، وَالذَّخِيرَةُ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: وَمَعَ كُلِّ مَا ذُكِرَ مِنَ الْخَصَائِصِ وَالْمَزَايَا لَهُذِهِ
الْجَزِيرَةِ، فَهِيَ لَيْسَتْ دَعْوَةً إِفْلِيمِيَّةً، وَإِنَّمَا هِيَ دَعْوَةٌ عَالَمِيَّةٌ؛ لِأَنَّ
الْإِسْلَامَ هُوَ دِينُ الْعَالَمِيَّةِ الْحَقَّةِ، وَهُوَ قَدْرُ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ،
بَلْ فَخْرُهَا وَشَرَفُهَا، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]،
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]،
﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَمَا مَوْقِعُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ مِنَ الْعَالَمِ، إِلَّا مَوْقِعُ الْقِبْلَةِ مِنَ الْمُصَلِّيِّ،
وَالْتَّاجِ مِنَ الْحُلَّةِ، وَالْغُرَّةِ مِنَ التَّحْجِيلِ. وَقُولُوا لِي بِرَبِّكُمْ مِنَ الَّذِي
لَا يَرْسُمُ قِبْلَتَهُ عَلَى قِبْلَتِهِ، وَلَا يَهَيِّمُ بِحُبِّ عَرَصَاتِ^(١) الشَّعَائِرِ،
وَمُقَدَّسَاتِ الْمَشَاعِرِ^(٢)، وَأَمَاكِنِ الْمَنَاسِكِ وَالْعِبَادَةِ، وَمَثْوَى خَاتَمِ
النُّبُوَاتِ، وَمُنْطَلَقِ أَشْرَفِ الرَّسَالَاتِ!؟

وَاللَّيْبُ الْمُنْصِفُ - الَّذِي لَمْ تُعْشِ نُورَ بَصَرِهِ وَبَصِيرَتِهِ رَوَاسِبُ
الْغُلِّ وَالشَّخْنَاءِ، وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ - يُدْرِكُ أَنَّ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ
مَعْلَمٌ مِنْ مَعَالِمِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ، وَمَلَمَحٌ مُهِمٌّ مِنْ مَلَامِحِ هَذِهِ الْمِلَّةِ،
يَنْبَغِي أَنْ يُرَوَى فَلَا يُطْوَى، وَيُظْهَرَ فَلَا يُغْمَرُ، وَيُبَيَّنَ فَلَا يُطْمَرُ.

فَلِهَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْغُرَّاءِ، وَرِجَالَاتِهَا عَبْرَ التَّارِيخِ، الْإِسْهَامُ الْبِنَاءِ فِي
الْمَجَالَاتِ الدَّعْوِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ، وَالْمَنَاسِطِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي كَثِيرٍ مِنْ بَقَاعِ
الْعَالَمِ، وَلَا غَرَوْ! فَهَذَا مِنْ صَمِيمِ ثَوَابِتِهَا، وَأَهَمِّ أَهْدَافِهَا وَمُنْطَلَقَاتِهَا،
وَأَشْهَرِ أَنْجَازَاتِهَا وَمُكْتَسَبَاتِهَا، فِي مَنْهَجِ فَرِيدٍ، يُعْلِي رَايَةَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ

(١) الْعَرَصَاتُ: جَمْعُ عَرِصَةٍ، وَهِيَ: كُلُّ مَوْضِعٍ وَاسِعٍ لَا بِنَاءَ فِيهِ، وَالْمُرَادُ: بَقَاعُ
الْمَنَاسِكِ وَالْمَشَاعِرِ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (عَرِصَ).

(٢) الْمَشَاعِرُ: مَوَاضِعُ الْمَنَاسِكِ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (شَعْرَ).

وَالْخَيْرِ لِلْإِنْسَانِيَّةِ، وَيُنَأَى بِهَا عَنْ مَوَاطِنِ الشَّرِّ وَالْعُنْفِ وَالْإِزْهَابِ
وَالْفَوْضَى، جَعَلَهُ اللَّهُ خَالِصًا لِرُؤُوسِهِ الْكَرِيمِ، وَضَاعَفَ مَثُوبَتَهَا،
وَزَادَهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالتَّوْفِيقِ، وَحَفِظَهَا مِنْ كَيْدِ الْكَائِدِينَ وَحَقْدِ
الْحَاقِدِينَ، وَعُدْوَانِ الْمُعْتَدِينَ.

أَلَا فَلْتَسَلِّمْ جَزِيرَتَنَا الشَّمَاءَ^(١)، وَلْتَهْنَأْ رُبُوعُنَا الْغَنَاءَ، وَلْتَبْقَ
عَبْرَ الْأَعْصَارِ: دُرَّةُ الْأَمْصَارِ، وَوَاحَةٌ أَمْنٍ وَأَمَانٍ، وَمُنْطَلَقَ خَيْرٍ
وَسَلَامٍ لِلْبَشَرِيَّةِ كَافَّةً، وَلْتَدُمْ حَارِسَةً لِلْعَقِيدَةِ، ذَائِدَةً^(٢) عَنِ
الشَّرِيعَةِ، سَاعِيَةً لِكُلِّ خَيْرٍ وَصَلَاحٍ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، بَلْ
لِلْإِنْسَانِيَّةِ جَمِيعًا، وَشَاهَتْ وَجُوهُ الْخُصُومِ الْمُتْرَبِّصِينَ، وَرَغِمَتْ
أَنْفُ^(٣) الْحَاقِدِينَ الْحَاسِدِينَ

وَإِنْ رَغِمَتْ أَنْفٌ مِنْ أَنْاسٍ فَقُلْ يَا رَبِّ لَا تُرْغِمْ سِوَاهَا^(٤)

(١) سبق بيان معناها (ص ١٣٣).

(٢) ذَائِدَةٌ: مُدَافِعَةٌ عَنِ الْحَوْزَةِ وَالْحُرْمَةِ. يُنْظَرُ: «اللسان» (ذود).

(٣) رَغِمَتْ أَنْفٌ: أَي أَلْصَقَتْ بِالرَّغَامِ، وَهُوَ: التَّرَابُ اللَّيِّنُ، دَلَالَةٌ عَلَى الذَّلِّ. يُنْظَرُ:

«اللسان»، و«تاج العروس» (رغم).

(٤) يُنْظَرُ: «إعلام الموقعين» (٤/٢٠٨).

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥٦)

[يوسف].

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى النَّبِيِّ الْمُجْتَبَى،
وَالرَّسُولِ الْمُصْطَفَى، خَيْرِ الْوَرَى طَرًّا، وَأَتَقَاهُمْ لِرَبِّهِ جَهْرًا وَسِرًّا، كَمَا
أَمَرَكُم بِذَلِكَ رَبُّكُم - جَلَّ وَعَلَا - فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿ إِنَّ
اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦) [الأحزاب].

بَيْنَ خُضَايَرَتَيْنَا وَخُضَايَرَتِهِمَا

الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَالِمِ السِّرِّ وَالنَّجْوَى، أَحْمَدُ رَبِّي وَأَشْكُرُهُ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، جَلَّ شَأْنُكَ، وَعَزَّ سُلْطَانُكَ، سُبْحَانَكَ لَا يُخْلَفُ وَعَدُّكَ، وَلَا يَهْزَمُ جُنْدُكَ، وَأَنْتَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى!! وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، خَلَقَ فَسَوَّى، وَقَدَّرَ فَهَدَى، لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ الْعُلَا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى، وَالرَّسُولُ الْمُجْتَبَى، وَالنَّبِيُّ الْمُرْتَضَى، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الشَّرَفَاءِ، وَصَحْبِهِ الْأَوْفِيَاءِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَاقْتَفَى، مَا صُبِحَ بَدَا، وَلَيْلٌ سَجَى، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا وَكَفَى.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيَكُمْ وَنَفْسِي - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَإِنَّهَا أَوْثَقُ الْعُرَى، وَبِهَا تَتَحَقَّقُ السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا، وَالْفَوْزُ فِي الْآخِرَى، وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: صِنَاعَةُ الْأَجَادِ، وَبَقَاءُ الْأُمَمِ، يَكْمُنُ فِي خُلُودِ

الْحَضَارَاتِ، وَسِرُّ بَقَاءِ أَعْجَادِ الشُّعُوبِ، وَخُلُودِ حَضَارَاتِ الْأُمَّمِ،
يَكْمُنُ فِي مَجْمُوعَةِ عَنَاصِرِ رَيْسَةِ، يَأْتِي فِي طَلِيعَتِهَا: عَقِيدَةُ إِيْمَانِيَّةٌ، وَمُثَلٌّ
وَقِيمٌ أَخْلَاقِيَّةٌ.

وَالْمُتَأَمِّلُ فِي تَأْرِخِ الْحَضَارَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ، يَجِدُ أَنَّهَا تَعِيشُ تَقَلُّبَاتٍ
شَتَّى: بَيْنَ ازْدِهَارٍ وَأَنْحِدَارٍ، وَقِيَامٍ وَانْهِيَارٍ، بَلْ لَعَلَّ بَعْضَهَا كُتِبَ لَهُ
الِاضْمِحْلَالُ وَالذَّمَارُ؛ لِفَقْدِهِ عَنَاصِرَ الْبَقَاءِ وَالِاسْتِمْرَارِ.

وَأَنْبُلُ حَضَارَةِ وَأَزْهَابَهَا، عَرَفَهَا التَّأْرِخُ الْبَشَرِيُّ، هِيَ حَضَارَتُنَا
الْإِسْلَامِيَّةُ، فَمَا الْحَضَارَةُ الْغَرْبِيَّةُ الْيَوْمَ إِلَّا نِتَاجُ اتِّصَالِهَا بِحَضَارَتِنَا
الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهَا، بَيِّنُ أَنَّ سَبَبَ إِفْلَاسِهَا الرُّوحِيِّ،
اعْتِمَادُهَا عَلَى النَّظَرَةِ الْمَادِّيَّةِ الصَّرْفَةِ، فِي مَنْأَى عَنِ الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ، مِمَّا
كَانَ سَبَبًا فِي شَقَاءِ الْإِنْسَانِيَّةِ. وَمَا كَثُرَتْ حَوَادِثُ الْإِنْتِحَارِ،
وَالِاضْطِرَابَاتِ النَّفْسِيَّةِ، وَالِانْحِرَافَاتِ الْخُلُقِيَّةِ، إِلَّا أَنْحِدَارٌ سَحِيقٌ،
وَتَرَدُّ عَمِيقٌ فِي هُوَّةِ فَنَائِيَّةِ كُبْرَى، يَتَنَادَى جِرَاءَهَا الْعُقْلَاءُ؛ لِاسْتِدْرَاكِ مَا
فَاتَ، ﴿وَإِنِّي لَهُمُ التَّنَاوُسُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٥٢﴾ [سبأ].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: تَعَرَّتِ الْحَضَارَةُ الْغَرْبِيَّةُ، وَاهْتَزَّتْ
مِصْدَاقِيَّتُهَا فِي الْإِضْطِلَاعِ بِالْمَوْهَلَاتِ الَّتِي تُؤَهِّلُهَا لِقِيَادَةِ الْعَالَمِ نَحْوِ
إِسْعَادِ الْإِنْسَانِ، وَتَحْقِيقِ اسْتِقْرَارِهِ، وَضَمَانِ حُقُوقِهِ، وَرِعَايَةِ مَثَلِهِ

الْإِنْسَانِيَّةَ الرَّفِيعَةَ، وَقِيمِهِ الْأَخْلَاقِيَّةَ الْعُلْيَا؛ لِيَحْصَلَ لَهُ الْأَمْنُ الْمَشْهُودُ،
وَالْحَيَاةُ الْكَرِيمَةُ الْمُبْتَغَاةُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يَكْفُلُ النَّهْوَصَ بِالْمَشْرُوعِ
الْحَضَارِيِّ الْعَالَمِيِّ، إِلَّا أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، هِيَ: أُمَّةُ الشَّهَادَةِ عَلَى النَّاسِ
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة:

١٤٣]، أُمَّةُ الرَّحْمَةِ لِلْعَالَمِينَ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٠٧﴾

[الأنبياء]، أُمَّةُ الْخَيْرِيَّةِ عَلَى الْعَالَمِ ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران:

١١٠]، أُمَّةُ التَّمَكِينِ فِي الْأَرْضِ ﴿ الَّذِينَ إِن مَكَكْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ
عَقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ ﴿٤١﴾ [الحج].

وَلَا غَرَوْ. يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ! - فَسَلَفْنَا هُمْ بِنَاءَ صَرْحِ الْحَضَارَةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ، وَحَمَلَةٌ مِشْعَلِ الْهِدَايَةِ الْإِيمَانِيَّةِ، وَرَافِعُو لِيَاءِ السَّعَادَةِ لِعُمُومِ
الْبَشَرِيَّةِ، وَذَلِكَ تَاجٌ مُتَالِقٌ، وَعَطَاءٌ مُتَدَفِّقٌ، وَنُورٌ مُتَالِئٌ فِي جَبِينِ أُمَّتِنَا
الْإِسْلَامِيَّةِ؛ لِمُمَيَّزَاتِ حَضَارِيَّةِ، وَخُصُوصِيَّةِ دِينِيَّةِ، لَمْ يَشْرَفْ بِهَا إِلَّا مَنْ
رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا
وَرَسُولًا.

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: وَأَوَّلُ هَذِهِ الْمُمَيِّزَاتِ الْحَضَارِيَّةِ، وَرَكِيزَتُهَا
السَّنِيَّةُ: عَقِيدَةُ التَّوْحِيدِ الْخَالِصَةِ، عَقِيدَةُ تَحْتُّ عَلَى الْعِلْمِ، وَتَحْتَرُمُ
الْعَقْلَ، وَتَرَعَى الْخُلُقَ، وَتَسْعَى إِلَى تَحْقِيقِ الْمَصَالِحِ وَدَرْءِ الْمَفَاسِدِ،
وَرِعَايَةِ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ، فِي حِفْظِ دِينِهِ وَنَفْسِهِ وَعَقْلِهِ وَمَالِهِ وَعَرْضِهِ،
وَتُرْبِي الضَّمِيرَ، وَتُزَكِّي الرُّوحَ الْإِبْرَائِيَّةَ الْبِنَاءَةَ، وَتَحْضُ عَلَى التَّوَسُّطِ
وَإِلْتِدَالِ، وَالرَّفْقِ وَالْيُسْرِ، وَالتَّوَازُنِ وَالْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ.
وَمَهْمَا قَالَ الْمُتَحَدِّثُونَ عَنْهَا، فَقَدْ قَالَ الْحَقُّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -:

﴿ قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ
يَعَانَتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴾ [٣٣] ﴿ [الأنعام]، وَإِنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُنْصِفِينَ، لَا يُنْكِرُ
أَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ الْعَالَمُ حَضَارَةً أَكْثَرَ مِنْهَا رَحْمَةً بِالْخَلْقِ، وَسُمُومًا فِي الْخُلُقِ،
وَعَدَالَةً فِي الْحُكْمِ، وَنَزَاهَةً شَفِيفَةً فِي الْمَقْصِدِ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ، وَكَرَّ
العُصُورِ، وَإِنْ سَقَطَتِ الْحَضَارَةُ الْمَوْهُومَةُ فِي مُسْتَنْقَعَاتِ الْحَادِيَّةِ،
وَعَانَتْ مِنَ الْأَزْمَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ؛ حَتَّى غَرِقَتْ فِي أَوْحَالِ التَّمَرُّقِ
وَالضَّبْيَاعِ، فَإِنَّ أُمَّتَنَا الْإِسْلَامِيَّةَ هِيَ الْجَدِيدَةُ بِإِمْسَاكِ زِمَامِ الْقِيَادَةِ،
وَأَمْتِنَاءِ صَهْوَةِ السِّيَادَةِ وَالرِّيَادَةِ عَلَى الْعَالَمِ، وَحِينَهَا فَلَنْ تَتَّخِذَ مِنَ
التَّقْدُمِ الْحَضَارِيِّ أَدَاءً لِاسْتِغْلَالِ الشُّعُوبِ، وَاسْتِنزَافِ خَيْرَاتِهَا،

وَإِهْدَارِ كَرَامَتِهَا، وَلَنْ تَتَّخِذَ مِنَ الْإِكْتِشَافَاتِ وَالِاخْتِرَاعَاتِ طَرِيقًا إِلَى
 الْإِلْحَادِ، وَدَعْمِ الْإِرْهَابِ، وَلَنْ تَتَّخِذَ مِنَ الْأَلَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالتَّقَانَاتِ
 الْحَرْبِيَّةِ ذَرِيعَةً إِلَى تَهْدِيدِ أَمْنِ الدُّوَلِ أَوْ الشُّعُوبِ، وَلَنْ تُفْسِحَ
 لِلْعَمَلِيَّاتِ الْهَمْجِيَّةِ، وَالْوَحْشِيَّةِ وَالْبَرْبَرِيَّةِ، وَلَنْ تُسَخِّرَ وَسَائِلَ الْإِعْلَامِ
 لِتَضْلِيلِ الرَّأْيِ الْعَامِّ، وَالشَّارِعِ الْعَالَمِيِّ، وَالْمُحِيطِ الدُّوَلِيِّ، وَتَلْكَ
 أَعْبَاءَ حَمْلِ الرِّسَالَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ لِإِنْقَاذِ الْبَشَرِيَّةِ، وَإِسْعَادِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي
 تَتَخَبَّطُ الْيَوْمَ فِي أَنْفَاقِ مُظْلِمَةٍ مِنَ الظُّلْمِ وَالشَّقَاءِ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَلَقَدْ تَرَكْتَ حَضَارَتَنَا الْإِسْلَامِيَّةَ آثَارًا خَالِدَةً فِي
 مُخْتَلَفِ النَّوَاحِي الْعِلْمِيَّةِ، وَالْخُلُقِيَّةِ وَعَظِيمِهَا، وَحَقَّقْتَ دَوْرًا عَظِيمًا فِي
 تَأْرِيخِ تَقَدُّمِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَخَلَّفْتَ آثَارًا بَعِيدَةَ الْمَدَى، قَوِيَّةَ التَّأْثِيرِ فِيمَا
 وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْحَضَارَةُ الْحَدِيثَةُ، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْمُبَالِغَةِ فِي شَيْءٍ،
 وَلَا ضَرْبًا مِنَ التَّفَاخُرِ - إِنْ صَحَّ التَّفَاخُرُ - وَالِإِدْعَاءِ الْمَذْمُومِ، بَلْ سَجَّلَ
 ذَلِكَ التَّأْرِيخُ النَّاصِعُ بِأَحْرَفٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَدَادٍ مِنْ نُورٍ.

وَإِلَيْكَ أَيُّهَا الْمُنْصِفُ بَعْضَ الشُّوَاهِدِ، وَالتَّمَاذِجِ الْحَيَّةِ مِنْ تَأْرِيخِ
 حَضَارَتِنَا، الْمُشْرِقِ الْوَضَاءِ، الَّذِي يَنْضَحُ عَدْلًا وَرَحْمَةً وَإِنْصَافًا حَتَّى
 مَعَ الْمُخَالَفِ، وَاسْمَعْ وَقَارِنْ، فَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ. فَفِي
 نَزْعَةِ حَضَارَتِنَا الْإِنْسَانِيَّةِ، يُعْلِنُ الْإِسْلَامُ الْمَبْدَأَ الْإِنْسَانِيَّ الْخَالِدَ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]، لِيُنْقَلَ الْإِنْسَانِيَّةَ مِنْ أَجْوَاءِ الْحَقْدِ وَالْكَرَاهِيَّةِ، وَالْعَصِيَّةِ وَالتَّفْرِقَةِ، وَالتَّمْيِيزِ الْعُنْصُرِيِّ، إِلَى الْمَسَاوَاةِ وَالتَّعَاوُنِ، الَّذِي لَا أَثْرَ فِيهِ لِاسْتِعْلَاءِ عِرْقِيٍّ أَوْ عُنْصُرِيٍّ.

وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ فِي مَبَادِي حَضَارَتِنَا وَتَشْرِيعَاتِهَا وَوَأَقِعِهَا، وَقَدْ زَحَرَتْ كُتُبُ السَّيْرِ وَالتَّأْرِيخِ بِوَقَائِعِ كَثِيرَةٍ، فَهَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ رضي الله عنه يَرَى فِي السُّوقِ شَيْخًا كَبِيرًا يَسْأَلُ الصَّدَقَةَ، وَكَانَ يَهُودِيًّا مِنْ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ، فَيَسْأَلُهُ رضي الله عنه عَنْ حَالِهِ، وَإِذَا بَعِمَرَ الْمُسْلِمِ الْإِنْسَانِيَّ، الْمُلْهَمِ يَقُولُ لَهُ: «مَا أَنْصَفْنَاكَ إِذْ أَخَذْنَا مِنْكَ الْحِزْبَةَ فِي شَيْبَتِكَ، ثُمَّ ضَيَعْنَاكَ شَيْخًا»، وَأَخَذَ بِيَدِهِ إِلَى بَيْتِهِ، فَقَدَّمَ لَهُ مِنْ طَعَامِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى خَازِنِ بَيْتِ الْمَالِ، أَنْ أَفْرِضْ لَهُ، وَلَا مِثَالَهُ، مَا يُغْنِيهِ، وَيُغْنِي عِيَالَهُ^(١).

اللَّهُ أَكْبَرُ! هَذَا - لَعَمْرُ الْحَقِّ - مِنْ شَوَاهِدِ الرَّوْعَةِ الْحَضَارِيَّةِ،

فِي تَأْرِيخِ أُمَّتِنَا الْمَجِيدِ.

(١) يُنظَرُ: «الْأَمْوَالُ» لِأَبِي عُبَيْدَةَ (١/٥٧)، وَ«الْخُرَاجُ»، لِأَبِي يُوسُفَ (ص ١٣٥)،

وَ«أَحْكَامُ أَهْلِ الذِّمَّةِ» (١/١٤٤).

مَعَاشِرَ الْإِخْوَةِ: وَفِي مَجَالِ النَّظَرَةِ إِلَى الْمُخَالَفِ، أَعْلَنْتُ
 حَضَارَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةَ مَبْدَأً الْإِنْصَافِ، وَحُسْنَ التَّعَامُلِ، وَالِدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ
 بِالْحُسْنَى، مُؤَكَّدَةً الْإِيمَانَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -
 ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، مَعَ الْحِرْصِ عَلَى
 مَبْدَأِ الْحَوَارِ وَالْإِفْنَاعِ ﴿أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ
 ﴿١١﴾ [يونس]، ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
 [العنكبوت: ٤٦]، مَعَ التَّأَكِيدِ عَلَى الْأَخْذِ بِقَاعِدَةِ سَدِّ الذَّرَائِعِ، فِي عَدَمِ سَبِّ
 أَهْلِيهِمْ؛ حَتَّى يَكُونَ لَهُمْ مَا لَنَا، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْنَا، وَالْحِرْصِ عَلَى
 الْمُنَاصَحَةِ بِالْمَعْرُوفِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ وَكَرِيمِ الْمُعَامَلَةِ.

فَقَدْ كَانَ لِرَسُولِ الْإِسْلَامِ ﷺ جِيرَانٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَكَانَ
 يَزُورُهُمْ، وَيَتَعَاهَدُهُمْ بِرِّهٍ، وَيَقْبَلُ هَدَايَاهُمْ.

وَمَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَهْلِ إِبِلِيَا^(١) وَإِعْطَاؤُهُمُ الْأَمَانَ
 عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَمَاكِنِ عِبَادَاتِهِمْ، وَإِجَابَتُهُمْ لِاسْتِرَاطِهِمْ
 إِلَّا يُسَاكِنُهُمْ فِيهَا يَهُودِيٍّ، إِلَّا نَمُودَجٌ رَائِعٌ يَحْمِلُ مَغْزَا عَمِيقًا فِي آثَارِ

(١) يُنظَرُ: «تاريخ الطبري» (٢/٤٤٩)، و«البداية والنهاية» (٧/٥٥).

حَضَارَتَنَا الْإِسْلَامِيَّةَ، مِمَّا دَعَا كَثِيرًا مِنْ مُنْصِفِيهِمْ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِأَنَّ
الْأُمَّمَ لَمْ تَعْرِفْ فَاتِحِينَ رَاحِمِينَ مُتَسَامِحِينَ، مِثْلَ الْعَرَبِ، وَلَا دِينًا
سَمَحًا مِثْلَ دِينِنَا، «وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ»^(١).

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَثَمَّةَ جَانِبٍ مُشْرِقٍ فِي حَضَارَتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ، أَلَا
وَهُوَ جَانِبُ أَخْلَاقِنَا الْحَرْبِيَّةِ، فَقَدْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ حَضَارَتِنَا وَالْعَالَمُ كُلُّهُ
تَحْكُمُهُ شَرِيعَةُ الْغَابِ، وَعَطْرُ سُهُ الْإِحْتِرَابِ، حَتَّى تَرَدَّى إِلَى عَالَمِ
الْوُحُوشِ الْكَاسِرَةِ، فَأَحَلَّتْ حَضَارَتُنَا - الَّتِي أَنْارَتْ الدُّنْيَا - الصَّوَابِطَ
الْحَرْبِيَّةَ وَالْعَسْكَرِيَّةَ: مُحَرِّمَةً لِلنَّهْبِ وَالسَّلْبِ، وَإِذْلالِ كَرَامَةِ الشُّعُوبِ،
وَسَحْقِ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَجَعَلَتْ لَهَا غَايَاتٍ نَبِيلَةً، مِنْهَا: الدَّفَاعُ عَنِ
عَقِيدَةِ الْأُمَّةِ، وَأَمْنِ الْمُجْتَمَعِ، وَرَدُّ عُدْوَانِ الْمُعْتَدِينَ: ﴿ وَقَاتِلُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة].

فَالْحَرْبُ لَا تُنْسِينَا مَبَادِينَنَا؛ وَلِذَلِكَ جَاءَتْ الْوَصَايَا الْكَرِيمَةُ حِينَ

(١) عجز بيت من بحر الكامل، وصدوره: «وَمَلِيحَةٌ شَهِدَتْ لَهَا صَرَائِمُهَا». يُنظر: «الرد

الوافر» (ص ٥٢).

اشْتِدَادِ الْوَطِيسِ: «لَا تُمْتَلُوا، وَلَا تَعْدِرُوا، وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا، وَلَا وَلِيدًا، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَعْقِرُوا نَحْلًا، وَلَا تُحْرِقُوهُ، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، وَلَا تَذْبَحُوا شَاةً وَلَا بَقْرَةً وَلَا بَعِيرًا إِلَّا لِمَا كَلِهَ، وَسَوْفَ يَحْمُرُونَ عَلَى قَوْمٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ، فَدَعَوْهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ»^(١). جَاءَ هَذَا فِي وَصِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ حِينَما أَنْفَذَ جَيْشَ أُسَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَأَبْلَغُ مِنْ هَذَا، أَنَّ رَسُولَ الْإِسْلَامِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يُخْرَجُ مِنْ مَعْرَكَةٍ أَحَدٍ جَرِيحًا، قَدْ كُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ، وَشُجَّ وَجْهُهُ، فَيَقُولُ لَهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اذْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»^(٢)، وَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٣)، وَهَكَذَا قَالَ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ: «اذْهَبُوا فَإِنَّكُمْ الطُّلُقَاءُ!»^(٤)، وَرَأَى ﷺ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ امْرَأَةً مَقْتُولَةً فَغَضِبَ، وَتَهَى عَنْ قَتْلِ

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/٢٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٣١).

(٤) تقدم تخريجه (ص ١٣١).

النِّسَاءِ، وَقَالَ: «مَا كَانَتْ هَذِهِ لِقَاتِلٍ»^(١).

وَيَمْضِي تَأْرِيحُنَا مُسَجَّلًا هَذِهِ الرَّوَاعِعَ، فَفِي حُرُوبِ التَّسَارِ أُسْرَ كَثِيرٌ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ، فَتَدَخَلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ
اللَّهُ - فِي فِكِّ الْأَسْرَى، فَأَجَابَهُ الْوَالِي إِلَى فِكِّ الْأَسْرَى الْمُسْلِمِينَ فَقَطُّ،
فَأَبَى شَيْخُ الْإِسْلَامِ ذَلِكَ، وَقَالَ لَهُ: لَا بَدَّ مِنْ افْتِكَكِ الْجَمِيعِ مِنْ أَهْلِ
دِينِنَا وَأَهْلِ ذِمَّتِنَا، وَلَا نَدْعُ أُسِيرًا لَا مِنْ أَهْلِ الْإِمْلَةِ، وَلَا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ.
وَهَكَذَا تُعَامِلُ حَضَارَتُنَا الْأَسْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ.

وَلَمَّا فَتَحَ صَلَاحُ الدِّينِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بَيْتَ الْمَقْدِسِ، كَانَ فِيهَا مَا
يَزِيدُ عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَبَدَلَ لَهُمُ الْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ،
وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَذِنَ لَهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْهَا، لِقَاءِ شَيْءٍ يَسِيرٍ يَدْفَعُهُ الْمُفْتَدُونَ
مِنْهُمْ، وَمَنْ لَا يَقْدِرُ مِنَ الْفُقَرَاءِ أَسْقَطَهُ عَنْهُ.

هَذِهِ حَضَارَتُنَا فِي رَوَائِعِهَا، فَمَا هِيَ حَضَارَتُهُمْ فِي شِنَائِعِهَا

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٦٩)، وابن ماجه (٢٨٤٢)، وأحمد في «المسند» (٤٨٨/٣)،
ويشهد له حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - الذي أخرجه البخاري (٣٠١٥)،
ومسلم (١٧٤٤)، قال: «وُجِدَتْ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةٌ فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ».

وَفَظَائِعِهَا؟ وَمَا يَوْمٌ حَلِيمَةً بَسْرٌ^(١)!

حَكَمْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً فَلَمَّا حَكَمْتُمْ سَالَ بِالِدَمِ أَبْطَحُ
وَمَا عَجَبٌ هَذَا التَّفَاوُتُ بَيْنَنَا فَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ^(٢)

لَقَدْ شَهِدَ التَّأْرِيخُ الْمُعَاصِرُ وَحَشِيَّةَ الْقَوْمِ وَإِرْهَابَهُمْ، عَلَى الرُّغْمِ
مِنَ الشُّعَارَاتِ الْبَرَّاقَةِ الَّتِي تُمْتَهَنُ عَمَلِيًّا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، وَرُغْمِ الْعُهُودِ
الدَّوْلِيَّةِ، وَالْمَوَاطِقِ الْعَالَمِيَّةِ، الَّتِي تُنَادِي بِحُقُوقِ الْإِنْسَانِ، فِي مَوَاطِقِ
مَوْهُومَةٍ وَمَزْعُومَةٍ، تُخْرِقُهَا جَرَائِمُ بَشَعَةٌ أَمَامَ سَمْعِ الْعَالَمِ وَبَصَرِهِ.

وَلَا يُعْفَلُ التَّأْرِيخُ الْمَخَازِي النَّكْرَاءِ فِي التَّعَصُّبِ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ،
فِي الْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ، وَفِي الْأَنْدَلُسِ، وَفِي الْوَاقِعِ الْمُعَاصِرِ، فَمَا يُطَاطِئُ
لِرُؤُوسِهِمْ حَجَلٌ وَحِيَاءٌ، بَلْ إِنَّ مَخَازِيَهُمْ فِي الْإِضْطِهَادِ وَالتَّعَصُّبِ
لَا يَطْمُرُهَا التَّأْرِيخُ.

وَمَا أَفْعَالُ النَّازِيَّةِ، وَمَسَائِي مَحَاكِمِ التَّفْتِيشِ، بِخَافِيَةِ عَلَى أَهْلِ
الْإِسْلَامِ، بَلْ لَا تَذْهَبُ بَعِيدًا، فَهَذِهِ أَحْقَادُهُمْ فِي الْحَرْبَيْنِ الْعَالَمِيَّتَيْنِ؛

(١) يُضْرَبُ مِثْلًا لِكُلِّ أَمْرٍ مَتَعَالَمٍ مَشْهُورٍ. يُنْظَرُ: «مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ» (٢/٤٥)،

و«الْمُسْتَقْصَى مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ» (١/٢٤٦).

(٢) الْبَيْتَانِ لَابِنِ الصِّيفِيِّ. يُنْظَرُ: «مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ» (٣/٣٧٣).

إِذْ أَعْلَنُوا فِي الْمَحَافِلِ الدَّوْلِيَّةِ، وَفِي مَوَاقِعِ هَيْئَةِ الْأُمَّمِ الْحَابِسَةِ
إِنْسَانِيَّتَهُمْ، وَهُمْ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ، يُبَارِسُونَ وَحْشِيَّتَهُمْ وَضَرَاوَتَهُمْ،
وَإِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَ الْخُلُقِ، إِنَّهَا شِعَارَاتٌ تَحْتَبِئُ وَرَاءَ السَّلَامِ
وَإِلِاسْتِقْرَارِ، وَهِيَ تَزْرَعُ الْإِزْهَابَ وَالِاسْتِعْمَارَ.

وَلَقَدْ كَشَفَتِ الْأَحْدَاثُ الْعَالَمِيَّةُ وَزَرَ فَسْوَتَهُمْ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَى مَرِّ
الْعُصُورِ أَنَّهُمْ سَفَاكُوا الدِّمَاءَ، وَوُحُوشُ التَّعَصُّبِ، وَعَبِيدُ الْقَسْوَةِ،
فَكَيْفَ تُشَنُّ الْحَمَلَاتُ الْإِعْلَامِيَّةُ الْمُغْرَضَةُ ضِدَّ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ، فَتَتَّهَمُهُ بِالْإِزْهَابِ وَالْوَحْشِيَّةِ، وَهَذِهِ شَنَائِعُهُمْ
وَفَضَائِحُهُمْ. وَلَنْ يَنْسَ الْغَيُورُونَ عَلَى أَوْضَاعِ أُمَّتِهِمْ، مَذَابِحَ صَبْرًا
وَشَاتِيلاً، وَمَجَازَرَ قَانَا، وَعَنَاقِيدَ الْغَضَبِ الصُّهْيُونِيِّ، ضِدَّ إِخْوَانِنَا فِي
فَلِسْطِينَ الْمُجَاهِدَةِ، حَيْثُ تَتَحَدَّثُ الْحِجَارَةُ هُنَاكَ:

سَكَتَ الرُّصَاصُ فَيَا حِجَارَةَ حَدِّثِي: إِنَّ الْعَقِيدَةَ قُوَّةٌ لَا تُهْزَمُ^(١)
وَلَقَدْ سَقَطَتِ الْأَقْنَعَةُ عَنِ الْإِعْلَامِ الْغَرْبِيِّ الْمُعَاصِرِ، حِينَئِذَا تَأَكَّدَ
الْمُرَاقِبُونَ أَنَّ أَكْثَرَ وَكَالَاتِ الْأَنْبَاءِ، وَقَنَوَاتِ الْفَضَاءِ الْعَالَمِيَّةِ، تُسَيِّطِرُ
عَلَيْهَا الْمُنْظَمَاتُ الصُّهْيُونِيَّةُ، وَهِيَ تُمَثِّلُ دُمَى فِي يَدِ اللُّؤْبِيِّ الصُّهْيُونِيِّ

(١) البيت من قصيدة «شموخ في زمن الانكسار» للشاعر: د. عبد الرحمن العشماوي.

العالمي، وإذا بطل العجب في ذلك، فالعجب من الإعلام المتصهين،
الذي يمثل أبقافا ناعقةً تُجيد التلفيق المكشوف والإستهلاك
المذموم.

وإنها دعوة حراء لرجال الإعلام في عالمنا الإسلامي، للتفاعل
الإيجابي، والنهوض من الركون والسلبية، والتخلص من النمطية، ومن
الغثائية، وتسخير هذه الوسائل لبيان روائعنا الحضارية الإسلامية.
كما يجب التثبت والتبين، وعدم الركون إلى الآثار والاستفزاز، أو
المساس بالثوابت، في ظل تداعيات العولمة والحملة على
الإزهاب. لأبد من ضبط المضطحات؛ حتى لا يخلط بين الإزهاب
والمقاومة المشروعة، وحتى لا يتهم الأبرياء من حملة الشريعة،
ودعاة الإصلاح في الأمة، وأهل الخير والحسنة، والمؤسسات
العلمية والدعوية والإغائية والخيرية، بدعوى مكافحة الإزهاب، وما
الإزهاب إلا ما ظهر من أفعال القوم.

والسؤال المطروح على الرأي العام العالمي، ووسائل الإعلام
الغربية: هل ما يجري على أرض فلسطين، وما تمارسه إسرائيل
الحاقدة، يتمشى مع الحق والعدل والإنسانية؟ فإذا لم تكن
الممارسات الصهيونية في فلسطين إزهاباً، فما هو الإزهاب؟ إذاً

يَتَطَلَّبُ اضْطِلَاعَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْمَشْرُوعِ الْحَضَارِيِّ الْكَبِيرِ، فِي قِيَادَةِ دَفَّةِ
الْعَالَمِ إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ وَسَاحِلِ النَّجَاةِ، فِي عَالَمٍ يَمُوجُ بِالتَّحْدِيَّاتِ،
وَلَا مَكَانَ فِيهِ لِلضُّعْفَاءِ، بَلِ الْغَيْرُ هُوَ الْخَصْمُ وَالْحَكْمُ، وَالْمُسْلِمُونَ
الْمُتَّهَمُونَ وَالضَّحَايَا.

فَالْبِدَارَ الْبِدَارَ! وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ! ﴿٢١﴾ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ [يوسف].

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، أَقُولُ
قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا يَنْفَدُ، أَفْضَلَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَدَ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى
وَأَشْكُرُهُ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي لَا تُحَدُّ، وَالْآيَةُ الَّتِي لَا تُعَدُّ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى أَفْضَلِ الْمُصْطَفَيْنِ
مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَعَلِّمُوا أَنْ خَيْرَ الْحَدِيثِ: كِتَابُ اللَّهِ،
وَخَيْرَ الْهَدْيِ: هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بَدْعَةٍ
ضَلَالَةٌ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: فِي ظِلِّ التَّوَجُّهِ شَطْرَ الْقِيَامِ بِالْمَشْرُوعِ
الْحَضَارِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، يَجِبُ أَنْ تُحْلَصَ النِّيَّاتُ، وَتُحَسَّنَ الْمَقَاصِدُ،
وَتَتَحَقَّقَ الْوَحْدَةُ، وَالْإِعْتِصَامُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتُصَفَّو الْقُلُوبُ مِنْ
عَوَائِلِ الْأَحْقَادِ، وَتُرَبَّى الْأَجْيَالُ عَلَى الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ وَالتَّلَقِّي مِنَ الْعُلَمَاءِ
الرَّبَّانِيِّينَ، وَتَأْسِيسِهِمْ بِالْمِهْمَّاتِ وَالْأَوْلِيَّاتِ. وَلَا بُدَّ مِنْ إِعَادَةِ النَّظَرِ
فِي الْمَوَاقِفِ وَالسِّيَاسَاتِ، وَفَتْحِ صَفْحَةِ الْمُحَاسَبَةِ وَالْمُرَاجَعَاتِ؛

حَتَّى يُفَوِّتَ أَهْلَ الْخَيْرِ فِي الْأُمَّةِ، الْفُرْصَةَ عَلَى الشَّائِنِينَ وَالْكَاشِحِينَ^(١)،
الَّذِينَ سَيَقْفُونَ أَمَامَ مَشْرُوعِ الْأُمَّةِ الْحَضَارِيِّ، مِنْ أَوْلَاكَ الْمُنْهَزِمِينَ
الْمَخْذُوعِينَ بِرَبِيقِ حَضَارَةِ الْقَوْمِ؛ حَتَّى سَلَبَتْهُمْ الثِّقَةَ فِي أَنْفُسِهِمْ
وَأُمَّتِهِمْ، وَحَتَّى أَصْبَحُوا مُتَسَوِّلِينَ عَلَى مَوَائِدِ الْغَرْبِ الثَّقَافِيَّةِ،
وَأَطْرُوحَاتِهِ الْفَلَسَفِيَّةِ. فَانْبَرَى بَعْضُ أَعْلَامِهِمْ عَلَى صَفْحَاتِ إِعْلَامِهِمْ
لِلْمَسَاسِ بِثَوَابِتِ الْأُمَّةِ فِي عَقِيدَتِهَا وَأَخْلَاقِهَا، فَاهْتَزَّتْ عَقِيدَةُ الْوَلَاءِ
وَالْبِرَاءِ عِنْدَهُمْ. وَنَالُوا مِنْ مَكَانَةِ الْحِجَابِ وَقَضَايَا الْمَرْأَةِ، وَاسْتَخَفَّ
بَعْضُهُمْ بِثِقَافَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنَاهَجِهِمُ التَّعْلِيمِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، فَانْعَقُوا
بِأَصْوَاتٍ بَيِّغَاوِيَّةٍ، وَبِالتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ، بَدَلَ التَّجْدِيدِ وَالتَّطَوُّرِ
- زَعَمُوا - وَكَثُرَ الْمَفْتُونُونَ بِسَامِرِيِّ عَضْرِنَا وَعُجُولِهِمْ، مِنْ الثَّقَافَاتِ
الْوَافِدَةِ وَالْأَطْرُوحَاتِ الْمُغْرَضَةِ.

وَفِي خِصْمٍ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ الْحَوَالِكِ، يَنْطَلِقُ صَوْتُ الْحَقِّ مِنْ أَرْضِ
الْجَزِيرَةِ: أَرْضِ الرِّسَالَةِ وَالْهِدَايَةِ، أَرْضِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ
- حَرَسَهَا اللَّهُ - مُعَلِّناً أَلَّا مُسَاوَمَةَ عَلَى الدِّينِ وَالْعَقِيدَةِ، فَشْفِي - بِحَمْدِ
اللَّهِ - صُدُورُ الْمُؤْمِنِينَ الْغَيُورِينَ، وَسُدَّ الطَّرِيقُ أَمَامَ الْمُغْرَضِينَ

(١) الكاشح: العدو المضير للعداوة. يُنظر: «اللسان» (كشح).

الْمُبْطِلِينَ؛ لِتَسِيرِ سَفِينَةِ الْمُجْتَمَعِ فِي أَجْوَاءِ آمِنَةٍ، فِي عَالَمٍ مُتَلَاطِمِ الْأَمْوَاجِ.
 كُلُّ ذَلِكَ بِفَضْلِ اللَّهِ، ثُمَّ بِفَضْلِ رَبَّابِينَ مَهَرَةٍ قَادُوا فَأَحْسَنُوا
 الْقِيَادَةَ، وَدَعَوَاتُ الْأُمَّةِ هُمْ بِالتَّسْهِيدِ وَالتَّوْفِيقِ، وَأَنْ يُفَرِّجَ اللَّهُ الْغُمَّةَ
 عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ. وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ بِالرُّكُونِ إِلَى الْأَحْلَامِ الْوَرْدِيَّةِ، وَإِنَّمَا
 بِالتَّزْوُلِ بِخُطَى مُتَوَازِنَةٍ، إِلَى مَيْدَانِ الصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ، وَأَنْ يَتَفَرَّغَ
 الْجَمِيعُ لِلْبِنَاءِ الْحَضَارِيِّ فِي كُلِّ الْمَيَادِينِ، وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُوفِّقَ
 الْجَمِيعَ لِمَا فِيهِ الْخَيْرُ فِي الْحَالِ وَالْمَالِ، إِنَّهُ خَيْرُ مَسْئُولٍ وَأَكْرَمُ
 مَأْمُولٍ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ شَادَ صَرَخَ
 حَضَارَتَنَا الْإِسْلَامِيَّةَ، نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَالْهُدَى، كَمَا أَمَرَكُمُ بِذَلِكَ الْمَوْلَى
 - جَلَّ وَعَلَا - فَقَالَ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
 يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾
 [الأحزاب].

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَتَقَى الْأُمَّةَ لِلَّهِ، وَأَخْشَاهُمْ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِهِدْيِهِ، أَدَاءً لِلْفَرَائِضِ، وَقِيَامًا بِالسُّنَنِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَهْجِهِمْ، وَاقْتَفَى آثَرَهُمْ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ سَلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - أَطِيعُوهُ وَرَاقِبُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ، فَيَا بَشَرِي يَوْمئِذٍ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَا بَشَرِي حِينَ ذَلِكَ لِلْمُجْرِمِينَ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: مِنْ مَحَاسِنِ شَرِيعَتِنَا الْغُرَّاءِ، سَعِيهَا لِتَحْقِيقِ مَصَالِحِ الْعِبَادَةِ فِي أُمُورِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَحِرْصُهَا عَلَى الْقَضَاءِ عَلَى أَسْبَابِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ؛ لِذَا فَقَدْ جَاءَتْ بِالْحِفَاطِ عَلَى الضَّرُورِيَّاتِ

الْخَمْسِ: حِفْظِ الدِّينِ، وَالنَّفْسِ، وَالْعَقْلِ، وَالْمَالِ، وَالنَّسْلِ؛ لِأَنَّهَا أُمُورٌ
أَسَاسِيَّةٌ لِصَلَاحِ الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ.

وَلَمَّا كَانَ النَّسْلُ أَحَدَ هَذِهِ الضَّرُورِيَّاتِ، جَاءَ الْإِسْلَامُ بِوَضْعِ
مَنْهَجٍ شَامِلٍ، وَنِظَامٍ كَامِلٍ، يَكْفُلُ حِفْظَ هَذَا الْأَمْرِ وَسَلَامَتِهِ، وَيَضْمَنُ
نِقَاءَهُ مِنَ الْمُعْكَرَاتِ، وَصَفَاءَهُ مِنَ الْمُكَدَّرَاتِ، فَحَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَى
حِفْظِ الْفُرُوجِ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا

فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ

يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿[النور: ٣٠ - ٣١].﴾

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: وَيَهْدِفُ الْإِسْلَامُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ إِلَى إِقَامَةِ
الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ الْعَفِّ النَّظِيفِ، الْخَالِي مِنَ الْجَرَائِمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ،
وَالسَّلِيمِ مِنَ اللُّوْثَاتِ السُّلُوكِيَّةِ، وَالْإِنْجِرَافَاتِ الْجِنْسِيَّةِ الْخَطِيرَةِ،
مُجْتَمَعٍ تُرْفَرُفُ عَلَى جَنَابَتِهِ مَسَالِكُ الْفَضِيلَةِ، وَتَتَوَارَى عَنْ أَبْنَائِهِ مَسَاوِيءُ
الرَّذِيلَةِ، مُجْتَمَعٍ تَسُوْدُهُ الْعِفَّةُ وَالنَّقَاءُ، وَحَقُّهُ الْفَضِيلَةُ وَالْحَيَاءُ، وَتَهَيِّمُنُ
عَلَيْهِ مَسَالِكُ الْخَيْرِ وَالطُّهْرِ وَالصَّفَاءِ، فِي بُعْدِ عَنِ الْجَرَائِمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ
الْمُدْمِرَةِ، وَالنِّزَوَاتِ الشَّهْوَانِيَّةِ الْحَارِقَةِ؛ لِمَا لَهَا مِنْ أَضْرَارٍ خَطِيرَةٍ،
وَشُرُورٍ مُسْتَطِيرَةٍ، عَلَى الْأَفْرَادِ وَالْأُمَّمِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ.

لَذَلِكَ فَقَدْ عَدَّ الْإِسْلَامُ كُلَّ الْمُمَارَسَاتِ وَالسُّلُوكِيَّاتِ الْخَارِجَةِ
 عَنْ مُحِيطِ النِّكَاحِ الشَّرْعِيِّ: أَمْرًا ضًا مُهْلِكَةً، وَجَرَائِمَ مُدْمِرَةً، يَنْبَغِي
 أَنْ تُكَافَحَ بِدُونِ هَوَادَةٍ، وَأَنْ تُجَابَهَ بِالْحَزْمِ دُونَ رَأْفَةٍ، قَالَ تَعَالَى:
 ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ
 اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴾ [النور].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: لَقَدْ هَدَبَ الْإِسْلَامُ الْغَرِيْزَةَ الْجِنْسِيَّةَ، وَنَظَّمَهَا
 وَضَبَطَهَا بِالصَّوَابِ الشَّرْعِيَّةِ، وَجَعَلَ الْخُرُوجَ عَنْ هَذَا النَّظَامِ
 اعْوِجَاجًا فِي السُّلُوكِ، وَأَنْحِرَافًا فِي الْأَخْلَاقِ، وَارْتِكَاسًا - وَلَا شَكَّ - فِي
 الْفِطْرِ، يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهُ الْعِقَابَ الرَّادِعَ، سُمُومًا بِالْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ
 عَنْ مُجْتَمَعِ الْإِبَاحِيَّةِ الْحَيَوَانِيَّةِ، وَالْإِنْفِلَاتَاتِ الشَّهْوَانِيَّةِ الْبَهِيمِيَّةِ.
 فَلَمْ يَتْرُكْ لِلْغَرَائِزِ الْجِنْسِيَّةِ الْحَبْلَ عَلَى الْعَارِبِ؛ لِمَا يُسَبِّبُهُ ذَلِكَ مِنْ
 دَمَارِ الْأَخْلَاقِ، وَانْهِيَارِ الْقِيَمِ، وَتَدْمِيرِ الْمَبَادِي وَالْفَضَائِلِ، وَانْتِكَاسِهِ
 فِي مُسْتَنْقَعَاتِ الْجَرَائِمِ وَالرَّذَائِلِ، وَبُؤْرِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ، وَأَوْكَارِ
 الْإِنْحِطَاطِ وَالْإِنْحِلَالِ، وَحِينَئِذٍ فَقُلْ: عَلَى الْفَضِيلَةِ السَّلَامُ، وَعَلَى
 الْحَيَاءِ الْعَفَاءُ، وَحِينَ تَسْوَدُ الْجَرَائِمُ: أَحْسَنَ اللَّهُ عَزَاءَ الْأُمَّةِ فِي

أَخْلَاقِهَا وَقِيمِهَا، وَجَبَرَ مُصَابَهَا فِي فَضِيلَتِهَا وَحَيَاتِهَا، وَعَظَّمَ أَجْرَهَا فِي
أَدَابِهَا وَمُثْلِهَا.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: الْفَوَاحِشُ سَبَبُ كُلِّ بَلَاءٍ، وَطَرِيقُ كُلِّ عَنَاءٍ،
وَوَسِيلَةُ كُلِّ تَعَاسٍ وَشَقَاءٍ، مَا حَلَّتْ فِي دِيَارِ إِلَّا أَهْلَكَتْهَا، وَلَا جُمُوعَاتٍ
إِلَّا دَمَّرَتْهَا، وَلَا أُمَّمٍ إِلَّا أَزَالَتْهَا وَبَدَّدَتْهَا، وَمِنْ أَعْظَمِ تِلْكَ الْفَوَاحِشِ
فَاحِشَةُ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَاءُ، وَتَعُجُّ لَهَا السَّمَاءُ، وَيَحِلُّ بِهَا الدَّمَارُ
وَالْبَلَاءُ: فَسَادُ حَالٍ، وَسَوْءُ مَالٍ، وَقُبْحُ فِعَالٍ، وَدَاءُ عُضَالٍ، تَمُوتُ
بِهَا الْفُضَيْلَةُ، وَتَحْيَى بِهَا الرَّذِيلَةُ، وَيُدْنَسُ بِهَا الْعَرِضُ، وَتَمُوجُ لَهَا
الْأَرْضُ، وَيُسْلَبُ الشَّرْفُ، وَتُوَادُّ الْكِرَامَةَ، وَتُمَرِّقُ الْمُرُوءَةَ،
وَتُدَاسُ الْقِيَمُ وَالْمُثُلُ، وَتَقْشَعُرُّ مِنْهَا الْأَبْدَانُ، وَتَتَفَتَّتُ مِنْهَا الْأَكْبَادُ،
تِلْكَمُ هِيَ: فَاحِشَةُ الزِّنَى، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَلَمَّا كَانَتْ مَفْسَدَةُ الزِّنَى مِنْ أَعْظَمِ
الْمَفَاسِدِ، وَهِيَ مُنَافِيَةٌ لِمَصْلَحَةِ نِظَامِ الْعَالَمِ فِي حِفْظِ الْأَنْسَابِ، وَحِمَايَةِ
الْفُرُوجِ، وَصِيَانَةِ الْحُرْمَاتِ، وَتَوْقِي مَا يُوقِعُ أَعْظَمَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ
بَيْنَ النَّاسِ، مِنْ إِفْسَادِ كُلِّ مِنْهُمْ امْرَأَةً صَاحِبِهِ وَبِنْتَهُ وَأَخْتَهُ وَأُمَّهُ وَفِي
ذَلِكَ خَرَابُ الْعَالَمِ، كَانَتْ مَفْسَدَةُ الزِّنَى تَبِي مَفْسَدَةِ الْقَتْلِ فِي الْكَبِيرِ؛
وَلِهَذَا قَرَنَهَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَرَسُولُهُ ﷺ فِي سُنَّتِهِ...

وَقَدْ أَكَّدَ - سُبْحَانَهُ - حُرْمَتَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ...﴾

[الفرقان: ٦٨]، الآية، فَفَرَنَ الزَّيْنَى بِالشَّرِكِ وَقَتَلَ النَّفْسِ، وَجَعَلَ جَزَاءَ ذَلِكَ، الْخُلُودَ فِي النَّارِ، فِي الْعَذَابِ الْمُضَاعَفِ الْمُهِينِ، مَا لَمْ يَرْفَعِ الْعَبْدُ مُوجِبَ ذَلِكَ، بِالتَّوْبَةِ وَالْإِيَابِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٣) [الإسراء: (١)].

وَانظُرُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - إِلَى التَّعْبِيرِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾؛ لِيَشْمَلَ ذَلِكَ: النَّهْيَ عَنِ جَمِيعِ الْأَسْبَابِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَيْهِ: كَاللَّمْسِ، وَالسَّمَاعِ، وَالنَّظَرِ الْمُحَرَّمِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ.

وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ» (٢).

(١) يُنظَرُ: «الجواب الكافي» (١/١٠٥).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤٧٧)، وَمُسْلِمٌ (٨٦).

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: الزَّنى اِتِّكَاسٌ فِي الْفِطْرَةِ، وَارْتِكَاسٌ فِي
أَزْدَلِ بُؤْرَةٍ، مُفْسِدٌ لِلْقَلْبِ، مُوجِبٌ لِلذُّلِّ وَالْعَارِ وَالشَّارِ، صَاحِبُهُ
مُتَوَعِّدٌ بِالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ، أَصْحَابُهُ جَرَائِمٌ مُفْسِدَةٌ،
وَأَعْضَاءُ مَسْمُومَةٌ، تُؤَدِّي بِالْمُجْتَمَعِ إِلَى دَرَكِ الْمَهَالِكِ - عِيَاذًا بِاللَّهِ.

نُفُوسٌ ضَعِيفَةٌ، وَإِرَادَاتٌ سَافِلَةٌ، وَقُلُوبٌ غَافِلَةٌ، تَأْسِرُهُمْ
أَهْوَاؤُهُمْ، وَتَقْوِدُهُمْ شَهَوَاتِهِمْ، دُونَ رَادِعِ مَنْ دِينِ، أَوْ خُلُقِ أَوْ ضَمِيرِ.
أَيُّ جِنَايَةٍ عَلَى الدِّينِ، وَالْعِرْضِ، وَالنَّفْسِ، وَالْأَهْلِ، وَالْمُجْتَمَعِ،
مِثْلُ هَذِهِ؟ وَأَيُّ دِينٍ وَوَاوَعٍ عِنْدَ مَنْ يِعَافُ مَسَلِكَ الْفِضِيلَةِ وَالطُّهْرِ،
وَيُقْتَرَفُ مَسَالِكُ الرِّذِيلَةِ وَالْبِغَاءِ وَالْعُهْرِ؟

الزَّنى - يَا عِبَادَ اللَّهِ، وَيَا إِمَاءَ اللَّهِ - شَرُّهُ خَطِيرٌ، وَضَرَرُهُ مُسْتَطِيرٌ
وَخَفَقُهُ لَشْرَفِ الْحَيَاةِ وَبَيْلٍ، وَعُقُوبَتُهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ.
وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي
وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(١).

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ^(٢): «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى فِي الْمَنَامِ ثَقْبًا مِثْلَ

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) برقم (١٣٨٦) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

التَّنُورِ، أَعْلَاهُ صَيِّقٌ، وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ، يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، فَسَأَلَ عَنْهُمْ، فَقِيلَ: هُمْ الزُّنَاةُ».

وَعِنْدَ الْحَاكِمِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ^(١): «إِذَا ظَهَرَ الزُّنَى وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحْلَوْا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ».

وَعِنْدَ ابْنِ مَاجَهَ^(٢)، وَالْحَاكِمِ^(٣): «لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا».

اللَّهُ أَكْبَرُ! وَهَا هُوَ الْعَالَمُ الْيَوْمَ، يَنْقُلُ بِوَاسِطَةِ وَكَالَاتِ الْأَنْبَاءِ الْعَالَمِيَّةِ، وَوَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْعَرَبِيَّةِ وَالدَّوْلِيَّةِ، الْإِعْتِرَافَ وَالتَّصْدِيقَ بِمَا سَبَقَ إِلَيْهِ الْإِسْلَامُ، فَهَا هُوَ الْعَالَمُ بِأَسْرِهِ، يَنْتَفِضُ بِتَظَاهِرَاتِ إِعْلَامِيَّةٍ، وَيَصْطَرِّخُ بِنِدَاءَاتٍ مُلْتَهَبَةٍ فَوْرِيَّةٍ، وَبُحُوثٍ وَدِرَاسَاتٍ عِلْمِيَّةٍ، وَمُؤْتَمَرَاتٍ دَوْلِيَّةٍ، لِلتَّحْذِيرِ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْوَبَائِيَّةِ الَّتِي تُسَبِّبُهَا تِلْكَ

(١) في «المستدرک» (٤٣/٢) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما.

(٢) برقم (٤٠١٩) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما.

(٣) في «المستدرک» (٥٨٣/٤) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما.

الْجَرَائِمُ الْخُلُقِيَّةُ! وَمَا مَرَضُ (الزُّهْرِيِّ) ^(١) وَ(السَّيْلَانِ) ^(٢)،
وَ(الْهَرَبِيِّ) ^(٣) إِلَّا إِفْرَازَاتٌ لِهَذِهِ الْجَرَائِمِ.

وَهَا هُوَ الْعَالَمُ - أَيْضًا - يَصِحُّ بِمَا سَمَّوْهُ: طَاعُونَ الْعَصْرِ
الْحَدِيثِ، وَعَدُوهُ: كَارِثَةُ الزَّمَنِ الْكُبْرَى، ذَلِكَ الْمَرَضُ
الْخَبِيثُ، وَالشَّبْحُ الْمُخِيفُ، ذُو الْإِنْتِشَارِ الْمُتَهَوِّرِ الْخَبِيثِ،
الَّذِي رَبَا عَدَدُ صَرَعَاهُ عَلَى الْمِئَاتِ وَالْآلَافِ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى
بِمَرَضِ (الْإِيدِزِ) ^(٤) الْخَطِيرِ - نَسَأَلُ اللَّهَ مُعَافَاةَ الْمُسْلِمِينَ - أَتَدْرُونَ
مَا مَرَضُ الْإِيدِزِ هَذَا؟ إِنَّهُ مَرَضٌ «فُقْدَانِ الْمَنَاعَةِ فِي جِسْمِ الْإِنْسَانِ»؛
حَتَّى يُصْبِحَ مُعَرَّضًا لِلْإِصَابَةِ لِلْأَمْرَاضِ الْخَبِيثَةِ، وَالْأَوْبَةِ الْخَطِيرَةِ،
وَالْقُرُوحِ الْوَيْلِيَّةِ، وَمُقْتَرَسًا لِإِنْتِشَارِ (الْمَيْكْرُوبَاتِ مِنَ الْفَيْرُوسَاتِ
وَالْبِكْتِيرِيَا)، إِضَافَةً إِلَى الطُّفَيْلِيَّاتِ وَالْفِطْرِيَّاتِ فِي جِسْمِ الْمُصَابِ،

(١) الزُّهْرِيُّ: من أكثر الأمراض الجنسية خطورة نظراً لتأثيره على معظم أجزاء الجسم
حتى بعد سنوات طويلة. يُنظر: «ويكيديا - الموسوعة الحرة» (زهري).

(٢) السَّيْلَانُ: مرض جنسي مُعْدٍ خَطِيرٌ. يُنظر: «ويكيديا - الموسوعة الحرة» (سيلان).

(٣) يُنظر: (ص ٣٧٧).

(٤) يُنظر: (ص ٣٧٧).

وَيُنْتِجُ أَوْزَامًا خَبِيثَةً، لَا سِيَّمَا فِي الْأَعْضَاءِ التَّنَاسُلِيَّةِ، فَلَا تُمَهِّلِ الْإِنْسَانَ طَوِيلًا حَتَّى تَمِيتهُ شَرَّ مِيتَةٍ، وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ!

لَقَدْ أَثَارَ هَذَا الْمَرَضُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْمَلَائِكِينَ، وَأَصْبَحَ حَدِيثَ النَّاسِ، وَمَجَلَّ اهْتِمَامِ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ. وَلَقَدْ أَكَّدَ الْأَطِبَّاءُ أَنَّ الْفِئَاتِ الَّتِي تُصَابُ بِهَذَا الْمَرَضِ الْقَاتِلِ، هُمْ فِئَاتُ الرُّنَاةِ، وَالشَّادِينَ جِنْسِيًّا، وَمُدْمِنِي الْمُخَدَّرَاتِ.

وَرُغِمَ الْبُحُوثِ الطَّبِيَّةِ الْمُتَعَدِّدَةِ، لَمْ يَتَوَصَّلِ الطَّبُّ الْحَدِيثُ إِلَى عِلَاجِ نَاجِحٍ لِهَذَا الْمَرَضِ الْفَتَّاكِ الْعُضَالِ، بَلْ إِنَّ هَذَا الْمَرَضَ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى مَنْ أُصِيبَ بِهِ، بَلْ يَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ وَزُمَلَائِهِ، وَيَنْتَقِلُ عَنْ طَرِيقِ الدَّمِ وَالْمُخَالَطَةِ.

وَتَقَدَّرُ مُنْظَمَةُ الصِّحَّةِ الْعَالَمِيَّةِ، أَنَّ مَا يَقْرُبُ مِنْ عَشْرَةِ مَلَائِكِينَ شَخْصٍ، قَدْ أُصِيبُوا بِهَذَا الْمَرَضِ حَتَّى الْآنَ، وَيَتَوَقَّعُ أَنْ يَنْتَشِرَ بِشَكْلِ مُذْهِلٍ، مَا لَمْ يُقَضَّ عَلَى أَسْبَابِ وَقُوعِهِ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْجَرَائِمِ.

وَمِمَّا أَثَارَ الرُّعْبَ - أَيْضًا -: أَنَّ هَذَا الْمَرَضَ مُمِيتٌ خِلَالَ عَامَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، وَيُكَلِّفُ عِلَاجَهُ تَكَالِيفَ بَاهِظَةً تَصِلُ الْمَلَائِكِينَ، كَمَا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ الْإِحْصَاءَاتُ. وَتَطَالِعُنَا آخِرُ التَّقَارِيرِ أَنَّ مَا يَزِيدُ عَلَى خَمْسِمِائَةٍ شَخْصٍ يَمُوتُونَ يَوْمِيًّا مِنْ (الْإِيدِز).

وَعَلَى الرُّغْمِ مِنَ المَجْهُودَاتِ الَّتِي تَبْدُلُهَا الدُّوَلُ وَالْمُنْظَمَاتُ،
إِلَّا أَنَّ العِلَاجَ لِهَذَا المَرَضِ - وَالقَضَاءَ عَلَى شَأْنِهِ (١)، وَالسَّلَامَةَ مِنَ
الْوُقُوعِ فِي حَبَائِلِهِ - لَا يَكْمُنُ فِي العَقَاقِيرِ المُصْطَنَعَةِ، وَإِنَّمَا يَكْمُنُ
أَسَاسًا فِي اتِّبَاعِ مَنَهْجِ الإِسْلَامِ: فِي البُعْدِ عَنِ الحَنَاءِ وَالزَّنَى، وَالسُّذُودِ
والمُخَدَّرَاتِ، وَبِاتِّخَاذِ التَّدَابِيرِ الوِقَائِيَّةِ مِنَ الوُقُوعِ فِي شِرَاكِهِ القَاتِلِ.

أُمَّةُ الإِسْلَامِ: وَكَمَا أَنَّ الإِسْلَامَ حَرَّمَ الفَاحِشَةَ؛ حَرَّمَ الطَّرِيقَ
المُؤَدِّيَةَ وَالوَسَائِلَ المُفْضِيَةَ إِلَيْهَا: مِنَ الكَلِمَاتِ المُثِيرَةِ، وَالنَّظَرَاتِ
المُرِيبَةِ، وَالأَغَانِي الخَلِيعَةِ، وَالأَفْلامِ الرَّقِيعَةِ، وَالخُلُوةِ بِالأَجْنَبِيَّةِ،
وَالإِخْتِلَاطِ بِالنِّسَاءِ، وَالتَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ، وَإِظْهَارِ الزَّيْنَةِ، وَالسَّفَرِ بِدُونِ
مَحْرَمٍ، وَالسِّيَاحَةِ إِلَى الأَمَاكِنِ المَوْبُوءَةِ، وَمَا تَقْدِفُ بِهِ مَدِينَةَ العَصْرِ
مِنْ كُلِّ جَدِيدٍ، مِمَّا يَتَنَافَى مَعَ الأَخْلَاقِ وَالقِيَمِ.

فَاتَّقُوا اللّهَ - عِبَادَ اللّهِ - اتَّقُوا اللّهَ، يَا أَهْلَ الشَّرَفِ وَالكَرَامَةِ،
وَيَا أَهْلَ الغَيْرَةِ وَالْمُرُوءَةِ، وَيَا أَهْلَ العِفَّةِ وَالْفَضِيلَةِ، اتَّقِ اللّهَ أَيَّتْهَا الحُرَّةُ
الكَرِيمَةُ، الشَّرِيفَةُ العَفِيفَةُ، وَقَدِيمًا قَالَتِ الحُرَّةُ: «أَوْ تَرْنِي الحُرَّةُ؟» (٢).

(١) سبق بيان معناها (ص ٩٠).

(٢) قالته هند بنت عتبة، امرأة أبي سفيان - رضي الله عنها - عند مبايعتها للنبي ﷺ.

اتَّبِعُوا جَمِيعًا مَنَهِجَ الْهُدَى، وَاحذَرُوا جَمِيعًا مَسَالِكَ الرَّدَى،
 وَقُومُوا بِوَجِبِ الرَّعَايَةِ وَالْأَمَانَةِ عَلَى أَسْرِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. لَأَبَدٌ
 مِنْ حَلِّ الْعَقَبَاتِ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَ الشَّبَابِ وَالْفَتَيَاتِ وَبَيْنَ الزَّوْجِ
 الشَّرْعِيِّ، لَأَبَدٌ مِنَ الْعِنَايَةِ بِالْمَرْأَةِ؛ بِحِجَابِهَا وَعَفَافِهَا وَقَرَارِهَا
 وَتَرْبِيَّتِهَا، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا مِنْ ذَنَابِ الْبَشَرِ، الَّذِينَ يُهْدِرُونَ
 عِفَّتَهَا وَكَرَامَتَهَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَلْفِظُونَهَا لَفْظَ النِّوَاةِ، وَيَرْمُونَهَا
 رَمِي الْقَذَاةِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ: لَا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ الْعِرْضِ فِي الْمَالِ!!
 وَهَلْ يَنْشَأُ مِنْ أَحْضَانِ الْعَاهِرَاتِ أَبْنَاءُ شَرَفٍ وَكَرَامَةٍ؟! وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ
 يَخْرُجَ مِنْ أَصْلَابِ الزَّانِي جَيْلٌ صَالِحٌ يَتَحَمَّلُ الْمَسْئُولِيَّةَ تَجَاهَ دِينِهِ
 وَأُمَّتِهِ وَمُجْتَمَعِهِ؟!

احذَرُوا جَمِيعًا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - الدَّسَائِسَ الَّتِي يَبْشُرُهَا أَعْدَاءُ
 الْفَضِيلَةِ، وَدُعَاةَ الرَّذِيلَةِ، مِنَ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ
 آمَنُوا، بِدَعْوَى الْحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ، وَالتَّقَدُّمِ وَالْمَدَنِيَّةِ، نَعَمْ! إِنَّهَا الْحُرِّيَّةُ

= أخرجہ: الطبري في «تفسيره» (٧٨/٢٨) من حديث ابن عباس - رضي الله
 عنها - وأبو يعلى في «مسنده» (١٩٤/٨) من حديث عائشة - رضي الله عنها.

الْبَهِيمِيَّةُ، وَالْمَدَنِيَّةُ الشَّهَوَانِيَّةُ!!!

إِنَّ الْحُرِّيَّةَ الصَّحِيحَةَ، تَكُونُ بِاتِّبَاعِ الدِّينِ الْحَقِّ، الَّذِي يُحِثُّ عَلَى
الْفَضَائِلِ، وَيُعْظِمُ قَدْرَ أَهْلِ الْعَفَافِ وَالطُّهْرِ، وَيُحَذِّرُ مِنَ الرَّذَائِلِ،
وَيُزِرِّي بِذَوِي الْخِزْيِ وَالْعُهْرِ، وَلَكِنْ أَيْنَ الْمُعْتَبِرُ؟!

أَمَا يَكْفِي زَاجِرًا، وَيَشْفِي وَعِظًا، مَا تَعِيشُهُ أَمَا كُنِ الْبَلَاءُ، وَبِقَاعِ
الْوَبَاءِ، مِنْ جَرَائِمِ فَتَاكِهِ، وَأَوْضَاعِ مُتْرَدِيَّةِ؛ حَتَّىٰ أُنْعَدَمَ الْأَمْنُ، وَسَادَ
الْخَوْفُ وَالْقَلَقُ، وَكَسَا الْقَتْرُ حَضَارَةَ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ، حَتَّىٰ يَتَطَّلَعَ الْعَالَمُ
إِلَىٰ حَضَارَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ أَنْ تَعُودَ مِنْ جَدِيدٍ؛ لِتُبَدَّلَ الرَّذِيلَةَ
فَضِيلَةً، وَالْخَوْفَ أَمْنًا، وَالْكَفْرَ إِيْمَانًا، وَالْحُرِّيَّةَ عَفَافًا، وَالْحَرْبَ
سَلَامًا؟! وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بغيرِهِ، وَبَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مَنْ ابْتَلِيَ
بشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْقَادُورَاتِ، لِيَسْتَرِبِسْتِرِ اللَّهِ، وَلِيَتُبَّ إِلَى اللَّهِ،
وَلِيَتَنَدَّمَ وَلِيُقْلِعَ، وَلِيَعَزِمَ فَوْرًا عَلَى عَدَمِ الْعُودِ إِلَى اقْتِرَافِ الْخَطِيئَةِ،
وَمَنْ أَصَرَ وَاسْتَمَرَ؛ فَالْحَدُّ فِي الدُّنْيَا، وَالْعَذَابُ فِي الْآخِرَةِ.

أَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
وَالْمُسْلِمَاتِ، مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَالْفَوَاحِشِ وَالسَّيِّئَاتِ، فَاسْتَغْفِرُوهُ
وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، شَرَعَ الشَّرَائِعَ، وَأَحْكَمَ الْأَحْكَامَ، وَأَبَانَ لَنَا الْحَلَالَ
مِنَ الْحَرَامِ، وَأَمَرَنَا بِالصَّالِحَاتِ، وَنَهَانَا عَنِ الْإِثَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَرَّفَنَا بِاتِّبَاعِ الْإِسْلَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا
مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ الْأَنْبَاءِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ
عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ مِنْ عَرَبٍ وَأَعْجَامٍ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاحْذَرُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
بَطَنَ، وَرَاقِبُوا رَبَّكُمْ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، وَعَلِّمُوا أَنْ مِنَ الْجَرَائِمِ
الْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي لَا تَقِلُّ خَطْرًا عَنْ فَاكِحَةِ الزَّوْنِيِّ: اقْتِرَافَ جَرِيمَةِ
(اللُّوَاطِ)، وَمَا يُعْرَفُ بِ(الشُّذُودِ الْجِنْسِيِّ)، وَتِلْكَ فَاكِحَةُ نَكَرَاءِ،
وَجَرِيمَةُ شَنْعَاءِ، عَاقَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا أُمَّةً مِنَ الْأُمَّمِ قَبْلَنَا، وَجَعَلَ عَلَيَّ
دِيَارِهِمْ سَافِلَهَا، وَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ، فَدَمَّرَهُمْ تَدْمِيرًا؛
لِشَنْعَةِ جُرْمِهِمْ، وَقَبِيحِ فِعْلِهِمْ، الَّذِي لَا يَزْتَكِيهِ إِلَّا سَفَلَةُ النَّاسِ،
وَشِرَارُ الْخَلْقِ وَأَرَادَهُمْ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ! مِنْ انْتِكَاسِ الْفِطْرَةِ وَالطَّبَاعِ،
وَالْإِخْلَالَ بِالشَّرْفِ وَالرُّجُوعِ وَالْكَرَامَةِ.

وَلِذَلِكَ جَاءَتْ السُّنَّةُ بِقَتْلِ أَصْحَابِ هَذِهِ الْجَرِيمَةِ، بَلْ أَجْمَعَ
الصَّحَابَةَ. رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. عَلَى ذَلِكَ، لَكِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّةِ
قَتْلِهِمْ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِشِنَاعَةِ هَذَا الْفِعْلِ، وَخُبَيْثِهِ وَشَرِّهِ، وَضَرَرِهِ عَلَى
الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ. أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ. اتَّقُوا اللَّهَ. يَا شَبَابَ الْإِسْلَامِ،
وَيَا فَتِيَاتِ الْإِسْلَامِ. احذَرُوا الْإِنْزِلَاقَ فِي أَسْبَابِ الرَّذِيلَةِ، فَإِنَّ نِسْبَةَ خُمْسٍ
وَسَبْعِينَ بِالْمِائَةِ مِنَ الْمُصَابِينِ بِمَرَضِ (الْإَيْدِز) هُمْ مِنَ الشَّاذِينَ جِنْسِيًّا.
وَاتَّقُوا اللَّهَ. أَيُّهَا الْأَبَاءُ. احْرِضُوا عَلَى مَتَابَعَةِ أَبْنَائِكُمْ فِي غُدُوهِمْ
وَرَوَاجِهِمْ، وَإِبْعَادِهِمْ عَنِ قُرْنَاءِ الشُّوْرِ: أَخْدَانِ اللَّهْوِ وَاللَّغْوِ، وَمَرَاتِعِ
الشَّرِّ وَالْفَسَادِ، وَأَسْبَابِ الْجَرِيمَةِ وَالْإِنْجِرَافِ.

وَإِنَّ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ الْمُبَارَكَةِ، تَطْبِيقَهَا لِحُدُودِ
اللَّهِ، عَلَى الْقَتْلَةِ وَالزُّنَاةِ وَالسَّرَاقِ، وَالْمُحَارِبِينَ وَالْمُفْسِدِينَ فِي
الْأَرْضِ، وَمُهْرَبِي وَمُرُوجِي الْمُخَدَّرَاتِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَتْ. بِفَضْلِ اللَّهِ.
أَقَلَّ بِلَادِ الْعَالَمِ فِي مُعَدَّلَاتِ وَقُوعِ الْجَرِيمَةِ، بَلْ لَا تَكَادُ الْجَرَائِمُ تُذَكَّرُ.
بِحَمْدِ اللَّهِ. - لَأَسِيًّا الْأَمْرَاضِ الْوَبَائِيَّةُ الَّتِي بَلَغَتْ حَدًّا مُذْهِلًا فِي كَثِيرِ
مِنَ الْبِلَادِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِاتِّبَاعِ مَنْهَجِ اللَّهِ، وَتَطْبِيقِ حُدُودِ اللَّهِ، نَسْأَلُ
اللَّهَ أَنْ يُثَبِّتَ قَادَتَهَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَأَنْ يَزِيدَهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْخَيْرِ

وَالْتَوْفِيقِ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى،
وَالرَّسُولِ الْمُجْتَبَى، كَمَا أَمَرَ كُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ - جَلَّ وَعَلَا - فَقَالَ عَزَّ مِنْ
قَائِلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

القِسْمُ الثَّلَاثُ عَشْرُونَ

حُطْبُ الْمُنَاسِبَاتِ

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا، أَحَمَدُهُ تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ،
 يُسِّرُ عَسِيرًا، وَيَجْبُرُ كَسِيرًا، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا،
 سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ، ﴿ جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ
 شُكُورًا ﴾ [٦٦] ﴿ [الفرقان]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
 لَهُ، وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا وَتَدْبِيرًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ
 وَرَسُولُهُ، بَعَثَهُ بِالْحَقِّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ
 بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، فَصَلَّوْا لِلَّهِ وَبَرَكَاتِهِ تَتْرَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
 وَأَصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا أَثِيرًا (١) كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي - يَا عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَمَنْ رَامَ خَيْرًا

(١) أَثِيرًا: مُفَضَّلًا، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿لَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ اللَّهُ عِلْمًا﴾. يُنْظَرُ: «مَفْرَدَاتُ الْفَازِ
 الْقُرْآنِ» (أثر).

غَفِيرًا، وَرِزْقًا وَفِيرًا، وَمَقَامًا كَبِيرًا، فَعَلَيْهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَمَنْ حَقَّقَهَا؛
حَقَّقَ فِي الدُّنْيَا مَجْدًا كَثِيرًا، وَفِي الآخِرَةِ جَنَّةً وَحَرِيرًا.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ فِي ظِلِّ اَزْدِلَافِ الْأُمَّةِ إِلَى عَامِ جَدِيدٍ،
وَتَطَّلَعَهَا لِمُسْتَقْبَلِ مُشْرِقِ رَغِيدٍ، تَبْرُزُ بِجَلَاءِ قَضَايَا حَوْلِيَّةٍ مُوسِمِيَّةٍ،
جَدِيرَةٌ بِالْإِشَادَةِ وَالتَّذْكِيرِ، وَحَفِيَّةٌ بِالْوُقُوفِ وَالتَّبْصِيرِ، عَلَّهَا تَكُونُ
مُحْرَكَةً فَاعِلَةً، تَسْتَنْهِضُ الْهَمَمَ، وَتَشْحَدُ الْعَزَائِمَ لِمُرَاجَعَةِ الذَّاتِ،
وَتَدْفِقُ الْحِسَابَاتِ، وَتَحْدِيدِ الرُّؤْيِ وَالْمَوَاقِفِ، وَتَقْوِيمِ الْمَسِيرَةِ؛
لِتَسْتَعِيدَ الْأُمَّةُ تَارِيحَهَا الْمَجِيدَ، وَمَجْدَهَا التَّلِيدَ^(١)، وَمَا اِمْتَاَزَتْ بِهِ مِنْ
عَالَمِيَّةٍ فَرِيدَةٍ، وَحَضَارَةٍ عَرِيقَةٍ، بَوَّأَتْهَا الطَّلِيْعَةَ، بَيْنَ أُمَّمِ الْأَرْضِ
قَاطِبَةً، وَالْإِنْسَانِيَّةِ جَمِيعًا.

إِحْوَةَ الْإِيمَانِ: إِنَّ قَضِيَّةَ الْمُنَاسَبَةِ، تَكْمُنُ فِي وَقْفَةِ الْمُحَاسَبَةِ،
فَاسْتِقْبَالُ الْأُمَّةِ لِعَامِ جَدِيدٍ هُوَ بِمُجَرَّدِهِ قَضِيَّةٌ لَا يُسْتَهَانُ بِهَا، وَإِنْ بَدَأَ فِي
أَنْظَارِ بَعْضِ الْمَفْتُونِينَ أَمْرًا هَيِّئًا؛ لِطُولِ الْأَمَلِ، وَالْغَفْلَةِ عَنِ صَالِحِ
الْعَمَلِ، وَإِنَّ فِي مَرَاجِلِ الْعُمْرِ، وَتَقَلُّبَاتِ الدَّهْرِ، وَفَجَائِعِ الزَّمَانِ، لَعِبْرَةٌ
وَمُزْدَجْرًا، وَمَوْعِظَةٌ وَمُدَّكَّرًا، يُحَاسِبُ فِيهَا الْحَصِيفُ نَفْسَهُ، وَيُرَاجِعُ

(١) سبق بيان معناها (ص ٧٣).

مَوَاقِفُهُ، حَتَّى لَا يَعِيشَ فِي ذُهُولٍ وَغَمْرَةٍ، وَيُؤْخَذَ عَلَى غَفْلَةٍ وَغِرَّةٍ،
 وَيَكُونَ بَعْدَ ذَلِكَ عِظَةً وَعِبْرَةً. وَلَيْنَ أُسْدِلَ السَّتَارُ عَلَى عَامِ مَضَى، فَإِنَّ
 كُلَّ مَاضٍ قَدْ يُسْتَرْجَعُ إِلَّا الْعُمَرَ الْمُنْصَرِمَ، فَهُوَ نَقْصٌ فِي الْأَعْمَالِ،
 وَدُئُوثٌ فِي الْأَجَالِ.

نَسِيرٌ إِلَى الْأَجَالِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَأَيَّامًا تَطْوِي وَهِنَّ مَرَاحِلُ
 وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا كَأَنَّهُ إِذَا مَا تَحَطَّنَهُ الْأَمَانِيُّ بَاطِلٌ^(١)

وَإِذَا كَانَ آخِرَ الْعُمَرِ مَوْتًا، فَسَوَاءٌ قَصِيرُهُ وَطَوِيلُهُ، فَكَمْ مِنْ
 خُطُواتٍ مُشِيَّتْ، وَأَوْقَاتٍ صُرِفَتْ، وَمَرَاحِلٍ قُطِعَتْ! وَمَعَ ذَلِكَ
 فَالِإِحْسَاسِ بِمُضِيِّهَا قَلِيلٌ، وَالتَّذَكُّرِ وَالِإِعْتِبَارِ بِمُرُورِهَا ضَعِيفٌ، مَهْمَا
 طَالَتْ مُدَّتُهَا، وَعَظُمَتْ فَتْرَتُهَا، وَدَامَتْ بَعْدَ ذَلِكَ حَسْرَتُهَا!

إِنَّ عَجَلَةَ الزَّمَنِ، وَقَطَارَ الْأَعْمَارِ يَمْضِي بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ، لَا يَتَوَقَّفُ
 عِنْدَ غَافِلٍ، وَلَا يُجَابِي أَيَّ ذَاهِلٍ، كَمْ وَدَعْنَا فِيمَا مَضَى مِنْ أَخٍ أَوْ قَرِيبٍ،
 وَكَمْ فَقَدْنَا مِنْ عَزِيزٍ وَحَبِيبٍ! سَبَقُونَا إِلَى الْقُبُورِ، وَتَرَكُوا عَامِرَ الدُّورِ
 وَالْقُصُورِ، فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ!!

(١) يُنظر: «ديوان المعاني» (٢/ ١٨٢)، و«المستطرف في كل فن مستظرف»

وَالِإِيَّامَتِي الْغَفْلَةَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - مَاذَا رَانَ عَلَى قُلُوبِنَا؟ وَمَاذَا غَشِيَ
أَبْصَارَنَا، وَبَصَائِرَنَا؟ إِنَّ الْمُؤَفَّقَ الْوَاعِي، الَّذِي يَعِيشُ حَيَاةَ
الْمَسْئُورِيَّةِ، وَمُرَاقِبَةَ الذَّاتِ، هُوَ مَنْ يَسْعَى لِإِصْلَاحِ حَالِهِ؛ لِيَسْعَدَ فِي
مَالِهِ، وَالْكَيْسِ الْمُلْهُمِ: مَنْ أَدَامَ الْمُحَاسَبَةَ، وَتَفَقَّدَ رَصِيدَ الْآخِرَةِ،
وَحَازَرَ كُلَّ لَوْثَةٍ عَقْدِيَّةٍ أَوْ فِكْرِيَّةٍ أَوْ سُلُوكِيَّةٍ، لِيَحْيِيَ حَيَاةَ السُّعْدَاءِ،
وَيُحَقِّقَ نُزُلَ الشُّهَدَاءِ، وَمَا ذَلِكَ بِعَزِيزٍ عَلَى ذِي الْمَنِّ وَالْعَطَاءِ.

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: مَا أَحْوَجَ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْيَوْمَ! - وَهِيَ تَتَمَيَّأُ
ظِلَالَ عَامٍ جَدِيدٍ، مَلِيءٍ بِالتَّفَاوُلِ وَالتَّطَلُّعَاتِ، لِلخُرُوجِ مِنَ الْفِتَنِ
وَالْمُشْكَلَاتِ، وَتَجَاوُزِ الْعَقَبَاتِ وَالْأَزْمَاتِ، وَمُوَاجَهَةِ التَّحَدِّيَّاتِ
وَالنَّكَبَاتِ - أَنْ تَقْرَأَ تَارِيخَهَا:

اقْرُؤُوا التَّارِيخَ إِذْ فِيهِ الْعِبْرَ ضَلَّ قَوْمٌ لَيْسَ يَدْرُونَ الْخَبَرَ
اقْرُؤُوا التَّارِيخَ الْإِسْلَامِيَّ لِتُدْرِكُوا كَيْفَ كَانَتْ أَحْدَاثُهُ الْعِظَامُ،
وَوَقَائِعُهُ الْجِسَامُ، نُقْطَةً تَحْوِلُ كُبْرَى، لَا فِي تَارِيخِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
فَحَسْبُ، بَلْ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ قَاطِبَةً، اقْرُؤُوا التَّارِيخَ لِتَرَوْا كَيْفَ كَانَتْ
وَقَائِعُهُ الْعَظِيمَةُ مُنْعَطَفًا مُهْمًا، غَيْرَ مَجْرَى التَّارِيخِ الْإِنْسَانِيِّ بِرُمَّتِهِ.
اقْرُبِي يَا أُمَّتِي تَارِيخَكَ الْمَجِيدَ، لِتَعْلَمِي كَيْفَ أَرْسَتْ مَصَادِرُهُ
وَأَحْدَاثَهُ مَبَادِي الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْأَمْنِ وَالسَّلَامِ؟ وَكَيْفَ رَسَخَتْ

وَقَائِعُهُ مُنْذُ مَا يَزِيدُ عَلَيَّ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا مِنَ الزَّمَانِ، مَفَاهِيمَ الْحَوَارِ
الْحَضَارِيِّ، الَّذِي يَتَنَادَى بِهِ الْعَالَمُ الْيَوْمَ؟

أَيُّهَا الْإِنْسَانِيَّةُ الْحَائِرَةُ، لِتَخْرُجِي مِنَ الْأَحْكَامِ الْجَائِرَةِ؛
اِقْرِي تَارِيخَ حَضَارَتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ، لِتَرِي بِأَمِّ عَيْنَيْكَ كَيْفَ كَفَلَ
الْإِسْلَامَ حُقُوقَ الْإِنْسَانِ بِجِدَارَةٍ: أزال الطبقات، ومحا
العنصريات، وألغى الفوارق والتمايزات، في وحدة تتضاءل أمامها
الانتبئات العنصرية، والأواصر والعلاقات الدنيوية، بل تضمحل بها
كل دعاوى الجاهلية.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: الْإِزْتِبَاطُ التَّأْرِيخِيُّ الْوَثِيقُ، وَالْإِنْتِبَاءُ الْحَضَارِيُّ
الْعَرِيقُ - يُوكِّدُ أَنَّهُ لَيْسَ غَيْرَ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ جَامِعًا لِلْعَقْدِ الْمُتَنَائِرِ،
وَمُؤَلَّفًا لِلشَّتَاتِ الْمُتَنَاكِرِ، وَنَاطِقًا لِلرَّأْيِ الْمُتَنَافِرِ، فَهَلْ تَعِي الْأُمَّةُ بَعْدَ
هَذَا التَّمزُّقِ الْمُزْرِي، وَالتَّخْلُفِ الْمُخْزِي، وَالتَّيِّهِ فِي الْأَنْفَاقِ
الْمُظْلِمَةِ، وَسَرَادِيبِ الْغَوَايَةِ الْمُعْدِمَةِ، أَنْ لَا دَرْبَ، سِوَى الْإِسْلَامِ،
وَلَا إِمَامٍ، غَيْرَ الْقُرْآنِ، وَلَا نَهْجَ إِلَّا نَهْجَ سَيِّدِ الْأَنْامِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ - لِاسْتِثْنَائِهِ سَالِفِ الْعِزِّ، وَلَا سِتْرَ جَاعِ غَابِرِ الظَّفَرِ وَالسُّودِدِ.
أَلَمْ تَسْتَيْقِنِ الْأُمَّةُ: أَنَّ التَّخْلِيَّ عَنِ الْعَقِيدَةِ، وَالتَّسَاهُلَ بِأَمْرِ الشَّرِيعَةِ،

والتفريط في الثواب والمبادي، والتقصير في المثل والقيم، ماله
 شقاء المجتمعات، وانتقاص الحضارات، وهلاك العباد، وخراب
 البلاد، وطريق البوار، وسبب الإهيار، وحلول التبار، ومحقق الدمار،
 وبالتالي قرّة عيون الأعداء والاستعمار، فهل يدرك أصحاب الرأي
 والنظر، أنّ التحدّيات السابقة والمعاصرة، والتصادم الحضاري،
 والعداء الثقافي والفكري، إنّما مرده إلى ثوابت عند الغير لا يتحقق
 الانتصار عليها إلا بالتمسك بموروثنا الحضاري العريق؟ الذي
 ينضح خيراً وسلاماً للبشرية، ويشعُّ أمناً وإسعاداً للإنسانية، في
 بُعد عن مسالك العنف والإزهاب، التي أقصت مضاجع العالم،
 وساقته إلى يباب اللظى، ومراتب الفزع، ولا مخلص له منها إلا إعلاء
 القيم الإنسانية والإسلامية، والتأكيد على مبدأ الحوار الحضاري،
 الذي يولي الأصول والثوابت كلّ التعزيز والاحترام، بلا تميع ولا
 انهمامية.

اقرأوا التاريخ - أيها المنهزمون من بني جلدتنا - لتدركوا أنّ
 الحوار مع الآخر يجب أن يبنى على الإصلاح من الداخل، حين تمتلئ
 النفوس محبةً ومودةً وحناناً، حينما توضع اللوائح المرعية، وترسم
 الصواب الشريعة، لحركة الانفتاح الفكري والثقافي والتربوي

وَالْإِعْلَامِيَّ، حِينَمَا تُعَادُ الثَّقَّةُ، وَيُعَالَجُ الْإِنْهَزَامُ النَّفْسِيُّ لَدَى كَثِيرٍ مِنَ
الْمَعْنِيِّينَ فِي مَجَالَاتِ التَّرْبِيَةِ وَالثَّقَافَةِ وَالْإِعْلَامِ، الَّذِينَ لَهْتُوا وَرَاءَ عَفْنِ
الْأُمَّمِ، عَبَّوْا مِنْهَا طَوِيلًا، فَلَمْ تُغْنِ أُمَّتَهُمْ فَتِيلًا^(١)، وَلَا نَقِيرًا،
وَلَا قَطْمِيرًا^(٢).

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: حِينَمَا تَتَقَاذَفُ سَفِينَةُ الْأُمَّةِ أَمْوَاجَ الْفِتَنِ، فَإِنَّ
قَوَارِبَ النَّجَاةِ، وَصِمَامَاتِ الْأَمَانِ، مَرُّهُونَةٌ بِوَلَاءِ الْأُمَّةِ لِدِينِهَا،
وَتَمَسُّكِهَا بِعَقِيدَتِهَا. وَحِينَمَا يُجِيلُ الْغَيُورُ نَظْرَهُ فِي وَاقِعِ أَجْيَالٍ مِنْ
الْمُتَسَبِّينَ إِلَى أُمَّتِنَا الْيَوْمِ، وَيَرَى التَّبَعِيَّةَ الْمُسْتَفْحَلَةَ، وَالْإِنْهَزَامِيَّةَ
الْمُسْتَحْكِمَةَ أَمَامَ تِيَارَاتِ الْعَصْرِ الْوَافِدَةِ، وَمَبَادِي الْمَدَنِيَّةِ الزَّائِفَةِ
- وَيُقَارِنُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جِيلِنَا التَّأْرِيخِيِّ الْفَرِيدِ - يُدْرِكُ كَمْ كَانَتْ وَقَائِعُ
تَأْرِيخِنَا الْمَشْرِقِ الْوَضَاءِ، وَحَوَادِثُ سِيرَتِنَا الْعَطْرَةَ - سَعِيًّا فِي الْعِزَّةِ
وَالْكَرَامَةِ، وَالْبَدَلِ وَالتَّضْحِيَّةِ.

وَإِنَّ تَنْكُرَ فِتْنَامِ مِنَ الْأُمَّةِ لِمَبَادِي دِينِهِمْ، وَخَوَاءَ كَثِيرٍ مِنْهُمْ مِنْ
أَقْبَاسِ الْإِعْتِصَامِ، وَهَلْفُهُمْ وَرَاءَ شِعَارَاتِ مُصْطَنَعَةٍ، وَنِدَاءَاتِ خَادِعَةٍ،

(١) الْفَتِيلُ: الْخَيْطُ فِي شِقِّ نَوَاةِ التَّمْرِ. يُنْظَرُ: «اللسان» (فتل).

(٢) النَّقِيرُ، وَالْقَطْمِيرُ: سَبَقَ شَرْحُهَا (ص ٤٥٧).

هَوَ الْأَرْضِيَّةُ الْمُمَهَّدَةُ لِلْعَدُوِّ الْمُتْرَبِّصِ؛ مِمَّا جَرَّأَ أَبْنَاءَ صُهْيُونَ عَلَى
 الْعَبَثِ بِمُقَدَّسَاتِ الْأُمَّةِ، وَمُمَارَسَةِ إِزْهَابِ الدَّوْلَةِ ضِدَّ إِخْوَانِنَا فِي
 الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ فِلِسْطِينَ، تَحْتَ سَمْعِ الْعَالَمِ وَبَصَرِهِ. كَمَا أَنَّ مِنْ
 الدَّرُوسِ الْمُسْتَفَادَةِ، جَوَازِ عَقْدِ الْمُعَاهَدَاتِ وَالْمُهَادَنَاتِ،
 لَا الْإِسْتِسْلَامِ وَالْمُدَاهَنَاتِ.

وَفِي خِضَمِّ هَذِهِ الظُّرُوفِ الْحَوَالِكِ، الَّتِي اخْتَلَطَتْ فِيهَا الْمَسَالِكُ،
 يَتَأَمَّلُ قُرَاءُ التَّأْرِيخِ وَيَتَسَاءَلُونَ: أَيْنَ دُرُوسُ الْهَجْرَةِ وَعِبْرَتُهَا، مِنْ
 شِعَارَاتِ الْعَصْرِ بِإِنْسَانِيَّتِهِ الزَّائِفَةِ، وَدِيمُقْرَاطِيَّاتِهِ الْمَزْعُومَةِ، الَّتِي
 تُحْسَبُ عَلَى دُعَاتِهَا مَغَانِمَ، وَعَلَى غَيْرِهَا مَغَارِمَ، فِي غِيَابِ الْمُنْهَجِيَّةِ
 الشُّورِيَّةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ؟!

أَيْنَ دُرُوسُ التَّأْرِيخِ، وَعِبْرَةُ الْهَجْرَةِ، وَأُخُوَّةُ الْمُهَاجِرِينَ
 وَالْأَنْصَارِ، مِنْ أَنْاسٍ مَزَقَهُمُ الشَّرْذُمُ، وَأَحْلَوْا الْعِدَاوَةَ وَالْخِصَامَ مِحْلَ
 الْمَحَبَّةِ وَالْوِثَامِ، وَتَرَسَّبَتْ فِي سُوَيْدَائِهِمْ^(١) الْأَحْقَادُ، وَتَأَجَّجَ فِي قُلُوبِهِمْ
 سَعِيرُ الْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ، وَالغِلِّ وَالشَّحْنَاءِ؛ حَتَّى تَمَرَّقَتْ الْأَوَاصِرُ،
 وَسَادَ التَّفَنُّكُ الْأُسْرِيُّ وَالْإِجْتِمَاعِيُّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ؟!

(١) سبق بيان معناها (ص ٥٣٨).

افْرُؤُوا التَّارِيخَ لِتَجِدُوا كَمْ تَحْتَاجُ الْعَقِيدَةَ إِلَى دَوْلَةٍ وَسُلْطَانٍ يُنَافِحُ
عَنْ كِيَانِهَا، وَيَدُودُ عَنْ حِمَاهَا! أَلَا فَلْيَتَيَقَّنْ دُعَاةُ الْإِصْلَاحِ فِي الْأُمَّةِ، أَنْ
لَا عَقِيدَةَ وَلَا تَمَكَّنَ إِلَّا بِجَمَاعَةٍ، وَلَا جَمَاعَةَ إِلَّا بِإِمَامٍ، وَلَا إِمَامًا إِلَّا بِسَمْعٍ
وَطَاعَةٍ؛ لِيَدْرَأَ عَنِ الْأُمَّةِ غَوَائِلَ الشُّرُورِ وَالْفِتَنِ، وَعَادِيَاتِ الْإِضْطِرَابِ
وَالْمِحَنِ.

وَفِي الْمِيدَانِ التَّرْبَوِيِّ، يَجِبُ أَنْ يَقْرَأَ التَّرْبُويُونَ تَأْرِيحَنَا؛ لِيَرَوْا كَيْفَ
تَرَبَّى الْبَيْتُ الْمُسْلِمُ عَلَى نُصْرَةِ الْعَقِيدَةِ، وَالْوَلَاءِ لِلْقِيَادَةِ؟
وَلْيَقْرَأِ التَّارِيخَ، شَبَابَنَا الْمَعَاصِرُ، الَّذِينَ خُدِعَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِرَبِيقِ
حَضَارَةِ مَادِيَّةٍ، أَفْرَزَتْ غَزْوًا فِي الصَّمِيمِ، تَنَكَّبَ مِنْ خِلَالِهِ كَثِيرٌ مِنْ
شَبَابِ الْأُمَّةِ طَرِيقَ الْهِدَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَعَاشُوا صَرَعى حَرْبِ الشَّهَوَاتِ،
وَضَحَايَا غَزْوِ الشُّبُهَاتِ، وَأَسْرَى التَّقْلِيدِ وَالتَّبَعِيَّاتِ، وَيَبْرُزُ ذَلِكَ فِي
مَجَالِ التَّشْبُهَةِ وَالتَّبَعِيَّةِ، وَالتَّقْلِيدِ وَالْمُحَاكَاةِ لِلْغَيْرِ فِي كَثِيرٍ مِنَ
الْمَجَالَاتِ.

لِتَقْرَأِ التَّارِيخَ - وَتَسْتَلْهِمْ دُرُوسَهُ وَعِبرَهُ - الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ
الْمَعَاصِرَةَ؛ لِتَسْتَيْقِنَ أَنَّ عِزَّ الْمَرْأَةِ وَمَكَانَتَهَا فِي تَمَسُّكِهَا بِقِيَمِهَا
وَمَبَادِيئِهَا: حِجَابًا وَعَفَافًا، وَاحْتِشَامًا وَقَرَارًا، وَأَنَّ وَظَائِفَهَا وَمَسْئُولِيَّاتِهَا
التَّرْبَوِيَّةَ وَالْأُسْرِيَّةَ وَالْاجْتِمَاعِيَّةَ فِي الْأُمَّةِ كَبِيرَةٌ التَّبَعَةِ، عَظِيمَةُ الْآثَارِ،

لَا كَمَا يُصَوِّرُهَا أَعْدَاؤُهَا الَّذِينَ يُؤْحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ وَمَوْلِيَائِهِمْ أَنَّ
 الْحِجَابَ وَالْعَفَافَ فَقْدَانٌ لِلشَّخْصِيَّةِ، وَسَلْبٌ لِلْحُرِّيَّةِ؛ فَأَخْرَجُوهَا
 دُمِيَّةً، تُفْتَسُّ عَنْ سَعَادَةِ مَوْهُومَةٍ، وَحُرِّيَّةِ مَزْعُومَةٍ، كَانَ مِنْ نَتَائِجِهَا
 دَوْسُ الْعَرَضِ وَالشَّرْفِ، وَسَحْقُ الْعُرْفِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ قِبَلِ ذَنَابٍ
 مَسْعُورَةٍ لَا تَرَعَى الْفَضَائِلَ، وَلَا تُبَالِي بِإِفْتِرَافِ الرِّذَائِلِ؛ ﴿٢٨﴾ وَذَلِكَ
 إِفْكَهُمُ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ [الأحقاف].

تِلْكَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - الْإِمَاحَةُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ وَقَائِعِ التَّأْرِيخِ،
 وَدُرُوسِ السَّيْرَةِ وَعَيْبِهَا، تَظْهَرُ فِي حَدِيثِ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَالتَّأْرِيخِ بِهَا؛
 تُقَدِّمُ لِلْأُمَّةِ فِي مَرَحَلَةٍ مِنْ أخطرِ مَرَاجِلِهَا، عَلَّهَا تَكُونُ نَوَآءَ لِمَشْرُوعِ
 حَضَارِيٍّ إِسْلَامِيٍّ، يُسَهِّمُ فِي صَلَاحِ الْحَالِ، وَتَقْوِيمِ الْمَسَارِ، وَيُمَثِّلُ
 بَلَسًا شَافِيًا لِعِلَاجِ الْحَمَلَاتِ الْإِعْلَامِيَّةِ الْمَسْعُورَةِ، وَسِهَامِ الْحَقْدِ
 الْخَائِبَةِ الطَّائِثَةِ، ضِدَّ دِينِنَا وَأُمَّتِنَا وَبِلَادِنَا، الَّتِي مَا فَتَى أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ
 يُصَوِّبُوهَا مُجَاهِنًا، مُسْتَعْلِينَ مَرَحَلَةَ الضَّعْفِ فِي الْأُمَّةِ، وَيَتَصَيَّدُونَ
 أخطاءَ بَعْضِ أبنَائِهَا.

أَلَا مَا أَشَدَّ حَاجَتَنَا - وَنَحْنُ نَسْتَشْرِفُ آفَاقَ الْعَامِ الْهَجْرِيِّ
 الْجَدِيدِ - إِلَى وَقَفَاتِ تَأْمُلٍ وَمُحَاسَبَةٍ، وَمُرَاجَعَةٍ جَادَّةٍ لِاسْتِثْمَارِ كُلِّ مَا

يُعَزِّزُ مَسِيرَةَ أُمَّتِنَا! لِتَزْدَلِفَ إِلَى عَامٍ جَدِيدٍ، وَهِيَ أَكْثَرُ عَزْمًا، وَأَشَدُّ مَضَاءً، لِفَتْحِ آفَاقِ جَدِيدَةٍ لِإِسْعَادِ الْإِنْسَانِيَّةِ؛ لِتَبَوُّأِ مَكَانَتِهَا الطَّلِيعِيَّةِ، وَمَنْزِلَتِهَا الرِّيَادِيَّةِ فَوْقَ هَذَا الْكَوْكَبِ، الَّذِي يَنْشُدُ سُكَّانُهُ: مَبَادِيَّ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ، وَالْأَمْنِ وَالسَّلَامِ، وَلَنْ يَجِدُوهَا إِلَّا فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ، وَتَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ، زَادَهَا فِي ذَلِكَ مَوْرُوثُ حَضَارِيٍّ، وَتَأْرِيحِيٍّ وَعَقْدِيٍّ وَقِيَمِيٍّ لَا يَنْضُبُ، وَنَهْلٌ مِنْ مُعْطِيَّاتِ الْعَصْرِ وَتَقَانَاتِهِ، فِي خِدْمَةِ دِينِ الْأُمَّةِ وَمُثْلِهَا وَقِيَمِهَا.

وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ، أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَامَ، عَامَ خَيْرٍ وَبَرَكَاتٍ، وَنَصْرِ وَتَمَكِينٍ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَعَامَ أَمْنٍ وَأَمَانٍ، وَعَدْلٍ وَسَلَامٍ لِلْإِنْسَانِيَّةِ قَاطِبَةً. وَأَنْ يَجْمَعَ فِيهِ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَيُوَحِّدَ صُفُوفَهُمْ، وَيُطَهِّرَ مُقَدَّسَاتِهِمْ، وَيَنْصُرَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَأَنْ يَجْعَلَ حَاضِرَنَا خَيْرًا مِنْ مَاضِينَا، وَمُسْتَقْبَلَنَا خَيْرًا مِنْ حَاضِرِنَا؛ إِنَّهُ خَيْرُ مَسْئُولٍ، وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ

سَكِينَتُهُ عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُ بِجُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ
الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ
الْهُدَى وَالْبَيَانِ، وَرَزَقَنَا التَّمَسُّكَ بِسُنَّةِ الْمُصْطَفَى مِنْ وَلَدِ عَدْنَانَ.
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِكَاثَةِ الْمُسْلِمِينَ
وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ، إِنَّهُ هُوَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، وَأَسْتَغْفِرُ رَبَّكُمْ، ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ، إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ السَّلَامِ، مُجْرِي اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَمُجَدِّدِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ، أَحْمَدُهُ - تَعَالَى - وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ، جَعَلَ شَهْرَ الْمُحَرَّمِ فَاتِحَةَ شُهُورِ الْعَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْأَنْبَاءِ، وَبَدْرُ التَّمَامِ، وَمِسْكُ الْخِتَامِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الْبَرَّةِ الْكِرَامِ، وَصَحْبِهِ الْأَيِّمَةِ الْأَعْلَامِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا تَعَاقَبَ النُّورُ وَالظَّلَامُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَتَمَسَّكُوا بِدِينِكُمْ؛ فَهُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِكُمْ، وَتَأْجُ عِزِّكُمْ، وَرَمْزُ قُوَّتِكُمْ، وَسَبَبُ نُصْرَتِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ: تَعِيشُونَ - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - هَذِهِ الْأَيَّامِ، فَاتِحَةَ شُهُورِ الْعَامِ، شَهْرَ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، شَهْرٍ مِنْ أَعْظَمِ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - مَكَانَتُهُ عَظِيمَةٌ، وَحُرْمَتُهُ قَدِيمَةٌ، غَرَّةُ الْعَامِ،

وَأَشْهُرِ اللَّهِ الْحَرَامِ، فِيهِ نَصَرَ اللَّهُ مُوسَى وَقَوْمَهُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ،
 وَقَدْ نَدَبَكُمْ نَبِيِّكُمْ ﷺ إِلَى صِيَامِهِ، فَقَالَ فِيمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي
 «صَحِيحِهِ»^(١): «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ»،
 لِأَسِيًّا يَوْمُ عَاشُورَاءَ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ^(٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمَا - قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ،
 فَقَالَ: «مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟» قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، أَنْجَى
 اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا،
 فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى
 مِنْكُمْ»، فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ^(٣) عَنِ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ
 عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: «أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي
 قَبْلَهُ».

اللَّهُ أَكْبَرُ! يَا لَهُ مِنْ فَضْلِ عَظِيمٍ! وَقَدْ عَزَمَ ﷺ عَلَى أَنْ يَصُومَ

(١) برقم (١١٦٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠).

(٣) برقم (١١٦٢).

يَوْمًا قَبْلَهُ؛ مُخَالَفَةً لِأَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَقَالَ ﷺ: «لَسُنَّ بَقِيَتْ إِلَى قَابِلٍ
لِأَصُومَنَّ التَّاسِعَ»^(١).

قَالَ الْعَلَمَةُ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «فَمَرَاتِبُ صَوْمِهِ ثَلَاثَةٌ:
أَكْمَلُهَا أَنْ يُصَامَ قَبْلَهُ يَوْمٌ، وَبَعْدَهُ يَوْمٌ، وَيَلِي ذَلِكَ، أَنْ يُصَامَ التَّاسِعُ
وَالْعَاشِرُ، وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَحَادِيثِ، وَيَلِي ذَلِكَ، إِفْرَادُ الْعَاشِرِ وَخَدَهُ
بِالصِّيَامِ»^(٢).

فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يُصُومُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ اقْتِدَاءً بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ، وَطَلَبًا
لِثَوَابِ اللَّهِ، وَأَنْ يُصُومُوا يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ يَوْمًا بَعْدَهُ؛ مُخَالَفَةً لِلْيَهُودِ،
وَعَمَلًا بِمَا اسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ سُنَّةُ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَإِنَّ صِيَامَ ذَلِكَ الْيَوْمِ
لَمِنْ شُكْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى نِعَمِهِ، وَاسْتِفْتَاكِ هَذَا الْعَامِ بِعَمَلٍ مِنْ
أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، الَّتِي يُرْجَى فِيهَا ثَوَابُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَأَيْنَ
الْمُشْمِرُونَ؟

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاسْتَفْتِحُوا عَامَكُمْ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ،
وَالْمُذَاوِمَةِ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَخُذُوا مِنْ مَرُورِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ

(١) أخرجه مسلم (١١٣٤) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما.

(٢) يُنظر: «زاد المعاد» (٧٦/٢).

عِبْرًا، وَمِنْ تَصَرُّمِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ مُدَكَّرًا وَمُزْدَجَّرًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْغَفْلَةَ
عَنِ اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى، وَالرَّسُولِ
الْمُجْتَبَى، كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ الْمَوْلَى - جَلَّ وَعَلَا - فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا
كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].

العَدَبُ بِالتَّمِيمَةِ فِي اسْتِدْرَاجِ الْغَيْثِ الْغَيْرِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مُغِيثُ الْمُسْتَغِيثِينَ،
وَمُجِيبُ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، وَجَابِرُ كَسْرِ الْمُنْكَسِرِينَ، وَرَافِعُ الْبَلَاءِ عَنِ
الْمُسْتَغْفِرِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَلِيُّ
الْحَمِيدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يَرِيدُ، مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ،
وَعَافِرُ الزَّلَّاتِ، وَفَارِجُ الْكُرْبَاتِ، وَمُنْزِلُ الْبَرَكَاتِ، وَوَاهِبُ الْخَيْرَاتِ،
وَمُحْيِي الْأَرْضِ بِالْمَطَرِ بَعْدَ الْمَوَاتِ، وَمُسْنِعُ الرِّزْقِ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ مَاءٍ
وَنَعْمٍ وَنَبَاتٍ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَمُصْطَفَاهُ وَحَبِيبُهُ
وَخَلِيلُهُ، أَشْرَفُ الْبَرِيَّاتِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَوَّلِي
الْفَضْلِ وَالْمَكْرَمَاتِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ، وَآيَةٌ مِنْ آيَاتِهِ، لَا غِنَى

لِلنَّاسِ عَنْهَا، هِيَ مَادَّةُ حَيَاتِهِمْ، وَعُنْصُرُ نَهَائِهِمْ، وَسَبَبُ بَقَائِهِمْ، مِنْهَا يَشْرَبُونَ وَيَسْقُونَ، وَيَحْرُثُونَ وَيَزْرَعُونَ، وَيَرْتَوُونَ وَيَأْكُلُونَ، تَلْكُمُ هِيَ نِعْمَةُ الْمَاءِ وَالْمَطَرِ، وَآيَةُ الْغَيْثِ وَالْقَطْرِ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: الْمَاءُ أَصْلُ النَّهْرِ، الْفَائِقُ عَلَى الْهَوَاءِ وَالْغِذَاءِ وَالْكِسَاءِ وَالذَّوَاءِ، هُوَ عُنْصُرُ الْحَيَاةِ، وَسَبَبُ الْبَقَاءِ، مَنْ الَّذِي أَنْشَأَهُ مِنْ عَنَاصِرِهِ إِلَّا اللَّهُ؟ وَمَنْ الَّذِي أَنْزَلَهُ مِنْ سَحَابِهِ إِلَّا اللَّهُ؟ ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٠) [الأنبياء].

صُنِعَ مَنْ هَذَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ؟ ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، خَلَقَ مَنْ هَذَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ؟ ﴿هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَارُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١]، إِنَّهُ لَوِ اجْتَمَعَ الْأَوَائِلُ وَالْأَوَاخِرُ عَلَى أَنْزَالِ قَطْرَةٍ مِنَ الْمَطَرِ لَمَا اسْتَطَاعُوا، وَهَلْ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ صُنْعِ مَنْ شَهِدَتْ لَهُ مَخْلُوقَاتُهُ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ آيَاتُهُ؟

أَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاهِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَتَسْكِينَةٍ أَبَدًا شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ^(١)

(١) يُنظر: «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٥٣)، و«تاريخ مدينة دمشق» (١٣/ ٤٥٣).

سُبْحَانَهُ! وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: إِنَّهُ لَا يُقَدَّرُ هَذِهِ النُّعْمَةُ قَدْرَهَا، إِلَّا مَنْ حُرِمَهَا،
تَأَمَّلُوا فِي أَحْوَالِ أَهْلِ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ، الَّتِي تَغْلِبُ عَلَى حَيَاةٍ مِنْ ابْتُلُوا
بِالْجَدْبِ وَالْقَحْطِ وَالْجَفَافِ وَالْمَجَاعَةِ، سَأَلُوا أَهْلَ الْمَزَارِعِ
وَالْمَوَاشِي، فِي أَيِّ حَالَةٍ مِنَ الضَّرِّ يَعِيشُونَ؛ لِقَلَّةِ الْأَمْطَارِ، وَغُورِ
الْمِيَاهِ؟ وَهِيَ سَبَبُ خَسْبِ مَزَارِعِهِمْ وَحَيَاةِ بَهَائِمِهِمْ؟ أَرَأَيْتُمْ يَا مَنْ
تَنَعَّمُونَ بِوَفْرَةِ الْمِيَاهِ، أَنْ لَوْ حُبِسَ الْمَاءُ عَنْكُمْ وَمُنِعْتُمْ إِيَّاهُ، هَلْ تَصْلُحُ
لَكُمْ حَالٌ؟ وَهَلْ يَقْرَأُ لَكُمْ قَرَارٌ؟ وَهَلْ تَدُومُ لَكُمْ حَيَاةٌ؟ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ

إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غُورًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٢٠﴾ [الملك].

إِنَّهُ لَا مَنْجَى وَلَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ، وَمَنْ حَكَمْتَهُ - تَبَارَكَ
وَتَعَالَى - أَنْ لَا يُدِيمَ عِبَادَهُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ يَبْتَلِيهِمْ بِالسَّرَّاءِ
وَالضَّرَّاءِ، وَيَتَعَاهَدُهُمْ بِالشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَيَمْتَحِنُهُمْ: خَيْرًا وَشَرًّا،
نِعْمًا وَنِقْمًا، مِحْنًا وَمِنْحًا: ﴿ وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا
تُرْجَعُونَ ﴿٢٥﴾ [الأنبياء]، ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ

مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ [البقرة].

وَمِنْ ابْتِلَاءِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، حَبْسُ الْقَطْرِ عَنْهُمْ، أَوْ تَأْخِيرُهُ عَلَيْهِمْ، أَوْ

نَزَعُ بَرَكَتِهِ مِنْهُمْ، مَعَ مَا لِلْمَطَرِ مِنَ الْمَنَافِعِ الْعَظِيمَةِ، لِلنَّاسِ وَالْبَهَائِمِ،
وَالزُّرُوعِ وَالشَّارِ، وَمَا فِي تَأْخِيرِهِ مِنَ الْمَضَارِّ الْجَسِيمَةِ عَلَيْهِمْ.

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ شَكَّوْتُمْ إِلَى رَبِّكُمْ جَدَبَ دِيَارِكُمْ، وَتَأَخَّرَ الْمَطَرُ

عَنْ إِبَانِ نُزُولِهِ عَنْ بِلَادِكُمْ وَأَوْطَانِكُمْ، فَمَا أُخْرَى ذَلِكَ أَنْ يَدْفَعَكُمْ إِلَى

مُحَاسَبَةِ أَنْفُسِكُمْ وَمُرَاجَعَةِ دِينِكُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ

يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ

مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا أَقَلُّ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ﴿وَمَا

أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٠)

[الشورى]، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ

لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤١) [الروم: ٤١].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: الْغَيْثُ نَوْعَانِ: مَعْنَوِيٌّ وَحِسِّيٌّ.

أَوَّلُهُمَا: غَيْثُ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ بِالْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ.

وَتَانِيَهُمَا: غَيْثُ الْأَرْضِ بِالْمَطَرِ.

وَإِنَّ الْغَيْثَ الْأَوَّلَ هُوَ الْأَصْلُ، كَمَا أَنَّ لِلْغَيْثِ الثَّانِيِ أَسْبَابًا جَالِبَةً

وَأُخْرَى مَانِعَةً، هَلْ سَاءَ لَنَا أَنْفُسَنَا وَنَحْنُ فِي مَوَاسِمِ الْغَيْثِ، هَلْ أَخَذْنَا

بِأَسْبَابِ نَزُولِهِ، أَمْ قَدْ نَكُونُ نَحْنُ بِأَفْعَالِنَا سَبِيًّا فِي مَنْعِهِ؟ فَإِنَّ الْغَيْثَ
 جَمَاعُ الرِّزْقِ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (١١)
 [الذاريات]، وَالْمَطَرُ أَصْلُ الْبَرَكَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى
 ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا
 فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٦) [الأعراف].

وَمَا ابْتَلَى الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ، بِقِلَّةِ الْأَمْطَارِ، وَعَوْرِ الْمِيَاهِ، وَانْتِشَارِ
 الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ، وَعَلَبَةِ الْجَفَافِ وَالْمَجَاعَةِ وَالْفَقْرِ، فِي بِقَاعِ كَثِيرَةٍ
 مِنَ الْعَالَمِ، إِلَّا بِسَبَبِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي.

وَإِنَّ مِنْ أَسْبَابِ مَنْعِ الْقَطْرِ مِنَ السَّمَاءِ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - غَفْلَةَ الْعِبَادِ
 عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَقَسْوَةَ قُلُوبِهِمْ بِمَا رَانَ عَلَيْهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي،
 وَتَسَاهُلُهُمْ فِي تَحْقِيقِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، وَتَقْصِيرُهُمْ فِي آدَاءِ الصَّلَاةِ
 وَإِتْيَاءِ الزَّكَاةِ؛ يَقُولُ ﷺ: «لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا
 بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ
 الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَحْدُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ
 الْمُؤُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مَنَعُوا
 الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمَطَّرُوا»، خَرَّجَهُ ابْنُ مَاجَهَ

فِي «سُنَّهِ»^(١)، وَالْحَاكِمُ فِي «مَسْتَدْرَكِهِ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَإِنْ مِنْ أَسْبَابِ مَنَعِ الْقَطْرِ مِنَ السَّمَاءِ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - إِعْرَاضَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ عَنِ التَّوْبَةِ إِلَى رَبِّهِمْ وَاسْتِغْفَارِهِ، وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نُزُولِ الْغَيْثِ؛ يَقُولُ - تَعَالَى - عَنْ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : ﴿فَقُلْتُ

أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح]، وَقَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ هُودٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود].

وَقَدْ خَرَجَ عُمَرُ رضي الله عنه لِلِاسْتِسْقَاءِ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الْإِسْتِغْفَارِ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ طَلَبْتُهُ بِمَجَادِيحِ»^(٣) السَّمَاءِ، الَّتِي يُسْتَنْزَلُ

(١) برقم (٤٠١٩).

(٢) (٥٨٣/٤).

(٣) مجاديح: جمع مجدح، وهو عند العرب من الأنواء التي لا تكاد تُحطى، وهو ثلاثة =

بِهَا الْمَطْرُ،^(١)

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَفِي الْأَثَرِ عَنِ الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
«مَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ»^(٢).

وَإِنَّ ذُنُوبَنَا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - قَدْ كَثُرَتْ، وَإِنَّ تَقْصِيرَنَا قَدْ تَعَاطَمَ
وَاسْتَفْحَلَ، وَإِنَّ سُؤْمَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي لَعَظِيمٌ وَخَطِيرٌ، فَمَا حَلَّتْ فِي

= كواكب كأنها مجدح، وهو خشبة في رأسها خشبتان مُعَرَّضَتَانِ يُجَدِّحُ بِهَا السَّوِيقُ،
أي: يُضْرَبُ وَيُجَبَطُ. وَأَرَادَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِبْطَالَ الْأَنْوَاءِ وَالتَّكْذِيبِ بِهَا؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ
الاستغفار هو الذي يُسْتَسْقَى بِهِ لَا الْمَجَادِيحَ وَالْأَنْوَاءَ الَّتِي كَانُوا يَسْتَسْقُونَ بِهَا.
يُنْظَرُ: «النهاية في غريب الحديث»، و«اللسان» (جدح).

(١) أَخْرَجَهُ: عَبْدُ الرَّزَاقِ فِي «مُصَنَّفِهِ» (٣/٨٧)، وَالطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٩/٩٣)،
وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٦/٢٠٤٥)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصَنَّفِهِ» (٢/٢٢١)،
وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الدَّعَاءِ» (٢٩٩)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «السَّنَنِ الْكُبْرَى» (٣/٣٥٢).

(٢) ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيْمِ فِي «الْجَوَابِ الْكَافِي» (ص ٤٩) وَنَسَبَهُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
وَلَمْ أَقِفْ عَلَى سَنَدِهِ. وَأَخْرَجَ نَحْوَهُ الدِّينُورِيُّ فِي «الْمَجَالِسَةِ وَجَوَاهِرِ الْعِلْمِ»
(ص ١٢٤)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٢٦/٣٥٨) مَوْقُوفًا عَلَى الْعَبَّاسِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

دِيَارِ إِلَّا أَهْلَكْتَهَا، وَلَا فِي قُلُوبٍ إِلَّا أَفْسَدْتَهَا، وَلَا فِي مُجْتَمَعَاتٍ إِلَّا دَمَّرْتَهَا، يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَهَلْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ شُرُورٌ وَدَاءٌ إِلَّا سَبَبُهُ الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي»^(١).

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ تُزِيلُ النِّعَمَ
وَدَاوِمٌ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الْإِلَهِ فَإِنَّ الْإِلَهَ سَرِيعُ النِّقَمِ^(٢)
أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: أَوْلَيْسَ ظَلَمَ الْعِبَادِ وَغَشَّيْتَهُمْ، وَمَطَّلَهُمْ حُقُوقَهُمْ،
وَبَخَسُهُمْ فِي الْمَكَائِلِ، وَالْمَوَازِينِ، وَالْمَقَايِسِ، مُتَشَرِّبِينَ صُفُوفَ
كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فِي أَسْوَاقِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ!!؟
أَمَّا هَذِهِ قُلُوبٌ كَثِيرِينَ قَدْ انْطَوَتْ عَلَى الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ
وَالشَّحْنَاءِ، وَالتَّقَاطُعِ وَالتَّدَابُرِ وَالبَغْضَاءِ لِأَنفِهِ الْأَسْبَابِ، وَاسْتِمْرَارِ
حَيَاةِ الْفُرْقَةِ وَالِإِخْتِلَافِ، وَالتَّجَافِي عَنِ الْوَحْدَةِ وَالِإِتِّلَافِ!!؟
أَمَّا هَذِهِ الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ، قَدْ بَخِلَ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَظَنُّوْهَا
جَبَايَةً وَعَنْاءً، لَا مُوَاسَاةً وَتَمَاءً!!؟ وَأَلْهَاهُمُ التَّكَاثُرُ وَالتَّنَافُسُ فِي الدُّنْيَا،
عَنْ إِخْرَاجِ حَقِّ اللَّهِ فِيهَا!!؟

(١) يُنظَرُ: «الجواب الكافي» (١/٢٦).

(٢) يُنظَرُ: «الجواب الكافي» (ص ٤٩).

أَمَّا مَظَاهِرُ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ، وَأَصْوَاتُ الْمَلَاهِي وَالْمَعَارِفِ
مَوْجُودَةٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ !!؟

أَمَّا مَا تَبَّهَ الشَّبَكَاتُ وَالْقَنَوَاتُ وَالْفَضَائِيَّاتُ، فَحَدِّثْ وَلَا كَرَامَةَ،
وَحَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَاعَةِ! وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ! قَالَ تَعَالَى:

﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ

الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ

بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴿

[النحل].

أَلَا مَا أَحْلَمَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ! لَكِنْ لَعَلَّنَا نُرْحَمُ وَنُغَاثُ بِحَالِ

الْمُنِيبِينَ الْمُخْلِصِينَ، وَدَعَوَاتِ الْأَخْفِيََاءِ الصَّالِحِينَ، وَالْمُعْوِزِينَ

وَالْمُسْتَضْعَفِينَ، مِنَ الْأَطْفَالِ الرُّضْعِ، وَالشُّيُوخِ الرُّكَّعِ، وَالْبَهَائِمِ

الرُّتَّعِ^(١)، فَاللَّهُمَّ سَلِّمْ وَسَلِّمْ، وَرُحْمَاكَ رَبَّنَا رُحْمَاكَ! قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتُوبُوا

إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا آيَةٌ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴿ [النور].

فَأَنبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَاسْتَغْفِرُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اسْتِزَالَ الْغَيْثِ،

(١) الرُّتَّعُ: التي تأكل وتشرب ما تشاء في خصب وسعة. يُنظر: «اللسان» (رتع).

وَاسْتَبْنَاتِ الزَّرْعِ، مُحَالٌ أَنْ يَكُونَ بِالدَّعَوَاتِ السَّاهِيَةِ، أَوْ بِالْقُلُوبِ
 الْغَافِلَةِ، وَالْعُقُولِ اللَّاهِيَةِ، فَاطْهَرُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - الْإِفْتِقَارَ إِلَى رَبِّكُمْ،
 وَاجْتَهَدُوا فِي آدَاءِ حُقُوقِهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ، لَا سِيَّمَا فِي الْأَمْوَالِ
 وَالْأَعْرَاضِ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ؛ مِنْ مَالٍ
 أَوْ عَرَضٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ»^(١)، جَدُّدُوا
 التَّوْبَةَ إِلَى الرَّحْمَنِ، قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: جَرِّدُوا الْقُلُوبَ مِنَ الْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ، وَالغِلِّ
 وَالشَّحْنَاءِ، صُونُوا أَلْسِنَتَكُمْ عَنِ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَقَوْلِ الْبُهْتِ وَالزُّورِ
 عَلَى الْبُرْءِ، وَاحْذَرُوا الْوُقُوعَ فِي الْأَعْرَاضِ، وَتَرْوِيحِ الْأَكَاذِيبِ
 وَالشَّائِعَاتِ. أَذُوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ طَيِّبَةً بِهَا نُفُوسُكُمْ، تَرَاخَمُوا وَتَسَاحَمُوا،
 صَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَبِرُّوا الْأَبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ، أَحْسِنُوا إِلَى الْفُقَرَاءِ
 وَالْمَسَاكِينِ، وَالْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ وَالْمَحَاوِيجِ، كُونُوا إِخْوَةً مُتَحَابِّينَ،
 عَلَى الْخَيْرِ وَالتَّقَى مُتَعَاضِدِينَ.

تَحَلَّوْا بِالْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ، وَتَحَلَّوْا عَنِ الْأَوْصَافِ الرَّذِيلَةِ، وَتَأَسَّوْا
 بِنَبِيِّكُمْ ﷺ عِنْدَ اسْتِسْقَائِهِ، فَقَدْ خَرَجَ مُتَذَلِّلاً مُتَخَشِعاً، تَائِباً مُلِحّاً عَلَى

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

اللَّهِ بِالدُّعَاءِ، فَاهْتَدُوا بِهِدْيِهِ، وَاقْتَدُوا بِسُنَّتِهِ، وَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّ
 الاجْتِهَادَ فِي الدُّعَاءِ مِنْ أَعْظَمِ الْأُمُورِ الَّتِي يُسْتَنْزَلُ بِهَا الْمَطَرُ، قَالَ
 تَعَالَى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ
 خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢]،
 ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾
 [البقرة: ١٨٦]، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - حَيِّي كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مَنْ عَبَدَهُ
 إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»، أَي: خَائِبَتَيْنِ. خَرَّجَهُ أَحْمَدُ^(١) وَأَبُو
 دَاوُدَ^(٢) عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إِذَا عَلِمْتُمْ ذَلِكَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - فَارْفَعُوا قُلُوبَكُمْ إِلَى بَارئِكُمْ،
 وَأَيْدِيكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ وَمَوْلَاكُمْ، وَالْهَجُوا بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ - سُبْحَانَهُ - طَالِبِينَ
 الْغَيْثَ مِنْهُ، رَاجِينَ لِفَضْلِهِ، مُؤْمِلِينَ لِكَرَمِهِ، مُلِحِّينَ عَلَيْهِ بِإِغَاثَةِ الْقُلُوبِ
 وَالْأَرْوَاحِ، وَسَقْيِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ.

(١) في «المسند» (٤٣٨/٥) بنحوه.

(٢) برقم (١٤٨٨) واللفظ له.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ جَابِرُ كَسْرِ
 الْمُنْكَسِرِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَاحِمُ الْمُسْتَضْعَفِينَ، نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ،
 نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَنُتُوبُ إِلَيْهِ، نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ! إِنَّا كُنَّا مِنَ الظَّالِمِينَ، إِلَهِنَا
 كُلُّ فَرَحٍ بِغَيْرِكَ زَائِلٌ، وَكُلُّ شُغْلٍ بِسِوَاكَ بَاطِلٌ، وَالسُّرُورُ بِكَ هُوَ
 السُّرُورُ، وَالسُّرُورُ بِغَيْرِكَ هُوَ الْغُرُورُ، اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ
 بِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ، فَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا أَقْلَ مِنْ ذَلِكَ:

﴿لَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١٤٩)

[الأعراف]، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]،

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

﴿[الأعراف].﴾ (٢٣)

اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ،
 أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا وَأَغْنِنَا، اللَّهُمَّ
 أَغْنِنَا، اللَّهُمَّ أَغْنِنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْ قُلُوبَنَا بِالْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَبِلَادِنَا
 بِالْخَيْرَاتِ وَالْأَمْطَارِ وَالْغَيْثِ الْعَمِيمِ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنَّا خَلَقْنَا
 مِنْ خَلْقِكَ، فَلَا تَمْنَعْ عَنَّا بِذُنُوبِنَا فَضْلَكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ إِنَّكَ كُنْتَ

غَفَّارًا، فَأَرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا مِدْرَارًا، اللَّهُمَّ أَغْنِنَا غَيْثًا مُغِيثًا، هَنِيئًا مَرِيئًا، سَحًّا غَدَقًا طَبَقًا، وَاسِعًا مُجَلَّلًا، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ وَلَا رَائِثٍ^(١)، اللَّهُمَّ سُقِيَا رَحْمَةً، لَا سُقِيَا عَذَابٍ وَلَا بَلَاءٍ وَلَا هَدْمٍ وَلَا غَرَقٍ، اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبَهَائِمَكَ، وَأَخِي بَلَدَكَ الْمَيِّتَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ.

اللَّهُمَّ أَغْنِنَا غَيْثًا مُبَارَكًا، نُحْيِي بِهِ الْبِلَادَ، وَتَرْحَمُ بِهِ الْعِبَادَ، وَتَجْعَلُهُ بَلَغًا لِلْحَاضِرِ وَالْبَادِ، اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَهُ قُوَّةً لَنَا عَلَى طَاعَتِكَ، وَبَلَغًا إِلَى حِينٍ، اللَّهُمَّ أَنْبِتْ لَنَا الزَّرْعَ، وَأَدِرَّ لَنَا الضَّرْعَ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ ارْحَمِ الشُّيُوخَ الرُّكَّعَ، وَالْبَهَائِمَ الرُّتَّعَ، وَالْأَطْفَالَ الرُّضَّعَ، اللَّهُمَّ أَخْرِجْ فِي أَرْضِنَا زَيْتَهَا، وَأَنْبِتْ فِيهَا بَهَجَتَهَا، وَمَتَّعْنَا بِنَصَارَتِهَا، وَأَكْرِمْنَا بِخَيْرِهَا وَبَرَكَتِهَا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ الْقَحْطَ وَالْجَفَافَ، وَالْجُوعَ وَالْجُهْدَ، وَاكْشِفْ مَا بِالْمُسْلِمِينَ مِنَ الْبَلَايَا؛ فَإِنَّ بِهِمْ - يَا رَحِيمٌ

(١) وَلَا رَائِثٍ: غير بطيء. يُنظر: «اللسان» (ريث).

يَا كَرِيمُ - مِنَ اللَّأْوَاءِ^(١) مَا لَا يَكْشِفُهُ وَلَا يَصْرِفُهُ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ
وَبِحَمْدِكَ! اللَّهُمَّ اكْشِفِ الضَّرَّ عَنِ الْمُتَضَرِّينَ، وَالْكَرْبَ عَنِ
الْمَكْرُوبِينَ، وَأَسْبِغِ النِّعَمَ عَلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ لَا تُهْلِكْنَا
بِالسِّنِينَ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْآيسِينَ، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ
وَالشُّكْرُ عَلَى مَا أَنْزَلْتَ عَلَيْنَا مِنَ الْغَيْثِ، اللَّهُمَّ فَرِّدْنَا مِنْهُ وَعَمَّ بِهِ أَرْجَاءَ
الْبِلَادِ، وَأَتَّبِعْهُ بِخَيْرٍ مِنْهُ، وَاجْعَلْهُ عَلَى الظَّرَابِ^(٢) وَالْأَكَامِ^(٣) وَبُطُونِ
الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ^(٤).

اللَّهُمَّ هَوِّلْ عِبَادَكَ، رَفَعُوا أَكْفَ الضَّرَاعَةِ وَالْحَاجَةَ إِلَيْكَ،
يَسْأَلُونَكَ الْغَيْثَ، اللَّهُمَّ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَأَعْطِهِمْ سُؤْلَهُمْ،
وَحَقِّقْ أَمْلَهُمْ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ الْمُسْتَغِيثُونَ: لَقَدْ كَانَ مِنْ سُنَّةِ

(١) سبق بيان معناها (ص ٢٦٢).

(٢) الظَّرَاب: الجبال الصغار. يُنظر: «اللسان» (ظرب).

(٣) الْأَكَام: جمع أكمة، وهي: أعلى من الرابية ودون الهضبة. ينظر: «اللسان» (أكم).

(٤) يُحْصُ في الدعاء نزول المطر على الأكام والظراب وبتون الأودية؛ لأنها أوفق
للزراعة والرعي من شواحق الجبال التي لا تُنال إلا بمشقة.

نَبِيِّكُمْ ﷺ بَعْدَمَا يَسْتَعِيثُ رَبَّهُ، أَنْ يَقْلِبَ رِدَاءَهُ، فَأَقْلِبُوا أَرْدِيَتَكُمْ اقْتِدَاءً
بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ، وَالْحُوا عَلَى اللَّهِ بِالْدُعَاءِ، فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - يُحِبُّ
الْمُلْحِحِينَ فِي الدُّعَاءِ، فَأَحْسِنُوا الظَّنَّ بِرَبِّكُمْ، واحذروا اليأس من رَوْحِ
اللَّهِ، وَالْقُنُوطَ^(١) مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّكَ أَنْتَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

اللَّهُمَّ لَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلَا عَنْ بَابِكَ مَطْرُودِينَ، وَلَا مِنْ رَحْمَتِكَ
مُحْرَمِينَ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى، وَالرَّسُولِ الْمُجْتَبَى، وَالْحَبِيبِ
الْمُرْتَضَى، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ
بِإِحْسَانٍ، وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَاقْتَفَى، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

(١) القنوط: أشد اليأس من الشيء. يُنظر: «اللسان» (قنط).

قضايا الأمتنا

في اليوم الأكبر، والرحاب الأظھرنا

الخطبة الأولى:

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ،
اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ.

شَرَعَ الْمَوَاسِمَ وَالْأَعْيَادَ لِحُكْمٍ لَا تُحْصَى وَلَا تُقَدَّرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ أَعَادَ
عَلَيْنَا مِنْ مَوَاسِمٍ فَضْلِهِ مَا يَعُودُ فِي كُلِّ عِيدٍ وَيُظْهِرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ مَا خَضَعَ
لِلَّهِ مُسْلِمٌ وَبِالتَّوْحِيدِ أَقْرَ، اللَّهُ أَكْبَرُ مَا أَحْرَمَ حَاجٌّ وَاعْتَمَرَ، اللَّهُ أَكْبَرُ مَا
لَبَّى مُلَبِّ لِلَّهِ وَذَكَرَ، اللَّهُ أَكْبَرُ مَا دَعَا اللَّهَ دَاعٍ وَشَكَرَ، اللَّهُ أَكْبَرُ مَا
تَابَ تَائِبٌ وَاسْتَغْفَرَ، اللَّهُ أَكْبَرُ مَا طَافَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ طَائِفٌ وَاسْتَلَمَ
الْحَجَرَ، اللَّهُ أَكْبَرُ مَا سَعَى بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرُورَةِ سَاعٍ فَأَذْرَكَ الظَّفَرَ،
اللَّهُ أَكْبَرُ مَا وَقَفَ الْحَجِيجُ بِعَرَفَاتٍ وَصَفُورًا مِنَ الْأَثَامِ وَالْكَدْرِ، اللَّهُ
أَكْبَرُ مَا أزدَلَفَ الْحَجِيجُ إِلَى مُزْدَلِفَةَ وَالتَّقَطُّوا الْحَصَى كَالدَّرِّ، اللَّهُ
أَكْبَرُ مَا رَمَوْا جَهْرَةَ الْعَقَبَةِ وَاقْتَفَوْا الْأَثَرَ، اللَّهُ أَكْبَرُ مَا نَحَرَ الْحُجَّاجُ
وَخَلَقُوا، وَتَحَلَّلُوا التَّحَلُّلَ الْأَوَّلَ وَالْأَكْبَرَ، اللَّهُ أَكْبَرُ مَا ضَحَّى لِلَّهِ مُضَحٌّ
وَنَحَرَ، اللَّهُ أَكْبَرُ مَا أَتَمَّ الْحُجَّاجُ مَنَاسِكَهُمْ وَفَازُوا بِالْجَزَاءِ الْأَوْفَرَ.

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا نُحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ
 نَفْسِكَ، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَيَّ مَا يَسَّرْتَ لِعِبَادِكَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْأَمْنِ
 وَالْأَمَانِ، وَعَلَيَّ مَا هَيَّأْتَ لِلْحَجِيجِ مِنْ رَاحَةٍ وَسَلَامَةٍ وَاطْمِئْنَانٍ. لَكَ
 كُلُّ الْحَمْدِ وَأَعْظَمُ الشُّكْرِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ، بِبُلُوغِ الْحُجَّاجِ هَذَا
 الْمَوْقِفَ الْأَبْرَّ، وَالْيَوْمَ الْمُحَجَّلَ الْأَغْرَّ، فِي نِعْمَةٍ سَابِغَةٍ، وَرُوحَانِيَّةٍ
 عَارِمَةٍ، وَشَوْقٍ وَامْتِنَانٍ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْوَاحِدُ الدِّيَّانُ،
 الْكَرِيمُ الْمَنَّانُ، شَهَادَةً تَرْجُو بِهَا عَلَيَّ الْجَنَانَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَسَيِّدَنَا
 مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الْمُصْطَفَى مِنْ وَلَدِ عَدْنَانَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ بِالْمُهْجِ وَالْجَنَانِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ
 تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا تَعَاقَبَ الْجَدِيدَانِ، وَسَطَعَ النَّيِّرَانِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.
 اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ
 أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فِيَا إِخْوَةَ الْإِيمَانِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ فِي أُمَّ الْقُرَى بَلَدِ
 اللَّهِ الْحَرَامِ، حُجَّاجِ بَيْتِ اللَّهِ الْكَرَامِ: خَيْرٌ مَا يُوصَى بِهِ الْأَنَامُ، تَقْوَى
 اللَّهِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ السَّلَامِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - فِي السِّرِّ

وَالْإِعْلَانِ، وَزَكُّوا بَوَاطِنَكُمْ مِنَ الْأَوْضَارِ^(١) وَالْأَذْرَانِ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي
 الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، تَحُوزُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةً، وَتَحَقِّقُوا السَّعَادَةَ وَالسِّيَادَةَ
 ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ سَيِّئَاتِكُمْ
 وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ [الأنفال].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ - أَيُّهَا الْحَجِيجُ الْمِيَامِينُ : هَا قَدْ أَنْعَمَ
 اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِبُلُوغِ الْيَوْمِ الْمُبَارِكِ الْأَزْهَرِ، وَشَهَدْتُمْ - بِفَضْلِهِ وَمَنَّةٍ - يَوْمَ
 الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، وَالْمَنْسَكِ الْأَشْهَرِ: مَنْسَكُ لَا تُحْصَىٰ فَضَائِلُهُ،
 وَلَا تُسْتَقْصَىٰ مَنَافِعُهُ وَنَوَائِلُهُ. يَوْمَ عِيدِ الْأَضْحَى الْمُبَارَكِ، يَجُودُ فِيهِ
 الْبَارِئُ بِمَغْفِرَةِ الزَّلَّاتِ، وَسَتْرِ الْعُيُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَإِقَالَةِ الْعَثَرَاتِ،
 وَإِغَاثَةِ اللَّهْفَاتِ، وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ، وَإِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ، وَقَبُولِ التَّوْبَاتِ،
 وَغَسْلِ الْحَوْبَاتِ. طُوبَىٰ لَكُمْ أَيُّهَا الْحَجَّاجُ ثُمَّ طُوبَىٰ مَا تَنْعَمُونَ
 بِهِ مِنْ غَامِرِ الرَّوْحَانِيَّاتِ، وَسَابِغِ الْإِبْرَانِيَّاتِ: دُمُوعُكُمْ لِرِضْوَانِ
 اللَّهِ مُطْرِدَةٌ، وَالضُّلُوعُ مِنْكُمْ بِالْأَشْوَاقِ مُتَّقِدَةٌ، كَيْفَ لَا! وَقَدْ
 عَايَيْتُمْ فِي عَرَفَةَ مِنْ الْإِجْلَالِ وَالْمَهَابَةِ، وَالْحُشُوعِ وَالْخُضُوعِ،

(١) الْأَوْضَارُ: الْأَوْسَاحُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (وضر).

وَالدُّمُوعِ وَالْإِنَابَةِ، مَا يَكَادِ يَذْهَبُ بِالمُهْجِ وَيَأْخُذُ بِالأَلْبَابِ .
اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا .

عِبَادَ اللَّهِ: وَمِنَ الشَّعَائِرِ العُظْمَى - الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا المُسْلِمُونَ
إِلَى رَبِّهِمْ فِي هَذَا اليَوْمِ، يَسْتَوِي فِيهَا الحُجَّاجُ وَالمُقِيمُونَ - شَعِيرَةٌ ذَبَحَ
الأَضَاحِي؛ اقْتِدَاءً بِخَلِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ، وَنَبِيِّ اللَّهِ وَحَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ
- عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ (١٠٣)

وَنَدَيْتَهُ أَنْ يَتَابَرَهَيْمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّزِيَاءُ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الأَبْلَتْؤُا المِّينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْتَهُ بِذَبْحِ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ [الصفات]
وَحُلِدَتْ بِذَلِكَ سُنَّةُ النَّحْرِ فِي عِيدِ الأَضْحَى؛ لَتَبْقَى شَامَةٌ غَرَاءَ عَلَى
عَظِيمِ الإِسْتِسْلَامِ وَالإِيمَانِ، وَآيَةٌ كُبْرَى فِي الإِذْعَانِ لِأوامِرِ الوَاحِدِ
الدِّيَانِ، وَلَتَبْقَى حَادِثَةُ الفِدَاءِ - أَيضًا - عِبْرَةٌ وَعُنْوَانًا لِتَرْبِيَةِ الأَبْنَاءِ، فِي
طَاعَةِ وَبِرِّ الأَبَاءِ: ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى
مِنْكُمْ ﴾ [الحج: ٣٧]، أَي: يَنَالُهُ طَاعَتُكُمْ وَمَا وَقَرَّ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ
وَتَعْظِيمِ أَمْرِهِ .

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ - أَيُّهَا المُضْحُونَ - وَيَحْسُنُ التَّذْكِيرُ فِي هَذَا
المَقَامِ، بِطَائِفَةٍ مِنْ أَحْكَامِ وَسُنَنِ الأَضْحِيَّةِ، فَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ العِلْمِ عَلَى

أَنَّ الْأُضْحِيَّةَ لَا يُجُوزُ ذَبْحُهَا قَبْلَ طُلُوعِ شَمْسِ يَوْمِ النَّحْرِ؛ لِمَا وَرَدَ عَنِ
 الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي
 يَوْمِنَا هَذَا، نُصَلِّي، ثُمَّ نَرْجِعُ فَنَنْحَرُ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا،
 وَمَنْ ذَبَحَ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لِأَهْلِهِ، لَيْسَ مِنَ النَّسْكِ فِي شَيْءٍ». أَخْرَجَهُ
 الْبُخَارِيُّ ^(١) وَمُسْلِمٌ ^(٢) وَاللَّفْظُ لَهُ.

وَعَنْ جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ النَّحْرِ، ثُمَّ
 خَطَبَ، ثُمَّ ذَبَحَ فَقَالَ: «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَلْيَذْبَحْ أُخْرَى مَكَانَهَا،
 وَمَنْ لَمْ يَذْبَحْ فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ». أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ ^(٣).

وَيَنْتَهِي وَقْتُ ذَبْحِ الْأُضْحِيَّةِ بِغُرُوبِ شَمْسِ الْيَوْمِ الثَّلَاثِ مِنْ أَيَّامِ
 التَّشْرِيقِ؛ لِقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ذَبْحٌ». أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ^(٤)،
 وَغَيْرُهُ ^(٥).

(١) برقم (٩٦٥).

(٢) برقم (١٩٦١).

(٣) أخرجه البخاري (٩٨٥) واللفظ له، ومسلم (١٩٦٠).

(٤) في «المسند» (٨٢/٤) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٥) أخرجه ابن حبان (١٦٦/٩)، والطبراني في «الكبير» (٨٣/١٥)، والبيهقي في

«الكبرى» (٢٣٩/٥) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

وَلَا يَجُوزُ التَّضَحِّيَةُ بِهَا كَانَتْ فِيهَا عُيُوبٌ بَيْنَهُ؛ لِمَا وَرَدَ عَنِ الْبَرَاءِ
 ؓ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَزْبَعُ لَا تَجُوزُ فِي الْأَضَاحِي: الْعَوْرَاءُ
 الْبَيْنُ عَوْرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيْنُ مَرَضُهَا، وَالْعَرَجَاءُ الْبَيْنُ ظَلَعُهَا، وَالْكَسِيرَةُ
 الَّتِي لَا تُنْقِي». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢).

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ
 أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَيُعْتَبَرُ فِي سِنِّ الْهَدْيِ وَالْأَضْحِيَّةِ السُّنُّ الْمُعْتَبَرُ شَرْعًا، وَهُوَ فِي
 الْإِبِلِ: مَا تَمَّ لَهُ خَمْسُ سِنِينَ، وَفِي الْبَقَرِ: مَا تَمَّ لَهُ سِتَّتَانِ، وَفِي الْمَعَزِ:
 مَا لَهُ سَنَةٌ، وَفِي الْغَنَمِ: مَا تَمَّ لَهُ سِتَّةُ أَشْهُرٍ.

وَمِنْ سُنَنِ الْأَضْحِيَّةِ أَنْ يَتَوَلَّى الْمُضْحِي الدَّبْحَ بِنَفْسِهِ، لِمَنْ كَانَ
 يُحْسِنُهُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بَدَنَةً بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ، ثُمَّ أُعْطِيَ
 عَلِيًّا ؓ فَنَحَرَ مَا غَبَرَ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي صَحِيحِ الْخَبَرِ (٣)، وَقَدْ ضَحَّى

(١) برقم (٢٨٠٢) واللفظ له.

(٢) برقم (١٤٩٧).

(٣) كما في حديث جابر ؓ في صفة حج النبي ﷺ، وفيه: «ثُمَّ أَنْصَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

إِلَى الْمُنْحَرِ، فَنَحَرَ بِيَدِهِ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ، وَأَمَرَ عَلِيًّا فَنَحَرَ مَا غَبَرَ»، أخرجه مسلم (١٢١٨).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَبَشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ^(١).
 اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ
 أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَمِنَ السُّنَّةِ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - أَنْ لَا يُعْطِيَ جَارِزَهَا أُجْرَتَهُ مِنْهَا^(٢)،
 وَمِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا ثُلُثَهَا، وَيَهْدِي ثُلُثًا، وَيَتَصَدَّقَ بِثُلُثٍ؛
 لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمُ
 لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣١].

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ - اشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا
 هَدَاكُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَلَقَدْ كَانَ النَّاسُ قَبْلَ انبِلَاجِ فَجْرِ الْإِسْلَامِ: بِبِعْثَةِ خَيْرِ
 الْأَنْبَاءِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي جَهَالَةٍ حَالِكَةٍ، وَضَلَالَاتٍ هَالِكَةٍ،

(١) كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: «صَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبَشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ، فَرَأَيْتُهُ وَاضِعًا

قَدَمَهُ عَلَى صِفَاحِهَا يُسَمِّي وَيُكَبِّرُ، فَذَبَحَهَا بِيَدِهِ». أخرجه البخاري (٥٥٥٨).

(٢) كما في حديث علي رضي الله عنه قال: «أَمَرَنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَقُومَ عَلَى الْبُذْنِ، وَلَا أُعْطِيَ عَلَيْهَا

شَيْئًا فِي جِزَارَتِهَا» أخرجه البخاري (١٧١٦).

يَبْدُونَ النَّبَاتِ، وَيَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَالْأَحْجَارَ، كَالْعُزَى وَاللَّاتِ،
يَتَطَيَّرُونَ وَيَتَكَهَّنُونَ، وَيَتَعَلَّقُونَ بِالْأَوْهَامِ وَالْخُرَافَاتِ، وَيَأْتُونَ
الْفَوَاحِشَ وَالْمُحَرَّمَاتِ.

قَدْ كَانُوا فِي ظِلَامٍ بَيْمٍ دَامِسٍ، وَكُفِرَ لِحَقِيقَةِ الْحَيَاةِ طَامِسٍ، إِلَى
أَنْ أَضَاءَ الْكُونُ بِشَمْسِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ
التَّحِيَّةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ، فَأَخْرَجَتْ تِلْكَ الْأُمَّةَ وَمَنْ تَلَاهَا، مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ، وَبَعَثَتْهَا مِنَ الْمَمَاتِ إِلَى الْحَيَاةِ، وَانْتَشَلَتْهَا مِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ
إِلَى عَدْلِ وَرَحْمَةِ الْإِسْلَامِ: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ [إبراهيم].
وَكَانَ أَسَاسَ الْأُسُسِ، وَأَصْلَ الْأُصُولِ فِي دَعْوَتِهِ ﷺ، وَرَكِيزَةَ
مُرْتَكزَاتِهَا، وَرُكْنَ أَرْكَانِهَا: الْأَمْرُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - وَإِفْرَادُهُ
بِالْعِبَادَةِ، وَنَبْذُ كُلِّ مَا سِوَاهُ؛ تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ - سُبْحَانَهُ - ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ [الذاريات].

وَهَذَا الْمَقْصِدِ الْأَجَلِّ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، وَأُنزِلَتِ
الْكِتَابُ، يَقُولُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١٥﴾ [الأنبياء]، وَيُحَذِّرُ - سُبْحَانَهُ -

خَاتَمَ أَنْبِيَائِهِ مِنْ مَعَرَّةِ الشُّرْكِ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبُطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٦٥﴾ [الزمر]،

يُفِيدُ ذَلِكَ أَجْلَى مُفَادٍ، عَلَى خُطُورَةِ الشُّرْكِ عَلَى الْمِلَّةِ وَالْأُمَّةِ، وَالْحَذَرِ

مِنْ شَوْبِ التَّوْحِيدِ بِمَا يُنْقِضُهُ أَوْ يَنْقُضُهُ، يَقُولُ الْحَقُّ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنْ

صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٦﴾ [الأنعام]. وَفِي

التَّنْذِيرِ وَالتَّشْبِيحِ عَلَى مَنْ حَادَّ اللَّهَ بِالْإِشْرَاقِ بِهِ، يَقُولُ - سُبْحَانَهُ -:

﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا

تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ [الإسراء]، وَيَقُولُ - سُبْحَانَهُ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴿١١٤﴾ [الأعراف].

إِنَّ التَّوْحِيدَ الْخَالِصَ لِلَّهِ، هُوَ الَّذِي أَطْلَقَ الْعُقُولَ مِنْ أَغْلَالِ

الْخُرَافَةِ، وَحَرَّرَهَا مِنْ قِيُودِ الذُّلِّ إِلَّا لِلَّهِ، وَالِاسْتِغَاثَةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَإِنَّ

العَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ الْخَالِصَةَ مِنْ كُلِّ شَوْبٍ وَكَدَرٍ، هِيَ الَّتِي خَرَّجَتْ

أَجْيَالًا مِنَ الْأُمَّةِ غَيْرَتِ مَجْرَى التَّأْرِيخِ، وَلَا لَأْتِ وَجْهَ الْعَالَمِ بِتَأْلِيفِ

أَبْهَى وَأَزْهَى حَضَارَةٍ عَرَفَتْهَا الْبَشَرِيَّةُ، وَبِهَا فَهَرَتِ الشَّدَائِدُ الْعَاتِيَةُ

وَالْجَبُوشُ الْغَاشِمَةُ، ضِدَّ الْمِلَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ، وَهِيَ - وَلَا مَرِيَّةَ - أَسَاسُ

الْقُوَّةَ وَالْعِزَّةَ، الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَسْتَعَصِمَ بِهَا كُلُّ مُسْلِمٍ صَادِقِ الْإِيمَانِ، فِي
كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: وَمَا يُبْدِي الْمَوْحِدُ الْغِيورُ وَيُعِيدُ، فِي قَضِيَّةِ
الْعَقِيدَةِ وَالتَّوْحِيدِ، إِلَّا لِأَنَّهُ حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعَبِيدِ، وَمَا كَانَ حَقًّا لِلَّهِ
- جَلَّ وَعَلَا - طَابَ ذِكْرُهُ فِي الْأَفْوَاهِ وَحَلَا: ﴿حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ
الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [٣١] ﴿[الحج].

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ
أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: وَمِنَ الْمُهَيَّمَاتِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَتَوَارَدَ عَلَيْهَا
الْمُسْلِمُونَ فِي مَوْسِمِ حَجَّتِهِمُ الْمُبَارَكِ، كَوْنُ الشَّرِيعَةِ السَّمْحَةِ جَاءَتْ
بِالْوَسْطِيَّةِ وَالْإِعْتِدَالِ، فِي كُلِّ أَبْوَابِهَا وَمَقَاصِدِهَا، فَهِيَ وَسْطٌ فِي
الْعَقِيدَةِ، وَسْطٌ فِي الْعِبَادَاتِ، وَسْطٌ فِي الْمُعَامَلَاتِ، وَسْطٌ فِي الْأَنْبِيَاءِ،
وَسْطٌ فِي الْأُمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ
أُمَّةً وَسْطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فَلَا إِعْنَاتَ وَلَا غُلُوًّا، وَلَا مَشَقَّةَ وَلَا حَرَجَ،

وَلَا تَنْطَعْ^(١) وَلَا شَطَطَ^(٢): ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

[الحج: ٧٨]، وَمِنْ قَوَاعِدِنَا الْفِقْهِيَّةِ: الْمَشَقَّةُ تَجْلِبُ التَّيْسِيرَ.

وَلَمَّا انْحَرَفَ فِتْنَامٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - وَهُمْ قَلَّةٌ - عَنِ مَنَاجِ الْوَسْطِيَّةِ
وَإِلْتِدَالِ، ظَهَرَتْ فِتْنَةٌ فَاقِرَةٌ، يُقَاسِي الْمُسْلِمُونَ جَرَاءَهَا الْكُرُوبَ
وَالْمَحَنَ، أَلَا وَهِيَ فِتْنَةُ التَّكْفِيرِ - أَجَارَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ لَظَاهَا -
الدَّاعِيَّةُ إِلَى الْخُرُوجِ عَلَى وِلَاةِ الْأَمْرِ وَالْحُكَّامِ، وَإِثَارَةُ الْقَلَاقِلِ،
وَزَعَزَعَةُ أَمْنِ الْمُسْلِمِينَ، وَشَرِيحُ صَفِّ جَمَاعَتِهِمْ.

وَأَسْبَابُ ضَلَالِ هَذِهِ النَّابِتَةِ، فَهَمُّ مُنْحَرِفِ أَحَادِي لِنُصُوصٍ مِنَ
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، ضَارِبِينَ صَفْحًا عَنِ فَهْمِ الصَّحَابَةِ الْأَبْرَارِ، الَّذِينَ
شَاهَدُوا التَّنْزِيلَ، وَأَدْرَكُوا التَّأْوِيلَ، مُطَّرِحِينَ أَقْوَالَ السَّلَفِ الْأَخْيَارِ،
وَأَثْمَةَ التَّفْسِيرِ، وَدَلَالََةَ اللُّغَةِ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي

الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن

لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ [البقرة].

(١) التَّنَطُّعُ: التعمق. ينظر: «الصحاح» (نطع).

(٢) الشَّطَطُ: مجاوزة القدر والحد. يُنظر: «المغرب في تعريب المعرب» (شطط).

إِنَّ الَّذِينَ يُؤَلِّبُونَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حُكَامِهِمْ؛ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَالْفَوْضَى،
وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَإِرْهَابًا وَإِزْعَابًا وَتَفْجِيرًا، وَاسْتِحْلَالَ
لِلدَّمَاءِ الْمَعْصُومَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ وَالْمُسْتَأْمِنِينَ - بِاسْمِ
الْإِسْلَامِ، وَدَعْوَى الْإِضْلَاحِ بِإِفْكِهِمْ - لَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ،
وَأَشَدِّهِ تَنْكِبًا عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ الْأَبْلَجِ، وَأَعَمِّقِهِ مُخَالَفَةً لِدَعْوَةِ الرَّسُولِ
ﷺ وَسِوَاءِ الْمَنْهَجِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا
فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ
عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء].

اللَّهُ أَكْبَرُ! أَيُّ وَعِيدٍ وَتَهْدِيدٍ أَبْلَغُ وَأَزْجَرُ مِنْ هَذَا؟! وَيَقُولُ ﷺ:
«مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا تَوَجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ
أَرْبَعِينَ عَامًا» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١).

وَهَلْ يَعْنِي الْوَلَاءُ وَالْبِرَاءُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - اتِّخَاذَ الْمُسْتَأْمِنِينَ
وَالْمُعَاهِدِينَ وَالذَّمِيِّينَ غَرَضًا لِلْقَتْلِ وَالتَّرْوِيعِ وَسَفْكِ الدَّمَاءِ؟! يَقُولُ
- جَلَّ شَأْنُهُ -: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا

(١) برقم (٣١٦٦) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما.

هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴿ [المائدة: ٨]، وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ
الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿ [المتحنة]، وَالآيَةُ مُحْكَمَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ عَلَى
الصَّحِيحِ، وَهِيَ دَلِيلٌ عَلَى سَمَاحَةِ الْإِسْلَامِ وَاعْتِدَالِهِ وَيُسْرِهِ.

وَيَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «فَكُلُّ مَسْأَلَةٍ خَرَجَتْ عَنِ
الْعَدْلِ إِلَى الْجَوْرِ، وَعَنِ الرَّحْمَةِ إِلَى ضِدِّهَا، وَعَنِ الْمَصْلَحَةِ إِلَى
الْمُفْسَدَةِ، وَعَنِ الْحِكْمَةِ إِلَى الْعَبَثِ، فَلَيْسَتْ مِنَ الشَّرِيعَةِ، وَإِنْ أُدْخِلَتْ
فِيهَا بِالتَّأْوِيلِ، فَالشَّرِيعَةُ عَدْلٌ لِلَّهِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَرَحْمَةٌ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَظِلُّهُ
فِي أَرْضِهِ، وَحِكْمَتُهُ الدَّالَّةُ عَلَيْهِ وَعَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ ﷺ أَمَّ دَلَالَةَ
وَأَصْدَقَهَا»^(١)، مَا أَجْمَعَهَا مِنْ كَلِمَاتٍ شَافِيَاتٍ!

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ: إِنَّ قَضِيَّةَ التَّكْفِيرِ - النَّاجِمَةَ عَنِ انْحِرَافِ وَغُلُوِّ،
وَجَهْلِ مُرَكَّبٍ فِي فَهْمِ مَسَائِلِ مِنَ الدِّينِ، كَالْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ، وَالْجِهَادِ
وَالْحُدُودِ وَالِدَّمَاءِ - بَلَغَتْ حَدًّا يُوجِبُ التَّصَدِّي لَهَا بِالِاسْتِكْنَاهِ^(٢)

(١) يُنظَرُ: «إِعْلَامُ الْمُوقِنِينَ» (٣/٣).

(٢) الْإِسْتِكْنَاهُ: مَعْرِفَةُ الْأَصْلِ وَالْجَوْهَرِ، يُقَالُ: اِكْتَنَهْتُ الْأَمْرَ، إِذَا بَلَغْتَ كُنْهَهُ، وَالْكُنْهُ:

جَوْهَرُ الشَّيْءِ وَحَقِيقَتُهُ. وَالرُّمَادُ: مَعْرِفَةُ حَقِيقَتِهَا وَأَصْلِهَا. يُنظَرُ: «اللِّسَانُ» (كُنْه).

والحسَم، وَحِرَاسَةِ الشَّبَابِ الغَضِّ مِنَ الهَوِيِّ فِي عَيْنِهَا الحِمْمَةُ^(١).
 وَعَلَى وَسَائِلِ الإِعْلَامِ المَرِيئَةِ وَالْمَسْمُوعَةِ وَالْمَقْرُوعَةِ، وَالْعُلَمَاءِ
 وَالخُطَبَاءِ، وَالِدُّعَاةِ وَرِجَالِ الحِسْبَةِ، أَنْ يَرِبَطُوا المُسْلِمِينَ وَفِتْيَانَ
 الإِسْلَامِ، بِمَنْهَاجِ الوَسْطِيَّةِ السَّلَفِيَّةِ المُعْتَدِلَةِ، الَّتِي جَاءَتْ بِهَا شِرْعَةُ
 الإِسْلَامِ، وَتَمَثَّلَتْهَا دِيَارُ التَّوْحِيدِ، فَكَانَ أَنْ سَطَعَ بِأَسَاطِينِ قِيَادَتِهَا نُورُ
 الإِيْمَانِ، وَعَمَّ الأَمْنُ وَالْأَمَانُ، وَغَدَتْ تُغْرًا بَاسِمًا فِي وَجْهِ الزَّمَانِ، فَضَلًّا
 مِنَ اللّٰهِ وَمَنَا، لَا بِاِحْتِسَابٍ مِنَّا: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ
 رَبِّهِ﴾ [الأعراف: ٥٨].

أُمَّة الدَّعْوَةِ وَالِإِصْلَاحِ: وَمِنَ القَضَايَا الَّتِي يَجِبُ أَنْ نَتَوَاصَى بِهَا
 - فِي شَرَفِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَنُحَدِّدُ أَصُولَهَا وَضَوَابِطَهَا، وَنَتَّخِذُهَا
 عُنْوَانَ حِرْصٍ لِلتَّرَابِطِ، وَتَجَاوُزِ العُقَبَاتِ وَالصَّعَابِ - الدَّعْوَةُ
 لِلِإِصْلَاحِ، الَّذِي هُوَ وَجْهُ مِنْ وَجُوهِ حِكْمَةِ بَعْثِ الأنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قَالَ - تَعَالَى - عَلَى لِسَانِ هُودٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿إِنْ

(١) يُقال: عين حمئة، أي: كثرت فيها الحمأة، والحمأة هي: الطين الأسود المتنن. يُنظر:
 «مفردات ألفاظ القرآن»، و«اللسان» (حمأ).

أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ
﴿٨٨﴾ [هود].

وَالَّذِينَ يَتَوَجَّهُونَ شَطْرَ الْإِصْلَاحِ الْمُعْتَبِرِ، وَيَحْمِلُونَ لِيَؤَاءَهُ،
هُم رِجَالٌ بَرَّةٌ بِالْأُمَّةِ، يُسَلِّمُونَهَا إِلَى سَاحَاتِ الْخَيْرِ وَالْقُوَّةِ،
وَلَا يَقُودُ هَذِهِ الرِّكَابَ إِلَّا كَبِيرُ الْهِمَّةِ، مَضَاءُ الْعَزِيمَةِ.
وَسَيَكُونُ الْإِصْلَاحُ مَغْنَمًا، إِذَا انْطَلَقْنَا فِيهِ مِنْ إِصْلَاحِ النَّفْسِ،
وَالنَّظَرِ فِي عُيُوبِهَا وَتَهْدِيئِهَا، وَأَطْرَافِهَا عَلَى سُنَنِ الْهُدَى، وَأَتَّبَعْنَا ذَلِكَ
بِإِصْلَاحِ الْبَيْتِ وَلِبْنَاتِهِ؛ لِأَنَّهُ نَوَآةُ الْمُجْتَمَعِ.

وَسَيَكُونُ الْإِصْلَاحُ لِلْعُلَيَاءِ مِرْقَاةً، إِذَا بَسَطْنَا ظِلَالَهُ عَلَى الْأُمَّةِ، بِمَا
تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ وَالْمَصْلَحَةُ، مِنْ التَّدْرُجِ وَالرَّفْقِ وَالْأَنَاءَةِ.
وَلَمَّا كَانَتْ الْأَهْوَاءُ تَجْمَعُ، وَالْمَدَارِكُ تَخْتَلِفُ وَتَتَفَاوَتُ، كَانَ لِرِزَامًا
اعْتِبَارُ صِلَاحِ الْمُصْلِحِ، وَصَفَاءِ مَنْهَجِهِ، وَاسْتِقَامَةِ آرَائِهِ؛ إِذْ لَا يَشْفَعُ فِي
هَذِهِ الْأَمَانَةِ الْجُلَى، سَلَامَةُ النِّيَّةِ وَحُبُّ الْخَيْرِ. عَلَى أَنَّهُمَا مُحَمَّدَتَانِ - مَعَ
ضِحَالَةِ الْعِلْمِ، وَقُصُورِ التَّرْجِيحِ بَيْنَ الْمَفَاسِدِ وَالْمَصَالِحِ، وَالثَّوَابِ
وَالْمَتَغَيَّرَاتِ.

وَبِهَذَا تَتَمَّتْ أَكْثَامُ الْإِصْلَاحِ عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ - سُبْحَانَهُ :-

﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفْلُونَ ﴾ (١٣١)
 [الأنعام]، وَيُؤَكِّدُ عَلَى التَّحذِيرِ مِنَ الْجَانِبِ الْمَزْعُومِ لِلِإِصْلَاحِ، الَّذِي
 كَشَفَهُ لَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ غَايَةَ الْكُشْفِ، وَهُوَ جَانِبُ الْمُنَافِقِينَ، فِي قَوْلِهِ -
 تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ

﴿ ١١ ﴾ [البقرة].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ الْخَيْرَةَ - أَيُّهَا الْوُفُودُ الْمُبَارَكَةُ: تَعِيشُونَ هَذَا
 الْيَوْمَ، وَعَلَى ثَرَى الْبَلَدِ الْأَمِينِ الْأَفِيحِ ^(١)، سُرُورِ الْعِيدِ، وَأُنْسِ التَّعَارُفِ
 وَالتَّالْفِ، وَتَنْعَمُونَ بِنَسَائِمِ الرَّحْمَةِ، وَالْأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْحَانِيَّةِ، فِي
 هَذِهِ الْمَوَاقِبِ الْمَهِيبةِ الْفَرِيدَةِ، وَلَكِنَّا نَقُولُ فِي غَمْرَةِ الْأَسَى: إِنَّ
 أُمَّتَنَا الْإِسْلَامِيَّةَ لَا تَزَالُ تَتَجَرَّعُ الْمَاسِيَّ وَالْحَسْرَاتِ، وَتَتَلَقَّى الْوَيْلَاتِ
 وَالنَّكَبَاتِ، الْقَوَارِعُ تَنْوُشُهَا مِنْ كُلِّ حَدْبٍ وَصَوْبٍ، وَالْحُطُوبُ تُوْمُّهَا
 مِنْ كُلِّ مَضِيقٍ وَطَرِيقٍ، تَبَدَّدَتْ قُورَاهَا، وَأَنْفَصَمَتْ عُرَاهَا، وَحَيْثَمَا
 أَجَلَّتِ النَّظْرَ، أَدَمَّتْ عَيْنَيْكَ وَقَلْبَكَ، الْأَشْلَاءُ وَالِدِّمَاءُ، وَاعْتِصَابُ
 الْأَرْضِ وَالْعِرْضِ!

(١) سبق بيان معناها (ص ٢٩).

وَالْعَدُوُّ الْمُتْرَبِّصُ يَجِدُ فِي خَنْقِ أَنْفَاسِهَا، وَتَجَاهِلِ قَضَايَاهَا،
وَلَا مُخْلَصَ لَهَا مِنْ هَذَا الْهَوَانِ، إِلَّا الْإِعْتِصَامُ بِكِتَابِ رَبِّنَا، وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنْ تَتَنَادَى وَتَتَوَاصَى بِالْوَحْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَسِيكَةِ، عَلَى مَرِّ
الْفُرْصِ وَالْمُنَاسَبَاتِ، وَأَنْ لَا تَرْبِطَ وَلَا تَلْءَأْءِهَا وَتَوَجُّهَاتِهَا إِلَّا بِعَقِيدَتِهَا
وَدِينِهَا وَثَوَابِتِهَا: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾
[آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران].

وَفِي هَذَا الْمَوْسِمِ الْكَرِيمِ: مُلْتَقَى الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ
أَطْرَافِ الْبِقَاعِ وَالْأَصْقَاعِ، يَجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ أَنْ يَمْتَدَّ بَصَرُهَا؛ لِتَعْيِي
جَيْدًا مَوْقِعَهَا مِنْ رِكَابِ الْعَلْيَاءِ وَالْقِيَادَةِ، وَلِتَعْلَمَ أَنَّ مَسْئُولِيَّاتِ جِسَامًا
تَنْتَظِرُهَا، كِفَاؤُهَا الصَّبْرُ وَالْعِزَّةُ، فِي ابْتِدَارِ الْأَسْبَابِ النَّصْرِ، وَوَسَائِلِ
الظَّفْرِ، مَهْمَا كَانَتْ قُوَّةُ الْعَدُوِّ قَاهِرَةً. ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا أَوْهَمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ [النور] ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ
نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا: إِنَّهُ لَا سَبِيلَ
لِلْغَايَةِ الْمُنْشُودَةِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْعِزَّةِ وَالْوَحْدَةِ، وَحِمَايَةِ الدِّيَارِ وَالذَّمَارِ^(١)،
وَدَحْرِ الْمُعْتَدِينَ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ مُسْلِمَةٍ، إِلَّا بِالْأُوبَةِ الصَّادِقَةِ، الْعَمَلِيَّةِ
الْحَازِمَةِ، إِلَى الْوَحْيَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَاتَّخِذُوهمَا شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَدُسْتُورَ
حَيَاةٍ، دُونَ انْحِرَافٍ عَنِ ذَلِكَ قِيدِ مِيلٍ.

وَإِنَّا فِي حَاجَةٍ مَلْحَاحٍ إِلَى أَنْ نَتَمَثَّلَ ذَلِكَ: خِفَافًا وَثِقَالًا، زَرَافَاتٍ
وَوِحْدَانًا، كُلُّ بِحَسَبِ ثَغْرِهِ مِنَ الْأَمَانَةِ وَالْمَسْئُورِيَّةِ، عَلَى كُلِّ صَعِيدٍ:
سِيَاسِيًّا، وَثِقَافِيًّا، وَاقْتِصَادِيًّا، وَاجْتِمَاعِيًّا. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ

حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ

الْحَمْدُ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: وَمِنَ الْقَضَايَا الَّتِي أَشْخَصَتِ الْأَبْصَارَ، وَمَزَّقَتِ
الْأَكْبَادَ، وَأَذَاقَتِ الْغُيُورَ وَسِوَاهُ، اللَّوْعَةَ وَالسُّهَادَ، قَضِيَّةَ فِلَسْطِينَ

(١) الذَّمَارُ: الحرم والأهل، وقيل: ذمار الرجل هو كل ما يلزمه حفظه وحياطته
وحمایته والدفع عنه، وإذا ضيعه لزمه اللوم. يُنظر: «اللسان» (ذمر).

المُحْتَلَّةِ السَّلِيْبَةِ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الْمَعْنَى.

فِلِسْطِينَ تُسَامُ الدُّونَ^(١)، وَتُقَاسِي مَرَائِرَ الْعُدْوَانِ وَالْهُونَ، لَيْتَ
شِعْرِي كَيْفَ تَطِيبُ الْأَيَّامَ وَأَرْضُنَا الْمُقَدَّسَةَ مَسْرَى إِمَامِ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي قَبْضَةِ الشَّرْذِمَةِ الْيَهُودِ؟ يُلَطِّخُونَهَا بِأَرْجَاسِهِمْ
وَأَنْجَاسِهِمْ، وَيُبْتِنُونَ فِيهَا أَقْدَامَهُمْ، وَيَحْشُدُونَ قُورَاهُمْ، وَيَضَاعِفُونَ
خِطَطَهُمْ وَمَارِبَهُمْ عَبْرَ التَّوَسُّعَاتِ الْجُغْرَافِيَّةِ، وَالْجِدَارِ الْفَاصِلِ
الْعُنْصُرِيِّ بِأَخْرَةٍ، عَلَى سَمْعٍ مِنَ الْعَالَمِ وَمَرَاهٍ، بَلْ يَسُومُونَ إِخْوَانَنَا
الْقَصْفَ وَالْخَسْفَ، وَالتَّدْمِيرَ وَالتَّشْرِيدَ وَالْإِزْهَابَ، بِكُلِّ مَا يَحْمِلُ هَذَا
الْمُصْطَلَحَ - الْمُتْلَاعَبُ بِهِ - مِنْ مَعَانِي الْغِلْظَةِ وَالْقَسْوَةِ وَالْعُنْجُهِيَّةِ^(٢) !!!
وَالْأَلِيَّةُ^(٣) بِفَاطِرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ! لَا حِنْثَ يَعْرِوْهَا، لَوْ أَنَّ
الْإِزْهَابَ وَالظُّلْمَ، وَالصَّلْفَ^(٤) وَالْقِحَّةَ^(٥)، صُوِّرَتْ مَخْلُوقَةً لَمَا

(١) الدُّون: الحِصَّة. يُنظر: «اللسان» (دناً).

(٢) الْعُنْجُهِيَّةُ: الكبر. يُنظر: «اللسان» (عجه).

(٣) الْأَلِيَّةُ: اليمين والحلف، وجمعها: ألياء، يُقال: آلى يُؤلي إيلاءً، إذا حلف. يُنظر:
«الصحاح» (ألاً).

(٤) سبق بيان معناها (ص ٢٠٨).

(٥) سبق بيان معناها (ص ٤٧٩).

تَخَطَّتْ تِلْكَ الطُّغْمَةَ مِنَ الصَّهَابِينَةِ !!!

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ

الْحَمْدُ.

وَتَسْتَحْكِمُ بِنَا حَلَقَاتُ الْمِحْنِ، وَيَبْسُطُ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ أَيْدِيَهُمْ
بِالسُّوءِ، وَتَضِيعُ بِلَادُ الرَّافِدِينَ، مَهْدُ الْعُلَمَاءِ، وَمَوْئِلُ الْخِلَافَةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْخُلَفَاءِ حِقْبَةً مِنَ الزَّمَانِ. وَتُنْتَزَعُ تِلْكَ الرُّقْعَةُ الْهَضِيمَةُ،
بِدَعْوَى: السَّلَامِ، وَتَحْرِيرِ الشُّعُوبِ مِنَ الْإِسْتِعْبَادِ وَالتَّسْلُطِ، حَتَّى
أَمْسَى الْعِمَارُ فِيهَا دَمَارًا وَتَبَارًا، وَأَسْرَعَ الْغَاصِبُ إِلَى خَيْرِهَا وَتَبَارَى،
وَعَدَا الْإِسْتِقْرَارُ فَوْضَى وَتَنَارَعَا وَبَوَارًا، وَإِلَى اللَّهِ بَشْنَا وَشَكُوَانَا !!!

فِيَا مَنْ تَشْهَدُونَ هَذِهِ الْعِبَادَةَ الْعَظِيمَةَ، وَيَا مَنْ تَتَّصِعِدُ مِنْ أَحْنَائِكُمْ
الزَّفَرَاتُ، وَتَلْجُونَ إِلَى الرَّحْمَنِ بِأَحْرِّ الدَّعَوَاتِ، وَالْعَبْرَاتِ الذَّارِفَاتِ،
اذْكُرُوا إِخْوَانَكُمْ الْمُفْرِّعِينَ وَالْمُلْتَاعِينَ فِي الْعِرَاقِ، وَفِي فِلِسْطِينَ، وَفِي
كُلِّ مَكَانٍ جَمَعَ الْمُسْلِمِينَ، اذْعُوا اللَّهَ أَنْ يَكْشِفَ غُمُومَهُمْ وَهُمُومَهُمْ،
وَأَنْ يَنْصُرَهُمْ عَلَى الْبُغَاةِ الْمُعْتَدِينَ، ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَى بَأْسَ الَّذِينَ

كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴾ [النساء].

وَبِهَذِهِ الْمَكَائِدِ الزُّيُوفِ، بَرَحَ الْخَفَاءِ، وَبَانَتِ الدَّعَاوَى الْجَوْفَاءُ،

وَأَيُّقِنَا أَنَّ الْهَيْئَاتِ الْعَالَمِيَّةَ، الَّتِي تَتَعَلَّلُ بِالْعُلَّالَاتِ الْوَاهِيَةِ، لَنْ تَجْمَعَ
 مُتَفَرِّقًا، وَلَنْ تَزْجُرَ عَادِيًّا؛ وَأَنَّ الْمَجَالِسَ الدُّوَلِيَّةَ الَّتِي تُمَاطِلُ قَضَايَانَا
 لَنْ تُؤَمِّنَ خَائِفًا، وَلَنْ تَنْصُرَ مَظْلُومًا، وَلَنْ يَصْلِحَ حَالُنَا إِلَّا بِاتِّحَادِنَا
 وَتَأَلُّفِنَا، وَتَوْجُّهِنَا شَطْرَ كِتَابِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَعَدَاةِ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 مِنْكُمْ وَعَكِلُوا الصَّلِيحَاتِ لَيْسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ
 بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴿ [النور: ٥٥].

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ

الْحَمْدُ.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَنْ يُبَيِّئَ
 لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ رَشَدًا بِمَنْهٍ وَكَرَمِهِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ
 الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ، وَلِلْمُسْلِمِينَ كَافَّةً مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ
 وَتُوبُوا إِلَيْهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ.

الخطبة الثانية:

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ،
اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ السَّلَامِ، أَكْمَلَ لَنَا الدِّينَ وَأَتَمَّ الْإِنْعَامَ،
وَجَعَلَ الْحَجَّ خَاتِمَ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، شَرَعَ لَنَا خَيْرَ مِلَّةٍ، وَأَحْكَمَ الْأَحْكَامِ، وَأَنْزَلَ كِتَابًا بَيْنَ الْآيَاتِ،
بَدِيعِ النَّظَامِ، وَأُصَلِّيَ وَأُسَلِّمُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ أَرْكَى الْأَنْامِ، انْجَابَتْ بِنُورِ
رِسَالَتِهِ حَنَادِسُ^(١) الظَّلَامِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، الْهُدَاةَ الْأَعْلَامِ،
فُرْسَانَ الْوَعْيِ^(٢)، وَكُيُوثَ الْأَجَامِ^(٣)، وَمَنْ تَبَعَ آثَارَهُمْ بِالْحَقِّ وَاسْتَقَامَ،
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ التَّقْوَى

(١) سبق بيان معناها (ص ١٥٠).

(٢) الْوَعْيُ: الصوت والجلبة، ومنه قيل للحرب: وَعَى. يُنْظَرُ: «الصحاح» (وغي).

(٣) الْأَجَامُ: جمع أجمة، وهي: الشجر الملتف. يُنْظَرُ: «اللسان» (أجم).

سَبَبُ الْقَبُولِ، وَخَيْرُ مَطِيَّةٍ لِتَحْقِيقِ الْخَيْرِ الْمَأْمُولِ ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ
مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: أَيُّهَا الْمُسَبِّحُونَ الْحَامِدُونَ، وَالشَّاكِرُونَ
الذَّاكِرُونَ، وَالْمُتَلَبِّونَ وَالْمُهَلَّلُونَ، وَالِدَّاعُونَ وَالرَّاجُونَ: إِنَّ مِنْ
مَقَاصِدِ الْإِسْلَامِ السَّامِيَةِ: تَهْدِيبَ النُّفُوسِ مِنَ الشُّحِّ وَالْأَثَرَةِ،
وَالْإِحْسَانَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَالْمَلْهُوفِينَ وَالْمَنْكُوبِينَ، يَقُولُ
- جَلَّ وَعَلَا -: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٧٥]،
﴿ وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُقَدَّرُونَ ﴾ [التغابن: ١٦]، يَقُولُ ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ
اللَّهُ» (١).

وَهَذِهِ السَّجِيَّةُ - الْمُتَّبِعَةُ مِنْ سَهَاةِ الْإِسْلَامِ وَجَوْهَرِهِ - تَأْسُو (٢)
الْجِرَاحَ، وَتُدَاوِي الْكُلُومَ، وَتُخَفِّفُ الْبَأْسَاءَ، وَلَا غِنَى لِأَيِّ جُمُوعٍ عَنْهَا
يَنْشُدُ الْمَحَبَّةَ وَالْوَثَامَ؛ لِمَا فِي طَيَّابَتِهَا - بِإِذْنِ اللَّهِ - مِنَ الضَّمَانَةِ لِلْسَعَادَةِ

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٩) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) تَأْسُو: تداوي. يُنظَرُ: «اللسان» (أسا).

وَالطَّمَأْنِينَةَ، وَمَرَضَةَ اللَّهِ وَنَصْرَهُ. وَلَنْ يَتَنَكَّرَ لِذَوِي الْحَاجَاتِ
وَالْعَاهَاتِ وَالْفَاقَاتِ، وَالزَّمْنَى وَالْمُعْوزِينَ، إِلَّا غِلَاطَ الْأَكْبَادِ،
وَقُسَاةَ الْقُلُوبِ - عِيَاذًا بِاللَّهِ - وَشَرِيْعَتُنَا الرَّحِيمَةَ، حَدَّرَتْ مِنْ ذَلِكَ أَيَّامًا
تَحْذِيرًا.

إِنَّ الْأَعْمَالَ الْخَيْرِيَّةَ وَالْإِغَائِيَّةَ بِصُنُوفِهَا الْمُتَعَدِّدَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ، جُزْءٌ
لَا يَتَجَزَأُ مِنْ وَحْدَةِ بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَمَنْظُومَتِهَا الْإِقْتِصَادِيَّةِ،
وَمَا هِيَ إِلَّا شُكْرٌ لِلْمُنْعَمِ عَلَى إِنْعَامِهِ، وَآيَةٌ سَاطِعَةٌ عَنْ كَرَمِ أَهْلِهَا،
وَزَكَاءِ أَرْوَمَتِهِمْ^(١)، وَمَحَبَّتِهِمْ لِلْخَيْرِ وَتَفَانِيهِمْ فِيهِ، بِحَمْدِ اللَّهِ.

وَلَنْ يَقْبِضَ أَيْدِينَا عَنْ إِسْدَاءِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَبَذْلِ النَّدَى
وَالْمَعْرُوفِ، وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ وَلَوْ فِي أَقَاصِي الْمَعْمُورَةِ - كَمَا هُوَ وَاقِعٌ
فِي الْحَالِ - تَحْذِيلَ الشَّانِئِينَ، وَمُحْتَرَفُوِ الْإِسَاءَةِ لِلْخَيْرِينَ الْبُرَّاءِ.

وَذُو الْفَضْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ قَدْحٍ وَإِنْ غَدَا أَقْوَمٌ مِنْ قِدْحٍ^(٢)

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَرْتَلُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ

وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ [الفلم].

(١) الأرومة: أصل كل شيء ومجتمعه. يُنظر: «اللسان» (أرم).

(٢) البيت لأبي الفضل الميكالي. يُنظر: «يتيمة الدهر» (٤/٤٤٠).

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ

الْحَمْدُ.

وَالْقَوْلُ مَوْصُولٌ بِالْحَدِيثِ عَنِ مَنَاهِجِنَا مَبَاهِجِنَا، الَّتِي تُمَثِّلُ
مَحْوَرَ الثَّمَرَةِ التَّعْلِيمِيَّةِ، وَفِي ضَوْئِهَا تَتَكَوَّنُ مَدَارِكُ الْأَجْيَالِ
وَأَنْجَاهَاتِهِمْ، وَبِهَا تَتَعَلَّقُ الْأَمَالُ فِي الْإِصْلَاحِ الْفِكْرِيِّ وَالْعَقْدِيِّ
وَالْإِجْتِمَاعِيِّ، وَهِيَ - وَلَا رَيْبَ - مِنْ الْمِقْدَارِ بِمَكَانٍ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى
رُقِيِّ الْأُمَّةِ أَوْ انْحِدَارِهَا. وَلَعِنَ حَدَقْنَا فِي مَضَامِينِ تِلْكَ الْمَنَاهِجِ
وَمَعَانِيهَا، وَحَلَقْنَا فَوْقَ مُفْرَدَاتِهَا وَمَبَانِيهَا، أَلْفِينَاهَا - بِحَمْدِ اللَّهِ وَمَنْهٍ -
قَائِمَةً عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مُسْتَوْحَاةً مِنْ هَدْيِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ، مُوَاجِبَةً
لِتَمَدُّنِ الْعَصْرِ وَتَطَوُّرِهِ، فِي غَيْرِ تَبَعِيَّةٍ أَوْ ذَيْلِيَّةٍ، نَقْتَسِبُ مِنْ عُلُومِ
الْحَضَارَةِ مَا تُؤَيِّدُهُ شَرِيعَتُنَا، وَنُنَبِّذُ مَا سِوَاهُ.

وَأَمَّا الْإِفْتِرَاءَاتُ الَّتِي أُلْحِقْتُ بِهَا، وَحَامَتُ حَوْلَهَا، فَهِيَ أَوْهَى
مِنْ أَنْ تُتَعَقَّبَ أَوْ تُنْقَضَ! وَتَحْوِيرُ الْمَنَاهِجِ وَتَنْفِيحُهَا، مِمَّا يَقْتَضِيهِ تَوَثُّبُ
الْعَصْرِ وَرُقِيِّهِ، دَرَجَتْ عَلَى ذَلِكَ الْأُمَّةُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَلَسْنَا بِدَعَا فِي
هَذَا الْمُرْتَقَى.

وَلْتَقَرَّ عُيُونُ الَّذِينَ يَدُوكُونَ وَيُحْوِضُونَ فِيهَا بِعِلْمٍ - أَوْ بِغَيْرِ عِلْمٍ -
أَنَّهَا بَأَيْدِ أَمِينَةٍ، مُخْلِصَةٍ لِدِينِهَا وَأُمَّتِهَا.

وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ، الْإِيصَاءُ بِالْحِرْصِ عَلَى تَأْهِيلِ الْمُعَلِّمِينَ
وَالْمُعَلِّمَاتِ، الَّذِينَ يَتَحَمَّلُونَ أَمَانَةَ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ، بِأَنْ يَكُونُوا قُدْوَةً
لِطُلَّابِهِمْ قَوْلًا وَعَمَلًا، دَاخِلَ حُصُونِ التَّعْلِيمِ وَخَارِجَهَا، وَأَنْ يُتَحَرَّى
مِنْهُمْ مَنْ كَانَ عَلَى حَظٍّ مِنَ الدِّينِ وَالنُّصْحِ الْعَقْلِيِّ، وَالْجَانِبِ الْخُلُقِيِّ.
اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ
الْحَمْدُ.

عِبَادَ اللَّهِ: وَمِنَ الْمَنَافِعِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ نَشْهَدَهَا فِي هَذَا الْمُؤْتَمَرِ
الرَّبَّانِيِّ: ضَرُورَةُ الْعِنَايَةِ بِالسَّبَابِ، مَنَاطِ أَمَالِ الْأُمَّةِ، وَمَعْقِدِ
رَجَائِهَا: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (١٣) ﴿[الكهف]؛
لِأَنَّ إِعْقَالَ قَضَايَا هَذِهِ الشَّرِيحَةِ الْمُهِمَّةِ مِنَ الْأُمَّةِ، وَالتَّجَافِي عَنِ
مُحَاوَرَتِهِمْ، وَتَوَجُّهِهِمْ، وَإِرْجَاءِ الْحُلُولِ لِمُشْكَلاتِهِمْ، قَدْ يُؤَدِّي بِهِمْ إِلَى
فَسَادِ عَرِيضٍ، وَتَحْبُّطِ ذَرِيْعٍ، وَمَا فَوَاجِعُنَا الَّتِي كَابَدْنَاهَا، مِنَّا بَبَعِيدٍ؛ لِذَا،
فَإِنَّ الْحَاجَةَ مُلِحَّةً لِأَخْذِهِمْ بِحِكْمَةِ الْعَاقِلِ الْأَحْوَذِيِّ (١)، وَاسْتِخْدَامِ
أَمْثَلِ الْأَسَالِبِ الَّتِي تَلَامِسُ أَفْئِدَتَهُمْ، وَتُؤَافِقُ فِطْرَهُمْ؛ لِثُبُوبِ بِهِمْ إِلَى

(١) الأحوذوي: لها عدة معان، منها: المشمّر في الأمور، القاهر لها، الذي لا يشذ عليه
منها شيء. يُنظر: «اللسان» (حوذ).

رَحَابِ الْجِيلِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَأْمُولِ - بِإِذْنِ اللَّهِ - وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَكُونُ مِنْ
أَوْلَوِيَّاتِ حِوَارِنَا الدَّاخِلِيَّةِ، الَّذِي نَفَحْنَا عَبَقَ أَرْبِجِهِ، وَقَامَ دَاعِيًا إِلَى مَنْهَجِ
الْوَسْطِيَّةِ وَالْإِعْتِدَالِ، وَالْمُطَارَحَاتِ الشَّفِيفَةِ فِي الْأَرَاءِ، دُونَ مُوَارَبَةٍ^(١)
أَوْ إِغْضَاءِ.

وَإِنَّهُ - شَهَادَةٌ مُحِبٌّ مُنْصِفٍ - لِيُحْسَبَ لَنَا وَلِلْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَثَبَّةٌ
فِكْرِيَّةٌ وَحَضَارِيَّةٌ تَحْكُمُ نَسِيجَ الْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَتَعْضُدُ مِنْ وَحْدَتِهَا
وَتَأَلِّفُهَا، وَمَرْقَبَةٌ شَمَاءٌ^(٢) تَسْتَطْلِعُ فِي شُمُوحِ آيَاتِ التَّحَدِّيِّ دَاخِلِيًّا
وَخَارِجِيًّا فِي هَذَا الْعَصْرِ، سَدَّدَ اللَّهُ الْخُطَى، وَمَنَى^(٣) التَّوْفِيقَ.

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ: وَلِوَسَائِلِ الْإِعْلَامِ - النَّزِيهَةِ الْمُنْصِفَةِ، مِنْ قَنَوَاتِ
وَشَبَكَاتِ، وَصُحُفٍ - عَبءٌ ثَقِيلٌ فِي بَيَانِ وَبَسْطِ قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ،
وَالسَّعْيِ لِلدَّفَاعِ عَنْهَا وَحَلِّهَا، مَعَ كَشْفِ هَجَمَاتِ الْأَعْدَاءِ الْمَسْعُورَةِ،
وَفَضْحِ أَخْبَارِهِمْ، وَهَتِكِ أَسْتَارِهِمْ.

كَمَا نُهِيبُ بِهِمْ، أَنْ يُضَاعِفُوا فِي نَفْسِ الْآنِ، الْعِنَايَةَ بِشُؤْنِ إِخْوَانِنَا

(١) الْمُوَارَبَةُ: مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْإِرْبِ، وَهُوَ الدِّهَاءُ وَالْمُرَاوَعَةُ. يُنْظَرُ: «اللسان» (ورب).

(٢) سَبَقَ بَيَانُ مَعْنَاهَا (ص ١٣٣).

(٣) مَنَى: قَدَّرَ وَقَضَى. يُنْظَرُ: «اللسان» (مَنَى).

الْأَقْلِيَّاتِ الْمُسْلِمَةِ؛ تَشِيئًا لِأَنْفُسِهِمْ، وَشَدًّا لِأَزْرِهِمْ.

أَمَّا بَعْضُ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ، وَالْقَنَوَاتِ الْفَضَائِيَّةِ الْمُتَهْتِكَةِ،
الَّتِي تُثِيرُ غَارَاتِ شِعْوَاءِ، مِنْ الشَّهَوَاتِ، وَالْمَلَذَّاتِ، وَالْمَحَازِي، الَّتِي
تُضْرِمُ نِيرَانَ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ، وَتُنزِلُ مَعَاقِلَ الطُّهْرِ وَالْفَضِيلَةِ مِنْ
أَسَاسِهَا فِي دِيَارِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّا نُنَاشِدُهُمُ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - أَمَامَ
الْأَشْهَادِ، أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِي بُيُوتِ الْمُسْلِمِينَ، وَالشَّرَفِ وَالنُّبْلِ،
وَنُنَادِيهِمْ: يَا بُعَاةَ الشَّرِّ أَقْصِرُوا أَقْصِرُوا، وَأَبْقُوا عَلَى لُعَاعَةِ^(١) مِنْ
حَيَاءِ لِبْنِي الْإِسْلَامِ!!

عِبَادَ اللَّهِ - إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ -: إِنَّ اسْتِحْوَاذَ الرَّذِيلَةِ
عَلَى جَانِبٍ مِنْ حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ عَبَّرَتْكَ الْقَنَوَاتِ، يُعَرِّضُهُمْ
- وَلَا شَكَّ - لِأَخْطَرِ الْمَهَالِكِ، وَيُفْضِي بِهِمْ إِلَى الظُّلُمَاتِ السَّحِيقَةِ،
خُصُوصًا وَأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْقُلُوبِ، خَاوِيَةٌ مِنَ الْيَقِينِ وَالْخَشْيَةِ، الَّذِينَ
يَعْصِمَانِ مِنْ تِلْكَ الْقَبِيحَاتِ الْوَبِيئَةِ.

وَأَيْمُ اللَّهِ! إِنَّكَ لَتَقْضِي أَسَى وَحَسْرَةً، عَلَى الْأَحْوَالِ الْمُزْرِيَةِ

(١) يُقَالُ: مَا بَقِيَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لُعَاعَةٌ، أَي: بَقِيَّةُ سِيرَةٍ. يُنْظَرُ: «اللسان» (لعم).

الْمُسْفَةَ^(١) الَّتِي آلَ إِلَيْهَا أَمْرٌ كَثِيرٌ مِنَ الْفَضَائِلَاتِ، مِنَ الدَّعْوَةِ الصَّارِحَةِ إِلَى الْفُحْشِ وَالْخَنَا، فِي مَحْطِيمٍ أَرَعَنِ لِلشَّرَفِ وَالْعِفَّةِ وَالْأَخْلَاقِ. وَإِنَّ هَذَا الْوَاقِعَ الْمَأْسُومِي الْمَرِيرَ، لَمِنْ أَمْضَى الْأَسْلِحَةِ الَّتِي انْتَضَاهَا^(٢) أَعْدَاؤُنَا، وَبَعْضُ مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا؛ لِلْقَضَاءِ عَلَى مَا تَبَقَّى مِنْ شَأْفَتِنَا^(٣)، وَالْمَقَامِ يَجِلُّ بِنَا عَنِ ذِكْرِ تِلْكَ الْأَقْدَارِ! وَحَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَاعَةٍ.

فِيَا إِخْوَتِي مَاذَا دَهَانَا؟! وَأَيُّ أَمْرٍ أَمَرَ عَرَانَا؟! أَيْنَ ضِيَاءُ الطُّهْرِ؟!
 أَيْنَ عِزَّةُ الْغَيْرَةِ؟! بَلْ أَيْنَ صَلَابَةُ الْإِيمَانِ؟! يَقُولُ الْحَقُّ - جَلَّ فِي عُلَاهُ -:
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور]، وَيَقُولُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء].

(١) سبق بيان معناها (ص ٨٧).

(٢) انْتَضَاهَا: أخرجها. يُنْظَرُ: «اللسان» (نضا).

(٣) سبق بيان معناها (ص ٩٠).

فِيَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - صُونُوا
أَبْصَارَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ وَعَشَائِرَكُمْ، عَنْ تِلْكَ الْمَبَاءِاتِ،
وَاحْسِمُوا هَذَا الدَّاءَ قَبْلَ اسْتِطَارَةِ شَرِّهِ، فَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصَغَرِ
الشَّرِّ، وَمَا شَرُّهَا إِلَّا كَبِيرٌ.

وَاعْلَمُوا، أَنَّ لَكُمْ فِي الْإِعْلَامِ الْإِسْلَامِيِّ الْهَادِفِ الرَّصِينِ، خَيْرَ
سَمِيرٍ وَبَدِيلٍ، وَبِالْمَجْدِ أَطْلَلْنَا - بِحَمْدِ اللَّهِ - عَلَى ذُرَى الْمَجْدِ.
اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ
الْحَمْدُ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: شَرِيعَتُنَا الْغَرَاءُ، كَانَتْ وَلَا تَزَالُ، الْحَفِيَّةَ
بِالْمَرَاةِ، الْحَارِسَةَ لِكِرَامَتِهَا وَعَرْضِهَا، الرَّاعِيَةَ لِحَقِّهَا، فَتَاءً كَانَتْ أَوْ
أُمَّاً، أَوْ عَمَّةً أَوْ خَالََةً أَوْ أُخْتًا، وَالْإِسْلَامُ هُوَ الَّذِي شَرَعَ السُّبُلَ الْكَفِيلَةَ
لِتَحْصِينَ شَخْصِيَّتِهَا ضِدَّ كُلِّ مَا يَهْدِدُ مَقُومَاتِهَا مِنَ الْإِمْتِهَانِ وَالْإِبْتِدَالِ،
وَخُصُوصًا فِي هَذَا الْعَصْرِ، حَيْثُ سَعِيرُ الْمُغْرِيَاتِ وَالْمُلْهِيَاتِ.

وَقَدَّ بَاتَ مِنَ الْبُدْهِيَّاتِ، أَنَّ الَّذِينَ يَتَّقِصُونَ الْإِسْلَامَ مِنْ خِلَالِ مَا
يَتَّظَاهَرُونَ بِهِ مِنَ الدَّفَاعِ عَنْ حُقُوقِ الْمَرَاةِ، إِنَّمَا يَصْدُرُونَ عَنْ فَيْضَانِ
مَشَاعِرَ مَسْعُورَةٍ، وَأَهْوَاءِ جَاحِمَةٍ، تُرِيدُ مِنَ الْمَرَاةِ الْمَصُونَةِ أَنْ تَكُونَ

أَدَاةً طَيِّعَةً فِي التَّقْلِيدِ وَالْإِغْرَاءِ. وَلَيْسَ وَرَاءَ تِلْكَ الدَّعَوَاتِ اعْتِبَارٌ لِدِينٍ،
أَوْ رَغْبَةٌ فِي إِنْصَافِ النِّسَاءِ، وَإِلَّا كَيْفَ يَقْبَلُ الْعَقْلُ أَنْ يَكُونَ الْوَقَارُ
وَالْحِسْمَةُ وَالتَّصَوُّنُ فِي أَقْفَاصِ الْإِتِّهَامِ وَالتَّنْذِيدِ، وَالسُّفُورُ وَالتَّسْيِبُ
مُبْرَأَانِ مِنْ كُلِّ نَقِيصَةٍ وَوَصْمَةٍ!

انظُرُوا - وَفَقَّكُمْ اللَّهُ - إِلَى مَكَانَةِ الْمَرْأَةِ فِي الْحَضَارَاتِ الْغَرِيبَةِ،
فَإِنَّهَا كَانَتْ وَلَا تَزَالُ مَعْدُودَةً: مَسَلَاةً لِتَرْفِ الرَّجُلِ، وَبَدْحِهِ الْغَرِيزِيِّ،
وَمَظْهَرًا لِأَبْدُ مِنْهُ لِلتَّرِيقِ الْحَضَارِيِّ.

وَبُرْهَانٌ آخَرُ، أَيَّنَ الْمُنَادُونَ وَالْمُنَادِيَاتُ بِالْحُرِّيَّاتِ عُمُومًا،
وَبِحُرِّيَّةِ الْمَرْأَةِ خُصُوصًا، عَنْ نَزْعِ حِجَابِهَا عُنُودَةً فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ الَّتِي
يُزَعَمُ أَنَّهَا مَضْرِبُ الْحُرِّيَّةِ وَمِثَالُهَا؟ فَالْإِسْلَامُ حِينَ يَأْمُرُ بِالْحِجَابِ،
وَلِزُومِ الْحَيَاءِ، وَالْوَقَارِ فِي الْبَيْتِ، إِنَّمَا يَضْرِفُ الْمَرْأَةَ إِلَى خَصَائِصِهَا
وَمَكَانَتِهَا الَّتِي لَا يُحْسِنُهَا سِوَاهَا؛ لِتَمُضِيَ مَعَ الرَّجُلِ فِي هَذَا الْكُونِ
بِنِظَامٍ مُحْكَمٍ بَدِيعٍ، مِنْ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ، لِكُلِّ مَقَامِهِ وَوَضِيفَتِهِ،
يَقُولُ - تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ

مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء].

وَلِلْوَاهِمِينَ وَالْوَاهِمَاتِ يُسَاقُ الْقَوْلُ: إِنَّ الْمَرْأَةَ فِي مَكَانَتِهَا السَّنِيَّةِ،
وَبِالنِّزَامِ آدَابِ الْحِجَابِ الشَّرْعِيِّ، وَالضَّوَابِطِ الْمَرْعِيَّةِ، لَا يَمْنَعُهَا

ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ فِي قِمَّةِ الثَّقَافَةِ، وَإِحْرَازِ السَّبْتِ الْعِلْمِيِّ، وَالِاسْتِقَامَةِ
الاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالنُّهُوضِ بِأُمَّتِهَا، وَالِانْتِصَارِ لِدِينِهَا، كَذَلِكَ إِنْ اضْطَرَّتْ
إِلَى الْعَمَلِ الْوُظَيْفِيِّ أَوْ الْمِهْنِيِّ، فَفِي مَنْأَى عَنِ أَنْظَارِ الرِّجَالِ وَالِإِخْتِلَاطِ
بِهِمْ، وَأَلَّا تَكُونَ رَجُلَةً: تُنَازِعُهُمْ أَقْدَامُهُمْ، وَتُرَاجِمُهُمْ مَنَاكِبُهُمْ.

وَإِنَّا إِذْ نَحْمَدُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - عَلَى مَا أَمْتَنَ بِهِ عَلَيَّ فَتَاةَ الْحَرَمَيْنِ
الشَّرِيفَيْنِ - مِنْ تَمَثُّلِ الْحِجَابِ وَالْوَقَارِ فِي الْبُيُوتِ - لِنُدْكُرُهَا بِالْمُحَافَظَةِ
عَلَى مَكَانَتِهَا الشَّمَاءِ بَيْنَ قَرِينَاتِهَا فِي سَائِرِ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَنُحَدِّثُهَا أَنَّ
تُحْدَعُ بِبَعْضِ الْأَصْوَاتِ النَّشَازِ الَّتِي تَتَبَجَّحُ بِالخُرُوجِ عَلَى شِرْعَةِ
الْحِشْمَةِ وَالهُدَى وَالْمَعْرُوفِ. وَإِنَّ مَا يُلَوِّخُنَ بِهِ، إِنْ هُوَ إِلَّا مَسَلُّكَ
الْمُنْهَزِمَاتِ أَمَامَ بَرِيقِ الْحِضَارَةِ الزَّائِفَةِ: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ
وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ
يَعْرِفَنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي
فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [٣٢] [الأحزاب].

حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ - إِخْوَةَ الْإِيمَانِ -: رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً
شَهِدَ هَذِهِ الْمَشَاهِدَ بِجَوَارِحِهِ وَقَلْبِهِ، وَنَدِمَ عَلَى آثَامِهِ وَذَنْبِهِ، وَتَابَ
وَأَنَابَ فِي هَذِهِ الْعَرَصَاتِ إِلَى رَبِّهِ، وَأَقَامَ فَرَائِضَهُ وَسُنَنَهُ، وَاسْتَمَعَ الْقَوْلَ

فَاتَّبَعَ أَحْسَنَهُ.

وَإِنَّ النَّصِيحَةَ الْمَخْلِصَةَ لِمَنْ أَرْغَبَ الْمَطْلُوبِ، لَا سِيَّمَا مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا
الْمُعْجِزِ الْأَسْلُوبِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ
مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا
الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ
اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَنَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ [الأنعام].

﴿وَإِذْ قَالَ لَقْمَنُ لِابْنِهِ، وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنِي لِأَشْرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١١٣﴾ [لقمان]، ﴿يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ
خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١١٦﴾ يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١١٧﴾ وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ
وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١١٨﴾ وَأَقْصِدْ
فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١١٩﴾ [لقمان]، وَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ

هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَيْرِينَ ﴿٨٥﴾ [آل عمران].

تَمَسَّكُوا - عِبَادَ اللَّهِ - بِكِتَابِ اللَّهِ: حِفْظًا وَتِلَاوَةً، وَتَفَكَّرُوا فِي آيَاتِهِ وَمَعَانِيهِ، وَامْتَثِلُوا أَوْامِرَهُ وَتَوَاهِيَهُ، اللَّهُ اللَّهُ! فِي الصَّلَاةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، فَانَعَمَتِ الطَّاعَةُ وَالْبِضَاعَةُ، وَأَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ أَمْرًا رَفِيقًا، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ نَهْيًا مُتَوَسِّطًا بِالِاعْتِدَالِ حَقِيقًا. وَأَطِيعُوا أَمْرَ مَنْ وِلَاةُ اللَّهِ مِنْ أُمُورِكُمْ أَمْرًا، وَحَذَارِ أَنْ تَقْرَبُوا مِنْ الْفِتْنَةِ شَرًّا وَلَا جَهْرًا، وَلَا تُقْحِمُوا فِي الْخِلَافِ الْمُعْتَبَرِ إِلَّا الْعُلَمَاءَ الثَّقَاتِ، لَا زَيْدًا وَلَا عَمْرًا. وَعَلَيْكُمْ بِالصَّدْقِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَالْأَمَانَةِ، وَالْحِشْمَةِ وَالصِّيَانَةِ، وَاحْذَرُوا الْغِشَّ وَالزُّورَ وَالْكَذِبَ وَالْحِيَانَةَ.

وَلَا تَقْرَبُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - الزَّنى وَالرِّبَا وَالْحَمْرَ، فَإِنَّهَا مِنَ الْكَبَائِرِ، وَسَبَبُ الْبَلَايَا وَالْجَرَائِرِ، وَإِيَّاكُمْ وَالنَّمِيمَةَ وَالْغَيْبَةَ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّهَا مَجْلَبَةٌ لِعُضْبِ الْجَبَّارِ، وَالذَّلَّةِ وَالصَّغَارِ، وَحَطُّ الْأَقْدَارِ، بَلْ هِيَ الْأَثَامُ وَالْأَوْزَارُ، أَجَارَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ

الْحَمْدُ.

اللَّهُمَّ إِنَّ الشُّرُورَ بِكَ هُوَ الشُّرُورُ، وَالْفَرَحَ بِغَيْرِكَ هُوَ الْغُرُورُ،

اللَّهُمَّ بَابَ فَضْلِكَ تَفَرَّعُ، وَإِلَيْكَ تَفَرَّعُ، وَبِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى نَهَجُ،
وَبِصِفَاتِكَ الْمَحْمُودَةِ نَبْهَجُ، اللَّهُمَّ فَأَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ.

وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ مِنْ أَفْضَلِ مَا يُقَرَّبُكُمْ لِمَوْلَاكُمْ، كَثْرَةُ
صَلَاتِكُمْ وَسَلَامِكُمْ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى: الرَّسُولِ الْمُجْتَبَى، وَالنَّبِيِّ
الْمُصْطَفَى، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ - جَلَّ وَعَلَا - فَقَالَ - عَزَّ مِنْ قَائِلٍ :-

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب]. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِينَا
وَقُدُوتِنَا، وَحَبِيبِ قُلُوبِنَا وَسَيِّدِنَا، مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ
خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ: أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَعُمَرَ الْفَارُوقِ، وَعُثْمَانَ ذِي
النُّورَيْنِ، وَعَلِيٍّ أَبِي السَّبْطَيْنِ، وَعَنِ الْعَمَمِينَ الْكَرِيمِينَ، وَالسَّبْطَيْنِ
الْعَلَمَيْنِ، وَعَنِ السُّتَّةِ الْبَاقِينَ مِنَ الْعَشْرَةِ الْمُفْضَلِينَ، وَعَنْ أَهْلِ بَدْرِ
وَالْعَقَبَةِ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ
بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ مَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ الْأَبْرَارُ، وَصَلِّ عَلَيْهِ مَا
تَعَاقَبَ لَيْلٌ وَنَهَارٌ، وَصَلِّ عَلَيْهِ مَا أَشْرَقَ الضِّيَاءُ وَلَاحًا، وَصَلِّ عَلَيْهِ مَا
تَعَاقَبَ الْمَسَاءُ وَالصَّبَاحُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ مَا زَهَرَتِ النُّجُومُ، اللَّهُمَّ صَلِّ
عَلَيْهِ مَا تَلَاَحَمَتِ الْغُيُومُ.

اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشُّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَدَمِّرْ
 أَعْدَاءَ الْمِلَّةِ وَالدِّينِ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ حُجَّاجِ بَيْتِكَ الْحَرَامِ حَجَّهُمْ، وَمَنْ
 الْمُضْحِينَ ضَحَايَاهُمْ، اللَّهُمَّ وَتَقَبَّلْ مَنَاسِكُهُمْ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.
 اللَّهُمَّ هُوَ لَاءِ عِبَادُكَ لَا ذُوَا بِجَنَابِكَ، وَأَنَا خَوَا مَطَايَاهُمْ بِبَابِكَ، أَتَوْا مِنْ
 كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، يَرْجُونَ رَحْمَتَكَ، وَيَخْشَوْنَ عَذَابَكَ، تَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ
 وَأَوْطَانَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، اللَّهُمَّ فَبَلِّغُهُمْ آمَانَهُمْ، وَحَقِّقْ مَطَالِبَهُمْ، يَا حَيُّ
 يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ كَمَا جَمَعْتَ هَذِهِ الْجُمُوعَ الْمُسْلِمَةَ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْمُبَارَكِ،
 اجْمَعْهُمْ عَلَى كِتَابِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ
 بَيْنِهِمْ، وَاهْدِهِمْ سُبُلَ السَّلَامِ، وَارزُقْهُمْ الْمَحَبَّةَ وَالسَّلَامَ، وَالْوَحْدَةَ
 وَالْوِتَامَ، وَالنَّصْرَ عَلَى أَعْدَائِكَ أَعْدَاءِ الدِّينِ، وَجَنِّبْهُمْ الْفَوَاحِشَ
 وَالْفِتْنَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ.

اللَّهُمَّ وَفَّقْ إِمَامَنَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ لِإِعْزَازِ دِينِكَ، وَنُصْرَةِ
 أَوْلِيَائِكَ، وَوَلِيِّ عَهْدِهِ وَنَائِبِهِ الثَّانِي إِلَى مَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَوَاصِيهِمْ
 إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، اللَّهُمَّ وَفَّقْهُمْ إِلَى مَا فِيهِ إِعْلَاءُ كَلِمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.
 اللَّهُمَّ اجْزِهِمْ خَيْرَ الْجَزَاءِ وَأَوْفِرْهُ، جَزَاءَ مَا قَدَّمُوا وَيُقَدِّمُوا لِحُجَّاجِ بَيْتِكَ
 الْحَرَامِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ ذَلِكَ فِي صَحَائِفِ أَعْمَالِهِمْ، وَفِي مَوَازِينِ حَسَنَاتِهِمْ، يَا

حَيُّ يَا قَيُّوْمُ. اللّهُمَّ ارْزُقْهُمْ الْبِطَانَةَ الصّٰلِحَةَ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْاِكْرَامِ.
اللّهُمَّ وَفِّقْ قَادَةَ الْمُسْلِمِيْنَ لِتَحْكِيْمِ شَرْعِكَ، وَاتَّبِعْ سُنَّةَ نَبِيِّكَ ﷺ،
اللّهُمَّ اجْعَلْهُمْ رَحْمَةً عَلٰى رَعَايَاهُمْ، اللّهُمَّ وَفِّقْ عُلَمَاءَهُمْ لِبَيَانِ الْحَقِّ
وَالدَّعْوَةِ اِلَيْهِ، وَوَفِّقْ الدَّعَاةَ الْمُصْلِحِيْنَ، وَالْاَمْرِيْنَ الْمُحْتَسِبِيْنَ، وَسَدِّدْهُمْ
وَأَعْنِهِمْ، يَا اَكْرَمَ الْاَكْرَمِيْنَ. اللّهُمَّ اَبْرِمْ هٰذِهِ الْاُمَّةَ اَمْرَ رُشْدٍ، يُعْزُ فِيْهِ
اَهْلُ طَاعَتِكَ، وَيُذَلُّ فِيْهِ اَهْلُ مَعْصِيَتِكَ، وَيُؤْمَرُ فِيْهِ بِالْمَعْرُوفِ، وَيُنْهٰى
فِيْهِ عَنِ الْمُنْكَرِ، يَا سَمِيْعَ الدَّعَاةِ.

اللّهُمَّ انْصُرْ اِخْوَانَنَا الْمَجَاهِدِيْنَ فِيْ كُلِّ مَكَانٍ، اللّهُمَّ انْصُرْهُمْ عَلٰى
عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، يَا قَوِيُّ يَا عَزِيْزُ. اللّهُمَّ كُنْ لِلْمُسْتَضْعَفِيْنَ فِيْ شَتَا
بِقَاعِ الْعَالَمِ، اللّهُمَّ عَجِّلْ بِنَصْرِهِمْ، اللّهُمَّ عَجِّلْ بِفَرَجِهِمْ، يَا حَيُّ
يَا قَيُّوْمُ.

اللّهُمَّ اجْعَلْ عِيْدَنَا سَعِيْدًا، وَعَمَلْنَا صَالِحًا رَشِيْدًا، اللّهُمَّ وَأَعِدْ
هٰذَا الْعِيْدَ عَلٰى الْاُمَّةِ الْاِسْلَامِيَّةِ جَمْعَاءَ بِالْخَيْرِ وَالْيَمْنِ وَالْبَرَكَاتِ، وَقَدْ
تَحَقَّقَ لَهَا مَا تَصْبُوْا اِلَيْهِ.

اللّهُمَّ اذْفَعْ عَنَّا الْغَلَاءَ وَالْوَبَاءَ، وَالرَّبَا وَالزَّنٰى، وَالْمِحْنَ وَسُوْءَ الْفِتَنِ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، عَن بَلَدِنَا هٰذَا خَاصَّةً، وَعَن سَائِرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِيْنَ
عَامَّةً، يَا رَبَّ الْعَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ،
اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشُّرَكَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ
الْمِلَّةِ وَالِدِّينِ، اللَّهُمَّ دَمِّرِ الطُّغَاةَ وَالْمُلْحِدِينَ، وَالصَّهَابِينَ الْمُعْتَدِينَ، وَكُلَّ
مَنْ أَرَادَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ بِسُوءٍ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ انصُرْ
إِخْوَانَنَا الْمُجَاهِدِينَ، وَالْمُضْطَهَدِينَ فِي دِينِهِمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

اللَّهُمَّ اتَّقِدِ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى مِنْ بَرَاثِنِ الصَّهَابَةِ الْمُعْتَدِينَ، وَالْيَهُودِ
الْغَاشِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدَّهُ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ ارزُقْنَا فِيهِ
صَلَاةَ قَبْلِ الْمَمَاتِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، اللَّهُمَّ كُنْ لِإِخْوَانِنَا الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي
كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ مَظْلُومُونَ فَانصُرْهُمْ، وَحُفَاةٌ فَاحْمِلْهُمْ، وَجِيَاعٌ
فَاطْعِمْهُمْ، وَعُرَاةٌ فَاكْسُهُمْ، اللَّهُمَّ كُنْ لِإِخْوَانِنَا فِي فِلِسْطِينَ وَالْبُوسْنَةِ
وَالشَّيْثَانِ، وَفِي بُورْمَا وَفِي الصُّومَالِ، وَفِي إِرْتَرِيَا وَالْفِلِبِّينِ، وَفِي سَائِرِ
الْبِقَاعِ الَّتِي يُضْطَهَدُ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَ إِخْوَانِنَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ اجْمَعْ قُلُوبَهُمْ عَلَى
كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ.

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ عِيدَنَا سَعِيدًا، وَعَمَلَنَا صَالِحًا رَشِيدًا، اللَّهُمَّ أَعِدْ
هَذَا الْعِيدَ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَهِيَ تَرْفُلُ بِثَوْبِ الْعِزِّ وَالنَّصْرِ عَلَى

الْأَعْدَاءِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الْعِيدَ انْقِشَاعَةً لِعُيُومِ الْجَهْلِ
وَالْفِتَنِ وَالْخُرُوبِ ضِدًّا الْمُسْلِمِينَ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ
لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ آتِ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا، اللَّهُمَّ فَرِّجْ هَمَّ الْمَهْمُومِينَ، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا إِلَى الْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ
آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ،
سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِ الْأَوْلِيَيْنِ وَالْآخِرِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أُمَّتِ الْإِسْلَامِ

بَيْنَ وَدَايِعِ الْعَامِ وَحَسَنِ الْخِتَامِ

الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنُتَوِّبُ إِلَيْهِ
وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، الْمَلِكُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ، الَّذِي قَضَى بَزْوَالِ هَذِهِ الدَّارِ، وَهَدَمَ بِالْمَوْتِ شَبَابَ الْأَعْمَارِ،
وَجَعَلَ فِي تَعَاقِبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ. وَأَشْهَدُ أَنْ نَبِيَّنَا
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ، الْقُدْوَةُ الْمُثَلَّى فِي الْعَمَلِ
لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ، وَعَدَمِ الرُّكُونِ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ
عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ، وَصَحْبِهِ الْأَبْرَارِ، وَتَابِعِيهِ الْأَخْيَارِ، إِلَى يَوْمِ
الْبَعْثِ لِدَارِ الْقَرَارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ ﴿ [آل عمران].

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ مَقَامَ عُبُودِيَّةِ الْإِنْسَانِ لِلَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - وَسَامٌ عِزٌّ
لَا يَنْتَهِي، وَتَأْجُ شَرَفٍ لَا يَنْقُضِي، فَلَا تُحَدُّهُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، بَلْ
وَلَا الشُّهُورُ وَالْأَعْوَامُ، إِنَّهُ يَبْقَى مَا بَقِيَ الْإِنْسَانُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ،

وَأَنَّ شَرَّ مَا بُلِيَتْ بِهِ النَّفُوسُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - الْغَفْلَةُ عَنْ هَذَا الْمَقَامِ الْعَظِيمِ، وَالتَّفْرِيطُ فِي جَنْبِ الْإِلَهِ الْكَرِيمِ، وَالرَّبِّ الرَّحِيمِ، وَمَا يَعْقُبُهُ مِنْ انْشِعَالٍ عَنْ رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ، وَانْغِمَاسٍ فِي الدُّنْيَا وَالْمَلذَّاتِ، وَنَسْيَانٍ لِلْمَوْتِ وَالِدَّارِ الْآخِرَةِ، فَيَقَعُ الْمُفْرَطُ فِي مَغْبَةِ تَفْرِيطِهِ، وَقَدْ يُصَابُ بِسُوءِ الْخَاتِمَةِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ!

وَأَنَّ فِي مُرُورِ اللَّيَالِيِ وَالْأَيَّامِ لَعِبْرًا، وَفِي تَصَرُّمِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ لُمُزْدَجْرًا، وَإِنَّ مَوَاعِظَ الرَّمَانِ أَبْلَغُ مِنْ مَوَاعِظِ فَصِيحِ اللُّسَانِ، وَمَنْ أُعْطِيَ الْبَلَاغَةَ وَالْإِبْدَاعَ وَالْبَيَانَ. وَلَكِنْ مَا يُحِسُّ بِذَلِكَ إِلَّا الْكَيْسُ الْحَازِمُ، الْعَاقِلُ الْعَازِمُ، الَّذِي يَنْشُدُ حُسْنَ الْخَاتِمَةِ، وَيَعْمَلُ لِسَاعَةِ الْإِحْتِضَارِ الْحَاسِمَةِ.

إِحْوَةَ الْإِيمَانِ: مَا دُمْنَا جَمِيعًا نُوَقِنُ بِأَنَّ الْمَوْتَ نِهَآيَةَ كُلِّ حَيٍّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَأَنَّ بَابَهُ سَيَلِجُهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَكَأْسُهُ تَتَحَسَّأُهَا كُلُّ نَفْسٍ، وَأَنَّهُ خَاتِمَةُ الْمَطَافِ، وَنِهَآيَةُ التَّطَوُّفِ فِي عَالَمِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ يُجَدُّ بِنَا - وَنَحْنُ نُودَعُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ عَامًّا هَجْرِيًّا كَامِلًا، وَنَخْتَمُ سَنَةً مِنْ أَعْمَارِنَا - أَنْ نَقِفَ وَقْفَةً حَازِمَةً مَعَ النَّفُوسِ، نُذَكِّرُهَا بِهَذِهِ الْخَاتِمَةِ، وَأَهْمِيَّتِهَا فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ، وَالْإِشَارَةَ إِلَى الْوَسَائِلِ وَالْعَلَامَاتِ وَالصِّفَاتِ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ أَسْبَابِ سُوءِهَا عِيَاذًا بِاللَّهِ.

وَتَأْتِي أَهْمِيَّةُ هَذَا الْمَوْضُوعِ، مِنْ كَوْنِ كُلِّ إِنْسَانٍ يَطْلُبُ حُسْنَ
 الْخَاتِمَةِ، وَيَنْشُدُ الْمِيْتَةَ الْحَسَنَةَ؛ لِيَفُوزَ بِهَا بَعْدَهَا، وَيَخْشَى مِنْ سُوءِ
 الْخَاتِمَةِ وَمِيْتَةِ السُّوءِ؛ لِشِدَّةِ مَا بَعْدَهَا وَهَوْلِهِ، إِضَافَةً إِلَى دَاءِ الْعَفْلَةِ
 وَقَسْوَةِ الْقُلُوبِ، الْأَمْرُ الَّذِي بُلِيَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَمَا تُعَانِيهِ أُمَّتُنَا
 الْكَلِيلَةُ مِنَ الْأَرْزَاءِ، الَّتِي بَهَظَّتْ^(١) فُؤَادَهَا، وَطَوَّحَتْ بِهَا فِي تَنَائِفِ^(٢)
 الْعَدَمِ أَوْ كَادَتِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ مَنَاسِبَةَ الزَّمَانِ، وَاخْتِيَامَ الْعَامِ يَتَطَلَّبُ
 ذَلِكَ، وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يَنْفَعَنَا جَمِيعًا بِهَا نَسْمَعُ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.
 أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ: لَقَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ -

التَّأْكِيدُ عَلَى أَهْمِيَّةِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ، يَقُولُ - تَعَالَى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]،
 وَيَقُولُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر]،
 فَالْأَمْرُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ مُسْتَمِرٌّ حَتَّى الْمَوْتِ؛ لِتَحْصُلِ الْخَاتِمَةِ
 الْحَسَنَةِ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ «الْأَعْمَالَ بِالْخَوَاتِيمِ»^(٣)، وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ

(١) بَهَظَّتْ: أَثْقَلَتْ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (بَهْظ).

(٢) تَنَائِفٌ: جَمْعُ تَنَوُّفَةٍ، وَهِيَ: الْمَفَازَةُ وَالْقَفْرُ مِنَ الْأَرْضِ. يُنْظَرُ: «اللِّسَانُ» (تَنْف).

(٣) جُزْءٌ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٦٠٧).

لَا يَدْرِي مَتَى يَفْجُوهُ الْأَجَلُ؟ وَلَا مَتَى يُبَاغِتُهُ الْمَوْتُ؟ فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ
يَسْتَعِدَّ لِهَذِهِ اللَّحْظَةِ الْمُفَاجِئَةِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ
الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ، وَالْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ، وَالشَّرِيفِ وَالْحَقِيرِ، وَالْمَأْمُورِ
وَالْأَمِيرِ، وَالشَّابَّ وَالشَّيْخَ، وَالذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، الْكُلُّ مَتَجَرِّعُ مَرَارَةِ
الْمَوْتِ لَا مَحَالَةَ! فَالْخَوْفُ كُلُّ الْخَوْفِ أَنْ تُفَاجِئَ الْإِنْسَانَ هَذِهِ
اللَّحْظَاتُ الْقَاسِيَةُ، وَهُوَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ عِيَاذًا بِاللَّهِ!

وَلِذَلِكَ كَانَ السَّلْفُ الصَّالِحُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - يَخَافُونَ سُوءَ الْخَاتِمَةِ
خَوْفًا شَدِيدًا، مَعَ كَثْرَةِ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - قَالَ
بَعْضُهُمْ: «خَوْفُ الصَّادِقِينَ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ عِنْدَ كُلِّ خَطَرَةٍ، وَعِنْدَ كُلِّ
حَرَكَةٍ، وَهُمْ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءَ اتُوا وَقُلُوبُهُمْ

وَجِلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ [المؤمنون]»^(١).

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخَوْفُ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ مَائِلًا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ أَمَامَ
عَيْنِ الْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّ الْخَوْفَ بَاعِثٌ عَلَى الْعَمَلِ، وَمُرَاقِبَةُ الْبَارِي
- سُبْحَانَهُ - وَقَدْ قَالَ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ^(٢)، وَغَيْرُهُ: «مَنْ خَافَ

(١) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٤/ ١٧٢) من قول سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) برقم (٢٤٥٠)، وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٤/ ٣٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أَذْلَجَ^(١)، وَمَنْ أَدْجَحَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةً، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةَ». لَكِنْ إِذَا أَحْسَسَ الْعَبْدُ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ، وَانْقِضَاءِ أَمَلِهِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُغَلِّبَ الرَّجَاءَ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»^(٢): «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ».

وَبِهَذَا يُعَلِّمُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّهُ مِنَ الْخَطَا وَالْإِفْلَاسِ، أَنْ يِعْتَمِدَ بَعْضُ النَّاسِ عَلَى سَعَةِ عَفْوِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ، فَيَدْفَعُهُمْ ذَلِكَ إِلَى الْإِسْتِرْسَالِ فِي الْمَعَاصِي، وَالْإِسْتِمْرَارِ عَلَى الْمُحَرَّمَاتِ، فَيَنْدَمُوا عِنْدَ مُفَاجَأَةِ الْأَجْلِ حَيْثُ «لَاتِ سَاعَةٌ مَنْدَمٌ»^(٣).

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْوَسَائِلِ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ: صَفَاءُ الْعَقِيدَةِ، وَقُوَّةَ الْإِيمَانِ، وَالْحِرْصَ عَلَى السُّنَّةِ، وَالْمُحَافَظَةَ عَلَى الصَّلَوَاتِ، وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْقُرْآنِ، وَالْمُدَاوِمَةَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - وَيَجْمَعُهَا: الْمُحَافَظَةُ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَالْبُعْدُ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَكَثْرَةُ

(١) سبق بيان معناها (ص ٣٨).

(٢) برقم (٢٨٧٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها.

(٣) عجز بيت للشاعر محمد بن عيسى بن طلحة، يُنظر: «المحرر الوجيز في تفسير

الكتاب العزيز» (٤/ ٤٩٢).

الِاسْتِغْفَارِ، وَمُلَازِمَةَ التَّوْبَةِ، وَالِإِلْحَاحَ عَلَى اللَّهِ بِالِدُّعَاءِ بِحُسْنِ
الْخَاتِمَةِ.

كَانَ عَامِرُ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، إِذَا صَلَّى رَفَعَ يَدَيْهِ
قَائِلًا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْمِيتَةَ الْحَسَنَةَ»، قَالَ أَبْنَاؤُهُ: وَمَا هِيَ الْمِيتَةُ
الْحَسَنَةُ؟ قَالَ: «أَنْ يَتَوَقَّأَنِي رَبِّي وَأَنَا سَاجِدٌ»، فَقَامَ وَصَلَّى فَقَبِضَ اللَّهُ
رُوحَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ، أَلَا مَا أَحْسَنَ هَذِهِ الْخَاتِمَةَ!

هَذَا وَإِنَّ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - بَشَائِرَ وَعَلَامَاتٍ،
أَفْصَحَتْ عَنْهَا السُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ، مِنْهَا: النُّطْقُ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ عِنْدَ
الْمَوْتِ، فَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ^(١) وَالْحَاكِمُ^(٢)، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ^{رضي الله عنه} قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ
الْجَنَّةَ»، وَيَا لَهَا مِنْ بَشَارَةٍ طَيِّبَةٍ وَفَأَلٍ حَسَنٍ؛ أَنْ يَمُوتَ الْإِنْسَانُ عَلَى
التَّوْحِيدِ وَالشَّهَادَةِ! وَلَكِنَّ هَذَا لَا يَتَأْتِي إِلَّا لِأَهْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ
الْعَظِيمَةِ، الْعَالَمِينَ بِمَعْنَاهَا، وَالْعَامِلِينَ بِمُقْتَضَاهَا، وَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَإِنَّهُ قَدْ
يُحَالُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نُطْقِهَا - عِيَاذًا بِاللَّهِ - فَيُصَابُ بِسُوءِ الْخَاتِمَةِ،

(١) برقم (٣١١٦)

(٢) في «المستدرک» (١/٥٠٣).

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «أُنذِرْكُمْ
سَوْفَ، فَإِنَّهَا أَكْبَرُ جُنُودِ إِبْلِيسَ»^(١).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: إِنَّ مِنْ أَسْبَابِ الْخَاتِمَةِ السَّيِّئَةِ: تَمَكُّنَ طَوْلِ
الْأَمَلِ مِنْ قَلْبِ الْمُسْلِمِ، وَاسْتِيْلَاءَهُ عَلَى جَوَارِحِهِ وَمَشَاعِرِهِ، وَهُوَ
سَبَبُ شَقَاءِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ - بَلْ وَارْتِكَاسِ أُمَّتِنَا - فَيَزِينُ الشَّيْطَانُ لَهُمْ أَنْ
أَمَامَهُمْ أَعْمَارًا طَوِيلَةً، يَبْنُونَ فِيهَا أَمَالًا شَامِحَةً، وَحُظُوظًا كَثِيرَةً،
فَيَضْرِبُونَ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَلَا يُبَالُونَ بِوَأْفِدِ الْمَوْتِ أَنْى حَلَّ.

وَقَدْ أُوْرِدَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنْ مِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ
وَالْمَعَاصِي: «أَنَّ قَلْبَ الْإِنْسَانِ وَلِسَانَهُ يَجُؤُنُهُ عِنْدَ الْإِحْتِضَارِ وَالْإِنْتِقَالِ
إِلَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - فَرُبَّمَا تَعَذَّرَ عَلَيْهِ النُّطْقُ بِالشَّهَادَةِ».

وَأُوْرِدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - نِهَاجِجٍ مِنْ ذَلِكَ، مِنْهَا: أَنَّهُ قِيلَ لِبَعْضِهِمْ عِنْدَ
الْمَوْتِ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَجَعَلَ يَهْدِي بِالْغِنَاءِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، إِلَى
أَنْ مَاتَ. وَقِيلَ لِآخَرَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ:

يَا رَبِّ قَائِلَةٌ يَوْمًا وَقَدْ تَعَبْتُ أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَامٍ مِنْجَابٍ
وَأَخَذَ يُرَدِّدُهَا حَتَّى مَاتَ عَلَيْهَا، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ!

(١) يُنْظَرُ: «تَلْبِيسُ إِبْلِيسَ» (١/٤٨٧).

وَأُورِدَ عَنْ بَعْضِ التُّجَّارِ: أَنَّهُ اخْتَضَرَ فَجَعَلُوا يُلَقِّنُونَهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى قَوْلِهِ: هَذِهِ الْقِطْعَةُ رَخِيصَةٌ، هَذَا مُشْتَرٍ جَيِّدٌ، هَذَا وَهَذَا... إِلَى آخِرِهِ.

ثُمَّ قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «سُبْحَانَ اللَّهِ! كَمْ شَاهَدَ النَّاسُ مِنْ هَذَا عِبْرًا، وَكَيْفَ يُوفَّقُ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ مَنْ أَغْفَلَ اللَّهُ - سَبَّحَانَهُ - قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِهِ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا؟ فَبَعِيدٌ مَنْ قَلْبُهُ بَعِيدٌ عَنِ اللَّهِ - تَعَالَى - غَافِلٌ عَنْهُ، مُتَعَبِّدٌ لِهَوَاهُ، مُذَلَّلٌ لِسَهْوَاتِهِ، وَلِسَانُهُ يَابِسٌ عَنِ ذِكْرِهِ، وَجَوَارِحُهُ مُعْطَلَةٌ مِنْ طَاعَتِهِ، مُشْتَغَلَةٌ بِمَعْصِيَتِهِ، بَعِيدٌ عَنِ هَذَا، أَنْ يُوفَّقَ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ»^(١).

وَمِنْ بَشَائِرِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ: الشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمَوْتُ دِفَاعًا عَنِ ضَرُورَةٍ مِنَ الضَّرُورَاتِ الْخُمْسِ، الَّتِي حَفِظَتْهَا الشَّرِيعَةُ، وَهِيَ: الدِّينُ وَالنَّفْسُ وَالْعَقْلُ وَالْعَرِضُ وَالْمَالُ، وَأَنْ يَمُوتَ الْإِنْسَانُ عَلَى عَمَلٍ طَاعَةٍ، أَوْ يَمُوتَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا بِسَبَبِ مَرَضٍ قُدِّرَ عَلَيْهِ، كَالطَّاعُونَ وَنَحْوِهِ، أَوْ بِسَبَبِ ابْتِلَاءٍ مِنْ: هَدْمٍ أَوْ غَرَقٍ أَوْ حَرَقٍ وَنَحْوِهَا. أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: أَمَّا الْأَسْبَابُ الَّتِي يَنْشَأُ عَنْهَا سُوءُ

(١) يُنظَرُ: «الجواب الكافي» (١/ ٦٢).

الْخَاتِمَةَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَهِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا، أَهْمُهَا: مُوَاقَعَةُ الذُّنُوبِ
وَالْمَعَاصِي، وَمِنْهَا: التَّسْوِيفُ فِي التَّوْبَةِ، فَتَمُرُّ الْأَيَّامُ تَلَوَّ الْأَيَّامِ، بَلِ
الشُّهُورُ وَالْأَعْوَامُ، وَالْإِنْسَانُ عَلَى حَالِهِ يُمَنِّي نَفْسَهُ بِالتَّوْبَةِ كُلِّ عَامٍ، أَوْ
كُلَّمَا تَقَدَّمَ بِهِ الْعُمُرُ - فَيَا سُبْحَانَ اللَّهِ! - مَنْ يَضْمَنُ أَنْ يَعِيشَ وَلَوْ لِحِظَةً
وَاحِدَةً؟ أَلَا نَعْتَبِرُ بِالْحَوَادِثِ وَالْمُفَاجَاتِ؟ أَلَا نَصُورُ أَنْفُسَنَا مَحَلَّ
مَنْ يَبَاغِتُهُمْ هَادِمُ اللَّذَاتِ، وَمُفَرِّقُ الْجَمَاعَاتِ؟ وَلَكِنْ نَجَحَ
الشَّيْطَانُ - أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهُ - فِي تَزْيِينِ التَّسْوِيفِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ،
فَالشَّابُّ سَيُتُوبُ فِي الشَّيْخُوخَةِ، وَالصَّغِيرُ فِي الْكِبَرِ، وَهَكَذَا، وَلَا
حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!!!

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَأَفِيضُوا إِلَى حُسْنِ الْخَاتِمَةِ،

وَحُدُوا بِأَسْبَابِهَا: ﴿فَلَا تَغْرَنَكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُمُ
بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان]، رَوَى الْبُخَارِيُّ^(١) وَالتِّرْمِذِيُّ^(٢) مِنْ حَدِيثِ
ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ:
كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا

(١) برقم (٦٤١٦).

(٢) برقم (٢٣٣٣).

أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»، وَلَقَدْ كَانَ مَكْحُولٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِذَا رَأَى جَنَازَةً قَالَ: «اغْدُوا فَإِنَّا رَائِحُونَ، مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ، وَغَفْلَةٌ سَرِيعَةٌ، يَذْهَبُ الْأَوَّلُ، وَالْآخِرُ لَا عَقْلَ لَهُ»^(١).

فَلِنَسْتَقِ اللَّهَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - وَلِنَحْرِضَ عَلَى حُسْنِ الْخَاتِمَةِ، وَلِنَسْأَلَ اللَّهَ ذَلِكَ دَائِمًا وَأَبَدًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ خَيْرَ أَعْمَالِنَا خَوَاتِمَهَا، وَخَيْرَ أَعْمَارِنَا أَوَاخِرَهَا، وَخَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ نَلْقَاكَ، اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ، وَارْزُقْنَا اللَّهُمَّ حُسْنَ الْخَاتِمَةِ، وَأَعِدْنَا مِنْ سُوءِهَا، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، وَبَيِّنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَاخْتِمِ لَنَا عَامَنَا هَذَا بِالتَّوْبَةِ وَالتَّوْفِيقِ لِمَا نُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

أَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلِكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٢/ ٢١٠) ونسبه إلى مكحول الدمشقي.

وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣/ ٥٤٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٨٣)،

وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٧/ ٣٧٩) من قول أبي هريرة رضي الله عنه.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، هُوَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَالْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، أَحْمَدُهُ - تَعَالَى - وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ

ثُمَّ تُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة].

اعْمَلُوا هَذَا الْيَوْمَ الْعَصِيبِ، وَتَذَكَّرُوا مَا فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالشَّدَائِدِ، خَطَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ مُدْبِرَةً، وَالْآخِرَةَ قَدْ أَسْرَعَتْ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بُنُونٌ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ»^(١).

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٥٣٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان»

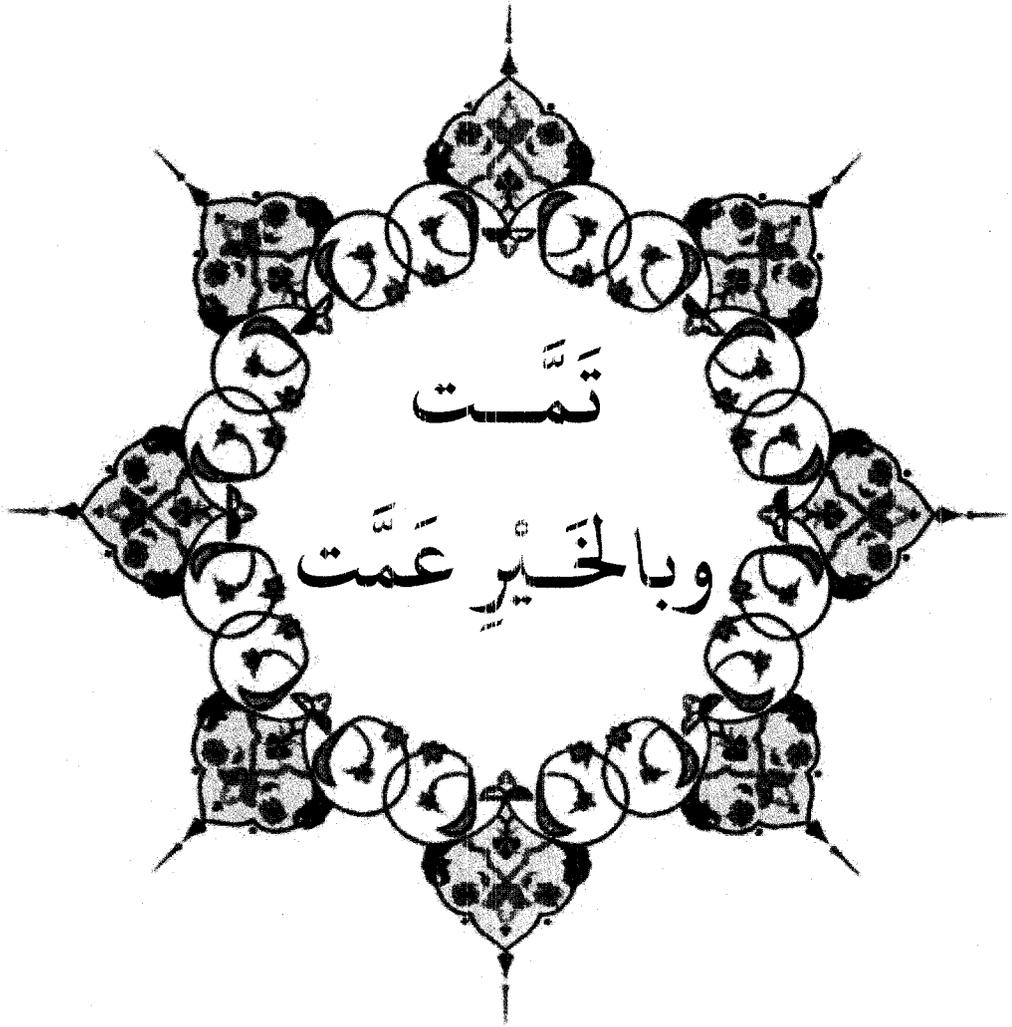
(٧/ ٣٣٩)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٤٢/ ٤٩٤).

فَتَذَكَّرُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - وَأَنْتُمْ تُودَّعُونَ عَامًا مِنْ أَعْمَارِكُمْ، تَذَكَّرُوا
 انْقِلَابِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا، وَحُلُولِ سَاعَةِ الْإِحْتِصَارِ بِكُمْ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ:
 مَاذَا عَمِلْتُمْ فِيمَا مَضَى؟ وَمَاذَا عَسَيْتُمْ أَنْ تَعْمَلُوا فِيمَا بَقِيَ؟ وَتَذَكَّرُوا
 كَمْ وَدَّعْتُمْ فِي الْعَامِ الْمُنْصَرِمِ مِنْ إِخْوَةٍ وَمُحِبِّينَ، وَقَادَةَ وَأَقْرَبِينَ؟ وَكَمْ
 وَارَيْتُمْ فِي الثَّرَى مِنْ أَصْدِقَاءَ، وَأَعِزَّةٍ وَمُجَاوِرِينَ؟ وَعَلِمُوا أَنَّ الْمَوْتَ
 الَّذِي تَحَطَّأَكُمْ إِلَيْهِمْ، سَيَتَخَطَّى غَيْرَكُمْ إِلَيْكُمْ.

فَإِلَى مَتَى الْغَفْلَةُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ -؟ وَاللَّهِ إِنْ مُرِرَ عَامٌ كَامِلٌ مَضَى
 وَانْقَضَى، بِمَا أُوْدَعْنَاهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، جَدِيرٌ بِأَنْ يُنْبَهَ الْوَسْنَانَ وَالْغَافِلَ،
 وَيُعَلِّمَ الْعِيِّ وَالْجَاهِلَ، فَلَا تَتَخَدَعُوا بِهَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَمَا هِيَ -
 وَاللَّهِ - إِلَّا سَرَابٌ خَادِعٌ، وَبَرِيقٌ لَامِعٌ، صَفْوُهَا كَدْرٌ، وَمَعِينُهَا مَشُوبٌ،
 كَمْ أَذَاقَتْ بُؤْسًا، وَجَرَّعَتْ غُصَصًا، وَأَلْقَمَتْ نَغَصًا، فَالْعَاقِلُ مَنْ فَتَحَ
 صَفْحَةً جَدِيدَةً مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالْكَائِسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ
 لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَمَتَمَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ، وَالنُّعْمَةِ
 الْمُسَدَّاةِ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ
 بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].



يَمَّتْ

وَبِالْخَيْرِ عَمَّتْ

الفهرست

- اولاً: فهرست آیات قرآنیته
ثانیاً: فهرست احادیث النبویته
ثالثاً: فهرست الآثار
رابعاً: فهرست الغریب
خامساً: فهرست المصاحف والمراجع
سادساً: فهرست الموضوعات

أَوَّلًا: فِيهِ سَبْعُ آيَاتٍ الْقُرْآنِيَّةِ

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ سورة البقرة ﴾		
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا ... ﴾	١٢، ١١	٧١٣، ٧٠٨، ٤٠٥
﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ... ﴾	٤٥	٢٠٥
﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَانَتْ أَيْدِيهِمْ ... ﴾	٧٩	٢٣٥
﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾	٨٧	٣٣٣
﴿ وَإِنْ رَضِىَ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴾	١٢٠	٥٣٢، ٣٤٨
﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِمْ فَقَدْ أَهْتَدُوا ... ﴾	١٣٧	١٠٩
﴿ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ ﴾	١٤٠	١١٦، ٧٣
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾	١٤٣	٤١٠، ٢٦٧ ...، ٤٢٠
﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ... ﴾	١٥٥-١٥٧	٦٨٥، ٥٧٣
﴿ وَلَوْ رَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ ... ﴾	١٦٥	١١٤
﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ ... ﴾	١٨٥	٢٢٩، ٢١٣
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ... ﴾	١٨٦	٦٩٣

الصفحة	رقمها	الآية
٢٤٣	١٨٧	﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ ... ﴾
٣٠٦	١٨٩	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾
٦٣٩، ٥١٩	١٩٠	﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ ... ﴾
٣٠٦	١٩٤	﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾
٧٢٠	١٩٥	﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾
٢٦٢	١٩٦	﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾
٢٧٤، ٢٥٥	١٩٧	﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ ... ﴾
٥١٤، ٤٩٦	٢٠٥	﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ... ﴾
٥٢٢	٢٠٩، ٢٠٨	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ ... ﴾
٣٤٨	٢١٧	﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ ... ﴾
٥١٦	٢٢٠	﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾
١٩٤	٢٣٨	﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ... ﴾
٢٢٢	٢٤٩	﴿ كُمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ ... ﴾
٣٢١، ٦٧	٢٨١	﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ... ﴾
...، ٣٧٩		
٣٠٦، ٥٣	٢٨٢	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعِلْمُكُمْ بِاللَّهِ ... ﴾
٦٣٨	٢٨٥	﴿ لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾
٦٩٤، ٥٩١	٢٨٦	﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ سورة آل عمران ﴾		
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾	٥	١١١
﴿ وَالْمُتَسَفِّرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾	١٧	٦٠٠
﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ... ﴾	٣٢، ٣١	١٤٨، ١٤٠ ١٧١
﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾	٧٦	٣٠٦
﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ... ﴾	٨٥	٧٣٠
﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ... ﴾	٩٧، ٩٦	٢٤٧
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ... ﴾	١٠٢	٢٢٨، ١٦ ٧٣٧
﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾	١٠٣	٤٣٠، ٢٦٤ ٧١٤
﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ... ﴾	١١٠	٦٣٤
﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾	١٢٣	٢٢١
﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	١٣٢	١٧٤
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِيئَةً أَوْ ظَلَمُوا ... ﴾	١٣٥	٦٠٠
﴿ وَلَا تَهْتُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ... ﴾	١٣٩	٧١٤، ٥٣٨
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ... ﴾	١٤٤	٣٣٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ ... ﴾	١٥٩	١٣٠، ٨٠ ...، ٢٨٦
﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ ... ﴾	١٦٤	١٢٩
﴿ أَوْلَمَّا أَصَبْتِكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا ... ﴾	١٦٥	٦٨٦
﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ ... ﴾	١٧٣ - ١٧٥	٣٤٠

﴿ سورة النساء ﴾

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتِّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ ... ﴾	١	٣٧٠، ١٠٣
﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ... ﴾	٢٧	٧٢٦، ٣٧٤
﴿ فَإِن نَّزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ... ﴾	٥٩	٤٠٠
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا ... ﴾	٦٠	٧٦
﴿ وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا ... ﴾	٦٥	٧٦
﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ ... ﴾	٨٣	٤٨٣، ٤٠٢
﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾	٨٤	٧١٧
﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ ... ﴾	٩٣	٧٠٩
﴿ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ ... ﴾	٩٤	٤٥٣
﴿ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾	١٠٦	٥٩٩
﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ... ﴾	١١٠	٦٠١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾	١١٣	١٣٣
﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ ... ﴾	١٢٤	٧٢٨
﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ... ﴾	١٣١	٣٢٦، ٣٠١
﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ... ﴾	١٣٥	٤١٩
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ ... ﴾	١٧٥، ١٧٤	١٧

﴿ سورة المائدة ﴾

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ... ﴾	٣	٤٩١
﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ... ﴾	٨	٥١٤، ٣١٩ ٧٠٩
﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ ... ﴾	١٥	٢١٩
﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ ... ﴾	١٦	١٩
﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾	٢٧	٧٢٠
﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ... ﴾	٣٢	٥١٦
﴿ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾	٤٨	٣١٦
﴿ وَإِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ ... ﴾	٥٠، ٤٩	٤٢٠، ٨١
﴿ وَسِعَّوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾	٦٤	٣٤٩، ٢٣٦ ٥٣٢

الصفحة	رقمها	الآية
٦٠٠	٧٤	﴿ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ ... ﴾
٥٣٢	٨٢	﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ... ﴾
٣٥١	٩٠	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ ... ﴾
٤٦٢	٩٣	﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾
٢٤٧	٩٧	﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكُفْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ ﴾

﴿ سورة الأنعام ﴾

٦٣٥	٣٣	﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ... ﴾
٤١٦، ١١٧	٥٧	﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ﴾
٨٨	٨٢	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ... ﴾
٥١٧، ٤٧٣	١١٢	﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾
١١٧	١١٤	﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا ﴾
٣١٥	١١٩	﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾
٢١٧	١٢٠	﴿ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾
١٢٩	١٢٤	﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾
٧١٣	١٣١	﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَى بِظُلْمٍ ... ﴾
٧٣٠	١٥١	﴿ قُلْ تَمَّالُوا أَنَلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ... ﴾
٤٢٣	١٥٣	﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ... ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ... ﴾	١٦٣، ١٦٢	٧٠٦، ١٥٢
﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾	١٦٤	٥١٩
﴿ سورة الأعراف ﴾		
﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّنَا تَعَفُّرٌ لَّنَا وَرَحْمَةً ... ﴾	٢٣	٦٩٤، ٦٠٠
﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ... ﴾	٣٢	٤١٦
﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ... ﴾	٣٤	٥٦٥
﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾	٥٤	١١٧، ٧٤
﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾	٥٦	٥١٦
﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، وَيَادِّنُ رَبِّهٖ ﴾	٥٨	٧١١
﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَنَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ ... ﴾	٩٦	٦٨٧، ٣٠٤
﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	١٢٨	٣٠٤
﴿ لَئِن لَّمْ يَرَحْمَنَا رَبُّنَا وَيَعْفِرْ لَنَا ... ﴾	١٤٩	٦٩٤
﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ... ﴾	١٥٧	١٣٨، ٢٥
﴿ قُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولٌ لِّلكُمْ ... ﴾	١٥٨	٦٢٨
﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ... ﴾	١٧٦	٣٠٩
﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ... ﴾	١٨٠	١١٩

الصفحة	رقمها	الآية
٩٣	١٨٧	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا ... ﴾
٧٠٦	١٩٤	﴿ إِنَّ الَّذِينَ نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا ... ﴾
﴿ سورة الأنفال ﴾		
٥٩	٢٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ... ﴾
٧٠٠، ٣٠٦	٢٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَقَوُّوا اللَّهَ ... ﴾
٣٤٩	٣٠	﴿ وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴾
٦٠٢	٣٣	﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾
٤٧٤	٤٦	﴿ وَلَا تَسْرِعُوا بِالنَّفْسِ وَلَا تَذْهَبَ بِرِيحِكُمْ ﴾
٥٤١	٦٠	﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ... ﴾
﴿ سورة التوبة ﴾		
٥٣٣	١٠	﴿ لَا يَرْجُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَايَةً ... ﴾
٧١٤، ٣٤٨	٣٢	﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ... ﴾
٦١٥	٣٣	﴿ الَّذِينَ أَرْسَلَ رَسُولُهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ... ﴾
٦٧٧	٤٠	﴿ إِلَّا نَصْرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ... ﴾
٤٧٧، ٨٦	٥١	﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ... ﴾
٢٢٥	١٠٣	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿سورة يونس﴾		
﴿قُلْ يَفْضَلِ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا...﴾	٥٨	٢٢
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾	٨١	٥١٦، ٤٩٨
﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾	٩٩	٦٣٨
﴿وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا...﴾	١٠٧	٥٨١، ٩٠
﴿سورة هود﴾		
﴿الرَّكَنُ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ...﴾	١	٢٣٤
﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ...﴾	٥٢	٦٨٨، ٦٠٣
﴿إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي...﴾	٨٨	٧١١، ٤٦٩
﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ...﴾	١١٩، ١١٨	١٠
﴿سورة يوسف﴾		
﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا...﴾	٢١	١١٨، ١٠٠ ...، ١٦٣
﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ...﴾	٢٤	٣٣٤
﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ...﴾	٤٠	٧٢
﴿لَا تَنْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ...﴾	٩٢	٢٨٧، ١٣٢
﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	١٠٠	٥٢٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ سورة الرعد ﴾		
﴿ إِنِ اللَّهُ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾	١١	٢٧٠، ٩٦ ...، ٦٨٦
﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ ... ﴾	١٧	٤٤١، ٢٣٥ ٤٩٩
﴿ أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾	٢٨	٢٠٩
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾	٤١	٣٩
﴿ سورة إبراهيم ﴾		
﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ ... ﴾	١	٧٠٥
﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾	٤٠	٢٠٧
﴿ سورة الحجر ﴾		
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ... ﴾	٩	٤٩٢، ٣١
﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾	٩٩	٧٣٩
﴿ سورة النحل ﴾		
﴿ فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٤٣	٢٧٨
﴿ أَقَامِينَ الَّذِينَ مَكْرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخِفَّ ... ﴾	٤٧-٤٥	٦٩١
﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ ... ﴾	٨٩	٧٣، ١٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي ... ﴾	٩٠	٢٢
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَى ... ﴾	٩٧	٤٩٠
﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ ... ﴾	١٠٦	٤٦٢

﴿ سورة الإسراء ﴾

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ... ﴾	٩	٢٠
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾	٣٢	٦٥٣، ٣٧٣
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ... ﴾	٣٦	٣٣٠
﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ ... ﴾	٥٦	٧٠٦، ٢٦٦
﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٨٢	٥٩٥، ٢٣
﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ... ﴾	٨٨	١٨

﴿ سورة الكهف ﴾

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ... ﴾	٥	٢٣٥، ٧٥
﴿ إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعْ أَنْ يَسْمِعَهُمْ أَرْحَامُهُمْ وَلَا يَفْهَمُوا مَعْنَاهُ ... ﴾	١٣	٧٢٣
﴿ وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ... ﴾	٢٨	٤٢٤، ٣١٥
﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَّكَلَّمْتُ رَبِّي ... ﴾	١٠٩	١٧
﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ... ﴾	١١٠	١٦٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ سورة مريم ﴾		
﴿ يَتَأَخَذَتِ هُنُورٌ مَّا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءٍ ... ﴾	٢٨	٣٣٣
﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾	٥٥	٢٠٧
﴿ خَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ... ﴾	٥٩	٢٠٧، ١٨١
﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾	٦٥	١٠٧
﴿ سورة طه ﴾		
﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾	٥	١٠٨
﴿ وَإِنْ نَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾	٧	١١١
﴿ أَذْهَبًا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ... ﴾	٤٤، ٤٣	٢٨٨
﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ... ﴾	١٢٤	٢١
﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾	١٣٢	٢٠٧، ١٩٩ ٣٠٤
﴿ سورة الأنبياء ﴾		
﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾	١٠	٢١٩
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا ... ﴾	٢٥	٧٠٥
﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾	٣٠	٦٨٤
﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ ... ﴾	٣٥، ٣٤	٤٢٩، ٣٦

الصفحة	رقمها	الآية
...، ٥٦٥		
٢٨	٥٠	﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾
٣٩٢	٧٩	﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۗ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾
٥٨٨	٨٤، ٨٣	﴿ وَيَأْتُوكَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ ۗ أَلَمْ يَكُنْ فِي مَسْجِدِ الضُّرِّ ... ﴾
٤٢٨، ٢٦٣	٩٢	﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ ... ﴾
٤٧٨		
٢٨٢، ١٥٦	١٠٧	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾
...، ٦٢٨		
﴿ سورة الحج ﴾		
٢٤٨، ٢٢٣	٢٥	﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَامٍ يُظْلَمِ تُدْقُهُ مِنْ عَذَابٍ ... ﴾
٢٦٦، ٢٥٣	٢٦	﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ... ﴾
٢٦٣، ٢٤٩	٢٨، ٢٧	﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ... ﴾
٢٧٦		
٢٧٨	٢٩	﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَرَهُمْ ... ﴾
٢٥٧	٣٠	﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ ... ﴾
٧٠٧، ٨٩	٣١	﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۗ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ ... ﴾
٢٧٣، ٢٥٧	٣٢	﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَةَ اللَّهِ ... ﴾
٧٠٤	٣٦	﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْتَرَّ ... ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٧٠١	٣٧	﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا ... ﴾
٦٢٦، ٥٤١	٤١، ٤٠	﴿ وَلَيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنِ يَصُرُهُ ... ﴾
٦٣٤	٥٨	﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾
١١٥	٧٨	﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾
٧٠٨		
﴿ سورة المؤمنون ﴾		
١٨٧، ١٨٦	٢، ١	﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ ... ﴾
٢٠٥	٦٠	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ... ﴾
٧٤٠	٧٦	﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ... ﴾
٤٧٣		
﴿ سورة النور ﴾		
٦٥١	٢	﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَجْهِ مِنْهَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ... ﴾
٣٣٥	١٣، ١٢	﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ ... ﴾
٤٧٩، ٣٣٥	١٧، ١٦	﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ ... ﴾
٥٣٧	١٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ... ﴾
٧٢٦، ٣٢٩	٣١، ٣٠	﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ آبَائِهِمْ ... ﴾
٦٥٠		

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ ... ﴾	٣١	٥٢٢، ٥٥٥ ٦٩١
﴿ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً ... ﴾	٣٩	٥٣٤
﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ... ﴾	٤٧	١٧٤
﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى ... ﴾	٥١	١٧٤
﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾	٥٤	١٦٩
﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾	٥٥	٧١٨
﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾	٥٧	٧١٤
﴿ سورة الفرقان ﴾		
﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا ... ﴾	٣٠	٢١
﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ ... ﴾	٤٣	٣١٣
﴿ جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ ... ﴾	٦٢	٦٦٧
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ... ﴾	٦٧	٤١٨
﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ... ﴾	٦٨	٦٥٣
﴿ سورة النمل ﴾		
﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾	٦٢	٥٨٦، ٤٨١ ٦٩٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَرَ كُلَّ شَيْءٍ﴾	٨٨	٦٨٤
﴿سورة الشعراء﴾		
﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾	٨٠	٥٨٦
﴿أَلَا تَنْفَعُونَ ﴿١٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾	١٠٧، ١٠٦	٣٠١
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٧٧﴾ الَّذِي يَرْبِكَ ...﴾	٢١٨، ٢١٧	١١٣
﴿سورة القصص﴾		
﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ ...﴾	٥٠	٤٠٨، ٣١٥
﴿وَأَتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ...﴾	٧٧	٤١٥
﴿سورة العنكبوت﴾		
﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ ...﴾	٤٥	٢٠٤، ١٨٢
﴿وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	٤٦	٦٣٨
﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾	٤٩	٥٠
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ ...﴾	٦٩	٥٥٥، ٩٨
﴿سورة الروم﴾		
﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾	٥، ٤	٧٩
﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾	٢٩	٣١٤
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ...﴾	٤١	٦٨٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٤٧	٨٦
﴿ سورة لقمان ﴾		
﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ ... ﴾	١١	٦٨٤
﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ ... ﴾	١٩، ١٣	٧٣٠
﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتِّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا ... ﴾	٣٣	٧٤٥
﴿ سورة الأحزاب ﴾		
﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ... ﴾	١١، ١٠	٤٧٣
﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ﴾	٢١	١٦٠، ١٤٠ ...، ٢٣٦
﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتَنْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ... ﴾	٣٣، ٣٢	٧٢٩، ١٤٣
﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا ... ﴾	٤٦، ٤٥	١٣٦
﴿ إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ... ﴾	٥٦	٦٧، ٥٢، ٣٢
﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ... ﴾	٥٨	٤٧٨
﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءِ ... ﴾	٥٩	٧٢٩
﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾	٧١	١٦٩
﴿ سورة سبأ ﴾		
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِنَاسٍ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾	٢٨	٦٢٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ... ﴾	٣٩	٢٢٦
﴿ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾	٥٢	٦٣٣
﴿ سورة فاطر ﴾		
﴿ أَفَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا... ﴾	٨	٤٠٤
﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾	١٧	٧٩
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾	٢٨	٣٧
﴿ سورة يس ﴾		
﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ... ﴾	٦٩	٢٨
﴿ سورة الصافات ﴾		
﴿ فَلَمَّا أَسْلَمْنَا وَتَلَّهُ، لِلجَبِينِ... ﴾	١٠٧، ١٠٣	٧٠١
﴿ سورة ص ﴾		
﴿ يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ... ﴾	٢٦	٣١٦
﴿ سورة الزمر ﴾		
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ... ﴾	٣١، ٣٠	٣٦
﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ... ﴾	٥٣	٦٠٥
﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ... ﴾	٦٥	٧٠٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿سورة غافر﴾		
﴿يَعْلَمُ خَائِبَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾	١٩	١١١
﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ ...﴾	٢٦	٤٠٥
﴿يَلْقَوْنَ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ...﴾	٣٩	٥٦٤
﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ﴾	٥٥	٥٩٩
﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	٦٠	٦٩٣
﴿سورة فصلت﴾		
﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُوهُ﴾	٦	٦٠٠
﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ...﴾	٣٦-٣٤	٢٩٢
﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾	٤٤	٥٩٥
﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ...﴾	٥٣	٢١٩
﴿سورة الشورى﴾		
﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾	١٠	٥٧٣، ٤٠٠
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	١١	١٠٧، ٣٥
﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ...﴾	١٥	٥٢٢
﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ ...﴾	٢١	٧٥
﴿مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾	٣٠	٦٨٦

الصفحة	رقمها	الآية
٨٠	٣٨	﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ ... ﴾
٢٣	٥٢	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ... ﴾
﴿ سورة الجاثية ﴾		
٣١٦، ٧١	١٨	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعهَا ... ﴾
٣٠٦	١٩	﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
٣١٣	٢٣	﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ... ﴾
﴿ سورة الأحقاف ﴾		
٥٥٢	١٢	﴿ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾
٦٧٦	٢٨	﴿ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾
﴿ سورة محمد ﴾		
٢٢٢	٧	﴿ إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَصْرِكُمْ وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾
٣١٤	١٤	﴿ وَأَتَّبِعُوا آهْوَاءَهُمْ ﴾
١٠٣	١٩	﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾
٢٤	٢٤	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَاتِ أَمْرَ عَلَىٰ قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ... ﴾
﴿ سورة الفتح ﴾		
٥٧٦، ٥٧٥	١٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾
١٤٣	١٨	﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ ... ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ... ﴾	٢٩	٤٤٠
﴿ سورة الحجرات ﴾		
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَمَيَّنُوا ... ﴾	٦	٤٧٨، ٣٢٩
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾	١٠	٢٦٤
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ... ﴾	١٢	٣٣٠
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى ... ﴾	١٣	٦٣٧
﴿ سورة ق ﴾		
﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِنْدٌ ﴾	١٨	٤٨٠، ٣٢٩
﴿ سورة الذاريات ﴾		
﴿ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِذُوا بِاللَّهِ وَرَبِّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾	١٨	٦٠٠
﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُعْبُدُونَ ﴾	٢٢	٦٨٧
﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	٧٠٥، ١٦٧
﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾	٥٨	١١٥
﴿ سورة النجم ﴾		
﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٢﴾ ۝ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾	٤، ٣	٣٠٨
﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ ﴾	٣٢	١١٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ سورة القمر ﴾		
﴿ إِنَّ اللَّتْقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ ... ﴾	٥٥، ٥٤	٣٠٧
﴿ سورة الرحمن ﴾		
﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣٦﴾ وَيَبْعَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلْدِ ... ﴾	٢٧، ٢٦	٥٦٤، ٣٦
﴿ سورة الحديد ﴾		
﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ... ﴾	١٦	٢١٧
﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي ... ﴾	٢٢	٥٨١
﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ ... ﴾	٢٨	٤٥٠، ٣٤٧ ٦١٤
﴿ سورة المجادلة ﴾		
﴿ فَمَنْ لَمْ يُحِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾	٤	٢٤٤
﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ... ﴾	١١	٥٤، ٣٧
﴿ سورة الحشر ﴾		
﴿ وَمَا ءَانْتُمْ إِلَّا رَسُولٌ فَخُذُوهُ ... ﴾	٧	١٣٠
﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ ... ﴾	١٨	٥٦٤، ٣٩٠
﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا ... ﴾	٢١	٢٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ سورة الممتحنة ﴾		
﴿ لَا يَنْهَكَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ... ﴾	٨	٧١٠
﴿ سورة الصف ﴾		
﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾	٣	٦٠
﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾	٨	٣١
﴿ سورة المنافقون ﴾		
﴿ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾	٨	٤٨٤
﴿ سورة التغابن ﴾		
﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ... ﴾	١١	٥٨١
﴿ وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ ... ﴾	١٦	٧٢٠، ٢٣٧
﴿ سورة الطلاق ﴾		
﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ... ﴾	٤، ٣، ٢	٣٠٧
﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ... ﴾	٥، ٤	٤٩٠
﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾	٧	٤٧٧
﴿ سورة التحريم ﴾		
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾	٦	٢٣٤، ٢٠٦

الآية	رقمها	الصفحة
		٣٥٧
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوَدُّوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾	٨	٣٧٠
﴿ سورة الملك ﴾		
﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	٢	٥٦٤، ١٦٩
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾	١٤	١١٦، ٧٣ ...، ٤٩٣
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾	٣٠	٦٨٥
﴿ سورة القلم ﴾		
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	٤	١٥٣، ١٣٠
﴿ قَالَ أَوْسَطُكُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾	٢٨	٤١٢
﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا ... ﴾	٥١	٧٢١
﴿ سورة نوح ﴾		
﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ... ﴾	١٢-١٠	٦٨٨
﴿ سورة المزمل ﴾		
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ ① ذُرِّيَّتُ لِي لَا كُفْرًا ... ﴾	٢، ١	٢٠٩
﴿ سورة المدثر ﴾		
﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾	٣٠	١٢١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾	٣١	١٢١
﴿ سورة القيامة ﴾		
﴿ إِلَيْكَ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾	١٢	٥٦٥
﴿ سورة النازعات ﴾		
﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ... ﴾	٤١، ٤٠	٣١٠
﴿ سورة الفجر ﴾		
﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَيَالِ عَشِيرِ ﴾	٢٠١	٢٧٥
﴿ سورة الشرح ﴾		
﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾	٤	١٢٩
﴿ سورة التين ﴾		
﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ الْحَكِيمِينَ ﴾	٨	١١٧
﴿ سورة القدر ﴾		
﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾	١	٢٣٤
﴿ سورة الكوثر ﴾		
﴿ إِنَّكَ شَانِئَتَهُ هُوَ الْآبِتْرُ ﴾	٣	١٣٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿سورة النصر﴾		
﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ...﴾	٣	٥٩٩
﴿سورة الإخلاص﴾		
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	١	١٠٥

ثَانِيًا: فِي مَسَائِدِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
٣٦٥	أبو ذر <small>رضي الله عنه</small>	«أَتَى اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتُ»
٢٥٨ ٦٨٠	أبو قتادة <small>رضي الله عنه</small>	«أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكْفِّرَ...»
٤٠٢	عائشة - رضي الله عنها	«إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ...»
٥٨٨	أبو خالد السلمي <small>رضي الله عنه</small>	«إِذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ...»
٦٥٥	ابن عباس - رضي الله عنها	«إِذَا ظَهَرَ الرَّئِيُّ وَالرَّبَّاءُ فِي قَرْيَةٍ...»
١٤٣	زيد بن أرقم <small>رضي الله عنه</small>	«أَذْكُرُّكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ثَلَاثًا»
١٣١ ٢٨٧	قتادة <small>رضي الله عنه</small>	«أَذْهَبُوا فَإِنَّتُمْ الطُّلُقَاءُ!»
١٨٠ ٢٠١	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ...»
٧٠٣	البراء <small>رضي الله عنه</small>	«أَرْبَعٌ لَا تَجُوزُ فِي الْأَضَاحِيِّ...»
٢٠٤	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«أَرْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»
٨	علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>	«أَرْجِعْنَ مَا زُورَاتٍ غَيْرَ مَا جُورَاتٍ»
١٢٠	ابن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	«أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ...»

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
٧	المغيرة بن شعبة <small>رضي الله عنه</small>	«أَسْبَعُ كَسْبَعِ الْكُهَّانِ؟!»
٣٦٢	زيد بن خالد <small>رضي الله عنه</small>	«أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ...»
٧٣٩	سهل <small>رضي الله عنه</small>	«الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ»
٥٨٣	ابن عباس - رضي الله عنهما	«اعْتَنِمَ حَمْسًا قَبْلَ حَمْسٍ...»
٥١٧	بريدة <small>رضي الله عنه</small>	«اغزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ...»
٦٨٠	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«أَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ...»
٢٤٤	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمُحْجُومُ»
١٥٣	المغيرة <small>رضي الله عنه</small>	«أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»
١٥٦	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ...»
٣٣١	أسماء بنت زيد - رضي الله عنها	«أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟...»
٤٨٣	ثوبان <small>رضي الله عنه</small>	«أَلَا يَهْلِكُ أُمَّتَهُ بِسَنَةِ عَامَةٍ...»
٤١٥	أنس <small>رضي الله عنه</small>	«أَمَّا إِنِّي أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ...»
١٨٥	أبو قتادة <small>رضي الله عنه</small>	«إِنْ أَسْوَأَ النَّاسِ سَرِقَةٌ...»
٤٤٤	النعمان <small>رضي الله عنه</small>	«إِنْ اشْتَكَيْ مِنْهُ عَضُوٌّ تَدَاعَى...»
٢٤٤	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي...»
٢٨٥	عائشة - رضي الله عنها	«إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ...»
٣٩	عبدالله بن عمرو <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا...»

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
٥٧	أبو أمامة <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَهُ...»
٤٦	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ...»
٢٢٠	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ...»
٣٧٢	ابن عمر - رضي الله عنهما	«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصَةٌ»
١٩١	جبير بن نفير <small>رضي الله عنه</small>	«أَنَّ أَوَّلَ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ...»
٧٠٢	البراء <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا...»
٦٥٣	ابن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	«أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلَقَكَ»
١١٣	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	«أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ...»
١٣٠	محجن بن الأدرع <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ»
٢٧٠	أبو بكرة <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ...»
٤٥٣	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ...»
٤١٥	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّ رَبَّكُمْ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - حَيٌّ...»
٦٩٣	سلمان <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّ رَبَّكُمْ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - حَيٌّ...»
٩		
٢٨٤	عائشة - رضي الله عنها	«إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا...»
٥١٤		
١٨٥	عمار بن ياسر <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَصِلِي الصَّلَاةَ...»
٥٨٧	أنس <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ...»

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
٤٠	ابن عمر - رضي الله عنهما	«إِنَّ قَبْضَ الْعِلْمِ لَيْسَ ...»
١٢١	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعُونَ اسْمًا ...»
٤١٧	أبو جحيفة <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ...»
١٥٧	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَشِّرِينَ ...»
٢٠٦	أنس <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ»
٣٨	أنس <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّمَا مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ ...»
٤٣٠	أبو ثعلبة <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ ...»
٦٠٤	الأغر المزني <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّهُ لَيَعَانُ عَلَيَّ قَلْبِي ...»
٥٨٨	ابن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	«إِنِّي أَوْعَكَ كَمَا يُوَعَكَ رَجُلَانِ مِنْكُمْ»
١٥٨	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ لَعَانًا؛ وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»
٦٤٠		
٢٥٣	جابر <small>رضي الله عنه</small>	«أَهْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالتَّوْحِيدِ: ...»
٢٦٦		
٣٠٢	أبو سعيد <small>رضي الله عنه</small>	«أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ ...»
٣٣٠	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«إِنِّي كُفْتُ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ ...»
٣٨٤	ابن عمر - رضي الله عنهما	«أَيُّونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا ...»
٣٩٢	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«بَدَأَ الْإِسْلَامَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ ...»
٢٠٢	جابر <small>رضي الله عنه</small>	«بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ ...»

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
٥٩٤	أسامة بن شريك <small>رضي الله عنه</small>	«تَدَاوُوا يَا عِبَادَ اللَّهِ...»
١٩	جابر <small>رضي الله عنه</small>	«تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ...»
١٦٩	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«تَظْهَرُ الْفِتْنُ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ...»
٤٠	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ...»
٩	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«تَقْوَى اللَّهِ وَحَسْنُ الْخُلُقِ...»
٣٠١	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مَطَاعٌ...»
٣١٤	ابن عباس - رضي الله عنهما	«حُبُّكَ الشَّيْءِ يُعْمِي وَيُصِمُّ»
٣١٣	أبو الدرداء <small>رضي الله عنه</small>	«الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»
٢٤٩	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَى..»
٥٨٥	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	«حُدُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»
٢٥٤	جابر <small>رضي الله عنه</small>	«خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ...»
٢٧٣	عبدالله بن عمرو <small>رضي الله عنه</small>	«خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ...»
١٨٤	أنس <small>رضي الله عنه</small>	«دَعْوُهُ وَلَا تُزِرُّمُوهُ»
٢٧٧	ابن عمر - رضي الله عنهما	«رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ...»
١٥٧	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ: أَشَعَثَ...»
٦٠٤	ابن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	«سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»
٣٧٤		
٤٥٢		

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
٤٨١	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«سَتَكُونُ فِتْنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ...»
١٩٩، ٢٠٨	مالك بن الحويرث <small>رضي الله عنه</small>	«صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي»
٢٥٨	أبو قتادة <small>رضي الله عنه</small>	«صِيَامُ يَوْمٍ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ...»
٢٦٥	أبو بكر <small>رضي الله عنه</small>	«الْعَجُّ وَالشَّجُّ»
٤٧	عبدالرحمن العذري <small>رضي الله عنه</small>	«عِلْمٌ هَذَا الدِّينِ يَحْمِلُهُ مِنْ كُلِّ...»
٢٠٢	بريدة <small>رضي الله عنه</small>	«الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ...»
٢٧٦	ابن عمر - رضي الله عنهما	«فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ...»
٦٠٢	أبو بكر الصديق <small>رضي الله عنه</small>	«فَإِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ: أَهْلَكْتُ النَّاسَ...»
٢٣٦، ٤٨٣	تميم الداري <small>رضي الله عنه</small>	«فَلْيَبْلُغَنَّ هَذَا الدِّينُ مَا بَلَغَ...»
٢١٦	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ...»
٤٣٤	جابر <small>رضي الله عنه</small>	«قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ...»
٣٣٠	عبدالله بن عمرو <small>رضي الله عنه</small>	«كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا...»
٣٣٠، ٤٨٠	حفص بن عاصم <small>رضي الله عنه</small>	«كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا...»
٧٠٢	جبير بن مطعم <small>رضي الله عنه</small>	«كُلُّ أَيَّامِ الشَّرِّ بِيَدَيْ دَيْحٍ»
٧٤٥	ابن عمر - رضي الله عنهما	«كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ...»

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
١٣٢، ٢٨٧	عبدالله بن عمرو <small>رضي الله عنه</small>	«لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا قَالَ أَخِي...»
١٣٧، ٢٧٠	جرير <small>رضي الله عنه</small>	«لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا...»
٤٦، ٦١٥	ثوبان <small>رضي الله عنه</small>	«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ...»
٣٧٣	ابن عمر - رضي الله عنهما	«لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا...»
١٥١	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	«لَا تَطْرُقُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى...»
٥٣٩	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ...»
١٠١	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«لَا عَدُوَّ وَلَا طَيْرَةَ وَلَا هَامَّةَ...»
٦٨١	ابن عباس - رضي الله عنهما	«لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأُصُومَنَّ التَّاسِعَ»
٥٨٧	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوْ الْمُؤْمِنَةِ...»
٦٥٤	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»
١٧١	أنس <small>رضي الله عنه</small>	«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ...»
٣٠٩	عبدالله بن عمرو <small>رضي الله عنه</small>	«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ...»
٧٤١	جابر <small>رضي الله عنه</small>	«لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ مُجْسِنٌ...»
٣٥١	ابن عمر - رضي الله عنهما	«لَعَنَّ اللَّهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا...»
٥٩٤	جابر <small>رضي الله عنه</small>	«لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ...»

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
٦٥٥	ابن عمر - رضي الله عنهما	«لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى ...»
٦٨٧		
١٥٥	أنس <small>رضي الله عنه</small>	«لَمْ تُرَاعُوا»
١١٥	جابر <small>رضي الله عنه</small>	«لَنْ يَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ ...»
١٤٣	عبدالله بن مغفل <small>رضي الله عنه</small>	«اللَّهُ فِي أَصْحَابِي ...»
١٣١		
١٥٩	ابن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»
٢٨٦		
٢٥٩	أبو رافع <small>رضي الله عنه</small>	«اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا عَن أُمَّتِي جَمِيعًا ...»
٣٩٣	ابن عباس - رضي الله عنهما	«اللهم فقهه في الدين ...»
٦٠٩	شداد <small>رضي الله عنه</small>	«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ...»
٢٣٦	تميم الداري <small>رضي الله عنه</small>	«لِيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ ...»
٥٩٤	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً ...»
٣١٥	أبو أمامة <small>رضي الله عنه</small>	«مَا تَحْتِ أَدِيمِ السَّمَاءِ إِلَهٌ يُعْبَدُ ...»
١٥٩	قتادة السدوسي <small>رضي الله عنه</small>	«مَا تَطْنُونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟!»
١٥٧	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟!»
٦٤١	ابن عمر - رضي الله عنهما	«مَا كَانَتْ هَذِهِ لِقَاتِلٍ»
٣٠٧	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ...»

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
١٩٠، ٢٠١	عثمان <small>رضي الله عنه</small>	«مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ...»
٢٧٦	ابن عباس - رضي الله عنهما	«مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهَا...»
٦٨٠	ابن عباس - رضي الله عنهما	«مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟»
٥٨٧	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا...»
١٣٨	ابن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	«الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»
٤٥٢	ابن عمر - رضي الله عنهما	«الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ...»
٤٧٩	عبد الله بن عمرو <small>رضي الله عنه</small>	«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ...»
٥٩٧	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَقَهُ...»
١٦٩	عائشة - رضي الله عنها	«مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ...»
٤١١، ٤٤٠	جابر <small>رضي الله عنه</small>	«الْمُنْبِتُّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى»
٩٢	ابن عمر - رضي الله عنهما	«مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»
٢٤٨	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ...»
٧٤٠	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ...»
٤٥٣	أبو ذر <small>رضي الله عنه</small>	«مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ...»
٧٠٢	جندب <small>رضي الله عنه</small>	«مَنْ دَبِحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَلْيَدْبَحْ...»

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
٢٤٤	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«مَنْ ذَرَعَهُ قَيْءٌ وَهُوَ صَائِمٌ...»
٤٥٤	ثابت <small>رضي الله عنه</small>	«مَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ...»
٢١٠	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ...»
٥٩٥	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَحَا لَهُ...»
٥٩٥	ابن عباس - رضي الله عنهما	«مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَنْضُرْ أَجَلُهُ...»
٥٩٥	ثوبان <small>رضي الله عنه</small>	«مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي حُرْفَةٍ...»
٥٦٩	المسور <small>رضي الله عنه</small>	«مَنْ عَظَمَتْ مُصِيبَتُهُ فَلَيْدَ كُرٍّ...»
١٥٠		
١٦٩	عائشة - رضي الله عنها	«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا...»
٢٥٤		
٦٠٢	ابن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	«مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ...»
٧٠٩	عبدالله بن عمرو <small>رضي الله عنه</small>	«مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»
٧٤٢	معاذ <small>رضي الله عنه</small>	«مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...»
٦٩٢	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ...»
٧٢٠	جرير <small>رضي الله عنه</small>	«مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمَهُ اللَّهُ»
٦٠٢	ابن عباس - رضي الله عنهما	«مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ...»
٢٣٢	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ...»

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
٢٨٥		
٤٩٦	جرير <small>رضي الله عنه</small>	«مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ الْحَيْرَ كُلَّهُ»
٥١٤		
٥٨٧	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ»
٥٨٤	ابن عباس - رضي الله عنهما	«نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ...»
٣٢٩	ابن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	«النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»
٤١٥	ابن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	«هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»
٦٠٥	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ...»
١٣٢	ابن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	«هُوَ عَلَىكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ...»
٤٧٧	ابن عباس - رضي الله عنهما	«وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّابِرِ...»
١٢٢	بريدة <small>رضي الله عنه</small>	«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ...»
٦٠٦	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا...»
٦٠٤	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ...»
٣٨١	أبو الدرداء <small>رضي الله عنه</small>	«وَإِنَّمَا يَأْكُلُ الدُّبُّ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ»
٢٤٣	لقيط <small>رضي الله عنه</small>	«وَبَالِغٍ فِي الْإِسْتِشْقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ...»
١٨٩	أنس <small>رضي الله عنه</small>	«وَجَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»
١٩	جابر <small>رضي الله عنه</small>	«وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا...»
٤٦٦	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	«وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
٥٩٤	أبو الدرداء <small>رضي الله عنه</small>	«وَلَا تَدَاوُوا بِحَرَامٍ»
٥١٧	أنس <small>رضي الله عنه</small>	«وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا، وَلَا طِفْلًا...»
٣٠٠	عطية السعدي <small>رضي الله عنه</small>	«وَلَنْ يَبْلُغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ التَّقْوَى...»
٥٧٦	ابن عمر - رضي الله عنهما	«وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ...»
١١٥	أنس <small>رضي الله عنه</small>	«يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي...»
٦٠١	أنس <small>رضي الله عنه</small>	«يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ...»
٩	عبدالله بن سلام <small>رضي الله عنه</small>	«يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَطْعِمُوا الطَّعَامَ...»
١٨٩	رجل من أصحاب النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>	«يَا بِلَالُ، أَقِمِ الصَّلَاةَ، أَرِحْنَا بِهَا»
١٢٢	أنس <small>رضي الله عنه</small>	«يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ»
٦٠١	أبو ذر <small>رضي الله عنه</small>	«يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ...»
٤١٥	عائشة - رضي الله عنها	«يَا عُمَانُ أَرَغَبَةٌ عَنْ سُنَّتِي؟...»
٤٣١	أبو برزة <small>رضي الله عنه</small>	«يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ...»
٣٢٤	أنس <small>رضي الله عنه</small>	«يَطْلَعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ...»
٥٤٧	ثوبان <small>رضي الله عنه</small>	«يُوشِكُ الْأَمُّ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ...»

ثالثًا: في سائر الآثار

الصفحة	القائل	طرف الأثر
٣٢٧	طلق - رحمه الله	«اتَّقُوا الْفِتْنََ بِالتَّقْوَى»
١٦٩	الفضيل - رحمه الله	«أَخْلَصَهُ وَأَصُوبَهُ، فَإِنَّ الْعَمَلَ ...»
٣١٥	أبو الدرداء <small>رضي الله عنه</small>	«إِذَا أَصْبَحَ الرَّجُلُ اجْتَمَعَ هَوَاهُ ...»
٥٣٣	ابن عمر - رضي الله عنهما	«إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ...»
٢٢٠	الزهري - رحمه الله	«إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ إِنَّمَا هُوَ ...»
٤٠	سعيد بن جبير <small>رضي الله عنه</small>	«إِذَا ذَهَبَ عُلَمَاؤُهُمْ»
١١٣	جدة عمر بن عبدالعزيز	«إِذَا كَانَ عُمَرُ لَا يَرَانَا، فَإِنَّ ...»
٤١	علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>	«إِذَا مَاتَ الْعَالِمُ تُلِمَ فِي ...»
٦٥	ابن عباس - رضي الله عنهما	«إِذَا نَسِيَ الْعَالِمُ كَلِمَةً ...»
٦٠٦	الفضيل - رحمه الله	«اسْتِغْفَارٌ بِلَا إِفْلَاحٍ: تَوْبَةُ الْكُذَّابِينَ»
٦٠٦	رابعة العدوية - رحمها الله	«اسْتِغْفَارُنَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِغْفَارٍ»
١٠٨	مالك بن أنس - رحمه الله	«الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكِيفُ ...»
٧٤٦	مكحول - رحمه الله	«اغْدُوا فَإِنَّا رَائِحُونَ، مَوْعِظَةٌ ...»
٤٣٥	إياس - رحمه الله	«أَفْسَلِمَ مِنْكَ الرُّومُ وَالسُّنْدُ ...»
٧٤٧	علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>	«أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وُلَّتْ مُدْبِرَةً ...»
٤٩٤	ربيعي <small>رضي الله عنه</small>	«اللَّهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ ...»

الصفحة	القائل	طرف الأثر
٧٤٢	عامر بن ثابت <small>رضي الله عنه</small>	«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْأُمِّيَّةَ...»
٥٨٩	عروة <small>رضي الله عنه</small>	«اللَّهُمَّ كَانَ لِي بَنُونَ سَبْعَةٌ...»
٢٩٩	ابن عمر - رضي الله عنها	«أَمَا طَرَقْتَ طَرِيقًا ذَا شَوْكٍ؟...»
٧٠٤	علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>	«أَمَرَنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَقُومَ عَلَى...»
١٠٨	ابن المبارك رحمه الله	«أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ»
٤٣	أيوب رحمه الله	«إِنَّ الَّذِينَ يَتَمَنَّوْنَ مَوْتَ أَهْلِ...»
٦٢	ابن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّكَ لَنْ تُحَدِّثَ النَّاسَ بِحَدِيثٍ...»
٢٨	الوليد بن المغيرة	«إِنَّ لَهُ لِحَلَاوَةَ، وَإِنَّ عَلَيْهِ...»
٣١١	الشعبي - رحمه الله	«إِنَّمَا سُمِّيَ الْهَوَى؛ لِأَنَّهُ يَهْوِي...»
٦٥٤	سمرة <small>رضي الله عنه</small>	«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى فِي الْمَنَامِ نَقْبًا...»
٤٠٢	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	«إِنَّهُ سَيَأْتِي نَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ...»
٤٢	أيوب - رحمه الله	«إِنِّي أَخْبَرْتُ بِمَوْتِ الرَّجُلِ مِنْ...»
٦٥٨	هند رضي الله عنها	«أَوْ تَزْنِي الْحُرَّةُ؟»
٣٩٢	علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>	«أَوْ فَهْمًا يُؤْتِيهِ اللَّهُ عَبْدًا فِي كِتَابِهِ»
٤٥٣	ابن عمر - رضي الله عنها	«أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرٌ...»
٥٧٦	عبادة <small>رضي الله عنه</small>	«بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى...»
٣٩	ابن عباس - رضي الله عنها	«بِمَوْتِ عُلَمَائِهَا وَفُقَهَائِهَا»
٢٩٨	ابن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	«تَقْوَى اللَّهِ: أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى...»

الصفحة	القائل	طرف الأثر
٢٩٩	طلق ﷺ	«التَّقْوَى: أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ...»
٣٢٧		
٢٩٩	علي بن أبي طالب ﷺ	«التَّقْوَى هِيَ: الْخَوْفُ مِنْ...»
٢٩٩	أبو الدرداء ﷺ	«تَمَامُ التَّقْوَى: أَنْ يَتَّقِيَ الْعَبْدُ رَبَّهُ...»
٧٠٣	جابر ﷺ	«ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى...»
٣٧٢	علي بن أبي طالب ﷺ	«جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ...»
٣١٣	الحسن البصري - رحمه الله	«جِهَادُكَ هَوَاكَ»
٣٩٩	أحمد بن حنبل - رحمه الله	«حُبُّهُمْ سُنَّةٌ، وَالِدَعَاءُ لَهُمْ...»
٦١	رجاء بن حيوة - رحمه الله	«حَدَّثْنَا وَلَا نُحَدِّثُنَا عَنْ مَتَاهُوتٍ...»
٦٢	علي بن أبي طالب ﷺ	«حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ...»
١٨٧	ابن عباس - رضي الله عنهما	«حَاثِفُونَ سَاكِنُونَ»
٧٤٠	سهل بن سعد ﷺ	«خَوْفُ الصَّدِيقِينَ مِنْ سُوءٍ...»
٤٣٥	ابن سيرين - رحمه الله	«ظُلْمٌ لِأَخِيكَ، أَنْ تَذْكَرُ مِنْهُ...»
٧٠٤	أنس ﷺ	«ضَحَى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنٍ...»
٤٠	ابن مسعود ﷺ	«عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ...»
٤٠٣	عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله	«فَايْتَمُّوا عَنْ عِلْمٍ وَقَمُوا، وَيَبْصُرِ...»
٣٣٥	عائشة - رضي الله عنها	«فَمَكَثْتُ شَهْرًا لَا يَرِقْ أَلِي دَمْعٌ...»
٣٩٢	عمر بن الخطاب ﷺ	«الْفَهْمُ الْفَهْمُ فِيمَا أُدْلِيَ إِلَيْكَ»

الصفحة	القائل	طرف الأثر
٢٧٦	البخاري - رحمه الله	«كَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ...»
٣٩٣	أبو سعيد <small>رضي الله عنه</small>	«كَانَ أَبُو بَكْرٍ <small>رضي الله عنه</small> أَعْلَمَنَا بِهِ»
٢٢٦	ابن عباس - رضي الله عنهما	«كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ...»
٤٢	حماد بن زيد رحمه الله	«كَانَ أَبُو بٍ يَبْلُغُهُ مَوْتُ الْفَتَى...»
١٨٨	الحسن رحمه الله	«كَانَ الْخُشُوعُ فِي قُلُوبِهِمْ فَعَضُّوا...»
١٨٣	حذيفة <small>رضي الله عنه</small>	«كَانَ النَّبِيُّ <small>صلى الله عليه وسلم</small> إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى»
١٥٥	أنس <small>رضي الله عنه</small>	«كَانَ النَّبِيُّ <small>صلى الله عليه وسلم</small> أَشْجَعَ النَّاسِ...»
٦١	ابن سيرين - رحمه الله	«كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ الْهَدْيَ كَمَا...»
١٨٨	ابن سيرين - رحمه الله	«كَانُوا يُخْفِضُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى...»
٤٣٢	مالك بن دينار - رحمه الله	«كَفَى بِالْمَرْءِ شَرًّا أَنْ لَا يَكُونَ...»
١٥٦	علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>	«كُنَّا إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ وَلَقِيَ...»
١٥٤	أنس <small>رضي الله عنه</small>	«كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ <small>صلى الله عليه وسلم</small> ...»
٦٥	الشعبي - رحمه الله	«(لَا أَدْرِي) نِصْفُ الْعِلْمِ»
٤٣٦	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	«لَا تَظَنَّ بِكَلِمَةٍ صَدَرَتْ مِنْ...»
٦٤٠	أبو بكر <small>رضي الله عنه</small>	«لَا تُمْتَلُوا، وَلَا تَعْدِرُوا، وَلَا...»
١٠٧	الشافعي - رحمه الله	«لَا يَبْلُغُ الْوَاصِفُونَ كُنْهَ عَظَمَتِهِ...»
٤١	ابن عباس - رضي الله عنهما	«لَا يَزَالُ عَالِمٌ يَمُوتُ، وَأَثَرُهُ...»

الصفحة	القائل	طرف الأثر
١٥٤	أنس <small>رضي الله عنه</small>	«لَقَدْ خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ <small>ﷺ</small> ...»
٦٨٨	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	«لَقَدْ طَلَبْتُهُ بِمَجَادِيحِ السَّمَاءِ ...»
١٠٧	الشافعي - رحمه الله	«لِلَّهِ - تَعَالَى - أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ ...»
١٨٧	حذيفة <small>رضي الله عنه</small>	«لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ ...»
٤٢	يحيى بن جعفر - رحمه الله	«لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أُرِيدَ فِي عُمْرِ مُحَمَّدٍ ...»
٤٦١	أحمد بن حنبل - رحمه الله	«لَوْ قُلْتُ قَوْلَكُمْ لَكَفَرْتُ ...»
٤٥٩	ابن عباس - رضي الله عنهما	«لَيْسَ بِالْكَفْرِ الَّذِي يَذْهَبُونَ ...»
٢٩٩	عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله	«لَيْسَ تَقْوَى اللَّهِ بِصِيَامِ النَّهَارِ ...»
١٠٨	نعيم بن حماد - رحمه الله	«لَيْسَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ ...»
٤٣٦	سعيد بن المسيب - رحمه الله	«لَيْسَ مِنْ عَالِمٍ وَلَا شَرِيفٍ ...»
٤٣	ابن سريج - رحمه الله	«مَا أَسَى إِلَّا عَلَى تُرَابٍ أَكَلُ ...»
٦٣٧	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	«مَا أَنْصَفْنَاكَ إِذْ أَخَذْنَا مِنْكَ ...»
٦١	ابن وهب رحمه الله	«مَا تَعَلَّمْنَا مِنْ آدَبِ مَالِكٍ أَكْثَرَ ...»
١٥٤	عبدالله بن الحارث <small>رضي الله عنه</small>	«مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ ...»
٤٧٩	محمد بن واسع - رحمه الله	«مَا عَلَى أَحَدِكُمْ لَوْ سَكَتَ ...»
١٥٤	أنس <small>رضي الله عنه</small>	«مَا مَسَسْتُ دِيبَاجًا وَلَا حَرِيرًا ...»
٦٨٩	علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>	«مَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ ...»
٣١٢	معاوية <small>رضي الله عنه</small>	«الْمُرُوءَةُ: تَرْكُ اللَّذَّةِ، وَعِصْيَانُ ...»

الصفحة	القائل	طرف الأثر
٤٣٥	الفضيل - رحمه الله	«المُسْلِمُ يَسْتُرُ وَيَنْصَحُ، وَالْمَنَافِقُ ...»
٦٤	أحمد بن حنبل - رحمه الله	«مَعَ الْمَحْبَرَةِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ»
٤١	ابن عباس - رضي الله عنهما	«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ كَيْفَ ذَهَابُ ...»
٤٠	الحسن - رحمه الله	«مَوْتُ الْعَالِمِ نُلْمَةٌ فِي الْإِسْلَامِ ...»
٤٣٥	ابن المبارك - رحمه الله	«الْمُؤْمِنُ يَلْتَمِسُ الْمَعَاذِيرَ ...»
٦١	ابن المبارك - رحمه الله	«نَحْنُ إِلَى قَلِيلٍ مِنَ الْأَدَبِ ...»
٣٥١	أم سلمة رضي الله عنها	«نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ ...»
٤١	ابن سيرين - رحمه الله	«هَذَا قَبْضُ الْعُلَمَاءِ»
٤٥٤	أبو سفيان - رحمه الله	«هَلْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَحَدًا مِنْ ...»
٤١٨	مطرف - رحمه الله	«هُوَ الْحَسَنَةُ بَيْنَ سَيِّئَتَيْنِ»
١٨٧	علي بن أبي طالب ؓ	«هُوَ الْخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ، وَأَنْ ...»
١٨٩	أحمد بن حنبل - رحمه الله	«هُوَ ذَلٌّ بَيْنَ يَدَيْ عَزِيزٍ»
٣١٣	الحسن البصري - رحمه الله	«هُوَ الْمَنَافِقُ لَا يَهْوَى شَيْئًا إِلَّا رَكِبَهُ»
٥٨١	علقمة - رحمه الله	«هُوَ الْمُؤْمِنُ نُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ ...»
٣٩٩	الشافعي رحمه الله	«وَأَرَاؤُهُمْ لَنَا أَحْمَدُ، وَأَوْلَى لَنَا ...»
٤١١	الخطيب رحمه الله	«وَدِينُ اللَّهِ وَسَطٌ بَيْنَ الْعَالِي فِيهِ ...»
٤٣٢	أحمد بن حنبل - رحمه الله	«الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ ...»
٦٠٢	لقمان الحكيم - رحمه الله	«يَا بَنِيَّ عَوِّذْ لِسَانَكَ الْإِسْتِغْفَارَ ...»

رَبَاعِيَّاتٌ فِيهِ سُرُورٌ الْغَرِيبُ

الصفحة	اللفظ	الصفحة	اللفظ
٩٢	الأزَعَنُ	١٩	الأَبْلَجُ
٧٢١	الأزُومَةُ	١٨	أَبِينَاءُ
٢١٣	أَرِيحُ	٢٥٠	أَتْرَاحُ
١٨	أَسَاطِينُ	٣٦٦	أَثِيرَةٌ
٧١٠	الاسْتِكْنَاهُ	٥٧١	الأَثِيلُ
٢١٦	اسْتَمْرُؤُوا	٢٣٠	أَثِيلَةٌ
٨٧	الإِسْفَافُ	٧١٩	الآجَامُ
٤١٨	الاشْتِرَاكِيَّةُ	٨٧	اجْتَالَ
١٤٧	اشْمَخَّرَ	١٨١	اجْتَرَحَ
٤٣٣	الاضْطِلَامُ	٢٣١	أَخْلَاسُ
٦١٦	الأَصْقَاعُ	٢٨٢	الإِحْنُ
٣١٧	الأَطْنَابُ	٧٢٣	الأَحْوَذِي
٤٩٩	أَعِنَّةٌ	٣٨	أَدْلَجُ
١٧١	الأَعْرَءُ	٤٥٠	أَذْهَمَ
٢٩	الأَفْيَحُ	٢٣٧	الأَرَاجِيفُ
٦٩٦	الآكَامُ	٤٨٣	ارْبَدَّتْ
١١٨	الأكَمَةُ	٤٧٧	أَرْسَانُ

الصفحة	اللفظ	الصفحة	اللفظ
٣٣٢	البَدَاءُ	٢٧٠	أَكْنَافٌ
٤٩٥	البَلَاغُ	٢٧	الأَلْظُّ
٣٥٩	بَلَسَمَ	٧١٦	الأَلِيَّةُ
٧٣٩	بَهَّظَتْ	٢٢٢	امْتَشَقٌ
٢٢٩	البَوَارِ	٢٥	أَنَاحٌ
٣٢٨	بَيْضَةٌ	١٧٤	أَبْتَقٌ
٧٢٠	تَأَسُّوْ	٧٢٦	أَنْتَضَاهَا
٤٢١	التَّاعَتْ	٨٦	الانتكاسة
١٦	التَّبَابُ	١٧١	انْسَرَبْتُ
٢١٣	تَتَّصَوْعُونَ	٢١٢	أَنْضَى
٣٣٨	تَجْفُلُ	٢١٢	اهْتَبَلَهَا
٢١٢	تَحْمِمْ	٣٣١	الأَوَارِ
٤٣٨	تُحْدَى	١٧	الأوَامُ
٢٢٩	التَّرْبُ	٧٠٠	الأَوْضَارُ
٢٨٥	تُرْعِي	٣٧٧	الإِيدِزُ
٢١٢	تَرْفُلُونَ	٩٣	البُورَةُ
٩٤	التَّرَهَاتُ	٢٤٦	بَاذِخًا
٢٨٥	تُرِيدُ	١٢٨	البَاؤُ
١٥٦	تُرْزِمُوهُ	٢٢٩	بَحْسَهُ

اللفظ	الصفحة	اللفظ	الصفحة
نَسَمُهَا	٤٢٩	الثَّيْبَةُ	١٤٩
نَصْرَمَ	٢١٢	الجُؤَارُ	٥٨٣
نَضَطَفِقُ	٢٦٤	الجَدَا	١٧
التَّطْوِيحُ	٩٣	الجَدَالَةُ	٣٢٤
التَّغْرِيْبُ	١٤٨	الجَعْظَرِيُّ	٥٥٠
التَّغَطُّرُسُ	٢٣٩	جَلَاوِزَةٌ	٢٣٨
تَقَطَّرَتْ	١٥٢	الجَلْوَةُ	١٢٣
تَقَانَاتُ	٩٨	الجَمِيمُ	٢٢٨
التَّقْفَرُ	٤٠١	جَهَامَةٌ	١٦٩
التَّلِيدُ	٧٣	الجَوَاءُ	٢٣٨
تَنَائِفُ	٧٣٩	جُودِيٌّ	٤٤٤
التَّنَطُّعُ	٧٠٨	الجَيَّاشُ	١٨٢
تَمْتِنُ	١٣٠	الحَادِبَةُ	٤٨٦
تَوْقِيفِيَّةٌ	١١٠	الحِجَا	٣٨٣
التَّاعِبَةُ	٢٤٠	الحُجُورُ	٤٠٤
التَّحُّجُّ	٢٦٤	الحُدَاةُ	٢٣٢
التَّرَارُ	٣٢٣	الحَشْوِيَّةُ	٤٠٤
التَّلْبُ	٣٠٩	الحَصَاقَةُ	٣١٨
التَّلْمَةُ	٤٠	الحَصْرُ	١٨

اللفظ	الصفحة	اللفظ	الصفحة
الْحَمِيَّة	٧١١	ذَكَاء	٥٣١
حَنَادِسُ	١٤٩	الذَّمَارُ	٧١٥
حَنَانِيكُمْ	٤٠٦	ذَوْ قِحَةٍ	٤٧٩
الْحَوَاطِمُ	٢٣٢	ذَوْتُ	٢٦٢
الْحَاسِيءُ	١٠١	رَائِثٌ	٦٩٥
الْحَزَعِيَّاتُ	٨٨	الرَّأْسِمَالِيَّةُ	٤١٧
الْحِضْمُ	١٩٣	رِبْقَةٌ	٣١٢
الْحِطْلُ	٣٧٥	الرُّتْعُ	٦٩١
الْخَلِيقُ	١٩٠	رَتَقَ	٢٣
خَلَّلَ	٤٦٥	الرَّحْضُ	٦٠٩
الْخَنَا	٣٧٧	الرُّخَاءُ	٢٣٦
الدَّخْلَةُ	١٣٥	الرَّذْحُ	٧٤
الدَّفَرُ	٢٣٢	الرَّرَّانَةُ	٤٥١
الدِّكْتَاتُورِيَّةُ	٤١٩	رِسْلِكُمْ	٤٠٦
الدُّونُ	٧١٦	الرَّعْدِيدُ	٥٥٢
الدِّيَاجِيرُ	٣٨	رَغِمَتْ أَنْوْفٌ	٦٣٠
الدِّيْمُقْرَاطِيَّةُ	٨٠	رَفُوءٌ	٤٧٧
ذَائِدَةٌ	٦٣٠	رَفِيفٌ	٢٣٦
ذَرَّتِ	٣٤٣	الرَّرَّقَرَاقُ	٤٧٤

اللفظ	الصفحة	اللفظ	الصفحة
الرَّفْطَاءُ	٣٣٢	سَقَرٌ	٢٠١
رَوُّوا	١٦١	السَّجْجُ	٦٠٩
الرُّوَيْبِضَةُ	٤٥	السَّمَقُ	٢٤
الرَّيْنُ	٣١١	السُّهَادُ	٢٩
زَخَّارَهَا	٤٨٨	السُّهُومُ	٢٣٢
زُرَافَاتُ	١٩٥	سَوَافِي	٢٤١
الزَّرَّايَةُ	١٠٥	سُوَيْدَاءُ	٥٣٨
الزُّهْرِيُّ	٦٥٦	السَّيْلَانُ	٦٥٦
سَائِمِينَ	٢١٥	الشَّائِبُ	٥٦٨
سَابِلَةٌ	٤٣٧	الشَّاقَّةُ	٩٠
سَادِرِينَ	٢١٦	الشَّائِثُونَ	١٠١
السَّبَّاطَةُ	٧٤	شَاهَتُ	١١٨
سَبْرٌ	٢٩٧	شُبُوبٌ	٥٣٥
السَّجَامُ	٩٥	الشَّجْنُ	٢٣١
سَخَائِمٌ	٢١٤	الشَّدْرَةُ	٤٥١
سَرْمَدٌ	٢٨٧	شَدَى	٢٤٧
السَّرَى	٤٤٣	الشَّرْقُ	٤٦٩
سُعَارُهُمْ	٢١٧	الشَّطَطُ	١٠٩
السَّعُوطُ	٢٤٢	الشَّعْوَذَةُ	٩٥

الصفحة	اللفظ	الصفحة	اللفظ
٦٩٦	الظَّرَابُ	٤٩٠	الشَّغَافُ
١٣٨	الظَّمِيُّ	١٣٣	الشَّمَاءُ
٢٣٧	العَبَقَةُ	٣١٠	الشَّنَارُ
٢٦٤	العَجُّ	١٠٠	الشُّنْشِنَةُ
٦١٨	العَجْفُ	٨٢	الشُّيُوعِيَّةُ
٣٥٠	عَرِيدٌ	١٥٢	الصَّخْبُ
٦٢٩	العَرَصَاتُ	٢٣٢	الصَّرَى
٥٣٣	عُرْفُوبِيَّةٌ	٣٣٨	الصَّفِيْقَةُ
٢٢٠	العَرْمَرَمُ	٢٨٧	الصَّقِيلُ
٢٢٧	العَسْجَدُ	٢٠٧	الصَّلْفُ
٤٤٢	العَقَائِلُ	٤٠٥	صَهْوَةٌ
٣٩٥	العَقَائِنِ	١٣١	الصَّبَاصِي
٩٩	عَقِيرَةٌ	٢٢٠	ضَبْضِيُّ
٥٣٨	العِلْجُ	١٢٨	الضَّمْحُ
١٤٨	العَلْمَانِيَّةُ	٢٢	طَبُؤًا
٧١٦	العُنْجُهِبِيَّةُ	٣٠	الطَّبِيْنُ
٢٨٩	عَوَاهِنُهُ	٤٣٨	الطَّرْسُ
٩١	العَوْلَةُ	٥٣٠	الطَّرِيفُ
٢٤١	الغَاسِقُ	٣٣٣	الطَّوِيَّةُ

اللفظ	الصفحة	اللفظ	الصفحة
الغُثَاءُ	٢١٦	قَتْرٌ	٢١٧
الغُدُقُ	٢٨	القَرَائِحُ	٣٧
الغُرَّةُ	٢٢٩	قَرَمٌ	٢٣٢
الغُرْزُ	٥٠٣	القَطْمِيرُ	٤٥٧
الغِلَالَةُ	٤٧٩	قَعَسَاءُ	٢١٤
الغِيَاهُ	٥٨٢	القَلَاقِلُ	٢٢
عَمَطٌ	٥٦	قَمِينَةٌ	٤٥١
الغَوَائِلُ	٢٢٦	القُنُوطُ	٦٩٧
الغَيْنُ	٦٠٤	كَأْدَاءُ	٤٢٨
الغَافِرَةُ	٤٥٠	الكَاشِحُ	٦٤٧
الغَيْبِلُ	٦٧٣	كَعَاعٌ	٢٣٣
فَتَاءٌ	١٦	الكَبْدُ	٥٨١
الْفَحْفَحَةُ	٧٥	الكَشْحُ	١٣٥
فَحْوَاهُ	٢٢٩	الكَلْفُ	١٣٩
الْفُسْطَاطُ	١٣٨	الكَائِكُلُ	٤٥٠
الْفِظَاظَةُ	٢٨٣	الكَئْمُ	٢٣٨
فِقَهُ الْأَوْلِيَّاتِ	٣٩٧	يُشَامُ	١٢٧
فِقَهُ الْمَوَارِثَاتِ	٣٩٨	لَا فِحَّةٌ	٢٤٠
الْقَتَامُ	٢٣٢	اللَّأْوَاءُ	١٧٩

الصفحة	اللفظ	الصفحة	اللفظ
٢٢٢	المَرَاجِلُ	٢٣٣	لُجَّةٌ
٢٩	المَرَاخُ	٧٢٥	لُعَاعَةٌ
١٩١	مُرْتَكِسَةٌ	١٧	اللَّعْجُ
٣٣٤	مَرَدُوا	٦٠٩	اللَّمَمُ
١٨	المِرْقَمُ	١٣٧	لَهْبِي
٤٥٨	مَرْبُورٌ	١٥	لَهَجٌ
٢٤٥	مُسْتَطَابَةٌ	١٤٦	اللُّوْثَةُ
١١٧	مُسْتَهْجَنَةٌ	٦١٧	المَّارِزُ
٦٢٩	المَشَاعِرُ	١٠٠	المَأْفُونُ
٤٧٢	مِصْقَلَةٌ	٢٣٤	مَبَاءَةٌ
٦١٧	المَعْقِلُ	٢١٧	مُتَبَّرٌ
٢٣٦	المُعَوِّزِينَ	٧٥	المُتَحَدِّقُ
٢٦١	مُفْعَمَةٌ	١٠١	المُتَحَرِّصُونَ
٥٣٤	مَكْلُوحٌ	٣٥٤	مُتْرَعَةٌ
٢٣٨	مُلْتَاعٌ	١٨٣	مُتَضَافِرَةٌ
٨٨	المُحَاكَّةُ	٢٣٧	المُثَبِّطَاتُ
٤١١	المُنْبِتُ	٦٨٨	مُجَادِبِحٌ
٢٢	مُفْتَتِتٌ	٤٠٤	المُجَسِّمَةُ
٥٩	مُنْتَهَاهَا	١٢٩	المُخْتِنْدُ

الصفحة	اللفظ	الصفحة	اللفظ
٢٩	نَكَأَ	٢٠٥	مَنْدُوحَةٌ
١٤٩	نَمِيرُهُ	٦٢١	النُّعْفِرُ
٤٧٥	النُّهْمُ	٢٧	النُّنُونُ
٦٢٠	هَجَعَ	٧٢٤	مُنِّيَ
٤٣٩	النُّدْرُ	٢٦٠	النُّنَيْفُ
٣٧٧	النُّرْبِزُ	٢٧٠	مُهَيْضُ
٢٣٤	هَرَطَقَاتُ	٤٤٣	النُّهَيْعُ
٣٤٣	هَرَفَ	٣٩١	النُّوَارِبَةُ
٤٩١	النُّهْمَلُ	١٦	النُّنَيْسَمُ
٣١٨	النُّهَاتُ	٧٣	نَاجِعُ
٢١٤	النُّوَاجِرُ	٤١٦	النُّنْبَوَاتُ
٥٦٧	هَيْضَتُ	٢٢٩	النُّنَّارُ
٩٣	النُّوَيْصُ	١٧	النُّنْحَرِيرُ
٤٥٠	وَبِيلاً	٤٩	النُّنْرَقُ
١٦	النُّوَجَلُ	٢٦٠	النُّنْزُوعُ
١٣٩	النُّوَجِيبُ	١٣٥	النُّنْشَبُ
٤٢٩	النُّوَحْرُ	١٣٩	النُّنْطَفُ
٢٤	النُّوَرِيفُ	٥٨٢	النُّنْعَصُ
٣٣١	النُّوَسَائِجُ	٤٥٧	النُّنْقِيرُ

الصفحة	اللفظ	الصفحة	اللفظ
١٨	الْبِرَاعُ	٢٤٠	الْوَسْلُ
٢٣١	يَرْعَوُوا	٢٣٠	وَشِي
٤٤٣	يُرْتَقُونَ	١٤١	الْوَصْبُ
٢٤٦	يَرِيمُ	٧١٩	الْوَعَى
٢٤٨	يَشْحَدُ	٢٠	وَقَبَ
٢٢٥	يَفْتُ	٤٠٤	الْوَهَابِيَّةُ
٨٧	يَفْلُ	٦١٦	الْوَهَادُ
١٣٩	يُقَمِّشُهُ	١٧١	يَأْسَنُ
٢٣١	يَكْرَعُ	١٦	يَبَابُ
٢٨١	يُوزِعَنَا	٢٦٠	يُتْرَعُ
		٢٨٧	يُحْفَدُ

خَامِسًا: فِيهِ سِتُّ الْمَصَادِيرِ وَالْمِرَاجِعِ

(أ) كتب التفسير وعلوم القرآن:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أحكام القرآن، محمد بن عبد الله بن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر، لبنان.
- ٣- التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- ٤- تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.
- ٥- تفسير ابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٥هـ.
- ٦- تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠١هـ.
- ٧- تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ٨- حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
- ٩- حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي، دار الكتاب النفيس، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- ١٠- السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية ١٠٠٤هـ.

١١ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٢ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

(ب) كتب الحديث وعلومه:

١٣ - تبين العجب بما ورد في فضل رجب، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، طبعة ١٩٨٨م.

١٤ - التمهيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، طبعة ١٣٨٧هـ.

١٥ - جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، للإمام زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

١٦ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، طبعة ١٤٠٣هـ.

١٧ - رياض الجنة بتخريج أصول السنة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن أبي زمنين)، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

- ١٨ - سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- ١٩ - سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.
- ٢٠ - سنن الدارقطني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم المدني، دار المعرفة، بيروت.
- ٢١ - سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- ٢٢ - السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، طبعة ١٤١٤هـ.
- ٢٣ - السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ٢٤ - سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
- ٢٥ - سنن النسائي (المجتبى)، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات، حلب، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
- ٢٦ - شرح الأربعين النووية، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، إشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر.
- ٢٧ - شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٢٨ - شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.
- ٢٩ - شرف أصحاب الحديث، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر، تحقيق:

- د. محمد سعيد خطي أوغلي، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة.
- ٣٠- شُعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ٣١- صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
- ٣٢- صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة ١٣٩٠هـ.
- ٣٣- صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- ٣٤- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
- ٣٥- المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، مكتبة المعارف.
- ٣٦- طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي، تحقيق: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- ٣٧- غريب الحديث، القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، تحقيق: د. محمد عبدالمعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.
- ٣٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.



- ٣٩- فتح المغيـث شرح ألفية الحديث، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار أحد.
- ٤٠- فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.
- ٤١- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
- ٤٢- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
- ٤٣- كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، طبعة ١٤١٨هـ.
- ٤٤- الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
- ٤٥- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، شمس الدين محمد بن يوسف ابن علي الكرمانى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.
- ٤٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، وبيروت.
- ٤٧- المحدث الفاضل، الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

- ٤٨ - المدخل إلى السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب، الكويت، طبعة ١٤٠٤هـ.
- ٤٩ - مسند أبي عوانة، يعقوب بن إسحاق الاسفرائيني، دار المعرفة، بيروت.
- ٥٠ - مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- ٥١ - مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.
- ٥٢ - مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، المدينة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ٥٣ - مسند الشهاب، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
- ٥٤ - مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.
- ٥٥ - مشيخة أبي طاهر ابن أبي الصقر، محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل اللخمي الأنباري، تحقيق: الشريف حاتم بن عارف العوني، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ٥٦ - مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ٥٧ - مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

- ٥٨- المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله
وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥هـ.
- ٥٩- المعجم الصغير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور، المكتب
الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- ٦٠- المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي،
مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
- ٦١- المغني عن حمل الأسفار، أبو الفضل العراقي، تحقيق: أشرف عبد المقصود،
مكتبة طبرية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ٦٢- موطأ الإمام مالك بن أنس أبو عبد الله الأصحح، تحقيق: محمد فؤاد
عبدالباقي دار إحياء التراث العربي، مصر.
- ٦٣- نواذر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله
الحكيم الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجليل، بيروت، طبعة ١٩٩٢م.
- ٦٤- ولاية الله والطريق إليها، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: د. إبراهيم
هلال، دار الكتب الحديثية، القاهرة.

(ج) كتب العقيدة:

- ٦٥- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، عبيد الله محمد بن بطة العكبري الحنبلي،
تحقيق: عثمان عبد الله الأثيوبي، دار الراية للنشر، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.
- ٦٦- إثبات صفة العلو، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، تحقيق: بدر
عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٦٧- الأسماء والصفات، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبدالله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادبي.

٦٨- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحرائي أبو العباس، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.

٦٩- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، أبو القاسم إسماعيل بن محمد ابن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ.

٧٠- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الذهبية، الرياض، طبعة ١٣٩١هـ.

٧١- السنة لابن أبي عاصم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

٧٢- السنة للخلال - دار الراية للنشر والتوزيع - الرياض.

٧٣- ذم الكلام وأهله، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، تحقيق: عبدالرحمن الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٧٤- الرد على البكري، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحرائي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٧٥- شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، تحقيق: أحمد سعد حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ.

٧٦- شرح رسالة تحكيم القوانين، للشيخ محمد بن إبراهيم، تحقيق سفر بن عبد الرحمن الحوالي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

٧٧- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ.

٧٨- شرح القصيدة النونية، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

٧٩- الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: د. عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

٨٠- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٣٩٨هـ.

٨١- صفة المنافق، جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، تحقيق: بدر البدر، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٨٢- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.

٨٣- العقيدة رواية أبي بكر الخلال، تأليف: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة، دمشق، الطبعة

الأولى ١٤٠٨هـ.

٨٤- العقيدة الطحاوية، أبو جعفر الطحاوي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

٨٥- العلو للعلي الغفاري في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمتها، لشمس الدين الذهبي، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٨٦- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٤٠٤هـ.

٨٧- منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٨٨- نونية القحطاني، عبد الله بن محمد الأندلسي أبو محمد، تحقيق: محمد بن أحمد سيد أحمد، مكتبة السوادى للتوزيع، السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

(د) كتب الأصول والقواعد الفقهية:

٨٩- إعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: محمد محيي الدين، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

٩٠- التبصرة في أصول الفقه، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي، شرحه وحققه: محمد حسن هيتو، دار الفكر دمشق.

٩١- الرسالة، محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار

الكتب العلمية، طبعة ١٣٥٨هـ.

٩٢- الفروق، شهاب الدين أبو العباس أحمد القرافي، بهامشه «إدراج الشروق» لابن الشَّاطِ، و«تهذيب الفروق» لمحمد علي، وضع فهارسه رواس قلعجي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٩٣- الفوائد في اختصار المقاصد، عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٩٤- الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

٩٥- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين السلمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٦- الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشَّاطِبي اللّخمي الغرناطي المالكي، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان.

(هـ) كتب الفقه والفتاوى:

٩٧- أحكام أهل الذمة، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: يوسف أحمد البكري، وشاكر توفيق العاروري، رمادى للنشر، دار ابن حزم، الدمام- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٩٨- الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٨هـ.

٩٩- تحفة المودود بأحكام المولود، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار البيان، دمشق، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ.

١٠٠- تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٠١- الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، دار الإصلاح، القاهرة.

١٠٢- الخشوع في الصلاة، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: عادل أبو المعاطي، دار المشرق العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٠٣- الدرر السنوية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ.

١٠٤- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١٠٥- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

١٠٦- منهاج الطالبين وعمدة المفتين، يحيى بن شرف النووي أبو زكريا، دار المعرفة، بيروت.

(و) كتب اللغة والأدب:

١٠٧- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي

- الزخشي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٣٩٩هـ.
- ١٠٨- الأفعال، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- ١٠٩- الأمالي في لغة العرب، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٣٩٨هـ.
- ١١٠- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- ١١١- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- ١١٢- جهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٨هـ.
- ١١٣- الحماسة المغربية (مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب)، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١م.
- ١١٤- ديوان ابن المعتز، أبي بكر محمد بن يحيى الصولحي، دراسة وتحقيق: د. يونس أحمد السامرائي العراق، ١٣٩٨هـ.
- ١١٥- ديوان أبي إسحاق الإلبيري، إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي الإلبيري أبو إسحاق، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار قتيبة، دمشق، ١٤٠١هـ.
- ١١٦- شرح ديوان حماسة أبي تمام، أبو العلاء المعري، تحقيق: حسين محمد نقشة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١١هـ.

- ١١٧- ديوان أحمد شوقي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى.
- ١١٨- ديوان الإمام الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: محمد عفيف الزغبى، مكتبة المعرفة، سورية، الثالثة، ١٣٩٢هـ.
- ١١٩- ديوان البوصيري، الأنصاري شرف الدين البوصيري، تحقيق: عمر الطباع، دار الأرقم، ٢٠٠٤م.
- ١٢٠- ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه، دار بيروت، ١٣٩٨هـ.
- ١٢١- ديوان المتنبي، أحمد بن الحسين، شرحه ناصيف اليازجي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠١هـ.
- ١٢٢- العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.
- ١٢٣- القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شهايط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- ١٢٤- قصيدة عنوان الحكم، أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين البستي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- ١٢٥- لسان العرب، لابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثم المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- ١٢٦- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد

- الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، طبعة ١٩٩٥ م.
- ١٢٧- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، تحقيق: محمد محيي الدين، دار المعرفة، بيروت.
- ١٢٨- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠ م.
- ١٢٩- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة ١٤١٥ هـ.
- ١٣٠- المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبهسي، تحقيق: مفيد محمد قميحة دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ.
- ١٣١- المستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم جارا الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧ م.
- ١٣٢- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة ١٤٢٢ هـ.
- ١٣٣- المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بمصر، بإشراف عبد السلام هارون، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٣٤- المغرب في ترتيب المعرب، ناصر الدين المطرزي، تحقيق: محمود فاخوري عبد الحميد مختار، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى.
- ١٣٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي

ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، طبعة ١٣٩٩هـ

(ز) كتب التاريخ والسيرة والتراجم:

١٣٦- أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرى، تحقيق: د. عبدالله عبدالرحيم عيلان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

١٣٧- أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٣٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١٣٩- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٠- تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٧٩هـ.

١٤١- تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٢- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر علي بن الحسن، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٥م.

١٤٣- تاريخ يعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح يعقوبي،

دار صادر، بيروت.

١٤٤- الثقات، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.

١٤٥- تذكرة الحفاظ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي، صُحِّحَ بِإِعَانَةِ وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٣٧٤هـ.

١٤٦- الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ.

١٤٧- حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

١٤٨- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين البيهقي أبو بكر، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٤٩- الرد الوافر، محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ.

١٥٠- زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٧هـ.

١٥١- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد

- نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ.
- ١٥٢- سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.
- ١٥٣- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تعليق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
- ١٥٤- صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي، دار المعرفة بيروت، طبعة ١٣٩٩ هـ.
- ١٥٥- طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى أبو الحسين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
- ١٥٦- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن عبد الله بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ.
- ١٥٧- طبقات الفقهاء الشافعية، لثقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢ م.
- ١٥٨- فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
- ١٥٩- المجروحين من المحدثين والضعفاء، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق:

- محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٤١٢هـ.
- ١٦٠- معجم الأدباء، أبو عبد الله ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ١٦١- معجم السفر، أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.
- ١٦٢- مناقب الإمام أحمد، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، إمبابة، مصر، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.
- ١٦٣- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ.
- ١٦٤- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.
- ١٦٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.
- ١٦٦- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: د. مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

(ح) كتب الزهد والرقاق:

- ١٦٧- الرحلة إلى بلاد الأشواق (شرح القصيدة الميمية للإمام شمس الدين محمد بن

أبي بكر بن قيم الجوزية)، عرض وتحليل: مصطفى عراقي، مطبعة التقدم، القاهرة.

١٦٨- الرقائق، عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦٩- الزهد، أحمد بن حنبل الشَّيباني، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

١٧٠- الزهد، عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧١- الزهد الكبير، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عمر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٦م.

١٧٢- الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح، محمد بن محمد بن يوسف الجزري، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٧٣- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: زكريا علي يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧٤- مدارج السالكين بين منازل إِيَّاكَ نعبد وإِيَّاكَ نستعين، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: محمد حامد الفقّي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

(ط) كتب عامة، وكتب الأخلاق والسلوك:

١٧٥- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، دار الكتب العربي، بيروت، طبعة ١٤٠٤هـ.

١٧٦- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة، بيروت.

١٧٧- أخلاق العلماء، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرى، تحقيق: إسماعيل الأنصاري، وعبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، طبعة ١٣٩٨هـ.

١٧٨- الآداب الشرعية، أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.

١٧٩- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

١٨٠- بدائع الفوائد، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عطا وعادل العدوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

١٨١- التذكرة في الوعظ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٨٢- جامع بيان العلم وفضله، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

- ١٨٣- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٨٤- الدعاء، سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- ١٨٥- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، دار المعرفة، بيروت.
- ١٨٦- العزلة، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.
- ١٨٧- العقل وفضله، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا، تحقيق: لطفي محمد الصغير، دار الراجية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ١٨٨- الغرر السافر فيما يحتاج إليه المسافر، للزركشي (ص ٢٩١) (ضمن مجلة الحكمة - العدد العاشر).
- ١٨٩- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤١٢هـ.
- ١٩٠- طريق الهجرتين وباب السعادتین، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
- ١٩١- عمل اليوم والليلة، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي الخرساني، تحقيق: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

- ١٩٢- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ.
- ١٩٣- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
- ١٩٤- مداراة الناس، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد خير رمضان، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ١٩٥- مفتاح دار السعادة ومشور ولاية العلم والإرادة، شمس الدين محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصفحة

٣

الموضوع

المقدمة:

القِسْمُ الْأَوَّلُ:

القرآن الكريم

١٥

١- قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ

القِسْمُ الثَّانِي:

العجايب والعجائب

٣٥

٢- حُسْنُ الْعَزَاءِ فِي فَقْدِ الْعُلَمَاءِ

٥٣

٣- رِسَالَةٌ إِلَى بِنَاةِ الْعُقُولِ

القِسْمُ الثَّلَاثِي:

الحقيدة

٧١

٤- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

٨٥

٥- التَّوْحِيدُ سَبِيلُ النَّصْرِ حِيَالِ خُطُوبِ الْعَصْرِ

١٠٣

٦- الْأَثَرُ الْأَسْنَى لِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ الْحُسْنَى

القِسْمُ الرَّابِعُ:

السُّنَّةُ وَالسِّيَرَةُ

- ١٢٧ ٧. النَّصْرَةُ وَالِدْفَاعُ فِي النَّاسِي وَالْإِتْبَاعِ
١٤٦ ٨. أَرْجُ الْخَمَائِلِ فِي أَرْكَى السَّمَائِلِ
١٦٥ ٩. إِشْرَاقَاتُ الْإِنْتِفَاعِ بِمَعَالِمِ الْمَحَبَّةِ وَالْإِتْبَاعِ

القِسْمُ الْخَامِسُ:

الْعِبَادَاتُ

- أ. الصَّلَاةُ:
١٧٩ ١٠. مِعْرَاجُ الْمُؤْمِنِ
٢٠٠ ١١. أَرْحَنَابُهَا !!
ب. الصِّيَامُ:
٢١٢ ١٢. رَمَضَانُ: جَلَالُ أَوْصَافِهِ، وَوَقْفَةُ انْتِصَافِهِ
٢٢٨ ١٣. رَمَضَانُ فِقْهُ وَأَشْجَانُ
ج. الْحَجُّ:
٢٤٦ ١٤. إِضَاءَاتٌ حَوْلَ مَحَاوِرِ الشَّرْفِ فِي الْحَجِّ
٢٦٠ ١٥. الْحَجُّ وَالْحَجَّاجُ: مِنْهَاجٌ وَإِبْتِهَاجٌ

القِسْمُ السَّادِسُ: الْأَخْلَاقُ وَالسُّلُوكُ

أ. صفات حميدة:

٢٨١

١٦. الرَّفْقُ: حُلَّةُ الْجَمَالِ، وَحُلَّةُ الْجَلَالِ

٢٩٦

١٧. كَلَّا أَنْ نَقُوى، إِلَّا بِالتَّقوى!!

ب. صفات ذميمة:

٣٠٨

١٨. أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ!!

٣٢٦

١٩. إِعْصَارُ الشَّائِعَاتِ، وَأَثَرُهُ فِي تَقْوِيضِ الْحَضَارَاتِ

القِسْمُ السَّابِعُ:

القَضَايَا الْإِجْتِمَاعِيَّةُ

٣٤٧

٢٠. الْمُحَدَّرَاتِ: نَذِيرُ إِفْتَاءِ الْمُجْتَمَعَاتِ!!

٣٦٤

٢١. الْإِسْفَارُ عَنْ حَقِيقَةِ الْإِجَارَةِ وَالْأَسْفَارِ

القِسْمُ الثَّامِنُ:

مَعَالِمُ الرُّسُلِ وَرِكَائِزُهَا فِي الْمَنَاجِزِ

٣٨٩

٢٢. حَرْبُ الْمَفَاهِيمِ

٤٠٩

٢٣. الْوَسْطِيَّةُ وَالْإِعْتِدَالُ، بَيْنَ الْإِنْتِحَالِ وَالْإِمْتِنَالِ

٤٢٧

٢٤. أَحْبَبْنَا حِمَاةَ السُّنَّةِ! حَنَانِيكُمْ... حَنَانِيكُمْ...!!

القِسْمُ التَّاسِعُ:

بَصَائِرُ فِي الْأَحْدَاثِ وَالنَّوَائِزِ

- ٤٤٩ - ٢٥. صَرْخَةُ نَذِيرٍ، فِي التَّحْذِيرِ مِنْ فَاقِرَةِ التَّكْفِيرِ!!
- ٤٧٠ - ٢٦. النَّوَائِزُ وَالْأَزْمَاتُ: فِقْهُ، وَتَعَامُلٌ، وَنَظَرَاتُ
- ٤٨٩ - ٢٧. الْإِرْهَابُ: عَلَى ضَوْءِ السُّنَّةِ وَالْكِتَابِ
- ٥٠٧ - ٢٨. الْأَحْدَاثُ الْعَالَمِيَّةُ: رُؤْيُةٌ شَرْعِيَّةٌ، وَلَفْتَةٌ إِصْلَاحِيَّةٌ

القِسْمُ الْعَاشِرُ:

مِنْ قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ

- ٥٢٩ - ٢٩. قَضِيَّةُ الْأَقْصَى بَيْنَ الْحَقِّ الْمُغْتَصَبِ، وَالْوَاجِبِ الْمُتَهَبِ
- ٥٤٦ - ٣٠. فِلِسْطِينُ: بَيْنَ لَوْعَاتِ أَمٍّ، وَإِجْرَامِ أَمٍّ!!

القِسْمُ الْحَادِي عَشْرُ:

الرِّقَائِقُ

- ٥٦٣ - ٣١. دُمُوعُ الْعَيْنَيْنِ فِي رِثَاءِ خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ
(الْمَلِكِ فَهْدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ آلِ سُعُودٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ وَطَيَّبَ ثَرَاهِ)
- ٥٧٩ - ٣٢. لَا بَأْسَ، طُهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
(رِسَالَةٌ إِلَى الرَّاقِدِينَ عَلَى الْأَسْرَةِ الْبَيْضَاءِ)
- ٥٩٨ - ٣٣. الْأَسْتِنْفَارُ لِلزُّومِ الْأَسْتِنْفَارِ

القِسْمُ الثَّانِي عَشْرُونَ:

مَوْضُوعَاتٌ عَامَّةٌ

٦١٣ - ٣٤. جَزِيرَتُنَا السَّمَاءُ الْمُنِيعَةُ، فِي ظِلَالِ الْحُكْمِ بِالشَّرِيعَةِ وَالْوَلَايَةِ الْبَدِيعَةِ

٦٣٢ - ٣٥. بَيْنَ حَضَارَتِنَا وَحَضَارَتِهِمْ

٦٤٩ - ٣٦. إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا

القِسْمُ الثَّلَاثُ عَشْرُونَ:

حُطْبُ الْمَنَابِتِ

٦٦٧ - ٣٧. التَّارِيخُ: مِرْأَةُ الْعَبْرِ، وَشَاهِدُ الْخَبْرِ

٦٨٣ - ٣٨. الْعَذْبُ النَّمِيرُ، فِي اسْتِدْرَارِ الْغَيْثِ الْغَزِيرِ

٦٩٨ - ٣٩. قَضَايَا الْأُمَّةِ، فِي الْيَوْمِ الْأَكْبَرِ، وَالرَّحَابِ الْأَطْهَرِ

٧٣٧ - ٤٠. أُمَّةُ الْإِسْلَامِ: بَيْنَ وَدَاعِ الْعَامِ وَحُسْنِ الْخِتَامِ

الفهرست

٧٥٣ - أَوَّلًا: فِهْرَسْتُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

٧٧٩ - ثَانِيًا: فِهْرَسْتُ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ

٧٩١ - ثَالِثًا: فِهْرَسْتُ الْأَثَرِ

٧٩٧ - رَابِعًا: فِهْرَسْتُ الْغَرِيبِ

٨٠٧ - خَامِسًا: فِهْرَسْتُ الْمَصَادِرِ وَالرِّوَايَاتِ

٨٣٠ - سَادِسًا: فِهْرَسْتُ الْمَوْضُوعَاتِ